

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة



رقم الإيداع :

كلية الآداب و اللغات

قسم الآداب و اللغة العربية

رقم :

التسجيل :

آليات الاتساق و الانسجام في الحديث القدسي دراسة أسلوبية

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه علوم في اللغة العربية

إشراف الأستاذة الدكتورة :

يمينة بن مالك

إعداد الباحث :

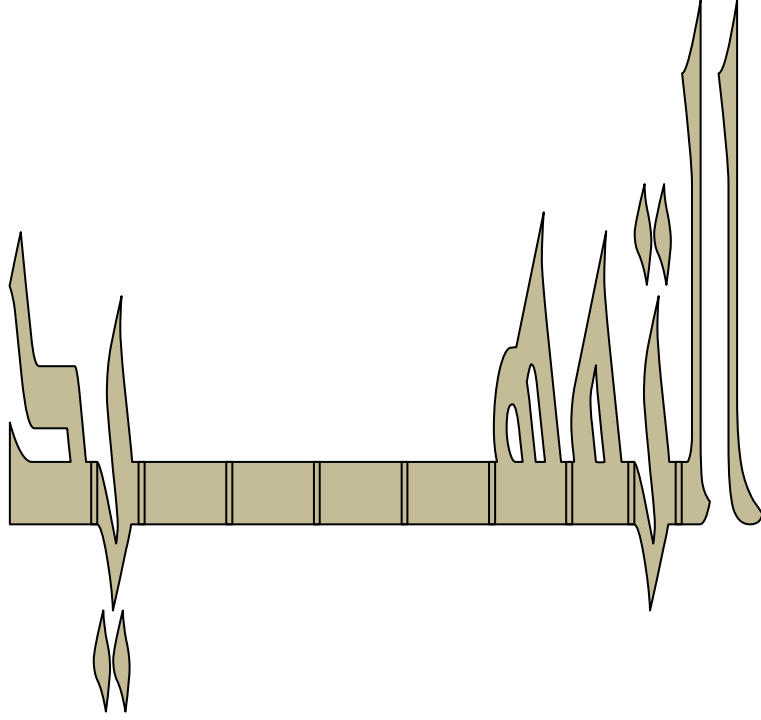
كريم خلدون

لجنة المناقشة :

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
حسن كاتب	أستاذ دكتور	جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة	رئيسا
يمينة بن مالك	أستاذة دكتورة	جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة	مخرفا و مقرا
يحيى بعيطيش	أستاذ دكتور	جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة	عضوا
رابع دويج	أستاذ دكتور	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة	عضوا
سامي الكنانبي	أستاذ دكتور	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة	عضوا
بلقاسم ليبارير	أستاذ دكتور	جامعة باتنة	عضوا

السنة الجامعية :

1435 - 1436 هـ / 2014 - 2015 م



إشكالية البحث

بداية نبيه - أولا - إلى أن هذه الدراسة تحاول أن تخرج بالحديث القدسي - قدر الاستطاعة - من الدائرة الضيقة التي وضع فيها وضعا أو دفع إليها دفعا إلى فضاء معرفي أوسع و أشمل , و ذلك بأن نصله بالحياة الحديثة , و مناهج الدرس اللغوي المعاصر , لكي يبني لنفسه منهجا متكاملا للتعامل مع كينونته المتميزة و طاقاته المعرفية و التأصيلية الفاعلة . كما نشير - ثانيا - إلى أن هذا البحث يستهدف تبيان ما تتميز به أسلوبية آليات الاتساق و الانسجام في هذه المدونة/الحديث القدسي من تميز و فرادة و جماليات تستأهل الاهتمام و العناية و الدراسة , و ما دام الأمر كذلك , فينبغي على الدارس التعامل مع نصوص الأحاديث القدسية بوصفها مدونة أسلوبية , وحدة واحدة , يتم تحليل ما فيها , أي التعامل معها كما هي , بها الكثير من الإشارات العقدية و التصورية و الفكرية و الاجتماعية ... هذه الرؤية تغنى بالأسلوب و تلقي الضوء على نفسية صاحبه و ظروف حياته و شخصيته إن اقتضى الأمر ذلك و لعل أول ما يستوقف القارئ لهذه الدراسة المتواضعة هو عنوانها , حيث يجده مؤسسا على التفاعل التكاملي بين حدين متلازمين , هما : آليات الاتساق و آليات الانسجام , ثم حدين أساسيين آخرين هما : الحديث القدسي و الدراسة الأسلوبية , منها جميعا يلوح الطابع الإشكالي لموضوعات و مباحث هذه الدراسة . وعليه فإن ذلك يتجلى في المقترضيات الآتية :

إن الظاهرة اللسانية منطوقة كانت أم مكتوبة من أهم الوسائل الاتصالية الفاعلة و المعبرة عن أغراض المجتمعات الإنسانية و حاجاتها المتنوعة عبر السيرورة التاريخية تقلب الحضارات . و لهذا وجدنا الفكر الإنساني منذ أدرك هذه الحقيقة , انبرى يحقق و يدقق بعناية في مكونات و أسرار هذه الظاهرة المثيرة و قوانينها الخاصة منها و الكلية وفقا لمقتضى مناهج لسانية علمية دقيقة . و من بين هذه المناهج الحديثة الدرس الأسلوبية ذو الرؤية الشمولية التي بها (تدرس أجزاء الخطاب , كلمات و جملا , و بها تحيل هذه الأجزاء و تخرجها من نظامها الخاص إلى نظام الخطاب . و لكي يكون ذلك كذلك , لا بد للأسلوبية إن أن تتحول إلى دراسة النص , و اعتباره الوحدة التركيبية و الدلالية الأساس التي تنتظم بها

وحدات أصغر إن على مستوى اللفظ و إن على مستوى الجملة , و هي تتحول إلى دراسة النص , تستطيع أن تستفيد , بشكل أعمق , من كل منجزات الدراسات العلمية في مختلف ميادين العلوم الإنسانية : اللسانية , و علم الاجتماع , و علم النفس , و الفلسفة , و الإثنولوجيا , و التاريخ , و علوم أخرى تشهد دقة مناهجها بقيمة تطورها , و مدى صلاحيتها في اغناء الدرس الأسلوبي (1) .

إن من بين أهم مميزات المنهج الأسلوبي الحديث , هو أنه استطاع أن يتخطى في دراساته و تحليلاته عقبات إشكالات لسانيات الجملة و مظاهر قصورها , انطلاقا من البنيوية و وصولا إلى ما أفرزته القريحة التشومسكية (التوليدية التحويلية) من نظريات و اجتهادات , حيث كانت الرؤية محصورة و تقتنذ في كون الجملة هي الوحدة اللغوية الكبرى . بينما ترى الأسلوبية أن النص هو الوحدة اللغوية الكبرى و (منظومة لغوية يتجه بها منتج الكلام إلى مستقبل (2) , مستفيدة في كل ذلك مما توصل إليه التفكير اللساني الحديث في لسانيات النص و في تحليل الخطاب ... و من ثمة فإن دراسة الكلمة أو العبارة أو الجملة الفقرة ... بمعزل عما قبلها و ما بعدها , أو بترها عن السياق اللغوي العام , و كذا عن البنية الدلالية الكبرى (للنص) , يعد ذلك ضربا من القصور الذي حال دون فك الكثير من الإشكالات اللسانية التي صادفت عددا من رواد لسانيات الجملة و سدنتها , و لهذا بات من المعلوم لدى معظم المنشغلين بالتفكير اللساني أن (تحديد النص و إنتاجه و فهمه و تمثله و تحليله و معالجته آليا و غير ذلك من القضايا و الإشكالات هو مما أصبح يشكل محط اهتمام عدد من العلماء و الباحثين المنتمين إلى حقول معرفية متعددة ...) (3) .

و عندما ننطلق من هذه الرؤية التي تعد نقلة جديدة و نوعية في الحقل اللساني الحديث , و نتأمل من خلالها الحديث القدسي قراءة و فهما , ونطالع الكتب الصحاح , ونخص بالذكر (صحيح البخاري و صحيح مسلم), تعترينا هالة من الخواطر و الأفكار الضاغطة بأسئلتها و انشغالاتها .. , الكثير منها يطرح نفسه موضوعا للبحث و درسا علميا قائما بذاته , لا من النواحي العقدية و الأخلاقية فحسب , و إنما من الجوانب اللسانية بشتى تجلياتها ومستوياتها و اتجاهاتها خاصة تلك التي باتت ضرورة ملحة أمام كل من يريد أن يواجه بمرونة منهجية

1 - منذر عياشي : الأسلوبية و تحليل الخطاب , مركز الإنماء الحضاري , ط2 : 2002 م , ص : 69 - 70

2 - المرجع نفسه , ص : 69 .

3 - محمد مفتاح : النص من القراءة إلى التنظير , شركة النشر و التوزيع - المدارس - , ط1 : 2000 م , ص :

علمية تطورات العصر العلمية و متغيراته المعرفية السريعة , ومن ثمة يستطيع أن يتعايش و يحافظ على كينونته الثقافية بكل تميزاتها و خصائصها , حتى يسهم في التطور الحضاري الإنساني بفعالية و ايجابية خادمة للذات و الآخر في الوقت نفسه.

و عليه فإن النظرة غير العجلى لسلسلة من الأحاديث القدسية (الصحيحة) باعتباره (مدونة صادرة عن المعصوم , فلغتها فوق اللغة العادية , و هذه المدونة كالمنظومة)⁽⁴⁾ التي تشي بأن (أسلوب النبوة شريف مميز أشد تميز)⁽⁵⁾ , ذلك و غيره يجعل الباحث درك من خلاله أنه أمام وحدة نسقية دينية شكلية و دلالية و تداولية متميزة تميزا قائما بذاته عن القرآن الكريم من جهة و عن الحديث النبوي من جهة أخرى . و حتى نتعرف على هذا الحد الفاصل الدقيق , و نحدد لنص الحديث القدسي نسيج آليات اتساقه و انسجامه , التي تسعى جميعا إلى (..تنامي النص و تناسله و تضمن له استمراره ..)⁽⁶⁾ , و من ثمة تصنع علاقة نوعية مع المتلقي ليصير مشاركا في بناء النص و تفعيل بنياته المختلفة السطحية و العميقة , لأن (...الحكم الذي يقضي بأن النص منسجم أو غير منسجم قد يتغير وفق الأفراد و وفق معرفتهم بالسياق و الحجة التي يخولونها للملفظ..)⁽⁷⁾ كما يرى دومينيك مونقانو في كتابه : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب .

و إلى أن يحدث ذلك , فالدارس مطالب بداية بالتعرف على هذه الظاهرة اللغوية الفريدة من نوعها (الحديث القدسي) , و لكن من زاوية لسانيات علمية التي تنظر إلى النص على أنه جملة من الأحداث الكلامية ذات معنى و غرض تواصلية , يبدأ وجوده انطلاقا من (المرسل) للحدث اللغوي و ينتهي عند (المرسل إليه) , و مؤهلا لأن يكون خطابا موجها إلى (متلق) بعينه . و لهذا فإن وحدة موضوع النص , و وحدة مقصديته , و قابليته لتجاوز الكينونة اللغوية المحدودة و المشكل أساسا منها , وهي جميعا من بين سمات الحديث القدسي , من أهم ما تشترطه الرؤية اللسانية لتفاعل آلياتها و تستنفر رؤاها المعرفية لحظة مقاربتها نصا لغويا ما . إيمانا منها بأن لكل نص في النهاية (تموجاته و طياته التي تخفي أصدا

4 - أحمد عثمان رحمانى : الجديد في مناهج تفسير الحديث الشريف و تطبيقاته , عالم الكتب الحديث , ط1 : 2011 م , ص 24 .

5 - المرجع نفسه , ص : 41 .

6 - دومينيك مونقانو في كتابه : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب , ترجمة محمد يحياتن , منشورات الاختلاف ط1 : 2008 م . ص : 19

7 - المرجع نفسه , ص : 21 .

موغلة في القدم تاريخيا ... و عصورا متراكمة تنتظر من ينقب فيها , و أصواتا تبحث عن منافذ لها ...⁽⁸⁾ كما ذهب إليه إبراهيم محمود في كتابه : صدع النص و ارتحالات المعنى .
إن الذي سبق يدعونا إلى طرح جملة من الأسئلة و الاشغالات , نوجزها في ما يلي :
ما الذي يجعل متلقي نص الحديث القدسي يستجيب له بنوع من الأحاسيس المتميزة عن القرآن أو خطاب الحديث ؟

هل يعود ذلك إلى أسباب ظاهرية (تماسك بنية علاقاته الداخلية) أم إلى أسباب داخلية (تماسك بنية علاقاته الداخلية)؟ , ما الذي يمكن أن تقدمه الأسلوبية للثقافة العربية من خلال الحديث القدسي ؟ , ما هي أهم الإمكانيات الاتساقية و الانسجامية التي بواسطتها يصل (منشئ) النص إلى أهدافه؟ , هل يستطيع البعد الاتساقى و الانسجامى أن يستجيب لكل البدائل المختلفة و المتاحة التي يسمح بها المقام و السياق الذي جاء فيه النص القدسي ؟
هل وراء كل ذلك مخطط ذهني رئيس , ومنتج للنص رئيس , و محقق للهدف رئيس ؟
و هل هناك إستراتيجية للنص خاصة بآليات الاتساق و الانسجام قبل أن يكون نصا , و أخرى عندما يكون نصا؟

هل هذا يعني أن الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر في نص الحديث القدسي تتبعه تغيرات على المستوى الاتساقى و المستوى الانسجامى.؟ , كيف حقق نص الحديث القدسي التماسك و التوازن النوعي بين مكوناته ؟ , ماهي الأدوات و العوامل و الظروف التي أحدثت في نص الحديث القدسي الانسجام و الاتساق ؟

هل تستطيع الدراسات اللسانية الحديثة أن تفصل نهائيا في النزاع القائم حتى اليوم , بين من يعتقد أن الحديث القدسي لفظه و معناه من الله تعالى , و بين من يرى أن معنى الحديث القدسي من الله تعالى و لفظه من عند الرسول (صلى الله عليه وسلم).؟. هل يمكننا - انطلاقا من رؤية العالم الأسنى(هيالمسليف) - أن ننظر إلى الأحاديث القدسية على أنها نص واحد متعدد الجوانب تحكمه منظومة دقيقة ؟

إذا , نحن في حاجة إلى دراسة علمية موضوعية تجيب عن كل ما تقدم من الأسئلة و غيرها مما لم يتسع المقام لذكره , و اضعه في حساباتها ضرورة تفكيك مكونات نص / الخطاب الحديث القدسي لدراسته دراسة تقارب آليات الاتساق و الانسجام في الحديث القدسي , تبرز لنا

⁸ - إبراهيم محمود : صدع النص و ارتحالات المعنى , مركز الانماء الحضاري , ط1 : 2000 م , ص : 06 .

حضورية مكونات آليات العلاقات الخارجية و الداخلية و تفاعلاتها المختلفة المؤسسة لهذا الخطاب اللساني الفريد .

مع العلم أن هناك الكثير من القراءات القديمة و الحديثة التي اعتنت بالنص القدسي ، لكنها حصرت نفسها في الجانب المتعلق بالبعد التعبدي و التشريعي ولم تتجاوزه ، وفي المقابل نجد شحا مثيرا للانتباه و العجب ، إذا ما بحثنا عن تلك التي نظرت للموضوع نظرة لسانية ، وفقا لما توصل إليه الفكر الإنساني العلمي الحديث ... و لهذا ، فإنه عند قراءتنا لنص الحديث القدسي قراءة نوظف فيها بعض مفاهيم وأدوات لسانيات النص ، نفاجا بقابليته للتعاطي معها بمرونة عجيبة ، مما يغيرنا في الاستمرار في هذا الاتجاه ، بغية تأصيلها منهجيا و علميا ، و متابعة تطوراتها ونتائجها الممكنة . ذلك ما دفعني إلى هذه الدراسة ، علني أكون موفقا في اكتشاف أسرار النص القدسي و مكونات منظومته وفقا للرؤية القائمة على رؤى الدرس اللساني الأسلوبى و النصي ، حيث يكمن جزء كبير من دلائل التميز الخاصة بنص الحديث القدسي ، عندما يكون في مقام يتصل بتقديم الحجة البالغة المحققة لمقتضى التدافع الحضاري . هذا لا يعني البتة تغييب الجهود القبلية التي تعاطت مع الحديث القدسي وفقا للمناهج القديمة ، و إنما المقصود وراء ذلك ، هو إرادة بيان حقيقة أساسية تتعلق بمدى فاعلية المقاربة اللسانية النصية الايجابية العلمية للحديث القدسي ، و هي المقاربة المقاصدية التي تحفظ له طبيعته و نقاوته من جانب المعنى و المبنى . لأن احترام أي منهج لخصوصية الحديث القدسي يسهم إلى حد بعيد في الوصول إلى القراءة العلمية الموضوعية المنشودة .

و من جهة أخرى ، فإن ما سبق ذكره يجعلنا في حاجة ضرورية إلى قراءة لسانية نصية للحديث القدسي ، بحثا عن آليات اتساقيته و انسجامه و مظاهرهما، و في محاولة لإبراز منظومة الحديث القدسي و نوع نسقيته و جمالياته التعبيرية ، رغم ما قد يوحي به الكم المعترف منه و هو منتشر في كتب الحديث أنه نوع من التوجيهات المفككة ، التي لا يضبطها نظام موحد، أو مجموعة من التوصيات و الإرشادات و الرقائق و التعاليم التي لا يحكمها خيط ناظم و لا منظومة دقيقة.

و الأمر في حقيقته على غير هذه الصورة و التصور، إذ يتجلى الحديث القدسي نصا يتضمن قدرة عجيبة في تكريس مدلولات متنوعة ، إضافة على انطوائه على المضمرات اللسانية التي تطرح المسائل التركيبية المعقدة ، و في الوقت نفسه ، يعد وحدة نسقية مميزة بألفاظها و تراكيبها بل في كل مستوياتها و أهدافها و مقاصدها . إن هذه الهدفية و المقاصدية تمس البناء الدلالي و الجهاز المفاهيمي (الانسجام)، و كما تخص البناء التركيبي المتناسك

بكيفية تندمج فيها الأدوات التركيبية مع الأساليب الفنية (الاتساق) . هذه الخاصية التعبيرية التواصلية الجمالية لنص الحديث القدسي تضع (المتلقي) في حالة من الدهشة عجيبة ، إذ استطاعت أن تلغي الحدود القائمة بين المستويات الأدائية المتنوعة الصوتية و الصرفية و التركيبية و الدلالية و الأسلوبية و التداولية ، ليتحقق تماسك نص الحديث القدسي على غير نمط معهود، و بطريقة خفية ، الكشف عنها يحتاج إلى إعمال الفكر المدقق و الذوق المحقق و المنهجية العلمية الموضوعية.. كل ذلك تضبطه (رؤية شمولية بها تدرس أجزاء الخطاب ، كلمات و جملا ، و بها تحيل هذه الأجزاء و تخرجها من نظامها الخاص إلى نظام الخطاب ، و لكي يكون ذلك كذلك ، لا بد للأسلوبية إذن أن تتحول إلى دراسة النص ، و اعتبره الوحدة التركيبية و الدلالية الأساس التي تنتظم بها وحدات أصغر إن على مستوى اللفظ و إن على مستوى الجملة ، و هي حين تتحول إلى دراسة النص ، تستطيع أن تستفيد ، بشكل أعمق ، من كل منجزات الدراسات العلمية في مختلف ميادين العلوم ...)⁽⁹⁾ .

و حتى يقف هذا البحث على حقيقة هذه الافتراضات ، و يجيب على ما سلف من أسئلة ، و من ثمة يجسد أهم غاياته و مقاصده ، يتقدم بهذه الخطة التي تحوي العناصر الآتية :

تحتضن هذه الدراسة ، في نظرة عامة، مدخلا و باينين . فالمدخل خصصته هذه الدراسة للحديث عن خطاب شرعي إسلامي متميز و هو الحديث القدسي من حيث مفهومه و خصائصه الذاتية و محاولة الفصل بين الآراء المختلفة فيما يتعلق بطبيعته التكوينية مقارنة بالقرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف ، كما سلط هذا المدخل الأضواء الكاشفة على الخطوط العريضة لواحد من أهم المناهج اللسانية الحديثة و هي الأسلوبية من حيث ملامح إرهاباته الأولية ، مع توضيح أهم المصطلحات التي واكبت هذه البداية ، و في الآن نفسه نعد إلى تبيان طبيعة الدرس الأسلوبي و أهميه ، ثم نعرض للحديث عن هذا الحقل المعرفي في الدرس اللساني الغربي و الدرس اللساني العربي . ثم نسعى لنبين مدى صلاحية في مقارنة نص الحديث القدسي، و ما يمكن أن تقدمه من خدمات علمية و ثقافية و حضارية كذلك ..

أما الباب الأول فقد وضعنا له العنوان الآتي :آليات الاتساق في الحديث القدسي و قد ضم فصلين :

الفصل الأول : سيهتم برصد و استخلاص آليات الاتساق المختلفة، لكن في صورتها النظرية ، و عليه ، فإنه يمكن عندئذ تفريع ذلك كله في شكل مباحث تقسم على النحو الآتي :

⁹ - منذر عياشي : الأسلوبية و تحليل الخطاب ، ص : 69 - 70

المبحث الأول: ويهتم بدراسة ظاهرة التكرار بشتى ألوانه، لأنه يعتبر شكلا من أشكال الاتساق المعجمي الذي يتطلب إعادة عنصر معجمي ، أو ايراد مرادف له أو شبه مرادف ..

المبحث الثاني : فهو مخصص للحديث عن المصاحبة/التضام , و يمكن تتبع هذه الظاهرة في النص القدسي من خلال اطراد مجموعة من المفردات في شكل ثنائي يشي بالاجتماع و الترابط المعنوي .

المبحث ... : فيعالج مسألة الوصل الذي عرفه الكثير من البلاغيين على أنه (عطف الجمل بعضها على بعض بالواو خاصة) من زاوية الدور الذي يلعبه في تماسك النص القدسي و ترابطه و استمرارية تواصله مع متلقيه .

أما المبحث الثالث : فيسعى إلى تتبع مختلف الإحالات النصية منها و المقامية , انطلاق من كونها (... علاقة معنوية بين ألفظ معينة و ما تحيل إليه من أعيان أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق , أو يدل عليها المقام , و تلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم , مثل الضمير و اسم الإشارة و اسم الموصول حيث تحيل هذه الألفاظ إلى أعيان سابقة في الكلام أو لاحقة , قصدت عن طريق ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغوية أو غير لغوية ..)

المبحث الرابع : فيعالج ظاهرة الحذف بمختلف صورها , إذ الحذف علاقة اتساقية يمكن اعتبارها استبدالاً بالصفير , لأن علاقة الاستبدال تترك أثرا ما متمثلا في وجود أحد عناصر الاستبدال , بينما الحذف لا يترك أثرا مباشرا , فسيتفرد دافعية المتلقي لتقدير المحذوف و تأويله , و من ثمة يعيد للنص اتساقه من جديد .

المبحث الخامس : نحصره , دراسة و تحليلا , في الحديث عن ظاهرة الاستبدال التي تتم داخل النص , و هي علاقة تركيبية , تقوم على أساس تغيير عنصر لغوي في النص بعنصر آخر ..

الفصل الثاني : أما فيما يخص هذا الفصل و تتبعنا لمعالم طبيعة موضوع البحث فسيكون فصلا عمليا تطبيقيا , ننزل فيه كل ما قدم نظريا من آليات الاتساق على مدونة البحث , و لهذا فإن تبويب مباحثه سيتخذ الشاكلة السابقة نفسها .

إن هذه المنهجية التي عمدنا إلى اختبارها لم تكن ضربة لازب , و إنما أملاها مقتضى طبيعة البحث و منهجيته و أهدافه , و من جهة أخرى , فالرغبة في السعي إلى معرفة مدى فاعلية آليات الاتساق في مقاربة الحديث القدسي , و ما الذي يمكنها أن تضيفه للثقافة اللسانية العربية الحديثة , هم يصاحبنا من بداية البحث إلى نهايته - إن شاء الله تعالى - .

أما فيما يخص الباب الثاني : فقد وسم بـ : آليات الانسجام في الحديث القدسي , و قد ضم هو الآخر فصلين رئيسيين :

الفصل الأول : فهو مخصص للحديث عن البنية الكلية , فانطلاقا من مقتضى مقولة فان لديك (.. أن لكل خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب , و يقصد بالبنية الكلية أن يكون للخطاب جامع دلالي , و قضية موضوعية يتمحور النص حولها , و يحاول تقديمها بأدوات متعددة) يركز هذا المبحث على تجلية هذا مبدأ دراسة و تحليلا .

المبحث الثاني : ويسعى إلى دراسة السياق وتحليل خصائصه , واضعين في عين الاعتبار ما أشار إليه زعيم المدرسة السياقية فيرث Firth أن السياق يحدد (معنى الوحدة الكلامية على مستويات ثلاث متميزة في تحليل النص , فهو يحدد أولا أية جملة تم نطقها - ان تم فعلا النطق بها , ثانيا أنه يخبرنا عادة أية قضية تم التعبير عنها - ان تم التعبير عن القضية , ثالثا أنه يساعدنا على القول ان القضية تحت الدرس قد تم التعبير عنها بموجب نوع معين من القوة الكلامية دون غيره ..)(10)

المبحث الثالث : فهو مخصص للحديث عن آلية الفصل الذي يعمل على إبراز الكثير من الظواهر الجمالية , و منها ظاهرة تعانق المعاني و تعالقها على وفق نسقية جمالية متميزة , تشكل لوحة موضوعية و نسيجا بلاغيا , يثير انتباه الدارس ...

أما الفصل الثاني : لا شك أن هذه المحطة ستكون محصورة في البعد التطبيقي لما حلل سالفا فيما يتعلق ب: آليات الانسجام , إلا أن الجديد هنا يكمن في متابعة تلك الآليات وهي تتفاعل فيما بينها وسط فضاء الحديث القدسي , لتؤسس نصا منسجما بكل علاقات مكوناته الخلفية إلى درجة (الانصهار) الذي يمثل أعلى درجات التشكيل , أو كما عبر عنه عبد القادر الجرجاني بقوله : (..إن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعاً من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة ..)(11)

ويعتبر هضما للحقيقية و تجنيا على البحث العلمي ،إذا زعمت هذه الدراسة أنها متفردة في حقل الدراسات اللسانية الأسلوبية و النصية و أنها ستأتي بما لم يستطعه الأوائل ، بل الموضوعية تقضي الإشارة إلى أن هناك بحوث علمية رصينة سابقة تصب في هذا الإطار، غير أن الملاحظ عليها، في معظمها — حسب إطلاعنا المتواضع على بعضها — قد اختارت

10 - جون لاينز : ترجمة عباس صادق الوهاب , دار الشؤون الثقافية العامة , ط1 : 1987 م , ص : 222 .

11 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز , تحقيق : محمود محمد شاكر , مكتبة الخانجي بالقاهرة, ص : 412

النص القرآني موضوعا لبحثها ، مثل أطروحة الدكتوراه التي قدمتها الأستاذة خديجة إيكير من المغرب الشقيق تحت عنوان : لسانيات الخطاب القرآني مظاهر الاتساق و الانسجام، أو اتجهت نحو النص الأدبي ، زيادة على أنها تميل إلى الجانب التنظيري أكثر، مغفلة البعد التطبيقي الذي يعد اليوم حاجة ضرورية لتفعيل دور المتلقي (القارئ) الذي يعد معطى أساسي في الدراسات اللسانية الحديثة.و من بين هذه الدراسات نجد على سبيل المثال ، كتاب علي عبد الله أحمد النعيم الذي عنوانه: الأحاديث القدسية : دراسة في البنية اللغوية و النظم الأسلوبي ، و هو عمل علمي رصين ، لا شك في ذلك ، إلا أنه أتجه في التعاطي مع نص الحديث القدسي اتجاها يختلف عما تنوي هذه الدراسة تأسيسه و تحقيقه . بينما صاحبة : الأحاديث القدسية دراسة بلاغية و هي : مروة إبراهيم شعبان قوته ، فقد حاولت إبراز أهم الأساليب البلاغية و البيانية و البديعية المتوفرة في الأحاديث القدسية بمنهج وصفي تحليلي ، و لكن دون أن تتخطى حدود و مبادئ الدرس البلاغي العربي القديم الذي يمثل بلا شك ما وصل إليه التفكير البلاغي العربي و هو يفاعل معطيات عصره بإيجابياته و سلبياته ، و على الرغم من أهمية هذا العمل كذلك إلا أنه لا يصب مباشرة فيما يرمي إليه هذا البحث ، أما صبحي إبراهيم الفقي في كتابه : علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق — دراسة تطبيقية على السور المكية — ، فقد حصر بحثه في جانب واحد و هو (التماسك) الذي اعتبره تارة معادلا للاتساق ، و طورا للانسجام ، رغم البون المفاهيمي الشاسع بين هذين المصطلحين، وفقا لما ذهب إليه هاليدي و رقية حسن و فان ديك و غيرهم . كما أن إنزال مثل هذه الرؤى العلمية الحديثة (أسلوبية النص) تنظيرا و تطبيقا على الحديث القدسي قليلة جدا.. مقارنة بما لقيه القرآن الكريم و النصوص الأدبية المختلفة ممن يشتغل بالدرس اللساني النصي .. هذا لا يعني البتة أن هذه الملاحظات منقصة من قيمة تلك الدراسات المذكورة آنفا ، بل سنعدها منطلقا أساسيا فيما نأمل أن نصل إليه من وراء هذا البحث...و يبقى على الدارس أن يشير أخيرا إلى أن (الأسلوبية إذا كانت هي الدرس العلمي للغة الخطاب ، فإنها أيضا موقف من الخطاب و لغته ، و لعل هذا ما جعل الدرس الأسلوبي متعدد الجوانب و الأبواب ، و متعدد المذاهب و المدارس و النظريات)⁽¹²⁾ .

و ما يجدر ذكره أن هذه الدراسة حاولت أن تتسم بمنهج وصفي تحليلي ، زوجت فيه بين أرضية الموروث الأصالي النحوي منه و البلاغي ، و الدرس اللغوي الحديث خاصة المنهج الأسلوبي و لسانيات النص ، وفي شرح الأحاديث القدسية حاولت الاستناد ، في الكثير من

¹² - منذر عياشي : الأسلوبية و تحليل الخطاب ، ص : 70

الأحيان , إلى كتب شرح الحديث القديمة منها والمعاصرة , والاستعانة بأي دراسة علمية تذلل صعوبات فهم النص القدسي من قريب أو بعيد , ولقد ارتكزت هذه الدراسة على البعد الإحصائي للحيلولة - قدر المستطاع - دون هيمنة الذاتية و الانطباعية و الارتجالية على الموضوعية و العلمية الحيادية .

و في الختام لا بد من الاعتراف بالفضل لأصحابه , و الإقرار بالأيدي البيضاء الكريمة لذويها , و أخص بالذكر في هذا المقام :

أستاذتي المشرفة الفاضلة : أ.د آمنة بن مالك

فأقدم لها , من سويداء القلب , الشكر الصرف و التقدير العظيم , إذ أشرفت على هذا البحث و هو جنين و استمرت رعايتها له بالتسديد و التوجيه إلى أن صار على ما هو عليه .
كما أتوجه بالثناء الخالص إلى أعضاء اللجنة العلمية الذين تفضلوا بقراءة بحثي هذا مضحين بأوقاتهم الثمينة و مسؤولياتهم الجسيمة , و جادوا - و جود الحر ليس له ثمن - خدمة للبحث العلمي , فشكري إليهم جميعا مجددا و إلى كل من أسهم من قريب أو بعيد في اخراج هذا العمل إلى الوجود .

و الله أسأل أن يتقبل عملي سبحانه إنه ولي التوفيق

المـدخـل

- 1 - الحديث القدسي ص : 14 .
- 2 - مبادئ الأسلوبية ص : 43

المديحة القدسي

وقد اختص الله الشريعة الإسلامية بأن كل ما جاء عن نبيها صلى الله عليه وسلم وحي ومصدر للتشريع (كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ..)⁽¹³⁾ ، و لذلك فقد اتفق أهل العلم على أن (وحي السنة)⁽¹⁴⁾ هو المصدر الثاني للتشريع من حيث المنزلة و من حيث العمل . قد قيض الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة أئمة وعلماء حملوا على كاهلهم عبء حفظ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وتأديتها بلفظها، واختار آخرون لصيانتها من التحريف والتبديل، فحفظوا لنا كل ما جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم من غير القرآن الكريم ، و من ثمة (فخطاب الوحي خطاب بليغ ذو مستوى عال ، في لغته و معانيه ، و منه قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ، و قوله صلى الله عليه وسلم قول فصيح بليغ سواء ما كان منه وحيا أو و ما ليس كذلك ... و لا يتصور أن يكون كلام النبي صلى الله عليه وسلم إلا من جوامع الكلم ، و لا يليق بمثله صلى الله عليه وسلم أن ينسب إليه ركيك الكلام أو سخيفه ..)⁽¹⁵⁾ .

(وفي محاولتنا لمقاربة مصدر من أهم مصادر تكوين هذه الأمة إلى جانب كتاب الله)⁽¹⁶⁾ نجد أنه من بين ما حدث به النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث يرويها عن ربّ العزة سبحانه وتعالى دون أن ينسبها للقرآن (يكثر ورودها في أبواب الزهد و الرقائق و الذكر و الدعاء ، فهي محببة إلى النفوس ، و يتناولها جميع فئات الناس ..)⁽¹⁷⁾ ؛ ولذلك فقد قسم أهل العلم الحديث الشريف إلى قسمين بحسب نسبة لفظه ومعناه : الأول الحديث

¹³ - السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، دار الكتب العلمية ، ط 1 : 2004 م ، ص : 70 .

¹⁴ - القسطلاني : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، دار الفكر ، ط 1 : 2007 م ، ج 1 ، ص : 72 .

¹⁵ - عبد الجبار سعيد : الإطار المرجعي لعلم نقد متن الحديث النبوي الشريف ، مجلة إسلامية المعرفة ، السنة التاسعة ، العدد : 39 ، شتاء 1426 هـ - 2005 م ، ص : 61 .

¹⁶ - طه جابر العلواني : مجلة إسلامية المعرفة ، السنة التاسعة ، العدد 39 ، شتاء 1426 هـ - 2005 م ، ص : 5 .

¹⁷ - عمر علي عبد الله محمد : الأحاديث القدسية جمعا ودراسة ، مكتبة العلوم و الحكم المدينة المنورة ، ج 1:1424 هـ - 1425 هـ ، ص : 08 .

النبوي ، و الثاني الحديث القدسي الذي هو المقصود بهذه الدراسة وسيأتي التعريف به وذكر الفروق التي بينه وبين القرآن والحديث النبوي .

تعريف الحديث القدسي لغة و اصطلاحاً:

1 – الحديث القدسي لغة

(الحديث لغة : الجديد من الأشياء , و الحديث : الخبر , فهما مترادفان يأتي على القليل و الكثير , و يجمع على أحاديث ..)(18) كما يطلق و (يراد به كل كلام يتحدث به , و ينقل و يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه , و بهذا المعنى يسمى القرآن حديث , قال تعالى (و من أصدق من الله حديثاً)النساء/87 ..)(19) , و يرى ابن فارس في معجم مقاييس اللغة أن ((الحاء و الدال و التاء) أصل واحد , و هو كون الشيء لم يكن , يقال حدث أمر بعد أن لم يكن ... و الحديث عن هذا , لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء ..)(20) .

(القدسي : نسبة إلى القدس – و هو بالضم و بضميتين : الطهر , اسم و مصدر , و منه قيل للحنة حظيرة القدس ..)(21)

قال الفيروزآبادي: (الْقُدْسُ، بالضم وبضميتين: الطُّهْرُ، اسمٌ، وَمَصْدَرٌ... وَالْقُدُوسُ: من أسماءِ الله تعالى، ويفتح، أي: الطاهر، أو المَبَارَكُ . وكلُّ فَعُولٍ مَفْتُوحٍ غيرَ قُدُوسٍ وَسُبُوحٍ وَذُرُوحٍ وفُرُوجٍ، فبالضم، وَيُفْتَحَنَ ... والتَّقْدِيسُ: التَّطْهِيرُ، ومنه الأرضُ الْمُقَدَّسَةُ، وبيتُ المُقَدَّسِ، كَمَجْلِسٍ وَمُعَظَّمٍ. وكمحدِّثِ الرَّاهِبِ. وتَقَدَّسَ: تَطَهَّرَ)(22).

18 – عمر علي عبد الله محمد : الأحاديث القدسية جمعا ودراسة , ص : 13 .

19 – محمد الصادق قمحاوي : الإيجاز و البيان في علوم القرآن , عالم الكتب , ط 1 : 2006 م , ص : 11 .

20 – ابن فارس : مقاييس اللغة , تحقيق عبد السلام محمد هارون , دار إحياء الكتب العربية , القاهرة , ط 1 : 1466 هـ , ج 2, ص : 36 .

21 – عمر علي عبد الله محمد : الأحاديث القدسية جمعا ودراسة , ص : 13 .

22 – الفيروز آبادي : القاموس المحيط , دار الكتب العلمية , ط 2 : 2007 م , ص : 588/589.

وقال ابن الأثير: (قدس: في أسماء الله تعالى «القدوس» هو الطاهر المنزه عن العيوب. وفعل: من أبنية المبالغة , وقد تفتح القاف , وليس بالكثير , ولم يجيء منه إلا قدوس , وسبوح , وذروح . وقد تكرر ذكر التقديس في الحديث والمراد به التطهير , ومنه "الأرض المقدسة" قيل: هي الشام وفلسطين. وسمي بيت المقدس لأنه الموضع الذي يتقدس فيه من الذنوب. يقال: بيت المقدس والبيت المقدس وبيت القدس بضم الدال وسكونها. ومنه الحديث: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي» يعني جبريل عليه السلام؛ لأنه خلق من طهارة . ومنه الحديث «لا قدست أمة لا يؤخذ لضعيفها من قويمها» أي لا طهرت (23) .

وقال ابن منظور: (قدس: التقديس تنزيه الله عز وجل وفي التهذيب القدس تنزيه الله تعالى وهو المتقدس القدوس المقدس ويقال القدوس فعول من القدس وهو الطهارة وكان سبويه يقول سبوح و قدوس بفتح أوائلهما. قال اللحياني المجتمع عليه في سبوح و قدوس الضم قال وإن فتحته جاز قال ولا أدري كيف ذلك . قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول مثل سفود وكلوب وسمور وتنور إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيهما الأكثر وقد يفتحان وكذلك الذروح بالضم وقد يفتح . قال الأزهري لم يجيء في صفات الله تعالى غير القدوس وهو الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص، وفعل بالضم من أبنية المبالغة وقد تفتح القاف وليس بالكثير ... وَالْقُدُسُ وَالْقُدُسُ بضم الدال وسكونها: اسم، ومصدر، ومنه قيل للجنة: حظيرة القدس، والتقديس التطهير والتبريك وتقدس أي تطهر . وفي التنزيل: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) قال الزجاج: معنى نقديس لك أي: نظهر أنفسنا لك، وكذلك نعمل بمن أطاعك نقديسه أي: نظهره، ومن هذا قيل للسطل: القدس؛ لأنه يتقدس منه أي يتطهر. والقدس بالتحريك: السطل بلغة أهل الحجاز لأنه يتطهر فيه . قال: ومن هذا بيت المقدس أي البيت المطهر أي المكان الذي يتطهر به من الذنوب قال ابن الكلبي: القدوس الطاهر وقوله تعالى: (الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ) الطاهر في صفة الله عز وجل، وقيل قدوس بفتح القاف قال وجاء في التفسير أنه المبارك والقدوس هو الله عز وجل

23 - ابن الأثير: النهاية في غريب الأثر , تحقيق: محمود محمد الطناحي , المكتبة الإسلامية , ج 4 , ص :

والقدس البركة والأرض المقدسة الشام منه وبيت المقدس من ذلك أيضا فإما أن يكون على حذف الزائد وإما أن يكون اسما ليس على الفعل⁽²⁴⁾

وقال الزبيدي: و(القدس: البيت المقدس لأنه يتطهر فيه من الذنوب أو للبركة... والقدس: سيدنا جبريل عليه السلام كروح القدس وفي الحديث: «إن روح القدس نفث في روعي» يعني جبريل عليه السلام؛ لأنه خلق من طهارة وفي صفة عيسى عليه السلام: (وَأَيَّدَانَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)⁽²⁵⁾. معناه: روح الطهارة وهو جبريل عليه السلام... والقُدُّوسُ بالضم والتشديد: من أسماء الله تعالى الحسنى، ويفتح عن سيبويه وبه قرأ زيد بن علي: (الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ)⁽²⁶⁾. وقال يعقوب: سمعت أعرابيا يقول عند الكسائي يكنى أبا الدنيا يقرأ (الْقُدُّوسُ) بالفتح، وحكى اللحياني الإجماع على ضم قُدُّوس وسبوح، وجوز الفتح فيهما أي: الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص أو المبارك هكذا جاء في التفسير عن ابن الكلبي... وقال الفراء: الأرض المقدسة: الطاهرة وهي دمشق وفلسطين وبعض الأردن.. وتقدس: تطهر وتنزه، والقدس بالضم: الموضع المرتفع الذي يصلح للزراعة و به فسر بعض حديث بلال بن الحارث المتقدم. والتقدیس: التبریک والقدس: البركة . و حكى ابن الأعرابي: لا قدسه الله: أي لا بارك عليه. قال: والمقدس: المبارك , وقال قتادة: أرض مقدسة: مباركة , وإليه ذهب ابن الأعرابي... و القادس: البيت الحرام، وقال يعقوب: من أسماء مكة: قادس , والمقدسة؛ لأنها تقُدس من الذنوب أي تطهر⁽²⁷⁾ . مما تقدم يتبين أن معنى القدسي يدور في معنى الطهارة والنزاهة عن النقص.

2 - الحديث القدسي اصطلاحا:

²⁴ - ابن منظور : لسان العرب , مادة (قدس), دار إحياء التراث العربي , ط3 : 1999 م , مادة (قدس) , ج6 , ص 168 .

²⁵ - سورة البقرة : الآية : 87 .

²⁶ - سورة الحشر , الآية : 28 .

²⁷ - الزبيدي : تاج العروس , تحقيق : محمود محمد الطناحي, مطبعة حكومة الكويت , 2004 م , ج: 16, ص 359/354: .

أما من الناحية الاصطلاحية فقد حد علماء الحديث الحديث النبوي بأنه (كل ما أثار عن النبي صلى الله عليه و سلم .. من قول أو فعل أو تقرير فهو السنة القولية عن النبي صلى الله عليه و سلم)⁽²⁸⁾ . و قد عرفه محمد الصادق قمحاوي بأنه (كل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه و سلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة)⁽²⁹⁾ .

أما مفهوم الحديث القدسي من خلال الرؤية الاصطلاحية فهو (ما يضيفه النبي صلى الله عليه و سلم إلى الله تعالى , أي أن النبي صلى الله عليه و سلم يرويهِ على أنه من كلام الله و فالرسول راو لكلام الله بلفظ من عنده , و إذا رواه بسند عن رسول الله سندا إلى الله عز و جل فيقول قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما يرويهِ عن ربه عز و جل , و مثال ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما يرويهِ عن ربه عز و جل : (يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل و النهار) أخرجه البخاري , و قد يكون بلفظ رسول الله , و مثاله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : يقول الله تعالى : ((أنا عند ظن عبدي بي , و أنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي , و إن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه)) أخرجه البخاري و مسلم⁽³⁰⁾ , و لهذا فقد انقسم التعاطي مع الحديث القدسي إلى رافدين أساسيين , فمن العلماء من يرى أن الحديث القدسي هو الحديث (الذي يرويهِ الرسول صلى الله عليه و سلم عن ربه تبارك و تعالى لفظا و معنى , و لم يقصد إلى الإعجاز به)⁽³¹⁾ , و هذا يعني أنه (.. من كلام الله تعالى و ليس للنبي صلى الله عليه و سلم إلا حكايتها عن ربه ..)⁽³²⁾ . أما الفريق الثاني فيعتقد أنه الحديث الذي يحكيه النبي صلى الله عليه و سلم عن رب العزة عز و جل و يتصرف في لفظه صلى الله عليه و سلم - على أرجح الأقوال - و بهذا فهو (.. من قوله صلى الله عليه و سلم و لفظه كالأحاديث النبوية , و المعنى من عند الله

28 - محمد عجاج الخطيب : أصول الحديث و علومه و مصطلحاته , دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع , ط4 1981 م , ص : 26 .

29 - محمد الصادق قمحاوي : الإيجاز و البيان في علوم القرآن , ص : 11 .

30 - المرجع نفسه , ص : 12 .

31 - عمر علي عبد الله محمد : الأحاديث القدسية جمعا ودراسة , ص 14 .

32 - أحمد عمر هاشم : منهج الدفاع عن الحديث النبوي , مكتبة وهبة , ط1 : 2000م , ص : 106 .

بالهام أو منام ..)(33) . على حسب ما يشاء من التعبير وقد أوحى إليه معناه سواء كان ذلك يقظة أو مناما عن طريق الوحي أو إلهاما مع عدم منحه خصائص القرآن , و من ثمة فهو (.. ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك و تعالى على غير النسق القرآني و نظمه و إعجازه , و لكنه في نظمه و أسلوبه بسائر الحديث النبوي أشبه ..)(34) . و قد ذهب ابن عاشور من خلال ما استخلصه من آراء العلماء إلى أن الحديث القدسي (كلام من الله تعالى صادر منه في الدنيا , غير مخاطب به معين , موحى به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بألفاظ معينة غير مقصود بها الإعجاز و لا التعبد بتلاوتها , ليبلغها إلى الناس , مع تفويض التصرف في ألفاظها بما يؤدي المقصود)(35) . و على هذا الأساس فقد اختلف الكثير من علماء الإسلام على تنوع مشاربهم الفقهية و المذهبية في (.. كون نسبته إلى الله سبحانه و تعالى بلفظه و معناه أو بمعناه دون لفظه ..)(36) .

بعض أقوال أهل العلم في تعريف الحديث القدسي :

قال الجرجاني: (.. هو من حيث المعنى من عند الله تعالى , ومن حيث اللفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو ما أخبر الله تعالى به نبيه بإلهام أو بالمنام , فأخبر عليه السلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه , فالقرآن مفضل عليه , لأن لفظه منزل أيضا)(37) . أما المناوي فأكد أن (الحديث القدسي إخبار الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام معناه بإلهام أو بالمنام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك المعنى بعبارة نفسه)(38) . و

33 - أحمد عمر هاشم : منهج الدفاع عن الحديث النبوي , ص : 106 .

34 - عصام الصبابطي : جامع الأحاديث القدسية , دار البصائر - الجزائر , ج1 , ط : 2004 م , ص : 12 .

35 - ابن عاشور : تحقيقات و أنظار في القرآن و السنة , دار السلام , ط : 1 : 2007 م , ص : 166 .

36 - عصام الصبابطي : جامع الأحاديث القدسية , ج1 , ص : 12 .

37 - الجرجاني : كتاب التعريفات , تحقيق عادل أنور خضر , دار المعرفة , ط : 1 : 2007 م , ص : 80 .

38 - المناوي : فيض القدير , دار المعرفة , ط : 2 : 1972 م , ج4 , ص : 468 .

قال الزرقاتي: (الحديث القدسي أُوحيَت ألفاظه من الله على المشهور والحديث النبوي أُوحيَت معانيه في غير ما اجتهد فيه الرسول والألفاظ من الرسول)⁽³⁹⁾

أسماء الحديث القدسي:

اصطلح أهل العلم على تسمية الحديث القدسي بعدة أسماء فمنهم من يسميه بالحديث القدسي وهو الأشهر والأغلب، ومنهم من يسميه بـ(الحديث الرباني)⁽⁴⁰⁾ وبعضهم يطلق عليه (الحديث الإلهي)⁽⁴¹⁾.

الحديث الإلهي و الحديث الرباني

فمن أطلق على الحديث القدسي اسم الحديث الإلهي ابن تيمية حيث يقول : (في أول هذا الحديث الإلهي الذي قال فيه الإمام أحمد هو أشرف حديث لأهل الشام أنه حرم الظلم على نفسه)⁽⁴²⁾. وقال في موضع آخر: (كما قال في الحديث الإلهي «يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني»)⁽⁴³⁾. وقال الحافظ ابن حجر: (الأحاديث الإلهية: وهي تحتمل أن يكون المصطفى صلى الله عليه وسلم أخذها عن الله تعالى بلا واسطة أو بواسطة)⁽⁴⁴⁾. وقال الطيبي: (إن القدسي نص إلهي في الدرجة الثانية، وإن كان من غير واسطة ملك غالباً؛ لأن المنظور فيه المعنى دون اللفظ، وفي القرآن اللفظ والمعنى منظوران فعلم من هذا مرتبة بقية الأحاديث)⁽⁴⁵⁾. بينما استعمل بعض العلماء اسم الحديث الرباني للدلالة

39 - عبد العظيم الزرقاوي : مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، ط 2 : 2002 م ، ج 1 ، ص : 51.

40 - ابن عاشور : تحقيقات و أنظار في القرآن و السنة ، ص : 165 .

41 - محمد حمزة : الحديث النبوي و مكانته في الفكر الإسلامي الحديث ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 : 2005 م ، ص 32 ..

42 - ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، الإصدار الثاني - 1416 هـ / 1995 م ، ج 8 ، ص : 510 .

43 - المرجع نفسه ، ج 17 ، ص : 110 .

44 - المناوي : فيض القدير ، ج 4 ، ص : 468 .

45 - المرجع نفسه ، ج 4 ، ص : 468 .

على الحديث القدسي فقد قال الجلال المحلي: (الأحاديث الربّانية كحديث الصّحيحين: «أنا عند ظنّ عبدي بي»)⁽⁴⁶⁾ ،

هل الحديث القدسي كلام الله بلفظه أو بمعناه؟

اختلف أهل العلم هل لفظ الحديث القدسي ومعناه من الله تعالى أم أن لفظه من عند النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه من عند الله تعالى فأفردنا بحثنا في هذا الصدد نجتمع فيه أقوال كل فريق حتى نقف على ما في المسألة من خلاف، ووجهة كل فريق في ذلك من غير إطالة تخرج بنا عن معناه كأحد أنواع الحديث

أولاً: من قال إن الحديث القدسي كلام الله (بمعناه فقط) :

قال أبو البقاء: (.. القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلي . وأما الحديث القدسي فهو ما كان لفظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالمنام)⁽⁴⁷⁾ . وقال الطيبي: (إن الحديث القدسي نص إلهي في الدرجة الثانية وإن كان من غير واسطة ملك غالباً لأن المنظور فيه المعنى دون اللفظ وفي القرآن اللفظ والمعنى منظوران فعلم من هذا مرتبة بقية الأحاديث)⁽⁴⁸⁾ ، وقال أيضاً: (القرآن هو اللفظ المنزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم، والقدسي إخبار الله معناه بالإلهام أو بالمنام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بعبارة نفسه، وسائر الأحاديث لم يضيفها إلى الله تعالى ولم يروه عنه تعالى)⁽⁴⁹⁾ . وقال الجرجاني: (الحديث القدسي هو من حيث المعنى من عند الله تعالى ومن حيث اللفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ما أخبر الله تعالى به نبيه بالإلهام أو بالمنام فأخبر عليه السلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه فالقرآن مفضل عليه لأن لفظه منزل أيضاً)⁽⁵⁰⁾ . وقال المناوي: (

46 - حسن العطار : حاشية العطار على جمع الجوامع ، دار الكتب العلمية ، ج 2 ، ص : 209 .

47 - أبو البقاء : الكليات ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 : 1998 م ، ص : 722 ..

48 - المناوي : فيض القدير ، ج 4 ، ص : 468.

49 - أبو البقاء الحسيني الكفوي: الكليات ، تحقيق عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة بيروت ، 1419 هـ ، ص :

722 .

50 - الجرجاني : كتاب التعريفات ، ص : 80 .

فإن ما أخبر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم بالإلهام أو بالمنام ، فأخبر عليه الصلاة والسلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه ، فالقرآن مفضل عليه ، لأن لفظه منزل أيضا أي من عند الله تعالى ..(51) . وقال مولانا علي القاري:(الحديث القدسي ما يرويه صدر الرواة ومصدر الثقات عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات عن الله تبارك وتعالى ، تارة بواسطة جبريل عليه السلام ، وتارة بالوحي والإلهام والمنام ، مفوضاً إليه التعبير بأي عبارة شاء من أنواع الكلام)(52) . وقال الزرقاني: (أما الحديث القدسي والحديث النبوي فليست ألفاظهما مناط إعجاز ، ولهذا أباح الله روايتهما بالمعنى ، ولم يمنحهما تلك الخصائص والقداسة الممتازة التي منحها القرآن الكريم ، تخفيفاً على الأمة ، ورعاية لمصالح الخلق في الحاليين من منح ومنع (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) الحج/65.(53) ، ولكن قبل أن يرجح محمد عبد الله دراز هذه الرؤية أكد من خلال نظرة كلية أن الأحاديث النبوية .. بحسب ما حوته من المعاني تنقسم إلى قسمين (قسم توفيقى) استنبطه النبي بفهمه في كلام الله أو بتأمله في حقائق الكون و هذا القسم ليس كلام الله قطعاً ، و (قسم توفيقى) تلقى الرسول مضمونه من الوحي فبينه للناس بكلامه ..(54) ، ثم راح يبين نزعتة و موقفه من الرؤية السالفة للذكر حول الحديث القدسي المنزل (..بمعناه فقط)(55) حيث قال:(وهذا هو أظهر القولين فيه عندنا، لأنه لو كان منزلاً بلفظه لكان له من الحرمة والقدسية في نظر الشرع ما للنظم القرآني ، إذ لا وجه للتفرقة بين لفظين منزلين من عند الله...)(56) ، ثم قال: (فالقول بإنزال لفظه قول بشيء لا داعي في النظر إليه ، ولا دليل في الشرع عليه ، اللهم إلا ما قد يلوح من إسناد الحديث القدسي إلى الله بصيغة : يقول الله تبارك وتعالى كذا، لكن القرائن التي ذكرناها آنفاً كافية في إفساح المجال لتأويله بأن المقصود نسبة مضمونه لا نسبة ألفاظه ، هذا تأويل شائع في العربية

51 - محمد أسامة طباع : الأحاديث القدسية ، دار الفيحاء ، ط1 : 2004 م ، ص : 10 .

52 - المرجع نفسه ، ص : 10 .

53 - عبد العظيم الزرقاوي : مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص : 51 .

54 - محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم ، دار الثقافة ، ط:1985 م ، ص : 15 .

55 - المرجع نفسه ، ص : 16 .

56 - المرجع نفسه ، ص : 16 .

... (57). ، وقال الأستاذ محمود النواوي: (والتحقيق في نظرنا أن البرهان على كون الحديث القدسي موحى بمعناه دون لفظه أن له صفة الحديث النبوي دون فارق سوى النسبة إلى الله سبحانه للإيذان بأهمية الخبر...) (58) .

فنخلص من نقول الأئمة وأهل العلم المتقدمة أن تعريف الحديث القدسي عندهم أن معناه من عند الله عز وجل ولفظه من عند النبي صلى الله عليه وسلم ودارت جل الأدلة التي اعتمدوا عليها في أن خصائصه تختلف عن خصائص القرآن الكريم من جهة اللفظ والأحكام وغير ذلك .

ثانيا: من قال إن الحديث القدسي كلام الله (بلفظه ومعناه) :

بعدما ذكرنا أقوال الفريق الأول من قال بأن اللفظ من عند النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى من عند الله عز وجل نذكر الرأي الثاني وهو القائل بأن اللفظ والمعنى من عند الله عز وجل . و لقد (احتج القائلون بأن لفظه من الله برواية النبي صلى الله عليه وسلم له عن ربه , و بأن ضمائر الكلام فيه تعود الى الحق تبارك و تعالى..) (59) . قال الكرماني في شرحه على البخاري في أول كتاب الصوم: (... القرآن لفظ معجز ومنزل بواسطة جبريل وهذا غير معجز وبدون الوساطة ومثله يسمى بالحديث القدسي والإلهي والرباني... وقد يفرق بأن القدسي ما يتعلق بتنزيه ذات الله تعالى وبصفاته الجلالية والجمالية منسوبا إلى الحضرة المقدسة تعالى و تقدس ..) (60) ، وكذا قال الشهاب ابن حجر الهيتمي في شرح الحديث الرابع والعشرين المسلسل بالدمشقيين وهو حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا.....» . قال: (.. فائدة يعم نفعها، ويعظم وقعها، في الفرق بين الوحي المتلو وهو القرآن، والوحي المروي عنه صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل وهو ما ورد من الأحاديث

57 - محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم , ص : 16 .

58 - محمد المدني : الإتحافات السننية في الأحاديث القدسية , دار المدائن العلمية , ط 1 : 2005 م , ص : 11 .

59 - عصام الصبابطي : جامع الأحاديث القدية , دار البصائر - الجزائر , ج 1 , ص : 23 .

60 - الكرماني : شرح صحيح البخاري , دار إحياء التراث العربي , بيروت , ط 2 : 1981 م , ج 9 , ص : 79 .

الإلهية وتسمى القدسية وهي أكثر من مائة حديث وقد جمعها بعضهم في جزء كبير وحديث أبي ذر هذا - الرابع والعشرين - من أجلها : اعلم أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسام ثلاثة: أولها : وهو أشرفها القرآن الكريم لتميزه عن البقية بإعجازه من أوجه كثيرة، وكونه معجزة باقية على ممر الدهر، محفوظة من التغيير والتبديل، وبحرمة مسه لمحدث، وتلاوته لنحو الجنب، وروايته بالمعنى، وبتعيينه في الصلاة، وبتسميته قرآنا، وبأن كل حرف منه بعشر حسنة، وبامتناع بيعه في رواية عند أحمد، وكراهته عندنا، وبتسمية الجملة منه آية وسورة، وغيره من بقية الكتب، والأحاديث القدسية لا يثبت لها شيء من ذلك...ثانيها : كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قبل تغييرها وتبديلها. ثالثها : بقية الأحاديث القدسية وهي ما نقل إلينا آحادا عنه صلى الله عليه وسلم مع إسناده لها عن ربه فهي من كلامه تعالى فتضاف إليه وهو الأغلب، ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء لأنه المتكلم بها أولا، وقد تضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه المخبر بها عن الله تعالى بخلاف القرآن، فإنه لا تضاف إلا إليه تعالى، فيقال فيه قال الله تعالى وفيها قال رسول الله فيما يروي عن ربه تعالى .. (61). وقال الزرقاني : (.. الحديث القدسي أوحيت ألفاظه من الله على المشهور، والحديث النبوي أوحيت معانيه في غير ما اجتهد فيه الرسول والألفاظ من الرسول صلى الله عليه وسلم) (62).

وبالاستقراء لتراجم البخاري للأبواب يتبين أنه ممن يقول بهذا الرأي فقال في أحدها: (باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه ثم ساق فيه ثلاثة أحاديث قدسية عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه). (63) وفي موضع آخر ترجم بقوله : (إثبات كلام الرب وساق فيه أيضا أحاديث قدسية) (64). وقال في موضع آخر ترجم بقوله : (باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة... وساق فيه ثلاثة أحاديث قدسية

61 - عصام الصباطي : جامع الأحاديث القدسية ، ج 1 ، ص : 19 - 20 .

62 - عبد العظيم الزرقاوي : مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص : 51 .

63 - ابن حجر العسقلاني :فتح البارئ شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، ج 13 ، ص : 512 .

64 - المرجع نفسه ، ج 13 ، ص : 473 .

(65). وقال في موضع آخر ترجم بقوله : (باب قول الله تعالى: (بُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) ثم ساق فيه نحواً من عشرة أحاديث قدسية)⁽⁶⁶⁾

فإن قيل: يوجد في كثير من الأحاديث القدسية المروية في كتب السنة اختلاف في بعض ألفاظها. يقال: إنما نعني من قولنا المذكور بأن الأحاديث القدسية من كلام الله تعالى هذا عند تلقي الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأحاديث وروايتها لها عن ربه تعالى، وقبل تصرف الرواة في نقلها بالمعنى أو نقل بعضها، حيث إن كثيراً من العلماء الذين يجيزون رواية الأحاديث النبوية بالمعنى للعالم البصير بمدلولات الألفاظ ومفاهيمها أجازوا أيضاً رواية الأحاديث القدسية بالمعنى بالشروط التي شرطوها في رواية الحديث النبوي بالمعنى؛ ولذلك لا نستطيع الجزم في حديث ما من الأحاديث القدسية بأن لفظه من كلامه تعالى جزمنا بآية أو بسورة بأنها من كلام الله تعالى؛ وذلك لعدم جواز رواية القرآن بالمعنى بالاتفاق ولكونه متواتراً.

صيغ الحديث القدسي

يختص الحديث القدسي بصيغ تميزه عن سائر أنواع الأحاديث . ويمكن تقسيم هذه الصيغ إلى قسمين: أولاً: صيغ الحديث القدسي الصريحة ، ثانياً: صيغ الحديث القدسي غير الصريحة .

أولاً: صيغ الحديث القدسي الصريحة:

(و للحديث القدسي صيغ كثيرة و أشهرها ما نسبته النبي صلى الله عليه و سلم صراحة و بكل وضوح إلى الله عز و جل)⁶⁷ و المراد بالصيغة الصريحة أن يسند المتن إلى الله تبارك و تعالى باللفظ الصريح مثل: قال الله تبارك و تعالى، أو يقول الله تبارك و تعالى أو نحو ذلك . و هذه بعض صيغ الحديث القدسي الصريحة

⁶⁵ - ابن حجر العسقلاني:فتح البارئ شرح صحيح البخاري ، ج 13 ، ص : 460 .

⁶⁶ - المرجع نفسه ، ج 13 ، ص : 464 .

⁶⁷ - زكريا اعمرات : الأحاديث القدسية الصحيحة ، دار الكتب العلمية ، ط 1 : 1997 م ، ص : أ .

1- التصريح بنسبة القول لله تبارك وتعالى، مثل: قال الله أو يقول الله أو نحو ذلك .
مثال ذلك: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَأَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا
خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ))» (68).

2- أن يقول راوي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيما روى عن الله
تبارك وتعالى أو فيما يروي أو يحكي عن ربه تبارك وتعالى . مثال ذلك: حديث أبي ذر
الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى
أنه قال: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا
عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ
فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ
تُخْطِنُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ
تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضْرِبُونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ
وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ
أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي
شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي
فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ
يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِّيْكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ
وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ) (69).

3- حكاية بعض مشاهد يوم القيامة ويذكر فيها كلام لرب العزة سبحانه وتعالى .
مثال ذلك: حديث أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يَقُولُ
اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ

68 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري , دار الكتب العلمية , ط 1 : 2001 م , ج 15 ,
ص : 210 .

69 - النووي : صحيح مسلم , دار ابن الهيثم , ج 8 , ص : 185 .

تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلبِ آدَمَ أَنْ لَأَ تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي (70).

و تبقى (هنالك صيغ يعرف بها الحديث القدسي عن طريق الدلالة) ⁷¹ و المعنى و الاستدلال كقول النبي صلى الله عليه و سلم في بعض الأحاديث القدسية (فيقال) من غير تحديد للقائل , و.. لكننا إذا تتبعنا ألفاظ الحديث علمنا حينذاك أن الله سبحانه و تعالى هو المقصود بذلك القول , و علمنا أيضا أن هذا الحديث حديث قدسي , .. ⁷² . و مثال ذلك (إذا كان يوم القيامة دخل أهل الجنة الجنة , و أهل النار النار , و بقي الذين عليهم المظالم (نادى مناد من تحت العرش) : يا أيها الجمع تشاركوا المظالم : (و ثوابكم علي) . فإن قوله في هذا الحديث : (نادى مناد من تحت العرش) لم يعرف منه أن صاحب النداء هو الرب تبارك و تعالى إلا من قوله في ندائه : (و ثوابكم علي) فإنه لا يصح أن يكون ذلك إلا لله عز و جل . ⁷³ .

ثانيا: صيغ الحديث القدسي غير الصريحة:

و المراد بالصيغة غير الصريحة ألا يكون مصرحا برفع الحديث إلى الله تبارك و تعالى، لكن المتن يحتمل أن يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، أو يرد في بعض الروايات ما يدل على رفعه لله تبارك و تعالى أو (.. عن طريق الدلالة ..) ⁷⁴ أو نحو ذلك . و هذه بعض صيغ الحديث القدسي الصريحة :

1 - (.. من رواية ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة , قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يؤت بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط , فيقال : يا أهل الجنة , فينطلقون ختنفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه , ثم يقال : يا أهل النار ,

70 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 15 , ص : 294 .

71 - عصام الصبابطي : جامع الأحاديث القدسية , ج1, ص : 12 .

72 - زكريا اعميرات : الأحاديث القدسية الصحيحة , ص: أ

73 - عصام الصبابطي : جامع الأحاديث القدسية, ج1, ص : 13 .

74 - المرجع نفسه , ج1, ص : 12 .

فينطلقون فرحين مستبشرين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه , فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ربنا , هذا الموت , فيؤمر به فيذبح على الصراط , ثم يقال للفريقين كليهما : خلود و لا موت فيه أبدا .

ففي هذا الحديث يقول النبي صلى الله عليه و سلم : (فيقال) هكذا على ما لم يسم فاعله , فلم يحدد لنا النبي صلى الله عليه و سلم من الذي نادى أهل الجنة و أهل النار فسألهم جميعا عن الموت قائلا : (هل تعرفون هذا ؟) فلم نعرف هو الحق تبارك و تعالى ؟ أم هو ملك من ملائكته ؟ حتى ورد في الحديث جواب أهل الجنة و أهل النار لهذا السائل قائلين : (نعم ربنا) فدل جوابهم هذا على أن الذي خاطبهم بالنداء و السؤال هو المولى عز و جل , فعرفنا حينئذ أن الحديث قدسي به الدلالة (75) .

2 - حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَكُلُّوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) (76) .

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الصِّيَامُ جَنَّةٌ فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَجْهَلُ وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ الصِّيَامِ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا) (77) .

فهاتان الروايتان ليس فيهما تصريح بنسبة هذا الحديث لله سبحانه وتعالى، لكن قد جاء في متنه ما يمنع نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم ويوجب نسبته لله سبحانه وتعالى، وهو قوله في الرواية الأولى: (إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) فهذا لا يتصور نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم أبداً، وكذلك قوله في الرواية الثانية: (يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ) وهو واضح.

موضوعاته و أخراجه :

75 - عصام الصباطي : جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص: 12 - 13 .

76 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 10 ، ص : 395 .

77 - المرجع نفسه ، ج10، ص : 398 .

التعرف على الحديث القدسي من جهة موضوعاته وغاياته والثمرة الناتجة عنه و النظر إليه على أنه (وحدة واحدة لا تقبل التجزئة)⁽⁷⁸⁾ من بين أول ما يلزم الوصول إليه و هذا يترتب عليه (انسجام الوحي كتابا و سنة فيما بينهما من جهة , و انسجام الوحي مع سنن الكون و نواميسه من جهة ثانية . و مقاصد الحياة و الشريعة , لأنها تنجم جميعا عن المصدر الالهي الواحد ..)⁽⁷⁹⁾ , و لكن قبل ذلك نشير بداية إلى أن أهمية الحديث القدسي إنما ترجع إلى اعتبارات كثيرة منها أنه يتضمن (.. تلك المعاني الرقيقة التي تهتم بحمل النفوس على القرب من الله تعالى , و تلك الرقائق تنبت للقلب ريش الجناح فيرفرف به في الملكوت الأعلى)⁽⁸⁰⁾ , و إلى جانب ذلك لا يتعرض الحديث القدسي في مضمونه و موضوعه إلى قضايا الفقهية و أحكامه و انشغالاته و إنما (.. يتكلم عليه الصلاة و السلام , و لا يتكلم حينئذ إلا في شأن الربوبية , بتعظيمها و ذكر حقوقها ..)⁽⁸¹⁾ , و على هذا الأساس فهو لا يعمد إلى تبيين الشرائع و السلوكيات العملية التعبدية كما يفعل ذلك الحديث النبوي , و إنما نجده يولى اهتماما كبيرا في التركيز على بناء النفس البشرية و تقويم الذات الإنسانية و تربيتها على القيم الأخلاقية و الروحية المستمدة من روح الشريعة و مقاصدها الربانية و بذلك يكون قد شغل مساحة واسعة من التركيبة الإنسانية الأساس و هي ركنه الركين و بها يكون ألا وهي النفس البشريو قال تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) و و على هذا الأساس تجد الحديث القدسي (.. و اردا في حض النفس على الطاعات و المندوبات , و في تحذيرها من المعاصي و المنكرات , و في الدعوة إلى الخير و الفضيلة و مكارم الأخلاق , و في توجيه النفس إلى حب الله و طلب رضاه , و في الترغيب في الجنة و

78 - عبد الجبار سعيد : الإطار المرجعي لعلم نقد متن الحديث النبوي الشريف , مجلة إسلامية المعرفة , السنة التاسعة , العدد : 39 , شتاء 1426 هـ - 2005 م , ص : 55 .

79 - المرجع نفسه , ص : 57 .

80 - حامد أحمد الطاهر : صحيحة الأحاديث القدسية , دار الذهبية , ص : 4 - 5 .

81 - جمال الدين القاسمي : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث , تحقيق : محمد بهجة البيطار , دار إحياء الكتب العربية , ط2 : 1961 م , ص : 67 .

التخويف من النار , و بالجملة فإنه يدور في فلك الوعظ و التوجيه و التربية ..(82) . و انطلاقا من ذلك فإن الأحاديث القدسية ليس لها (.. لون من ألوان الأحكام التكليفية أو جواب على سؤال معين , أو معالجة واقعة معينة , و إنما الملاحظ أنها تؤدي نوعا من التوجيه الرباني العظيم , بما يتعلق بصحة العقيدة بالله عز وجل , و كمال قدرته و عظمته و سعة رحمته , و بسلامة السلوك و صحة العمل الذي ينسجم مع تلك العقيدة ...)(83) . قال العلامة السيد أحمد بن المبارك رحمه الله تعالى: (الأحاديث القدسية تتعلق بالحق سبحانه وتعالى لتبيين عظمته أو لإظهار رحمته أو بالتنبيه على سعة ملكه وكثرة عطائه فمن الأول حديث (يا عبادي لو أن أو لكم وآخركم وإنسكم وجنكم ...) وهو حديث أبي ذر في مسلم، ومن الثاني حديث (أعددت لعبادي الصالحين...) الحديث، ومن الثالث حديث (يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ...) وهذه من علوم الروح في الحق سبحانه، وترى الأحاديث التي ليست بقدسية تتكلم على ما يصلح البلاد والعباد بذكر الحلال والحرام والحث على الامتثال بذكر الوعد والوعيد)(84) انظر قواعد التحديث للقاسمي (65، 66)

أهم المؤلفات فيه :

يعد محي الدين بن العربي من علماء القرن السادس الهجري الأوائل الذين اشتغلوا بالحديث القدسي تأليفا ، فجمع في كتابه (مشكاة الأنوار فيما روي عن الله تعالى من الأخبار) مائة حديث و حديث ، ثم اقتفى أثره الشيخ عبد الغني النابلسي ثم الشيخ ملا علي القاري .. (85) . و لكن أشهر المؤلفات في هذا الميدان و أكبرها :

1 - الإتحافات السننية بالأحاديث القدسية : للحافظ المناوي ، و عدد أحاديثه (272) .. مائتان و اثنان و سبعون حديثا مرتبة على الحروف ، و الكتاب مطبوع في دار المعرفة في بيروت)(86) .

82 - عصام الصبابطي : جامع الأحاديث القدسية ، ج1، ص : 16 .

83 - حسن أحمد إسبر : الأحاديث القدسية ، الشركة الجزائرية اللبنانية ، ط1 : 2007 م ، ص : 10 .

84 - جمال الدين القاسمي : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، ص : 65 - 66 .

85 - حسن أحمد إسبر : الأحاديث القدسية ، ص : 16 .

86 - المرجع نفسه ، ص : 11 .

2 - الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية : للشيخ محمد المدني , و فيه (864) ثمانمائة و أربعة و ستين حديثا مرتبة على ثلاثة أبواب : (أولها ما كان مبدوعا بلفظ (قال) , و الثاني ما كان مبدوعا بلفظ (يقول) , الأخير ما لم يكن مبدوعا بواحد منهما , و هذا الأخير مرتب على الحروف مع مراعاة الحرف الثاني ..)⁽⁸⁷⁾ .

3 - كتاب (الأحاديث القدسية) : الذي أعدته (لجنة القرآن و الحديث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ..)⁽⁸⁸⁾ . و قد ضم (400) أربعمئة حديثا و لكنها على خلاف ما تقدم فقد عمد أصحاب هذا الكتاب إلى ترتيب أحاديثه (.. ترتيبا موضوعيا , مما يسهل الانتفاع بها ..)⁽⁸⁹⁾ .

4 - كتاب (المقاصد السنية بالأحاديث القدسية) : و صاحبه أبو القاسم علي بن بليان , و قد ضمنه (مائة حديث قدسي من مسموعاته ببغداد و دمشق و القاهرة و مصر و الاسكندرية , و هو مطبوع في دار ابن كثير دمشق , بيروت)⁽⁹⁰⁾ .

5 - كتاب (جامع الأحاديث القدسية) : و صاحبه عصام الصبابطي , و هو كتاب متميز , (جمع فيه مؤلفه ... ألفا و مئة و خمسين حديثا ..)⁽⁹¹⁾ . و مما يلفت الانتباه أولا استيعابه الحديث القدسي و جمعه له من كل ما وقع بين يديه من كتب تعرضت بطرية مباشرة أو غير مباشرة للحديث القدسي انطلاقا من الصحيحين و كتب السنة الأربعة إلى (.. معاجم الطبراني الثلاثة : الكبير و الأوسط و الصغير .. و عشرات الكتب الأخرى ..)⁽⁹²⁾ , كما تميز ثانيا بكونه (محقق الأسانيد)⁽⁹³⁾ , حتى لا يختلط الحديث الضعيف و المنكر بالحديث الصحيح لأن الحديث القدسي (منقول بطريق الأحاد كعامة الأحاديث النبوية , و لذا فإنه يطرأ عليه ما يطرأ عليها , من صحة و حسن و ضعف و وضع ..

87 - عصام الصبابطي : جامع الأحاديث القدسية , ج1, ص : 16 .

88 - المرجع نفسه , ج1, ص : 17

89 - المرجع نفسه , ج1, ص : 17 .

90 - المرجع نفسه , ج1 , ص : 11 .

91 - المرجع نفسه , ج1 , ص : 12

92 - المرجع نفسه , ج1, ص : 17 .

93 - المرجع نفسه , ج1, ص : 18 .

مما يستلزم ضرورة النظر في أسانيده ، و فحص متونه ، ليعرف صحاحه من سقيمه
..(94)

الفرق بين القرآن والحديث القدسي و الحديث النبوي

السواد الأعظم من المسلمين قديما و حديثا يعتقدون إيماناً أن (القرآن كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته)⁹⁵ على سبيل الإعجاز والتحدي . و على هذا الأساس فالقرآن معجزة الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم، وهو منهج سعادة للناس في الدنيا والآخرة، وفيه التحدي للكفار المعاندين من جميع الجهات فقد (.. أحكم نسجه ، و أتقن صنعه خالق الخلق و بارئ النسم ، فلا عجب في أن ترى نظمه لا يهتز و لا يضطرب ، و إن وقع فيه ما يجعل كلام اليشر مضطربا متنافرا..)⁹⁶ . قال الكرمانى: (.. القرآن لفظ معجز ومنزل بواسطة جبريل وهذا- أي القدسي- غير معجز وبدون الوساطة ومثله يسمى بالحديث القدسي والإلهي والرباني ..)⁹⁷ ، و قال السيوطي: (.. كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن . ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى ، لأن جبريل أداه بالمعنى ، ولم تجز القراءة بالمعنى ، لأن جبريل أداه باللفظ ، ولم يبيح له إحياءه بالمعنى . والسر في ذلك : أن المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به ، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه . وأن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة ، فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه . والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين : قسم يروونه بلفظه الموحى به ، وقسم يروونه بالمعنى ، ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشق ، أو بالمعنى لم يؤمن التبديل والتحريف ..)⁹⁸ . كما أكد الزرقاني (أن القرآن أوحيت ألفاظه من الله اتفاقا ، وأن الحديث القدسي أوحيت ألفاظه

⁹⁴ - عصام الصباطي : جامع الأحاديث القدسية ، ج1 ، ص : 15 .

⁹⁵ - عبد الله دراز : النبأ العظيم ، ص : 14 .

⁹⁶ - محمد عبد الخالق عزيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، دار الحديث القاهرة ، القسم الثالث ، ج 1 ، ص :

5 .

⁹⁷ - الكرمانى: الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط2 : 1981 م

، ج 9 ، ص : 79 .

⁹⁸ - السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ص : 70 .

من الله على المشهور ، والحديث النبوي أوحيت معانيه في غير ما اجتهد فيه الرسول والألفاظ من الرسول صلى الله عليه وسلم ، بيد أن القرآن له خصائصه من الإعجاز والتعبد به ووجوب المحافظة على أدائه بلفظه ونحو ذلك ، وليس للحديث القدسي والنبوي شيء من هذه الخصائص . والحكمة في هذا التفريق أن الإعجاز منوط بألفاظ القرآن ، فلو أبيض أداؤه بالمعنى لذهب إعجازه ، وكان مظنة للتغيير والتبديل ، واختلاف الناس في أصل التشريع والتنزيل . أما الحديث القدسي والحديث النبوي فليست ألفاظهما مناط إعجاز . ولهذا أباح الله روايتهما بالمعنى ، ولم يمنحهما تلك الخصائص والقداسة الممتازة التي منحها القرآن الكريم ، تخفيفاً على الأمة ورعاية لمصالح الخلق في الحالين من منح و منع (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) (حج/65) (99) . أما رؤية عبد الله دراز فهي تتلخص في قوله (.. القرآن لما كان مقصوداً منه مع العمل بمضمونه شيء آخر و هو التحدي بأسلوبه و التعبد بتلاوته احتيج لأنزال لفظه ، و الحديث القدسي لم ينزل للتحدي و لا للتعبد بل لمجرد العمل بما فيه و هذه القاعدة تحصل بانزال معناه ، فالقول بانزال لفظه قول بشيء لا داعي في النظر إليه ، و لا دليل في الشرع عليه ..) (100) .

الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

1- القرآن الكريم لفظه ومعناه من عند الله عز وجل وأما الحديث القدسي فالمتفق عليه فيه أن معناه من عند الله عز وجل والخلاف في اللفظ ، قال الطيبي (فضل القرآن على الحديث القدسي أن القدسي نص إلهي في الدرجة الثانية و إن كان من غير واسطة ملك غالباً لأن المنظور فيه المعنى دون اللفظ و القرآن اللفظ و المعنى منظوران فعلم من هذا مرتبة بقية الأحاديث) (101) .

99 - عبد العظيم الزرقاوي : مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج1 ، ص : 51.

100 - عبد الله دراز : النبأ العظيم ، ص : 16 .

101 - المناوي : فيض القدير ، ج4 ، ص : 468 - 469 .

2- القرآن الكريم كل ما فيه من حروف وكلمات وجمل (ثبت كله بالتواتر)¹⁰². أما الحديث القدسي فيقع فيه المتواتر والآحاد ..

3- القرآن الكريم كله (وحي من الله باللفظ و المعنى في اليقظة)¹⁰³ كقوله تعالى: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ) البقرة: 97 وقوله: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) الشعراء: 193 وقوله: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ) التحمل: 102 أما الحديث القدسي فقد (يلهم معناه رسول الله صلى الله عليه و سلم بأي كيفية من كيفية الوحي كرويا النوم , و الإلقاء في الروع , و على لسان الملك)⁽¹⁰⁴⁾ إلى غير ذلك مما ورد في التعريف .

4- القرآن الكريم تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه عن التبديل والتغيير والتصحيح فقال سبحانه (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر: 9 , بينما الحديث القدسي (مثله مثل الحديث النبوي , منه الصحيح , و الحسن , و الضعيف ...إلخ)⁽¹⁰⁵⁾ .

5- القرآن الكريم مختص بأنه مكتوب في اللوح المحفوظ (على وجه التعيين)⁽¹⁰⁶⁾ . أما الحديث القدسي فليس كذلك .

6- القرآن متعبد بتلاوته , و أن كل حرف منه بعشر حسنة (ثبت كله بالتواتر)⁽¹⁰⁷⁾ , ويقع عليها الثواب .

7- القرآن لا يجوز تبليغه وقراءته إلا بالقراءة المتواترة ولا تجوز روايته بالمعنى (ثبت كله بالتواتر)¹⁰⁸ , أما الحديث القدسي فيجوز تبليغه بالمعنى .

102 - عمر علي عبد الله محمد : الأحاديث القدسية جمعا ودراسة , مكتبة العلوم و الحكم , ط1 " 1425 هـ , ج 1 , ص : 24 .

103 - لجنة من العلماء : صحيح الأحاديث القدسية , تحقيق : أحمد جاد , دار الرشيد , ط1 : 2007 م , ص : 7 .

104 - المرجع نفسه , ص : 7 .

105 - المرجع نفسه , ص : 8 .

106 - عمر علي عبد الله محمد , الأحاديث القدسية جمعا ودراسة , ج1 , ص : 23 .

107 - المرجع نفسه , ص : 24 .

8- القرآن الكريم يلزم قراءته في الصلاة , ولا صلاة (.. إلا بالقرآن ..)¹⁰⁹ ولا يجوز معناه أما الحديث القدسي فيجوز قراءته بالمعنى .

9- القرآن (لا يمس إلا بطهارة)¹¹⁰ أي لا يقرأه ولا يمسه الجنب ولا الحائض ولا المحدث على قول الجمهور أما الحديث القدسي فيجوز مسه لكل هؤلاء ..

10- القرآن الكريم (معجز)¹¹¹ فيه تحدي وإعجاز في حروفه وآياته ونظمه وغير ذلك قال تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) البقرة : 23، 24 أما الحديث القدسي فـ(ليس معجزاً)¹¹² .

11- القرآن يكفر جاحده (بخلاف جاحد الحديث القدسي فلا يكفر)¹¹³ خاصة إذا كان متأولاً بضعف روايته أو نحو ذلك

12- القرآن يحرم السفر به إلى أرض العدو خوف امتهانه بالنص، أما الحديث القدسي فبالقياس فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نَهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَىٰ أَرْضِ الْعَدُوِّ» (متفق عليه)

الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي

بعد الكلام على أوجه الفرق التي بين القرآن الكريم والحديث القدسي كان من باب إكمال الفائدة ذكر أوجه الفرق التي بين كل من الحديث القدسي والحديث النبوي. وأول ما يسبق إليه الفهم من الكلام هو المسمى الاصطلاحي لكل من الحديث النبوي والقدسي فكل

108 - عمر علي عبد الله محمد : الأحاديث القدسية جمعا ودراسة , ج1 , ص : 24 .

109 - محمد الإسكندراني : الأحاديث القدسية , دار الكتاب العربي , ط: 2005 م , ص : 9 .

110 - حسن أحمد إسبر : الأحاديث القدسية , الشركة الجزائرية اللبنانية , ط1 " 2007 م , ص : 10 .

111 - محمد الإسكندراني : الأحاديث القدسية , ص : 9 .

112 - المرجع نفسه , ص : 9 .

113 - المرجع نفسه , ص : 9 .

منهما حديث، ومخرج كل منهما واحد هو النبي صلى الله عليه وسلم، فكل منهما بلاغه من النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن يفترقان في النسبة عند الإخبار.

1 - فهذا صيغته على سبيل المثال يقول أو قال أو أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا أو وقع على صورة أخرى مثل فعل كذا وكذا إلى غير ذلك من طرق الرواية وأما الحديث القدسي فمثال صيغته نحو يقول الله عز وجل أو قال الله عز وجل أو يقول تعالى أو قال الله تعالى أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أو فيما يروي عن الله تعالى أو غير ذلك من الصيغ غير الصريحة.

2 - ثم هناك فرق آخر وهو منصب في تعريف كل منهما فبينهما في ذلك عموم وخصوص فالمعنى واللفظ في الحديث النبوي من عند النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان بوحى من الله، إلهاماً أو غيره وقد يكون إجتهداً من الرسول صلى الله عليه وسلم أقره الله عليه، وأما الحديث القدسي فـ(معناه من عند الله تعالى)⁽¹¹⁴⁾ باتفاق واختلف في اللفظ.

3 - الحديث النبوي ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والقدسي (ينسبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرب تبارك و تعالى)⁽¹¹⁵⁾ و يقوله حاكياً عن الله تعالى، وإن كان كل ذلك متلقياً من الله عز وجل كما قال تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)⁽¹¹⁶⁾.

4 - وهناك فرق آخر وهو أن الحديث القدسي في الغالب مداره في تعظيم الله سبحانه وتعالى أو في الترغيب في بيان الرحمة و (تنزيه ذات الله تعالى ، و بصفاته الجلالية و الجمالية ، منسوبا إلى الحضرة المقدسة تعالى و تقدس..)⁽¹¹⁷⁾ والمغفرة أو عظيم الثواب على أمر معين أو الترهيب من قبح فعل ، كما يتعلق (بموضوعات الخوف و الرجاء و

114 - عمر علي عبد الله محمد : الأحاديث القدسية جمعا و دراسة ، ج 1 ، ص : 25 .

115 - مصطفى بن العدوي : الصحيح المسند من الأحاديث القدسية ، دار الصحابة للتراث ، ص : 5 .

116 - سورة النجم ، الآية : 3 - 4 .

117 - الكرمانى : الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري ، ج 9 ، ص : 79 .

كلام الرب جل و علا مع مخلوقاته , و قليل منها يتعرض للأحكام (118) ، وأما الحديث النبوي فيتضمن كل ذلك مع جوانب أخرى منها ما (يتعلق بما يصلح البلاد و العباد بذكر الحلال و الحرام ..)(119) و ما يكون بيانا لبعض الأحكام أو اجتهادا منه صلى الله عليه وسلم بالقول أو غير ذلك.

5 - ويفترق أيضا من زاوية أنه (إذا أطلق الحديث أريد به ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه و سلم من قول أو فعل أو تقرير , أو صفة خلقية أو خلقية) (120) ، ومن نظر إلى الأحاديث النبوية يجدها أكثر من الأحاديث القدسية بكثير جدا في جميع فروعها متواترة كانت أو آحادا ولما كانت أكثر من الأحاديث القدسية التي يبلغ تعدادها (أكثر من مائة ..)(121) اتضحت علة عناية الكثير من أهل الحديث والفقهاء بالحديث النبوي من استنباط أحكامه أو تبیین حاله من حرامه أو صك الاصطلاحات والحدود و التعاريف وتفریعاتها

من خصائص الحديث القدسي :

و نخلص مما سبق أن للحديث القدسي خصائص كثيرة تميزه عن القرآن الكريم و الحديث النبوي على الرغم من كون مرتبته تأتي (بين القرآن و الحديث النبوي) (122) , و لكن بداية يجب أن ننبه إلى أن المثير لانتباه الدارس قضيتان أساسيتان تعملان على جعله مشدودا بقوة إلى موقعية وسطية بفعل قطبين و طرفين مركزيين هما القرآن الكريم و الحديث النبوي :

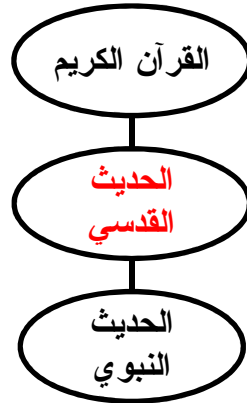
118 - مصطفى بن العدوي : الصحيح المسند من الأحاديث القدسية , ص : 5 .

119 - عمر علي عبد الله محمد : الأحاديث القدسية جمعا و دراسة , ج 1 , ص : 25 .

120 - محمود فجال : الحديث النبوي في النحو العربي , أضواء السلف , ط2 : 1997 م , ص : 55 .

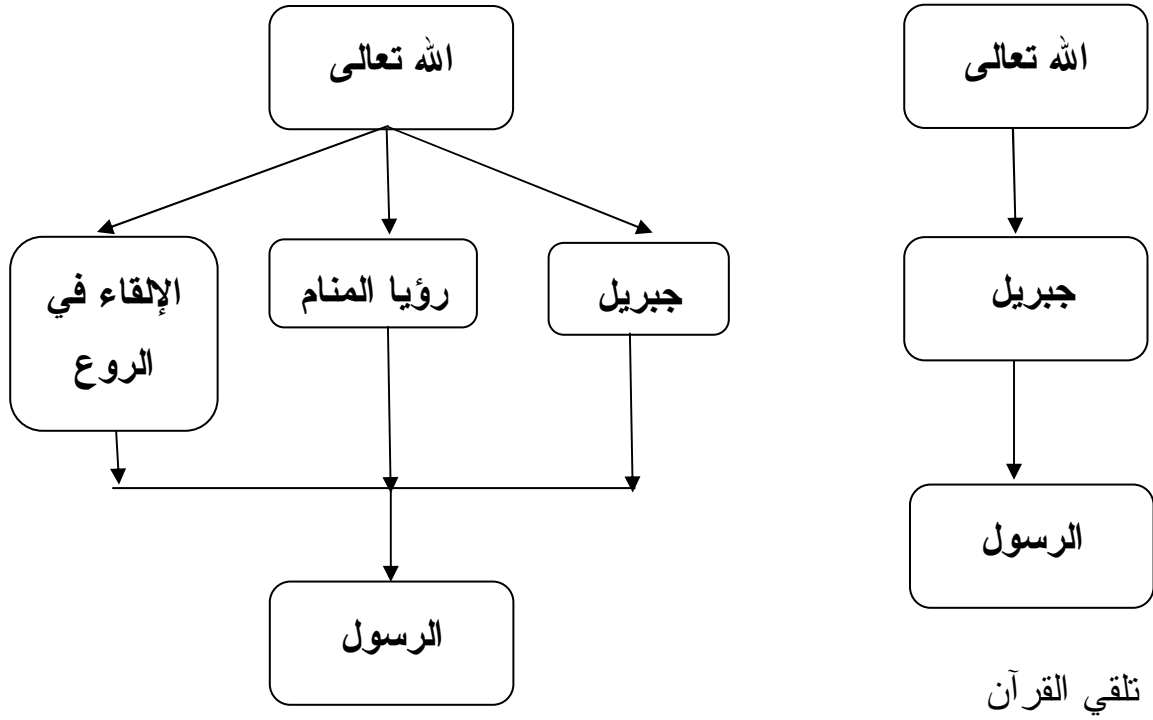
121 - ابن عاشور : تحقيقات و أنظار في القرآن و السنة , دار السلام , ط1 : 2007 م , ص : 164 .

122 - محمد بن صالح بن العثيمين : مصطلح الحديث , مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية , ط : 2006 م , ص : 10 .



1 - القرآن الكريم و يمثل القطب/الطرف الأول المؤسس لهذه الخصوصية المميزة , فهو بدوره يعمل على شد الحديث القدسي بقوة إليه , و يعود السبب في ذلك إلى أنهما في (.. منظور العلماء وحي أنزله على جبريل غير أن الحديث القدسي يختلف عن القرآن في كون تلقيه لا يتم بطريقة الوحي فقط بل يجوز أن ينزل عن طريق رؤيا النوم أو الإلقاء في الروع أو على لسان الملك ..)(123).

123 - محمد حمزة : الحديث النبوي و مكانته في الفكر الإسلامي الحديث , المركز الثقافي العربي , ط1 : 2005 م , ص : 33 .



تلقي الحديث القدسي

2 - الحديث النبوي و هو القطب/الطرف الثاني و ذلك يعود إلى أن الأحاديث القدسية لا تشكل (مجموعة منفصلة عن سائر النصوص النبوية فنجدها مثبتة في كتب الحديث السنية قبل أن يقع جمعها في مؤلفات مثل (كتاب الإضافات السنية في الأحاديث القدسية) لمحمد المدني (ت 881 هـ) و كتاب (مشكاة الأنوار) لمحي الدين بن عربي (ت 638 هـ) (124) .. وغيرهما .. بل هو (مبنوث في مدونات السنة و مصنفاتها المختلفة من مسانيد و سنن و معاجم و جوامع و غيرها , لا يتميز دون سائر أحاديثها في باب مستقل , أو موضع محدد) (125) .

3 - الحديث القدسي و إن كان من كلام الله تعالى إلا أنه لم يقع به تحد و لا إعجاز . فاعتقاد أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله تعالى المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الإعجاز والتحدي المتعبد بتلاوته . فالقرآن معجزة الله عز وجل لنبيه

124 - محمد حمزة: الحديث النبوي و مكانته في الفكر الإسلامي الحديث , ص : 23 - 33 .

125 - عصام الصباطي : جامع الأحاديث القدسية , ج1, ص : 15 .

صلى الله عليه وسلم، وهو منهج سعادة للناس في الدنيا والآخرة، وفيه التحدي للكفار المعاندين من جميع الجهات. قال السيوطي: (كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لأن جبريل أداه بالمعنى ولم تجز القراءة بالمعنى لأن جبريل أداه باللفظ ولم يبح له إحياءه بالمعنى والسرف في ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه وإن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين قسم يروونه بلفظه الموحى به وقسم يروونه بالمعنى ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشق أو بالمعنى لم يؤمن التبديل والتحريف فتأمل) (126).

4 - الحديث القدسي قد يروى (مضافا إلى الله تعالى..) (127)، و تكون النسبة إليه حينئذ نسبة أنشاء (لأنه المتكلم بها أولا) (128) ، فيقال : قال الله تعالى أو يقول الله تعالى ، و قد يروى مضافا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم و تكون النسبة حينئذ نسبة إخبار (لأنه المخبر بها عن الله تعالى) (129) .

5 - الأحاديث القدسية من حيث الرواية أخبار آحاد ، فهي ظنية الثبوت ، و لهذا قد تكون صحيحة أو حسنة أو ضعيفة .

6 - الحديث القدسي (إخبار معناه بالإلهام أو المنام) (130) من عند الله تعالى و لفظه و عبارته من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على أرجح الأقوال ، و حي بالمعنى دون اللفظ ، لذا جازت روايته بالمعنى (.. عند جمهور المحدثين) (131) .

7 - الحديث القدسي فيه تنصيص على أنه بوحى من الله بينما الحديث النبوي قد يكون بالوحي، وقد يكون بالاجتهاد، أي أن الحديث النبوي قسمان (قسم توقيفي) (132) و هو (الذي تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم مضمونه من الوحي .. و هذا القسم و إن كان

126 - السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ، ص : 127 .

127 - محمد المدني : الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية ، ص : 428 .

128 - محمد الإسكندراني : الأحاديث القدسية ، ج 1 ، ص : 8 .

129 - المرجع نفسه ، ج 1 ، ص : 8 .

130 - محمد المدني : الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية ، ص : 429 .

131 - محمد الصادق قمحاوي : الإيجاز و البيان في علوم القرآن ، عالم الكتب ، ط 1 : 2006 م ، ص : 13 .

132 - عبد الله دراز : النبأ العظيم ، ص : 15 .

مضمونه منسوباً إلى الله فإنه - من حيث هو كلام - حري بنسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم , أن الكلام إنما ينسب إلى قائله و إن كان ما فيه من المعنى تلقاه من غيره (133) . أما الثاني فيطلق عليه (قسم توفيقى) (134) و حقيقته تتمثل في كونه قد استنبطه النبي بفهمه في كلام الله أو بتأمله في حقائق الكون (135) . والمحققون من أهل العلم على أن النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد ولكنه لا يقر على خطأ بل ينزل الوحي من الله مصوباً له ومنبهاً , وإذا اجتهد صلى الله عليه وسلم وسكت الوحي عن اجتهاده كان ذلك بمثابة الوحي من الله و(لذلك كان القرآن المجيد يستدرك على رسول الله صلى الله عليه وسلم و يسدد تطبيقاته , كما في نحو قوله تعالى (الأنفال 68/67) (التوبة 43 - 80 - 84) و نحو ذلك مما يؤيد ما ذكرنا من تصديق القرآن المجيد على ما يصدر عن الرسول و هيمنته عليه . و هذا مظهر من مظاهر حفظ الله لنبيه وتسديده له و عصمته له , يعزز من الإيمان بالبيان النبوي , و يزيل عنه سائر الشبهات ..) (136) . فالسنة إذا ليست شيئاً آخر سوى الثمرة الكاملة النموذجية للتوجيه القرآني (137) .

و هذا المخطط البياني يوضح هذه الحقيقة :

133 - محمد الصادق قمحاوي : الإيجاز و البيان في علوم القرآن , ص : 13 .

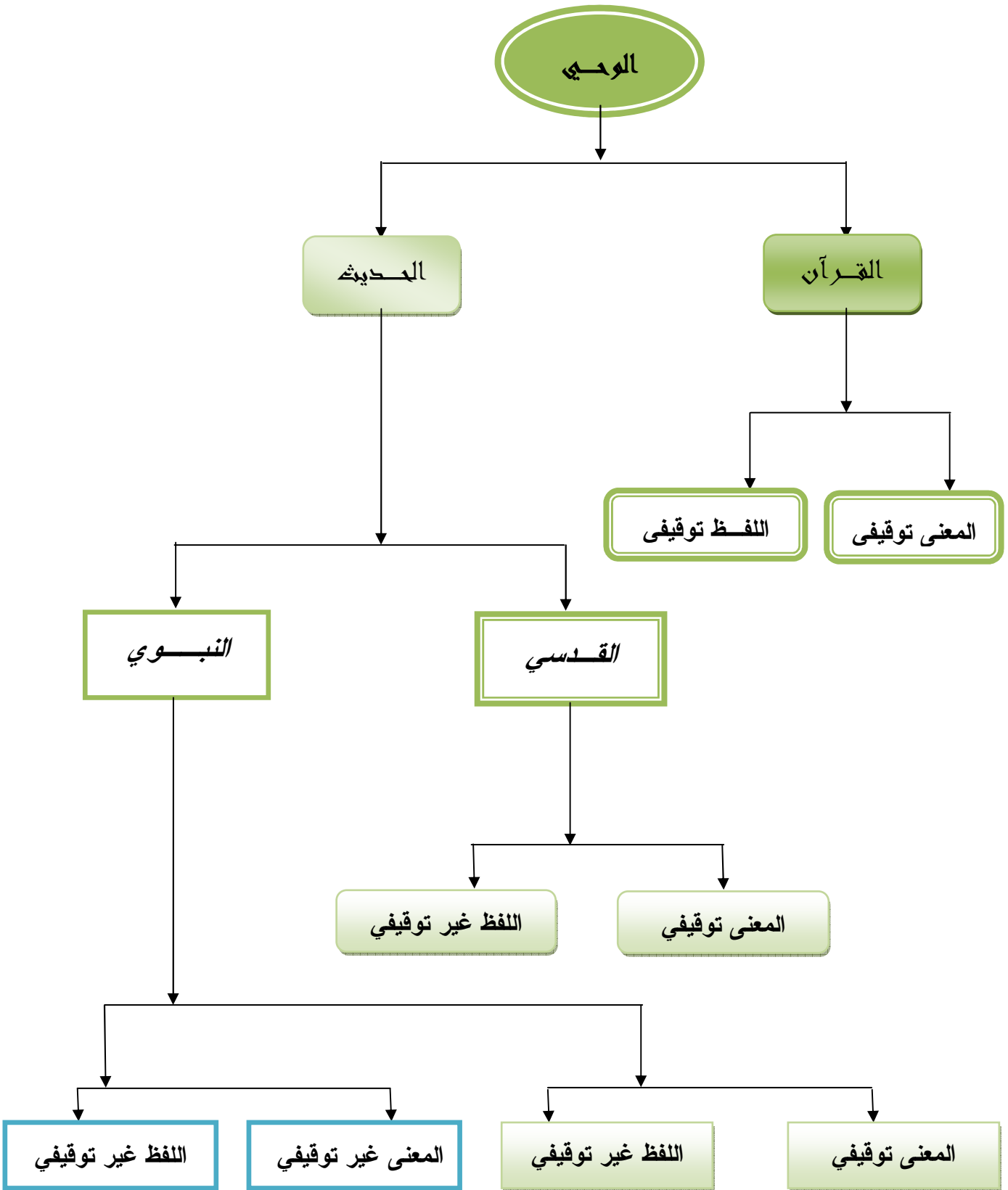
134 - عبد الله دراز : النبأ العظيم , ص : 15 .

135 - المرجع نفسه , ص : 15 .

136 - طه جابر العلواني : السنة النبوية الشريفة و نقد المتون , مجلة إسلامية المعرفة , السنة العاشرة , العدد 39

, شتاء 1426 هـ/ 2005 م , ص : 08 .

137 - سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي و مقوماته , دار الشروق , ط15 : 2002 م , ص : 7 .



و على الرغم مما تقدم فإن الذي يمكن ملاحظته و تسجيله هو (أن الحديث القدسي لم يحظ بعناية الدارسين المعاصرين , فباستثناء عرض بعض التعريفات العامة و هي تعريفات نقل معظمها من كشاف التهاتوي فإننا لا نجد أية إضافة تذكر ..) (138) . سواء أكان ذلك على مستوى الدراية و التنظير و توظيف ما وصل إليه التفكير العلمي المعاصر أو على مستوى الشكل و التطبيق و المقاييس والضوابط التي تؤسس مقارنة علمية و موضوعية بين المتلقي و الخطاب (الحديث القدسي) تسمح و تسهل في الآن ذاته عملية سبر أغواره و كشف مناطقه التي لا تزال تحت الظل دون تردد أو خشية من سلطة الأحكام المسبقة أو الموروثة وضغطها (إذ ما من إمام من أئمة الأصول و الفقه و الاجتهاد إلا و روى عنه أنه قد رد أحاديث صحت عند المحدثين , و قبلها و أخذ بها بعض المجتهدين , في حين ردها مجتهدون آخرون و بنوا عليها خلافهم في المسائل التي تعلق بها) (139) . انطلاقا من هذه الوضعية بكل أسبابها و عللها يجد الدارس نفسه مقتنعا بأن ظاهرة الحديث القدسي - إذا - لا تزال خصبة تطرح على الباحث العديد من القضايا الخطيرة قد يكون بعضها متصلا (.. بإعادة البحث في الأصول التاريخية لهذا النوع من الحديث و النظر من جديد في مفاهيم الوحي التي صيغت في الفترة الإسلامية الأولى و مدى تأثير الأوضاع الاجتماعية و السياسية و الفكرية في هذا النوع من الحديث) (140) . لكننا لا نرغب في هذا المقام أن نثقل على القارئ بذكرنا سائر التفاصيل والمواقف و الحثيات و الملابس المتعددة في المسألة , فذلك ليس من هدف هذه الدراسة، و إنما نود أن نكرس الاهتمام فيها و على وجه الخصوص على وصف البنية الكلية لخطاب/نص الحديث القدسي وتحليلها وبيان علاقاتها , مع تركيز الاهتمام كذلك و بقوة على توضيح أوجه الاطراد والتتابع للآليات التي تصنع اتساقية الحديث القدسي و انسجامه وتناسقه ..

138 - محمد حمزة : الحديث النبوي و مكانته في الفكر الإسلامي الحديث , ص : 34 .

139 - طه جابر العلواني : السنة النبوية الشريفة و نقد المتون , ص : 32 - 33 .

140 - محمد حمزة : الحديث النبوي و مكانته في الفكر الإسلامي الحديث , ص : 34 .

مبادئ الأسلوبية

التمهيد :

اهتم الفكر اللغوي العربي عامة بالبحث في الفعل البلاغي التواصلية اهتماما بينا , سواء أكان على مستوى الخطاب الديني/المقدس أو على مستوى الخطاب غير الديني/الدنيوي , و ذلك يعود إلى أن البيان العربي بالمفهوم الواسع كان منذ بداياته يكتنز معالم الخاصية العربية من زاوية التفكير و التأمل و التدبير , ومن ثمة كانت له القدرة إلى حد بعيد على استخراج إمكانات الذات و إمكاناتها الإنسانية العربية خاصة لحظة تواصلها فنيا بالعوالم الوجودية المتنوعة قولاً جيداً أو كتابة إبداعية , أو حين تتلقى الخطاب الفني و جمالياته فتفاعل معه و تستجيب استحساناً أو استهجاناً محققة في الوقت نفسه روعة التلقي في مستوياتها المختلفة .

هذا , وقد استبانت للدرس البلاغي العربي حقيقة مفادها أن البلاغة مظهر إنساني ذو قيمة كبيرة (قليل يفهم و كثير لا يسام)⁽¹⁴¹⁾ إذ يكشف من خلال آلياته و منهجيته المتميزة عن طبيعة بنية الخطاب الإبداعي و مكوناته الثابتة منها و المتغيرة و عن أسرار الغائرة في أعماق بنية تركيب الخطاب , وما يحدثه كل ذلك في نفسية المتلقي من استجابات متنوعة ذات المستويات المختلفة باختلاف و تنوع هذا المتلقي نفسه عمراً و ثقافة و موقعا اجتماعياً و استعدادات فطرية نفسية و عقلية .. دون إغفال ما للفظلة من إمكانات تؤهلها إلى إيصال المعنى في درجة كبيرة من التأثير في تعبير متميز , هذا انطلاقاً من كون البلاغة على اختلاف تعريفاتها و مفاهيمها تسعى إلى إيصال الدلالة و المقصود إلى المرسل إليه (المتلقي) مخاطبة كلـه في أجمل صورة و أحسنها و ذلك بـ (وضع الكلام في موضعه من طول و

141 - عبد العزيز عتيق : علم المعاني , دار الآفاق العربية , 2004 م . ص : 06 .

إيجاز , و تأدية المعنى أداء واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة , لها في النفس أثر خلاب , مع ملاءمة كل كلام للمقام الذي يقال فيه , و للمخاطبين به)⁽¹⁴²⁾ إن القدرة البلاغية العربية سواء كانت في لحظة إبداعها أو بحثها , كانت منهجية إلى حد بعيد و مستشعرة للكثير من جماليات الخطاب على صعيديه الشعري و النثري , هذا آل بها إلى درك مظهر بلاغي قيم قد يعد روح الخطاب بنوعيه الشعري و النثري , و المتمثل في الأسلوب , الذي عد من أساسيات الدرس البلاغي العربي و أبحاثه , و لهذا وجدناهم يتأملون هذه الظاهرة اللغوية الفنية (الأسلوب) من زاوية كونه نتاج تمازج و تماهي النظام اللغوي بالمولدات الدلالية في إطار النص الإبداعي , و بالتالي تخطى الكثير من القضايا المعرفية و الأطروحات البلاغية القائمة على الجدل العقيم و التي و قفت سنين طويلة أمام تدفق الدرس البلاغي الصرف البعيد عن الصراعات الفلسفية ذات الموروث اليوناني , و مثال ذلك إشكالية العلاقة بين اللفظ و المعنى , وأيهما مقدم على الآخر , و ما الذي يعد أساساً أو فضلة في إبداع الخطاب الجمالي أو إيجاد جماليات الخطاب ..؟

دراسة الأسلوب و الاهتمام بطبيعته و مفهومه و مكوناته و أبعاده في الدرس العربي بدأ , ذلك , يتبلور و يظهر إلى الوجود , وتتضح معالمه منذ القرن 2 هـ , وقد احتضنت هذه الحركية البحثية فضاء مباحث علوم القرآن , و هي تواجه تحديات العصر وقتئذ , في مجال العقيدة الإسلامية التي حاول الكثير من المندسين أن يعكروا صفاءها ببث الكثير من الشبهات و الأباطيل .. في هذا المناخ المبني على أساس المجادلة و المحاججة و جد علماء القرآن أنفسهم أمام تحدي و ضرورة معرفية مفصلية تدعوهم إلى الوقوف سدا منيعاً لمواجهة هذا السيل

142 - عبد العزيز عتيق : علم المعاني , ص : 07 .

العزم من جهة و الوقوف قبالة مصطلح مهم دراسة و دراية وهو (الأسلوب) حتى يحددوا مفهومه و يسبروا غوره , و من ثمة يتعرفوا على أنواعه و أشكاله , إلا أن الموازنة التي وجد باحثو علوم القرآن أنفسهم آيلين إليها , بين النوع الأول المتمثل في أسلوب الخطاب المقدس (القرآن الكريم و كلام الرسول صلى الله عليه و سلم) و النوع الثاني المتمثل في باقي الأساليب الفنية الشعرية و النثرية البشرية لتبيان مدى الفارق البين والمبين بين الأسلوب الإعجازي القرآني و الأساليب البشرية , كل ذلك و غيره دفع الدرس العربي , ابتداء , إلى محاولة الوقوف وقفة معرفية ممنهجة أمام معاني لفظة (أسلوب) و ظلالها الدلالية .

و إذا كانت أهداف العلماء القدماء المهتمين بإعجاز القرآن الكريم مختلفة , بعضها موجه إلى تبيان بلاغة الخطاب القرآني و مدى إعجازه , و بعضها الآخر اهتم بمواجهة الحملة المضادة التي كانت تحفر بقوة في عمق العقيدة الإسلامية لزعرعتها أو تفجيرها .., رغم تباين الأهداف إلا أن جهودهم العلمية أسهمت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في مراكمة الكثير من المفاهيم العلمية و تكديس طائفة من التجليات و اللمسات البيانية التي انصبت في رصيد حقيقة الأسلوب و مفهومه , فجعلته يحظى بالكثير من العناية و الاهتمام ممن جاء من بعد من العلماء و المفكرين الذين اعترفوا بأفضال المتقدمين و الذين نذكر منهم :أبا عبيدة 210هـ , و الأخفش 207 هـ , و الفراء 208 هـ و غيرهم , و ما بذلوه من جهود كبيرة في تجلية دلالة الأسلوب و اغنائه معرفيا و نفض الغبار عن بعض إشكالاته التي حالت دون امتداده في أعماق الرصيد اللغوي العربي عامة .

مفهوم الأسلوب

كلمة (أسلوب) ليست من الألفاظ الغريبة التي لم يعرفها الفكر اللغوي و البلاغي العربي القديم , بل هي من أهم الألفاظ التي ردها المؤلفون قى ثانيا مصنفااتهم بشيء من الألفة مثير , و ذلك لا يدعو إلى العجب أساسا, وهذا لكون الرصيد اللغوي العربي (المعجم العربي القديم) منذ العصر الجاهلي كان يوظف و يستعمل في مواطن دلالية مختلفة كلمة (أسلوب) تحقيقا لرسائل تواصلية غائية متنوعة , لكن (إذا سمع الناس كلمة أسلوب فهموا منها هذا العنصر اللفظي الذي يتألف من الكلمات و الجمل و العبارات , و ربما قصره على الأدب وحده دون سواه من العلوم و الفنون , و هذا الفهم على صحته يعوزه شيء من العمق و الشمول ليكون أكثر انطباقا على ما يجب أن يؤديه هذا اللفظ من معنى صحيح)⁽¹⁴³⁾ يرتقي إلى مستوى ما آل إليه درس اللغوي الحديث , فتغدو كلمة أسلوب جلية الدلالة , مركزة المفهوم , علمية المحتوى , و للوقوف على ذلك , فقد (عرضت حقيبة التراثي اللساني لمفهوم الأسلوب من خلال مستويين :

الأول - المستوى المادي

و الثاني - المستوى الفني .

فأما الأول فإنه يتصل بمفهوم اللفظة في النواحي الشكلية , و أما الثاني فإنه يرتبط بسلوكيات المقولات الكلامية ..)⁽¹⁴⁴⁾ .

أ / - المستوى المادي

143 - أحمد الشايب , الأسلوب , : مكتبة النهضة المصرية , ط7 , 1967 م . ص : 40 .

144 - عبد القادر عبد الجليل : الأسلوبية و ثلاثية الدوائر البلاغية, دار صفاء عمان ط1 2002 م ص : 107 .

فالأسلوب من زاوية اللغة أو المستوى المادي ، يقصد به : عند الزبيدي في تاج العروس (السطر من النخيل ، والطريق يأخذ فيه ، و كل طريق ممتد فهو أسلوب ، و الأسلوب الوجه و المذهب ، يقال هم في أسلوب سوء ، و يجمع على أساليب ، و قد سلك أسلوبه : طـريقته و كلامه على أساليب حسنة ، و الأسلوب بالضم : الفن ، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين فيه)⁽¹⁴⁵⁾ ، أما ما تعنيه عند الفيروز أبادي فهي : (الطريق)⁽¹⁴⁶⁾ و هي عند الفخر الرازي في معجمه مختار الصحاح تدل على (الفن)⁽¹⁴⁷⁾ ، أما إذا عرجنا إلى واحد من أهم المعاجم العربية ثراء و دقة علمية ، وهو (لسان العرب) نلقى كلمة أسلوب قد وضعت تحت مجهر العناية و الاهتمام من قبل ابن منظور الذي سجل جملة من الإشارات الدلالية ، خطها أحمد الشايب في كتاب (الأسلب) مؤكدا فيها أنه) .. يقال للسطر من النخيل أسلوب ، و كل طريق ممتد فهو أسلوب ، و الأسلوب : الطريق ، و الوجه و المذهب ، يقال أنتم في أسلوب سوء ، و يجمع على أساليب ، و الأسلوب الطريق تأخذ فيه ، و الأسلوب : الفن ، أخذ فلان في أساليب من القول ، أي أفانين فيه)⁽¹⁴⁸⁾ . هذا ، وقد تناول الزمخشري في كتابه (أساس البلاغة) لفظة أسلوب قلبها من جميع جوانبها حتى يرصد ، استقراء ، الثابت من معاني هذه الكلمة و المتغير منها ، فعند الزمخشري : (سلبه ثوبه ، وهو سلب ، و أخذ سلب القتل و أسلوب القتلى ، و ليست الثكلى السلاب ، و هو الحداد ، و سلبت ، و سلبت على ميتها فهي

145 - الزبيدي : تاج العروس ، بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع. ص : 302 .

146 - الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، مادة (سلب) المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت - ، ص :

. 86

147 - الرازي : مختار الصحاح ، مادة (سلب) ، مكتبة لبنان - بيروت - ، ص : 130 .

148 - أحمد الشايب : الأسلوب ، ص : 41 .

مسلب , و الإحداد على الزوج , و السليب عام , و سلكت أسلوب فلان :
طريقته , وكلامه على أساليب حسنة . من المجاز : سلبه فؤاده , و عقله , و
استلبه , و هو مستلب العقل , و شجره سليب , أخذ و رفقها و ثمرها , و شجر سلب ,
وناقية سلوب : أخذ ولدها , و نوق سلتب , ويقال للمستكبر : أنفه في أسلوب إذا
لم يلتفت يمناً أو يسرة)⁽¹⁴⁹⁾ , إن الذي يدعوننا أن نقف عنده ,
بعد كل ذلك , هو أنه يبدو واضحاً أن (... السجل اللغوي في معاجم
اللغة مقتربا من رؤية الأسلوب الاصطلاحية من حيث درجة التمازج اللغوي في
النفس الإنسانية , ودوران الأسلوب .. أو المتجه حول محورها)⁽¹⁵⁰⁾ .

إن التفاتنا إلى المعنى المعجمية لكلمة أسلوب نريد منها أن تصب في إطار ما
أداه محمد عابد الجابري في قوله : (وإذن , فنحن عندما نرجع بكلمة من الكلمات
العربية إلى معناها اللغوي , مستدين في ذلك إلى المعاجم القديمة ...فإننا نرجع بها في
الحقيقة إلى مجالها التداولي الأصلي , أي إلى الحقل المعرفي الخاص الذي ظلت اللغة
العربية الفصحى تحمله معها عبر العصور ..)⁽¹⁵¹⁾

إن الذي يجب أن نحفظ به انطلاقاً من كل ما سبق هو أن (الأسلوب) في إطاره
المرجعي اللغوي الأصلي يفيد : (السطر - الطريق - المذهب - الوجه - الفن
..) .

ب / - المستوى الفني

هذا لا يعني أن لفظة (أسلوب) ذات متصور واحد في ذهن الكتاب

149 - الزمخشري : أساس البلاغة , مادة (سلب) , دار المعرفة - بيروت , ص : 217 .

150 - عبد القادر عبد الجليل : الأسلوبية و ثلاثية الدوائر البلاغية , ص : 105 .

151 - محمد عابد الجابري : بنية العقل العربي , مركز دراسات الوحدة العربية , ط6 , 2000م . ص : 15

و النقاد و اللغويين العرب القدماء , بل هي تختلف من واحد إلى آخر , لكن الذي يدعونا إلى الإشارة إليه, و نحن بصدد بحث التصور العربي البلاغي القديم لمفهوم الأسلوب , هو أن هذه الكلمة لم تستعمل مبنى و معنى كمصطلح معرفي نقدي في مواجهة أنواع الخطابات الفنية الخاصة , و إنما الفحوى و المضمون الدلالي للأسلوب كان متمركزا بنسب متفاوتة وضوحا وغموضا في المتصور النقدي البلاغي و اللغوي العربي دون أن يكون ملتحما بلفظة الأسلوب (فلم يعرف الأسلوب عند البلاغيين و النقاد العرب القدامى بهذا الاسم و إنما تحدثوا عن الصياغة و الجمال ..)⁽¹⁵²⁾ . وإذا أردنا أن نضرب مثلا لذلك لوجدنا الجاحظ 255 هـ قد تحدث عن مفهوم الأسلوب انطلاقا مما هو سائد من ثقافة في عصره , و في الوقت نفسه حاول توظيف مفهوم الأسلوب في ممارساته المعرفية التي هي في حاجة ماسة لهذا المصطلح البياني و النقدي , ولهذا نجده يؤكد أن (المعاني مطروحة في الطريق.. و ضرب من التصوير)⁽¹⁵³⁾ , هذه العبارة قد نفتت في روع بعض الدارسين أن الجاحظ منتصر للفظ على حساب المعنى , وهذا طبعا — حسب بعض الدارسين — غير صحيح , لأن استقراء المعطيات التي بثها الجاحظ نفسه في كتابه (الحيوان) تفند ذلك الزعم , فقد كان حقيقة نصيرا للأسلوب كمفهوم جامع بعيد عن رصف الألفاظ و ترتيبها ترتيبا تراكميا .. فقد اعتبر أن إعجاز القرآن في نظمه , أما ما يتعلق بالمعاني و الدلالات فهي الروح التي إذا ما حلت في جسد اللفظ دبّت فيه الحياة و أخرجته خلقا جديدا .

لم يكن الجاحظ الوحيد الذي لم يذكر كلمة الأسلوب صراحة , و إنما أشار إليها من خلال المفهوم و الدلالة , بل القاضي الجرجاني 366 هـ نحى المنحى نفسه و هو يسعى إلى تأصيل المنهج و الطريقة التي تفعل الإبداع الشعري و تناغمه وفقا لمقتضيات الحال و المقام (و لا أمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحدا , و لا أن

152 - محمد عزام : المصطلح النقدي , دار الشرق العربي , بيروت , ص : 35 .

153 - الجاحظ : الحيوان , مطبعة الحلبي , ط1 , 1357 هـ.. ج 3 ص : 171 .

تذهب بجميعة مذهبه بعضه , بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني, فلا يكن غزلك كافتخارك , و لامديحك كوعيدك , و لا هجاؤك كاستبطائك , و لا هزلتك بمنزلت جدك , و لا تعرضك مثل تصريحك , بل رتب كلا مرتبته , و توفيه حقه , فتلطف إذا تغزلت , و تفخم إذا افتخرت ..فإن المدح بالشجاعة و البأس يتميز عن المدح باللباقة و الظرف , و وصف الحرب و السلاح ليس كوصف المجلس و المدام , فكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به , و طريق لا يشاركه الآخر فيه (154) , هنا يجد الدارس نفسه قبالة سؤال مفصلي وهو : متى استعمل لفظ (الأسلوب) مبنى و معنى ؟ و هل كانت دلالته و حدوده المعرفية معلومة و واحدة عند كل واحد من علماء اللغة و البلاغة و النقد ؟

ابن طباطبا العلوي 322هـ

بحثنا عن مفهوم الأسلوب عند البلاغيين القدامى يجعلنا نقف أمام واحد من الأوائل الذين حاولوا جهدهم أن يلتمسوا للأسلوب تعريفا و حدا علميا, ينقله من الاستعمال الارتجالي أو اللغوي المحض إلى التوظيف العلمي البلاغي , وذاك رغم عدم تسميته لفظا بـ (الأسلوب) , نعني بمن قام بهذا الجهد الجليل ابن طباطبا العلوي 322هـ , وهو بصدد الحديث عن طريقة الشاعر و منهجيته إذا رغب في إبداع نص شعري , نبهه و بوضوح إلى أن (المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه فكره نثرا , و أعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه و القوافي التي توافقه , و الوزن الذي يلبس له القول عليه , فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي

154 - القاضي الجرجاني : الوساطة , مطبعة عيسى البابي الحلبي . القاهرة , 1966 م . ص : 24 .

يرومه أثبتته , و اعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر و ترتيب لفنون القول فيه بل يتعلق كل بيت يتفق نظمه , على تفاوت ما بينه و بين ما قبله , فإذا كملت له المعاني , وكثرت الأبيات وفق بينها بأبيات تكون نظما لها و سلكا جامعا لما تشتت منها)⁽¹⁵⁵⁾ , هذه المحطة توصل لنا مجموعة من القضايا منها : أن الأسلوب في تصور ابن طباطبا هو أساس الإبداع الشعري , لأنه في عمقه جماع و نتاج في آن بين الرؤية التصويرية التي يعتقدها المبدع (الشاعر) بجميع أبعادها و نوعية الكفاءة و الاحترافية ذات المكونات المتنوعة لغوية و إيقاعية و جمالية , كل ذلك يدعوه إلى أن يتأمل - و من خلاله - الإنسان و الكون و الحياة .. و من خلال ذلك يستشعر أنه بصدد تأدية رسالته في تجانس رفيع يراعي الرؤية و القناعة و ما ينتظره المتلقي و يبتغيه .

يقوم مفهوم الأسلوب , مرة أخرى , عند ابن طباطبا , الذي يتسم بالجودة و الفنية , على قواعد أصيلية فنية منها أساسا المجانسة و المطابقة بين كل من اللفظ و المعنى , ربط الأبيات بعضها بعضا ربطا عضويا , و انتهاء بالتوفيق بين القوافي و الأبيات , تحقيقا لخصائص نظم الشعر , حتى يبدو في أجمل حلة جمالية أنيقة , هذا طبعاً لا يتأتى إلا بالحنق و التفنن في صناعة الأسلوب و السيطرة على أدواته الإجرائية و آلياته فيكون شأنه شأن (..النساج الحانق الذي يوفق و شبه بأحسن التوفيق و يسديه و ينيهه)⁽¹⁵⁶⁾ . و إذا كان ابن طباطبا أكد ضرورة الملاءمة بين مواد الشعر و مكوناته و صهرها بحيث تبدأ بناء فنيا واحدا متماسكا , إلا أننا نجدده يشير بشيء من المصارحة إلى ميزة ضرورية تعد من المكونات

155 - ابن طباطبا : عيار الشعر , دار العلوم للطباعة و النشر , ط1 , 1985 م . ص : 11 .

156 - المرجع نفسه , ص : 11 .

الأساسية - في نظره - لبنية الأسلوب و المتمثلة في التجربة الشعرية التي تظهر أساسا على أهم مستوى من مستويات الإبداع , وهو مستوى المبدع نفسه , و من ثمة يحدث التجاوز و التعدي إلى مستوى المتلقي جراء تأثره بما يستقر عنده و يتلقاه من إحياءات و إمتاعات و إشراقات يستجيب لها طبعه و تتقبلها مداركه , فيطفو إلى السطح ما كان دفينا من تجارب و ذكريات .

و حتى يحقق المبدع الاستجابة المرغوبة من المتلقي قد يعمد إلى انتقاء بعض التجارب الإنسانية التي يستمدّها من واقع المتلقي المعيش باختلاف مستوياته و ظروفه ليوافق من خلالها بين صدق تجربته و تجربة المستمعين المستهدفين , لهذا نرى الشاعر المبدع يوظف بفتية و يستعمل في حذر شديد خبرات المتلقين في أشكال تخيلية متنوعة و صور استعارية مؤثرة , و هذا الذي حوصله ابن طباطبا عادا إياه خاصية أسلوبية تدعو المبدع (الشاعر) إلى الصدق الفني و الفعالية في بناء النص الإبداعي صورا و تركيبا , و لن يحقق ذلك إلا إذا كان على درجة عالية من تلوين الأساليب و التفنن فيها .

في تحديده لأهم خصائص الأسلوب و ضبطها لم يقف ابن طباطبا عند ما سلف ذكره فقط , و إنما أضاف ميزة أساسية أخرى تسهم إلى حد بعيد في جعل الأسلوب ظاهرة لغوية فريدة ذات منطلقات و اعية و غايات مقصودة , فالشاعر المبدع مطالب بضرورة المراجعة و الانتقاء لما نسجه على صعيد الألفاظ , فيغير كلمة غير مألوفة بأخرى مستأنسة أو على صعيد التراكيب و الأحياء الأدبية , فيستبدل تركيبا مغلقا بآخر سهلا واضحا , أو يبعد صورة بيانية مكرورة و متداولة

بأخرى فيها جدة و جاذبية أكثر .. هذا , و لأن ما يبدعه الشاعر له غائية يريدنا و مقصدا يبتغيه و هو أن يؤثر في المتلقي و يوصل رسالته إلى السامع ببنية جلية ..

عبد القاهر الجرجاني 471 هـ

تنمو النظرة إلى الأسلوب في التراث البلاغي العربي و تتعمق مع ما طرحه عبد القاهر الجرجاني , فمن خلال ما سجله فيما بين أيدينا من أهم مؤلفاته , ألفيناه يساوي بين الأسلوب و النظم , فرؤيته للنظم و فهمه له لا يبعد الأسلوب و لا يفصله , فهما في نظره يشكلان تنوعا لغويا في وحدة , ولكنه خاص بكل مبدع , وفي الوقت نفسه ينبثق عن إرادة واعية و اختيار دقيق مسوول , ولهذا عد عبد القاهر الجرجاني الأسلوب ضربا و نوعا من النظم و طريقة متميزة فيه .

إن الذي أضافه عبد القاهر الجرجاني كزيادة نوعية و فنية على ما أسسه سابقوه من كون الأسلوب يقتضي من المبدع أن يحسن اختيار الكلمة التي يفرضها التفرد الذاتي و الانتقال الإرادي من اللغة مراعيًا في ذلك حال المتلقي و ملابساته الموضوعية و الذاتية , ما أضافه عبد القاهر الجرجاني على ذلك يعد ركنا ركينًا في تأصيل نظرية أسلوبية متزنة و متكاملة , إذ نجده يقرر أن الأسلوب يقوم في الأساس على الأصول العربية و قواعدها , لأن النظم يفقد رونقه و يتحلل نقاءه و ينغلق معناه إذا ناء عن مقتضيات النحو و لم ينضبط بضوابطه , , وهذا ما نجده جليا واضحا في كتابه (دلائل الإعجاز) في قولته (و أعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الذي

يقتضيه علم النحو . و تعمل على قوانينه و أصوله ، و تعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها (157) . وعلى هذا فإن النظم لا يقوم إلا على أساس قواعد النحو العربي ، ليس من زاوية كونه أداة إجرائية يتحقق بها الأسلوب تركيبيا في نسقه الإعرابي العام ، و إنما لكونه المفتاح الذي به تزول أقفال ما استغلق من المعاني ، فالكلمة مغلقة على نفسها حتى تدفع بابها يد الإعراب ، و إذا استقر هذا المفهوم في أعماق المبدع و تشربيه كيانه صار الأسلوب طيعا في يده ، يستجيب لأوامر المبدع متى شاء و كيفما أراد ..

تأكيد عبد القاهر الجرجاني ضرورة الانضباط بضوابط روح النحو العربي و الالتزام به تحقيقا لمفهوم النظم ، فإنه في الآن نفسه ينبه بشدة إلى ضرورة النسج على طريقة خاصة تميز مبدعا عن مبدع آخر و تفرق بينهما ، و لهذا يتميز الأسلوب عند عبد القاهر الجرجاني و يقوم بذاته مقارنة بغيره من الأساليب إذا كان منشئه و صاحبه متميزا أساسا بنظمه عن غيره من المبدعين و الأدباء ، و هذا ما يدعو إلى القول أن هذه الرؤية لا تحيد عن نظرية الجرجاني للنظم التي يؤكد فيها التزام مقتضيات معاني النحو في التأليف و الإبداع ، فالكلام الحسن و التأليف الفني و ليد ترتيب المعاني في النفس أولا بطريقة مخصوصة ، تراعى فيها حال الموجه لحصول التجانس و الانسجام ، و (.. قد أعانته على ذلك عمق

157 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، دار الكتاب العربي ، ط 3 ، 1999 م ، ص : 77 .

إحساسه بفكرة النظم و جوهره ..) (158) التي تتوخى في جمالية فنية دلالات النحو و مقتضياته وفقاً لأصوله و قوانينه و ضوابطه .
و من الضروري الإشارة إلى أن مفهوم الإعراب عند الجرجاني لا يقف حده عند معنى موقع الكلمة أو الجملة رفعا و نصبا و جرا .. و إنما يتخطاه إلى المفهوم الدلالي الذي تفرضه فصاحة المخاطب و عبقرية البليغ , و لذا فإن نظرتة إلى الإعراب لا تقف به عند الجانب الشكلي الذي بنية الإعراب لاحقا عليه في الاهتمام بقواعد الإعراب , بل يرى الإعراب أنه منظومة علمية يقصد بها التأسيس لفهم يساعد على إدراك و استيعاب معنى المعنى , و من ثمة نجده قد قفز(.. بالقواعد النحوية قفزة نوعية خلصت النحو العربي من أسرار الأحكام الوظيفية الجافة (...)(159) .

إن الحضور الذهني و الاستعمال المنطقي و الفني للغة من مرجعيات التأسيس لنظم يتوخى — على حد تعبير الجرجاني — معاني النحو . و لهذا فالإبداع عنده لا يتحقق دفعة واحدة و إنما ينتج عبر جملة من المراحل المبنية على الحس الجمالي المرهف و الوعي العميق و الإدراك الفعال يقوم بنسجها و تنسيقها الأسلوب في تنظيم فني انطلاقا من الصور الذهنية المتعلقة بالمعنى و المبنى , وصولا إلى مرحلة مخاطبة السامع /المتلقي و (..من أجل ذلك حاول أن يفرق بدقة بين مزية في ((المعنى العام)) الناتج من العلاقات التي تربط الكلمات في داخل الجملة , و أخرى في ((النظم)) (...)(160) , و هنا يطلب من المبدع شاعرا كان أم ناثرا , أن يحسب لحالة المتلقي ألف حساب لأن النظم الناجح مبني على أساس الروية و التفكير , و هذا تجسيدا للرؤية المؤسسة على

158 - تامر سلوم : نظرية اللغة و الجمال في النقد العربي , دار الحوار , ط 1 , 1983 م , ص

. 115:

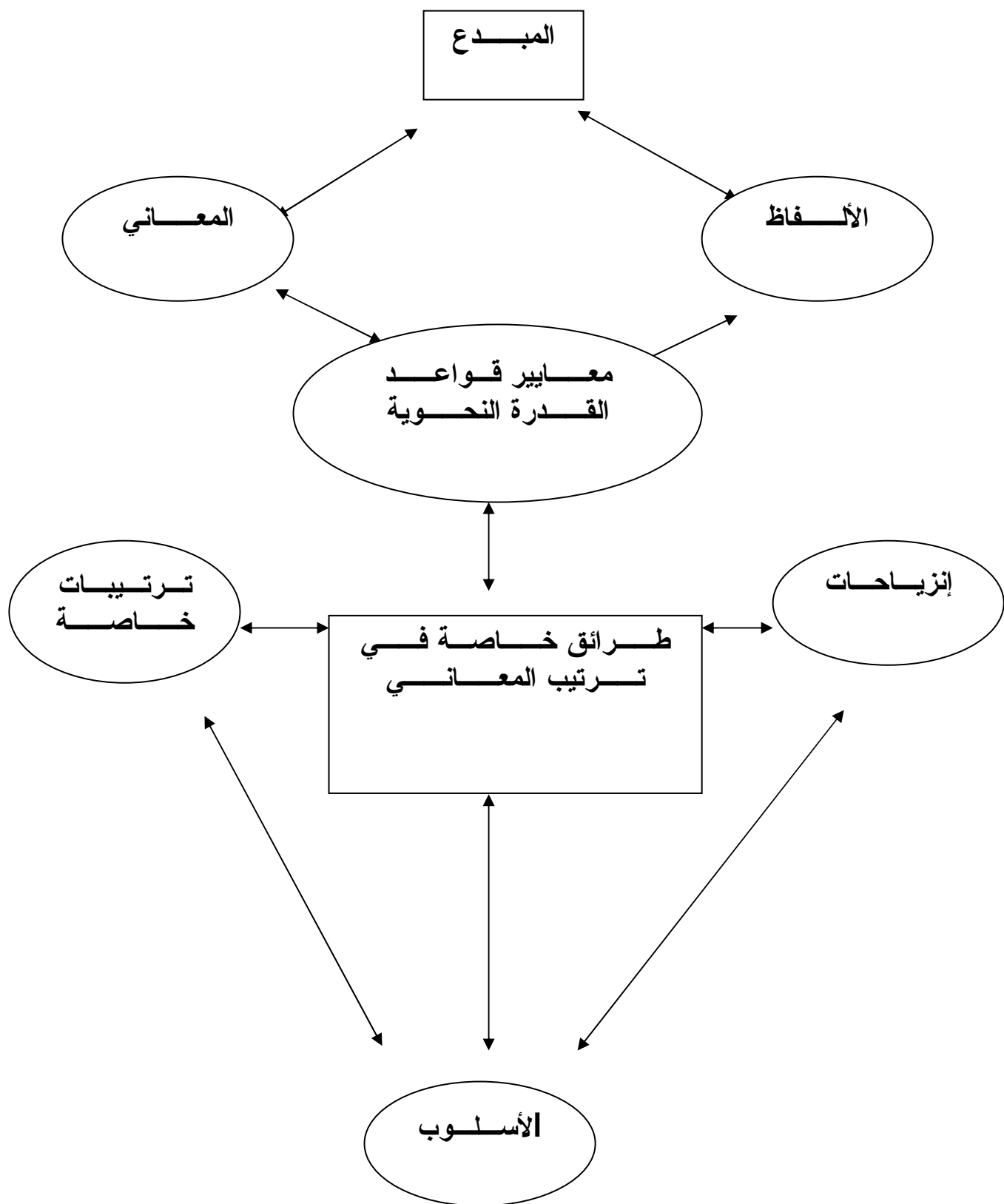
159 - مجلة اللغة و الاتصال , كلية الآداب جامعة وهران , العدد 01 رمضان 1426 هـ أكتوبر 2006 م , ص : 86

160 - تامر سلوم : نظرية اللغة و الجمال في النقد العربي , ص : 118 .

أن النظم يقوم على ثلاثة أثلاث أساسية , أولا .. استحضار الفكرة وثانيا .. تمثيلها و النطق بها و ثالثا .. وضع حالة المتلقي في الحساب .

عند هذا الحد نستطيع أن نقول أن الأسلوب القوي و الرصين و البليغ عند الجرجاني مستوحى من الترتيب الذهني المحكم , و الإخراج المبدع الفني , مع مراعاة مقتضيات الحال و المقام و بالتالي فجمال الكلمة و حسنها أو عكسها لا يعود لذاتها معنى و مبنى , بل هذه المفاضلة تتحقق في نجاح انطلاقا من سياق الكلام . و لهذا يكون الجرجاني قد تجاوز عصره , و خلاف سابقيه المعتقدين بفصاحة اللفظة المفردة وجمالها , و شاطر من ثمة الطرح الألسني البنيوي المعاصر , الذي ذهب إلى أن جمال الكلمة لا يتحقق إلا في نسقها , و بذلك تتضح لنا رؤية الجرجاني , و هو يبحث في مسألة النظم , في أن الأسلوب يتأسس على توخي معاني النحو , لأن في طلب هذه الأخيرة تحقيق لجمال الأسلوب و تفرد في الصياغة و القوة في الصناعة .

و إذا رغبتنا في رسم فلسفة الجرجاني تجاه الأسلوب بيانيا و ضبط رؤيته له , فلا شك أنها (.. تتصل بشكل مباشر بالنظم , و يمكن متابعة مؤشرات الرؤية البنيوية التالية للوقوف على حدود التصور , و منظورات المرسلات اللسانية , و تفاعلاتها داخل أقران الإنتاج الأسلوبي :



انتشر بعد الجرجاني فهم وشاع مفاده : إن مفهوم الأسلوب خاضع لمعاني النحو , إلا أن ابن خلدون لم يقف عند الذي وصل إليه الجرجاني وحققه و أرساه فقط و إنما اعتبر النحو و البلاغة و العروض علوم آلات تعمل جميعها على تغذية سلوك الأسلوب كما يسميه هو , هذه الرؤية لا تعارض ما طرحه الجرجاني أو لا تبطل مفعوله , لكنها تعكس في شيء من الموضوعية طبيعة عصر ابن خلدون الميال إلى التقعيد الذي نزعت إليه العلوم اللغوية في زمانه . لقد ذهب ابن خلدون إلى أن الأسلوب عند أهل الصناعة هو (عبارة عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القوالب التي يفرغ فيها , و لا يرجع على الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة البلاغة و البيان , و لا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه أي هو وظيفة العروض , فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية)⁽¹⁶¹⁾ التي تتجاوز الإحاطة بالعلوم المذكورة وتتعداها , لأن الشاعرية لا تقوم عند المبدع بإدراك هذه المعارف, فقد وجدنا الكثير من الشعراء لا يحيطون بها إحاطة كاملة , و مع ذلك يحسنون إبداع النص الشعري , كما أن الإحاطة بهذه الأدوات لا تصنع بالضرورة شاعرية , لكن و رغم ذلك , فإن مدارسها و استيعابها يؤسس لمشروع شاعر ذي ملكة تطبع ذوقه انطلاقاً من التعمق في معارفها و التمرن على أساليب و طرائق هذه العلوم فهما و حفظ و ممارسة .

إن هذا الطرح التأصيلي الذي عالج من خلاله ابن خلدون مسألة الأسلوب يدفعنا إلى أن نسوق هذا السؤال الآتي : ما وظيفة العلوم الثلاثة إذا كانت الصناعة الشعرية ليست

161 - ابن خلدون : المقدمة , دار الرائد العربي , بيروت , ط5 , 1982 م . ص : 352 .

وليدة عطائها؟ ما الأسلوب — عند ابن خلدون — إذا اعتبرنا أن العلوم الثلاثة أساسية في صناعة الأسلوب؟ .

في كتابه (المقدمة) سجل ابن خلدون بعناية أن الوظيفة الشعرية أو الصناعة الشعرية (ترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة باعتبار انطباقها على تركيب خاص، و تلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب و أشخاصها و يصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرض باعتبار الإعراب والبناء، فيرصها فيه رصا كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام) (162).

و من هنا ندرك أن ابن خلدون يرى أن وظيفة الأساليب الشعرية هي بداية استيعاب العلوم في عمقها، فهما و إدراكا، ثم اختيار الذي يناسب التركيب الخاص بالشاعر انطلاقا من الصور الذهنية التي يحملها مراعين في ذلك القدرات اللغوية و الإبداعية.

حسب تصور ابن خلدون فإن الأسلوب صورة ذهنية و تصور عقلي يسري في النفس كلها و يتخلل الذوق في أعماقه و هو مبني أساسا على الدربة الجادة و المنظمة النابعة من القراءة الواعية و الإيجابية للنصوص الإبداعية المتميزة بأبعادها الجمالية الأصيلة، و من خلال تمازج هذه الخطوات كلها و تفاعلها بقدر تولد التراكيب و تتآلف في أشكال متناغمة فنية تنعت عادة بـ (الأسلوب) يكون الأساس الأول فيها اللغة التي هي الأداة المثلى لتشكيل الصورة الذهنية (الأسلوب).

إن الوظيفة الشعرية للأسلوب لا تتحقق فعلا إلا بالتوفيق بين التراكيب النحوية و البلاغية من جانب و الذوق الفني من جانب آخر، و بهذا يكون ابن خلدون في مذهبه هذا و هو يناقش مسألة الأسلوب قد اقترب إلى حد بعيد إلى الطرح الأسلوبية المعاصر الذي يعرف

162 - ابن خلدون : المقدمة ، ص : 353 - 354 .

الأسلوب على أنه (إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع) لتحقيق مبدأ و أس التركيب و الإنزياح .

ما ننتهي إليه — بعد هذا الرصد السريع لمفهوم الأسلوب في التراث البلاغي العربي القديم — هو أن هناك اختلاف بين الأطروحات التي نزع إليها كل مفكر ممن سلف ذكره , فـ: *ابن طباطبا* مثلا ربط مفهوم الأسلوب بصفة مناسبة الكلام بعضه ببعض , انطلاقا من كون أن الأسلوب داخل النص الشعري يتحقق إذا كملت له المعاني و انسجمت أبياته في لحمه و ووحدة عضوية , أما *الجرجاني* فقد أخضع الكلام إلى مقتضيات علم النحو ليحقق صفة النظم , لأن النظم ما هو إلى وضع الكلام الموضع الذي يقتضيه علم النحو , و في مقابل ذلك نجد *ابن خلدون* قد اعتبر الأسلوب صورة ذهنية وظيفتها مطابقة التراكيب المنتظمة على التركيب الخاص , لأن الصناعة الشعرية التي تعني عنده (الأسلوب) ترجع في الأساس إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص , رغم هذا التباين الإيجابي لكونه مكمل بعضه بعضا إلا أن الملاحظ أنهم أجمعوا — أو كادوا — على أن الأسلوب توفيق فني بين أطراف الكلام , سواء بالملاءمة في الأسلوب أو توخي مقتضيات المعاني النحوية .

الأسلوب عند بعض المحدثين

ينزع معظم الدارسين المحدثين المهتمين بالدرس اللغوي و الأبحاث النقدية إلى تأكيد أن الأطروحات اللسانية لـ : *دي سوسير* ذات أثر كبير في بلورة المناهج النقدية النسقية و انتشارها بقوة في شتى الحقول المعرفية اللغوية و الأدبية , كما أن انتهاجها للوصف و التحليل في مقاربتها للنصوص الأدبية عامة , و ابتعادها عن المعيارية و محاكاة الأعمال الإبداعية انطلاقا

من أحكام نابغة في غالب الأحيان مما تمليه المؤثرات الخارجية و الموروثات الثقافية و سياقاتها على النقاد و الدارسين , سواء أكانت هذه السياقات اجتماعية أو أيديولوجية أو نفسية أو أنثروبولوجية أو تاريخية أصبحت بادية للعيان ..

هذه النقلة النوعية في مقاربة النصوص الأدبية و التعامل معها وفقا لمقتضيات الرؤية النقدية النسقية , كل ذلك تجلى بوضوح انطلاقا من مطلع القرن العشرين بحيث غطى و احتوى شتى المناهج النقدية المعاصرة .

من حيث السبق الزمني فإن كلمة (أسلوب style) سابقة لكلمة (الأسلوبية stylistique) في الظهور . فالكلمة الأولى ارتبطت منذ القدم في الثقافة العربية بالبلاغة , في حين خرج إلى الوجود مصطلح (الأسلوبية) حديثا جراء الثورة الكبيرة التي و لدتها الدراسات اللسانية لـ : سوسير و أحدثتها في مطلع القرن العشرين (فقد ظهرت خلال القرن التاسع عشر ... لكنها لم تصل إلى معنى محدد تقريبا إلا في أوائل (القرن العشرين) و كان هذا التحديد مرتبطا بشكل وثيق بأبحاث علم اللغة)⁽¹⁶³⁾ , و هو بذلك يكون قد انفصل عن مفهوم (الأسلوب) السابق الذي كان سائدا منذ قرون , تغذيه الدراسات البلاغية حتى صار لصيغا بها , لكن رغم ذلك , فإن الأسلوب بمفهومه الأولي يبقى المهاد الطبيعي الذي تطور منه المفهوم إلى (الأسلوبية), لأنه يقوم أساسا على قاعده الانتقاء و الاختيار للمادة الأدائية بكل طاقاتها الكامنة فيها , ليقوم الدرس الأسلوبي فيما بعد بمهمة تحليل هذه المادة الأدائية بروية معرفية أسلوبية صرفة , ثم تصنيفها حسب جمالياتها الفنية .. ولهذا اتخذت الأسلوبية لغة الخطاب حقلا للدراسة و الاستقراء منهجا به تلج عوالم النص فتصبر غوره و تستنطقه .

163 - أحمد شامية : في اللغة دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية , دار البلاغ - الجزائر

- ط 1 , 2002 م , ص : 127 .

إن المميزات الجمالية الفنية التي تجعل نصا ما مغايرا لآخر و تفرق بين كاتب و آخر , من خلال اللغة الحاملة للدقات النفسية و الخلجات الوجدانية من الأمور التي تبحثها الأسلوبية , انطلاقا من جملة هذه الأمور جميعا تتجلى الفوارق الإبداعية و الفنية إذ من خلالها يستطيع الأسلوبى التمييز في وضوح بين إبداع و إبداع , واضعا في حسبانها اللغة الحاملة لهذا الإبداع , وعليه فالأسلوبية تسعى إلى إيجاد الإجابة الشافية عن السؤال : من خلال اللغة كيف يكتب المبدع نسا أدبيا ؟ لأن متلقي النص الإبداعي يستحسنه انطلاقا من لغته أو يستهجنه من خلالها كذلك , كما أن انجذاب السامع للجماليات الفنية التي يحتضنها النص الفني يعود إلى اللغة التي كتب بها , و لا سيما الكيفية التي أخرج بها المبدع هذه المادة الخام (اللغة) من حيز الوجود بالقوة إلى مجال الوجود بالفعل مشحونة بطاقة فسيفسائية نفسية و فكرية و ثقافية ...تعمل في وحدة متجانسة محققة المتعة و الجمالية لدى المتلقي السامع جملة واحدة , و لكن بدرجات متفاوتة تسهم في بلورتها معطيات موضوعية و ذاتية قد يكون المبدع و المتلقي غير متلبسين بها أو مسئولين عنها ..

لقد تبنت الأسلوبية في منهجها الطرح القائم على أساس النسقية و ذلك ابتداء من رائدها شارل بالي (فمنذ سنة 1902م كدنا نجزم مع شارل بالي أن علم الأسلوب قد تأسست قواعده النهائية مثلما أرسى أستاذه ف . ديسوسير أصول اللسانيات الحديثة)⁽¹⁶⁴⁾ , منذ أن وضع شارل بالي قواعد الأسلوبية المبدئية , راحت الدراسات النقدية تغير مجرى تعاملها مع الآثار الأدبية و ذلك باعتمادها مقاربة النسق المغلق المتمثل في النص , و الغوص في مكنوناته استقرائه من خلال لغته الحاملة له , مع إبعاد كل ما له صلة بالسياقات الخارجية و إصدار الأحكام المسبق المعيارية.

¹⁶⁴ - عبد السلام المسدي : الأسلوبية و الأسلوب , الدار العربية للكتاب , ط2 , 1982 م . ص : 20 .

بشكل عام تعتبر الأسلوبية منهجا قائما بذاته يهتم بدراسة النص و قراءته و مقارنته انطلاقا من لغته الحاملة له و ما تقدمه من بدائل أسلوبية و خيارات في شتى المستويات : الصوتية و الصرفية و التركيبية و الدلاليةبعيدا عن إملاءات المؤلف و صلته المباشرة بالنص نظرا لكون المناهج النسقية تضرب صفحا عن السياقات في مقاربتها للنصوص الإبداعية .

تسعى الأسلوبية إلى ملامسة و رصد مكن الجمال الفني في الآثار الأدبية و ما تتركه من آثار في نفسية المتلقي , عندما تعلق هذه النصوص الإبداعية عن اللغة المباشرة النفعية , إلى لغة غير مباشرة إبداعية فنية تعتمد الإيحاء و التلميح , و رغم كل ذلك (الأسلوب الوسيلة البيانية للكتابة تتحقق على المستوى الفردي 'كما تتحقق على المستوى الجماعي بل و تتمايز المراحل التاريخية للفرد أو العصر)⁽¹⁶⁵⁾ من بقعة جغرافية إلى أخرى بحسب التركيبة الثقافية و النفسية و الفكرية .. لكل تجمع إنساني .

و ترمي الأسلوبية كذلك باعتبارها منهجا نسقيا إلى محاولة مقارنة الأساليب اللغوية للمبدع , و مدى تمايزها مقارنة بكاتب آخر من خلال إمكانات كل واحد و قدراته على توظيف رصيده اللغوي و الفني و مدى ما يملكه من استطاعة بالتأثير في السامع من خلال اللغة , حين إذ تحقق هذه اللغة في لحظة الاستعمال ألوانا من الإنزياحات بشتى أنواعها : المعجمية و الدلالية و النحوية و الصوتية ..

و إذا كان الأسلوب ظاهرة لغوية فنية فهو المجال الموضوعي للدرس الأسلوبي , الذي يرمي من خلال أدواته الإجرائية إلى الوقوف على أنواع الاختلاف من كاتب إلى آخر و نسبته لأنه (و بصورة مجملة فإن البحث الأسلوبي إنما يعنى بتلك الملامح أو السمات المتميزة في مكونات العمل الأدبي و بواسطتها يكتسب تميزه الفردي أو قيمه الفردية ,

165 - محمد عبد المطلب : البلاغة و الأسلوبية , مكتبة لبنان ناشرون , ط1: 1994 م . ص : 268 .

وبصفته نتاجا إبداعيا لفرد بعينه ، أو يتجاوزه إلى تحديد سمات معينة لجنس أدبي بعينه (166) .

يمكننا في الأخير أن نخلص إلى القول بأن الأسلوبية باعتبارها منهجا نسقيا و نقديا يهدف إلى مدارس النصوص الأدبية و مقاربتها في سياقها اللغوي الحامل للنص و مدى فاعليته في القارئ و تأثيره فيه و بهذا يعد الأسلوب مادة الدراسة ، التي تجد فيه الأسلوبية الأرضية الملائمة لتجسيد مبادئها و آلياتها درسا و تطبيقا .

2 — فضاءات البحث الأسلوبي .

الأسلوبية و اللغة :

إن اللغة من حيث المفهوم تعرف حديثا على أنها : مؤسسة اجتماعية تدرس تزامنيا ، كما انتهى إليها إشارة (سوسير) في محاضراته ، و السر في كونها ذات بعد اجتماعي مؤسساتي أنها تبحث في لغة تجمع إنساني ما ، يركب من مكونات جوهرية و خصائص متميزة تجعله بعيدا عن مضارعة جماعة بشرية أخرى على مستوى الزمان و المكان كذلك .

شمولية اللغة التي تعني أساسا تداولها بين شريحة اجتماعية معينة هو ما تقف عنده الدراسة اللغوية الحديثة ، و الغاية من ذلك هو تأسيس قواعد دقيقة و صارمة لا تسمح بالخروج عنها أو إغفالها تجاوزا ، أما أن تتطرق إلى لغة الفرد انطلاقا من هذه الفئة الاجتماعية ، لأن هذا الفرد و هو في لحظات إبداعاته ، يحدث تشويهاً متنوعاً في اللغة إذ ينقلها من حالة المؤلف و المتعارف عليه بين الفئة الاجتماعية التي هو عضو فيها إلى حالة غير مألوفة لهم ، و هذا لا يحدث إلى من خلال تجاوزه و خرقه لحدود هذه

166 - أحمد درويش : البحث الأسلوبي معاصرة و تراث ، منشأة المعارف بالأسكندرية ، 1993 م ص: 25.

القواعد و لكن في جمالية و فنية و مرونة صادرة من اللغة ذاتها . هذا الأمر هو القضية التي اهتمت بها الدراسات الأسلوبية بشتى أطرافها و اتجاهاتها , و لهذا تبقى أقل حدة في شموليتها من البحوث اللغوية الخالصة . فالأسلوبية تنزع إلى متابعة الانتهاكات الفردية للغة و رصدها مع محاولة تعليل ذلك في المستويات الثلاثة , الكاتب و النص و القارئ , كل مستوى ينظر إليه بحسب دوره في عملية التلقي و وظيفته التواصلية , للوقوف وجها لوجه أمام القيم الجمالية و الفنية التي يستبطنها ذاك الانتهاك أو التشويه أو الانتقال من المؤلف لغير المؤلف الذي تحدثه لغة الفرد في إبداعاته و لهذا يجعل (الدرس اللغوي مساره تجاه الأصوات — المفردات — التركيبات و ما يتصل بذلك ' وحددا هدفه نحو دراسة تلك العناصر , و ما يتميز به من خواص معينة بينما تجعل الأسلوبية وجهتها دراسة العلاقات بين تلك العناصر السابقة و درجة تمازجها و مدى علاقاتها و مسافة توزعها , ثم يكون ذلك لهدف تال و هو استشفاف القيم الفنية و الجمالية من خلال ذلك التوجه الخاص للظاهرة اللغوية) (167) .

من خلال هذا نستطيع القول أن العلاقة القائمة بين الدرس اللغوي و الدرس الأسلوبية هي علاقة تكاملية , فإذا كان البحث اللغوي يهتم - عامة - بمدارسة المستوى الصوتي و الصرفي و التركيبي و الدلالي .. فالبحوث الأسلوبية لا تنسف هذا الجهد المعترف بل تسعى إلى رصد تلك العلاقات الكامنة في بنية النسيج اللغوي و الأسباب الباعثة له انطلاقا من مبادئه لنسيج لغوي آخر , و الغاية الأساسية من ذلك هي مكاشفة القيم الفنية و الجمالية في الظاهرة اللغوية المشكلة في نمط متميز و خاص خلال إبداعات فنية مختلفة شعرية أو نثرية...

الأسلوبية و اللسانيات :

من الحقائق العلمية المتعارف عليها بين الدارسين اللغويين المحدثين أن الدراسة اللغوية قد اتخذت اللبوس العلمي الوصفي و ابتعدت عن الأحكام الجاهزة و التصورات الانطباعية و الأحكام المعيارية انطلاقا من مطلع القرن العشرين على يد اللساني السويسري (دي سوسير) إذ دعا جهارا إلى ضرورة دراسة الظواهر اللغوية و اللغة نفسها دراسة تزامنية تحكمها الرؤية العلمية و الوصفية , مبعدة في الآن نفسه , في منطلقاتها و غاياتها , المعيارية الحكيمة المبنية على الاحتكام إلى القواعد و الأسس الصادرة عن الأحكام القطعية التي عادة ما لا تقبل المناقشة و المراجعة تحت أي مظلة كانت نظرا لقدسيتها و مطلقيتها في نظرهم . و يضاف إلى ذلك إبعاد الدراسات التعاقبية التاريخية للغة , من هذه المتصورات التي شكلت منهجا قائما بذاته حد معالمه (سوسير) , أخذت الدراسة اللسانية الحديثة تتعامل مع اللغة من خلال النصوص , و بهذا (كانت لسانيات دي سوسير قد أنجبت أسلوبية بالي , فإن هذه اللسانيات نفسها قد ولدت البنيوية التي احتكت بالنقد الأدبي فأخصبا معا شعرية جاكبسون ' و إنشائية تودوروف ' و أسلوبية ريفاتير ' و لئن اعتمدت كل هذه المدارس على رصيد لساني من المعارف , فإن الأسلوبية معها قد تبوأَت منزلة المعرفة المختصة بذاتها أصولا و مناهج (168) .

إن هذه الرؤية تؤكد أن الأسلوبية من أهم المناهج و أخصبها لقبها الكبير من الدراسات اللغوية الحديثة التي تعتمد العلمية و الوصفية منهج طريق في البحث و التقصي .

لكن رغم ذلك نجد بعض نقاط الاختلاف بين كل من اللسانيات و الأسلوبية , فهذه الأخيرة قد أخذت حقيقة من الدرس اللساني صفة العلمية و الوصفية في الدراسة اللغوية , إلا أنها عيّنت بالخطاب ككل دراية و بحثا دون أن تغض الطرف عما يتركه هذا الخطاب

من آثار في أعماق نفسية المتلقي / السامع , بينما اللسانيات ركزت اهتمامها على دراسة الجملة و بنياتها لاستنباط القواعد و استخلاص الأسس التي تحفظ استقامتها , مع السعي إلى تنظير القوانين التي من خلالها تكتسب هذه الدراسات الطابع العلمي الصرف . فاللسانيات قد زودت المنهج الأسلوبى بخاصية العلمية و الوصفية في دراسة الأعمال الإبداعية و ذلك من خلال لغتها , و لهذا و جدنا الأسلوبية منهجا علميا وصفيا بعيدا عن الدراسة المعيارية الحكمية التي سيطرت على الدرس البلاغى القديم فجعلته عقيما جامدا .

الأسلوبية و البلاغة:

إن التأمل العلمي للمنهج الذي قامت عليه الدراسة البلاغية القديمة القائم على البحث الموضوعي ينتهي إلى تأكيد أن البلاغة اعتنت حقيقة بتحليل الخطاب و مدارسته , إلا أن ذلك كان دراسة نزاعاً إلى المعيارية الحكمية , و اتبعت في ذلك مبدأ الخطأ و الصواب , بعد أن أولت اهتماما كبيرا للشكل أكثر من المضمون , حتى آل بالكثير من أتباعها - المقلدين خاصة - في نهاية المطاف إلى الاستساخ الآلى للأحكام التقييمية و إسقاطها على النص الإبداعي مما جعله ينغلق على نفسه و يأبى كشف أسراره الفنية .

لكن انطلاقاً من القرن العشرين و ظهور البحث اللغوي العلمي الرصين على يد دي سوسير و ما أسفر عليه من نتائج معرفية لسانية محترمة , أحدث هزة عميقة في أساسيات الدرس البلاغى و مسلماته , و قد دعا سوسير إلى تأصيل المنهج البحثى للغة إذ جعله قائماً على الدراسة العلمية الوصفية التزامنية للغة , البعيد عن الأحكام الجامدة المسبقة , و من رحم هذا المخاض برزت إلى الوجود الأسلوبية كمنهج علمي بديل و هي مع ذلك (..علم جديد نسبياً , حاولت تجنب المزالق التي وقعت فيها البلاغة القديمة من إغراقها في الشكلية , و من حيث إقتارها على الدراسة الجزئية بتناول اللفظة المفردة ,

ثم الصعود إلى الجملة الواحدة أو ما هو في حكم الجملة الواحدة ، وهذه الدراسة البلاغية كانت يوما ما أداة النقد في تقييم الأعمال الأدبية (169) .

هذا ، و لأن الدراسة البلاغية القديمة كانت معيارية تعتمد على استصدار الأحكام المطلقة ، غير القابلة للمراجعة أو التطوير ، مع الحرص الشديد على الانغلاق و التقيد في حيز التوصيات و الاجتهادات المسيطرة سلفا ، كل ذلك كان منهاجا يعتمد على مقارنة النصوص الإبداعية .

ما ننتهي إليه أن الأسلوبية تستمد علاقاتها بالدرس اللغوي الحديث انطلاقا من اتسامها بالوصفية و العلمية و التزامية منهاجا ، و من ثمة تبعد عن نفسها مكبح المعيارية القائم على تفريخ الأحكام التقييمية ، الموروثة قبولا أو رفضا ، كما أن البحث الأسلوبي لا يجعل غايته محصورة في البعد العلمي البحث ، كما أنها لا تمر عبر الظواهر اللغوية الإبداعية المثيرة دون أن تسبر غورها بحثا عن عللها بعد أن كانت قد أكدت و جودها الفعلي ، و لهذا فإن الدرس الأسلوبي له الحق في مقارنة النصوص الفنية الإبداعية بشيء من العلمية و الوصفية بعيدا عما كانت تقننه البلاغة و تتعامل من خلاله مع الخطاب الإبداعي (النص الإبداعي) .

الأسلوبية و النقد الإبداعي :

كثيرا ما يجول في خاطر الدارسين السؤال التالي : هل هناك علاقة بين الأسلوبية و

النقد

الإبداعي ؟ و إن كانت كذلك ما طبيعة هذه العلاقة ؟ .

إلى مدى يمكن لهذه العلاقة أن تسهم في بلورة معرفة فنية جمالية تقوم على

استخلاص القيم التأثيرية الثابتة خاصة ؟ .

169 - محمد عبد المطلب : البلاغة و الأسلوبية ، ص : 268 .

لتجلية ذلك لابد من الانطلاق ابتداء , من تقرير جملة من الحقائق منها أنه مع القرن العشرين طفا إلى السطح منهج معرفي رصين ألا وهو البنيوية , وذلك بتأثير قوي و مباشر من الدرس اللساني السوسيري , المبني أساسا على الدعوة إلى تأمل النص الإبداعي انطلاقا من داخله مع إبعاد و إقصاء كل السياقات الخارجية التي أنشء فيها النص , و لهذا اتخذت معظم التيارات النقدية المعاصرة هذه الرؤية منهج عمل و حركة تحذو حذو البنيوية في قراءتها و مقاربتها للنصوص الإبداعية الأدبية .

و لم تكن الأسلوبية في درسها بدعا عن تلك المناهج النقدية , إذ نجدها و هي تقارب النصوص الأدبية تقصر درسها و تحصره في الجانب اللغوي خاصة (و من هنا فإن الجانب اللغوي هو مجال البحث الأسلوبي , أما ما يتصل بالأثر الجمالي , أو تحليل عمل الشاعر , أو الروائي , أو المسرحي وجدانيا و جماليا و موقفا أو سواء فكل ذلك يكون مهمة الناقد الأدبي بعد ذلك)⁽¹⁷⁰⁾ , و هذا المهام هو ما يضطلع به النقد في ممارسته و تأملاته للإبداع في شتى مشاربه و اتجاهاته .

و على هذا عد الكثير من الدارسين الأسلوبية رافدا و اتجاها من اتجاهات الدرس النقدي الأدبي , إن لم تكن جزءا لا يتجزأ منه , ابتداء من التماثل الكبير بين الأسلوبي و الناقد أثناء القيام بالممارسة لفعل المقاربة و القراءة , إلا أن زاوية الاختلاف تكمن في أن لكل واحد منهما أدوات إجرائية و رؤية مستقلة , مما يحول دون احتواء أحدهما للآخر , أو هيمنة دراسة على دراسة أخرى .. لأن كل واحد منهما مستعينا بأدواته الإجرائية يسعى قدر المستطاع إلى مقاربة النص الإبداعي للوصول إلى أسرارهِ و أعماقه , إلا أن الناقد قد يكون أكثر منهجية خاصة إذا التزم منهاجا و اتجاها نقديا ما بعد درسه و استيعابه , و يستخلص أدواته التي تساعد على مقاربة النص الأدبي في أطار علمي ممنهج .

170 - أحمد درويش : البحث الأسلوبي معاصرة و تراث , ص : 33 .

إن نجاح النقد الأدبي في عمله مرهون بالاختيار الموفق لمنهج النقد المناسب لقراءة النص الإبداعي , و لا يهم في ذلك إن كان هذا المنهج سياقي أو نسقي , لأن لكل منهج أدواته الإجرائية المميزة , و طرائقه الخاصة في الغوص في النص الأدبي و استنطاقه, و إدراك آليات العملية النقدية و مكوناتها الإبداعية من: كاتب (ناص), و عمل إبداعي (نص) , و مستهلك للإبداع الأدبي (متلقي).

الأسلوبية و النص الأدبي:

إذا كانت الأسلوبية متصفة بالمنهجية و النسقية مقصية عن طريقها السياقات الخارجية كلها عن النص الإبداعي و فإنها تركز في مقاربتها على لغة الإبداع و أسلوب الكاتب فيه, مراعية في ذلك إمكانات المبدع اللغوية المتاحة له و بالتالي فهي متمركزة في قراءتها للنص الأدبي على ماهية الأسلوب باعتباره جملة من الخيارات يجذب إليها الكاتب و تتجلى في نصه بادية في ثنايا مستويات النص اللغوية المختلفة صوتية و صرفية و نحوية بشكل رئيس , مما تتمخض عنها هذه الاختيارات الأسلوبية من وظائف متشابكة و معان متداخلة و مقاصد أسلوبية و مدلولية منشؤها مجموعة علاقات متشابهة و مترابطة أو مختلفة متنافرة , بل تصل أحيانا إلى حد التعقيد بين مختلف المستويات السالفة الذكر, هذا يعود بالأساس إلى طبيعة الموقف و أبعاده الذي يدخل مساهما في إنتاج العمل الفني الإبداعي .

و لهذا فإن المنهج الأسلوبي في منطلقاته يعتمد على اللغة الحاملة للنص بغية كشف أسرارها الجمالية و الفنية من خلال العناصر المكونة للأسلوب من جانبها النحوي أو الصوتي و الدلالي , للتفريق بين اللغة الأدبية المميزة للنص عن باقي النصوص غير الأدبية و ذلك يعود إلى أن (التناول الأسلوبي إنما ينصب على اللغة الأدبية لأنها تمثل التنوع الفردي المتميز في الأداء بما فيه من وعي و اختيار , و بما فيه من انحراف

عن المستوى العادي المؤلف ، بخلاف اللغة العادية التي تتميز بالتلقائية و التي يتبادلها الأفراد بشكل دائم و غير متميز (171) ، هذا الطرح الواضح يدعوننا أن نفارق بين نوعين من الأسلوب الذي يعد أداة تواصلية يومية ، و بين الأسلوب ذي الخصوصية الجمالية الإبداعية ، و الأسلوبية جاء ذلك تولى اهتماما قصديا اعتبارا من كونها منهجا نسقيا وصفيا ونقديا - بالدرس و المباحثة للغة الأدبية و لكن من خلال انحرافاتهما الجمالية عن القاعدة النمطية في حدود اللغة الإبداعية .

إن المنهج النسقي الذي التزمته الأسلوبية في مقاربتها النص الإبداعي ، قد اتخذ روح الأسلوبية حاديا ، فجعل لغة النص وسيلة وغاية في الآن نفسه، و ذلك بغية فهم الإبداع و تلمس درجة الأدبية فيه، و هذا من خلال الممكنات التي تحققها اللغة الإبداعية حينما تعلقو بالنص إلى مستوى الفنية المؤثرة ، انطلاقا من الاختيار البارع للنسق المناسب الذي يجذب إليه مكونات الأسلوب فيشكلها في صورة فريدة من نوعها .

يعمل المنهج الأسلوبي أساسا على (... بحث الخصائص و السمات التي تميز النص الأدبي بطريق التحليل الموضوعي للأثر الأدبي الذي تتمحور حوله الدراسة الأسلوبية) (172) . انطلاقا من كون لغة النص الحاملة له بكل طاقاتها وشحناتها وسيلة للوصول إلى محادثة النص الإبداعي و استنطاقه و غاية كذلك تسعى لتلمس في جمالية و فنية درجة الأدبية و مستواها الذي بلغته في النص الأدبي .

منطلقات الأسلوبية في مقارنة الخطاب

171 - محمد عبد المطلب : البلاغة و الأسلوبية ، ص : 129 .

172 - المرجع نفسه ، ص : 101 .

اهتم النقد الأسلوبي المعاصر بتتبع المبدعين و رصد تميزاتهم و اختلافاتهم الواحد عن الآخر , و لكن من زاوية المقولات الثلاثة المتمثلة في : الاختيار + التركيب + العدول.

الاختيار :

لاشك أن اللغة في منظور الأسلوبي خزان جماعي واسع ينتقي الكاتب منه و يختار ألفاظا وكلمات ينتخبها بحيث تمكنه من أن يعيها و يصب في ثناياها و أحشائها ما تعمل في نفسه من انطباعات و أحاسيس و مشاعر , و لدتها مواقف و أحداث , و عند ميلادها و استوائها خلقا جديدا , و تتحرك فيها الحياة , يبدأ حينئذ الأسلوبي بالدراسة و البحث من حيث العمل على اكتشاف الأسباب و العلل التي دعت المبدع إلى هذا الاختيار أو ذاك أو في مقابل ذلك منعه من هذا الاختيار أو ذاك كذلك , علما بأن (الاختيار) و (الانتقاء) يجسد واحدة من أهم خصائص الدرس الأسلوبي . و في السياق نفسه فاللغة تحتضن عددا منتهيا من المفردات و الكلمات , لكن تركيبها في عبارات و جمل إمكانا لا متناهيا و بدائله عديدة و كثيرة , و لهذا فإن السؤال الذي يطرح هو: ما الدلالات المتعلقة بأسباب اختيار جملة بدلا عن جملة أخرى , و تركيبا عن تركيب آخر ؟ لا شك أنه هناك الكثير من العلل الخفية الكامنة وراء ذلك الإبقاء أو غيره .

إن عملية (الاختيار) و(الانتقاء) ليست مسألة عبثية , و إنما هي ديناميكية يحكمها حدان (جانبيان) :

أ- الجانب الداخلي : و نقصد به الشعور الفردي و الوجداني الذي تولده الشحنة الشعورية للإبداع .

ب - الجانب الخارجي : يمثله البعد اللغوي الاجتماعي الفني الذي تمليه القواعد و تفرضه الأعراف المتداولة عند المبدع و المتلقي .

كل ذلك حتى يتم الإدراك الواضح لما تحويه النصوص الإبداعية و تحمله من الدفقات الشعورية الإبداعية , و على ذلك فإن (الوضوح يتحقق باختيار الكلمات المعينة غير المشتركة بين معان , و التي تدل على الفكرة كاملة , و الاستعانة بالعناصر الشارحة , أو المقيدة , أو المخيلة , و استعمال الكلمات المتقابلة المتضادة إذا كان ذلك يخدم المعنى و الفكرة , و البعد عن الغريب الوحشي , و العمد إلى لغة الناس و ما يستطيعون إدراكه) (173) .

و من ثمة فإن الانتقاء (الاختيار) يعد من أهم العمليات المساعدة على كشف تميز كاتب عن آخر و تفرده , و ذلك من خلال أسلوبه المستمد من المعجم اللغوي , الذي اختاره و تتبع ألفاظه نقطة نقطة و ضمها إلى بعضها البعض في تركيب منسق حتى تتحول في الأخير إلى لغة إبداعية جمالية و فنية تجذب السامعين و تسمو بالعمل الأدبي إلى المستوى اللائق به.

التركيب

تتطلب سلامة التركيب من جوانبه جميعها الصوتية و الصرفية و النحوية و المعجمية و الدلالية أن ينطلق من مرحلة سابقة عليه و هي الانتقاء و الاختيار , لأنه إذا كان هذا الأخير فنيا دقيقا يراعي فيه أطراف الإبداع الإنسانية من ناص (كاتب) و نص و متلقي (قارئ) , عند هذه اللحظة يعلو التركيب إلى مصاف العمل الإبداعي الفني الجمالي المؤثر , القادر على حمل التوترات المشاعرية و العاطفية و شحنات التجربة الشعورية عامة فيعبر بها من عالم المرسل إلى محيط و جو المرسل إليه , إذ (ترى الأسلوبية أن الكاتب لا يتسنى له الإفصاح عن حسه و لا

173 - فتح الله أحمد سليمان : الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية , مكتبة الآداب - القاهرة - ص : 35 .

عن تصوره للوجود إلا انطلاقاً من تركيب الأدوات اللغوية تركيباً يفضي إلى إفراز الصورة المنشورة و الانفعال المقصود (174) ، و جملة الانفعالات الجمالية التي تولدها المواقف فتنتقل من أعماق ذاتية الكاتب ففسري في النص بين شرابين اللغة ، فتجعل له جاهزاً لأن يكون بين أحضان السامع لحظة استعداده للاستمتاع بالجماليات الفنية ذات الأطياف المتنوعة .

الذي تجدر الإشارة إليه هو أن طبيعة نفسية الكاتب و مزاجها ، و نوع ثقافته و درجتها عمقا و بساطة ، زيادة على ملامح البيئة التي تحتضنه و المرحلة التاريخية التي يعيش فيها ، كل ذلك مرجعيات نعود إليها في قياس عملية التركيب عند كل مبدع ، نظراً لما تملكه من سلطان على المبدع ، فيستجيب لمطالبها مما سهل عليه عملية التواصل و الفهم من قبل المتلقين (فكل كاتب له مزاجه النفسي و ثقافته المتميزة ، كما أن لكل عصر سماته الثقافية ، و مزاجه الفكري ، و من ثم يختلف أسلوب كاتب عن كاتب ، كما يختلف أسلوب عصر عن عصر ، إن الموقف وطبيعة القول و موضوعه ، كل ذلك سوف يفرض بالضرورة أداء يختلف عن أداء ، بل إن ذلك قد يكون لدى كاتب واحد) (175) ذلك لا يعد من قبل التناقض و إنما هو سمة التكيف مع مستجدات المراحل التاريخية و تقلباتها .

لا شك أن العلاقة القائمة بين الأسلوب و التراكيب عضوية متينة ، لكن الذي ينبغي أن يوضع في الحسبان هو أن ظاهرة التركيب تتحد ضمن الأداء الذي تحكمه جملة من الحثيات

و المنطلقات تبدأ من طبيعة شخصية الكاتب و نوعية مزاجه النفسي ثم مدى ما يملكه من ثقافة اتساعاً و ضيقاً أصالة و معاصرة ، زيادة على كنه الموضوع المتناول الذي يجذب

174 - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، بحث مقدم لنيل درجة دكتورا الدولة ، السنة 1994 م . ص: 169

175 - أحمد درويش : البحث الأسلوبي معاصرة و تراث ، ص: 49 .

الاهتمام و التأمل , , هذه الأمور - عامة - هي التي تدفع بالكاتب إلى توظيف لغة خاصة به من حيث المفردات و العبارات و التراكيب ... كل ذلك لن يحقق المقصد المرجو و الفائدة المبتغاة الكامنة أساسا في التواصل اللغوي الجمالي الفني , إذا لم يراعي المبدع إطار المرحلة التاريخية و خصائصها المميزة الفكرية و الثقافية و اللغوية...

العدول:

لقد ذهب الدرس الأسلوبى إلى اعتبار عدول الكتاب في إبداعاتهم الفنية عن النمط المؤلف و الملامح المتداولة في التدبيح بين الكتاب الفنيين عامة سمة رئيسة و خاصة متجذرة في طبيعة الأسلوبية , إذ تساعد على كشف مواطن الاختلاف و ملامحه بين أساليب المبدعين الذين انحرفوا عن المعيار المؤلف و المقياس المعهود , فأوجدوا مظاهر أسلوبية جديدة و مقصودة لها قابلية احتواء الدفقات الشعورية في أمانة و اللمسات الجمالية في فنية مؤثرة , تجعل المتلقي يتقبلها قبولا حسنا و يتفاعل معها ايجابيا مثمرا .

فالعدول إذا , انطلاقا من الرؤية الأسلوبية , هو تلك المقدرة التي يستبطنها الكاتب المبدع تمكنه من تجاوز المعايير المؤلف و اختراقها , لصناعة مظهر أسلوبى جديد ذي إمكانات جمالية و فنية تؤهله لأن يلقي بظلاله على المتلقي فيجد فيه استحسانا و قبولا و إمتاعا و مؤانسة , سواء أكان هذا الانحراف على المستوى الصوتى أو الصرفى أو النحوى أو الدلالى .. و من ثمة يحقق النص الإبداعي عدولا جماليا بالنسبة للمقاييس المجمع عليها و المتواضع على معياريتها .

إن اللغة العادية التواصلية - عادة - لا تقبل مثل هذه الخلجات اللغوية , و إنما هو من سمة اللغة الإبداعية المجسدة ضمن نص أدبى فتتقلب بين النفعية البلاغية إلى

الفنية الجمالية ، في إطار تصورات عميقة و تحديدات فكرية و مواقف محددة يقتضيها الموضوع المطروق في النص ، ذلك لـ (أنه من غير المجدي حصر الكلام في تكرار جمل جاهزة ، كل واحد يستعمل اللغة لأجل التعبير عن فكرة خاصة في لحظة معينة ، يستلزم ذلك حرية الكلام)⁽¹⁷⁶⁾ ، و استقلالية في التفكير البعيدة عن التصورات الجاهزة و القوالب الفكرية المنمطة .. كل ذلك ضمن لغة جمالية و فنية غايتها تحقيق المتعة الإبداعية و التأثير الإيجابي ...

إن من بين العلل التي تجعل القارئ يقبل على العمل الفني ، دراسة و مقارنة و تذوقا ، في شغف كبير ، يبلغ به درجة الاقتناع و الاستمتاع ، ذلك يعود في مرات كثيرة إلى : جماليات الإنزياح التي تخلفها اللغة الفنية الإبداعية على حساب اللغة المعيارية النمطية و المعجمية حتى ...
الاتجاهات الكبرى للأسلوبية :

تمهيد :

في إطار مفاهيم البحث الأسلوبي و آلياته و (.. دون الوقوع في متاهات التفكير الفلسفي لأصول هذه الأسلوبية و هي متاهات لا يمكن أن تساعد في تحديد ملامحها و ربطها بالأدب من ناحية ، و النقد من ناحية أخرى)⁽¹⁷⁷⁾ انكب الأسلوبيون على مقارنة النصوص الإبداعية محاولين رصد شحناتها العاطفية و مدى قابليتها و قدرتها على إحداث التأثيرية الامتاعية المناسبة دون أن تحيد عن الموضوع و المعاني التي تؤسس للتواصلية بين المبدع و المتلقي ، و من هذا المنطلق ألفينا من الأسلوبيين من يحاول الاحتكاك بالنص الأدبي و مقارنة ظواهره الجمالية انطلاقا من مرجعية متمثلة في

¹⁷⁶ - أحمد درويش : البحث الأسلوبي معاصرة و تراث ، ص : 101.

¹⁷⁷ - جوزيف ميشال شريم : دليل الدراسات الأسلوبية ، المؤسسة الجامعية للدراسات ط 2 ، 1987 م ، ص : 37.

علاقة المبدع بالنص بغية تبين مدى بروز شخصية المبدع و انعكاسها على مرآة النص الفني , فتتحول فيه الرسالة اللغوية إلى وسيلة ومطية تسمح بالتعريف بملامح شخصية المبدع مما يجعل هذا النوع من الدرس الأسلوبي ينضوي في إطار علم النفس اللغوي اعتبارا من كونه واحدا من مناهج المقاربة الأسلوبية .

و إذا كان هذا الرافد الأسلوبي يولي أهمية كبرى لشخصية المبدع , فإننا نجد بعض الأسلوبيين توجهوا نحو زاوية أخرى من الاهتمام تعنى بعلاقة النص بالمتلقي , فالأسلوبي من هذه الناحية يبذل قصارى جهده لمحاولة معرفة مدى استجابة القارئ لمؤثرات النص بكل ما يحمله من شحنات عاطفية, و أهمية هذه الاستجابة في التعرف على جل القيم الجمالية و الفنية المبتوثة في تضاعيف النص الإبداعي , فالمتلقي في تلبيه بهذه الحالة الفنية لحظة استجابته لفعل النص الإبداعي , يعتبر , و انطلاقا كذلك من ردود أفعاله و ملاحظاته منطلقا مهما وطبيعيًا لتقليب الرسالة اللغوية على شتى أوجهها كونها الحامل الرئيس للنص الأدبي .

إن المقاربة الأسلوبية ليست قاصرة في درسها للظواهر الأسلوبية على علاقة المبدع بالنص أو علاقة النص بالمتلقي , و إنما هناك بعض الرؤى من آلت على نفسها إبعاد كل من المبدع و المتلقي عن النصوص الإبداعية و ركزت كامل جهدها على النص و النص وحده كونه نسقا مغلقا , لأنه بمقدوره أن يجلي - إلى حد بعيد - طبيعة الإبداع و ذلك من خلال الخواص اللغوية الكامنة في النص الإبداعي و التي تميزه عن باقي النصوص الأخرى , أو أنها تجعله ينفرد بصاحبه و ينتسب له وحده بعيدا عن الكتاب الذين قد يقاسمونه بعض السمات و الملامح الأسلوبية .

و حتى تكون الظاهرة الأسلوبية مرصودة بدقة علمية و نزاعة إلى الموضوعية , سواء أنظرت للنص الإبداعي و قاربته من ناحية المبدع أو المتلقي أو النص , فهي في حاجة أكيدة أن تعطي اهتماما جادا و حذرا للبعد الإحصائي و تنزله المنزلة اللائقة به في الدرس الأسلوبي , في إطار منهجي يتبع الظاهرة استقراء و رصدًا حتى يحيط بها من

الجوانب جميعها , فيبوح - عندئذ - عن بعض الأسرار الجمالية و الفنية المشحونة بطاقات عاطفية .

الأسلوبية التعبيرية : شارل بالي : 1865 م - 1947 م .

قارب شارل بالي و من نهج نهجه , النصوص الأدبية ابتداء من المنهج الأسلوبي , الذي مجاله الجانب اللغوي و(.. موضوعه الأسلوب و شرطه الموضوعية و ركيزته الألسنية..)(178) , بحيث درس لغة الخطاب بحثا عن أسرارها القابعة في أغوارها , هذا الطريق المعرفي لم يكن يوما معبدا له لو لم يقتفي آثار الدراسات اللسانية الحديثة , التي اعتبرت اللغة — أساسا — مؤسسة اجتماعية تحكمها قوانين و علاقات معقدة , تعرف من خلال الدراسة العلمية الوصفية التزامنية البعيدة عن أغلال المعيارية الحكمية , و لهذا يسلك الدرس اللساني الحديث طريق العلمية الوصفية في معاملته النصوص الإبداعية لكونها نسقا مغلقا قائما بذاته , (.. و بالتالي هناك نوع من الترابط بين الألسنية من ناحية و اتجاهات دراسة الأساليب التعبيرية من ناحية ثانية .)(179) .

لقد ظهرت (الأسلوبية) خلال القرن التاسع عشر في النقد الغربي , إلا أن ملامحها التي تؤسس لرؤية منهجية متميزة عن باقي المناهج السائدة وقتئذ , لم تتحدد إلا انطلاقا من بداية القرن العشرين على يد (شارل بالي) الذي يرى (... أن القيم الأسلوبية (أو القيم البلاغية) لا تكمن في قوائم القيمة الثابتة وحدها ... و لكن القيمة الأسلوبية الحقيقية تكمن فيما أسماه المحتوى العاطفي للغة..)(180) . ففي تأسيسه لعلم

178 - صلاح فضل : مناهج النقد المعاصر , دار الآفاق العربية , ص : 105

179 - أحمد درويش : دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث , دار غريب , القاهرة , ص : 31 .

180 - المرجع نفسه , ص : 31 .

الأسلوب ، شارل بالي استفاد كثيرا مما وصل إليه البحث اللغوي العميق لأستاذه دي سوسير ، فوضع ، انطلاقا من كونه المؤسس الأول لعلم الأسلوب و رائد الاتجاه التعبيري منه ، السمة الوجدانية و الطابع الانفعالي المحدد في العملية التواصلية بين المرسل و المرسل إليه ، هذه التواصلية الحادثة في حدود الإطار اللغوي للنص الإبداعي (الرسالة) ، و لهذا شارل بالي (يعد من الرواد المؤسسين للأسلوبية ، و هي تعني عنده البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة و الفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبرة ، و تدرس الأسلوبية عند (بالي) هذه العناصر من خلال محتواها التعبيري و التأثيري)⁽¹⁸¹⁾ التي تنتقل من النص الإبداعي لتصل إلى المتلقي و ذلك عن طريق وسيلة اللغة .

الأسلوبية التعبيرية لـ (بالي) تعطي أهمية بالغة للبعد الأدبي الذي توفره اللغة البلاغية ، بعد ضم الكلمات و التراكيب اللغوية و تأليفها و رصها جنبا إلى جنب في نظام و حالة قائمة على الاستجابة لما يمليه العمق الوجداني الذي يتلبس المؤلف (المبدع) و هو في لحظة التألق الفني و الخلق الجمالي . و لهذا فإن الألفاظ و التراكيب اللغوية تعد الحامل الأمين للرجات الشعورية و المضامين العاطفية و الشحنات الدلالية مما يكسبها قوة التأثير فيهتز المتلقي و يرتعش كيانه كرد فعل طبيعي لما سكنه من جماليات فنية و نفت فيه من توترات عاطفية جانست تركيبه في فاعلية متبادلة . و عندئذ يصير الخطاب ككل من خلال بنيته الخارجية المتمثلة في اللغة ذا فاعلية قوية و تأثير لا يمكن إغفاله في من وجه إليه أو حمل إليه ، خاصة إذا ما كنا نشاطر الرؤية التي تؤكد أن (موقف التحليل الأسلوبي عند (بالي) هو الخطاب اللساني بصفة عامة ، و لكنه يحصر

181 - نور الدين السد : الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ص : 60 .

مجال الأسلوبية في القيم الإخبارية التي يشتمل عليها الحدث اللغوي بأبعاد دلالية و تعبيرية و تأثيرية (182) و هو في حالة استهداف متلق للخطاب .

كل ما تقدم لا يعفينا من أن نشير إلى أن أسلوبية بالي التعبيرية كانت مخصوصة , حصريا , باللغة التواصلية اليومية هذا يعني أن اللغة الإبداعية الأدبية كانت في منطقة الظل بعيدة عن أضواء البحث الأسلوبي ، و من هذا الجانب فإن رؤية (بالي) للأسلوب و، لا بد أن تكون متميزة ، إذ يراه ماثلا في (..تتبع السمات و الخصائص داخل اللغة اليومية , ثم استكشاف الجوانب العاطفية و التأثيرية و الانفعالية التي تميز أداء من أداء) (183) بحيث يصبر ظاهرة أسلوبية متفردة , تميز شخص عن شخص و بيئته عن أخرى .

إن الدرس الأسلوبي في القرن العشرين و ضع حدا للتداخل غير الطبيعي بين حقلين متميزين أحدهما قديم و هو البلاغة و الثاني حديث هو الأسلوبية و هذا الذي جعل (بالي) يركز بقوة في إنزال الأسلوبية و آلياتها على الواقع اللغوي ، على الحديث اليومي أو الكلام لأنه يكتنز جملة من المواصفات تؤهله لهذه العناية الخاصة ، منها بساطته و بعده عن التعقيد و التكلف و أنه يتبع في عفوية و شفافية تحمل الكثير من الصدق في الإحساس و التعبير ، أما تنعيته من قبل الكثير من الدارسين بكونه و أسلوبيته بالوصفية ، ذلك يعود إلى اشتغاله منذ بداياته البحثية بالوصف اللغوي .

و في مفاضلة بين سلطان العقل و سلطان العاطفة و مدى تأثيرهما في المتلقي عبر اللغة فقد ترجح عنده في طرحه الأسلوبي ، أولوية سلطان العاطفة و السبب في ذلك يعود إلى طبيعة الإنسان نفسه فهو في عمقه و جوهره كائن عاطفي قبل كل شيء، و

182 - نور الدين السد : الأسلوبية وتحليل الخطاب , ص: 64 .

183 - أحمد درويش : البحث الأسلوبي معاصرة و تراث , ص: 31 .

الكاشف الأكبر لهذه الكينونة هي اللغة ، أما سلطان العقل فيرجعه إلى المستويات الخلفية التي تنظم و تنسق مكونات الخطاب حتى يحقق غايته المنشودة .

على أنه من المفيد أن نضيف أن هذا الاتجاه الأسلوبي (.ينظر.. إلى الخطاب على أنه نوعان : خطاب حامل لذاته غير مشحون البتة ، و خطاب حامل للعواطف و الخلجات ، و كل الانفعالات ، لأن اللغة في استعمالها الواقعية تكشف في كل مظاهرها وجها فكريا ، و آخر عاطفيا ، و الوجهان يتعاونان كثافة بحسب ما للمتكلم من استعداد فطري ، و بحسب وسطه الاجتماعي ، و الحالة التي يكون عليها . إنها الأسلوبيات التي تعني بالجانب العاطفي و الوجداني في الظاهرة اللغوية ، و تقوم باستقصاء الكثافة الشعورية التي يشحن بها المتكلم خطابه في استعماله النوعي .(184)

185 .

إن التراكمات المعرفية الخاصة بالأسلوبية و التي ولدها البحث المنهجي العلمي الذي تبناه رواد هذه المدرسة المتميزة رؤية و منهجا ، في داخل هذا الإطار ، اتسعت المدرسة الأسلوبية الفرنسية لتحتضن اجتهادات و أعمال شارل برينو و مارسيل كريسو التي أعطت عناية كبيرة لوسائل المعنى التي يتبناها المبدع بداية ثم يعتمدها في خلقه الإبداعي وفقا للإطار اللغوي الصرف . هذا ، و في الجانب المتعلق بمجال الدراسات الأدبية فقد نمت الأسلوبية في إطاره نموا كبيرا ، بل أحدثت نقلة مميزة و نوعية ، و إنما عدت ، في هذه المرحلة النوعية ، وسيلة تساعد على دراسة الأدوات التعبيرية باختلاف أنواعها و مستوياتها ، لا لشيء و إنما قصد تجسيد غايات أدبية أسلوبية ، و من هذا المنطلق عدت الأسلوبية ، من خلال المنظور النقدي — العلم الذي يميظ اللثام بطريقة ممنهجة عما في الخطاب الأدبي من زخم القيم الجمالية و الفنية .

184 - بونة للبحوث و الدراسات ، مجلة دورية محكمة ، العدد الأول ، محرم 1425 هـ / مارس 2004 م ، ص

الأسلوبية النفسية : ليو سبيتزر (leo Spitzer) 1887 م / 1960 م .

الأسلوبية النفسية و..يسمى آخرون ((الأسلوبية الأدبية)) حيناً و ((الأسلوبية النقدية)) حيناً آخر , وحتى ((أسلوبية الكاتب)) . لقربها من الأدب و اعتمادها على النقد , .. و تعنى بظروف الكتابة و نفسية الكاتب .(186) تؤسس منها متميزاً عن باقي الأنواع الأسلوبية التي عرفت هذه المرحلة التاريخية من صيرورة الدرس اللغوي و النقدي في حياة الفكر الغربي المعاصر , إذ نجدها تبصر الخطاب الإبداعي من زاوية كونه وسيلة و أداة فاعلة في اختراق دهاليز كينونة المبدع و عوالمه النفسية الخفية وصولاً إلى محطات عميقة لاشعورية , ما كان البحث يقف عندها لولا هذه المنهجية و الرؤية الجديدة . و حتى تتبلور هذه النزعة , وتلج كيان نفسية المبدع , لا بد لها أن تتخذ المعجم المفردى و المعجم التركيبي للغة الحاملة للنص الإبداعي المتواجدة في جسم النص الأدبي كله , مفاتيح خاصة تذل الطريق للغاية المرجوة , و من ثمة يتمكن الباحث الأسلوبى المتلبس لبوس الأسلوبية النفسية من الوصول إلى ذاتية المبدع و ملامح أسلوبيته , وذلك طبعاً انطلاقاً من مضمون الرسالة و موضوع الخطاب الجمالي و نسيجه اللغوي , لكن في إطار النص المبدع . و هذا يعود أساساً إلى أن (.. الأسلوب يعكس شخصية صاحبه و مزاجه , و يكشف عن مكنوناته و خباياه , و يعبر عن مشاعره و انفعالاته بحيث يصبح

186 - يوسف و غليسي : النقد الجزائري المعاصر من اللاتسونية إلى الألسنية , إصدارات رابطة ابداع الثقافية ,

صورة صادقة للشخصية و يصير - نتيجة التوحد التام بين الأسلوب و الشخصية -
تعبيرا عن مواقف نفسية لدى المنشئ... (187) . 188

ليو سبيتزر (leo Spitzer) و انطلاقا من (.. 1911 م يشرع .. في
التمهيد للأسلوبيات الأدبية , فيقدم دراسة عن ((رابلييه)) يسعى فيها
إلى إبراز العلاقات القائمة بين العناصر الأسلوبية و العالم النفسي للكاتب
(.. 189 الباحث الألماني يعد من الرواد الأوائل الذين حفروا لهذا
الاتجاه المجرى الذي يتحرك فيه , و ذلك من خلال ما أرساه في
مؤلفه (دراسة في الأسلوب) من مفاهيم و متصورات توصل
للأسلوبية النفسية و تضع لها المعالم الكبرى التي تقيها من أن
تتداخل مع الأنواع الأسلوبية السائد وقتئذ , إذ نراه يعنى
مبدئيا بالشخصية المبدعة و منها ينعطف نحو مميزات
أسلوبها و خصوصيتها , و ذلك انطلاقا من كونها خلقا متفردا في
الكتابة حيث (يتميز باحتفاله بخصوصية الذات الكاتبة .. و آثار ذلك على
خصوصية استعمالها الأسلوبية ... و من ثم يكاد (سبيتزر) يجنح إلى تلامس واضح
بين الجانب النفسي , لتلك الذات المنتجة , و بين ما أنتجته من كتابة معينة) (190) ,
تعطيها الكثير من سمات التميز و الفرادة مقارنة بكتابات
الآخرين , هذا لا يعني أن الذات المبدعة معزولة عن الوسط
الاجتماعي التي وجدة فيه و نمت من خلال مكوناته المختلفة فيه , فيربط
ليو سبيتزر (leo Spitzer) تميز الذات المبدعة و تفردا في الأسلوب ,
داخل المحيط الاجتماعي بكل مستوياته و أطرافه و تطوراته الثقافية

187 - فتح الله أحمد سليمان : الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية , مكتبة الآداب , ص : 14 .

189 - بونة للبحوث و الدراسات , مجلة دورية محكمة , العدد الأول , ص : 106 .

190 - أحمد درويش : البحث الأسلوبي معاصرة و تراث , ص : 52 - 53 .

و التاريخية , كما (يكاد يلامس كذلك المنحى الاجتماعي بحسبان تلك الذات جزءا من شريحة اجتماعية ضخمة , و هي كذلك واحدة من سلاسل أفراد و جماعات لها روحها العام بجانب روح الذات الخاص)⁽¹⁹¹⁾ , ضمن السياق الاجتماعي العام .

و من الذات المبدعة , وخصوصياتها المتفردة و الفردية في إطار السياق الاجتماعي المتطور تاريخيا , يبحث فيربط ليو سبيتزر (leo Spitzer) و ينظر إلى الأسلوب , وعليه فإنه يسم الأسلوب بمميزات خاصة جراء ما تفرضه الظروف المختلفة و الملابسات و الحثيثيات المتنوعة , فالأسلوب خصوصية شخصية في التعبير و التي من خلالها نتعرف على الكاتب , و ذلك من خلال عناصر متعددة تعمل على تكوين هذه الشخصية الذاتية مقارنة بالذوات الأخرى , التي قد تعايشه التجربة جنباً إلى جنب , و في صورة جماعات تحكمها جملة من الظروف اجتماعية و نفسية و ثقافية و تاريخية خاصة .

إن الرؤية الشاملة التي و صلت إليها الأسلوبية النفسية جراء مقاربتها للنصوص الفنية , بحيث شكلتها في نظرة متميزة مقارنة بالاتجاهات الأسلوبية الأخرى , هذا التصور مضمونه : أن علم الأسلوب له مقدرة كبيرة على استيعاب كل ما يحتويه فعل الكلام و يتضمنه من أساليب فنية جمالية أصيلة تتوفر على عناصر التفرد و المخالفة و مفصلة العناصر الجمالية للآخرين , و هذا لأنها لم توجد جزافاً و إنما أنشأتها طاقة فاعلة حيوية منبثقة من

191 - أحمد درويش : البحث الأسلوبى معاصرة و تراث , ص : 53 .

أعماق المبدع النفسية بحيث أخرجته أخرجاً فريداً من زوايا
القدرة على الإلقاء ، و التفرد في القول ، و مكنته من التعبير
الحسن ، و هنا يأتي دور البحث الأسلوبى النفسى إذ يتبع فى
تؤدة و روية منهجية ، أشكال التحولات اللغوية و درجاتها و مستوياتها ،
التي أحدثها المبدع انطلاقاً من خصوصيته و تميزه و دققته
الشعورية التي يخصصه بها ، و على هذا الأمر عدت الأسلوبية
النفسية مثيلة إلى حد بعيد بدراسة السير الذاتية و
الترجم الشخصية للكتاب و المبدعين ، و ذلك بالاعتماد على
محاورة لغة النص و استنطاقها و اكتشاف ما تحمله من معاني
و دلالات متنوعة عديدة ، و هذا ما نادى به اللسانيات
الحديثة التي ولدت من رحمها الأسلوبية .

و الأمر الذي لفت انتباه الدارسين هو أ، الأسلوبية النفسية
قد جنحت إلى الانطباعية و الإبحار في ذوات المبدعين و الإغراق فى
كشف عوالمهم النفسية كل ذلك يظهر بادياً للعيان و جلياً ، و
هذا يعود طبعاً إلى اهتمامها بالبعد النفسى و جوانبه ، فى
إطار المحيط الجماعى بكل ملابساته و ظروفه التي يعيش المبدع
ضمنها ، جاعلة من أسلوب الكاتب فى انحرافه عن السائد و
المألوف مجالاً خصباً و حقلاً مثيراً للدراسة و التقصي و البحث .

الأسلوبية البنيوية (الوظيفية)

النص الإبداعى فى المنظور الأسلوبية البنيوية نسق لغوى ، ولهذا)
تعنى الأسلوبية البنيوية فى تحليل النص الأدبى بعلاقات التكامل و التناقض بين

الوحدات اللغوية المكونة للنص و بالدلالات و الإيحاءات, التي تنمو بشكل متناغم (192) من هذه الرؤية ينطلق بحثها , و هو متأثر إلى حد بعيد بما أفرزته في أطروحاتها باللسانيات الحديثة , فهي (..تتضمن بعدا ألسنيا قائما على علمي المعاني و الصرف و علم التراكيب , و لكن دون الالتزام الصارم بالقواعد ..)(193) , و الغاية من ذلك هو متابعة , في تودة ممنهجة , ما يحويه النص و يتضمنه من إيحاءات و دلالات , بدءا بمفرداته و تراكيبه الصانعة له , و المشكلة لوجوده , فمن خلال النسيج اللغوي للنص تتفاعل الأسلوبية البنيوية مع الأسلوب و تقاربه , إذ تسعى إلى حصر العلائق المتنوعة في مستوياتها الافرادية و التركيبية في تتابعها أو تشابها , و المشكلة في الحقيقة لنسجها النصائي .

فالأسلوبية البنيوية تولى , لذلك , اهتماما كبيرا بمقاربة الظواهر اللغوية و ما تنتجه أو يتولد عنها من فروق تبدها الفوارق اللغوية و وظائفها في الخطاب الأدبي الفني الجمالي .

لاشك أن منطلق الدرس الأسلوبي البنيوي , في بحثه و تحليله للأعمال الأدبية , يبدأ من خلال البنيات اللغوية المؤلفة و المشكلة له , و مدى انسجامها و تناغمها و تناسقها داخليا لتصنع في الأخير ذلك الكل الفني ألا وهو النص الإبداعي فهذا الأخير (ليس .. نتاجا بسيطا من العناصر المكونة , بل هو بنية متكاملة تحكم العلاقات بين عناصرها قوانين خاصة بها , و تعتمد صفة كل عنصر من العناصر على بنية الكل , و على القوانين التي تحكمه , و لا يمكن أن يكون للعنصر وجود (فيزيولوجي أو سيكولوجي) , قبل أن يوجد الكل , وعلى هذا

192 - نور الدين السد : الأسلوبية في النقد العربي الحديث, ص : 67 .

193 - المرجع نفسه , ص : 67 .

الأساس فإنه لا يمكن تعريف أي عنصر منفصل إلا من خلال علاقاته التقابلية أو التضادية مع العناصر الأخرى في إطار بنية الكل (194). و لهذا فإن دراسة النصوص الجمالية الأدبية يكون انطلاقاً من اللغة الحاملة لها , و مدى تفاعل المفردات و التراكيب المسمّاة بالشكل , في سياق نحوي ما , دون أن ننسى تفاعل هذا الشكل انطلاقاً مما قد تولده الأصوات و المفردات و التراكيب من معاني و دلالات تكتسبها من خلال علاقاتها التجاوزية و التداخلية لتصنع النص الإبداعي في صورته العامة , و من ثمة فإن (..مهمة الأسلوبية البنيوية اكتشاف القوانين التي تنظم الظواهر الأساسية في الخطاب الأدبي) (195) .

إن المنهج الذي تتوق الأسلوبية البنيوية إلى تأسيسه غايته الأساس مقارنة النصوص الأدبية و دراستها من خلال لغتها , و ما تسفر عنه تلك المجاورة التي هي قائمة بين المفردات و التراكيب , دون الابتعاد عن حدود النص و إطاره , واضعين في عين الاعتبار المتصور القائم على أساس أن النص نسق لغوي معزول عن خارجه و عن كل اعتبار تاريخي أو نفسي . و لهذا فإن الأسلوبية البنيوية في خضم بحثه عن الظواهر الأسلوبية اللافتة للانتباه حتى تكون موضوع دراسة و تحليل و استنباط , يركز تركيزاً كبيراً و يجعل اهتمامه مبدئياً و منصّباً على انسجام النص مع ذاته , ولذلك (تحلل الأسلوبية البنيوية الأسلوب من خلال التركيب اللغوي للخطاب , فتحدد العلاقات التركيبية للعناصر اللغوية في تتابعها و تماثلها , و ذلك بالإشارة إلى الفروق التي تتولد في سياق الوقائع الأسلوبية و وظائفها

194 - محمد عزام : الأسلوبية منهجاً نقدياً , ص : 110 .

195 - نور الدين السد : الأسلوبية في النقد العربي الحديث , ص : 69 .

في الخطاب الأدبي) (196) ، و يعتني كذلك بمقاربة و أحداث النص التي أسست لتطوره و تناميته ، هدفه في ذلك هو إبراز الجماليات الفنية لمكونات النص الإبداعي ، و مدى ثراء دلالاته ، كل ذلك من خلال تناسق و انسجام أساليبه . و من زاوية الرؤية هذه ، و انطلاقا من هذا المنظور ، فإن النص الفني ما هو إلى نظم لغوي لا يعبر إلا عن ذاته ، بعد أن يكون قد انسجمت مفرداته و تناغمت تراكيبه ، في شبكة علاقات جد معقدة جامعة بعضها بعضا ، و من ثمة فإن مقاربة النص يجب أن تكون بذاته و لذاته .

إن تناسق المكونات الجزئية اللغوية للنص ، و تتبع في رصد درجة تناغم هذه الأجزاء اللغوية و مدى انسجامها من حيث بعدها العلائقي ، من أشد القضايا التي تأسر اهتمام الأسلوبية البنيوية ، و توليها عناية خاصة ، و الذي تبغيه من وراء ذلك هو إكساب اللغة و هي تتفاعل داخل النص صفة أساسية و هي الأدبية (و هو لفظ ... يطلق على ما به يتحول الكلام من خطاب عادي إلى ممارسة فنية إبداعية) (197) ، و من جانب آخر صفة الإبداعية ، كل ذلك ضمن السياق العام للغة . و للسائل أن يستفهم عن مكانة المتلقي و موقعه من هذه الرؤية الممنهجة للأسلوبية البنيوية ، و الإجابة عن ذلك تلخص في : أنه إذا كانت الأسلوبية البنيوية تعطي أهمية أساسية للنص لذاته و بذاته ، فإنها لا تصعر خداه عن طرف مهم ، يساعد بقدر أساس في الولوج إلى عالم الأسلوب و أسرارها المتنوعة ، إنها تهتم كذلك بالمرسل إليه (القارئ) لأنه عنصر هام يسهم بنسب عالية في حركية العملية الإبداعية بعد ميلادها و تفعيلها ، لأنه هو الطرف الذي ينجذب إلى العمل الإبداعي و يقبل عليه ، خاصة إذا بلغ الأثر الأدبي درجة كبيرة من الفنية و الإبداعية و الرقي ، فإنه لا شك يسري في عمق السامع (المتلقي) و يقع في نفسه موقع الاستحسان الفني و القبول المشاعري . فتخلق في نفسه متعة فنية و استمتاعا جماليا ، فتراه حينئذ كله أذانا صاغية إلى النص و محموله الدلالي ، فيعمل فيه

196 - نور الدين السد : الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، ص : 69 .

197 - عبد السلام المسدي : الأسلوبية و الأسلوب ، ص : 137 .

بعد تذوقه فكره و ملكاته العقلية ن لا شيء و إنما جراء انجذابه إلى نفثات سحر هذا العمل الإبداعي الظاهرة منها و الباطنة ، تحملها لغة فنية ارتقت من مستوى الدور التواصلي النفعي العادي إلى درجة التأثير و الفاعلية الجمالية و الإبداعية الفنية .

التأسيس للتحليل الأسلوبي و خاصة البنيوي منه ، لم يأتي جزافاً أو اعتباطاً ، و إنما كان وراء بروزه إلى الوجود بالفعل ، في صورة نالت استحسان المتلقين بمختلف مشاربهم ، الكثير من المفكرين اللغويين منهم أساساً رومان جاكبسون الذي كان له الدور الأعظم في ذلك ، فقد كان منطلقه في ذلك أن (الأدب أبعد من المعنى ، و العمل الأدبي يمثل كل طرائق الأسلوب ، و أن الأسلوب هو البطل الوحيد في الأدب)⁽¹⁹⁸⁾ ، ولهذا نستطيع القول أن رومان جاكبسون قام بالتأسيس للأسلوبية البنيوية التي تنظر إلى الأسلوب على أنه الميدان و الساحة الأولى التي يتحرك فيها البحث و تجري فيها المقاربة .

و إذا يمتنا شطر مفكر أسلوبي بنيوي ، انطلق من كون النص الإبداعي : بنية خاصة و متميزة تشكل منظورا أسلوبيا و تتمظهر فيه ، هذا المفكر هو ميشال ريفاتير الذي ركز في الكثير من أطروحاته الفكرية الخاصة بالأسلوبية ، و اجتهاداته المعرفية التي انصبت على محاولة معرفة ماهية الأسلوب و مكوناته الفنية ، ركز على : مقارنة الأسس الكبرى للأسلوب الفني و معالمة ، دون أن يغفل ، في إدراك واع ، ما تحققة تلك المعالمة من غايات و وظائف أسلوبية كانت أم جمالية فنية ، و عليه فإن (موضوع الدراسة الأسلوبية عند (ريفاتير) هو النص الأدبي

198 - نور الدين السد : الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، ص : 69 .

الراقي) (199). الأسلوبية البنيوية أسيرة موضوع فن الشعر ، و خروجها عنه إلى فضاءات فنية أخرى يعني العجز و القصور و الفشل .

لكن الأمر الذي لا يجمل بنا أن نتجاوز ، أو أن نغض الطرف ، هو أن هذا المدى الأسلوبي الشكلي لم يكن بمعزل عن بعض الانتقادات المنهجية التي صوبها له بعض الدارسين ، رغم كونه قد استمد أسسه من الطابع الموضوعي العلمي ، و من بين هذه المآخذات ، نجدهم قد عابوا عليه ، إفراطه الكبير في الطابع اللغوي الجاف و انغماسه فيه إلى درجة كبيرة جردته من لمساته المرونية ، و من جانب آخر فرط في الجانب المضموني بل تناساها في العمل الأدبي ، هذا الإفراط و التفريط مهذا إلى ظهور اتجاه آخر في الأسلوبية ركز على الجوانب الانطباعية و حاول ملامسة الأبعاد الإنسانية و جوانبها في حيز الأعمال الأدبية الفنية ، و قد أطلق على هذه الموجة اسم الأسلوبية الأدبية التي لقيت عناية و رواجاً في الدراسات الألمانية التي استمدت الكثير من أفكارها و أطروحاتها بل و مرجعياتها من الفلسفة المثالية و استندت عليها .

الأسلوبية الإحصائية

من مسلمات هذا الاتجاه هو (أن الإحصاء الرياضي في التحليل الأسلوبي هو محاولة موضوعية مادية في وصف الأسلوب ، و غالباً ما يقوم تعريف الأسلوب فيها على أساس محدد ..) (200) ذاك ، هو الإجراء الأساس للولوج إلى عوالم النصوص الأدبية ، وهذا من الأسلوبية الإحصائية دلالة على أن أسرار الخطاب الأدبي و عناصره المكونة له بل خصائصه المتمثل عادة في أدواته الجمالية و البلاغية كل هذه الملامح المميزة لا

199 - نور الدين السد : الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، ص : 96 .

200 - المرجع نفسه ، ص : 80 .

تدرك إدراكا حقيقيا إلا بالاعتماد على البعد الإحصائي الدقيق إذ (يهدف التشخيص الأسلوبي الإحصائي إلى تحقيق الوصف الإحصائي الأسلوبي للنص , لبيان ما يميزه من خصائص أسلوبية)⁽²⁰¹⁾ مقارنة بباقي الأعمال الجمالية الأدبية الأخرى (المغيرة) .

إن الأسلوبية الإحصائية التي بنيت أساسا على (.. الوصف الموضوعي و القياس الكمي الذي يستخدم إجراءات التحليل الإحصائي و الرياضي)⁽²⁰²⁾ , رغم نزوعها إلى الموضوعية و العلمية الصرفة , كانت تولي اهتماما ملحوظا لجوانب هامة من الدرس الأسلوبي , إذ تقارب النصوص الإبداعية و تتدارسها للإحاطة بالبنىات المشكلة لها , كما تبحث عن الصيغ و الكلمات و التراكيب التي أعارها الكاتب كبير اهتمام دون غيرها , و ذلك يهدف إلى الوقوف على طبيعة الأنواع المعجمية (المرجعيات المعجمية) للمبدع سواء أكانت إفرادية أو تركيبية أو موسيقية إيقاعية و (.. يهدف إلى تمييز السمات اللغوية فيه و ذلك بإظهار معدلات تكرارها و نسب هذا التكرار)⁽²⁰³⁾ , كما سعت الأسلوبية الإحصائية إلى إظهار خصائص اللغة التي حملها مشاعره و أفكاره , و هذا حتى تؤكد أن المقاربة في حس الأسلوبي الإحصائي يقصد بها تمييز الملامح الأساسية للغة النص , و ذلك انطلاقا من إظهار معدلات تكرار مختلف المعاجم و نسبها في مختلف مستوياتها (الإفرادية و التركيبية و الإيقاعية) , و بهذه الطريقة و هذا اللون من المدارس و المقاربة تتشخص الكثير من الاستعمالات اللغوية عند المبدع , و تظهر الفروق اللغوية المميزة بين المبدعين , دون إغفال للعلل و

201 - محمد عبد العزيز وافي : حول الأسلوبية الإحصائية , مجلة علامات , ح24 , مج11ديسمبر 2001 .

202 - نور الدين السد : الأسلوبية في النقد العربي الحديث , ص: 92 .

203 - المرجع نفسه , ص : 86 .

الأسباب المحققة لذلك , وهذا إن أوحى بأمر فإنما يوحى إحياء قويا (..أنه
يمكن إحصاء هذه الوحدات اللغوية و إخضاعها للعمليات الرياضية) (204) .
المنهج الأسلوبي الإحصائي في الغرب تبناه الكثير من المفكرين و الرواد منهم
برنارد شبلز في مؤلفه (علم اللغة و الدراسات الأدبية ، دراسة الأسلوبية و البلاغة) ،
كراهم هاف في مصنفه (الأسلوب و الأسلوبية) و جون كوهن في كتابه (بنية اللغة
الشعرية) .

²⁰⁴ - نور الدين السد : الأسلوبية في النقد العربي الحديث, ص: 80 .

الباب الأول :

آليات الاتساق في الحديث القدسي

- التمهيد ص : 94
- التماسك النص ص : 100
- المفهوم اللغوي و الاصطلاحي ص : 102
- الاتساق و الانسجام ص : 108
- الاتساق مفهومه و تجلياته و أهم آياته ص : 108
- الانسجام مفهومه و تجلياته و أهم آياته ص : 116.

آليات الاتساق و الانسجام

إذا كان الدرس اللغوي العربي القديم لم يتجاوز بصفة تنظيرية و ابستمولوجية وعملية واضحة المعالم و مضبوطة المصطلحات حدود المستوى التركيبي - الجملة - أكبر الوحدات اللغوية - (إلى النطاق الدلالي للفقرة الكاملة أو المتتالية النصية، فضلاً عن أنه لم يشمل نصاً تاماً في البلاغة القديمة، بينما يقوم علم النص بتناول بناء فقرة أو فصل من النص أو النص كله)⁽²⁰⁵⁾. وإن حدث أن وجدنا في بعض المؤلفات البلاغية أو النقدية إشارات مقتضبة و محاولات سريعة قد تجاوزت نطاق الجملة، فإنها لم تزد على دراسة الترابط القائم بين جملتين، فيما يعرف بمبحث "الفصل والوصل" في البلاغة العربية، وكذلك ما يتصل بباب الإيجاز والإطناب والمساواة؛ حيث ينصب الحكم في هذه المباحث على جملة الكلام، غير أنها - على الرغم من ذلك - لم ترق إلى معالجة الخطاب/النص بوصفه وحدة كلية شاملة و (نسيج الكلمات المنظومة في التأليف ، و المنسقة ، بحيث تفرض شكلاً ثابتاً و وحيداً ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ..)⁽²⁰⁶⁾.

إلا أنه قد بات اليوم يعرف أن الفكرة الرئيسية التي يتمحور حولها التفكير اللساني الحديث و في علم اللغة النصي خاصة أن (النص بنية من الرموز و رسالة مشفرة يقوم المتلقي بتفكيكها)⁽²⁰⁷⁾ ، و هو كذلك (نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض ، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة و المتباعدة في كل واحد)⁽²⁰⁸⁾ ، و على هذا الأساس فإنه (يمكن أن يتطابق مع جملة كما يمكن أن يتطابق مع كتاب كامل و يعرف باستقلالته و انغلاقه .. و يشكل نظاماً مختلفاً عن النظام اللغوي و لكنه يوجد في حالة تعالق معه : علاقة تواجد و علاقة مشابهة)⁽²⁰⁹⁾ ، لهذا لم تعد النظرة إلى الجملة باعتبارها أكبر وحدة في التحليل كافية في الدرس اللغوي، فلا بد من النظر إلى الخطاب/النص باعتباره

²⁰⁵ - صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (164) صفر 1413هـ، أغسطس

1992م، ص 264.

²⁰⁶ - أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، ط 1 : 2001 م ، ص : 26.

²⁰⁷ - حسين خمري : نظرية النص ، منشورات الاختلاف ، ط 1 : 2007 م ، ص : 55

²⁰⁸ - الأزهر الزناد : نسيج النص ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 : 1993 م ، ص : 12 .

²⁰⁹ - حسين خمري : نظرية النص ، ص : 43

وحدة لغوية كبيرة تفهم الجملة في إطارها , و بناء على هذا (فالمعنى يتحدد من خلال النص لا من خلال الجملة , و من هنا ترتبط في النص الأجزاء السابقة باللاحقة , فيمكن أن تفسر جملة سابقة جملة لاحقة و العكس , مما يؤدي إلى القول بكلية النص) (210).

الحديث النبوي الشريف خطاب تعليمي من مقاصده الساس تحقيق الغايات التشريعية والتبينية ؛ و هذه الغايات تندرج جميعها في الغاية التعليمية، وإن تفاعل الحديث النبوي الشريف مع هذه الغايات جعل له خصوصية بين أنواع الخطاب المختلفة ، إلى جانب خصوصية كونه ليس خطاباً بشرياً خالصاً ، وهذه الخصوصية تتطلب رؤية في التنظير السلوبي تراعيها وتتناسب معها وتكشف عن سماتها الفريدة ؛ و لذا فإن إغفال هذه الخصوصية من شأنه أن يضع الكثير من العقبات التي تحول دون الوصول بالباحث إلى غايات البحث و مراميه . ومما لا يكاد يختلف فيه اثنان ، أن من أهم النصوص التي يحس فيها المتلقي المسلم أنها تنفرد باستقلالية و شخصية نوعية تميزه عن باقي الخطابات الدينية الأخرى (القرآن الكريم و الحديث النبوي) : الحديث القدسي , و مثال ذلك :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (211)

- (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعَمْتِكَ فَلَمْ تُطْعَمْنِي قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعَمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تُطْعَمَهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أُطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَهُ ذَلِكَ عِنْدِي يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتَكَ فَلَمْ تَسْقِنِي قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَهُ ذَلِكَ عِنْدِي) (212)

- (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد. ثائر الرأس. نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول. حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإذا هو يسأل عن الإسلام. فقال رسول الله صلى الله

210 - أحمد عفيقي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي , ص : 24 .

211 - سورة البقرة , الآية : 255 .

212 - النووي : صحيح مسلم , ج 8 , ص : 180 .

عليه وسلم "خمس صلوات في اليوم والليلة" فقال: هل علي غيرهن؟ قال "لا. إلا أن تطوع. وصيام شهر رمضان" فقال: هل علي غيره؟ فقال "لا. إلا أن تطوع" وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة. فقال: هل علي غيرها؟ قال "لا. إلا أن تطوع" قال، فأدبر الرجل وهو يقول: والله! لا أزيد علي هذا ولا أنقص منه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أفلح إن صدق".⁽²¹³⁾ و الفرق مدرك من الوهلة الأولى بين هذه الأنواع الثلاث من الخطاب و ذلك لاعتبارات كثيرة , لعل من أهمها في هذا المقام ميزة التماسك و الانسجام النصي .

و من هنا فليس القصد من دراسة آليات التماسك النصي في الحديث القدسي الشريف إقحام مزية و خاصية ليست فيه ، أو إثبات أنه خطاب/نص قائم بذاته باحتوائه على معايير النصية التي وضعها روبرت آلان دي بيوجراند و على رأسها الاتساق و الانسجام , و إنما المراد محاولة كشف النقاب على خصوصية هذا الخطاب التشريعي مقارنة بالقرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف أولا و باقي الخطابات البشرية ثانيا , و من ثمة حضوره المتميز عند المتلقي و تأثيراته فيه و الذي يمكن أن (يجر قارئه إلى فضاء معرفي يرفض كل محاولات التدجين و عمليات التسطيح أو الاحتواء السياسي و الايديولوجي ..)⁽²¹⁴⁾ .. كل ذلك و غيره حرك الرغبة في مقارنته و سبر أغواره ..

و إذا كان الخطاب/النص (وحدة كلامية مكونة من جملتين فأكثر , تحقيقا , أو تحقيقا و تقديرا , منطوقة أو مكتوبة , لها بداية و نهاية تتحدد بها و تتداخل مع منتجها و لغتها في علاقة عضوية ثابتة , و هي تتجه إلى مخاطب معين أو مفترض , و يمكن أن تصاحب تلك الوحدة الكلامية بعض الإشارات السيميائية غير اللغوية التي قد تؤثر فيها)⁽²¹⁵⁾ , كما هو حدث اتصالي ترابطي بين مكوناته من ناحية، و بين النص ونصوص أخرى من ناحية ثانية، و بين صاحب النص و متلقيه من ناحية ثالثة , بل إن العنصر الحاسم (في تكوين النص هو الدور الذي يقوم به في الاتصال الإنساني)⁽²¹⁶⁾ . و من هذا المنطلق فإن المتلقي ليس من الضروري أن يكون فردا , فقد قد يكون أمة، بل أمم،

²¹³ - النووي : صحيح مسلم , ج 2 , ص : 22 - 23 .

²¹⁴ - حسين خمري : نظرية النص , ص : 10 .

²¹⁵ - جمعان بن عبد الكريم : إشكالية النص دراسة لسانية نصية , النادي الأدبي بالرياض , ط 1 : 2009 م , ص :

²¹⁶ - روبرت ديبيجراند و لفيغانغ دريسلر : مدخل إلى علم لغة النص , مطبعة دار الكتاب , ط 1 : 1992 م , ص : أ .

ويبقى الاتصال والترابط خالداً باقياً ما بقيت الدنيا أو شرطاً منها على حسب أهميته أو ذبوعه . وبناء عليه لا يتحقق الاتصال والترابط ، ولا تتحقق النصية تمام التحقيق، ولا يحكم على نحو النص أنه كذلك إلا بعناصر تأسيسية (تعين اتصاف تشكيلة لغوية ما بصفة النصية ... تستعمل لتعيين نوعية النص و تقويمه)⁽²¹⁷⁾ واجبة التحقيق كلها ، لأن النص في حقيقته (واقعة اتصال تلبي سبعة معايير للنصية ، و إذا اعتبر أحد هذه المعايير السبعة غير متحقق ، فإن النص لا يتسم بالإتصالية أذاك ..)⁽²¹⁸⁾، هذه العناصر تتناول في مجملها المرسل والمستقبل والنص من جميع جوانبه المحتملة، ولا يمكن لواحد من هذه المعايير أن يفهم دون وسائط أربعة مجتمعة هي اللغة والعقل والمجتمع والإجراء ، هذه العوامل الأربعة تتخلل العناصر السبعة، ومن ثم تتخلل النص، بل ولها علاقة بالمنشئ والمستقبل أيضاً .

و مما يجب التنبيه إليه هو أنه ينتشر في كتب الدراسات اللغوية الحديثة مصطلحات متعددة كلها يعد تسمية لعلم النص منها علم النص و لسانيات النص و نحو النص ، و قد كانت الإرهاصات الأولى لظهور هذا العلم في 1952 على يد الأمريكي (هاريس) في كتابه تحليل الخطاب (مع بدايات النصف الثاني من هذا القرن)، إلا أن التأسيس له يعود كما ذهب إليه الكثير من الباحثين منهم صلاح فضل إلى (فان ديك)⁽²¹⁹⁾، و كان قد ركز فيه على الجوانب النحوية البنوية و توزيع العناصر اللغوية في النصوص المطولة (لذلك عد عمله بمثابة إرهاص لهذا العلم الجديد)⁽²²⁰⁾ ، ثم تطورت الدراسات النصية و تبلورت النظرية مع (فان دايك) الذي ينظر إليه على أنه (المؤسس الحقيقي لعلم اللغة النصي)⁽²²¹⁾ ، و تكامل العلم مع الأمريكي (روبرت دي بوجراند) و (جليسون) و (هارفيج) و(دريسلر) و(فاينريش) و (كلوس برينكر) و غيرهم الذين في مرحلتهم تحطمت الكثير من الحواجز المعرفية و الإشكالات اللغوية ، و أصبح علم اللغة النصي يستفيد من كثير من العلوم منها ما هو لغوي و منها ما هو غير لغوي، قصد دراسة)

217 - روبرت ديبيغراندي و لفتاغ دريسلر : مدخل إلى علم لغة النص، ص : 12 .

218 - المرجع نفسه ، ص : 25 .

219 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص ، ص : 234 .

220 - جمعان بن عبد الكريم : إشكالية النص دراسة لسانية نصية ، ص : 19 .

221 - المرجع نفسه ، ص : 20 .

النصوص دراسة لسانية , من خلال اتجاهات متعددة نحوية - دلالية - تداولية - إجرائية , أو حتى من خلال اتجاهات غير لغوية كالاتجاهات الاتصالية و الاتجاهات الإدراكية ..(222).

وعلم النص هو علم انتهى من تصريف المفردات , و نحو الجملة وتراكيبها، إلى نحو النص، فحاض في أعماق علوم اللغة كلها، وربط كل ذلك بالعلوم الأخرى ، فلم يقف على علم يمكن الاستفادة منه ويقبل الانضمام إلا وضمه إليه، ومن تلك العلوم الجغرافية والتاريخية والرياضية والفلسفية والنفسية والفيزيائية... الخ . ونحو النص يقوم على نظرة شاملة للنص وهو من العلوم الحديثة؛ إذ تعود بدايته إلى أربعة عقود من الزمان تقريباً، ولم تتضح معالمه بعض الشيء إلا في بداية السبعينات، وقيل منتصف الستينات من القرن الماضي، ويستمد جذوره وأصوله من الكم الكبير العظيم، ذلك التراث النحوي القديم.

ويقوم هذا العلم على ربط أجزاء الكلام، والجمل والتراكيب -أعني- يقوم بعملية الربط الداخلي للنص و (الوصف و الدراسة اللغوية للأبنية النصية , و تحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي)⁽²²³⁾، ثم ينتقل إلى ربط النص بالعالم الخارجي، سواء كان أعلاماً، أو علوماً أو نحو ذلك، متبعاً في سبيل تحقيق ذلك منهجه المتميز، متمكناً من أدواته، متحملاً نتائج وتبعات التداخل المعرفي الذي ينعت به هذا العلم الذي يرى أن النص نظام مركب (من عدة أنظمة تتفاعل فيما بينها و يتأثر كل نظام منها بضوابطه الذاتية الخاصة , و بضوابط خارجية من الأنظمة الفرعية الأخرى في علم اللغة كذلك)⁽²²⁴⁾. هذا والترابط يتم باجتماع سبعة معايير هي (التضام)⁽²²⁵⁾/الاتساق و (التقارن)⁽²²⁶⁾/الانسجام و القصديّة⁽²²⁷⁾ و (التقبلية)⁽²²⁸⁾/المقبولية و الإعلامية⁽²²⁹⁾ و

222 - جمعان بن عبد الكريم : إشكالية النص دراسة لسانية نصية , ص : 33 .

223 - أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي , ص : 31 .

224 - روبرت ديبغرانند و لفتاغ دريسلر : مدخل إلى علم لغة النص , ص : 10 .

225 - المرجع نفسه , ص : 11 .

226 - المرجع نفسه , ص : 11 .

227 - المرجع نفسه , ص : 12 .

228 - المرجع نفسه , ص : 12 .

الموقفية⁽²³⁰⁾ و (النصوصية)⁽²³¹⁾/التناص ، كما يتم بإرجاع العناصر الإحالية إلى العناصر الإشارية . و لا شك أن أعمال تلك المعايير السبعة في تحديد ما به يكون نصا إنما يعدل من التقابل بين مفهومي الجملة و النص، إذ لم يعد التمييز بينهما منحصرًا في الكم أو البنية النحوية و إنما في توافر هذه المعايير السبعة ، فالعلوم تعنى بوصف النصوص (طبقًا لمنظوراتها و وجهاتها المتعددة ...)⁽²³²⁾.

واهتمام هذا المنهج المعرفي اللساني بالربط الداخلي و الخارجي بين مكونات الخطاب/النص و أجزائه من جهة ، وقائله و متلقيه من جهة أخرى ، وكذلك ربط النص بنص آخر أو نصوص أخرى، علاوة على ربطه بالعلوم الأخرى، كل ذلك يسوقنا إلى القول بأن التماسك والربط و الارتباط قضايا استراتيجية لا يستهان بها ؛ إذ لو اقتصر الشأن على الجمل من حيث العلاقة الإسنادية لهان الأمر، ولكنه لما طالت الجمل وتداخلت مع جمل أخرى أو انفصل بعضها من بعض وتعرى الكلم مما يربط ويبين ما الذي ينتمي إلى هذا، وما الذي ينتمي إلى ذاك، فاعتور الكلام التفكك ودخل المعنى في غيابات الغموض، ووقع اللبس ونمت الآفات القارضة للاتصال والتفاهم وفسدت التراكيب.

و رغم أهمية كل ذلك فإن هذه الدراسة لا تقف عند حد المعايير النصية السبعة السابقة و لا عند الحيثيات التي تلتها ، فالوصف اللغوي للنص ، كما هو معلوم مما تقدم ، وصف معقد يتجاوز حدود الواقع اللغوي إلى الواقع الخارجي والعلوم الأخرى، و بنيته النصية (بنية بالغة التركيب و التعقيد ، و يستحيل القبض على مستويات النص المختلفة دفعة واحدة)⁽²³³⁾ إذ نشاطه واسع خلاق ، و إنما تركزت بؤرة الاهتمام على آليات الاتساق و الانسجام في مبحث خاص هو هذا المبحث بشيء من التفصيل ، محاولين تسليط الضوء على مدى حضورها في الحديث القدسي و دورها في ربط مكوناته

229 - روبرت ديبغراندي و لفيغانغ دريسلر : مدخل إلى علم لغة النص ، ص : 12 .

230 - المرجع نفسه ، ص : 12 .

231 - المرجع نفسه ، ص : 12 .

232 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص ، ص : 228 .

233 - حسين خمري : نظرية النص ، ص : 55 .

الخارجية/البنية السطحية - الأدوات الظاهرة و الذي يسميه روبرت ديبيراند (الترابط الرصفي)⁽²³⁴⁾ الذي يهتم (بالطريقة التي تكون بها العناصر اللغوية المتوالية التي يتكون منها النص ذات معان يتصل بعضها ببعض على أساس من القواعد النحوية ..)⁽²³⁵⁾ , و ترابط كل ذلك - في تفاعلية معقدة - بمكونات الخطاب/النص الداخلية/البنية التحتية - الأدوات الضمنية - (الربط بدون تلك الأدوات) أو ما يسمى (الربط المفهومي)⁽²³⁶⁾ , و التي في عالم النص يفترض (أن يكون مكونا من أفكار و علامات . و تعرف هذه الأفكار و العلامات في جملتها بأنها صور معرفية أو محتوى معرفي يمكن أن يستعاد أو ينشط في الذهن في وحدة أو مناسبة أو علاقات تمثل اتصالا بين الأفكار التي تظهر معا في عالم نص ما)⁽²³⁷⁾ , إذا سنحاول توضيح مفهوم (خاصيتين أساسيتين (238) من خواص الخطاب/النص و هما: "الاتساق" و " cohésion " "الانسجام" " Cohérence " .. و لكن قبل تفصيل ذلك يحسن بنا في هذا المقام أن نتحدث بداية عن :

التماسك النصي

يعتبر التماسك النصي من المقولات الجوهرية و المركزية في مفاهيم اللسانيات النصية , إذ يحتل موقعا استراتيجيا في الأبحاث و الدراسات التي تهتم بتحليل الخطاب/النص , و السبب في ذلك أن من غايات التماسك النصي الأساس توظيف آليات الاتساق و آليات الانسجام الرابطة لبنى الخطاب/النص الداخلية و الخارجية لفهم بنيته الكلية الكبرى انطلاقا من رؤية شمولية متماسكة لا تقتصر في تحليلها على الجملة أو مجموعة من الجمل و إنما على الخطاب/النص كله (من حيث هو وحدة لسانية قائمة

²³⁴ - روبرت ديبيراند : النص و الخطاب و الإجراء , ترجمة تمام حسان , عالم الكتب , ط 2 : 2007 م , ص :

. 127

²³⁵ - تمام حسان : اجتهادات لغوية , عالم الكتب , ط 1 : 2007 م , ص : 366 .

²³⁶ - المرجع نفسه , ص : 171 .

²³⁷ - المرجع نفسه , ص : 370 .

²³⁸ - حسين خمري : نظرية النص , ص : 48 .

بذاتها) (239). و على هذا الأساس (فقد أفرد له هاليداي و رقية حسن كتابا مستقلا , و شغل حيزا كبيرا في مؤلفات فان ديك و دريدا و دي بوجاند و غيرهم ..) (240) , بل هناك من حصر الدراسة فيه ليس إلا , و جعل التماسك النصي هو كل شيء في العملية التحليلية للخطاب/النص و مقارنته , إلى درجة أن بات الخطاب/النص في تصورهم يساوي التماسك و التماسك هو الخطاب/النص , و بالتالي فالدراسة التحليلية للخطاب/النص ما هي إلا تعاط مع كينونة تماسكه .

و قبل أن نتعرض لآليات الاتساق أو (الوسائل التي تؤدي إلى سبك سطح أو ظاهر النص) (241) /الربط الخطي بين العناصر اللسانية و الانسجام أو الوسائل المحددة لـ(أنماط العلاقات بين المفاهيم , التي تؤدي إلى حيك عالم النص) (242) /الربط بين المتصورات و الدلائل المتحققة بوسائل غير لسانية و تجلياتها في الحديث القدسي , لا بد أن نقدم تعريفا أو مفهوما للتماسك النصي حتى تتضح صورة الموضوع أكثر و تبرز معالمه و أهدافه ..

من المعلوم (أن تحديد النص و إنتاجه و فهمه و تمثله و تحليله و معالجته آليا و غير ذلك من القضايا و الإشكالات هو مما أصبح يشكل محط اهتمام عدد من العلماء و الباحثين المنتمين إلى حقول معرفية متعددة مثل اللسانيات و المنطق و الرياضيات و الإعلاميات و علم النفس المعرفي و الذكاء الاصطناعي و السميائيات و التداولية ...) (243) , و لكن قبل ذلك و بعده فإن التعاطي مع كل ذلك لا يتأسس إلا بعد أن ينتهي الدارس من تجلية حقيقة التماسك النصي لديه و يستقر تصوره له , و لهذا أصبح التماسك النصي من المصطلحات النقدية المعاصرة، التي ظهرت في إطار علم اللغة النصي، أو نظرية النص...، وهو مصطلح مفهومي شمولي يعبر عن التماسك

239 - الأثر الزناد : نسيج النص , ص : 16 .

240 - أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي , ص : 61 .

241 - جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية , الهيئة المصرية العامة للكتاب , 1998 م , ص : 71 .

242 - المرجع نفسه , ص : 71 .

243 - محمد مفتاح : النص : من القراءة إلى التنظير , شركة النشر و التوزيع - المدارس - الدار البيضاء , ط 1 :

2000 م , ص : 3 .

الشكلي/الخارجي (التماسك النحوي و المعجمي) و التماسك الدلالي/الداخلي (التماسك المفهومي والتأويلي) بين الوحدات اللغوية المكونة لمنظومة بنية الخطاب/النص الفني و غير الفني بمعية الوسائل المحققة لخاصية الاستمراريته و التواصليته و التفاعليته و الفاعليته ، سواء أكانت هذه الوحدات اللغوية في صورتها الجزئية أم الكلية . و به يحدث نوع من الانسجام الداخلي و الخارجي التام بين وحدات الخطاب/النص ، مما يجعلها تظهر في صورة لحمة واحدة و بنية كلية ، تحمل خصائصها الذاتية والنوعية التي تتميز بها عن غيرها من ألوان العمليات التواصلية المختلفة . فالنص كما يعرفه فاينرش Weinrich (وحدة كلية مترابطة الأجزاء؛ فالجمل يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد، بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهماً معقولاً، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهماً أفضل)⁽²⁴⁴⁾ ، من هذه الزاوية يختص معيار تماسك الخطاب/النصي بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص و باطنه ، أي أن هذا المعيار يترتب على إجراءات تبدو له العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها اللاحق و ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوي ، و الشيء نفسه مع العناصر العميقة و لكن بوسائل مختلفة و لكنها منسجمة مع طبيعة الوضعية ، يتحقق كل ذلك بتوفير مجموعة من وسائل الاتساق و الانسجام التي تجعل الخطاب/النص محتفظاً بكيونته و استمراريته و من بين هذه الوسائل: التكرار، أدوات الربط، الإحالة و الحذف.. و التأويل والسياق و الفهم المحلي و القياس و العلاقات ...

مفهوم التماسك النصي (لغة واصطلاحاً)

المعنى اللغوي :

تكاد معظم المعاجم العربية تحصر الدلالة اللغوية لكلمة (التماسك) في ثلاثة معانٍ محورية و هي : الاحتباس والاعتدال والارتباط . (الميم و السين و الكاف أصل واحد صحيح يدل على حبس الشيء أو تحبسه ..)⁽²⁴⁵⁾ فقد ورد في الأصل (م س ك) : (

²⁴⁴ - محمد العبد : اللغة والإبداع الأدبي ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1: 1989م ، ص : 36.

²⁴⁵ - ابن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ج5 ، ص : 320 .

أَمَسْكَ وَتَمَسَّكَ وَاسْتَمَسَّكَ ، وَمَسَّكَ : اِحْتَبَسَ وَاعْتَصَمَ بِهِ (246) . وَ (فِي صِفَتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ كَانَ (بَادِنًا مَتَمَسِّكًا) ، أَي : مَعْتَدِلَ الْخَلْقِ ، كَأَنَّ أَعْضَاءَهُ يَمَسُّكَ بَعْضُهَا بَعْضًا .) (247) ، وَقِيلَ : (فَلَانٌ يَتَفَكَّكَ وَلَا يَتَمَسَّكَ ، وَ مَا تَمَسَّكَ أَنْ قَالَ ذَلِكَ .. وَ هَذَا حَائِطٌ لَا يَتَمَسَّكَ وَ لَا يَتَمَالِكُ .. وَ إِنَّهُ لَذُو مَسَكَةٍ وَتَمَسَّكَ ، أَي : ذُو عَقْلٍ ... وَ مَا بِهِ تَمَسُّكَ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ خَيْرٌ ..) (248) . وَ (يُقَالُ فِيهِ مَسَكَةٌ مِنْ خَيْرٍ بِالضَّمِّ أَي بَقِيَّةٌ) (249) .

وَفِي الْمَعْجَمِ الْوَجِيزِ (م س ك) : (مَسَّكَ بِالشَّيْءِ مَسَكًا : أَخَذَ بِهِ وَتَعَلَّقَ وَاعْتَصَمَ ... وَيُقَالُ : تَمَسَّكَ الْبِنَاءُ : قَوِيَ وَاشْتَدَّ ... وَالتَّمَسُّكُ : تَرَابُطُ أَجْزَاءِ الشَّيْءِ حَسِيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا . وَمِنْهُ : التَّمَسُّكُ الْاجْتِمَاعِيُّ ، وَهُوَ تَرَابُطُ أَجْزَاءِ الْمَجْتَمَعِ الْوَاحِدِ) (250) . لَمْ تَرُدْ فِي الْمَعْجَمَاتِ اللَّغَوِيَّةِ إِشَارَةٌ إِلَى ارْتِبَاطِ هَذَا الْجَذْرِ بِالنَّصِّ اللَّغَوِيِّ ، سِوَاءِ أَكَّانٍ مَنْطُوقًا أَمْ مَكْتُوبًا .

وَلَمْ أَقِفْ عَلَى ذِكْرِ لِهَذَا الْمَصْطَلَحِ فِي الدِّرَاسَاتِ اللَّغَوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ أَوْ الدِّرَاسَاتِ الْأَدْبِيَّةِ النَّقْدِيَّةِ ، وَهَذَا لَا يَعْنِي إِهْمَالَ الدِّرَاسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ مَبْدَأَ التَّمَسَّكَ فِي النُّصُوصِ ، وَارْتِبَاطِ أَجْزَائِهَا مَكُونَةً كَلًّا مَتَكَامَلًا ، فَقَدْ اسْتَعْمَلْتُ مَصْطَلَحَاتٍ مُتَعَدِّدَةً تَدُلُّ عَلَى التَّمَسَّكَ ، كَمَصْطَلَحِ (السَّبْكَ) وَ (الْإِنْسِجَامِ) وَ (الْإِتْسَاقِ) وَ (النِّزْمِ) وَ (الضَّمِّ) وَغَيْرِهَا ، بِيَدِ أَنْ دُورَانَ تِلْكَ الْمَصْطَلَحَاتِ كَانَ مَحْصُورًا فِي كُتُبِ الْبَلَاغَةِ وَالنَّقْدِ .

وَالْوَاقِعُ أَنَّ الثَّقَافَةَ الْعَرَبِيَّةَ لَمْ تَكُنْ بِمَنَآئِ عَنِ مَفْهُومِ التَّمَسَّكَ ، لَكِنِ الْمَصْطَلَحَاتِ الْمُسْتَعْمَلَةَ فِيهَا وَالدَّالَّةَ عَلَى التَّمَسَّكَ تَحْتَاجُ إِلَى بَعْضِ التَّحْرِيرِ ، إِذْ لَمْ تَكُنْ مُسْتَقَرَّةً اسْتِقْرَارَ الْمَصْطَلَحَاتِ الْمَعْرُوفَةِ .

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ احْتِجَّ إِلَى مَصْطَلَحٍ يَكُونُ جَامِعًا وَدَالًّا عَلَى الْإِفَادَةِ مِنَ الدِّرَاسَاتِ اللَّسَانِيَّةِ الْحَدِيثَةِ ، خَاصَّةً فِي مِيدَانِ عِلْمِ اللُّغَةِ النَّصِّيِّ وَتَحْلِيلِ الْخَطَابِ ، فَكَانَ ذَلِكَ

246 - الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، دار الكتب العلمية ، ط 2 : 2007 م ، ص : 966 .

247 - ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث و الأثر ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، المكتبة الإسلامية ، ج 4 ، ص :

330 .

248 - الزمخشري : أساس البلاغة ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، ص : 429 - 430 .

249 - الرازي : مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، ص : 261 .

250 - مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، ط 1 : 1980 م ، ص : 582 .

المصطلح هو مصطلح (التماسك) ، لاسيما أنّ مجاز الاستعمال في هذا الجذر يسمح لنا بالقياس عليه، ولو أننا تمسكنا بالمصطلح القديم لظنّ ظانّ أننا لن نخرج عمّا أسّسه الأوائل ، ولن نُعنى بمقولات المحدثين ، وليس ذلك ما نريد.

المعنى الاصطلاحي :

بالتأمل فيما أورده أصحاب المعجمات العربية من معانٍ يدلُّ عليها الجذر (م س ك) يمكننا الربط بينها وبين المعنى الاصطلاحي على النحو الآتي :

1 - فـ(الاحتباس) في النص ، يعني أن يكون له بداية ونهاية ، والرسالة محبوسة بينهما ، حيث لا تظهر (إلا في حركة إنجاز الكلام في الخطاب ، في تفعيل قدرتنا اللسانية في الإنجاز ..)(251).

2 - و(الاعتدال) في النص ، يعني أن يكون له معنى وهدف ، على الرغم من أنه (لا توجد هناك قاعدة للقيام بتخمينات حسنة ، لكن توجد منهجيات لإثبات التخمينات ..)(252).

3 - و(الارتباط) في النص ، يعني أن تكون الأفكار فيه والمعاني متعلّقا بعضها ببعض تعلّقا منطقيًا ، بحيث أن كل علاقة فيه (علاقة تنتج بواسطة علاقة ، و معنى هذا أن هناك علاقة أولى تكون منطلقا لتوالد عدة علاقات في سيرورة و سيرورة متواليّة ..)(253) .

4 - وفي صفة جسد النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان (بادئًا متماسكًا) ، فلو أننا شبّهنا النصّ بالجسد الذي أورده صاحب اللسان لرأينا أنّ التماسك فيه يعني أن يكون النصّ مشدودًا بعضه إلى بعض ، فلا ينفك منه جزء عن الآخر ، حتى كأنّ أجزاءه يمسك بعضها بعضًا ، كأجزاء الجسد التي تعمل في تكامل عضويّ واعتمادٍ متبادلٍ بينها ، فلا يستغني عضوٌ فيه عن الآخر ، وهكذا هي الحال في النصّ، إذ تعمل جملة وقضاياه في تكاملٍ عضويّ ، تعتمد الجملة اللاحقة على السابقة ، ولا تستغني عنها ، كل ذلك (له دور حاسم في تشكل النص) (254).

²⁵¹ - بول ريكور : من النص إلى الفعل ، أبحاث التأويل ، ترجمة محمد برادة - حسان بورقية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط 1 : 2001 م ، ص : 80 .

²⁵² - المرجع نفسه ، ص : 154 .

²⁵³ - محمد مفتاح : النص : من القراءة إلى التنظير ، ص : 9 .

²⁵⁴ - المرجع نفسه ، ص : 12 .

5 - و(يتفكك ولا يتماسك) ، فالمزاوجة بين التفكك وعدم التماسك دليل على أنهما شيء واحد ، وإذا علمنا أن التفكك هو الانفصال وعدم التعلق والارتباط تبين لنا أن الضد هو التلاحم والتعلق ، وذلك من أبرز خصائص النص ، و لهذا فكل جملة فيه هي (بمثابة نقلة شطرنج ، تتولد عنها احتمالات عديدة ، بعضها ممكن و بعضها ممنوع ، أو بتعبير آخر تشعبات بعضها ينمي و بعضها يلغى)⁽²⁵⁵⁾، فهل هناك آليات تضمن التماسك و تسهر على التفكيك ؟

6 - و(إنه ذو مسكة و تماسك ، أي : ذو عقل) ، فإذا كان التماسك هو العقل ، فإن من معاني العقل الربط والإيثاق . والربط هو من أبرز خصائص النص للقيام بوظيفتين أساسيتين (وظيفة موجهة و منظمة للأفعال الكلامية المتتالية التي يبني بها الوضع الخطابي المقصود ، و وظيفة التعويض المصلحة للاضطرابات الناتجة عن المشاركين في الخطاب ، أو عن أخطاء المتكلم)⁽²⁵⁶⁾.

7 - و(ما به تماسك إذا لم يكن فيه خير) فهذا المجاز يمكن أن يشير إلى كون النص لا يعد نصاً متماسكاً ما لم يكن محتوياً على موضوع ، ولم تكن أفكاره مترابطة ترابطاً منطقياً معتداً به ، و (بذلك يمكن أن يشكل تتابع كلي أو جزئي لعدد كبير من القضايا وحدة دلالية على مستوى أكثر عمومية)⁽²⁵⁷⁾.

8 - و(تماسك البناء : قوي واشتد .. و التماسك : ترابط أجزاء الشيء حسياً أو معنوياً) من خلال هذه المعاني يستشف الباحث أنها جميعاً ذات قواسم مشتركة مع مصطلح التماسك النصي و نقاط تقاطع متشابهة معه ، و من ثمة يمكن أن تجتمع كل تلك المعطيات الدلالية لتكون لنا تصوراً يتمركز في نظام لساني (.. يخلق بنية النص ، هذه البنية لا يمكن أن تكون مجرد تتابع للعلامات و لكنها تملك تنظيماً خاصاً من داخلها و رؤية دلالية من ذاتها تخصها ..)⁽²⁵⁸⁾، و لهذا فإن جمل الخطاب/النص لا بد أن ترتبط بنظام معين و نخضع لمقتضيات منظومة محددة ؛ لكون النص بناءً له أجزاء وعناصر ،

255 - محمد مفتاح : النص : من القراءة إلى التنظير ، ص : 13 .

256 - المرجع نفسه ، ص : 13 .

257 - فان ديك : علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة سعيد حسن بحري ، ط 1 : 2001 م ، ص : 75 .

258 - أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص : 97 .

يحتاج إلى دعائم وروابط تقويّه وتشدّ بعضه إلى بعض ليكون كالشيء الواحد . و من هنا التماسك النصي من حيث المفهوم الاصطلاحي (هو وجود علاقة بين أجزاء النص أو جمل النص و فقراته , لفظية أو معنوية , و كلاهما يؤدي دورا تفسيريًا , لأن هذه العلاقة مفيدة في تفسير النص)⁽²⁵⁹⁾ , ويمكننا حملُ هذه العلاقة على أنها ذات بعدين بعد الترابط الحسيّ (التماسك عن طريق الأدوات الشكلية/الملفوظة : النحوية والمعجمية) وهو ما يسمّى بـ (الاتساق) , وبعد الترابط المعنوي/ الدلالي (التماسك عن طريق الأدوات المعنوية/الملفوظة) وهو ما يسمّى بـ (الانسجام) .

وقد نبهه فان دايك إلى اختلاف مفهومه للتماسك عن مفهوم هاليدي ورقية حسن , إذ يقصر هذا المفهوم على الناحية الدلالية , بل إنه يحدده أكثر من حيث طريقة تناوله فيقول إنه (مجموعة الشروط التي تحدد العلاقات أزواجاً , أي ضروب التعلق والتبعية بين الأحداث كما تعبّر عنها الجمل المؤلفة وما تركّب منها , ولها صلة بعالم ممكن , وبموضوع تحاور ممكن)⁽²⁶⁰⁾ ؛ ولذلك فإنه يصف التماسك عند هاليدي ورقية حسن بأنه (مركزٌ على البنى السطحية للنصوص)⁽²⁶¹⁾ . ويمكننا أن نخرج مما سلف بتعريف للتماسك النصي على أنه نظام تعالق مكونات النص بعضها ببعض , عن طريق تشابك علاقات شكلية/ملفوظة (تسوس العلاقات المتبادلة بين التراكيب الضمن جمالية أو بين الجمل)⁽²⁶²⁾ بعلاقات دلالية/ملفوظة تتعلق (بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي)⁽²⁶³⁾ و توظف (سيرورات إدراكية غير لسانية مشكلة معقدة)⁽²⁶⁴⁾ , تولد ديناميكية الربط بين عناصر النص الداخلية و الخارجية , لتصنع رسالة تؤسس لعلاقة تواصلية تفاعلية بين المرسل و المتلقي (سواء أكان ذلك المتلقي فرداً أو جماعة ,

259 - أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي , ص : 97 .

260 - فان ديك : النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) , ص 179 , الهامش رقم (1) .

261 - منذر عياشي : العلاماتية وعلم النص , المركز الثقافي العربي , ط1 : 2004م , ص : 148 , الهامش رقم

(4) .

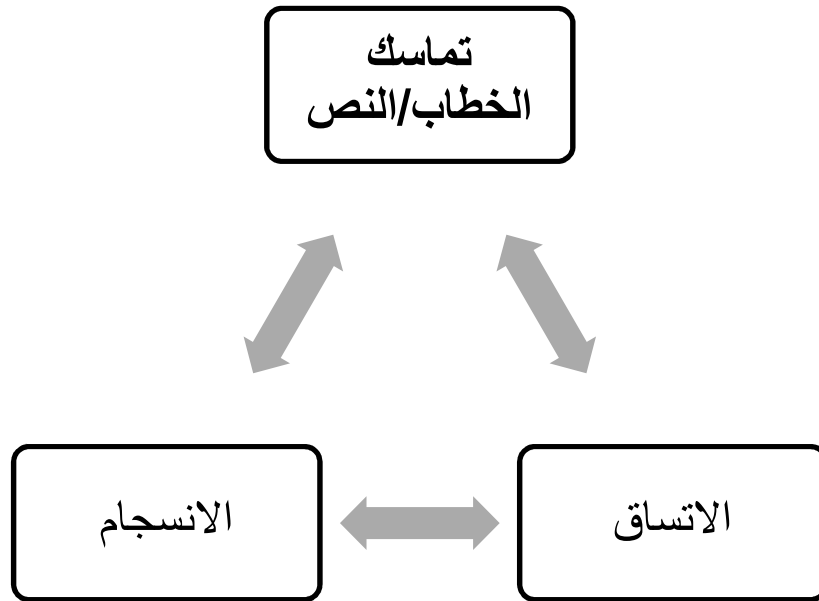
262 - المرجع نفسه , ص : 132 .

263 - المرجع نفسه , ص : 133 .

264 - المرجع نفسه , ص : 133 .

موجودا بالفعل أو بالقوة ..)(²⁶⁵ فيفهمها ويتفاعل معها سلبيًا وإيجابيًا , و هدف المرسل من وراء ذلك (ربح المتلقي و كسبه إلى جانبه , و الربح - هنا - كيفي و ليس كميًا)(²⁶⁶ ..

ولقد غدا التماسك/الترابط النصي أهم وأشهر المعايير التي يقوم عليها تحليل الخطاب/النص ؛ و ذلك لانه (ذو طبيعة دلالية من ناحية , و ذو طبيعة خطية شكلية من ناحية أخرى , و أن الطبيعتين تتضافران معا لتحقيق التماسك الكلي للنص)(²⁶⁷ , ولذلك أعتبره بعض الباحثين شرطاً ضرورياً وكافياً للتعرف على ما هو خطاب/نصٌ، وعلى ما ليس خطاباً/نصاً ؛ لأنّ النظرة إلى الخطاب/النص تعتبره (سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة و تشكل وحدة تواصلية . و لا يهم أن يكون المقصود هو متتالية من الجمل , أو من جملة واحدة , أو من جزء من الجملة)(²⁶⁸ و لكنه أخيراً يعرف (باستقلالته و انغلاقه)(²⁶⁹ .



²⁶⁵ - محمد مفتاح : دينامية النص , المركز الثقافي العربي , ط3 : 2006 م , ص : 50 - 51 .

²⁶⁶ - المرجع نفسه , ص : 51 .

²⁶⁷ - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر و التوزيع , القاهرة, ط1" 2000 م , ج 1 , ص : 98 .

²⁶⁸ - منذر عياشي : العلاماتية وعلم النص ، ص : 119 .

²⁶⁹ - منذر عياشي : الكتابة الثانية و فاتحة المتعة , المركز الثقافي العربي , ط1 : 1998 م , ص : 118 .

الاتساق و الانسجام

يحتل اتساق النص و انسجامه موقعا استراتيجيا في البحوث و الدراسات التي تدخل في إطار تحليل الخطاب و لسانيات الخطاب , فقد ميزت هذه الأخيرة (بين مستويين , أطلقت على الأول مصطلح الاتساق و على الثاني مصطلح الانسجام , فقصدت بالأول ما هو متحقق نصيا يقود إلى ترابط الخطاب و عدم تفككه . و قصدت بالثاني ما هو مبني من قبل المتلقي استنادا إلى معرفته الخلفية و و درجة تطبيع علاقته مع النص ضمانا لعدم تناقضه و تعبيره عن رؤى موحدة و ثوابت متضامنة)⁽²⁷⁰⁾ , و على هذا الأساس لا يكاد الدارس يعثر على مؤلف (ينتمي إلى هذه المجالات خاليا من هذين المفهومين أو من المفاهيم المرتبطة بهما كالترباط و التعالق و ما شاكلهما)⁽²⁷¹⁾ . و نسارع إلى القول - بداية - أن المقصود بالاتساق في هذا المقام هو الآليات اللغوية الشكلية التي تربط بين أجزاء النص و مكوناته على المستوى السطحي , أما الانسجام فيراد به الآليات التي تتجاوز المستوى السطحي إلى مستوى مجموعة مفاهيم الرابطة بين مكونات النص .

1 - الاتساق مفهومه و تجلياته :

إذا رجعنا إلى القواميس، و أمهات الكتب العربية باحثين عن المعنى الذي يمكن أن يأخذه الجذر (و س ق) فإننا نجده يدور عموما حول مفهوم الاكتمال و التمام ، أما ابن فارس فيؤكد أن (الواو و السين و القاف : كلمة تدل على حمل الشيء)⁽²⁷²⁾ , بينما في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) فيعني الجذر (و س ف) : (وسقت النخلة إذا حملت ، فإذا كثر حملها قيل أوسقت أي حملت وسقا...و وسقت الناقة و غيرها تسق أي

²⁷⁰ - جمال بندحمان : الأتساق الذهنية في الخطاب الشعري التشعب و الانسجام , TOP EDITION , ط1 : 2009 م , ص : 37 .

²⁷¹ - محمد خطابي : لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب , المركز الثقافي العربي , ط2 : 2006 م , ص : 5

²⁷² - ابن فارس : مقاييس اللغة , ج6 , ص : 109 .

حملت و أغلقت رحمها على الماء ، فهي ناقة واسق ، و نوق وساق .. و قد وسق الليل و اتسق ، و كل ما انضم ، فقد اتسق .. و اتساق القمر: امتلاؤه و اجتماعه و استوائه .. و اتسقت الإبل و استوسقت : اجتمعت .. و قيل : كل ما جمع فقد وسق .. و الاتساق : الانتظام (273) . بينما نجد ابن فارس يوجز دلالة الاتساق في قوله (الواو و السين و القاف : كلمة تدل على حمل الشيء) (274) .

أما الفيروز آبادي (ت 817م) في القاموس المحيط فيقول : (و سقه يسقه جمعه و حملة و منه : (و الليل و ما وسق) و طرده و منه الوسيقة و هي من الإبل كالرفقة من الناس فإذا سرقت طردت معاً، و الناقة حملت و أغلقت على الماء رحمها فهي واسق ، و استوسقت الإبل اجتمعت ، و اتسق انتظم ، و الميساق الطائر يصفق بجناحيه إذا طار (275) ، و الطائر إذا طار و كان مصفقا بجناحيه ، كان في ذلك اتساق كبير و انتظام ظاهر ، كما يقول السيوطي (ت 911 م) : (اتسق القمر إذا تم و امتلأ ليلة أربع عشرة ، ووزن اتسق افتعل ، و هو مشتق من الوسق و يقال اتسق استوى) (276) ، و الملاحظ في الذي ذكر ابن منظور ، و الفيروز آبادي ، و السيوطي أن المعنى الذي يكاد يتكرر حول الجذر (وس ق) هو الاجتماع و الانتظام و الاكتمال ، و هذا لا يبعد أبداً عن المعنى الذي يدور الآن في كتب الاختصاص في لسانيات النص .

المفهوم الاصطلاحي :

يعتبر الاتساق من أهم المصطلحات الإستراتيجية و المحورية في الحقول المعرفية التي تهتم بلسانيات النص ، و على هذا الأساس لقي هذا المصطلح العناية المعقدة من قبل الباحثين المهتمين بهذا المجال اللساني ، فنجد محمد خطابي يعرفه على أنه (ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/خطاب ما ، يهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته) (277) . هذا يعني أن هذا التماسك النصي إنما هو نتاج تفاعل ديناميكي لمجموعة أدوات لغوية شكلية

273 - ابن منظور : لسان العرب ، مادة (و س ق) ج 10 ، ص : 300 - 301 .

274 - ابن فارس : مقاييس اللغة ، ج 6 ، ص : 109 .

275 - الفيروز: القاموس المحيط ، مادة (و س ق) ، ج 3 ، ص : 289 .

276 - السيوطي : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، دار الكتب العلمية، ط 1 : 1988 م ، ج 1 ، ص : 570 .

277 - محمد خطابي : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص : 05 .

ترابطية تعد مكونات مفصلية و محورية فعالة في إيجاد الظاهرة الاتساقية .
فالخطاب/النص إذا لا يكون متسقا إلا إذا حوى جملة من الروابط النحوية و المعجمية و
(.. مجموعة الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة ببعضها بعض
(278) .

إن مصطلح الاتساق أو التماسك الشكلي **Cohesion** إنما يشير بداية (.. إلى
الأدوات الكلامية التي تسوس العلاقات المتبادلة بين الترايب ضمن الجملة أو بين الجمل
, لا سيما الاستبدالات التركيبية التي تحافظ على هوية المرجع) (279) , و على هذا
الأساس نجده (أقرب إلى ظاهر النص , و يرتبط بالدلالة النحوية التي تعنى بكيفية انتفاع
المتلقي بالأنماط و التتابعات الشكلية في استعمال المعرفة و المعنى و نقلهما و تذكرهما
(280) , وهذا الترابط يهتم بالروابط التي تجري في سطح النص أكثر من اهتمامه
بالمشكل الدلالي أو المعنوي للنص , وإذا كان هناك اهتمام بالدلالة وروابطها فيأتي
عارضاً , وانطلاقاً من الشكل إلى الدلالة ؛ إذ إن كل الروابط التي تربط ظاهر النص
تحتوي ضرورةً على قدر من الدلالة تم الربط وفقاً لها . و من هنا فإن الاتساق إنما يعني
(تحقيق الترابط الكامل بين بداية النص و آخره دون الفصل بين المستويات اللغوية
المختلفة حيث لا يعرف التجزئة , و لا يحده شيء..) (281) . و لهذا يتطلب تحقيق
الاتساق على هذا المستوى قدرة على الرؤية الشاملة إلى فضاء المباني النحوية , و ذلك
بتتبع مجموعة من الأدوات التي تعمل على جعل الخطاب/النص محتفظاً بكيئونه و
استمراريته و تواصله الفعال بالمتلقي ... فدراسة ظاهرة الاتساق و آلياتها تمكننا من
إدراك العلاقات الرابطة بين الجمل المكونة للخطاب/النص مع وصف طبيعة الروابط
الشكلية لسطح النص التي تربط بين البنيات الصغرى التي يتأسس من خلالها
الخطاب/النص , و من ثمة يتجلى الاتساق لنا على أنه نتاج العلاقات الموجودة بين

278 - محمد الشاوش : أصول تحليل الخطاب , المؤسسة العربية للتوزيع , تونس , ط1 : 2001 م , ج 1 , ص :

279 - أزوالد ديكرو , جان ماري ستشايفر : القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان , ترجمة منذر عياشي , المركز
الثقافي العربي , ط2 : 2007 م , ص : 540 .

280 - أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي , ص : 103 .

281 - المرجع نفسه , ص : 96 .

الأشكال النصية , بينما المعطيات غير اللسانية (مقامية , تداولية) فلا تدخل إطلاقاً في تحديده ... و من خلال ما تقدم فالانساق ذو طبيعة أفقية خطية تظهر على مستوى تتابع الكلمات و الجمل و يتحقق من خلال أدوات الربط النحوية و وسائل لغوية ذات وظيفة مشتركة , و من ثمة يمكن الحديث عن الانساق المعجمي و عن الانساق النحوي .

هذا من حيث المصطلح و المفهوم , أما من حيث الاهتمام العلمي فقد عني البلاغيون العرب بهذا الموضوع عناية كبيرة لما له من أهمية في الدراسات اللغوية التي كانوا بصدد إنجازها , أو التعامل معها , و يسجل الدكتور إبراهيم خليل ذلك بقوله (فالبلاغيون العرب اعتنوا بالكشف عن الترابط القائم بين سلسلة الأقوال المؤلفة لفقرة أو مجموعة أجزاء من العمل الأدبي , و نجد هذا واضحاً فيما كتبه حازم القرطاجني (684 هـ) الذي سلط الضوء على العلاقات الترابطية لأجزاء القصيدة) (282) ..

و لعل من أهم النقاط التي كان البلاغيون العرب معنيين بها في باب الدراسات البلاغية , قضية اللفظ و المعنى , و قضية النظم , و تلك النظرة صائبة جداً إذ أن الكلام لن يكون أبداً مؤدياً ما يريده المبدع أو المتحدث , و لن يصل فيه الدارس أو السامع إلى دراسة اللفظ أو دراسة المعنى أو دراسة النظم , ما لم يكن موافقاً للنسق المطلوب في اللغة , فالمعنى هو (كل ما تولد من ارتباط الكلام بعضه ببعض , هو الفكر و الإحساس و الصورة و الصوت , و هو كل ما ينشأ عن النظم و الصياغة من خصائص و مزايا) (283) .

و كان تراثنا قد زخر بالكثير من الأفكار في هذا الباب , خاصة مع عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم (فقد نظر إلى القرآن الكريم نظرة كلية باعتباراه نصاً واحداً , و ذلك بعرضه سؤالاً مؤداه : ما الذي أعجز العرب من النص القرآني ؟) (284) , و كذلك مع حازم القرطاجني , غيرهما من فطاحلة التفكير اللغوي العربي , الذين سجلوا في نبذة قليلة من إشاراتهم المبنوثة في أعمالهم , ما يمكن لنا نحن اليوم أن نعتر به اعتزازاً

282 - إبراهيم خليل : في اللسانيات و نحو النص , دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة , ط1 : 2007 م , ص :

283 - محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث , دار النهضة العربية , بيروت , لبنان , ص :

284 - صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق , ج1, ص : 126 .

كبيراً ، كما كانوا مهتمين إلى درجة كبيرة في باب الدراسات القرآنية بالمناسبة بين السورة و ترتيبها ، و هو باب يمس جانباً مهماً من الذي نحن بصدد دراسته (فقد ألف علماءنا في أسرارها (مناسبة السورة) تواليف كثيرة منهم العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتابه سماه : البرهان في مناسبة ترتيب القرآن ..)⁽²⁸⁵⁾ ، و هذا الاهتمام بعلم المناسبة قال عنه السيوطي (و علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته ، و ممن أكثر منه الإمام فخر الدين ، و قال في تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات و الروابط)⁽²⁸⁶⁾ و (المراد بالمناسبة هنا وجه الارتباط بين الجملة و الجملة في الآية الواحدة أو بين الآية و الآية في الآيات المتعددة ، أو بين السورة و السورة)⁽²⁸⁷⁾ ، و في هذا الذي قاله السيوطي دلالة على أن العرب كان لهم جانب من الاهتمام بالذي نحن نهتم به اليوم ، و إن كنا نقول إن ذلك الاهتمام بسيط ، لكن الفضل دوماً يكون للمبتدئ و إن كانت الزيادة للمقتدي كما يقال .

و قد نقل المسلمون الأولون - و خاصة علماء البلاغة - ذلك الفهم المجرد إلى الدراسة اللغوية انطلاقاً من نقلهم مفهوم الاتساق إلى النص القرآني الذي كان منطلق كل الدراسات عندهم (و لم تشذ الفعاليات التراثية التي تعاملت مع النص عن هذه القاعدة التي كلما تعرضت لانتهاك ازدادت قوة على تأكيد ذاتها و تثبيت دعائم استمراريتها . فقد رأى القارئ و المحلل دوماً أنه من غير المعقول تحليل نص ، أو بالأحرى من غير المعقول قراءة نص ، من دون أن يفترض له نظام ..)⁽²⁸⁸⁾ اتساق محكم ، و (لذلك كله ، و وعياً بخطورة القراءة للنص الإلهي جهد الأصوليون لبناء جهاز مفاهيمي متكامل المساطر و الإجراءات ، محدد الأدوات ، من أجل السمو نحو تحقيق تلك المسلمات ، حتى تتحقق القراءة التي من المفروض أن تكون مخبرة عن الله)⁽²⁸⁹⁾ . و من الأمثلة التي يمكن أن تكون دليلاً على الذي نذهب إليه في هذا الباب أن نجد أسامة بن منقذ الفارس

285 - السيوطي : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ج 1 ، ص : 54 .

286 - المرجع نفسه ، ج 1 ، ص : 43 .

287 - مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة ، ص : 92 .

288 - يحي رمضان : القراءة في الخطاب الأصولي الاستراتيجية و الاجراء ، عالم الكتب الحديث ، ط 1 " 2007 م ،

ص : 221 .

289 - المرجع نفسه ، ص : 257 .

العربي المسلم (ت588 هـ) يهتم بهذا الموضوع اللغوي , مسجلا بابا بعنوان : (باب الفك و السبك) في كتابه : البديع في نقد الشعر , يتناول فيه تعريف السبك بقوله : (و أما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض , من أوله إلى آخره كقول زهير (بسيط) :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا أعتقا
و لهذا قال : خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض)⁽²⁹⁰⁾ , و لعل من أهم الكتب التي تناولت الموضوع أيضا كتاب منهاج البلغاء و سراج الأدباء , فهو مثلا يتحدث عن الكلام في الشعر فيقول : (فأما المتصل العبارة و الغرض فهو الذي يكون فيه لآخر الفصل بأول الفصل الذي يتلوه علقه من جهة الغرض و ارتباط من جهة العبارة , بأن يكون بعض الألفاظ في أحد الفصلين يطلب بعض الألفاظ التي في الآخر من جهة الإسناد و الربط)⁽²⁹¹⁾ , و ليس لقوله : (لآخر الفصل بأول الفصل الذي يتلوه علقه من جهة الغرض , و ارتباط من جهة العبارة) إلا أن يفسر على أنه ما يسميه علماء الدرس اللغوي الحديث اليوم بالاتساق و الانسجام .

و الظاهر في هذه النصوص العربية تكرار قولهم : أخذ بعضه برقاب بعض , و هذه العبارة تدل دلالة كبيرة عن معنى يمكن أن نتقاطع فيه مع لسانيات النص , إذا ما أخذنا نحللها وفق المنظار الذي نريد , فإن الكلم سيبدو لنا أجسادا لها أعناقها المتعالية , و تلاحمها الشديد يتبين لنا من خلال لفظ الأخذ بالرقاب .

أما إذا رجعنا إلى هذه القضية من منظور لساني حدائي , فإن المختصين أنفقوا الكثير من أوقاتهم و من جهودهم من أجل أن يحددوا مفهوم الاتساق و الانسجام أو السبك أو الحبك , فقد كثرت المصطلحات و تعددت المفاهيم , و لعل مرجع ذلك إلى أن كل واحد من هؤلاء نظر إلى القضية من خلال الخلفية الفلسفية و الرؤية الابستمولوجية التي يتبناها في حياته المعرفية , و كذلك من الزاوية التي يريد الغوص من خلالها إلى الدرس اللغوي , كما أن للسبق التاريخي تأثيرا على ذلك , فحداثة لسانيات النص و ضبابية مفاهيمها – خاصة في البداية – أدى إلى ذلك الغموض , كما أن لتعدد المدارس

290 – جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية , ص : 78 .

291 – حازم القرطاجني : منهاج البلغاء و سراج الأدباء , تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة , ص : 290 .

المتناولة للموضوع و لتعدد الجهات التي تنظر بها أثرا في ذلك . و على الرغم من ذلك (تعزى إلى (هارفنج) أول محاولة (1968 م) جادة لوصف التنظيم الذاتي الداخلي للنصوص , من خلال الحديث على بعض العلاقات التي تسودها مثل علاقة الإحالة , و الاستبدال , التي فصل فيها القول مشيرا إلى التكرار و الحذف و الترادف و العطف و التفريع و الترتيب , و ذكر النتيجة بعد السبب , و الجزء بعد الكل أو العكس , و هذا كله مما يقع في دائرة الترابط و الاتساق الداخلي للنص) (292) .

إن الاتساق بهذا المفهوم لن يكون موجودا في النص إلا إذا توافر على الآليات التي تجمع النص عموما التي يقسمها (فان دايك) (إلى مجموعتين , إحدهما مجموعة الروابط المنطقية , و بعضها طبيعي ينبع من طبيعة التركيب اللغوي) (293) و هذا الطبيعي المتعلق بطبيعة التركيب اللغوي هو الذي يعيننا نحن في دراستنا للاتساق , ذلك لأن الاتساق إنما يكون في خطية النص و تركيبه , و الذي ينشئه هو الكلمات المترابطة بعضها إلى جانب الأخرى و التي يأخذ بعضها بعنق البعض الآخر .

و الجدير بالملاحظة في هذا المقام أن مصطلح الاتساق يعاني أيضا شيئا من عدم الضبط في تحديد المفهوم , لأن بعضا من الباحثين قد يعطيه من الدلالة ما لا يحتمل , أو يعطيه معنى غير دقيق , فقد يطلقه بعضهم على (التماسك النحوي) (294) كما يفعل إبراهيم خليل في كتابه (قي اللسانيات و نحو النص), كما نجد إبراهيم الفقي يتحدث عنه فيقول : (أما مصطلحا (cohesion and coherence) فهما يتصلان بالتماسك النصي داخل النص و يرتبطان بالروابط الشكلية و الدلالة و لهما أدوات و أنواع) (295) .

و مهما يكن من أمر فإن عدم الإجماع على مصطلح واحد بدقة لا يقف عائقا كبيرا أمام التصور العام لهذا المصطلح الذي قواسمه المشتركة الكثيرة قد ذلت من العقبات الكثير أمام العاملين على إنزال هذا المصطلح بكل ثقله المعرفي إلى حيز التطبيق و الممارسة , و لهذا فإنه إذا كان الاتساق يحقق البنية المادية للرسالة التواصلية و التي

292 - إبراهيم خليل : في اللسانيات و نحو النص , ص : 187 .

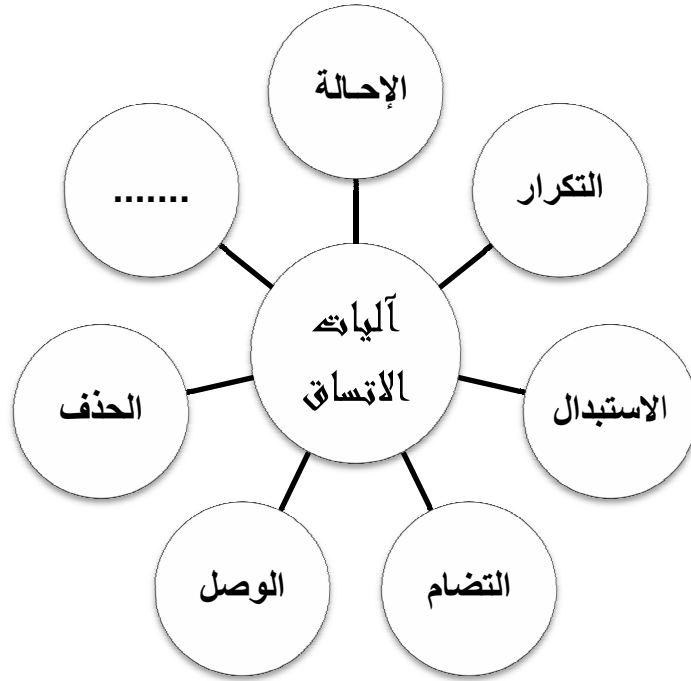
293 - المرجع نفسه , ص : 197 .

294 - المرجع نفسه , ص : 219 .

295 - صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق , ج 1 , ص : 42 .

تثير انتباه القارئ أولاً ليقوم بعملية استقبالها و تفكيكها ثم تفسيرها و تأويلها فإننا نتبنى الفهم الذي يجعل الاتساق مرتبطاً بالجانب الخطي للنص , و انطلاقاً من ذلك فإننا نورد أشكال الاتساق :

آليات الاتساق



2 - الانسجام مفهومه و أشكاله

إذا كان الاتساق يشغل في البناء النصي الفضاء الداخلي و وجوده الشكلي منه , فإن الانسجام إنما يتحرك في فضاء آخر و يشغل على مستوى الظروف الخارجية التي أنتجت الخطاب/النص , و من ثمة فهو لون من ألوان التلقي النصي/الخطابي و (أعم من الاتساق , كما أنه يغدو أعمق منه بحيث يتطلب بناء الانسجام , من المتلقي , صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص و تولده . بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا (أو غير المتحقق) أي الاتساق , إلى الكامن (الانسجام) ..(296) . و تأسيسا على ذلك فإن الانسجام يفتح على عوالم خارجية متنوعة منها عالم السياق , وذلك حتى يمنح المتلقي الحرية في التعاطي مع الخطاب/النص و تأويله بطريقة تفاعلية , انطلاقا من كونه واحدا من الأعمدة الأساسية في عملية التواصل اللغوي و التخاطب و أنه في الوقت نفسه متأثر (بعدد من العوامل التي تحدث مفعولها في نشاطه , فتحدد بذلك مسار إدراكه و علمه و فهمه . و قد تكون هذه العوامل داخلية ضمن طبيعة الانسان من حيث تكوينه البيولوجي - و منه الأثر الجيني - و النفسي , كما قد تكون خارجية تتمثل بتأثير البيئة و المحيط و الزمان) (297) . و لهذا فليس الانسجام خاصية لسانية للملفوظات , بل هي نتاج لعملية تفاعلية واعية بين المتلقي و الخطاب/النص و (علاقة معرفية تربط الذهن بالموضوع) (298) .. ذلك لأن القارئ هو الذي يقوم بعملية فهم و تأويل و تفسير الرسالة اللغوية , معتمدا على معطيات و عناصر خارج الخطاب/النص ترتبط بالقبائيل المعرفية و إشكالية التطابق , و بالبعد الثقافي و الايديولوجي , مع تحريك المخزون الذاكري للربط بين القضايا التي صنعت الخطاب و أوجدته (لأن النص عبارة عن معرفة , و الفهم القائم عليه يشكل علما لهذه المعرفة , بخلاف ما عليه علم الواقع الخارجي , لأن الواقع لا يعد معرفة مثل النص , لكن ذلك لا يلغي حالة قيام بعض المعارف على

296 - محمد خطابي : لسانيات النص , مغل إلى انسجام الخطاب , ص : 5 - 6 .

297 - يحي محمد : منطق فهم النص , دراسة منطقية تعنى ببحث آليات فهم النص الديني و قلياته , أفريقيا الشرق - المغرب , ص : 140 .

298 - المرجع نفسه , ص : 75 .

البعض الآخر ، إذ يكون بعضها موضوعا ذاتيا للبعض الآخر حتي ينتهي الأمر إلى الموضوع الخارجي المتمثل بالنص .. (299) .

نظرة تاريخية

ومما لا شك فيه أنه (لكل عصر روح عامة تؤثر على فهم الإنسان و إدراكه)⁽³⁰⁰⁾ و تأسيسا على ذلك فقد عني علماءنا الأولون عناية كبيرة بهذه القضية اللغوية ، و من الذين تناولوها عبد القاهر الجرجاني الذي اعتبر (اللغة في شكل سياق مجموعة من الدلالات و الفاعليات و الارتباطات التي لا تنتهي عند حصر)⁽³⁰¹⁾ ، عمد إلى ربط العلاقة بين المكون النحوي و المكون الدلالي ، و من المهتمين أيضا بذلك ابن رشد (595 هـ) و حازم القرطاجني (684 هـ) و كذلك الإمام الشاطبي (790 هـ) ، كما كان لعلماء التفسير القدماء منهم و المحدثين أثرهم في هذا الميدان و منهم الزركشي و السيوطي (911 هـ) و الطبري و الحديث سيد قطب و سعيد حوى .. كل ذلك يشي بأن (التراث منظومة فكرية واحدة ، تتجلى في أنماط و أنساق جزئية متغيرة في كل مجال معرفي خاص .. لم يكن سيوييه مثلا ، وهو يضع البناء النظري و القوانين الكلية للغة العربية معزولا عن انجازات الفقهاء و القراء و المحدثين و المتكلمين ، و بالمثل لم يكن عبد القاهر الجرجاني ، و من سبقه ، و من تلاه من البلاغيين يمارسون نشاطهم الفكري في مجال البلاغة خارج إطار علم الكلام و أصول الفقه ...)⁽³⁰²⁾ ، أي خارج المنظومة الفكرية الحضارية التي كانت تتحكم في ديناميكية التفكير و الإنتاج الفكري للعلماء العرب بمختلف مشاربهم ، إلا أن (الجانب الأدبي للرسالة ، ذلك الذي كان في نظر المفسرين التقليديين موضوع الدراسة الأول ، يفقد بعض أهميته شيئا فشيئا في عصرنا الذي يهتم بالعلم أكثر من اهتمامه بالأدب)⁽³⁰³⁾ ، مما يعني ضرورة الاستفادة مما وصل إليه البحث

299 - يحي محمد : منطق فهم النص ، دراسة منطقية تعنى ببحث آليات فهم النص الديني و قلياته ، ص : 14 .

300 - المرجع نفسه ، ص : 141 .

301 - محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث ، ص : 289 .

302 - نصر حامد أبو زيد : إشكاليات القراءة و أواويات التأويل ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2: 1992 م ، ص : 06 .

303 - مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ، ترجمة : عبد الصابور شاهين ، دار الفكر - الجزائر - ط4 : 1987 م ، ص

العلمي الإنساني من مناهج لغوية علمية و غيرها ...فـ) التطور الذي حدث في العقدين الأخيرين من هذا القرن هو الذي أدى إلى أن تصبح مشكلات التحليل النصي و أهدافه الموزعة على العلوم المختلفة موضوعا لدراسة متكاملة جديدة , مشتركة بين تلك العلوم , توصف أساسا بأنها دراسة : عبر تخصصية (Interdisciplinaire)⁽³⁰⁴⁾ .. و لهذا جاءت الرؤية الغربية لموضوع الانسجام بكل أبعاده و خلفياته و حيثياته المعرفية متأثرة إلى حد بعيد بالمرحلة التاريخية بكل أبعادها , فإن معظم الدراسات ترى أن الإرهاصات الأولى للعلم الذي يحتضن بقية موضوع الانسجام إنما هي دراسات أمريكية بداية مما كتبه هاريس (1952م) (الذي احتل الريادة في هذا المجال)⁽³⁰⁵⁾ ثم تطور هذا العلم مع بليت (1975م) و دريسلور (1977م) و فان ديك (الذي وضع تصورا كاملا لنحو النص منذ بداية عام 1972 م متجاوزا الآراء التي كانت مطروحة ..)⁽³⁰⁶⁾ وقتئذ , و أخيرا ما كتبه هاليداي و رقية حسن في كتابهما الموسوم (الاتساق في الإنجليزية) الصادر بلندن عام 1971 م . و لعل من الجهود التي أعانت على ذلك جهود نعوم تشومسكي و ما أحدثت من ثورات في الدراسات اللغوية .

و من المهتمين بهذا النوع من الدراسات العلم الأمريكي روبرت دي بوجراند الأستاذ بجامعة فلوريدا و الذي ألف كتابه المشهور (النص و الخطاب و الإجراء) الصادر عام 1980 م , و فيه حدد المعايير التي تقاس بها نصية النص .

الانسجام لغة :

ورد في مقاييس اللغة أن المادة (س ج م) (السين و الجيم و الميم أصل واحد , و هو صب الشيء من الماء و الدمع)⁽³⁰⁷⁾ , أما في لسان العرب فإن المادة (س ج م) تدل على عدة معان أهمها : (سجم : سجمت العين الدمع و السحابة الماء تسجمه و تسجمه سجما و سجوما و سجمانا : و هو قطران الدمع و سيلاته , قليلا أو كثيرا , و ذلك الساجم من المطر , و العرب تقول دمع ساجم , و دمع مسجوم : سجمته العين سجما ,

304 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص , ص : 229 .

305 - أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي , ص : 33 .

306 - المرجع نفسه , ص : 33 .

307 - ابن فارس : مقاييس اللغة , ج3 , ص : 137 .

و قد أسجمه و سجمه ..(308) . و المتتبع لهذه المادة في جل القواميس العربية القديمة يجد أنها ارتبطت بمفاهيم أهمها القطران و الانصباب و السيلان .

بينما في كتاب الكليات معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية وجدنا دلالة الانسجام بدأت تأخذ مساراً مفهوماً و اصطلاحياً و تتعد مسافات معتبرة عن المفهوم اللغوي القديم . فالانسجام فيه (هو أن يكون الكلام لخلوه من العقادة متحدراً كتحدراً الماء المنسجم لسهولته و عذوبته ألفاظه و عدم تكلفه ليكون له في القلوب موقع و في النفوس تأثير ..)(309) .

اصطلاحاً :

وأما مفهوم الانسجام أو ما يسمى كذلك بالتماسك الدلالي أو المعنوي **Coherence** فهناك من نظر إلى هذه الظاهرة نظرة شمولية في انتشارها و تداولها بين مختلف الحقول المعرفية و عده (مفهوماً انطولوجياً يحضر في مختلف الظواهر و المجالات ، إن مباشرة و إن إضماراً) (310) ، بينما اعتبره بعض الدارسين على أنه (أقرب إلى تلك الروابط التضمينية .. و يتصل هذا النوع بالنحو الدلالي الذي يهتم بكيفية ارتباط مفاهيم) (311) ، و أفكار و تصورات و قضايا بهدف إيجاد بنية دلالية كلية للنص ، هذا يعني أن آلية الانسجام تهتم بالمضمون الدلالي في النص ، وطرق الترابط الدلالية بين أفكار النص من جهة ، وبينها وبين معرفة العالم من جهة أخرى ، و الانسجام بهذا المعنى (مكون من مكونات التواصل البشري لأن هذا التواصل لا يمكن أن يتم إلا وفق ما يحمل من دلالة و معنى) (312) ، ولهذه الجهة الأخيرة أهمية قصوى إلى الدرجة التي تجعل بعض اللغويين يحددون التماسك الدلالي بأنه (شيء موجود في الناس لا في اللغة ، فالناس هم الذين يحددون معنى ما يقرأون و ما يسمعون) (313) ولكن الأمر الأهم في

308 - ابن منظور : لسان العرب ، مادة (و س ق) ج 06 ، ص : 183 .

309 - أبو البقاء الكفوي : الكليات ، ص : 196 .

310 - جمال بندحمان : الأساق الذهنية في الخطاب الشعري التشعب و الانسجام ، ص : 16 .

311 - أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص : 103 .

312 - جمال بندحمان : الأساق الذهنية في الخطاب الشعري التشعب و الانسجام ، ص : 17 .

313 - جورج يول : معرفة اللغة ، ترجمة محمود فراج عبد الحافظ ، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ،

التماسك الدلالي هو الوحدة الموضوعية ، أو ما يطلق عليه فان دايك (البنية الكبرى الدلالية)⁽³¹⁴⁾ وما يتعلق بها من بنى دلالية صغرى في النص ، وكذلك البنية العليا التي لها ارتباط قوي بالبنية النصية الكبرى . و مهما يكن من أمر فإنه لابد لكل خطاب / نص من أن يتوافر فيه شرط التماسك الدلالي كي يمكن وصفه بالنصية ، بل إن مقارنة هذا التماسك هي الخطوة الأهم في تحليل الخطاب/النص ؛ ذلك أن التماسك الشكلي بروابطه المتعددة لا يمكن أن يكفي وحده ، ولا يمكن أن يشكل تماسكاً ، أو وحدة في الخطاب ، إلا إذا كان متواشجا مع الانسجام ، و ذلك يعود إلى أن انسجام الخطاب/النص (لا يمكن اعتباره عنصراً ترينينا يمكن مفصلته في جزء معين أو محدد من النص و لكنه يتوزع على كامل مساحته و يعمل على تدعيم العلاقة بين متخيل النص و النص المنجز)⁽³¹⁵⁾ . و انطلاقاً من هذا التحديد فإن الانسجام ظاهرة تأويلية ديناميكية تتعلق بالعوامل الدلالية و السياقية و التداولية من الفهم المعرفي ، تتمازج فيها أنواع عديدة من المعارف الذاتية، بحيث يكون القارئ حينئذ المرتكز الأساس الذي يعتمد عليه في تحديد الانسجام النصي من خلال فعل القراءة الواعية المراعية للآليات الانسجام ..

كل ذلك يدعونا إلى القول أن الانسجام عند فان دايك إنما يعني (المنطق الداخلي الذي يحكم الوحدات و يضمن اتساقها)⁽³¹⁶⁾ و بخلاف ذلك نجده قد بين أن الاتساق يكمن في الأبنية النحوية الصغرى وهي أبنية تظهر على مستوى سطح النص (تربط بينها علاقات نحوية)⁽³¹⁷⁾ ، و لعنا من خلال هذا التعريف يتبين لنا أن فان دايك يرى أن الاتساق أمر يتعلق بالجانب النحوي التركيبي في حين أن الانسجام يتعلق (بالمعنى العميق للنص أي دلالاته)⁽³¹⁸⁾ . ويبدو أن التماسك الدلالي عنده إنما هو (عبارة عن خاصية سيماتيقية للخطاب قائمة على تأويل كل جملة مفردة متعلقة بتأويل جملة أخرى

314 - منذر عياشي : العلاماتية و علم النص ، ص : 159 .

315 - سعيد حسن بحري : نظرية النص ، ص : 49 .

316 - المرجع نفسه ، ص : 50 .

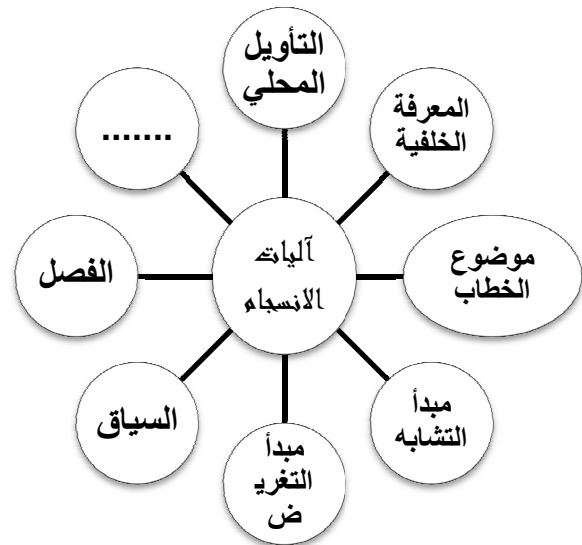
317 - سعيد حسن بحري : علم لغة النص ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط1 : 1997 م ، ص : 119 .

318 - سعيد حسن بحري : نظرية النص ، ص : 49 .

(319) , و هو بهذا يعتبر أهم من الترابط , لأن وجود الروابط (الروابط الرصفية/البراغماتية) لا يدل دائما أن الجمل متماسكة و مترابطة , كما أن وجودها - أي الروابط - لا ينفي عن الجمل كونها مترابطة (الروابط المفهومية/الدالية) من حيث الاستلزام المنطقي , من سببية و تعليل , و وصل و فصل , و غيرها

و على أية حال فإن (القبض على الانسجام يحتم تضافر علم النحو مع علم البلاغة و توافقهما لإيجاد نوع من الانسجام داخل) (320) الخطاب/النص , كما أن العلاقة القائمة بين التماسك الدلالي و التماسك الشكلي هي ليست علاقة عادية و بسيطة يسهل على الدارس التعاطي معها دون عناء يذكر , و إنما هي علاقة متميزة متداخلة و متشابكة في كثير من الأحيان , مما قد يؤدي عند عدم الفصل بينهما - تصورا و مفهوما - إلى اضطراب شديد في تلقي الخطاب و خلط كبير في تأويله . و ما ننتهي إليه اعتبارا مما تقدم أن الانسجام (بنية تنظيمية و مبادئ علاقية تحدد بناء على المكونات في ذاتها أو بواسطة غيرها) (321) ...

آليات الانسجام :



319 - فان ديك : النص و السياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي) , ترجمة عبد القادر قنيني ,

أفريقيا الشرق , الدار البيضاء- بيروت , 2000م , ص 137

320 - سعيد حسن بحري : نظرية النص , ص : 50.

321 - جمال بندحمان : الأساق الذهنية في الخطاب الشعري و الانسجام , ص : 20 .

الفصل الأول

آليات الاتساق دراسة نظرية

- المبحث الأول : الإحالة ص : 123
- المبحث الثاني : الحذف ص : 187
- المبحث الثالث : التكرار ص : 219
- المبحث الرابع : الوصل ص : 250
- المبحث الخامس : الاستبدال ص : 296

الإحالة

مقدمة و تعريف

مصطلح (الإحالة) قد تناوله علماء النص (.. كوسيلة من وسائل الربط اللفظي تحت مجموعة من المصطلحات منها الإحالة ..)⁽³²²⁾ ، وعليه نستطيع أن نقول عنه أنه ثنائي التواجد ، إي هو قديم جديد ، أما كونه قديما فيعود ذلك إلى أنه قد وظف من زاوية دلالاته في ثانيا بعض الدراسات البلاغية و النقدية و اللغوية القديمة و(لعل أول من أشار إلى الإحالة بوصفها مصطلحا لغويا أو نحويا في التراث العربي هو ابن رشيق ..)⁽³²³⁾ ، كما أن صاحب : منهاج البلغاء و سراج الأدباء /حازم القرطاحني قد وظف هذا المصطلح بل (.. تردد عنده مصطلح الإحالة كثيرا..)⁽³²⁴⁾ ، بينما إذا تحدثنا عن علماء النحو فإن استعمال هذا المصطلح استعمالا مباشرا لم يكن واردا عندهم و(إنما ورد ما يدل على هذا المفهوم ، و من ذلك قول الرضي (ت 686 هـ) عن اسم الإشارة ..)⁽³²⁵⁾ ، إلا أن ذلك كان بطريقة عابرة ، لم يقف عنده الدارسون وقفات تأصيلية تؤسس كينونته و ترسي دعائم بعده المفاهيمي ، و تكون من ثمة له رؤية ابستمولوجية واضحة الحدود و اجراءاتها مضبوطة . و لهذا فإن الدارس قد يعثر في ثانيا بعض الدراسات النقدية أو النحوية القديمة أو الدراسات القرآنية أو الحديثية أو الأصولية حتى على شذرات علمية تلامس مصطلح (الإحالة) و تكشف عن بعض اجراءاته التوظيفية في إطار محدود قد لا يثير انتباه (المتلقي) الخاص ، ناهيك عن ذلك الذي يعمد إلى مثل هذه الدراسات قصد المثاقفة و الاطلاع . ولهذا فالمراد بمصطلح الإحالة ما يعرف باللغة الإنجليزية

322 - عزة شبل محمد : علم لغة النص ، النظرية و التطبيق ، مكتبة الآداب ، ط2:2009م ، ص : 119 .

323 - محمد سالم أبو عفرة : السبك في العربية المعاصرة ، مكتبة الآداب ، ط1 : 2010م ، ص : 29 .

324 - المصدر نفسه ، ص : 29 .

325 - المصدر نفسه ، ص : 30 .

reference، والذي ربما ترجم بالإشارة و (هناك مجموعة ترجمات عربية لهذا المصطلح منها الإرجاع و الإرجاعية أو المرجعية نسبة إلى المرجع ..)(326) ، ولا مشاحة في ذلك إن كانت هذه الاختلافات من الناحية اللغوية المحضة، بيد أنه قد تحدث إشكاليات اصطلاحية و منهجية و ابستمولوجية إن حدث الخلط بينه و بين المصطلح الذي يعرف في العربية بأسماء الإشارة ، التي تعد صورة واحدة من صور الإحالة و أشكالها، و من هنا يمكن أن نحدد الطبيعة العلائقية القائمة بين الإحالة و أسماء الإشارة إذ هي علاقة عام بخاص ؛ و لهذا فكل إشارة تعتبر إحالة وليس كل إحالة هي بالضرورة إشارة . و من هنا نسارع للقول أن الإحالة في اللغة العربية تتحقق في أشكال لغوية معينة و تتمظهر في صور محكمة انطلاقاً من الضمائر بأنواعها، و أسماء الإشارة، و التعريف بآل إلى المقارنة، فهذه (.. الأدوات التي تحيل داخل النص هي الأدوات التي نعتمد في فهمنا لها لا على معناها الخاص ، بل على إسنادها إلى شيء آخر..)(327) تملك قدرة الضغط على المتلقي حتى يبحث في موطن آخر عن معناها ، لأنها لا تملك دلالة تامة في ذاتها أو معنى مستقل بالفهم . و سنتعرض لكل نوع منها بالدراسة و التمثيل و التحليل فيما يأتي .

وليس من الخطأ القول إن الإحالة هي (.. علاقة دلالية تشير إلى عملية استرجاع المعنى الإحالي في الخطاب مرة أخرى.)(328) أي هي علاقة بين عنصر لغوي و آخر لغوي أو خارجي بحيث لا يتوقف تفسير الأول إلا على الثاني؛ وقد كانت لتمام حسان نظرة شمولية إلى هذه الظاهرة فعدها (..العلاقة بين العبارات و الأشياء و الأحداث و المواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع الاختياري في نص ما ، إذ تشير إلى شيء

326 - عزة شبل محمد : علم لغة النص ، النظرية و التطبيق، ص : 119 .

327 - المصدر نفسه ، ص : 119 .

328 - المصدر نفسه ، ص : 119 .

ينتمي إلى نفس عالم النص ..(329) . ولذا فإن فهم العناصر الإحالية التي يتضمنها خطاب/نص ما يقتضي أن يبحث المتلقي في مكان آخر داخل الخطاب/النص أو خارجه . وإذا ضربنا لذلك مثلا ، فإن هذا الحديث القدسي : (عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ

أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلُكُمْ مِنَ الْأَمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ فَعَمَلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأَعْطِينَا قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ أَيُّ رَبَّنَا أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ وَأَعْطِينَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا وَتَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَا قَالَ فَهُوَ فَضَّلِي أُوتِيَهُ مِنْ أَشَاءٍ) (330) لا يمكن أن يفهم إلا بتحديد مراجع الكلمات الإحالية فيها، وهي : الضمائر في " بَقَاؤُكُمْ " و " أُوتِينَا " ، و " تَحْنُ " ، واسم الإشارة " هَؤُلَاءِ " . وليس ثمة علامة صرفية أو نحوية أو معجمية في العنصر المحيل نفسه يمكن أن يساعد المتلقي في تحديد المرجع المقصود، ولا في معرفة كون المرجع جزءا من النص، أو جزءا من مقام التخاطب و السياق . ورغم ذلك، يمكن للمتلقي - اعتمادا على السياق أو المقام بمفهومه الواسع - أن يحدد الأشياء أو الأشخاص، أو العناصر اللغوية التي تحيل عليها العناصر المحيلة .

و على الرغم من أن (التواصل اللساني يتخذ غالبا موضوعا له الواقع غير اللساني ، فيجب على المتكلمين أن يكون في مقدورهم تعيين الأشياء التي تكونه و وصفها . و مع ذلك ، فإن هذا الواقع لا يكون بالضرورة هو الواقع ، أي العالم . و بالفعل ، فإن للغات الطبيعية هذه القدرة على بناء الكون الذي تحيل إليه ..) (331) إلا أن هذا المصطلح

329 - تمام حسان : النص و الخطاب و الإجراء ، ص : 32 .

330 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، ج 5 ، ص : 74 .

331 - أوزوالد ديكر و جان ماري سشايفر : القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، ترجمة منذر العياشي ، ص

: 325 .

نفسه – و نعني به الإحالة Reference – قد أصبح في هذا العصر الحديث من المفاهيم الألسنية التي أولاهها الفكر اللغوي عناية خاصة , لا لشيء و إنما قصد كشف أبعادها المفاهيمية و مكوناتها الأساس و مظاهر توظيفها في صيرورة الخطاب و مدى فاعليتها في التعاطي مع أبنيته المتنوع و بنيته الكبرى خاصة , دون إغفال دورها المهم في تحقيق واحد من أهم شروط وجود الخطاب و تخلقه و هو التماسك و الترابط واستمرارية المعنى .. فمنذ الربع الثالث من القرن العشرين أخذ التفكير اللساني النصي يشق طريقا متميزا و واضح المعالم في فضاء المعرفة الإنسانية العلمية الحديثة , و أبدى اهتماما بليغا بمسألة الاتساق النصي و آلياته إذ عدها قضية (.. من القضايا المهمة التي شغلت علم اللغة النصي و نحو النص , لأن الاتساق النصي يتآزر مع مجموعة من الأنظمة النصية الأخرى للوصول إلى ما يطلق عليه كلية النص , أي أن النص كل لا يتجزأ , و من هنا يحكم للنص بنصيته ..)⁽³³²⁾ حدث هذا في الوقت الذي أضحت معالم و ضوابط الدراسات التخاطبية المتمثلة في التداولية pragmatics و تحليل الخطاب discourse analysis تتحدد في حركية مثيرة للانتباه , وذلك انطلاقا من مدة زمنية معتبرة , و من آثار هذه الوحدة اتخاذها من النص الوحدة الصغرى للتحليل , ولهذا صار هذا المعطى المعرفي اللساني من أبرز المسائل التي تميز تلك الدراسات عن علم الدلالة , فكل من الحقل المعرفي التداولي و تحليل الخطاب أعطى العناية المعرفية و العلمية للخطاب الشفهي و النص المكتوب المادة التي تمثل موضوع البحث و الدرس دون تجريدهما أو عزلهما عن بيئتهما الطبيعية أي في سياقاتهما الداخلية والخارجية , هذا التوجه العلمي الجديد في التعاطي مع الخطاب/النص و مقارنته أبعد جانبا الانبهار والانغلاق القديم في دراسة الجملة في شكلها الوضعي وبمعزل عن السياق الذي ترد فيه بل بات ينظر إلى هذا الموضوع على أنه من قضايا علم الدلالة .

332 - أحمد عفيفي : الإحالة في نحو النص , كلية دار العلوم – جامعة القاهرة , ص : 1 .

وإذا ما عدنا إلى تراث العربية متأملينا رؤيته اللسانية للجملة فسنجد أن علماء النحو هم الذين حملوا على عاتقهم مهمة دراسة الجملة من الناحية الوضعية ، فصاغوا قواعدها، واستقصوا أنماطها، ولكنهم لم يتجاوزوا حدود الجمل في دراساتهم وتحليلاتهم ، بل انبرى إلى هذه المهمة الكثير من البلاغيين والأصوليين ، الذين تعاطوا بعلمية و أسهموا إسهاما واضحا في تحليل النص ، دون أن يغفلوا ذلك المتعلق بربط المقاربة النصية بالسياق الذي يرد فيه و البيئة التي يولد فيها بكل زخمها و رصيدها الحضاري ، و كان أكثر ما يشد انتباه المهتمين بالدراسات النصية في دراسة علماء التراث للنصوص، ولاسيما المفسرون والأصوليون منهم، تعاملهم مع القرآن الكريم على أنه وحدة واحدة يترابط بعضها ببعض، وتتعلق أجزاؤه على نحو تكاملي، بحيث لا يستقل منه جزء عن الآخر . فهل يمكن أن نقول الشيء نفسه فيما يتعلق بالحديث النبوي عامة و الحديث القدسي على جهة الخصوص ؟ . و للاجابة على هذا التساؤل نشير إلى أنه (لكي يخرج العقل المسلم من أزمته الراهنة , و ينتقل إلى مرحلة الرؤية السليمة و القدرة و العطاء , و الاستجابة لمتطلبات المرحلة و إعادة بناء المنظومة الفكرية و الثقافية للأمة , لا بد من إعادة قراءة مصادر الإسلام الثابتة : الكتاب و السنة , بوعي و فهم دقيقين , و نظر إسلامي معاصر صادر على ملاحظة جميع المؤثرات و سائر الأبعاد لاستلهاام المقاصد و معرفة الغايات , و تبين الكليات و و استنباط المنهج اللازم للاستجابة الإسلامية لتحديات المرحلة و إعادة بناء مقومات الأمة ..)(³³³) فهل نكون مساهمين في تحقيق ذلك إذا غيرنا نظرتنا التجزيئة القديمة للحديث بنوعيه النبوي و القدسي برؤية تتصورهما وحدة واحدة و بنية محكمة تتعالق أجزاءها بعضا ببعض في تفاعلية محكمة و تكاملية بديعة ؟ و هذا الأمر لا يتعارض و روح الشريعة الإسلامية

333 - يوسف القرضاوي: كيف تتعامل مع السنة النبوية معالم و ضوابط. ط : 09 , الدار العربية للعلوم , المعهد

المتميزة بواحديّة مصدرها فـ(السنة قاضية على القرآن) (334) من هذه الزاوية و انطلاقاً من هذه الرؤية الشمولية فالسنة بالنسبة للقرآن إذا (.. هي التي تفصل ما أجمله , و تقيد ما أطلقه , و تخصص ما عممه) (335) هذا يدعونا إلى التأكيد على قضية مفادها أنه إذا كان علماء تفسير القرآن الكريم قد تنبهوا مبكراً لما سلف ذكره و قد صنفوا في ذلك الكثير من المؤلفات , فقد آن الأوان و صارت الفرصة سانحة أن نولي وجوهنا شطر الحديث النبوي عامة و الحديث القدسي على وجه الخصوص و أن نتأملهما تأملاً علمياً مصطحبين في ذلك مختلف الوسائل العلمية المجانسة لطبيعته القديمة منها و الحديثة ناظرين له على أنه بنية واحدة و وحدة واحدة بل كلمة واحدة لأن لهذه الرسالة الخاتمة مصدر واحد منشيء وهو القرآن الكريم , و نكون بذلك بصدد تفعيل قناعة علمية سادت بين يدي علماء أصول الدين إذ (..منذ البداية لم يقصر الأصوليون حديثهم , بخصوص الوحدة , على النص القرآني وحده , أو النبوي بمفرده , بل كان حديثهم منذ النشأة هذا العلم عن وحدة النص القرآني مقترنا و متلازما بحديثهم عن وحدة النص النبوي ..) (336) زيادة على أن السنة بمفهومها العلمي الشرعي و أنواعها المتفق عليها بين علماء الشريعة عامة و الحديث خاصة فهي مصدر مبين و موضح و تطبيق عملي للقرآن الكريم تدور معه حيث دار , و تتجه في المقصدية التي يبغيها و يرضاها , و كلا المصدرين محفوظ فـ(السنة النبوية المطهرة تمثل في جملتها المرحلة التطبيقية النبوية البيانية في ظروفها الزمانية و المكانية , و بكل خصائص المرحلة الموضوعية و الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية , فإن دراسة مناهج الفهم للسنة تعتبر من أكثر الدراسات الأصولية و الحديثية ضرورة و أهمية ..) (337) و ملازمة السنة بأنواعها للقرآن الكريم هي أوضح

334 - الشوكاتي : إرشاد الفحول, طبعة مصطفى الحلبي . أي المبينة و الموضحة للكتاب , ص: 33 .

335 - يوسف القرضاوي: كيف تتعامل مع السنة النبوية معالم و ضوابط. , ص : 59 .

336 - يحي رمضان : القراءة في الخطاب الأصولي , عالم الكتب الحديثة , ط1: 2007 م , ص : 83 .

337 - يوسف القرضاوي: كيف تتعامل مع السنة النبوية معالم و ضوابط . ص : 10 .

ما تكون في قوله تعالى (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (338). ومن ثمة فإن الالتزام بهذه الرؤية التكاملية للحديث النبوي عامة و القدسي خاصة ستقدم خدمة كبيرة للدراسة التشريعية المعاصرة و كذا الاهتمامات المعرفية المتنوعة اللسانية و الاجتماعية و النفسية و الحضارية .. و تسهم إلى حد بعيد في القضاء على الخلافات و الاختلافات الدينية التي تعد بحق من بين أهم الأسباب الصانعة للعنف و التطرف إذ كان و لا يزال) .. المعهد العالمي للفكر الإسلامي , .. يعتبر قضية فهم السنة النبوية , و منهج دراستها و تحليلها و معرفة سائر أبعادها , و كيفية اتخاذها مصدرا للمعرفة و الحضارة و الثقافة الإسلامية قضية من أهم القضايا الفكرية التي يجب على العقل المسلم أن يوليها عنايته و اهتمامه , و ذلك لأن تحديد أصول الإسلام و مصادره و توضيح قضاياها , و مناهج فهمها يعتبر الأساس الأهم في بناء العقل المسلم و تصحيح مسيرته , و إعادة بناء النسق المعرفي و الثقافي و الحضاري للأمة الإسلامية (339) .. وقد نقل السيوطي عن فخر الدين الرازي قوله: (إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط) (340) ، . كما ساق حديثا يصب في الإطار نفسه عن ابن العربي حيث يؤكد أن: (ارتباط أي القرآن بعضها ببعض -حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني- علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة) (341) وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: (المناسبة علم حسن ، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد

338 - سورة الأعراف ، الآية : 157 .

339 - يوسف القرضاوي: كيف تتعامل مع السنة النبوية معالم و ضوابط , ص : 10 .

340 - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج2 ، ص : 976 .

341 - المصدر نفسه ، ص ، 2: 976

مرتبطة أوله بآخره"⁽³⁴²⁾ و يمكن أن ننقل المعنى الذي أراده ابن العربي و كذا عز الدين بن عبد السلام للقرآن الكريم و رؤيتهما الشمولية له فنسقطها على الحديث النبوي عامة و الحديث القدسي موضوع الدراسة خاصة , فنجدهما يقبلان هذا الطرح , و لهذا فإن تماسك الأحاديث القدسية بعضها ببعض يظهرها و كأنها كلمة واحدة معانيها متسقة و مبناها محكم التنظيم , هذه الفرضية التي تبدو منطقية , على الرغم من أن إنزالها إلى أرض الواقع التطبيقي العلمي و العملي يعتريه الكثير من المحاذير و الصعوبات بل دونه خرق القتاد كما قيل , لا لشيء و إنما نظرا لكون الرؤية المطروحة الخاصة بكون الحديث القدسي تحكمه بنية دلالية واحدة و يدور في فلك محاور أساسية تبرزه و كأنه خطاب / نص واحد متنوع المحطات ...

و من هذه الزاوية يمكن اعتبار مصطلح (الإحالة) قد ولد من جديد , إذ شحن بمعان و مفاهيم كانت نتيجة المراكمة المعرفية اللغوية و تلاقح الحقول الفكرية لشتى التخصصات اللسانية و الاجتماعية و النفسية و السيميائية و المنطقية .. و غيرها , عبر سنين التطور اللساني الإنساني. و لهذا فقد أضفيت عليه لمسات مرجعيات مستقطبي و موظفي هذا المصطلح وفقا لطبيعة الحقل الدلالي الذي ينتمي إليه كل واحد منهم ... و عليه وجدنا الكثير من الدارسين و اللغويين المحدثين لم يتفقوا — باجماع — على تعريف جامع مانع — كما يقول المناطقة — يحدد بدقة ماهية التصور الكامل و الشمولي لمصطلح (الإحالة) . و بسبب ذلك فقد بات من الضروري أن نتوقف أمام هذه المسألة حتى نحدد المفهوم العلمي و الاصطلاحي , تأسيسا لما سيأتي في هذه الدراسة المتواضعة ..

ولعل من أبرز الباحثين الغربيين في موضوع التماسك cohesion اللسانيين المشهورين مايكل هاليداي Halliday Michael ورقية حسن Ruqaiya Hasan

³⁴² - المصدر نفسه , ص , 2 : 977. وينظر صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م)، ص 251..

الذين كان لهما الفضل في صوغ ما سميها بوسائل التماسك **cohesive devices** -
علما بأن محلي الخطاب يميزون بين نوعين من التماسك : التماسك المنطقي أو الدلالي
coherence، والتماسك اللفظي أو النصي **cohesion** - وقد نظرا إلى التماسك على
أنه سمة دلالية، وعرفاه بأنه (**relations of meaning that exist within the**)
(**texte, and that define is as a text**)⁽³⁴³⁾ (علاقات المعنى الموجودة في النص،
تلك التي تعرفه بأنه نص) أي أن الحقيقة النصية و خصائصها تستمد من علاقة التماسك
التي تؤسسها فاعلية البنية النصية نفسها ، و على هذا الأساس يحدث التماسك -طبقا
لها- و في الوقت نفسه عندما يتوقف تفسير عنصر ما في الخطاب/النص على آخر. أي
أن تماسك النص هو أن تتعلق أجزائه بعضها ببعض لتكون كتلة بنائية واحدة لا يستقل
بعضها عن الآخر و إلا انفرط عقد الكينونة النصية نفسها و زال وجودها . ويتحقق
التماسك في اللغة - في نظرها - بخمس وسائل، هي:

الإحالة **REFERENCE**، والإبدال **SUBSTITUTION**، والحذف **ELLIPSIS**، والربط
CONJUNCTION، والتماسك المعجمي **COHESION LEXICAL**.

بينما روبرت دي بوجراند فقد أشار في تعريفه للإحالة مؤكدا أنها (.. العلاقة بين
العبارات والأشياء و الأحداث و المواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع
البدائي في نص ما إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص أمكن أن يقال عن هذه
العبارات إنها ذات إحالة مشتركة..)⁽³⁴⁴⁾ ، و لهذا فالخطاب/النص مهما كان نوعه يحوي
عبارات لها قدرة على أن تشير إلى القضايا المادية أو المعنوية ، الاجتماعية أو الثقافية
أو النفسية .. في العالم الخارجي ، حتى تحقق من خلال ذلك شرعية تواصلية و تموقع
إقناعي لدى (المتلقي) و هو يستقبل ما يبث له من أحداث كلامية .. كل ذلك يكون نتيجة

Halliday and Ruqaiya Hasan . Cohesion in English (New York: Longman, - 343
1976), p.4

344 - روبرت دي بوجراند : النص و الخطاب و الاجراء ترجمة : تمام حسان, ص : 320 .

القدرة و الفعالية التي تتسم بها آلية الإحالة إذ تعقد بمقدارية متناهية شبكة علائقية متماسكة ذات أطراف متعددة (عبارات , أشياء , أحداث , مواقف ..) تهيئة لكل حت يدخل في تواصلية نوعية و العالم غير اللساني , فيحدث نوع من الألفة و التقارب و المقبولية لدى (المتلقي) بين العالم اللساني (خطاب/نص) و العالم المنظور (الواقع) .
ينتهي جون لاينز في سياق حديثه عن مفهوم الإحالة أنها أساسا عبارة عن (.. العلاقة القائمة بين الأسماء و المسميات)⁽³⁴⁵⁾ . و قد نظر كل من براون و يول إلى التصور المفهومي لمصطلح الإحالة عند جون لاينز معتبرين إياه من أهم التعريفات التي استطاعت أن تقارب بعلمية الدلالة الموضوعية مصطلح (الإحالة) حيث قال (يقول جون لاينز في سياق حديثه عن المفهوم الدلالي التقليدي للإحالة , إن العلاقة القائمة بين الأسماء و المسميات هي علاقة إحالة , فالأسماء تحيل إلى المسميات) فالتواصل اللغوي لا يتحقق و لو في أبسط مستوياته إن لم يكن هناك علاقة ترابطية بين الدوال و المدلولات . و هذه العلاقة طبعاً هي علاقة دلالية , يحكمها قيد أساس و المتمثل في ضرورة أن تتطابق الخصائص الدلالية بين كل من العنصر (المحيل) و العنصر (المحيل إليه) , و إلا بطلب مفعول تلك العلاقة و انقطعت الصلة الرابطة بين الأطراف المؤسسة لظاهرة الإحالة .

و للتنبية نشير إلى أن العناصر الإحالية لا تطلق إلا على قسم من الكلمات التي لا تستقل ذاتياً بدلالة خاصة كاملة و مستقلة , بل حتى يتأسس وجودها الإحالي و فرض حضورها المميز في الخطاب لا بد إن تكون عائدة على عنصر أو عناصر أخرى متواجدة و مذكورة في مواقع أخرى من فضاء الخطاب/النص . و لهذا فإن من أهم شروط وجودها هو تحققية الخطاب/النص نفسه . و عليه نستطيع أن نقول أن مبدأ التماثل و

345 - أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص : 116 .

التشابه بين – ما سبق ذكره – في مقام و بين – ما هو مذكور – بعد ذلك في مقام آخر , هو الجهاز المتحكم في كل هذه العملية الإحالية .

و لهذا فإنه من البديهي القول أن وجود علاقة قائمة بين الكلمات و دلالاتها شرط ضروري في تحقيق الخطاب التواصلي و وجوده , و إذا ما حدث هذا , فإن العلاقة المؤسسة بين هذين الركنين للفعل الدلالي التواصلي تنشيء ظاهرة الإحالة . فيصير (الاسم) يحيل بطرية أو أخرى على مسماه و فقا للشروط الألسنية الموضوعية . و من زاوية أخرى فإن هذا التعريف يشي بكونه قادرا على الاستمرارية و الحضور في الدراسات اللغوية الحديثة التي تصف العلاقة بين اللغة الطبيعية و الكون .

و قد اعترض كلا من براون و يول على رؤية جون لاينز لمفهوم الإحالة و اعتبروه مثلوم الجانب , لكونه لم يشر من قريب أو بعيد إلى مستعمل اللغة (المرسل) و انطلاقا من هذا (..فإن للمتكم أو الكاتب الحق في الإحالة حسبما يريد هو و على المحلل أن يفهم كيقية تلك الإحالة حسب النص و المقام) (346) . ذلك لأن المتكلم/الكاتب يملك صلاحية و أحقية في الإحالة حسبما يرغب هو , أما المتلقي/المحلل فما عليه إلا أن يبذل طاقته كلها لفهم و مقاربة الكيفية التي تتم على أساسها عملية الإحالة مع مراعاة لطبيعة الخطاب/النص و نوع السياق و المقام , إنها عملية مستمرة من التشفير و حل الشيفرات بين (المرسل) و (المتلقي) . كل ذلك لا يعفينا من الإشارة إلى أن جون لاينز قد انتبه لهذه القضية/ الثغرة و استدرأها فيما بعد .. لأن) هذه المعايير تكون بمثابة الشفرة المشتركة بين الكاتب (المرسل) و القارئ (المتقبل) و تسمح بقيام عملية التواصل . و هذه الشفرات و المعايير ليست مستقرة و لا ثابتة و لكنها خاضعة لطور النظام الثقافي و الاجتماعي) (347) .

346 – أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي . ص : 117

347 – حسين خمري : نظرية النص من البنية المعنى إلى سيميائية الدال , ص 19 ..

و إذا عرجنا نحو صاحب كتاب (نسيج النص) و هو الأزهر الزناد نجده حقيقة قد وضع عنوانا هو (في مفهوم الإحالة) و لكنه لم يذكر شيئا عن حقيقتها المفهومية , حيث بدأ الكلام عن عناصر الإحالة و أنواعها , ليعقد فيما بعد فصلا مستقلا تح عنوان (البنية الإحالية في النصوص) من دون أن يشير من قريب أو بعيد إلى تعريف الإحالة .. و الشيء نفسه يمكننا أن نقوله عن د. محمد خطابي من خلال مؤلفه (لسانيات النص) , إذ تجد مصطلح الإحالة عنده لم يأخذ حقه من حيث التعريف , فقد باشر في كتابه ذلك , بعد أن وضع عنوانا فرعيا هو الإحالة و نبه إلى أن هذا المصطلح قد استعمل استعمالا خاصا , إلى الحديث عن العناصر المحيلة و تأويلها .. و من خلال كل ذلك , يحسن بنا المقام أن نقرب مفهوما من مصطلح الإحالة , فنؤكد بداية أنها : علاقة معنوية بين ألفاظ (كلمات) معينة و ما تشير إليه من أشياء و معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق , أو يؤشر عليها المقام . مع العلم أن تلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق هدفية (المتكلم) و مقصديته فـ(العناصر المحيلة – كيف كان نوعها – لا تكفي بذاتها من حيث التأويل , إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها..)(³⁴⁸) , و يتجلى ذلك بقوة في : الضمائر و أسماء الإشارة و الأسماء الموصولة و أدوات المقارنة و ظروف الزمان و المكان ... الخ , حيث نجد أن هذه الكلمات تحمل ذاتيا قدرة على الإشارة إلى قضايا و أشياء (سابقة) عليها أو (لاحقة) بها قصدت عن طريق ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف قد كون لغوية أو غير لغوية .

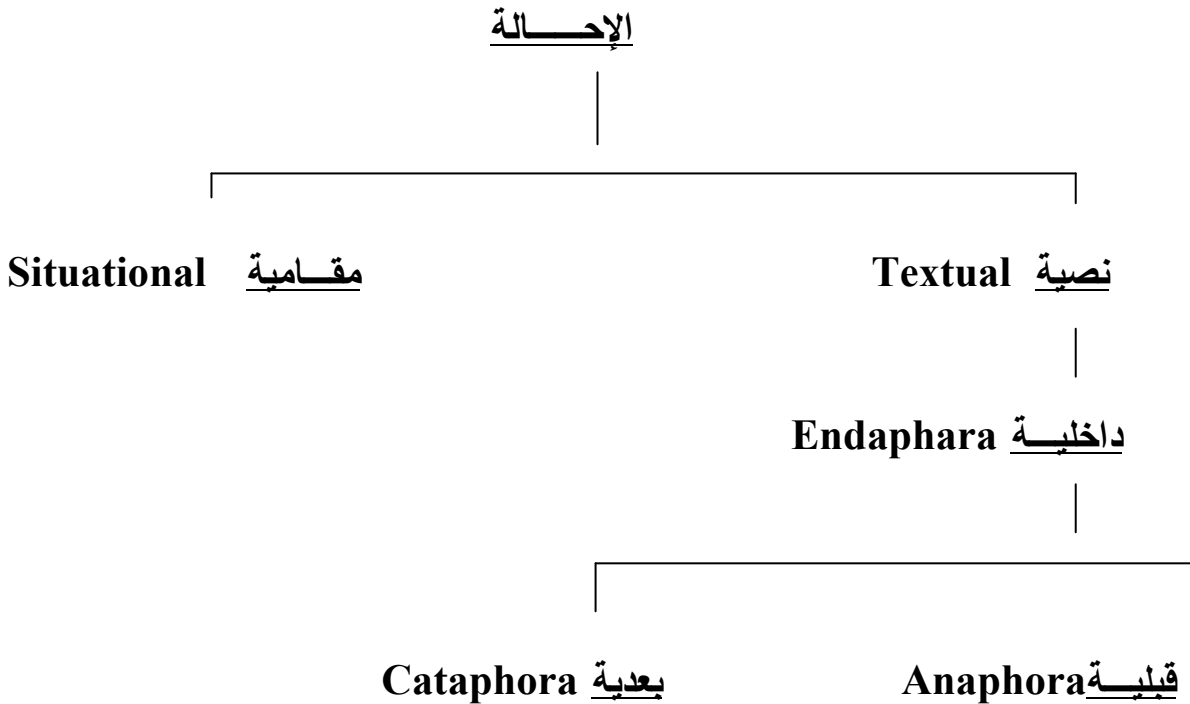
و من خلال ما تقدم فإن المتكلم/الكاتب من منظور إحالي يشير إلى أن حدثا ما أو شيئا ما ارتبط بشيء آخر تقدم ذكره أو سيأتي ذكره , لكن لن يذكر المتكلم/الكاتب في

348 - محمد خطابي : لسانيات الخطاب , مدخل إلى اسجام الخطاب, ص : 16 - 17 .

هذا الموقف , بل يكنى عنه بلفظ مفرغ من الدلالة المستقلة مثل : اسم الإشارة و الضمير و الاسم الموصول ..و لكن دون ذكره صراحة...

أنواع الإحالة

دعونا ابتداء نضع بين أيديكم هذا الرسم البياني المتعلق بأنواع الإحالة لنعمد على ضوئه - بعد ذلك - إلى شرحه و تفصيله:



يميز المختصون بالدرس اللساني النصي و يفرقون في الآن ذاته بين نوعين رئيسيين من أنواع الإحالة , فالنوع الأول يطلقون عليه اسم الإحالة

الداخلية/(النصية)⁽³⁴⁹⁾ أي إحالة حركيتها تحدث داخل فضاء الخطاب/النص (داخل اللغة) Endophara و تسمى النصية Textual ، و أما الثاني فهو موضوع تحت اسم **الإحالة الخارجية**/(السياقية)⁽³⁵⁰⁾ أي إحالة تتم خارج الخطاب/النص(خارج اللغة) و تسمى **المقامية Situational**. و إذا أردنا أن نقف على المراد المفهومي من النوع الأول من أنواع الإحالة (الإحالة الداخلية) تلك الآلية و ذلك الإجراء الموظف للدلالة على ذلك النوع الذي يحال فيه (المتلقي/المخاطب) على عنصر لغوي داخل النص. بينما يقصد من النوع الثاني (الإحالة الخارجية) فهو بداية ذلك النوع الذي يوجه (المتلقي/المخاطب) إلى شيء أو شخص في العالم الخارجي . ويمكن التمثيل للنوع الأول بالضمير في " جَاءَهُ " الذي ورد في (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أُرْسِلَ مَلَكَ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ قَالَ أَيُّ رَبِّ تَمَّ مَاذَا قَالَ ثُمَّ الْمَوْتُ قَالَ فَالآنَ فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَوْ كُنْتُ تَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ)⁽³⁵¹⁾ ، وأشير به إلى النبي موسى عليه السلام الذي ورد قبل ذلك في (أُرْسِلَ مَلَكَ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) . وأما النوع الثاني فيمكن التمثيل له من الحديث القدسي الآتي باسم الشرط "من" في قوله صلى الله عليه و سلم : (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ)⁽³⁵²⁾ الذي يحيل على كل إنسان يريد العطاء من الله تعالى ، وهذا النوع من الإحالة (يتوقف على معرفة سياق الحال أو

349 - عزة شبل محمد : علم لغة النص ، النظرية و التطبيق ، ص : 123 .

350 - المرجع نفسه ، ص : 123 .

351 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 7 ، ص : 213 .

352 - المرجع نفسه ، ج 6 ، ص : 332 .

الأحداث و المواقف ..(353) التي يعيش في فضاءها الخطاب/النص . وكلما تعددت الإحالات في الخطاب/النص تحقق فيه التماسكية أكثر و أقوى , و شد إليه المتلقى - في تفاعل تواصلية - أطول مدة زمنية ممكنة .

و تنقسم الإحالة , بداية , إلى نوعين رئيسيين و هما :

1 - إحالة داخل النص (داخل اللغة) Endophara

و تسمى ← النصية Textual

2 - إحالة خارج النص (خارج اللغة) Exophara

و تسمى ← المقامية Situational

الإحالة داخل النص (داخل اللغة) Endaphara

أنواعها

أما الإحالة داخل النص (داخل اللغة) Endaphara فتقسم بدورها إلى :

1 - إحالة على السابق (إحالة بالعودة)

و تسمى ← القبليّة Anaphora و هي (نوع من الإحالة المشتركة

يأتي فيه الضمير بعد مرجعه في النص السطحي..)(354) أي يرجع على مفسر سبق

التلفظ به , و هو من ثمة أكثر الأصناف تواجدا في الخطاب و دورانا في الكلام .

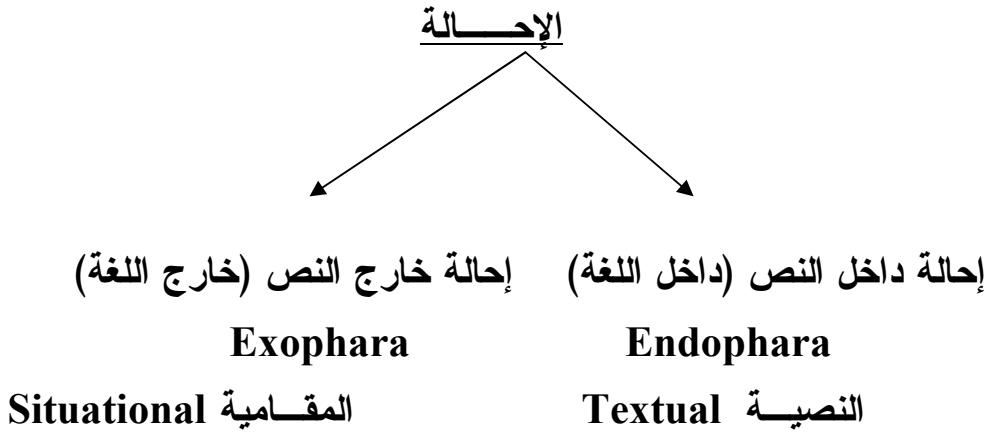
353 - عزة شبل محمد : علم لغة النص , النظرية و التطبيق, ص : 123 .

354 - أحمد محمد عبد الراضي : نحو النص بين الأصالة و الحداثة , مكتبة الثقافة الدينية , ط1 : 2008 م , ص :

2 - إحالة على اللاحق

و تسمى ← البعدية Cataphora , و هي (.. نوع من الإحالة المشتركة ، يأتي فيه الضمير قبل مرجعه في النص السطحي)⁽³⁵⁵⁾ أي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في الخطاب/النص و لاحق عليها ، و مثال ذلك ما يعرف في العربية بـ (ضمير الشأن أو القصة) .

و لقد (قدم هاليداي و رقية حسن عرضا مفصلا لأنواع الإحالة في الانجليزية)⁽³⁵⁶⁾ تتسم بالشمولية و المصادقية ، و لتوضيح ما سلف ذكره نستعين بالشكل التوضيحي الآتي :



من وسائل الإحالة داخل النص

³⁵⁵ - المرجع نفسه , ص : 105 .

³⁵⁶ - عزة شبل محمد : علم لغة النص , النظرية و التطبيق , ص : 122 .

يمكن أن نذكر هنا أهم الوسائل التي (تحدد المحال إليه داخل النص) (357) منها :

- 1 - الضمائر .
- 2 - أسماء الإشارة .
- 3 - الأسماء الموصولة .
- 4 - أدوات المقارنة : مثل : التشبيه , و كلما المقارنة مثل : أكثر , أقل ..الخ) .
- 5 - أل العهدية .
- 6 - تكرار الاسم .
- 7 - ظروف الزمان و المكان .
- 8 - أزمنة الأفعال...

من أدوات الإحالة داخل الخطاب/النص

يمكننا التمييز بين مجموعة من الأدوات الإحالية الفاعلة داخل الخطاب/النص منها:
الإحالة الشخصية، ممثلة في الضمائر، والإحالة الإشارية، ممثلة في أسماء الإشارة،
والإحالة بأداة التعريف "ال"، و الإحالة بالأسماء الموصولة ، والإحالة بالمقارنة، التي
تكون باستخدام ألفاظ معينة تفهم منها الموازنة بينها وبين ما سبق، وسنشرح كل نوع
من هذه الأنواع فيما سيأتي:

1 - الضمائر

بداية مصطلح ضمير (المضمر) هذا إنما هو(.. تسمية البصريين و يسميه الكوفيون
الكناية و المكني..)(358) وتعود دلالاته من الزاوية اللغوية أن (.. الضاد والميم والراء هما

357 - أحمد عفيفي : الإحالة في نحو النص , ص : 21 .

358 - أبو حيان الأندلسي : ارتشاف الضرب من لسان العرب , ط: 1984م , ج 1 , ص : 462 و .

أصلان صحيحان: يدل أحدهما على دقة في الشيء ويدل الآخر على غيبة وتستر. فمن الأول قولهم ضمَّ الفرض ضموراً، وذلك من خفة اللحم وقد يكون من الهزال. والآخر الضمَّار، وهو المال الغائب الذي لا يرجى عودُهُ وكل شيء غاب عنك فلا تكون منه على ثقة فهو ضمَّار⁽³⁵⁹⁾، أما من الناحية الاصطلاحية فإنما (هو عبارة عما دل على متكلم نحو أنا و نحن ، أو مخاطب نحو أنت و أنتما ، أو غائب نحو هو و هما)⁽³⁶⁰⁾. وبهذا يكون الضمير هو لفظ موضوع من أجل تعيين مسماه سواء أكان متكلماً كـ "أنا" و"نحن" أم مخاطباً كـ "أنت" و"أنتي" و"أنتما" و"أنتم" و"أنتن" أم غائباً كـ "هو" و"هي" و"هما" و"هم" و"هن". و من ثمة تنزل هذه الألفاظ نفسها و تقيمها مقام ما يكنى به عن مسمياته . و لهذا (لا يدل الضمير على مسمى كالاسم ولا يدل على موصوف بالحدث كالصفة، ولا على حدث وزمن كالفعل لأن دلالة الضمير تتجه إلى المعاني الصرفية العامة.. والتي ... يعبر عنها باللواحق والزوائد ونحوها)⁽³⁶¹⁾ و لهذا قسمه علماء اللغة إلى أنواع ، و لكن بحسب زاوية الرؤيا المعرفية و طبيعة مرجعيتها دون غض الطرف عن الهدفية المراد تحقيقها لدى (الملقي) ، فمنهم من يقسم الضمائر في العربية من حيث إحالتها إلى ثلاثة أقسام: (ضمير المتكلم) مثل "أنا"، و(ضمير المخاطب) مثل "أنت"، ويشترك هذان النوعان في كون إحالتهما إحالة خارجية دائماً، ولعل مسوغ ذلك كونهما حاضرين في المقام التخاطبي. أما النوع الثالث فهو (ضمير الغائب)، وهذا النوع من الضمائر هو الذي يهمننا في هذا البحث؛ لأهميته في تحقيق التماسك في النص؛ لأنه يربط الكلام ببعضه ببعض . بينما وجدنا فريقاً آخر يشير ابتداءً إلى التقسيم الثنائي الآتي :

أ/ - ضمائر الوجودية:

و يمثل ذلك الضمائر الآتية : (أنا + أنت + نحن + هو + هم + هن + ...إلخ).

359 - ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ج3 ، ص : 371.

360 - ابن هشام : شرح شذور الذهب ، دار الطلائع ، ص : 168

361 - تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، علم الكتب ط05 ، 2006 م ، ص108.

ب/ - ضمائر الملكية:

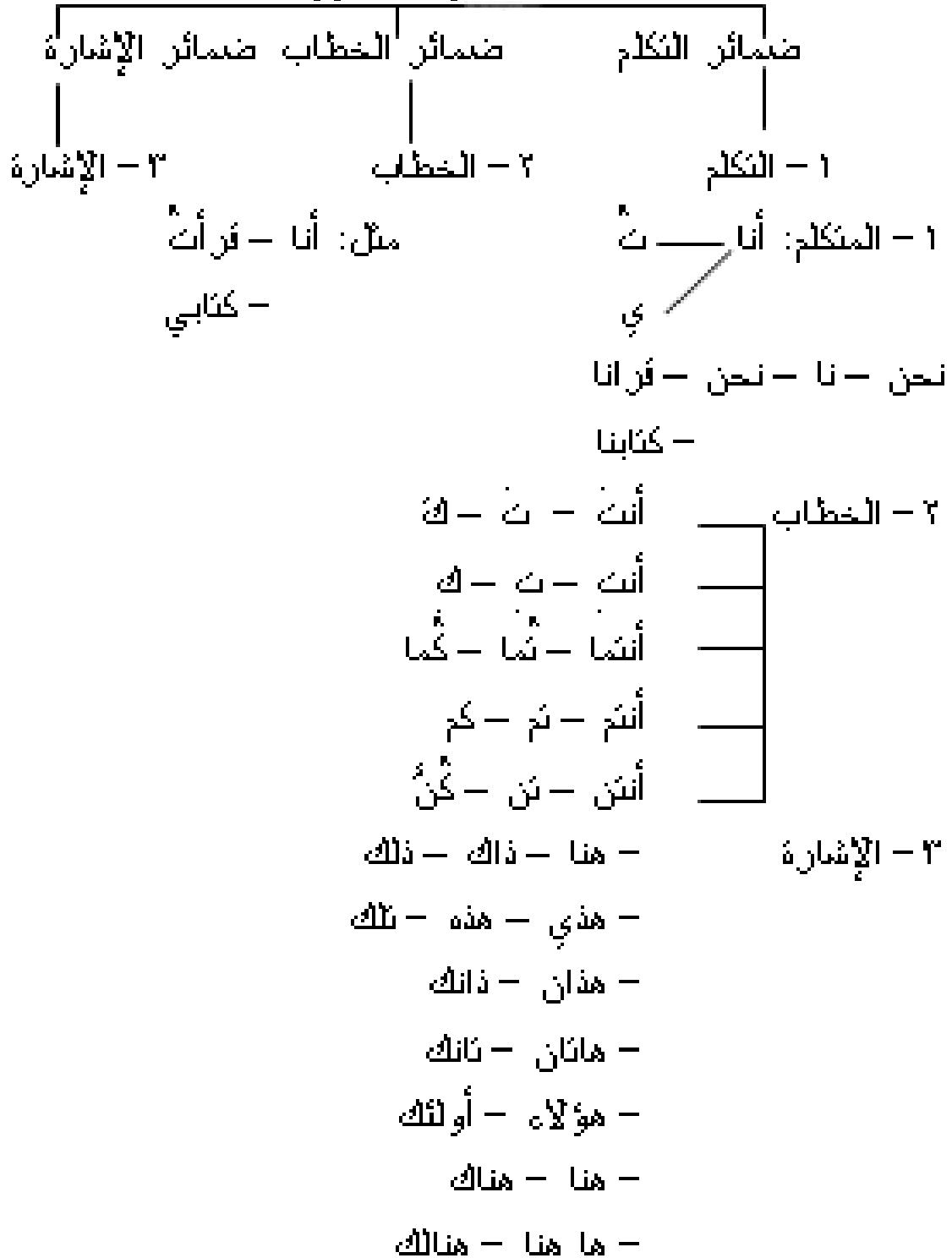
و منها على سبيل الذكر لا الحصر هذه الأمثلة : (وطني + وطنك + وطنهم +
وطنه + وطننا +...إلخ) .

بينما يذهب تمام حسان في تعامله مع هذه الظاهرة اللغوية و نعني بها هنا الضمائر إلى رؤية أكثر شمولية مما سبق لأنها تجمع أكبر عدد ممكن من العناصر اللغوية التي تحتاج إلى مرجعية تحيل إليها , فالضمير عنده يراد به (.. كل ما دل على حضور أو غيبة)⁽³⁶²⁾ . و بالتالي فالضمير يضم بين حدوده المعرفية ضمير الشخص (المتكلم و المخاطب و الغائب) و أسماء الإشارة و كذا الأسماء الموصولة نظرا لجملة من الاعتبارات بعضها يعود إلى طبيعة هذه الضمائر و بعضها الآخر إلى الوظيفية المنوطة بها في الخطاب/النص , فالكل في حاجة إلى مخصص لأنه يعبر عن معان عامة و بالتالي فـ(.. هذه الدلالة على المعاني العامة تجعل الضمائر بحاجة إلى ما يخصص معناها كالمرجع لضمير الشخص و البديل للإشارة و الصلة للموصول)⁽³⁶³⁾ . و هذا الرسم البياني يوضح ذلك أكثر:

362 - تمام حسان : الخلاصة النحوية ، ط1: 200م ، ص : 91

363 - المرجع نفسه : ص : 91.

ضمائر الحضور



ضمائر الغيبة



ومن المهم في استخدام الضمائر الإشارة إلى نقطة مفصلية والتي تتمثل في ضرورة المطابقة بين الضمير ومرجعه ، لأنها هي التي تعمل على تحقيق التماسك في الخطاب/النص، و من جهة أخرى علينا أن نفرق هنا بين عدم المطابقة بين الضمير ومرجعه وعدم الربط بينهما ، فالأول يؤدي إلى خلل أسلوبى و اضطراب فيه ، والثاني يؤدي إلى خلل في المعنى و بلبلة في الدلالة . أما الأول فكأن نقول: البييض أكثره من الدجاج، حيث يؤدي تغيير الضمير من حيث الجهة أو العدد أو الجنس (كأن يقال: : البييض أكثرنا من الدجاج، البييض أكثرهما من الدجاج، أو البييض أكثرها من الدجاج) هذا الاختلال و خلل أسلوبى غير مقبول من الناحية التواصلية و ممجوج لدى المتلقي ، أما عدم الربط الذي يكون بتغييب الرابط (الضمير) و حذفه أصلا من الخطاب/النص دون العمل أو القصد على تقديره (كما في: البييض أكثر من الدجاج) فإن ذلك سينجر عنه تبدل في المعنى و تغيير في المقصود .

أما إذا (..نظر إلى الضمائر ، من زاوية الاتساق ، أمكن التمييز فيها ..)(364) . بين

أدوار الكلام **Speech roles** و أدوار أخرى **Other roles** .

أ/ - أدوار الكلام **Speech roles** :

إن الضمائر التي تدل على (المتكلم) و (المخاطب) جميعها يحويها هذا النوع . و هذا يشي بأن الإحالة فيه تتم : خارج الخطاب و بشكل نمطي ، و لكن متى نصح الإحالة بهذا اللون من الضمائر داخل الخطاب ؟ . فقد أجاب محمد خطابي عن هذا الإشكال بقوله (و لا تصبح إحالة داخل النص ، أي اتساقية ، إلا في الكلام المستشهد به ، أو في خطابات مكتوبة متنوعة من ضمنها الخطاب السردى.)(365) . ذلك أن من تجليات الخطاب

364 - محمد خطابي : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص : 18 .

365 - المرجع نفسه : ص : 18 .

السردى - مثلا - ملازمته ضمنا , و فى أحيان كثيرة , سياقاً مقامياً , و هذا الأخير يحوى بالضرورة (سياقاً للإحالة) . و هو لا يتجلى هكذا مباشرة , و إنما على (المتلقى/القارىء) أن يرقى إلى المستوى الذى يمكنه من هذا اللون من مقاربة الإيجابية المنتجة , و أن يكون فى الوقت نفسه ذا ملكة قرآنية تفاعلية فاعلة قادرة على استخلاص بكفاءة تصويرية فنية عالية و نوعية سياقاً مقامياً مناسباً لكيونة الخطاب السردى الذى يقاربه و طبيغته . و من ثمة تصير الإحالة النصية جزءاً لا يتجزأ من كل هذه العملية .

و من الحقائق المقارباتية أن الخطاب , و مهما كان نوعه , لا يستطيع أن يتجرد من أى عنصر من عناصر البنيوية , و لا يستطيع أن يتأسس بعلاقات غير كاملة أو مضطربة , بل يجب أن يتصف بالاستقلالية الانغلاقية , و بالتالى لا يستطيع الخطاب أن يتجرد أو يجرّد من الإحالة السياقية الي تقود إلى خارج بنية الخطاب , و من جهة أخرى فإن الضمائر المشيرة إلى (الناص) مثل : أنا + نحن ... وغيرهما , و تلك التى تؤشر على (المتلقى) و هى ضمائر مثل : أنت + أنتم.. وغيرهما , كل ذل يمارس دوراً استراتيجياً و مناسباً فى ديناميكية الخطاب السردى , و يفعل العلائق المتنوعة التى تتحكم فى هذا اللون من الخطاب إن على المستوى الداخلى أو الخارجى ..

ب/ - أدوار أخرى Other roles .

و نقف الآن أمام نوع ثان من أنواع الضمائر الإحالية . و للعلم فإن هذا النوع بداية له وظيفة أساسية تكاد تكون مباشرة فى انجاز سمة من سيمات تحقق النصية الرسالة و المتمثلة فى اتساق الخطاب . و إذا أردنا أن نذكر هذه الضمائر نجد المندرج تحتها يتجلى فى :

1 - ضمائر الغيبة : وسواء أنظرنا إليها من زاوية العدد فتفيد الأفراد (هو + هي) أو التثنية (هما) أو جمعا (هم) , أو تأملناها من ناحية النوع تذكيراً (هو + هم) أو تأنيثاً (هي + هن)

2 - ضمائر الملكية : و هنا نؤكد أن ما سلف ذكره ينطبق على هذا النوع من الضمير الإحالي .

إلا أنه إذا أجرينا مقارنة سريعة بين هذين النوعين من (الضمائر الإحالية) = ضمائر الغيبة + ضمائر الملكية و جدناهما يشتركان بل و يتقاطعان في نقطة مركزية مهمة و هي الوظيفة الإحالية . و هذا لا يعني أنه لا توجد نقاط اختلاف بينهما , بل هناك ما يجعلهما متعاكسين , و جلاء هذا الأمر أن النوع الأول (ضمائر الملكية) فهو يملك حركية متميزة تجعله مزيج الإحالة (قبلية و بعدية) . إذ تقتضي في الآن نفسه محالين اثنين (مالكا) و (مملوكا) , و مثال ذلك قولنا :

مقالته رصينة

الضمير (هـ) في الوقت الذي يحيل فيه على (المالك) المذكور هنا يحيل على (المملوك) في الآن ذاته . أما النوع الثاني (ضمائر الغيبة) فحركيته تكاد تكون محدودة , لأنها تيمم به نحو اتجاه واحد , و من ثمت فهو أحادي الإحالة . و مثال ذلك :

المقالة (هي) رصينة

فالضمير (هي) يقوم بوظيفة إحالية واضحة , و لكنها ذات مسار واحد , و لهذا فهي صدق فيها القول بأنها أحادية الإحالة .

وقد لوحظ أن الإحالة بالضمائر هي أكثر الإحالات انتشارا في فضاء الخطاب/النص و شيوعا فيه المنطوق منه و المكتوب , و الذي يعضد هذا الرأي و يدعمه تلك الدراسة الرصينة التي أجراها بعض الباحثين على سورة من سور القرآن المكي (سورة الأنعام) , فقد لاحظ - بعد الدراسة و التحليل - أن (.. عدد الضمائر فيها بلغ 1320 موزعا، على

حين كان عدد أسماء الإشارة 51، وأسماء الموصول 85 (366) وهذا الأمر يشي و يؤكد الدور الكبير و الوظيفة الهامة التي تؤديها الضمائر في تماسك الظاهري للخطاب/النص ، و في الوقت نفسه إلى وصل الكلام و تعالق بعضه ببعض، والربط بين أجزائه في إحكام دقيق .

الضمائر المنفصلة والضمائر المتصلة

إن الموقعية التي يحتلها الضمير في التركيب تعتبر من أساسيات التي يقوم عليها التفريق في اللغة العربية بين نوعين من الضمائر : الضمائر المتصلة والضمائر المنفصلة ، فالضمير المتصل يقع بعد لفظ آخر، ويتصل به سواء أكان اللفظ الآخر فعلا نحو "سألتمونيها"، أو اسما نحو "كتابنا"، أو حرفا نحو "لكما"، ويعامل من الناحية الكتابية (الإملائية) معاملة جزء الكلمة، وليس كلمة مستقلة، ولكنه من الناحية النحوية - وخاصة الإعرابية - ينظر إليه على أنه الكلمة المستقلة . بينما الضمير المنفصل فمن أولى خواصه الاستقلالية سواء من الناحية الإملائية والناحية النحوية. ولما كانت الموقعية هي المعيار الذي يؤسس لاتصالية الضمير أو لانفصاليته ، فقد انعكس ذلك على ظاهرة الريب (التقديم و التأخير) في التراكيب اللغوية ، وذلك طبعاً أمر متوقف على عوامل أسلوبية تتصل بأغراض بلاغية . و من أمثلة ذلك تحوّل الضمير في قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين" من ضمير متصل (ك) إلى ضمير منفصل (إياك) بعد تقديمه لغرض القصر، الذي يفيد بأن الله وحده هو الذي يستحق أن يعبد، ويستعان به .

التطابق

366 - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ص 198.

التطابق يعتبر أهم وسيلة تملك فاعلية قوية كفيلة بربط الضمير بمرجعه، وهو ما يمنح النسيج اللغوي للخطاب/النص سمة التماسك . (و تشير المطابقة في معناها الدقيق إلى تقابل مصطلح مع مصطلح آخر في وحدات أو موضوعات سيميائية متقاربة ، أو مستويات لغوية معينة ..)(367) . و مما تجدر الإشارة إليه في هذا الموطن هو أن الأصل في النظام الذي يحكم حركية الضمائر في اللغة العربية أن يستخدم كل ضمير لمرجع معين و مخصوص وفقا لمقولات (الجهة، والجنس، والعدد) ، بحيث يشير ضمير المتكلم - مثلا- إلى المتكلم، والمذكر إلى المذكر، والمفرد إلى المفرد، إلا أن هذا النظام المحكم - نظرا لطبيعته المرنة و القابلة للتكيف مع مستجدات الموقف الكلامي و متغيرات التواصل اللساني - يسمح بنوعين من الاستثناءات (الاتزياحات) ، أحدهما وضعي تسمح به قواعد النحو، والثاني بلاغي يخضع لاعتبارات أسلوبية ، وسنتحدث عن هذين النوعين فيما يأتي:

1) الاستثناء الوضعي: (تسمح به قواعد النحو)

و تتجلى هذه الخصوصية في توظيف ضمير المتكلم "نحن" (.. للمتكلم مع غيره ... أو للواحد معظما نفسه ..)(368) أو "أنا" للمتكلم المفرد و كذا ضمير المخاطبين "أنتم" ونحوه للمخاطب المفرد لأجل تعظيمهما، ومن أمثلة ذلك الذي أشير فيه بـ"نا" إلى الله - عز وجل- و الذي أشير فيه بـ"نحن" و"أنتم" و"كم" و"ون" و"تم" إلى الملك .
"ولقد آتينا إبراهيم رشده" . ومن ذلك أيضا معاملة غير العاقل معاملة العاقل شريطة أن تسند إليه صفة من صفات العقلاء، كما في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام:
"إذ قال يا أبت إنني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين" .

367 - سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، ط1 : 1985 م ، ص : 142 .

368 - فاضل صالح السامرائي : معاني النحو ، شركة العاتك لصناعة الكتاب، ج1، ص : 40 .

2) الاستثناء البلاغي: (يخضع لاعتبارات أسلوبية)

وعدم مراعاة المطابقة بين الضمائر لأغراض بلاغية أو ما سميناه بالاستثناء البلاغي يبرز جليا في الظاهرة المشهورة المعروفة بالالتفات التي تعني (نقل الكلام من أسلوب إلى آخر..)(369) و هو (.. نقل معنوي لا لفظي فقط ..)(370) ، وهي ظاهرة تنكسر عندها قاعدة المطابقة بين الضمير و مرجعه ، فتختل المطابقة في الجهة، أوفي العدد فقط ، دون الجنس.

أولاً: المخالفة في الجهة

يشتمل هذا النوع من الالتفات على الحالات الآتية:

أ- الالتفات من المتكلم إلى الغائب، ومنه قوله تعالى:

(إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر)(371): حيث أشار -عز وجل- إلى نفسه بـ"نا" ثم استخدم اسما ظاهرا معادلا لضمير الغائب هو "رب" بدلا من ضمير المتكلم "نا".

ب- الالتفات من الغائب إلى المتكلم، كما في قوله تعالى: (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت)(372) : الذي التفت فيه من الاسم الظاهر، وهو لفظ الجلالة الذي يعادل ضمير الغائب "هو" إلى ضمير المتكلم "نا" في "فسقناه".

ت- الالتفات من المخاطب إلى الغائب، كما في قوله تعالى:(حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم)(373) فقال: "بهم" بدلا من بكم.

ث- الالتفات من الغائب إلى المخاطب، كما في قوله تعالى:(مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين)(374) فقال: "إياك" بدلا من إياه.

369 - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات ، معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية ، ص : 169

370 - المرجع نفسه ، ص : 274 .

371 - سورة الكوثر ، الآية : 1 - 2 .

372 - سورة فاطر ، الآية : 09 .

373 - سورة يونس ، الآية : 22 .

374 - سورة الفاتحة ، الآية : 5 .

ج- الالتفات من المتكلم إلى المخاطب، كما في قوله تعالى: (ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) (375) فقال: "ترجعون" بدلا من أرجع.

ح- الالتفات من المخاطب إلى المتكلم، كما في قول علقمة بن عبدة بن النعمان:
طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب
يكلفني ليلى وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب
فقد أشار الشاعر إلى نفسه بضمير المخاطب "ك" في "بك"، ثم استخدم ضمير المتكلم "ي"
في "يكلفني".

ثانيا: المخالفة في العدد

يقصد بالمخالفة في العدد أن يلتفت من ضمير إلى آخر مخالف له من حيث الإفراد أو التثنية أو الجمع، ومن ذلك قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) (376) : فقال "بنورهم بدلا من بنوره".

مرجعية الضمير ووظيفته

1 - عودة الضمير على مرجع متقدم

في اللحظة التي يبغى فيها (المتلقي) مقارنة خطاب/نص ما يجد نفسه أمام مجموعة من المقتضيات و جملة من الإجراءات - منها في هذا المقام - , و دفعا للغموض و الالتباس و التأويلات السيئة , التعاطي مع الضمير بطريقة متميزة دقيقة و حذرة و ذلك بإعادته إلى المرجع المناسب له (مرجعه) , انطلاقا من كون هذه العملية من أهم الوظائف التي توجبها طبيعة التعامل مع الضمير بقصد فهمه أو إفهامه (استقبالا و

375 - سورة يس , الآية : 22 .

376 - سورة البقرة , الآية : 17 .

إرسالاً) . من هنا يكون الضمير و هو يتماهى مع مرجعه يضيف على هذا الأخير وظائف عديدة منها إزالة اللبس و التلبيس فتتضح المعاني و الدلالات و من ثمة كان (.. الربط بالضمير بديلاً لإعادة الذكر في الاستعمال و أدعى إلى الخفة و الاختصار ..)(377) , و من جهة أخرى يكسب الخطاب/النص مناعة ذاتية تجعله بعيداً عن التفكك و الفوضى فيبدو حينئذ متماسكاً و مترابطاً , كما أن وضوح العلاقة بين الضمير و مرجعه المستمدة عادة من هيمنة الوضوح على الخطاب/النص يقوي تماسكه و يجلي الروابط و الآليات التي تتحكم في مفاصله و أجزائه و ديناميته لأن (.. ضمائر المتكلم تفتقر إلى متكلم , و ضمائر الخطاب تفتقر إلى المخاطب , فيكون المتكلم بمثابة المرجع لضميره , و يكون المخاطب كذلك , أما ضمير الغيبة فيفتقر في العادة إلى مذكور يعد مرجعاً فلا يتضح معنى الضمير إلا بواسطة ذلك المرجع ..)(378) , هذا يعني أن كلام من ضمير (المتكلم و المخاطب) يقومان بوظيفة تحديد المرجع المشار إليه بطريقة سهلة - عادة - نظراً لعدم إمكان اللبس فيهما , فإن الصعوبة - عادة - قد تكمن لحظة محاولة (المتلقي) التعاطي مع (ضمير الغائب) لإرجاعه و إحالته إلى مرجعه و صاحبه الخاص لأن (ضمير المتكلم و ضمير المخاطب تفسرهما المشاهدة , و ضمير الغائب يحتاج إلى مفسر ...)(379) . و بالتالي فضمير الغائب يحتاج إلى توضيح الكيفية التي يزال بها اللبس و الغموض في مرجعيته .

و لضبط عملية إعادة الضمير إلى مرجعه كاد علماء النحو العربي يجمعون على ضابط و معيار يؤكد أن (.. الأصل أن يعود الضمير على الأقرب..)(380) و الأمثلة في ذلك كثيرة . لكن الأمر هنا يحتاج إلى وقفة توضيحية تبين أن المعيار و الضابط السالف الذكر

377 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن , ج 1 , ص : 137 .

378 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 138 .

379 - أبو حيان : ارتشاف الضرب , ج 2 , ص 481 .

380 - فاضل صالح السامرائي : معاني النحو, ج 1, ص : 58 .

ليس بهذه المطلقية المفرطة بل هو في حاجة إلى تخصيص و تقييد لأنه يخضع في الكثير من الأحيان إلى سلطان القرائن اللفظية منها أو الحالية , فإعادة الضمير - إذا - إلى أقرب مذكور تضبطها استثنائية دقيقة نبه إليها أبو حيان الأندلسي في قوله (.. إلا إن دل دليل على أنه لغير الأقرب..)(381) . و قد يكون هذا الدليل دليلا لغويا أو عقليا. و لناخذ ما يأتي مثلا على ذلك :

(أعطيت ابنتي فاطمة قلما , و ابني خالد كراسا , لم تمض ساعتان حتى كسرت فاطمة قلمها , و مزق خالد كراسه , فعنفت عليهما , فلامنتي جدتها على ذلك .) إذ لا يمكن و لا يصح أن نحيل الضمير (ها) في كلمة (قلمها) إلى المتكلم المشار إليه بـ (ت) في كلمة (عنفت) و ذلك لعدم التطابق من حيث الجهة , لأن (ت) ضمير المتكلم و (ها) للغائبة , كما لا يعزى فيها الضمير (ها) الى خالد لعدم التطابق من حيث الجنس و قد كان ذلك من الناحية اللغوية . أما الناحية العقلية فهي تعضد هذا التوزيع و تزيده مشروعية , و ذلك لاستبعاد أي محاولة لاعادة الضمير إلى أقرب مذكور , لأنه يمكن تحديد المرجع المراد انطلاقا من مقتضيات المعرفة المسبقة و المخزون التجريبي الحياتي الذي نملكه مما تلقيناه من محتويات العالم الخارجي .. و بناء على ذلك , فإن التعامل مع المثال الآتي يزيد المسألة وضوحا أكثر : (استطاعت القطة أن تصمد طويلا في مطاردة الفأرة , لكنها أخفقت في الحاق بها .) , هنا و انطلاقا من معرفتنا الواقعية الملموسة و الحياتية المستمدة من التفاعل الذاتي مع العالم الخارجي قد تأسست في وعينا و تركزت فيه طائفة من المعارف المكتسبة منها أن (القطة) هي التي تطارد (الفأرة) و تلاحقها و الأمر لا يستقيم إذا كان التصور معاكسا لهذا و كأن الأمر بات قاعدة ثابتة و قانون مطرد لا يختلف حوله اثنان , و من أجل ذلك فإن هذا المعطى التصوري المستمد من التجربة الحياتية الواقعية و الشائع بين أفراد المجتمع سابقا و لاحقا إنما هو أساسا السند الذي

381 - أبو حيان : ارتشاف الضرب , ج 2 , ص 481 .

يتكأ عليه (المتلقي) في مقارنة العبارة السابقة و التعاطي معها تحليلا و تركيبا و تأويلا , و إذا أردنا تحديد مرجع الضمير (ها) في كلمة (لكنها) فلا شك في أن الضمير يعود على كلمة (القطعة) التي تعدالمرجع الوحيد و المقصود الذي يستسيغه العقل و تقبله التجربة الحياتية و يرضاه المجتمع الذي تعود عليه , على الرغم من أن كلمة (الفأرة) هي أقرب مكانا و موقعا إلى الضمير (ها) من كلمة (القطعة) .

و لهذا وضع الكثير من علماء الدرس النحوي لهذا الضابط (.. الضمير يرجع إلى أقرب مذكور ..) بعض الاستثناءات دفعا للوقوع في الحيرة و الاضطراب إذا ما وقع بين أيدي (المتلقي) نماذج من الاستعمالات اللغوية فصيحة و متداولة تأبى الخضوع للضابط المذكور آنفا , و من بين الاستثناءات هذه , ما قد تحدثنا عنه فيما مضى , فوضعنا تخصيصات إضافية تقيد اطلاقية الضابط الذي يبقى ساري المفعول (.. إلا إن دل دليل على أنه لغير الأقرب ..)⁽³⁸²⁾. أما الاستثناء الثاني فيكمن في أنه إذا كان المرجع جزءا من تركيب الإضافة فحينئذ يجب ان يكون (المضاف) هو المرجع بالرغم من كونه يعد الأبعد على الضمير مقارنة بـ(المضاف إليه) . و مثال ذلك (بينما كنت أتحدث مع أخي عبر الهاتف عرض ذكر والد صديق له , فسألني عن صحته و عن موعد خروجه من المستشفى) فالضمير (هـ) في كلمة (صحته) يعود إلى المضاف (والد) و ليس إلى المضاف إليه (صديق) مع أن هذا الأخير هو أقرب مكانا إلى الضمير .

رغم كل ذلك هناك بعض المواقف الكلامية المنطوقة أو المكتوبة يجد (المتلقي) نفسه قبالتها في حيرة و تردد يحول دون المسارعة إلى وضع الأصبع على المرجع المناسب للضمير المراد التعاطي معه , و هنا يغيب معطى المسافة بنوعيتها القريبة و البعيدة , و مثال ذلك : (لقد آن الأوان أن يؤخذ الأطفال المتبنون من مربيهم , و يعادوا إلى آبائهم الحقيقيين , إنهم يتعذبون) فالضمير (هم) في كلمة (إنهم) يغشاه اللبس و الغموض

382 - أبو حيان : ارتشاف الضرب , ج 2 , ص : 481 .

فهو غير واضح إن كان مرجعه يعود على (الأطفال) أو إلى (ذويهم) في هذه الحالة يدفع (الملقى) دفعا إلى اعتبار أن (..مفسره قد يكون معلوما من السياق) (383). هذه الوضعية التي يتلبسها الغموض يستعان على تخطيها خدمة للتواصل اللغوي و الإبقاء على استمراريته بالعودة إلى فعيل آلية السياق بمفهومه الواسع ... و من ثمة فالحكم باطرادية و ثبات مقولة أن الضمير يعود على أقرب مذكور في حاجة إلى تقييدات موضوعية سبق أن ذكرنا أهمها , و ذلك حتى لا يلتبس الأمر على (المتلقي) لحظة تعامله مع الرسالة اللغوية التي تأتي أن تتخذ لنفسها نمطية قارة و إنما تعدد إلى التجدد و التنوع بتلون المواقف الكلامية ...

(2) - عودة الضمير على مرجع متأخر

الضمير في الأصل يرجع إلى متقدم في الذكر , و ذلك يعود إلى طبيعة الضمائر نفسها فهي تتسم في ذاتها بالغموض و الإبهام و اللبس و بالتالي فهي لا تتقدم على ما تعود عليه (المرجع) , بل ينبغي على هذا الأخير أن يتقدم : (.. لفظا و رتبة أو لفظا لا رتبة أو رتبة لا لفظا ..) (384) وإلا أفرغت الرسالة اللغوية مهما كان نوعها من بعدها التواصلية وظيفتها الأساس . هذه الرؤية المعيارية هي التصور الافتراضي لمثل كذا وضعية , لكن الواقع اللغوي لا ينضبط بصرامة الأنماط اللغوية ولا بالمعايير النحوية التي توطن الاستعمال اللغوي بل أن (هذا الذي لا يجوز في منطق القاعدة , هو هو نفسه توجبه قواعد أخرى في النحو نفسه..) (385) , لأن هناك وقائع لغوية لا تخضع للمعيار السالف الذكر , و لقد انتبه إليها الدرس اللغوي مما دفعه إلى وضع إشارات تجيز عودة الضمير على متأخر (.. لفظا و رتبة ..) (386) نوجزها في النقاط الآتية :

383 - السنهوري : شرح الأجرومية في علم اللغة , دار السلام , ط2006:1 م , ج 1 ص : 378 .

384 - أحمد عبد العظيم : القاعدة النحوية , دار الثقافة للنشر و التوزيع , ص : 118 و 119 .

385 - المرجع نفسه , ص : 119 .

386 - تمام حسان : الخلاصة النحوية , ص : 92 .

- 1 - أن يكون الضمير مرفوعا بفعل يراد به المدح أو الذم و لا يفسر إلا بالتمييز نحو :
 - نعم بطلا محمد
 - بئس كسولا المهمل .
 - ساء مثلا القوم .
- 2 - أن يعمل ثاني المتنازعين و يكون الضمير مرفوعا بأولهما نحو : جفوني و لم أجف
 الخلاء
- 3 - أن يكون مبتدأ يفسره خبره الذي يأتي بعده نحو قوله تعالى: (إن هي إلا حياتنا
 الدنيا)(387) .
- 4 - أن يكون مما يسمى ضمير الشأن و القصة نحو قوله تعالى : (قل هو الله أحد
)(388). و قوله تعالى : (و إذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا)(389).
- 5 - أن يقع في محل جر بـ(رب) و مفسرا بتمييز بعده نحو : ربه فتية دعوت إلى ما
 يورث المجد دائما فأجابوا .
- 6 - أن يقع بعده اسم ظاهر بدلا منه و مفسرا له نحو : أحضرته الماء .
- 7 - أن يتصل بفاعل مقدم و يكون المرجع (مفعولا به مؤخرا نحو : سامح أخوه سعيدا
)(390) .

2 - أسماء الإشارة

بداية يطلق الكثير من علماء الدرس النحوي القديم على الظاهرة اللغوية المسماة
 (اسم الإشارة) الأسماء المبهمة و .. المبهمات هي أسماء و ما عرف بـ(الألف و

387 - سورة الأنعام , الآية : 26 .

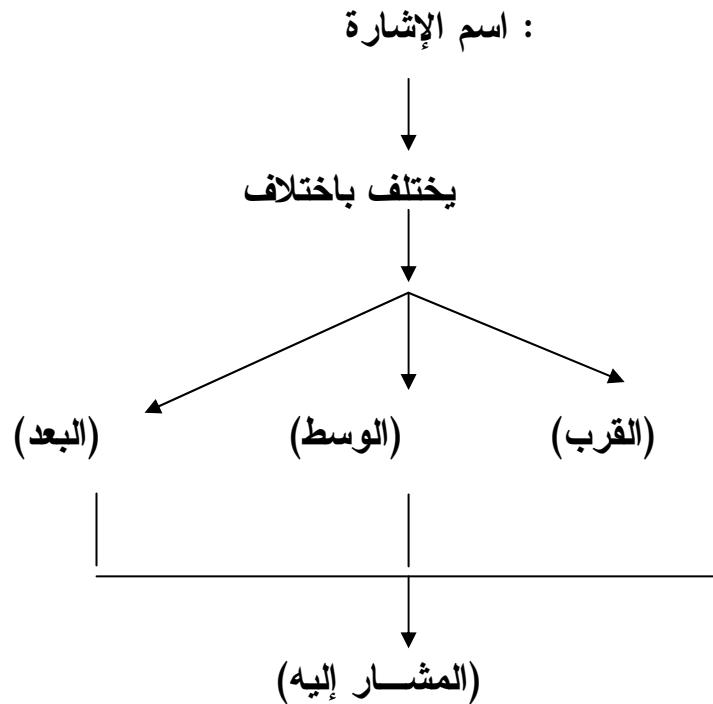
388 - سورة الإخلاص , الآية : 01 .

389 - سورة الأنبياء , الآية : 95 .

390 - ابن هشام : مغني اللبيب , ج 1 , ص : 6325 .

اللام)..(391) . مع العلم أن هذا المصطلح (المبهمات) مصكوك من قبل المدرستين البصرية و الكوفية و متداول بين مجالس علمائها تدريسا و تأليفا . لكن الزمخشري قد اسقط هذا المصطلح على نوعين فقط من الظواهر النحوية و هما : اسم الإشارة و الاسم الموصول جاء عند ابن يعيش في شرح المفصل.. أنه حين يقال بين المعارف أسماء مبهمة فالمراد بها ضربان فقط (.. أسماء الإشارة و الموصولات...)(392) . و أما الوظيفة الرئيسية لاسماء الإشارة فإنها تظهر في تجلية مدى القرب أو البعد من المتكلم أو المشار إليه .

و يمكن التمييز في اللغة العربية بين ثلاث مستويات تتحرك في فضائها أسماء الإشارة بأنواعها المختلفة وفقا لمقتضيات المعنى و الاستعمال (و أكثر النحاة على أن مراتب الإشارة ثلاث : القرب و الوسط و البعد ..)(393) .



1 - القرب :

391 - ابن اسماعيل الهرمي : المحرر في النحو . ج1, ص : 217

392 - ابن يعيش : شرح المفصل , إدارة الطباعة المنيرية بمصر , ج5 , ص : 86 .

393 - فاضل صالح السامرائي : معاني النحو , ج 1 , ص : 84 .

و يعبر عنه بـ(هذا) و فروعها .و تتركب (هذا) من الحرف (هـاء) + الاسم (ذا) ولهذا تتخذ الأشكال و الصور الآتية :

1 - (هذا) = (هـ) + (ذا) ← مفرد مذكر .

2 - (هذي) = (هـ) + (ذي)

3 - (هتي) = (هـ) + (تي) ← مفرد مؤنث .

4 - (هذان) = (ها) + (ذان) ← مثني مذكر .

5 - (هاتان) = (ها) + (تان) ← مثني مؤنث .

6 - (هؤلاء) = (هـ) + (ألاء) جمع مشترك بين المذكر والمؤنث .

من خلال ما تقدم يلاحظ أن اسم الإشارة الدال على القرب تتألف بنيته من حرف (هـاء) الدال على التنبيه مضاف إليه اسم (ذا) مفتوح يدل على المذكر و (ذي) مكسور دال على المؤنث هذا يعني أن هناك تغير صوتي بين (الفتحة و الكسرة) / الحركات قد مارس حضوره في بنية اسم الإشارة فحمل قيمة دلالية فارقة في النوع بين التذكير والتأنيث , و للدلالة و المعنى الذي يريده التكملم متموضعا في الرسالة التي يريد إيصالها للمخاطب و فاعلية الموقف بكل ملابساته الكل يعمل على اختيار اسم الإشارة المناسب فـ(ها) التنبيه مثلا (..يوئى به في المكان المناسب بالقدر الذي يحتاج إليه , فقد يقدم أو يؤخر , أو يكرر , أو لا يذكر البتة , بحسب الحاجة إلى ذلك) (394) . كما أن "هذي" صارت في الوقف "هذه" وبقي هذا الاستعمال سائداً. بينما في المثني فنجد أن المذكر يستعمل (الذال) في حين يستعمل المؤنث (التاء) وهذه طريقة تستعمل للتمييز بين الجنسين . أما في الجمع فإن اسم الإشارة (هؤلاء) يشترك فيه الجنسيان (المذكر و المؤنث) و ذلك للدلالة على الجمع.

2 - الوسيط :

394 - فاضل صالح السامرائي : معاني النحو , ج 1 , ص : 92

مثنى مذكر.

- (ذاتك) : ذان + ك

4 - (تاتك) = (تا) + (ن) + (ك)

مثنى مؤنث.

- (تاتك) = تا + ن + ك

الجمع المشترك.

5 - (أولالك) = (أولا) + (ل) + (ك)

من الملاحظ أن ما تتميز به هذه الطائفة من أسماء الإشارة - بداية - دلالتها جميعا على البعد، و حتى تحقق هذا الوظيفية استغنت عن حرف (هاء) لا في نوع واحد من أنواع التداول بل في و جدنا ذلك قد عم جميع استعمالاتها ، هذا و قد استعملت للفرقة بين المذكر والمؤنث في الإفراد والتنثية ، طريقة التعارض والتبادل الصامتي ، فالذال للمذكر والتاء للمؤنث. وبقي الجمع ممثلاً في صيغة واحدة بين جنسي التذكير والتأنيث.

بنية اسم الإشارة :

لاسم الإشارة بنية مميزة تتفاعل مع الاستعمال و الدلالة التي يبيغها (المتكلم) مما يجعل من اسم الإشارة عرضة لنوع من الحركية تارة بالزيادة و أخرى بالحذف تمس بنيته الرئيسية خدمة لمقصدات التواصل اللغوي .. و على هذا الأساس فإن كلمة (ذلك) مركبة من أجزاء ثلاثة :

(أ) - ذا = البنية الأساس لاسم الإشارة.

(ب) - اللام = و هو حرف للبعد..

(ج) - الكاف = حرف يستعمل للخطاب .

و الوظيفة التي يقوم بها اسم الإشارة مع كل هذه التقلبات التي تعتريه هي أساسا نعت الانتباه للمشار إليه . و على الرغم من أن اسم الإشارة سمة من السمات اللغوية العربية إلا أن علاقته المشار إليه ليسن علاقة عضوية و إنما استعمل لتحديد طبيعة المخاطب من حيث (النوع و العدد) .

لهذا يتخذ اسم الإشارة تمظهرات نمطية متنوعة نوردتها في الشكل الآتي :

1 - اسم الإشارة لوحده = ذا .

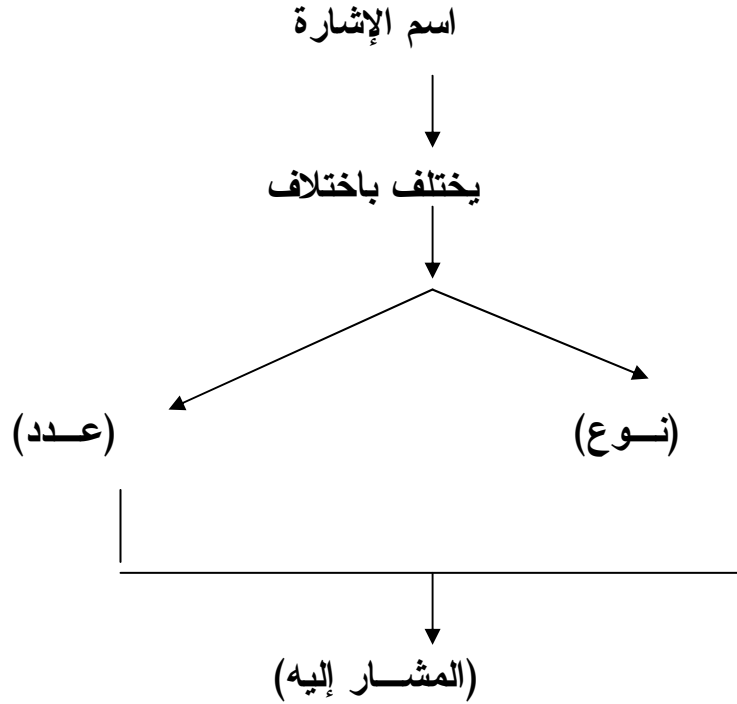
2 - اسم الإشارة + (هاء) التنبيه = هذا .

3 - اسم الإشارة + (كاف) الخطاب = ذاك .

4 - اسم الإشارة + (لام) البعد + (كاف) الخطاب = ذلك .

هذا ما يجعلنا نؤكد الطبيعة المرنة التي تتسم بها هذه الظاهرة اللغوية (اسم الإشارة)

و قابليتها للتضام مع بعض العناصر الغوية خدمة للفعل اللساني ..



اسم الإشارة و الإحالة (داخليا و خارجيا)

لاسم الإشارة جملة من الأدوار و الوظائف اللغوية منها الإحالة إلى المرجع الذي

يعود عليه و يناسبه . لكن هذه الترابطية بين (المحيل / اسم الإشارة) و (المحال

غليه/المشار إليه) قد حدث داخل فضاء الخطاب/النص ذاته و مثالنا على ذلك و قد

تدفع (المتلقي) إلى أن يخرج من تخوم الخطاب/النص ليتعاطى مع عوالم ما وراءه

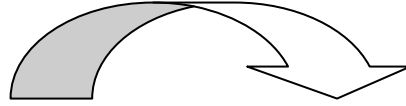
(خارج الخطاب/النص) و من امثلة ذلك

المرجع

اسم الإشارة



هذا أنت ...



المرجع

اسم الإشارة

أنت هذا ...

الاستعمال المتنوع لاسم الإشارة

من الملاحظ أن للمتكلم الخيار - عادة - في استخدام أي من أسماء الإشارة المتنوعة , و إنما يحدث ذلك طبقاً لما تمليه و توجهه الإغراض التواصلية و المقاصد التخاطبية سواء أكان ذلك على المستوى الطبيعي الحياتي أو المستوى الفني البلاغي , كل ذلك يتدخل في اختيار أحدها بديلاً عن الآخر .. فقد يختار (المتكلم) اسم الإشارة الدال على البعد - مثلاً - إذا كان المتكلم يشير إلى شيء يعتقد أنه غائب أو بعيد عنه زماناً أو مكاناً . و يختار استخدام اسم الإشارة الدال على القرب للتعبير عن التحقير .. أو للإشارة إلى قرب الرأي للعقل و وضوحه فيه لتأييد صحته .

الإحالة بالإشارة الظرفية

هناك نوع من أسماء الإشارة يفيد الدلالة الظرفية و يمكن حصره في هذين العنصرين اللغويين : (ثم + هنا) و (..هما طرفان يشار بهما إلى المكان , و لا يشار بهما إلى غير المكان , أما أسماء الإشارة الأخرى ... فيشار بها إلى المكان و غيره

(395) . و نخص بالذكر هنا اسم الإشارة (ذا) و ما تفرع عنه . و مع كل ذلك فقد تلحق (تاء) التانيث (ثم) فتصير (ثمة) . كما قد تلحق (الكاف) بـ (هنا) فتصبح (هناك) , فإذا أضفنا إليها (اللام) صارت للبعيد و تأخذ شكل : (هناك) . و مثلما أسلفنا الحديث عن أسماء الإشارة تستخدم (هنا - هنالك - ثم) للإشارة إلى المرجع سواء أكان داخل الخطاب/ النص أو خارجه ... :

العائدية الإشارية

يُراد بالعائدية الإشارية عود عنصر لغوي، مباشرة، على ذات غير لغوية، يتحكم في تحديد إحاليته المقام التواصلي للمشاركين في عملية التخاطب . من ضروب هذه العناصر أسماء الإشارة.. كهذا وهذه... والظروف الزمنية والمكانية كالآن وهنا وهناك... إلخ. ينحصر دورها في تعيين المرجع الذي تشير إليه. وهي بذلك تضبط المقام الإشاري لأن (.. معاني بعض الكلمات تتأسس على نوع ما من الاعتماد على السياق .. مثل هذه الكلمات يطلق عليها (إشارية).. تشير إلى عناصر مختلفة في السياق الذي ينتج فيه التلفظ..)(396)

إن تحديد إحالية اسم الإشارة كما هو في حاجة إلى أعمال الجهد المعرفي المنبثق من النسق الداخلي للخطاب/النص، و فهو في حاجة كذلك إلى ما يمكننا منه كذلك الإخبار البصري المنبثق عن السياق الخارجي و البيئة المحيطة بالخطاب/النص ، بل ذهب بعض اللسانيين إلى أن الإخبار البصري يتيح أيضا، تأويل المركبات الاسمية المعرفة والضمائر الإحالية (من خلال التفاعل بين النص و السياق . فثمة وحدات لغوية تتطلب أكثر من غيرها معلومات عن السياق ليتيسر فهمنا و هي الأدوات الإشارية) (397) ...بناء على ما

395 - فاضل صالح السامرائي : معاني النحو , ج 1 , ص : 86 .

396 - عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق , ص : 121 .

397 - المرجع نفسه ., ص: 05 .

تقدم، يمكن أن نستنتج المبدأ التالي: يسمح الإخبار البصري بتأويل العائدية الإحالية.

3 - الأسماء الموصولة:

إن هذا النوع من الأسماء هو ما يسمى في الدرس النحوي العربي بالأسماء الموصولة ، و من ذلك ما ورد عن ابن الناظم معرفاً هذه الظاهرة اللغوية بقوله: (ما افتقر إلى الوصل بجملة معهودة ، مشتملة على ضمير ، لائق بالمعنى)³⁹⁸ . . و قد علل بعض علماء اللغة هذه التسمية بكونها (.. توصل بكلام بعدها هو من تمام معناها ، و ذلك أن الأسماء الموصولة أسماء ناقصة الدلالة لا يتضح معناها إلا إذا وصلت بالصلة (...)⁽³⁹⁹⁾ . . و الاسم الموصول قسمان عند النحاة : مختص و هو (.. ما استعمل لشيء واحد لا يتجاوز إلى غيره و هو (الذي و التي) و ما تفرع عنهما ..)⁽⁴⁰⁰⁾ و مشترك (و هو ما كان لعدة معان بلفظ واحد كـ(من و ما و أي) ..)⁽⁴⁰¹⁾ . الجدول الآتي يوضح ذلك :

الاسم الموصول	بنيته	دلالته
1 - الذي	- أل (ل) +ذي	- مفرد مذكر.
- التي	- أل (ل) +تي	- مفرد مؤنث.
2 - اللذان	- أل (ل) +ذان	- مثنى مذكر.
- اللتان	- أل (ل) +تان	- مثنى مؤنث.
3 - الذين	- أل (ل) +ذین	- جمع مذكر.

398 - ابن الناظم : شرح ألفية بن مالك ، دار الجيل 1998 م ، ص : 81 .

399 - فاضل صالح السامرائي : معاني النحو ، ج 1 ، ص : 110 .

400 - المرجع نفسه ، ج 1 ، ص : 113 .

401 - المرجع نفسه ، ج 1 ، ص : 113 .

- اللواتي - أل(ل)+واتي - جمع مؤنث.

- اللاتي - أل(ل)+ئي - جمع مؤنث.

- اللات - أل(ل)+ات - جمع مؤنث.

4 - من

- ما

نستنتج مما سبق أن التفريق بين التذكير والتأنيث في المفرد والمثنى تمت بواسطة التبادل الصامتي المتحقق بين (الذال) للمذكر و(التاء) للمؤنث. أما في حالة الجمع فنجد للاسم الموصول (الذين) للمذكر فقط , وفي الحالات الإعرابية الثلاثة الرفع والنصب والجر. كما نجد اللات واللاتي واللواتي قد انفردت بالدلالة على الجمع المؤنث.

أما بقية الضمائر الموصولة فهي على النحو الآتي:

(مَنْ) و(ما) اللتان لا تتغيران وإنما تلزمان حالة واحدة ولا تشيران لا إلى النوع ولا إلى العدد. والفرق بينهما هو أن مَنْ بالإضافة إلى دلالتها على المفرد المذكر والمؤنث وعلى اسم الجماعة، فإنها تستعمل للدلالة على العقلاء بخلاف ما التي لا تدل إلا على غير العقلاء كالأشياء مثلاً.

وختام هذه الضمائر نجد أي وأل الموصولية. فأما أي فتأتي للدلالة على النوع والعدد، تذكيراً وتأنيثاً وإفراداً وتثنيةً وجمعاً. وأما (أل) الموصولية فهي قليلة الاستعمال وتأتي بمعنى الذي . و تلخيصاً لما تقدم نورد هذا الجول التوضيحي :

الاسم الموصول الإستعمال

1 - الذي - يستعمل للمفرد المذكر عاقلاً كان أو غير عاقل .

- التي - يستعمل للمفرد المؤنث عاقل كانت أو غير عاقل . (ويبدو

أنها تستعمل للكثرة في غير العاقل أما (اللاتي) فإنها تستعمل

للقلة معه .. تقول : اشتريت الحقايب التي عرضتها في المعرض , و اشتريت الحقايب اللاتي عرضتهن في المعرض , فالحقايب التي عرضتها أكثر عددا من الحقايب اللاتي عرضتهن . (402)

- 2 - اللذان - يستعمل للمثنى المذكر عاقلا كان أو غير عاقل .
- 3 - اللتان - يستعمل للمثنى المؤنث عاقلا كان أو غير عاقل .
- 3 - الذين - يستعمل لجمع الذكور العقلاء خاصة . و قد تستعمل لما ينزل منزلة العقلاء .
- اللواتي - يستعمل لجمع المؤنث .
- اللاتي - و تكون للعاقل و غيره , كما أنها (.. تستعمل للقلة ..) (403).
- اللاتي - (و الفرق بين اللاتي و اللاتي أن اللاتي مختصة بالإناث و اللاتي قد ترد للذكور قليلا .) (404).
- اللات - يستعمل لجمع المؤنث .
- الأولى - يستعمل للجمع مطلقا عاقلا كان أو غيره .
- 4 - من - موصول مشترك بين المفرد و المثنى و الجمع و المؤنث و المذكر , و استعماله مقصور على العقلاء . و قد تستعمل لما ينزل منزلة العقلاء
- ما - موصول مشترك أيضا , و استعماله مقصور على غير العقلاء . و قد تستعمل لما ينزل منزلة غير العقلاء .

402 - فاضل صالح السامرائي : معاني النحو , ج 1 , ص : 116 .

403 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 116 .

404 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 117 .

* (فالفرق بين ما و من إن (من) مختصة بالعقلاء , و لا تنفرد
لغير العقلاء , إلا على سبيل تنزيله منزلة العاقل . و أما (ما)
فهي تقع لذوات ما لا يعقل , و لفات العقلاء . و من هذا يظهر
إن (ما) أوسع استعمالاً من (من) و أكثر ابهاماً منها ..(405) .

- ذا - موصول مشترك أيضاً , و يشترط في استعماله موصولاً أن
يكون بعد (ما و من) الاستفهاميتين , و ألا يراد به الإشارة .

- ذو - موصول مشترك لكنه خاص بلغة طيء ..(406) .. و بقية العرب لا
يستعملونها لهذا المعنى) ..(406) ..

- أي - موصول مشترك أيضاً , و هو الموصول الوحيد المعرب .
(.. مبهمه و يتعين معناها بالمضاف إليه , فقد تستعمل للعاقل و
غيره ..(407) ..)

- أل - موصول مشترك أيضاً , و لا يكون كذلك إلا و بعده مشتق
عامل, نحو : جاء الكاتب رسالة , و قد يأتي بعده المضارع ,
نحو : جاء اليكتب رسالة . و (ذهب الجمهور إلى أن (ال)
الداخلية على الصيغة الصريحة اسم موصول , و يعنون بالصفة
الصريحة اسم الفاعل و اسم المفعول و قيل الصفة المسببة
أيضا .. و أجمعوا على أن الداخلية على اسم التفضيل ليست

405 - فاضل صالح السامرائي : معاني النحو , ج 1 , ص : 120 .

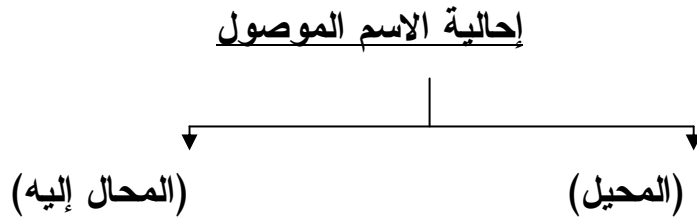
406 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 130 .

407 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 129 .

موصولة (..)(408) .

إحالية الاسم الموصول

انطلاقاً من قاعدية هذه المقولة النحوية التي تقرر أن (.. المضمرة يفسر ما قبله , والمبهم يفسره ما بعده ..)(409) . فالأسماء الموصولة نظراً لانتمائها إلى المبهمات و السبب في (..ذلك أن الأسماء الموصولة أسماء ناقصة الدلالة لا يتضح معناها إلا إذا وصلت بالصلة ...)(410) و لهذا فالمرجع الذي تتعالق معه هذه الأسماء الموصولة لتشكل بمعيتة بنية دلالية قابلة لإحداث حركية في ذات فاعلية في الحدث التواصلي إنما يتوقع بعدها دائماً (.. بكونها محتاجة إلى ما يفسرها من بعدها ..)(411) , أي أن الإحالة بالاسم الموصول بعدية فقط , فـ(المحيل) يسبق موقعياً (المحال إليه) حتى يعمل هذا الأخير على إيضاح معناه و إزالة اللبس و الغموض من على دلالاته مما يعقد علائقية شديدة و تماسكية نسيجية تعمل على بقاء الخطاب/النص في استمرارية و تواصلية .. و هذا لا يعني عودة الاسم الموصول على مرجعه يتخذ دائماً هذا الاتجاه و إنما قد يسبق المرجع اسم الموصول في الموقعية و هذا الرسم يوضح ذلك :



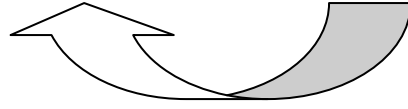
408 - فاضل صالح السامرائي : معاني النحو , ج 1 , ص : 117 .

409 - علي بن سليمان الحيدرة : كشف المشكل في النحو , دار عمار , ط 01 , 2002 م , ص : 148 .

410 - فاضل صالح السامرائي : معاني النحو , ج 1 , ص : 110 .

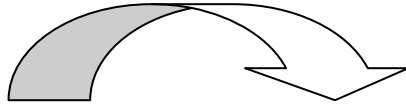
411 - الهرمي : المحرر في النحو , دار السلام , ط 01 , 2005 م , ص : 244 .

المرجع الاسم الموصول



جاء الذي كتب الدرس

المرجع الاسم الموصول



جاء الرجل الذي كتب الدرس

(أل) التعريف

مما لا شك فيه أن العلامة اللغوية في أي لغة من اللغات الإنسانية بنية قائمة بذاتها محكمة التركيب مستقلة جزئية من الدلالة المستمدة من الكثير من المعطيات التي قد تكون لغوية أو غير لغوية . و ما دامت العلامة اللغوية هي على هذه الشاكلة فإنها لا تستطيع أن تكون بمنأى عن التأثيرات المتنوعة التي تتعرض لها إن على مستوى الشكل أو على مستوى المعنى ,فالتغيرات التي قد تحدث في العلامة اللغوية أو عليها بالزيادة أو النقصان تؤدي عادة إلى إحداث هزة مهما تنوعت درجاتها على مستوى البنية الدلالية التي كانت متمسمة بالاستقرار وقتئذ فتتبدل دلالتها و يتغير معناها سلبا أو إيجابا . هذا ما دعا الكثير من علماء الدرس النحوي يشيرون في الكثير من الأحيان إلى أن (.. كل صيغة - في الغالب - لها دلالة تختلف عن اختها قليلا , أو كثيرا .. زيادة المباني دليل

على زيادة المعاني .. اختلاف المباني دليل على اختلاف المعاني (412). و الأمثلة على ذلك كثيرة و كثيفة..... إن هذه التغيرات اللغوية ليس ذات تمظهر أو نمط واحد , إذ قد يحدث ذاك التغيير و يتموقع في بداية العلامة اللغوية أو في وسطها أو في آخرها , و الذي اقتضى ذلك طبعاً ليست العشوائية أو العبثية و إنما جملة من المقتضيات قد تكون طبيعة اللغة بداية و الاستعمالات المتنوعة و مقاصدها ثانياً أو غيرها مما يدخل في إحقاق التواصل اللغوي . و من بين العناصر اللغوية التي تملك هذه القوة المتميزة المحدثة للتغيير إن على مستوى الشكل أو على مستوى الدلالة العنصر اللغوي المسمى (أل) التعريفية أو الجنسية .. هذه الوسيلة اللغوية التي تملك خاصية متميزة قد تكون فريدة في بعض الأحيان مقارنة بغيرها من العناصر اللغوية الأخرى , إذ زيادة على ما تضيفه (أل) لما تدخل عليه من دلالة إضافية فهي تعمل على إحداث الترابط في الخطاب/النص على المستوى الأفقي و العمودي , و لهذا فـ(أل) بكل ألوانها يمكن أن ننظر إليها على أنها أداة من أدوات إحداث التماسك المحكم بين مكونات الخطاب/النص السطحية منها و العميقة و تساهم بطريقة أو أخرى في استمرارية التدفق الدلالي و تتابعه تحقيقاً لكيونة البنية الدلالية الكبرى المؤسسة للخطاب/النص . هذا و غيره ما نسعى إلى تجليته من خلال العناصر الفرعية الآتية :

الحقيقة المفهومية

على أن من بعض اللغويين و القدماء على وجه التخصيص قد أوغل إفراطاً في الحديث عن حقيقة كلمة (أل) هذه من زاوية التكوين قاصداً التمييز بين المكونات الأساس و تلك التي تعد ثانوية/العارض لهذا العنصر اللغوي , هذا الشأن أدخلهم في مساجلات ناعت بحملها التخميني و النظري على الدرس اللغوي العلمي الوصفي و اقتربت من الطرح الفلسفي و جدالاته الصورية إلا أن بعض المظان قد توسطت الموقف قاصدة في

412 - فاضل صالح السامرائي : معاني النحو , ج 1 , ص : 11 .

ذلك بنية كلمة (أل) و ذلك في مثل حاشية الصبان و التصريح و غيرهما . ذكر ابن هشام في متن القطر من علامات الاسم (أل) و في شرحه قال (الألف و اللام)⁽⁴¹³⁾ . , بينما في شرح اللوحة البدرية قال متابعا لأبي حيان : العلامة الأولى الألف و اللام . و لكنه في شرح الشذور اعترض على من يقول (الألف و اللام) فقال: (ذكرت للاسم ثلاث علامات يتميز بها عن قسيميه , إحداهما (أل) , و هذه العبارة أولى من عبارة من يقول : (الألف و اللام) لأنه لا يقال في (هل) الهاء و اللام و لا في (بل) الباء و اللام .) و يظهر من خلال كل ذلك أن ابن هشام متأثر بابن مالك الذي قال في شرح الكافية الشافية (التعبير بأل أولى من التعبير بالألف و اللام , ليسلك في ذلك سبيل التعبير عن سائر الأدوات كـ(هل و بل) فكما لا يعبر عن هل و بل بالهاء و اللام , و الباء و اللام , بل يحكى لفظهما , كذا ينبغي أن يفعل بالكلمة المشار إليها , و قد استعمل التعبير بأل الخليل و سيبويه رحمهما الله .)⁽⁴¹⁴⁾ . لكن نظرة إلى ابن مالك في هذه المسألة و من خلال بي من ألفيته المشهورة في قوله :

(أل) حرف تعريف أو (اللام) فقط *** فنمط عرفت , قل فيه: النمط

يدعونا إلى أن نتعاطى مع القضية و لكن انطلاقا من البيت نفسه و ما يفرضه على القارئ من دلالات و التي منها أن الرؤية المباشرة لهذا البيت تشي بأن ابن مالك لا ينحاز إلى رأي دون آخر أو ينتصر لموقف على حساب موقف آخر , و إنما يعرض المسألتين تاركا للمتلقى حرية اتخاذ الموقف الذي يبدوله صائبا من خلال الفئات التي كثيرا ما تكون عرضة لتأثير التطور الزمني و التراكم المعرفي الذي عادة ما يحسم الأمر في القضايا الجدالية و المختلف فيها , و لكن الذي استقر إليه قول جمهرة النحويين أن المعرف هو (أل) و ليست (اللام) و حدها .. و على الرغم من كل ذلك فإن (.. أل ..) وسيلة من وسائل التعيين أي أداة من أدوات التعريف, إذا دخلت على النكرة

413 - ابن هشام : شرح قطر الندى , ص : 15 .

414 - ابن مالك : شرح الكافية الشافية /ص 297 - 298 .

التي تقبل التعريف جعلتها معرفة...⁽⁴¹⁵⁾. هذا يعني أن هناك رابط واضح حققته علاقة مميزة بين التعريف و التعيين والتحديد من جهة و التنكير و الشيوخ و العمومية من جهة أخرى , إذا هما (.. قضيتان عرض لهما النحاة في تعريفاتهم و خصهما البلاغيون و اللغويون بمزيد عناية و تفصيل ..)⁽⁴¹⁶⁾.

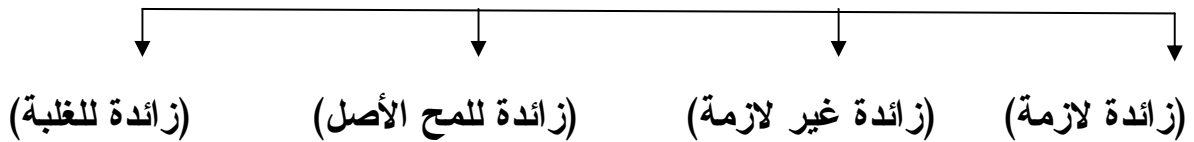
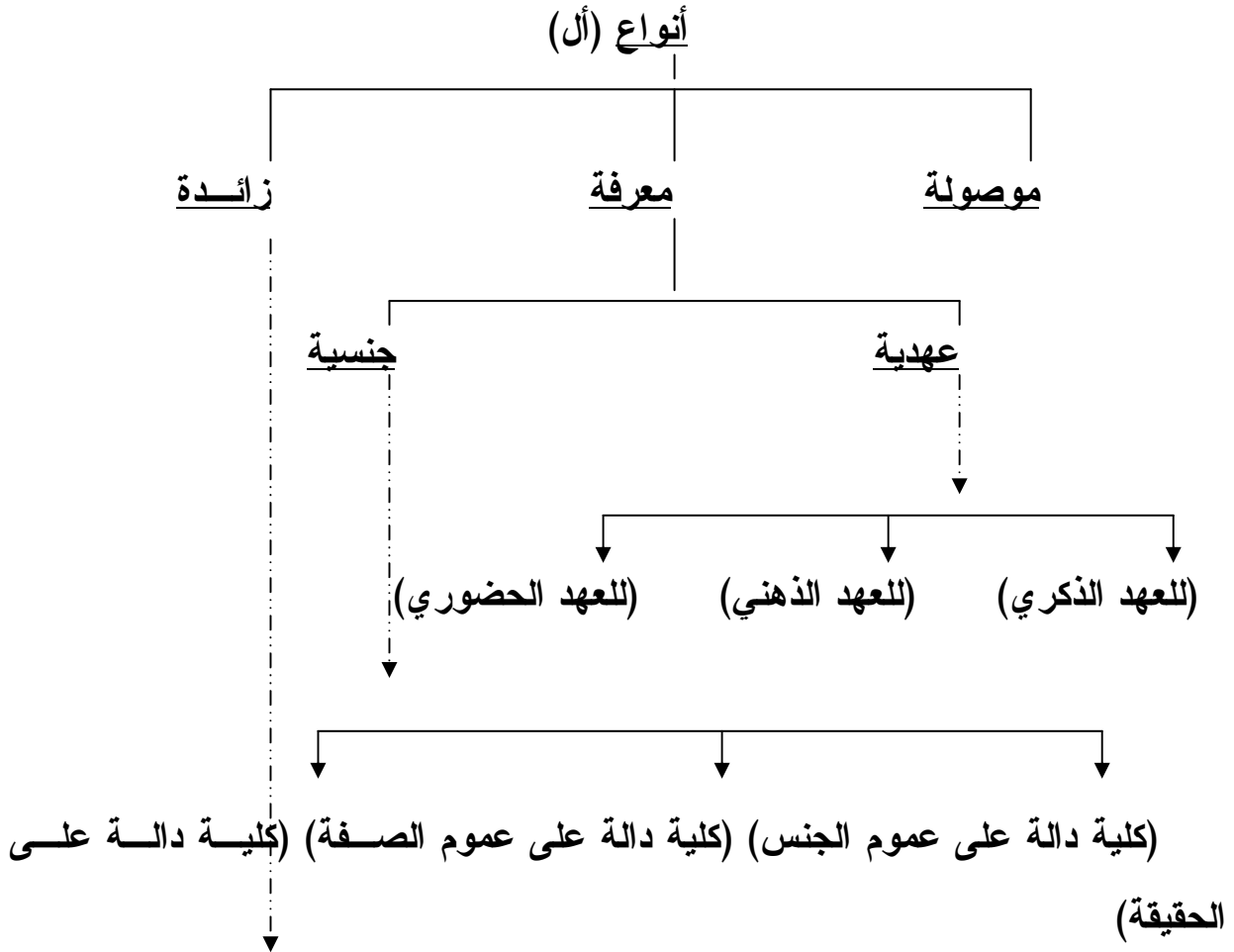
أنواع و أقسام (أل)

بداية فإن كلمة (أل) في الدرس النحوي العربي ليست نوعا واحدا و إنما هي عدة أنواع (.. منها الموصولة .. و منها المعرفة , و منها الزائدة)⁽⁴¹⁷⁾ . و لبيان ذلك نأتي للتفصيلات الموجزة الآتية مركزين على (أل) المعرفة و الزائدة لأننا قد أشرنا سلفا في الحديث عن الموصولات إلى (أل) الموصولة .

415 - حسن عباس : النحو الوافي , ج1 , ص 383-384

416 - أحمد عبد العظيم عبد الغني : القاعدة النحوية دراسة نقدية تحليلية , دار الثقافة للنشر و التوزيع , 1990 م , ص : 79 .

417 - حسن عباس : النحو الوافي , ج1 , ص : 385 .



1 - (أل) المعرفة

وهي تلك التي تفيد التعريف و التعيين و التخصيص عامة , و تنقسم إلى نوعين

أساسيين :

أ) - (أل) العهدية

العهد لغة : معنى العهد من الناحية المعجمية هو : العلم و المعرفة , نحو : عهدتك

مؤمنا , أي عرفتك مؤمنا , نحو : الأمر المعهود أي الأمر المعروف المعلوم .

العهد اصطلاحاً : و (هي التي تدخل على واحد من أفراد الجنس بعينه , نحو : بعث البستان و اشترت الدار . و أنت تقصد بالبستان بستانا معينا يعرفه المخاطب و كذلك الدار)⁽⁴¹⁸⁾ , و من هنا نصل إلى أن (أل) العهدية من المنظور النحوي هي تلك التي تدخل على اسم يعرفه (المتلقي/السامع) لأنه معلوم و معروف و معهود لديه , فلو أن حديثاً جرى بين اثنين فقال أحدهما للآخر : سنلتقي في الجامعة , ثم لم يظهر (المتلقي/السامع) أي علامة توحى بغموض الرسالة و انغلاقها , فحينئذ نلغيه لا يسأل أي (المتلقي/السامع) عن اسم هذه الجامعة و لا عن موقعها لأنه على علم و معرفة أن (المرسل/المكلم) إنما يقصد الجامعة المعهودة لديهما ..

أنواع (أل) العهدية

و (أل) هذه على ثلاثة أنواع :

1 - العهد الذكري:

و هي تلك الداخلة على كلمة قد سبق ذكرها في سياق الكلام , نحو قوله تعالى ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا * فعصى فرعون الرسول ﴾⁽⁴¹⁹⁾ المزمّل : 15 - 16 . (.. أي الرسول الذي تقدم ذكره بخلاف ما لو قلت : (زارني رجل فأكرمت رجلا) فإن ذلك يفيد أنك أكرمت رجلا غير الأول ففائدتها التنبيه على أن الثاني هو الأول إذ لو جيء به منكراتوهم أنه غيره..⁽⁴²⁰⁾ ، فقد سبق ذكر (رسول) في الكلام

2 - العهد الذهني:

و هي (أل) التي تدخل على كلمة يعلم مضمونها و موضوعها كل من (المرسل/المكلم) و(المتلقي/السامع) معا من قبل , فالخطاب الذي يدور بين المرسل و

418 - محمد فاضل السامرائي : معاني النحو , ج 1 , ص : 105

419 - سورة المزمّل , الآية : 15 - 16 .

420 - محمد فاضل السامرائي : معاني النحو , ج 1 , ص : 105 - 106 .

المتلقي كأن يكون هذه الجملة مثلا : سنناقش الفكرة مرة أخرى , ف(الفكرة) معهودة لذهن (المتكلم) و(السامع) من قبل اللحظة التي تحقق فيها الفعل اللغوي و جرت أحداثه و تم فيها اللقاء بين طرفي الخطاب , و لهذا سماها بعضهم (أل) الدالة على العهد العلمي . فالعملية الحالية من خلال ما تقدم ذكره إنما ترتبط و تعود على مرجعية خارج الخطاب/النص , و من ثمة فهي من نوع الإحالة الخارجية ..

3 - العهد الحضوري :

و (هو أن يتقدم لمصحوبها علم المخاطب به , و ذلك كأن تقول لصاحبك :اشترت الحصان , فلا بد أن يكون للمخاطب علم بالحصان المقصود إما أن يكون رآه أو سبق ذكره له ..)(421) , أي أن (أل) هنا داخلة على اسم دلالاته مدركة ومعروفة لدى طرفي الخطاب (المتكلم) و(السامع) و لكن هذه المعرفة الإدراكية و الدراية قد تجسدت من خلال موقف ما قد حدث في الوقت الذي كانت فيه الأطراف متواجدة حقيقة معا . فلو تواجد شخصان في مسرح ما لمشاهدة قطعة فنية تمثيلية ثم قال أحدهما لصاحبه : لقد كانت المسرحية ممتعة و فنية , و هو يقصد بخطابه هنا المسرحية التي وقعت مشاهدتها في التو و اللحظة , وكانت دلالات هذا الأمر مستساغا و معهودا و طبيعيا بالنسبة لكلا الطرفين : (المتكلم) و(السامع) . و من هنا تكون العملية الحالية خارج نص الخطاب و آنية في الوقت نفسه , وتنتهي بانتهاء اللحظة الحضورية , و بالتالي فهي من نوع الإحالة الخارجية ...

(ب) - (أل) الجنسية

و هي التي (تدخل على الجنس , و لا يراد بها واحد معين من أفراد الجنس كما هو في العهدية ...)(422) , أي تدخل على اسم نكرة له قابلية الإطلاق على كل فرد في مجموعة متماثلة في صفاتها العامة . فكلمة (إنسان) هي اسم نكرة يصح إطلاقه على

421 - محمد فاضل السامرائي : معاني النحو , ج1 , ص : 106

422 - المرجع نفسه , ص : 106 .

كل فرد ينتمي إلى مجموعة متماثلة الخصائص و الصفات كالتفكير و الكلام و الضحك ... و غيرها من الصفات المميزة لا تتسم باللزوم و عدم التجاوز و التعدي إلى مجموعة أخرى .. إلا أن كلمة (إنسان) مفردة إذ تدل على شخص واحد , فبمجرد أن تلحقها (أل) فتصيرها على صيغة : (الإنسان) تصير وقتئذ دالة على جميع أفراد جنس الإنسان .. و يمكن أن نسقط الكلام نفسه على كلمة : الرجل - المرأة - النبات ... فكل كلمة من هذه الكلمات إنما المراد بها عموم جنس الرجل, و عموم جنس المرأة... و هكذا .

2 - (أل) الزائدة

المقصود بـ(أل) الزائدة - هنا - ما لم تكن موصولة أو للتعريف , و لو كانت غير صالحة للسقوط , و من ثمة فهي (.. التي تدخل على المعرفة أو النكرة فلا تغير التعريف أو التنكير ..)(423) و أنواعها نعرضها في النقاط الآتية :

أ) - زائدة لازمة

هذا النوع يلزم الاسم و لا يفارقه حتى صار جزءا لا يتجزأ من بنيته أي (.. تفترن باسم معرفة , و لا تفارقه بعد اقترانها به ..)(424) و من ثمة فدلالته على صاحبه تتحقق بصورته المركبة من : أل + الاسم , و مثال ذلك كل من كلمة : اللات و العزى , هذان الاسمان لصنمين عبدهما الجاهليون قيل الاسم , و هما مكونان من : أل + لات - أل + عزى , فقد دخلت (أل) علي كل منهما و صارت جزءا من بنية الكلمة .. و القضية تظهر بجلاء أكثر عند الحديث مثلا عن الكلمات الآتية :

- الآن : و هو اسم للزمن الحاضر .
- السموعل : و هو اسم للشاعر .
- اليسع : و هو اسم لنبي .
- الأسماء الموصولة المختصة ...

423 - عباس حسن : النحو الوافي , آوند دانش , ط1: 2004 م , ج1, ص : 391 .

424 - المرجع نفسه , ص : 391 .

هذا , و كذلك ينطبق الأمر على كل كلمة دخلت عليها (أل) و صارتا كلمة واحدة لا يسوغ حذفها ..

(ب) - زائدة غير لازمة (عارضه)

و هي تدخل على الاسم و إنما لضرورة شعرية مثلا أو لغير ضرورة كانتشارها استعمالا على ألسنة الناس . فمثال زيادتها للضرورة قول الشاعر :

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا و طببت النفس يا قيس عن عمر

فقد دخلت (أل) (.. على كلمة (النفس) التي هي تمييز , و التمييز نكرة - على المشهور - فلا تدخله (أل) , و كان الأصل أن يقول : طببت نفسا , و لكن الضرورة الشعرية قهرته (..)⁽⁴²⁵⁾. أما مثال زيادتها لغير ضرورة فيتجلى في هذا التركيب : ادخلوا الأول فالأول .

حيث دخلت (أل) على كلمة (أول) و هي من حيث الوظيفة الإعرابية حال , و الحال لا دخل عليه (أل) و إنما يأتي نكرة أساسا ..

(ج) - زائدة للمح الأصل

لمح الأصل يقصد به النظر إلى أصل الكلمة التي دخلت عليها (أل). و (أل) هنا إنما تدخل على نوع من الكلمات تسمى الأعلام المنقولة (.. أكثر الأعلام منقولة عن معنى سابق كان يؤديه قبل أن يصير علما , ثم انتقل إلى العلمية , و ترك معناه السابق - و لذا يسمى : بـ(العلم المنقول) (..)⁽⁴²⁶⁾ , و من أمثلة ذلك هذه الطائفة من الأسماء : المعتصم - المنصور - الكامل - الحسن - الحسين - الحارث - الهادي - المهدي ... بينما أصل هذه الكلمات هو : معتصم - منصور ... مهدي , أي دون اتصالها بـ(أل) مسبقا و لكنها تحمل قابلية ذلك .. و عند تأمل هذه الأسماء التي دخلت عليها (أل) الزائدة للمح الأصل نجد لها مشتقات : اسم فاعل - اسم مفعول - صفة مشبهة - صيغة

425 - عباس حسن : النحو الوافي , ج 1 , ص : 392 .

426 - المرجع نفسه , ص : 393 .

مبالغة - اسم تفضيل - مصدر مثل : الفضل هذه المشتقات جميعها تقبل دخول (أل) عليها . و للإشارة فإنه إذا لم يكن العلم المنقول يملك استعدادية قبول دخول (أل) في أصله , فلا يصح عندئذ اعتساف الأمر و إدخالها تكلفا كتابة أو تلفظا . و مثال ذلك : الأعلام المنقولة من الفعل نحو : يزيد (اسم رجل) - تغلب (اسم قبيلة) , و كذلك الأمر بالنسبة للعلم المركب الإضافي و المركب الإسنادي نحو : عبد الله - جاد الرب .

(د) - زائدة للغلبة

هناك (أل) تدخل على الأسماء المشهورة و التي لا ينصرف التفكير إلى غيرها عند سماعها و السبب في ذلك قد يعود إلى كونه قد اشتهر (.. اشهارا بالغا دون غيره من باقي الأفراد , فلا يخطر على البال سواه عند الذكر , بسبب شهره التي غطت على الأفراد الأخرى , و حجت الذهن عنها ..)⁽⁴²⁷⁾ , هذا النوع بهذه الدلالة يسمى (أل) الزائدة للغلبة , و مثال ذلك : كلمة (المصحف) هذه الكلمة يصح إطلاقها على كل طائفة من الأوراق بين غلافيين , إلا أن الأمر الواقع و المتداولة بين أفراد المجتمع اللساني العربي أنه حينما تسمع هذه الكلمة (المصحف) فإن الذهن و التفكير يتجه مباشرة إلى مدلول واحد و هو القرآن الكريم , معنى هذا أن كلمة (المصحف) التي تحمل دلالة القرآن الكريم قد هيمنت و غلبت على أذهان الناس مقارنة بمعناها اللغوي . و بالتالي صارت علما على القرآن الكريم بالغلبة أي بهيمنة دلالة على دلالة أخرى ... و يمكن إسقاط هذا الأمر على باقي الكلمات المماثلة نحو : النابغة و البخاري و غيرها ...

الإحالة حسب المدى (المدى الإحالي)

427 - عباس حسن : النحو الوافي , ج 1 , ص : 395 .

من المبادئ العامة التي تشير بقوة إلى مسألة المسافة الإحالية وتتضمن جميع العلاقات النحوية (.. أن العلاقات إذا اتضحت و لم يحط بها اللبس فإنه يمكن للمتكلم أن يمارس في شأنها قدرا من الحرية يباعد به بين طرفي العلاقة ..)(428) , وتنقسم الإحالة باعتبار المسافة (المدى) الفاصلة بين العنصر (المحيل) و العنصر (المحيل إليه) إلى قسمين :

1 - إحالة ذات المدى القريب

و يكون هذا النوع - سواء (كانت إحالة قبلية أو بعدية)⁴²⁹ - على مستوى الجملة الواحدة , حيث تضم هذه الأخيرة العنصر (المحيل) و العنصر (المحيل إليه) , أي تجمع بين العنصر الإحالي و مفسره , ف(عند عدم وجود القرينة على المعنى المراد ينبغي للضمير أن يعود كما يقول النحاة إلى أقرب مذكور و لا سيما إذا كان في ذلك ما يرجح أحد المعنيين على الآخر)⁽⁴³⁰⁾ . مثل عبارة : (لم ينتبه محمد إلى مشارك صديقه له) فالضميران في (صديقه + له) في الجملة التي اشتملت على (المحال إليه) = محمد و (المحيل) = الضميران في (صديقه + له) , فسميت الإحالة بذلك : إحالة ذات المدى القريب , هذا اللون من الإحالة يختزن فاعلية (قوية في صنع الترابط و الاتساق)⁽⁴³¹⁾ . و إجمالاً لما تقدم فإن الذي يتحكم في هذه الحركية اقتراباً و ابتعاداً هو أنه (إذا اتضح المعنى عاد الضمير إلى مرجعه دون اشتراط قربه أما إذا خيف اللبس فإن الضمير يجب أن يعود إلى أقرب مذكور ..)(432) .

428 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن , ج 1 , ص : 151 .

429 - أحمد عفيفي : الإحالة في نحو النص , ص : 53 .

430 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن , ج 2 , ص : 35 .

431 - أحمد عفيفي : الإحالة في نحو النص , ص : 53 .

432 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن , ج 1 , ص : 152 .

2 - إحالة ذات المدى البعيد

و) أما إذا وجدت قرينة على المعنى و أمن منها اللبس فإن الضمير يمكن أن يعود إلى أبعد مذكور..(433) , و يتحقق هذا اللون الإحالي بين الجمل المتصلة , بل و حتى بين تلك الجمل المتباعدة في فضاء الخطاب/النص , فـ(المسافة الفاصلة بين بين الأداة الإحالية و مرجعها في جمل متباعدة من النص) (434) . مع العلم أن الإحالة في هذا النوع لا تتم - في غالب الأحيان - في الجمل الأولى الأصلية , ففي قوله تعالى (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب و حففناهما بنخل و جعلنا بينهما زرعاً * كلتا الجنتين آتت أكلها و لم تظلم منه شيئاً و فجرنا خلالهما نهراً * و كان له ثمر فقال لصاحبه و هو يحاوره أنا أكثر منك مالا و أعز نفراً) (435) . (لو أعدنا الضمير في (له) إلى أقرب مذكور لعاد إلى (النهر) و لكن جملة (فقال لصاحبه) في موقعها من السياق ربطت الضمير في (له) بالضمير في (صاحبه) فجعلتهما لمرجع واحد , و هكذا حالت دون عود الضمير إلى (النهر) ..(436)

الإحالة حسب الظرفية (الظرف الإحالي)

ويمكننا كذلك أن نصنف الإحالة , و لكن هذه المرة من زاوية ظرفية , فقد تأكد أن الظرف يربط (.. بين ما أضيف إليه و بين متعلقه سواء أكان المضاف إليه مفرداً أو جملة ..)(437) , و لهذا فقد كون :

433 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن , ج2 , ص : 36 .

434 - أحمد عفيفي : الإحالة في نحو النص , ص : 53 .

435 - سورة الكهف , الآية : 32 - 34 .

436 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن , ج2 , ص : 37 .

437 - المرجع نفسه , ج1 , ص : 159 .

- زمانية : مثل (الآن + غدا ...) .

- مكانية : مثل (هنا + هناك ...) .

و مثال ذلك قولع تعالى : (فاذكروا الله عند المشعر الحرام)⁽⁴³⁸⁾ البقرة : 198 . عندما نتأمل هذه الآية مستهدفين الظرف فيها نجد (عند قد ربطت) .. بين المشعر و معنى الحدث الذي في (اذكروا) فجعلت الذكر في جوار المشعر ..⁽⁴³⁹⁾ . مما يعني أن الظرف بنوعيه في هذه الحالة يعد (محيلا على) زمان أو مكان ما . و (بعبارة أخرى و جب على المتكلم أن يجعل المرجع أقرب شيء إلى الضمير)

الإحالة خارج النص(خارج اللغة)Exophara

الحقيقة و الوظيفة

و الإحالة الخارجية المقامية (خارج الخطاب/النص/اللغة) بداية ترتكز على سياق الموقف , و يطلق عليها ثانيا الإحالة (لغير مذكور في النص)⁽⁴⁴⁰⁾ . فهذه الظاهرة من الإحالات (.. لا تصدق على شيء داخل النص , بل تمتد إلى شيء خارج النص , مما يدل على وجود علاقات متشابكة و متفاعلة بين اللغة و المواقف الاجتماعية و الثقافية العامة , بل بينها و بين الخطاب بشكل عام)⁽⁴⁴¹⁾ . فـ(المشار إليه) لا يتموقع داخل الخطاب/النص و إنما يوجد و يتم العثور عليه في ما وراء الحدود الشكلية اللغوية له , أي في محيط السياق الموقفى الذي يسبح في فضائه لأن الإحالة هنا قائمة على مبدأ)

438 - سورة البقرة , الآية : 198 .

439 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن , ج 1 , ص : 159 .

440 - أحمد عفيفي : الإحالة في نحو النص , ص : 47 .

441 - المرجع نفسه , ص : 40 .

التفاعل بين المتلقي و النص و المواقف العامة الخارجية عن النص , و بدون هذا التفاعل يصير الانتفاع براءة النص شيئاً غير مؤكد , أو ربما غير موجود (442). ولهذا فهو يملك قابلية الامتداد إلى خارج الخطاب/النص و في الوقت نفسه يحيل إلى غير مذكور , يتحدد عن طريق خيوط تواصلية (.. تشير إلى العالم الفعلي ..) (443) إذ يرتبط بكل أبعاده المواقفية الاجتماعية و العرفية و الثقافية .. مع اللغة في إطار شبكة معقدة جدا من العلاقات , دون أن ننسى أن الإحالة هي تفاعل بين أطراف ثلاثة مهمة الخطاب/النص و المتلقي و سياق الموقف . يطلق عليها الدارسون الإحالة المقامية و التي تعني عندهم (إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي , , كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم , حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي وهو ذات المتكلم . و يمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته , في تفاصيله أو مجملا إذ يمثل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلا بنفسه , فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلم) (444) , فهي تتأسس انطلاقا من الإتيان باللفظ : الضمير أو اسم الإشارة أو الاسم الموصول... للدلالة على قضية أو أمر ما غير مذكور في داخل الخطاب/النص , إلا أنه بالإمكان التعرف على هذه القضية أو هذا الأمر من خلال استنتاج : سياق الموقف و المقام . و لهذا على المتلقي – إن أراد المقاربة الايجابية للظاهرة اللسانية – ألا يكتفي بمكونات الرسالة اللغوية تعاملًا من حيث جانبها الداخلي فقط و ينغلق فيه بحثًا عن مرجع ما , و إنما عليه أن يعمل على تجاوز هذا الإطار و يفتش عن المرجع من خلال المقام أو السياق . و هذا لن يتحقق إلا إذا كان هناك توافق و اشتراك بين العنصر الإحالي و ما يحال إليه , أو اتفاق (.. بين العنصر

442 – أحمد عفيفي : الإحالة في نحو النص , ص : 40 .

443 – عزة شبل محمد : علم لغة النص , النظرية و التطبيق , ص : 123 .

444 – الأزهر الزناد : نسيج النص , ص : 119 .

الإشاري و العنصر الإحالي في المرجع (445) , فكل لغة إنسانية تستبطن عناصر لسانية معينة تملك طاقة مميزة و فاعلية خاصة تتيح لها بالقوة أو بالفعل عملية استرجاع المعنى الاحالي . و بهذا تتحقق خاصية الاستمرارية للخطاب/النص .

و للإحالة المقامية وظائف متعددة و أهمية بالغة في تسهيل فك شيفرات الخطاب/النص و تحديد مرجع الإحالة و الوصول إلى المحال إليه في أقل جهد ممكن لدى (المتلقي) , لأنه في الكثير من الأحيان ينغلق الخطاب/النص و يستعصي على المقاربة مدة زمنية طويلة , على الرغم من كثرة المحاولات الجادة , لوجود مثلا أكثر من مرجع أو إمكانية تصور ذلك . .فإن ذلك سيزيد من صعوبة الطريق أمام المتلقي لتحديد مرجع الإحالة .. حتى يأتي اليوم الذي تكتشف فيه المناسبة الموضوعية , وحينئذ يعطي الخطاب/النص أسرارها و يكشفها . و من زاوية أخرى فإن الإحالة المقامية تساهم إلى حد بعيد في استمرارية الخطاب/النص و حضوره لا لشيء و إنما لمدى فاعليتها على ربط لغة الخطاب/النص بسياق المقام . و الأمر في ذلك لا يتعدى إلى كونها تسهم بثقل في اتساقية الخطاب/النص و تماسكه ، إلا أنه (.. مهما تعددت أنواع الإحالة فإنها تقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري و العنصر الإحالي في المرجع) (446) .

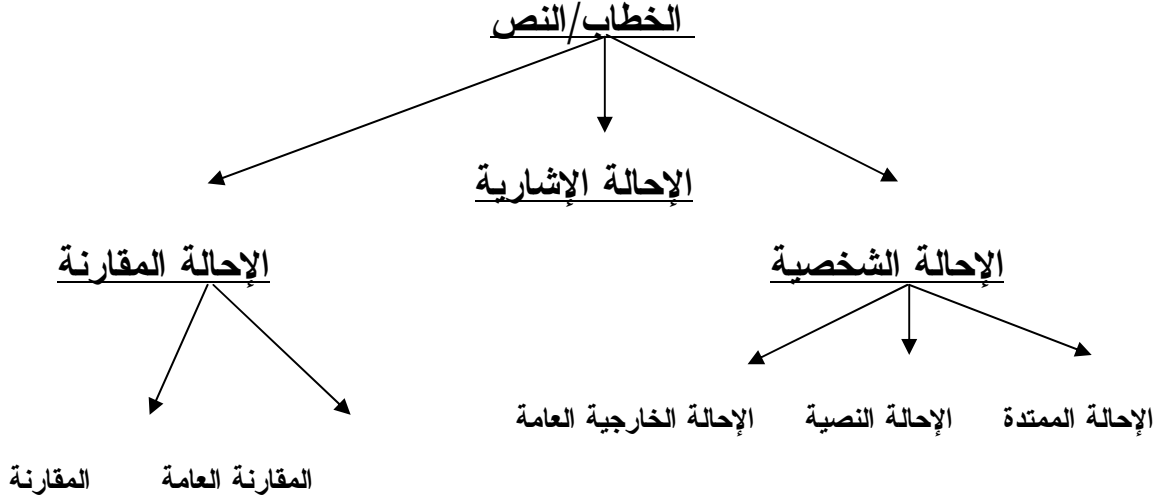
أنماط الإحالة المقامية :

انطلاقا من العناصر اللغوية التي تملك خاصية الإحالة بالقوة و الفعل مثل : الضمائر و أسماء الإشارة و أدوات المقارنة و غيرها يمكن تقسيم الإحالة المقامية إلى ثلاثة أنماط :

الإحالة خارج

445 - الأثر الزناد : نسيج النص , ص: 119 .

446 - المرجع نفسه , ص: 119 .



الخاصة

1 – الإحالة الشخصية :

و تمثلها ضمائر الشخصية و الملكية أحسن تمثيل , و هي أكثر الأنواع انتشارا و احتلالا لمساحة الخطاب/النص . و تقسم إلى :

(أ) – الإحالة الممتدة : و المرجع فيها هنا إنما هو لعملية عامة أو سلسلة من العمليات الجزئية المشكلة لعملية كاملة و ليس لذات أو شيء ما ..

(ب) – الإحالة النصية : يتجلى هذا النوع خاصة في المواضيع العلمية و النظرية و الفلسفية .. بحيث يكون المرجع فيها إلى قيمة مجردة أو موضوع عام أو حالة ثابتة أو قاعدة صحيحة مطلقة ... يتناولها (المتكلم) دون أن يربطها بقيود زمانية أو مكانية محددة أو قيمة اسمية معينة ..

(ج) – الإحالة الخارجية العامة : و من أدواتها المباشرة (نحن , أنت , هم , هي .. المرء..) و توظف عندما يكون المرجع متصلا بقوة بسياق الموقف ..

2 – الإحالة الإشارية :

في هذا النوع من الأنماط لا شك أن العناصر اللغوية الدالة على الإشارة هي المؤهلة و المرشحة للتعبير عنه بقوة و (يميز داخلها بين ثنائيات :

– العناصر الدالة على القرب و العناصر الدالة على البعد

- العناصر الدالة على المفرد و العناصر الدالة على الجمع
- العناصر الدالة على المكان و العناصر الدالة على الزمان (447)
- 3 – الإحالة المقارنة :

كل عملية مقارنة لا شك أنها تستبطن في العادة شيئين – على الأقل – يتقاطعان في سمة مشتركة بينهما. و من هذا المنطلق يمكننا أن نميز بين نوعين أساسيين من أنواع المقارنة : مقارنة عامة، ومقارنة خاصة.. و قد فرقا بناء على ذلك هاليداي و رقية حسن بين نوعين من هذا النمط

– المقارنة العامة : و هو الذي (يقع بين محوري التشابه و الاختلاف دون الاخذ في الاعتبار صفة معينة) لأن المقارنة ليس لها وجهها واحدا فقط , لأنها قد تتجلى في اطار التطابق و التماثل و قد تنعقد من خلال التبيان و الاختلاف ..

مثال ذلك :

– إنها نفس القطة التي رأيناها البارحة .

– إنها قطة مشابهة لـ (مختلف عن) تلك التي رأيناها أمس.

أما المقارنة العامة في العربية في إطار الإحالة فيمكن أن تتحقق من خلال توظيف نوع من العناصر اللغوية التي تعبر عن المقارنة الشاملة . و يمكن أن تجلية هذا الأمر إذا استعنا بالمجموعات الخمس الآتية :

1 – ألفاظ المقارنة التي تعبر عن (التشابه): ومنها

"شبيه"، و"مشابه".

2 – ألفاظ المقارنة التي تعبر عن (التطابق): ومنها

447 – عزة شبل محمد : علم لغة النص , النظرية و التطبيق , ص : 124 .

"نفسه"، و"عينه".

"مطابق"، "مكافئ"، "مساو"، "مماثل"

"قبيل"، "مثيل"، "تظير"، "مرادف"

3- ألفاظ المقارنة التي تعبر عن (التخالف): ومنها

"مخالف"، "مختلف"، "مغاير".

4- ألفاظ المقارنة التي تعبر عن (الآخريّة): ومنها

"الآخر"، "أيضا"، "البديل"، "الباقي".

وتتميز ألفاظ المقارنة بأنها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها، وهو ما يؤهلها لأن تكون وسيلة من وسائل التماسك ؛ ولذا فأينما وردت هذه الألفاظ في فضاء الخطاب/النص اقتضى ذلك من (المخاطب) أن يستعين و ينظر إلى غيرها بغية البحث عما يحيل عليه (المتكلم). وكما كان الأمر مع الضمائر وأسماء الإشارة و الأسماء الموصولة و أل ، فمن الموضوعية القول أنه يحتمل أن يكون المرجع المحال إليه بواسطة هذا اللون من الألفاظ (ألفاظ المقارنة) خارجيا، ويحتمل أن يكون داخليا، فإذا كان داخليا، فإما أن يكون المرجع متقدما، أو متأخرا. وسنمثل لذلك بالأمثلة الآتية:

- أحمد: يبدو أن كل الصناديق متساوية في الحجم، وهذا يسهل مهمتنا في ترتيبها.

- سعيد: ولكن حجم الصندوق الأزرق مختلف عن تلك الصناديق الحمر.

فالمخاطبان يحيلان على مجموعة من الصناديق في السياق الخارجي، وقد أدت كلمة "مختلف" في تعليق سعيد مهمة المقارنة بينهما.

- المقارنة الخاصة : ويؤتى بالمقارنة الخاصة للتعبير عن الموازنة بين شيئين أو أكثر و لكن بشيء من التخصيص و التدقيق و التعيين فتلامس المقارنة حينئذ الجانب المتعلق بـ(الكم) أو (الكيف) . وهنا نجد أنه من بين أفضل العناصر اللغوية في العربية التي تحقق هذه الوظيفية المتعلقة بالمقارنة الخاصة و تقوم بتفعيل البعد الإحالي في إطار التماسك النصي نجد اسم التفضيل ، وإضافة إلى "اسم التفضيل" يمكن أن يعبر بالمقارنة

الخاصة بكلمات أخرى من نحو "مثل" و"تظير"، ومن أمثلة ذلك . ويمكن أن يضم إليها الألفاظ الدالة على الترتيب الزمني، تلك التي تتسم بطابع النسبية في بيان الزمن، مثل "من قبل"، و"ومن بعد"، كما في ، التي تحيل فيها عبارة "من قبل" على ما سبق من هداية من ذكر.

- علي مثل سميح غني، ونظيره جاها.

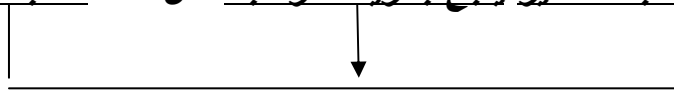
- قال تعالى: (ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل) (448).

وعلى الرغم من أن المقارنة أضعف من غيرها من وسائل تماسك النص في الربط بين أجزائه، فقد تؤدي وظيفة فعالة في تعليق الأجزاء بعضها ببعض، كما في النصوص الآتية:

- قال تعالى: (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) (449)

إن من أهم العلامات والمعايير التي يعرف بها كون التعبير محيلا أم لا، وبناء عليه يعرف مدى أثره في تماسك النص، هو اختبار قدرة التركيب الذي يحتوي عليه في أن يكون جملة افتتاحية لا تسبق غيرها، وإذا ما تأملنا الأمثلة الأخيرة فسنرى الأثر الذي تركته ألفاظ المقارنة في ترابط النص، واستمراره، واعتماد بعضه على بعض
مثال ذلك :

- إن الكلب الصغير ينبح بطريقة مزعجة مثل ذلك الكلب الكبير .

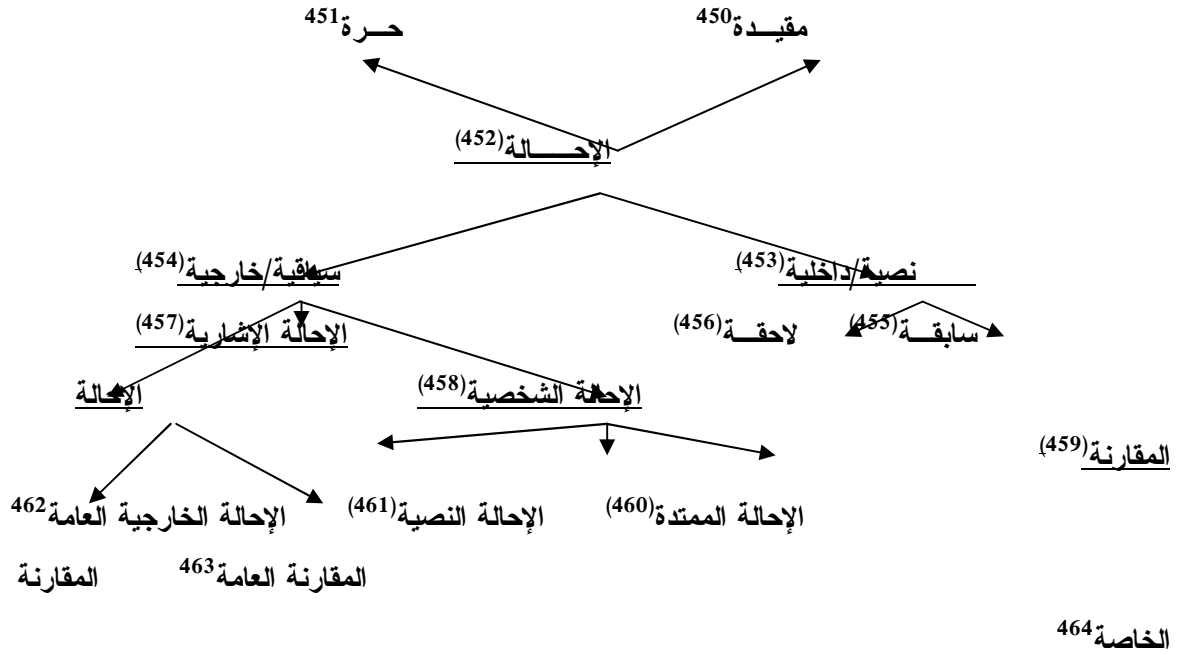


448 - سورة الأنعام , الآية : 84 .

449 - سورة يوسف , الآية : 36 .

رسم بياني تلخيصي

حول أنواع الإحالة



- 450 - مفسر موجود .
- 451 - مفسر غائب .
- 452 - هي عملية استرجاع المعنى الإحالي .
- 453 - هي التي يكون فيها (المشار إليه موجد) داخل الخطاب/النص .
- 454 - هي التي يكون فيها (المشار إليه موجد) خارج الخطاب/النص .
- 455 - هي التي يكون فيها المفسر سابقا للمضمر .
- 456 - هي التي يكون فيها المفسر لاحقا للمضمر .
- 457 - تعبر عنها الأسماء الدالة على الإشارة .
- 458 - تمثلها خاصة الضمائر الشخصية و ضمائر الملكية .
- 459 - و هي التي تقع بين محوري التشابه الاختلاف .
- 460 - المرجع هنا هو عملية أو تتابع/ سلسلة من العمليات (واقعة معقدة) .
- 461 - المرجع هنا هو موضوع عام أو قيمة دائمة أو حال ثابتة أو قاعدة صحيحة/ مطلقة .
- 462 - توظف عند اتصال المرجع بسياق الموقف .
- 463 - المقارنة هنا لا تركز على صفة معينة .
- 464 - المقارنة هنا تركز على صفة معينة .

الحذف

من الظواهر اللغوية التي تشترك فيها اللغات الإنسانية على اختلاف أنواعها الحذف ، لكن ظاهرة الحذف هذه في اللغة العربية تبدو أكثر ثباتاً ووضوحاً؛ لأن اللغة العربية من خصائصها الأصيلة الميل إلى الإيجاز والاختصار، والحذف يعد أحد نوعي الإيجاز وهما: القصر والحذف، وفقد نفرت العرب - و لا تزال - مما هو ثقيل في لسانها، ومالت - و لا تزال - إلى ما هو خفيف و يسير . و للبحث عن حقيقة هذا الغائب بالفعل لفظا الحاضر بالقوة في ذهن وذاكرة المتكلم/السامع ، المقدر من خلال الحدث الكلامي وفق سياقه ومقامه حتى يكتمل المعنى وتتضح دلالاته، و لهذا وصفه عبد القاهر الجرجاني بقوله (هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، و الصمت عن الافادة أزيد للإفادة ، و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبين)⁽⁴⁶⁵⁾ و ما بقي من الصفحات التي تجاوزت العشرين المخصصة للحديث عن الحذف في (دلائل الإعجاز) تؤكد فطنة الجرجاني للدور الخطير الذي تلعبه هذه الظاهرة في تحقيق التواصل اللساني الإيجابي

....

تجدر الإشارة إلى أنه قد تبين لي من خلال هذا البحث أن الحذف ليس مسألة اعتبارية، بل إنه حادثة لسانية لها أنظمتها و استراتيجياتها و أبعادها وأصولها وفروعها ولها مواقعها وأقسامها وأغراضها.. وللأهمية المتميزة للحذف في اللسان والبيان العربي - بلاغياً ودلالياً - فقد جرت به السنة البلغاء من العرب في الشعر والنثر والخطب والرسائل، وحتى في القرآن و الحديث النبوي فقد بدا ظاهرة لا تخفى على من يقارب اللسان العربي المنطوق منه و المكتوب قراءة أو دراسة و تحليلاً ، ومن مزاياه المتفردة أنه بمثابة وسيلة إشارية تشويقية تحفيزية للمتلقى اليقظ لتنمية الإيجابية و الفاعلية

465 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص : 146 .

التواصلية لديه تجاه ما يقرأ أو يسمع. وأنه مسألة تخضع لاجتهاد المستمع وفق فهمه الخطاب/النص الذي تلقاه , إذا هذا الأمر راجع لوعي المتلقي ومدى قدرته الذهنية على الربط بين عناصر النص المذكورة والمحذوفة، ولذلك لابد أن يكون على وعي تام بثوابت ما يتلقاه من خطاب/نص و متغيراته استعدادا لتقدير المحذوف خاصة ، أو القرينة التي تمكن السامع من فهم المسكوت عنه (المحذوف) بدهشة أو بشيء من التقدير؛ لأنها مرشد ودالٌ عليه، فهي بمثابة معالم الطريق التي يهتدي بها المرء إلى المكان الذي يقصده، كما أنها تساعد على ملء الفجوات الفنية التي يتركها الحذف؛ إذ لابد في المحذوف من مصاحبة قرينة أو أكثر من القرائن التي تدل على المحذوف , وأحيانا يكون الحذف لغرض إثراء المعنى وتوسيعه لدائرة الاحتمالات الدلالية بحيث يسبح الذهن في فضاء السياق ليفترض صوراً متعددة من التقديرات... و حتى نجلي هذه البداية و ما تحمله من مؤشرات دالة على أهمية آلية الحذف في فاعلية التواصل الإنساني و تماسك خطابه/نصوصه سواء أكانت على المستوى العادي أو الفني أو العلمي ... و لما كان العربية - هذه اللغة الموعلة في القدم - تحمل بين جوانحها الكثير من الأسرار و المزايا تلهم دارسها بين الحين و الآخر بحقائق و معطيات غاية في الجاذبية و الإبهار , و من بين هذه الحقائق التي تشي بها العربية (أن تأليف الجملة من مفرداتها لا يتم بالمصادفة بل تحكمه مبادئ و قواعد تتوقف عليها إفادة الكلام . فالكلمة في الجملة يغلب أن تتطلب كلمة أخرى تقع في حيزها بشروط خاصة بإحدى القرائن كالإعراب أو الرتبة أو الربط الخ...) (466), إن هذه النسقية التركيبية كثيرا ما يعترها التغيير و التبديل , فبدلا من أن يتعكر صفوها و يزول انسجامها , نجدها قد ارتقت إلى مستوى من الأداء فيه من الجاذبية و التأثير مالم يكن حادثا لولا هذا الانحراف و الخروج عن المعهود التعبيري . و الحذف واحد من هذه التجليات , و مظهر من مظاهر انتقال التعبير من الحالة العادية المعهودة و المتوقعة إلى حالة أخرى كلها مفاجئات و تحفيزات و إثارات , تعمل على مد جسور التواصل اللغوي المسؤول و الواعي بين (المرسل) و (المتلقي) , و

466 - تمام حسان : الخلاصة النحوية , ص : 80 .

نسيج علاقات متشابكة فكريا و عاطفيا و ذوقيا و ثقافيا بين العوامل الأساسية المحققة و الخادمة لجماليات الخطاب في كل مستوياته .

و قد انتبهه — بحس مرهف — (الجرجاني) لهذه القضية , و اعتبرها بعدا فنيا و خاصة جمالية من خصائص العربية المتجذرة فيها منذ القدم , و واحدة من اللمسات البيانية , ساهمت — و لا تزال — في مد العربية بطاقات تعبيرية هائلة , و مكنتها من أن تضح شحنات عاطفية في أدائية رائعة , جعلت العربية تعيش كل الأعصر من دون أن تحس بالغرابة و الاغتراب المكاني و الزماني , أو ينفذ إلى روعها عدم القدرة على الاستجابة لمتطلبات الحياة بكل مستوياتها و تغيراتها , و لهذا فالحذف عند (الجرجاني) (باب دقيق المسلك , لطيف المأخذ , عجيب الأمر , شبيه بالسحر , فإنك ترى به ترك الذكر , أفصح من الذكر , و الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة , و تجد أنطق ما تكون إذا لم تنطق , و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبن ..)⁽⁴⁶⁷⁾ . هذا التصور العجيب للحذف من قبل هذه العقلية العلمية العجيبة , يلهب عزيمة الدارس و يجعلها تبحث في شوق عن هذه الأشواق الجمالية , و تسعى جاهدة عليها تتذوق ما ذاقه (الجرجاني) و هو يبحر في أعماق هذا الأسلوب و يستخرج صدفاته و يعرضها عرضا ساحرا مثيرا .. , و لهذا فإن لظاهرة الحذف في اللغة العربية أهمية بالغة في الارتقاء بها إلى مستوى الوظيفة الجمالية و من ثمة إضفاء صبغة الاستمرارية و الديناميكية في نسيج الخطاب/النص من منطلقه إلى منتهاه .. , و الإسهام إلى حد بعيد في جعل الحدث اللغوي إنتاجا إبداعيا متماسك المكونات و العناصر, و ذلك بتفعيل حركية العلاقات التركيبية بين العناصر اللغوية في المستوى النحوي , و من ثمة باقي مستويات اللغة , لتؤدي اللغة في الأخير جملة من الأدوار و الوظائف النصية و الشعرية و التداولية , فتتميز حينئذ عن اللغة المعيارية و التعبيرية العادية ... لكن الذي يجب أن نلفت إليه النظر هو أنه (لا ينبغي لنا أن نفهم الحذف على معنى أن عنصرا كان موجودا في الكلام ثم حذف

467 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز , ص : 121 .

بعد وجوده , و لكن المعنى الذي يفهم من كلمة الحذف ينبغي أن يكون هو الفارق بين مقررات النظام اللغوي و بين مطالب السياق الكلامي الاستعمالي (468) . و من المهم قبل الخوض في بيان أحكام الحذف ومساائله و فاعلية آلياته في صناعة الاتسجام النصي و تماسك عناصره المكونة لكيونته و حضوره , لابد أن أقف - حسب ما يقتضيه المقام - عند بعده الاستمولوجي اللغوي و الاصطلاحي و غيرهما . فأبدأ ببيان حقيقته اللغوي ؛ إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوُّر .

التحديد اللغوي و المصطلحي

أ - الحذف في اللغة:

من الزاوية المعجمية يراد بالحذف الإسقاط و رمي الشيء , كما يعني اقتطاع جزء من كل . يقول ابن منظور : (حَذَفَ الشَّيْءَ يَحْذِفُهُ حَذْفًا : قَطَعَهُ مِنْ طَرَفِهِ , وَ الْحَجَّامُ يَحْذِفُ الشَّعْرَ , مِنْ ذَلِكَ . وَ الْحَذَافَةُ : مَا حُذِفَ مِنْ شَيْءٍ فَطُرِحَ) (469) . و قد جاء في أساس البلاغة للزمخشري : (حذف ذنب فرسه إذا قطع طرفه و فرسه محذوف الذنب . و زق محذوف : مقطوع القوائم , و حذف رأسه بالسيف : ضربه فقطع منه قطعة و حذف الأرنب بالعصا : رماها بها , يقال الحذف بالعصا , و الحذف بالحصى . و من المجاز , حذفه بجائزة : وصله بها ..) (470) .

و جاء في (الكليات) أن الحذف يأخذ معان معجمية كثيرة منها (.. حذفه : أسقطه , و حذفه من شعره : أخذه , و حذفه بالعصا : رماه بها , و حذف فلانا بجائزة : وصله بها .. و الحذف : إسقاط الشيء لفظاً و معنى .. و الحذف : ما ترك ذكره في اللفظ و النية .. و أصالة الحذف بمعنى السبق و القدم , و أصالة الذكر بمعنى الشرف و

468 - تمام حسان : اللغة العربية , معناها و مبناها , ص : 298 .

469 - ابن منظور : لسان العرب , مادة (حذف) , دار إحياء التراث العربي , ط3 : 1999 م , ج 3 , ص : 93 ..

470 - الزمخشري : أساس البلاغة , ص : 77 .

الكرم , و هذه لا تقتضي نكتة زائدة عليه , و تلك تستدعي نكتة باعثة داعية إليه ..(471) . كما أن دلالة الحذف في معجم (المعجم الوجيز) الذي صدر عن مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية لم يخرج عما تقدم ذكره , فقد تضمن أن حذف الشيء معناه (.. قطعه من طرفه ..)(472) ..

فالبعد الدلالي اللغوي لكلمة (حذف) يدور حول محور معنى : (الإسقاط)(473) , أو (القطع)(474) . و هو ظاهرة لغوية معلومة بالضرورة في اللسان العربي , فمعظم العناصر اللغوية في الاستعمال التواصلي عرضة للحذف أو الذكر . و قد انتشرت في العربية على مختلف مستوياتها قديما و حديثا في الاستعمال النثري أو الشعري , و كانت الغاية منها بداية إحقاق التخفيف و التيسير ... ,

ب - الحذف في الاصطلاح:

... أما الحذف من الوجهة الاصطلاحية فهو (إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل ..)(475) . إن هذه العملية البسيطة ظاهرا و المعقدة إجرائيا و أدائيا , تميل إليها العرب في سياقات تعبيراتها تجسيدا للاختصار و الإيجاز مع الاكتفاء بالقول القليل , خاصة إذا كان المتلقي على علم مسبق بالمراد منه , و لهذا فإن (من دقائق اللغة , و عجيب سرها , و بديع أساليبها , أنك قد ترى الجمال و الروعة تتجلى في الكلام إذا أنت حذفت أحد ركني الجملة أو شيئا من متعلقاتها , فإن أنت قدرت ذلك

471 - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات , ص : 384 .

472 - مجمع اللغة العربية جمهورية مصر العربية : المعجم الوجيز , ط 1 : 1980 م , ص : 141 .

473 - الزركشي : البرهان في علوم القرآن , المكتبة العصرية , بيروت , ج 3 , ص : 102

474 - محمد سمير نجيب اللبدي : معجم المصطلحات النحوية و الصرفية , مؤسسة الرسالة , ص : 62 .

475 - الزركشي : البرهان في علوم القرآن , ج 3 , ص : 102 .

المحذوف و أبرزته صار الكلام إلى غث سفساف و نازل ركيك لا صلة
بينه و بين ما كان عليه أولاً.)⁽⁴⁷⁶⁾ .

من المسائل القيمة التي أولاها الكثير من الدارسين و الباحثين النحويين و البلاغيين و
الأسلوبيين و النصيين عناية معتبرة , نظرا لدورها الجمالي و الفني و الإبلاغي
التواصلية كذلك , قضية الحذف , فالعناية هذه تعود أساسا إلى كون هذه
الظاهرة اللغوية أسلوبا تعبيريا و لونا من الأدائية التواصلية و وسيلة و آلية من
وسائل انسجام الخطاب/النص و تواجبه , مشحونة بطاقات مشاعرية و تصورات
و انطباعات ولدتها التجربة الفنية و الحياتية , فاتخذت ملامح متميزة و مثيرة
لانتباه الحس الجمالي , جراء انحراف عمد إليه (الباث) , في لحظة من
لحظات السمو الروحي و الفكري و الذوقي الإبداعي , حتى يخرج بذلك عن
المستوى التعبيري العادي المألوف و المتداول , ليبح بذلك عالما جماليا و فضاء فنيا
يحدث من خلاله (المرسل) صدمات جمالية و لذات فنية في كل (المتلقي) نفسه و عقله
و روحه و حسه , و بذلك يتحقق المستوى الأعلى الممكن للفعل التواصلية و الخطابية
في أرقى صورته الأدائية .

إن الحدث اللغوي الذي يكون بين (المتكلم) و (السامع) تحكمه اعتبارات كثيرة ,
منها ما يتوقعه (المتلقي) من (المرسل) , و هو يجاذبه أطراف الحديث , لأن
التصورات اللغوية الذهنية التي يحملها (المتلقي) كثيرا ما تملئ عليه متوقعات أدائية ,
ذات مكونات محددة , و في نمطية معهودة سالفًا , فالمتحدث الذي يوظف — مثلا —
جملة اسمية , فبمجرد أن يذكر (المبتدأ) ينقدح في ذهن (المتلقي) آليا الركن الأساس
الثاني للجملة الاسمية و هو (الخبر) , و هكذا دواليك ... إلا أنه في الكثير من
الأحيان يتفاجأ (المتلقي) بسماع متتالية جمالية أو سلسلة كلامية , تحتاج إلى أعمال
الفكر و تركيز أكثر , لا لشيء و إنما لاحتوائها على عنصر المفاجأة , المتمثل في
غياب و اختفاء مكون أو أكثر من مكونات التركيبية اللغوية للخطاب/النص أو أحد

476 - أحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة , الطبعة الأولى 2004 , المكتبة العصرية , بيروت , ص : 76 .

عناصره الأساس الجملة اسمية كانت أم فعلية , على المستوى الأدائي المكتوب أو المنطوق , فيترك حينئذ لمخيله العنان و لكفاءته و قدراته اللغوية المجال لتنتقل في حراك ايجابي لتكمل ما غاب و تستحضر المحذوف , مهما كان نوعه , و في هذه اللحظة بالذات تنتاب (المتلقي), و هو يكمل التركيب أو الخطاب ..الذي يحوي على ظاهرة الحذف , حالات و أحاسيس و تصورات و خواطر ... تعطي له الكثير من المصادقية و الحيوية و الانتعاشية بل والنشوة , و تجعل تلقيه للخطاب أو الرسالة اللغوية ايجابيا تفاعليا , يتجلى بقوة في دوره المهم التكملي البنائي ...

إن هذه التفاعلية الجمالية و الايجابية ذات الشحنات الفكرية و الشعورية القائمة بين (المرسل) و (المتلقي) , و التي تدفع بهذا الأخير إلى أن يخرج من قوقعة التلقي السلبي إلى فضاء التفاعل و المشاركة الايجابية في صناعة الخطاب/النص و تبادله , إن هذه العلائقية النوعية بين طرفي الخطاب يتجلى دورها في هذه اللحظة , و يبرز أداؤها الفني , و تنكشف للعيان نوعية الذائقة الإبداعية لكلا الطرفين (المرسل/المتلقي) , لما يعتمد (المرسل) إلى الحذف , و يسعى (المتلقي) إلى تكملة الإرسال (الناقص) بما يملكه من مهارات و ملكات و طاقات , , فيعود — حينئذ — الكلام في نفسه كامل العناصر , متسق الأجزاء , واضح الدلالة , و حتى تكون العملية بهذه السلسلة , يجب أن يوضع في الحسبان أن (.. من شرط الحذف أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف و إلا كان تعمية و ألغازا , و من شرط حسنه أنه متى أظهر المحذوف زال ما كان في الكلام من البهجة و الطلاوة ..)(477) .

إن الشيء الذي يحسن بنا أن ننبه إليه في هذه الأسطر , هو أن ظاهرة الحذف ليست مسألة في متناول السواد الأعظم من الناس أو يحسنها الكثير من المتحدثين , فما أسهل الحذف الارتجالي و العشوائي البعيد عن الذوق الرفيع و الغائية الدقيقة , و ما أعسر ذاك الحذف القائم على غرضية و جمالية و فنية محسوبة بدقة , التي قد تمتزج بها في بعض الأحيان الكثير من عناصر الإثارة و التشويق , و هذا يعود إلى أنه

إذا لم نحسن التعامل مع أسلوب الحذف يصاب المعنى بتشوّهات خطيرة ، و يهتز التركيب من حيث أركانه ، بل قد تتعرض منظومة الخطاب/النص نفسه إلى العطالة و التثني مع فقدان مبررات الوجود حينئذ ، و هنا (من الحق أن نقرر أن من أدق موضوعات البلاغية مسلكا ، و أدها لإعمال الفكر ، هذا الموضوع الذي نحن بصدده — و هو الحذف — و لعل هذا السبب الذي جعل الشيخ عبد القاهر — رحمه الله — حينما تحدث عنه ، يكثر من الأمثلة و الشواهد من الكلام البليغ ، دون ذكر قواعد معينة يرجع إليها الدارس ...) (478) .

و على هذا الأساس فإن (الباث) مطالب بضرورة التأكيد و الانتباه ، مراعيًا في ذلك مقتضيات الحال و المقام و السياق بكل ملابساته و أبعاده ، بأن ما تم حذفه من الحدث اللغوي أو من الخطاب/النص الإبداعي ، مهما كان جنسه ، يجب أن يكون لدى (المتلقي) واضحًا و معهودًا و متواجدًا في رصيده المعلوماتي من ذي قبل ، بحيث يمكنه لحظة استقباله للرسالة اللغوية ، التي انتهى (المرسل) من إنتاجها ، أن يدعو في يسر و سهولة و سلاسة ما تم حذفه ، بل و ينقدح في مخيلته بكل شحناته و طاقاته الكامنة فيه ، لأن (.. للحذف وظيفة مزدوجة ، إنه ينشط الإيحاء و يقويه من ناحية ، و ينشط خيال المتلقي من ناحية أخرى ، هذا فضلًا عن فلسفته الكامنة في خلافة الحضور و الغياب أو النطق و الصمت ، فالمباينة بين كلا الطرفين تعمل على استدعاء الغائب للحاضر كما يستدعي الحاضر الغائب..) (479) . و لهذا فإن الاستكثار من الحذف من دون مراعاة لمقتضيات الطاقات القواعدية و الجمالية المتجذرة في روح اللغة مآله التعمية و الغموض لدى (المتلقي) .

وقد تحدث سبويه عن الحذف عند العرب فقال: (اعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك ، ويحذفون ويعوضون ، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً . وسترى ذلك إن شاء الله . فمما

478 - فضل حسن عباس : البلاغة فنونها أو أفانها ، ص : 258 .

479 - مصطفى السعدني : البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، ص : 139 ..

حذف وأصله في الكلام غير ذلك. لم يك ولا أدر، وأشباه ذلك. وأما استغناؤهم بالشيء عن الشيء فإنهم يقولون يدع ولا يقولون ودع، استغنوا عنها بترك. وأشباه ذلك كثير. والعوض قولهم: زنادقة و زناديق، وفرازنة و فرازين، حذفوا الياء وعوضوها الهاء. وقولهم أسطاع يستطيع وإنما هي أطاع يطيع، زادوا السين عوضاً من ذهاب حركة العين من أفعل. وقولهم اللهم، حذفوا " يا " وألحقوا الميم عوضاً (480).

وقد تحدث ابن جني عن الحذف في باب في شجاعة العربية فقال: (اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف، والزيادة، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى و التحريف ... الحذف : قد حذف العرب الجملة، والمفرد، والحرف ، والحركة. و ليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه. وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته .

فأما الجملة في نحو قولهم في القسم: والله لا فعلت، وتالله لقد فعلت. و أصله : أقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل، وبقيت الحال - من الجار والجواب - دليلاً على الجملة المحذوفة . وكذلك الأفعال في الأمر والنهي و التحضيض؛ نحو قولك : زيداً، إذا أردت: اضرب زيداً أو نحوه. ومنه إياك إذا حذرته؛ أي احفظ نفسك ولا تضعها، والطريق الطريق، وهلا خيراً من ذلك. وقد حذف الجملة من الخبر؛ نحو قولك: القرطاس والله؛ أي أصاب القرطاس. وخير مقدم؛ أي قدمت خير مقدم. وكذلك الشرط في نحو قوله: الناس مجزيون بأفعالهم إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرأ؛ أي إن فعل المرء خيراً جزى خيراً، وإن فعل شراً جزى شراً.... وإنما تحذف الجملة من الفعل الفاعل لمشابتها المفرد بكون الفاعل في كثير من الأمر بمنزلة الجزء من الفعل؛ نحو ضربت ويضربان، وقامت هند، و (لتبلون في أموالكم) , وحبذا زيد، وما أشبه ذلك مما يدل على شدة اتصال الفعل بالفاعل وكونه معه كالجزء الواحد. وليس كذلك المبتدأ والخبر (481). هذا يعني أن سمة الحذف التي تتسم بها اللغة العربية عنده تعتبر من الخصائص الأصلية في الاستعمال اللغوي في مختلف مستوياته .

480 - سيبويه: الكتاب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، 3 ط : 1988 م ، ص : 24

- 25 .

481 - ابن جني : الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، ج 2 ، ص : 360 - 361 .

الحذف بين المنظور النحوي و البلاغي و النصي

إن المنطلقات المعرفية تلعب دورا كبيرا في رسم الدلالة المفهومية لظاهرة الحذف , و تملى على معتقها جملة من الطرحات و المعطيات , تحدد له المجال الحركي و حدود فضائه , و المنطلق النحوي أو المنطلق البلاغي أو النصي , لا شك , أنها منظورات مختلفة في رؤيتها و مقاربتها للقضية التي نحن بصدد معالجتها , و لا ضير في ذلك مادام الهدف ساميا و المقصد علمي صرف , بل كثيرا ما يلعب مثل هذا التبيان على إثراء الرصيد المعرفي و تجلية الحقيقة العلمية من شتى جوانبها , بشرط ألا يكون هذا الاختلاف تنافر و تضاد , و من هنا يحسن بنا أن نشير و نؤكد بداية أن الحذف عند النحاة و البلاغيين و النصيين جميعا (.. ليس نفيا مطلقا للمحذوف , و إنما هو عدم ظهوره في البناء الظاهري للجملة , و كأن المعول عليه عند الطائفتين هو قول (ابن مالك) حين قال : و حذف ما يعلم جائز .(482) .

أ - الحذف في المنظور النحوي

بداية (يرى النحاة أن الأصل في الكلام الذكر و لا يحذف منه شيء إلا بدليل سواء كان هذا الدليل معنويا أي يقتضيه المعنى أم صناعيا أي تقتضيه الصناعة النحوية , و سواء تدل عليه قرينة لفظية أم تدل عليه قرينة المقام ..)(483) .

إذا رحنا نحصي في دقة و موضوعية مواطن الحذف في العربية شعرها و نثرها عدنا نجرجر أذيال الفشل و الخيبة , لا لشيء و إنما لكون الحذف كثير في العربية , و قد أولاه المبدعون و الدارسون من الاهتمام ما يثير العجب و توسعوا فيه توسعا كبيرا , و قد مس الحذف بذلك , و في شتى السياقات اللغوية , كل أنواع الكلمة , كما)

482 - فتح الله أحمد سليمان : الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية . مكتبة الآداب , القاهرة , ص : 138 .

483 - فاضل صالح السامرائي : الجملة العربية : تأليفها و أقسامها , ص : 75 .

قد وقع ..في : الجملة و المفرد و الحرف و الحركة ..(484) . و يبدو أن التصور الذي يحمله الكثير من النحاة و هم يقاربون ظاهرة الحذف في نص الخطاب الجمالي أو العادي , هو تصور لا يخرج عن فلك المعيارية , لهذا (فالنحاة يبحثون الحذف من منطلق يجوز و لا يجوز) (485) . و يضربون لذلك جملة من النماذج حتى تكون معلما في الطريق لمن يرغب معرفة أسرار الحذف و العربية و يتمكن من قواعدها و من ثمة يلج عالم البيان و التبيين , و هو كله ثقة من أنه سيعبر عن أغراضه و خلجاته و ما يخفي صدره من تصورات و طموحات , ومن أمثلة ما سلف ذكره أنه (.. مما يجوز حذفه — مثلا — تمييز (كم) الاستفهامية إذا دل عليه دليل , كما يجوز — عندهم — حذف حرف الجر (رب) و بقاء عمله ..) (486) .

و التصور الذي اتخذته هؤلاء النحاة حتى يؤسسوا على غرارهِ الحدود الفاصلة بين الحذف المقبول , و الحذف الذي لا تستسيغه العربية و الذوق الأصيل , يقوم هذا التصور على طائفة من المبررات منها (.. أن الأساس العام لمفهوم الحذف ينطلق من الحاجة الفنية للمعبر في استخدام هذا النسق من الأداء , بحيث يكون العدول عنه إفسادا له ..) (487) .

قد انطلق معظم النحاة القدماء من الرؤية المؤسسة على أن الجملة العربية تتألف من ركنين أساسيين، هما المسند، والمسند إليه، فالمسند إليه هو المتحدث عنه، ولا يكون إلا اسما، والمسند هو المتحدث به، ويكون فعلاً أو اسما، وهذان الركنان هما عمدة الكلام وما عداهما فضله أو قيد (..انطلاقاً من تصور نظري مؤاده أن ما تطلبه الجملة بينيتها فهو عمدة , و ما تطلبه بمعناها , فهو فضلة ..) (488) .

484 - محمد سمير نجيب اللبدي : معجم المصطلحات النحوية و الصرفية , مؤسسة الرسالة , ط 1 : 1985 م , ص :

62 .

485 - فتح الله أحمد سليمان : الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية , ص : 137 .

486 - المرجع نفسه , ص : 137 .

487 - محمد عبد المطلب : البلاغة و الأسلوبية , ص : 313 .

488 - حسن خميس المخ : رؤية لسانية في نظرية النحو العربي , دار الشروق للنشر و التوزيع , ط 1 , 2007 م ص

وليس المقصود بالفضلة أنها تجوز الاستغناء عنها من حيث المعنى، كما أنه ليس المقصود أنها يجوز حذفها الاستغناء عنها دون مبرر أو غائية محددة ، فإن الفضلة قد يتوقف عليها معنى الكلام، وذلك نحو قوله تعالى، (وما خلقتنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين)⁽⁴⁸⁹⁾ إنه لا يمكن الاستغناء عن قوله "لاعبين"، وكقوله تعالى (ولا تمشي في الأرض مرحاً)⁽⁴⁹⁰⁾ ، فإنه لا يستغني عن قوله (مرحا) .. لأن الجملة مجموعة من العناصر النحوية المؤتلفة على نحو مقبول من أنحاء الجملة العربية ، فلو كان لدينا مجموعة من العناصر النحوية (س) المكونة من (أ ، ب ، ج ، د) فهذا يعني أن الجملة هي الاحتمالات المقبولة نحويًا لترتيب هذه العناصر و تبديلها)⁽⁴⁹¹⁾ .

والحذف إنما (لا يكون في العمدة، ولا في الفضلة إلا بالقرائن ، فإن العمدة تحذف جوازا ووجوباً كالفضلة، وذلك كحذف كل من المبتدأ والخبر جوازا، ووجوباً، وحذف عامل المفعول المطلق جوازا ووجوباً، وحذف عامل الإغراء والتحذير جوازا ووجوباً، وهذه كلها عمد ويحذف المفعول به والحال وغيرهما من الفضلات، فليس معنى الفضلة إمكان الاستغناء عنها متى شئنا وإنما المقصود بـ (الفضلة) أنه يمكن أن يتألف كلام بدونه، إذ كل كلام لابد أن يكون فيه عمدة مذكورة ، أو مقدرة بخلاف الفضلة، فإنه يمكن أن يتألف كلام بدونها نحو " محمد مسافر" و " فاض النهر".

وقد تخرج بعض التعبيرات علي طريقة التأليف هذه، ولكن النحاة يتأولون ذلك، كالنداء نحو " يا رجل" فإنهم أولوه بـ " أدعو رجلاً" علي ما بين التعبيرين من تباين، وكالتعجب نحو " ما أعذب الماء" فإنهم أولوه بـ " شيء جعل الماء عذبا)⁽⁴⁹²⁾ .

و لا داعي لأن تخرج كل التعبيرات الواردة في اللغة علي هذا النمط في التأليف، بل ينبغي الاعتراف بأن بعض التعبيرات تكون علي غير هذا النمط، وإن كان الأصل في تأليف وجدة الخطاب/النص (الجملة العربية) أن يكون علي النمط الذي ذكره.

489 - سورة الأنبياء ، الآية : 16 .

490 - سورة الإسراء، الآية : 37 .

491 - حسن خميس المخ : رؤية لسانية في نظرية النحو العربي ، ص : 21

492 - فاضل صالح السامرائي : معاني النحو ، ج 1 ، ص : 14.

ب) - الحذف في المنظور البلاغي

إذا كان تركيز جمهرة النحاة في قضية الحذف ينحصر أساسا في البعد الموضوعي للكلمة في طيات التركيب اللغوية و جانبه البنائي الظاهري , فقد قسموا الكلمة و هي في التركيب إلى ما لا يجوز حذفها لكونها عمدة , لأن غيابها غير المنضبط بضوابط الحذف, يحدث خللا و خلخلة في بنية التركيب , و يبتعد به عن الضوابط القواعدية للغة , و أما ما بقي فإنه تحت مظلة المكملات التي حضورها أو غيابها , ذكرها أو حذفها , لا يعمل على زلزلة شبكة العلاقة المحكمة النسج القائمة بين مكونات النص أو الخطاب أو التركيب .., و لا يشوش المعنى الذي يحسن السكوت عليه في ذهن المتلقي , علما بأن هذا الأخير صار في متصور الدرس اللغوي الحديث شريكا فاعلا في العملية الإبداعية للانتقال من موضع نقد استجابة القارئ إلى التلقي الجمالي الفاعل لأن (.. الرهان المنهجي الذي راهنت حركة العصر المعرفية عليه , فهي مجلى للأبعاد الثلاثة : المؤلف , النص , القارئ , تصورها جميعا في آلية القراءة الحديثة ..)(493) , و إذا يمتنا اتجاه التصور البلاغي لقضية الحذف , نجد أصحابه , و هم بصدد لملمة المعطيات الأساسية لوضع مفهوم يتسم بالدقة و الوضوح و الموضوعية , يحرصون و بشيء من التركيز و الإلحاح على ضرورة جعل المعنى الواضح لدى (المتلقي) محورا حيويا لا يجوز القفز عليه إطلاقا (..فيرون أن إيجاز الحذف ينبغي ألا يؤدي إلى غموض المعنى , إذ به تكون صورة الجملة مؤدية للمقصد البلاغي , و في ذلك دلالة على تناولهم لظاهرة الحذف الذي حددوا ماهيته و كلفيته و علة اللجوء إليه .)(494) , و على هذا الأساس فالحذف في الرؤية البلاغية ليست قضية هامشية , العلم بها لا ينفع و الجهل بها لا يضر , و إنما هي مسألة ذات وزن كبير في إنجاح الفعل التواصلية

493 - بشرى موسى صالح : نظرية التلقي أصول...وتطبيقات , الطبعة الأولى 2001 , المركز الثقافي العربي , الدار

البيضاء - المغرب , ص : 32 .

494 - فتح الله أحمد سليمان : الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية . ص : 138 .

الإيجابي بين (المرسل) و (المتلقي) ، فإثارة انتباه هذا الأخير ، بعد إيصال المعلومة إليه ، و لفت نظرة ، و تحفيز فكره ، و تنشيط ذاكرته ، و استفزاز مشاعره ، و إحداث الهزة الفنية الجمالية المناسبة ، و المفجرة للطاقات الكامنة في السياقات اللغوية المختلفة ، كل ذلك يعد أمرا شديدا التعقيد و التداخل و التشابك ، و لكنه واقع و حادث .. ، بحيث ينقلب كل من (المرسل) و (المتلقي) شريكين و مسؤولين على تخليق الخطاب في أقصى صور كماله و تكامله . هذه الملابسات ، و غيرها مما نكون قد أهملناه في غير قصد ، إن لم توضع في دائرة الضوء المعرفي الأسلوبية أو اللساني .. سيبقى أسلوب الحذف منغلقا على نفسه ، مفاتيح أسرارته بين يدي خاصة الخاصة صناعة و تلقيا و دلالاته و معانيه غاية في الغموض و الإبهام ، تتصرف فيه الخواطر و الارتجالية ، و(.. الواقع أننا حين نبحث عن إمكانيات المعنى خلال هذه الوسيلة فإننا نلتزم بالمبادئ النحوية التي تحكم الحذف و هي : أن الحذف غير جائز في بعض التراكيب ، فلا يجوز حذف الفاعل مثلا ، و كذلك فإنه في التراكيب التي يجوز فيها الحذف ، لا بد أن يستقيم المعنى بعده ، و ذلك هو الحد الأدنى من الحذف ، و انطلاقا من هذا التصور النحوي العام لقضية الحذف ، نحاول أن نتعرف على القيم الجمالية التي يمكن أن تتحقق نتيجة له (495) .

وإذا كنا قد أولينا الجملة وتركيبها أهمية قصوى في مجال المنظور النحوي ، فإن للحذف البلاغي دوره المهم في هذا المكان إذ الدراسة تتعلق بالجانب الإبداعي وبخاصة في الخطاب/النص الصادر من مشيء (مرسل) يتمتع بقدرات بيانية راقية (أنا أفصح العرب بيد أي من قريش) . وإذا كان النحو يهتم بالعلاقات بين الكلمات أو المجاورة إلا أن البلاغة تهتم بالدلالة الجمالية لأنماط هذه التركيبات ، ومن هذه التركيبات الحذف ، فلباحث يدرك أنه يتعامل مع رسالة تتعلق بعلم اللغة والتركيب النحوي لكن الدرس اللغوي وبخاصة فيما يتعلق بالخطاب/النص الراقى و المتميز - نثرا كان أم شعرا - يولي

الدلالة البلاغية الأهمية القصوى ، من هنا فسوف ينصب اهتمام الباحث في هذا الجزء على الجانب البلاغي أكثر من الجانب التركيبي النحوي

وفقد أشار - مادحا - عبد القاهر الحذف فقال : (هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين. وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر ...) (496) .

والحذف يمنح الخطاب/النص الراقى و المتميز بلاغة وجمالاً وهو أولى من الإثبات عند عبد القاهر: (وإذ قد عرفت هذه الجملة من حال الحذف في المبتدأ فاعلم أن ذلك سبيله في كل شيء، فما من اسم أو فعل تجلى قد حذف، ثم أصيب به موضعه، وحذف في الحال، ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآسن من النطق به. وإذ قد بدأنا في الحذف بذكر المبتدأ، وهو حذف اسم، إذ لا يكون المبتدأ اسماً، فإني اتبع ذلك ذكر المفعول به إذا حذف خصوصاً، فإن الحاجة إليه أمس، وهو نحن به أخص، واللطائف كأنها فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر) (497) .

الحذف البلاغي هو أحد أنواع الإيجاز كما قال القزويني : (إيجاز الحذف وهو ما يكون بحذف . والمحذوف إما جزء جملة أو جملة ، أو أكثر من جملة . والأول إما مضاف كقوله تعالى (وأسأل القرية) أي أهلها، وكقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) أي تناولها لأن الحكم الشرعي إنما يتعلق بالأفعال دون الأجرام وقوله: (حرمت عليهم طيبات أحلت لهم) أي تناول طيبات أحل لهم تناولها، وتقدير تناول أولى من تقدير الأكل ليدخل فيه شرب اللبن الإبل فإنها من جملة ما حرمت عليهم وقوله: (وأنعام حرمت ظهورها) أي منافع ظهورها، وتقدير المنافع أولى من تقدير الركوب لأنهم حرّموا ركوبها وتحميلها، وكقوله تعالى: (لمن كان يرجو الله) أي رحمة الله وقوله : (يخافون

496 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص: 146 .

497 - المرجع نفسه ، ص: 152 - 153 .

ربهم) أي عذاب ربهم، وقد ظهر هذا المضافان في قوله : (يرجون رحمته ويخافون عذابه) ، و إما موصوف كقوله : سحيم بن وثيل الرياحي :

أنا ابن جلا و طلاع الثنايا

أي : أنا ابن رجل جلا . و إما صفة ، نحو (و كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) ، أي كل سفينة صحيحة ، أو سالحة ، أو نحو ذلك ، (498) .

الحذف في منظور نحو النص :

تكاد تتفق المدارس اللسانية المعاصرة بمختلف مشاربها على نقطة محورية ، تتمثل في أن الكلمات لا معنى لها ، وبينما الذي تملكه إنما هو وظائفها في النسيج اللغوي . وهذا يعني أن علاقات الكلمة ضمن الخطاب/النص مع الكلمات الأخرى في فضاء السلسلة الكلامية ، هي التي تحدد معنى الكلمة ، و لهذا فلا معنى للكلمة مهما كان نوعها إذا كانت تسبح خارج الخطاب/النص . إن هذا الفهم هو الذي يضمن الكشف عن المعنى الدلالي للعناصر المكونة للخطاب/النص وعن أن كل الوظائف المتنوعة المتحركة في مفاصل الرسالة اللغوية إنما هي عمليات محكمة التعقيد يولدها ذاك التصور الذي يرى أن النحو هو (قانون تأليف الكلام وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة والجملة مع الجمل ، حتى تتسق العبارة ، ويمكن أن تؤدي معناها) (499) . وبناء على ذلك تظهر خصوصية هذه الرؤية العلمية الذي يرى أن الفعل اللغوي بشتى أشكاله إنما هو منظومة دقيقة البناء ، وأن رعاية هذه المنظومة واتباع قوانينها هي السبيل إلى الإبانة و الإفهام شرط ضروري . و لهذا فحضورية كل عنصر لغوي في السلسلة الكلامية يضيف على الخطاب/النص شرعية و مقبولية في التواصل اللغوي . و لكن الذي يلف الانتباه هو أن فاعلية الخطاب اللغوي تتحقق في الكثير من الأحيان بين المتكلم و السامع في غياب/حذف بعض العناصر اللغوية في السلسلة الكلامية . أي يعتمد المتكلم إلى سلوك لغوي مخالف فيبتعد عن التماثلات و التناظرات النحوية و القوالب الجاهزة فيخفي بالحذف

498 - القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، ص : 187 - 188 .

499 - عبد المتعال الصعيدي : النحو الجديد ، دار الفكر العربي ، ط : 1947 م ، ص : 10 .

عنصرا لغويا في استراتيجية محكمة تدفعه في كثير من الأحيان إلى الاختصار .. كما يكون المتلقي نفسه قد أجبر على التوقع في الجانب الذي يفرض عليه ايجابية التلقي و فاعلية الاستجابة المثمرة و المحققة لاستمرارية التواصل الخطابي .

إن (..فهمنا لكثير من العبارات الموجزة يعتمد على تقديرنا لألفاظ غير منطوقة في لغة الحديث أو غير مكتوبة فيما نقرؤه , و من ثم فلا مجال لإنكار هذه الظاهرة جملة , على الرغم من إمكان وقوع الخلاف في بعض تفصيلاته عند تقدير المحذوفات .) (500) , و عليه يتم الحذف عندما تكون هناك قرائن معنوية أو مقالية تؤمى إليه وتدل عليه ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره , وفي نحو النص يجب أن تراعى القرائن المعنوية و المقامية , لأن السياق والمقام من أساسيات الحذف . حيث تكون العناصر اللغوية المحذوفة أساسا للربط بين أجزاء النص من خلال المحتوى الدلالي . وتتنوع أنواع

أنواع الحذف

و للحذف أنماط كثيرة و صور متعددة في النحو العربيّ , من حذف علامات الإعراب , وحذف أجزاء الكلمات , وحذف الأدوات , وحذف أجزاء التراكيب , وحذف الجمل , كما أنه يتنوع إلى نوعين أساسيين و هما :

أ - الحذف الواجب : وهو حذف يوجب النظام النحويّ للجملة , بحيث يكون ذكر المحذوف خطأ , ويقع هذا الحذف في العناصر الإسنادية - كالمبتدأ في الجملة الاسميّة , والفعل في الجملة الفعلية - عدا الفاعل

ب - الحذف الجائز : وهو حذف يقتضيه الموقف الاستعماليّ , حيث يكون الذكر غير ممنوع في الصناعة لكنّه يضرّ بالمعنى المقصود من المتكلم , ويقع على العناصر

500 - طاهر سليمان حمودة : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي , الدار الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع , 1998

الإسنادية وغيرها. ويحاط كلُّ نوع من أنواع الحذف الواجب بقواعد وشروط تنظّم وقوعه ، فلا مجال فيه لغير النظام النحويّ . و أهم شرط فيه هو وجود القرينة اللفظية أو المعنوية ، وهو ما سمّاه ابن هشام " دليل الحذف " ، وجعل أحد نوعيه الدليل غير الصناعي ، أي الذي لا علاقة له بصناعة النحو ، وإنّما يكون الاحتكام فيه إلى الحال أو إلى المنطوق .. ففي قول المترقّب لرؤية الهلال : الهلال وربّ الكعبة ، دليل الحذف حاليّ ، وتقدير المحذوف مبتدأ (هذا الهلالُ) تختلف علاقات نطقه عن تقديره فعلاً (رأيت الهلالَ) ، وكذلك إذا قلنا لمن أتى بالماء: أباك ، أي : اسق أباك ، فالدليل على المحذوف في هذه الأساليب وأمثالها حاليّ ، أي مُستنبط من قرينة الحال ، مع أنّ الحكم هنا لا يصفو للحال فقط ؛ فقد أعاننا على تقدير المحذوف " الاستلزام وسبق الذكر ، وكلاهما من القرائن اللفظية . "أمّا الدليل المقاليّ فهو ما يوجد في كلام منطوق في المقام نفسه ، كما أسأل شخصاً: مَنْ عندك ؟ فيقول : محمّد ، أي : محمّد عندي . و قد أفرد ابن هشام للموضوع حيزاً معتبراً من مصنفه مغني اللبيب فتحدث فيه عن ظاهرة الحذف و مشيراً في الوقت نفسه إلى أنواعه المختلفة ، نعرضها في صورة الآتية :

1	- حذف الاسم	<ul style="list-style-type: none"> - (المضاف)(501) . - (المضاف إليه)(502) . - (اسمي مضافين)(503) . - (ثلاثة متضايقات) (504) . - (الموصول) (الاسمي)(505)
---	-------------	---

501 - ابن هشام : مغني اللبيب ، ج 2 ، ص : 716 .

502 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 716 .

503 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 717 .

504 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 717 .

	- (الصلة) (506)	
	- (الموصوف) (507)	
	- (الصفة) (508)	
	- (المعطوف) (509)	
	- (المعطوف عليه) (510)	
	- (المبدل منه) (511)	
	- (المؤكد) (512)	
	- (المبتدأ) (513)	
	- (الخبر) (514)	
	- (المفعول) (515)	
	- (الحال) (516)	
	- (التمييز) (517)	
	- (الاستثناء) (518)	
* في هذه المواضع قد يكون المحذوف : اسما أو عبارة أو جملة فالحال و الصفة و		

505 - ابن هشام : معنى اللبيب ، ج 2 ، ص : 717 .

506 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 718 .

507 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 719 .

508 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 720 .

509 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 720 .

510 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 722 .

511 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 722 .

512 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 723 .

513 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 723 .

514 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 724 .

515 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 727 .

516 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 729 .

517 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 729 .

518 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 729 .

الخبر و غيرهما قد يكونوا جملا . و فيها كذلك العبارة مثل حذف : ثلاثة متضائفات .		
2 - حذف الفعل	(حذف الفعل وحده) (519)	- حذف الفعل مع منصوب
	- حذف الفعل مع مضمرة	- حذف الفعل مع معهما
	- حذف الفعل مع مرفوع	
* حذف الفعل مع المضمرة المرفوع يمثل : جملة .		
3 - حذف الحرف	- (حرف العطف) (520) . - (فاء الجواب) (521) - (واو الحال) (522) - (قد) (523) - ((لا) التبرئة) (524) - ((لا) النافية) (525) - ((ما) النافية) (526) - ((ما) المصدرية) (527) - ((كي) المصدرية) (528) - ((أداة) الاستثناء) (529)	

519 - ابن هشام : معنى اللبيب , ج 2 , ص : 726 .

520 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 730 .

521 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 731 .

522 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 731 .

523 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 731 .

524 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 732 .

525 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 732 .

526 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 733 .

527 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 734 .

528 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 734 .

	<p>- ((لام) التوطئة) (530)</p> <p>- ((الجار) (531)</p> <p>- ((أن) الناصبة) (532)</p> <p>- ((لام) الطلب) (533)</p> <p>- ((حرف النداء) (534)</p> <p>- ((همزة الاستفهام) (535)</p> <p>- ((نون التوكيد) (536)</p> <p>- ((نونى التثنية و الجمع) (537)</p> <p>- ((التنوين) (538)</p> <p>- ((أل) (539)</p> <p>- ((لام) الجواب) (540)</p>		
	<p>- ((جملة القسم) (541)</p> <p>- ((جملة جواب القسم) (542)</p>	<p>- حذف الجملة</p>	<p>4</p>

529 - ابن هشام : معنى اللبيب , ج 2 , ص : 735 .

530 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 735 .

531 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 736 .

532 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 736 .

533 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 737 .

534 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 737 .

535 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 738 .

536 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 738 .

537 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 739 .

538 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 740 .

539 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 741 .

540 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 742 .

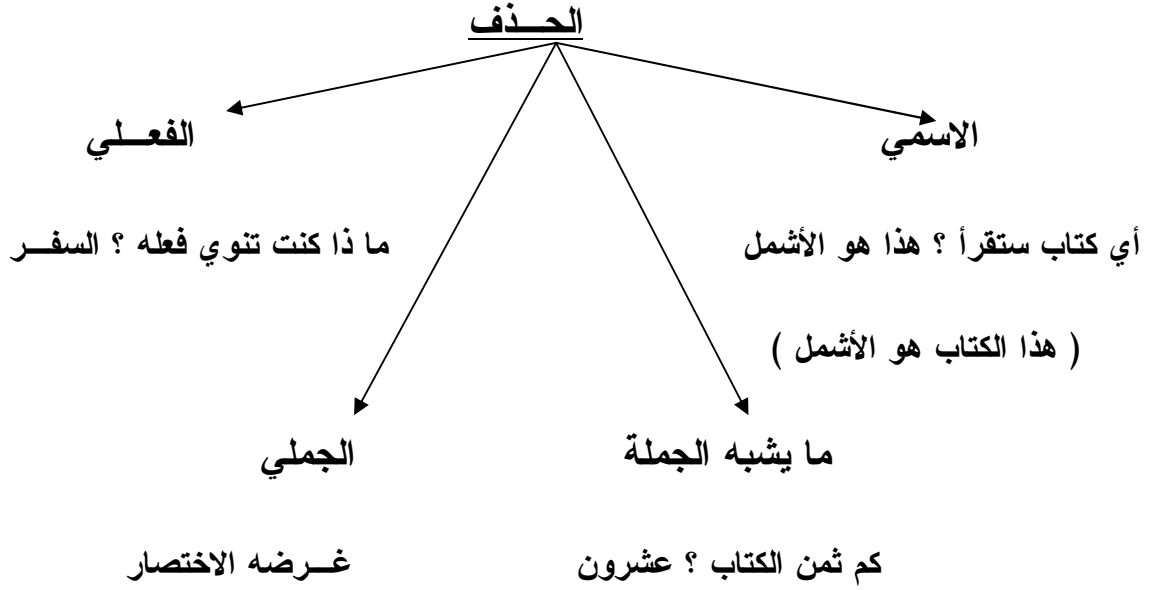
541 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 742 .

		- (جملة الشرط) ⁽⁵⁴³⁾	
		- (جملة جواب الشرط) ⁽⁵⁴⁴⁾	
	5	- (حذف الكلام بجملته) ⁽⁵⁴⁵⁾	
	6	- (حذف أكثر من جملة) ⁽⁵⁴⁶⁾	

و على الرغم من كون الحذف واحدا من العمليات الأساسية في النحو التحويلي ، حيث يعدها تحويلا للأبنية العميقة للجملة إلى أبنية سطحية ، فكما ان (الزيادة هي أية زيادة على الجملة التوليدية النواة لتحويلها إلى جملة تحويلية لغرض في المعنى ، فإن الحذف يعني أي نقص في الجملة النواة التوليدية الاسمية أو الفعلية ، لغرض في المعنى ، و تبقى الجملة تحمل معنى يحسن السكوت عليه ..)⁽⁵⁴⁷⁾

لقد حدد اللسانيون النصيون - خاصة - أنواعا رئيسة للحذف نبينها في المخطط الآتي⁽⁵⁴⁸⁾ :

-
- 542 - ابن هشام : معنى اللبيب ، ج 2 ، ص : 742 .
- 543 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 743 .
- 544 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 744 .
- 545 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 746 .
- 546 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 747 .
- 547 - خليل أحمد عمارة : في نحو اللغة و تراكيبها ، منهج و تطبيق ، عالم المعرفة ، ط 1 : 1984 م ، ص :
- 134 .
- 548 - ظاهر سليمان حمودة : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، ص : 253 .



و من أمثلة ذلك :

1 - الحذف الإسمي :

عن سالم بن عبد الله عن أبيه أنه أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ..(549) ... إن قوله ﷺ : (في) بمعنى (إلى) , و حذف المضاف و هو لفظ (نسبة)(550) ...

2 - الحذف الفعلي :

عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف اقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ , قالوا : الله و رسوله أعلم , قال : أصبح من عبادي مؤمن بي و كافر , فأما من قال : مطرنا بفضل الله و رحمته فذلك مؤمن بي و كافر بالكواكب , و أما من قال : بنوء

549 - محمود بن الجميل : صحيح الأحاديث القدسية و شرحها , دار الإمام مالك , ط 1 : 2004 م , ص : 35 .

550 - المرجع نفسه , ص : 35 .

كذا و كذا , فذلك كافر بي و مؤمن بالكوكب (551) , و الحذف الفعل يتجلى في : (... و أما من قال : بنوء كذا و كذا ...) , أي مطرنا .

2 - الحذف الجملي :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال : (قال الله أنا عند ظن عبدي بي) (552) , أي أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيرا فهو خير له , , و إن ظن بي شرا فهو شر له , فالحديث فيه حذف أكثر جملة أو أكثر ..

3 - ما يشبه الجملة :

عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف اقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ , قالوا : الله و رسوله أعلم , قال : أصبح من عبادي مؤمن بي و كافر , فأما من قال : مطرنا بفضل الله و رحمته فذلك مؤمن بي و كافر بالكواكب , و أما من قال : بنوء كذا و كذا , فذلك كافر بي و مؤمن بالكوكب (553) , و الحذف هنا يكمن في قوله ﷺ : (...أصبح من عبادي مؤمن بي و كافر...) , أي و كافر بي , حذف شبه الجملة .

و على هذا الأساس فإن التفكير اللغوي النصي في غالب الأحيان لا يولي اهتماما بكل العناصر اللغوية التي تعد مظهرا من مظاهر الحذف إذ (.. أنها تبدأ من حذف الحركة أو الصوت ثم الحرف ثم الكلمة ثم العبارة ثم الجملة ثم أكثر من الجملة ..) (554) . و إنما البحث النصي يعنى بالعناصر التي تعد الأساس في بناء النص , و لهذا السبب لم يكن لحذف الحركة أو جزء من الكلمة أو بعض الحروف عناية شديدة مقارنة بباقي المظاهر و الوحدات اللغوية الأخرى , الذي انتهى إليه هذا اللون من الانتخاب و الانتقاء الدراسي هو تسليط الضوء على ثلاثة أنواع من الحذف ليس إلا .

551 - محمود بن الجميل : صحيح الأحاديث القدسية و شرحها , ص : 58 .

552 - عمر علي عبد الله محمد : الأحاديث القدسية , جمعا و دراسة , مكتبة العلوم و الحكم - المدينة المنورة - , ط: 1425 هـ , ج 1 , ص : 538.

553 - محمود بن الجميل : صحيح الأحاديث القدسية و شرحها , ص : 58 .

554 - صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق , ج/2 , ص : 193 .

الحذف عند هاليداي ورقية حسن .

← الحذف الاسمي : حذف اسم داخل المركب الاسمي , بغض النظر عن موقعه الإعرابي و وظيفته النحوية , فقد يكون المحذوف الاسمي : مبتدأ أو خبرا أو مفعولا به أو مضافا ...أي سواء أكان المسكوت عنه/المحذوف : عمدة في الكلام أو فضلة . و لتوضيح ذلك نورد هذين المثالين . فأما المثال الأول قوله تعالى : (و اسأل القرية)⁽⁵⁵⁵⁾ . إذ المحذوف في هذه الآية هو المضاف , و تقدير الكلام : و اسأل أهل القرية . أما المثال الثاني فهو :

أي قميص ستشتري ؟ هذا هو الأفضل / أي هذا القميص . بينما المحذوف هنا هو البديل/القميص .

← الحذف الفعل : المحذوف يكون عنصرا فعليا . و ذلك كما في قوله تعالى : (و قيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم . قالوا خيرا)⁽⁵⁵⁶⁾ . و المحذوف الفعل (أنزل) و التقدير : أنزل خيرا .

السفر الذي يمتعنا بروئيته / أنوي السفر

الحذف داخل ما يشبه الجملة

كم ثمن هذا القميص ؟ خمسة جنيهات

فتؤدي هذه الأنواع من الحذف جميعا إلى (..جعل الجمل المتعددة كالجمل الواحدة , لا تستطيع التفريق بين أجزائها , أو تميز إحداها عن الأخرى ..)⁽⁵⁵⁷⁾ , هذا من جهة

555 - سورة يوسف , الآية : 82 .

556 - سورة النحل , الآية : 30 .

557 - إبراهيم خليل : في اللسانيات و نحو النص , ص : 234 .

و من جهة أخرى فإنه على الرغم من أن نحو النص يحصر أنواع الحذف فيما سلف ذكره , الحذف الاسمي و الحذف الفعلي و الحذف ما يشبه الجملة , واعتبر كل هذه الألوان هي وحدها التي تفعل الاتساق و تصنعه في بنية الخطاب/النص , فهذا لا يعني أن الحذف على مستوى الصيغ (.. حيث يحذف حرف أو أكثر من أحرف الكلمة , أو تحذف الحركة التي هي جزء من حرف المد , أو يقصر الصائت الطويل و الذي يعده القدماء حذفاً لحرف المد , و يمكن أن نسمي هذا النوع بالحذف الصرفي و الصوتي رغم أن بعض مواضعه تخضع لأسباب إعرابية مطردة .)(558) . لا يسهم بأي حال من الأحوال في تحقيق تماسك الخطاب/النص و نصيته .. هذا من جهة و من جانب آخر يلاحظ على هذه الأنواع من الحذف أنها تتقاطع في نقاط كثيرة منها ما يخص موضعية المحذوف داخل الوحدة اللغوية الكبرى , فمرجعيتها - كما تقدم ذكره في الأمثلة - واضحة فقد كان متأخراً و المذكور متقدماً . و لهذا لم تغب هذه المسألة عن التفكير اللغوي قديماً و حديثاً . فقد ذهب ابن هشام و غيره إلى أنه (.. إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولاً أو ثانياً فكونه ثانياً أولى)(559) . بشرط ألا يكون هنا مؤشرات قرآنية قوية ترجح أحد الموضوعين على الآخر .

من خلال ما تقدم ذكره يمكننا أن نخلص إلى أن البحث النحوي و البلاغي و النصي كل هذه الحقول المعرفية , كانت على دراية عميقة بقيمة (ظاهرة الحذف) و مساحة تواجدها و انتشارها و تجذرها في النسيج الإبداعي في شتى أشكاله من التواصل الإنساني بين أفراد المجتمع اللغوي عامة , و قدرة المسكوت عنه في ثانياً الموقف الكلامي التأثيرية الفائقة , ومرونته الكبيرة في حقن المشاعر و التصورات بمقادير من اللذة الفنية و المتعة النفسية جراء فيوضات الخطاب/النص المحتضن لظاهرة الحذف بين مفاصل مكوناته اللغوية و غير اللغوية , كل ذلك نتحسس حضوره بقوة في شبكة العلاقات القائمة بين عناصر مكونات الحدث اللغوي التواصلية الجمالية في مستوياته المختلفة , و دوره الإيجابي في تفعيل وظيفة

558 - طاهر سليمان حمودة : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي , الدار الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع , 1998

م , ص : 173 .

559 - ابن هشام : مغنى اللبيب , ج2 , ص : 711 .

(المتلقي) و الخروج بها إلى حيز المشاركة الحية و الحيوية التي تصحبها حركية الإثراء الهادفة إلى تجسيد الأسلوب التعبيري غير المألوف , الذي ينحرف فنيا و جماليا على الأداء المتداول , مخلفا بذلك آثارا مختلفة و نوعية أوجدتها الشحنات الفكرية و الطاقات الشعورية الرابضة فيه . فعلى مبدع الخطاب/النص - في مواقف كلامية معينة - أن يوجز مع الحفاظ على المعنى الميسر للتلقي الايجابي (الفهم) , و مثال ذلك قوله - ﷺ - و هو يرد على بعض صحابته (.. يا رسول الله إن الأنصار قد فضلونا بأنهم آووا و نصروا و فعلوا و فعلوا , قال النبي ﷺ : أتعرفون ذلك لهم ؟ قالوا : نعم , قال : فإن ذلك , ليس في الحديث غير هذا يريد أن ذاك شكر و مكافأة) (560) . فقول النبي ﷺ (فإن ذلك) قد جاء موجزا بفضل آلية الحذف , حيث حذف الخبر وهو : الشكر و المكافأة .. و هذا الأسلوب من التواصل اللغوي يفتح أمام (المتلقي) باب أعمال العقل و التفكير في ما يتلقاه من رسائل لغوية مع إشراك الخيال في في ملامسة ماهية القصد و الموافقة بين (المذكور) و (المسكوت عنه/المحذوف) على كل مستويات الأداء اللغوي جملة كان أم سلسلة متتالية من الجمل أو خطاب/النص ..

الحذف و الاتساق النصي

ظاهرة الحذف - انطلاقا مما عرضناها سالفا - قيمة لغوية متعددة الثراء , فما موقع هذه الآلية في صناعة الاتساق و تحقيقه ؟ و فيما تتجلى قيمته في إيجاد التماسك الخارجي للخطاب/النص ؟

إن الدرس اللغوي العربي القديم من خلال ما وصلنا من مصنفات مختلفة منه حافل بطائفة من التصورات النظرية المدعمة بين الحين و الآخر بجملة من التحليلات التطبيقية شعرية كانت أو نثرية , تتناول ظاهرة الحذف و أثرها على الكلام التواصلية , و قد أشار

560 - الجاحظ : البيان و التبیین , تحقيق عبد السلام هارون , مكتبة الخانجي . القاهرة ط5 , ج2 , ص : 278 .

صراحة إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني في مصنفه المشهور (دلائل الإعجاز) في باب (القول في الحذف)⁽⁵⁶¹⁾ , معتبرا الحذف واحدة من الآليات الفعالة في تحقيق تماسك النص القرآني و إعجازه , و من ثمة يعمل الأمر نفسه في الخطاب الذي يتسم خاصة بالفنية و الجمالية , لأنه (كثيرا ما يقرن الحذف بالبيان و البلاغة و الشعرية , بخاصة إذا تحقق في بنية مقطعية حوارية ...)⁽⁵⁶²⁾ . كما تناول المسألة نفسها جلال الدين السيوطي . حيث أطلق على هذه الظاهرة اللغوية مصطلح الاحتباك . و قد أراد بهذا الأخير من حيث الدلالة (أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني , و من الثاني ما أثبت نظيره من الأول)⁽⁵⁶³⁾ , و الأصل في ذلك أن كلمة الاحتباك مأخوذة من (حبك) و الذي يعني (الشد و الإحكام و تحسين أثر الصنعة في الثوب , فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج , و شده و إحكامه , بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن و الرونق , و بيان أخذه منه من مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط , فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه و حوكة , فوضع المحذوف مواضعه كان حابكا له مانعا من خلل يطرقة , فسد بتقديره ما يحصل به الخلل ..)⁽⁵⁶⁴⁾

و من خلال ما أشار إليه الجرجاني و السيوطي و غيرهما يتبين لنا طبيعة تلك الرؤية الحاذقة النظرة المتميزة للحذف عند بعض علماء التفكير اللغوي العربي . كما يبرز من خلالها بعد النظر و اتساعه لهذه الظاهرة عندهم , و كيف أنهم ربطوا العلاقة بين الحذف و اتساق الخطاب/النص و تماسكه , حتى باتت رؤيتهم قاب قوسين أو أدنى من تلك التي يتداولها معظم المفكرين المشتغلين بلسانيات النص في الوقت الحالي , إلا أنها طرحت من خلال ضمنيّات داخل الكتب التي جاءوا بها من أمثال دلائل الإعجاز و الإتيقان و البرهان ...

561 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز , ص : 146 .

562 - نعمان بوقرة : مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري , عالم الكتب الحديث , ط 1 : 2008 م , ص :

. 45

563 - السيوطي : الإتيقان في علوم القرآن , ج 3 , ص : 182 .

564 - المرجع نفسه , ج 3 , ص : 183 .

إن من بين غايات الحذف هي إبراز و بيان وظيفته في تحقيق الاتساق النصي , إلا أن هناك خطوات مفصلية يجب وضعها في عين الاعتبار من قبل محلل النص تتلخص في إبراز دور الحذف في اتساق الخطاب/النص في النقاط الآتية : (

1 - ذكر النماذج التي يراد تحليلها .

2 - تحديد وظائف عناصر الجملة .

3 - البحث عن المعلومات التي تهدينا إلى المحذوف , مثل السياق المقامي , و السياق اللفظي المتمثل في وجود دليل على المحذوف سابق أو لاحق (565) , لأنه إذا وجد الحذف فلا بد من وجود دليل عليه ..

و لقد تقدم ذكر دور الاتساق في تحقيق تماسك وحدات الخطاب اللغوية و ترابطها , إذ يظهرها في صورة وقائع متتابعة و متسمة بالاستمرارية , بحيث يؤدي سابقها إلى لاحقها , مما يعمل على تجسيد التلاحم النظمي لمكونات البنية السطحية للفعل التواصلية , و مما لا شك فيه أن ظاهرة الحذف من بين أهم العوامل القوية المعينة على إيجاد الترابط و التماسك , خاصة إذا كانت المقاربة للنص لا للجملة , ففي الحديث القدسي الذي تقدم ذكره , لو قدر فيه المحذوف مطرنا مثلا (...فأما من قال : مطرنا بفضل الله و رحمته فذلك مؤمن بي و كافر بالكواكب , و أما من قال : مطرنا بنوء كذا و كذا , فذلك كافر بي و مؤمن بالكواكب) , لتعرضت بنية الخطاب/النص للاضطراب و التهلل , لأن ذكر يصير لا مبرر له من حيث المبنى و المعنى , بينما الحذف قد حقق على أقل تقدير : الترابط عن طريق الإيجاز و الاختصار , و استهدف القضية بدقة و من غير لبس و غموض ...

و من المعلوم من التماسك الخطاب/النص بالضرورة أن معطى الاتساق يعكس ارتباط وحدات الخطاب/النص و مدى تجسيده لواجهة من أوجه الشبكة العلائقية المتماسكة المجتمعة في نظام واحد كلي , زيادة على قدرته على إظهارها صور وقائع متتابعة يؤدي سابقها إلى لاحقها , مما يحقق التماسك و التضام النظمي لهذه

565 - صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق , ج 2 , ص : 221 .

الوحدات اللغوية و عناصرها التكوينية , و من هذا المنظور يمكن أن نعد الحذف واحدا من المعينات الأساسية القوية التي تحقق الترابط و التماسك الذي يمس البنية السطحية للفعل اللغوي وهو (.. طريقة في الربط أفضل من الاعتماد على الذكر ..) (566) , اعتبارا من كون الحذف أحد العمليات الأربع الأساسية في النحو التحويلي : الاستبدال و إعادة الترتيب و الإضافة و الحذف الذي يراه النحو التحويلي (.. عنصرا من عناصر التحويل .. ونقص في الجملة النواة التوليدية الاسمية أو الفعلية , لغرض في المعنى , و تبقى الجملة تحمل معنى يحسن السكون عليه) (567) . و خاصة نحن أمام خطاب/نص متميز و هو الحديث القدسي , و لهذا فالتعاطي مع الحذف من المنظور الذي لا يقوم على أسس تراعي اللغة على أنها نظام قائم بذاته , يتركب من (مجموعة من الوحدات المترابطة التي تستقبل مدخلات معينة من بيئتها , فتقوم باجراء عمليات معينة , و تنتج مخرجات معينة تعطيها لبيئتها.) (568) . لوجدنا اضطرابا بينا في تماسك الخطاب/النص ممارسة أو مقارنة و سواء على مستوى بنية السطحية أو بنية العميقة للخطاب/النص , و السبب في ذلك يعود إلى جملة من المبررات منها أن (منشئ) الخطاب/النص لم يلجأ للحذف (.. ليحقق خلا ما في النص , إذ أن للحذف جماليات و أغراضا كثيرة ..) (569) . فالحذف - إذا - محقق اتساقية الخطاب/النص عن طريق الاختصار بجمع المعاني الكثيرة تحت بنية لغوية قليلة وافية بغرض الإبانة و الإفصاح و تقريب المسافة الفاصلة بين العناصر المشكلة للخطاب/النص لصناعة لون من الاحتكاك و التواشج المولد لنظام دلالي ضمن بنية أشمل و هي اللغة (نظام داخل نظام) , و لهذا فالحذف - إذا - (.. من قواعد التماسك النحوي التي أشار إليها , و تناولها بالتوضيح و التمثيل كل من فان ديك و رقية حسن و آخرون ..) (570) , و قد أدرك القدماء العرب ذلك منهم السيوطي و

566 - إبراهيم خليل : في اللسانيات و نحو النص , ص : 233 .

567 - خليل أحمد عمارة : في نحو اللغو تراكيبيها منهج و تطبيق , ص : 134 .

568 - جاسم محمد سلطان : التفكير الاستراتيجي و الخروج من المأزق , مؤسسة أم القرى , ط1 : 2006 م , ص :

26 - 27 .

569 - صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق , ج/2 , ص : 207

570 - إبراهيم خليل : في اللسانيات و نحو النص , ص : 233-234 .

الزركشي و الجرجاني و القرطاجني و غيرهم , و على هذا الأساس (.. لم يترك أمر الحذف لقائل النص ليقفل به ما يشاء , بل وضعت ضوابط و شروط تحكم هذه الظاهرة (571) . إذ يمثل (المتلقي) واحدا من هذه الشروط , فهو يعد جانبا مفصليا من جوانب تفعيل آلية الحذف و تحريكها في الاتجاهات السليمة من التأويلات المفترضة و من ثم تحقيق اتساقية الخطاب/النص و تماسك مكوناته الشكلية في فنية و جمالية . و لأهمية هذه الوظيفة لم يغض الفكر اللغوي القديم و الحديث الطرف عن إبراز دور سلطة المتلقي في صيرورة التواصل اللغوي و فاعليته , انطلاقا من كونه مشاركا فعالا و ايجابيا في إتمام فراغات النص و استحضار المسكوت عنه تبعا لما تمليه عليه تراكيب و صيغ معلومة في ذهن المتكلم و السامع معا و بالتالي إعادة هندسة الخطاب/النص و بنائه وفقا للمرجعيات و الخلفيات الفكرية و انسجاما مع طبيعة اللغة عامة و عملية التواصل المؤسسة فعلا على طرفيين محاوريين (المتكلم) و (المتلقي) , إن لم نقل على أطراف ثلاث مرسل + رسالة + مرسل إليه . و نتيجة تعمق الدرس و البحث في هذا الاتجاه تأسست في الثلاثينيات من هذا القرن نظرية التلقي . و تأسيسا على ما تقدم ذكره يلاحظ أن الاتساق في الخطاب/النص من زاوية الحذف (.. يقوم على محورين أساسيين :الأول : التكرار , خاصة بعدما علمنا اشتراط علمائنا كون المحذوف من لفظ المذكور كلما كان أمكن , و إلا كان متعلقا به أو مرادفا له .الثاني : المرجعية .. إذ أنها قد تكون سابقة أو لاحقة , و في الحالتين تسهم في تحقيق التماسك النصي (572) . و لهذا إذا أراد منشيء الخطاب/النص أن يحذف عنصرا من العناصر اللغوية من بنية النص يحتاج إلى أمرين يوجبهما علاقته بالنص من جهة و علاقته بالمتلقي من جهة ثانية , و هذان الأمران هما :

1 - الدلالة و الفائدة التي تعود على الخطاب/النص من عملية الحذف , و التي اقتضت ترجيح الحذف على الذكر .

571 - صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق , ج/2 , ص : 207

572 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 221 .

2 - قابلية المقام لاحتضان الحذف , حتى يستطيع متلقي الخطاب من أن يقدر المحذوف من دون أن يبذل جهدا غير طبيعي يفسد العملية التواصلية من أساسها ..

التكرار

إن التكرار نسق تعبيرى فى بنية الخطاب اللسانى و (ظاهرة بيانىة بوظيفة الربط فى مستوى البنية السطحية المحيلة إلى الانسجام الكلى للنصوص)⁽⁵⁷³⁾ , يضىف عليه الترابط الشكلى و الدلالى فى سياق تواصلى معين بين العناصر المكررة على امتداد طولها , حيث يعتمد عليه فى الفعل التواصلى فى جذب انتباه المتلقى و التأثير فيه و .. . تحديد القضية الأساسية فى النص ..)⁽⁵⁷⁴⁾ , وفى الوقت نفسه يبين (.. الطريقة التى يبنى بها النص دلاليا , من حيث كونه مقياسا للتوازن بين المعلومات الجديدة و القديمة فى النص)⁽⁵⁷⁵⁾ , و هو فى الحقيقة ظاهرة حيوية عامة , لأنها موجودة فى الحياة فى صور متعددة , وبما أن اللغة صورة للمجتمع , فإنها تحتوى على صور مما هو موجود فيه , فظاهرة كالترادف قد نجد لها شبيهاً فى تشابه شخصين من البشر تشابهاً تاماً يصعب معه التمييز بينهما , و ظاهرة التضاد نجد لها شبيهاً فيما بين الأسود والأبيض من تضاد إلخ , ونحن فى أفعالنا وأقوالنا نكرر كثيراً منها لأسباب كثيرة . وقد ساد الاعتقاد بأن الشعر العربى القديم نشأ فى صورة وزن الرجز أول ما نشأ متأثراً بوقع أقدام الجمال الرتيبة المتكررة على نمط واحد على رمال صحراء العرب , وأياً ما كان الأمر فإن ظاهرة التكرار فى الحياة تجد لها صدى فى اللغة .

التكرار أحد الظواهر اللغوية التى اتسمت بها جميع اللغات , و يعتبر بكافة صورته و أنواعه من الآليات المفتاحية التى تعمل على مد يد المساعدة للمتلقى/القارئ حتى يلتقط خيطاً من خيوط الخطاب/النص الذى يفكه و تركيبه ثم إعادة نسجه دلاليا نقف قبالة تجليات اتساق الخطاب/النص و تماسكه ..على وجه الخصوص , خاصة إذا كان هذا

573 - نعمان بوقرة : مدخل إلى التحليل اللسانى للخطاب الشعرى , عالم الكتب الحديث , ط 1 : 2008 م , ص :

574 - عزة شبل محمد : علم لغة النص , النظرية و التطبيق , ص : 105

575 - المرجع نفسه , ص : 105

الخطاب/النص ذا طبيعة تكرارية حين تنتظم في نسق لغوي . و التكرار نوع من التأكيد و وسيلة من وسائل الإلحاح في الذكر , و قد يأتي به المبدع عن قصد للفت انتباه و النظر أو عن غير قصد /لا شعوريا , و هو في الحالتين كبير الأهمية في تلقي الخطاب/النص و تحليله .

إن ظاهرة التكرار ظاهرة لغوية عرفت في العربية في أقدم نصوصها التي وصلت إلينا ، نعنى بذلك الشعر الجاهلي، وخطب الجاهلية وأسجاعها، ثم استعملها القرآن الكريم ، و وردت في الحديث النبوي وكلام العرب شعره ونثره من بعد . و لقد ارتبط التكرار (في التراث النحوي بالتوكيد اللفظي و في التراث البلاغي بالتوكيد لنكته ...) (576) .

و ظاهرة التكرار هي واحدة من الطرق التي تلجأ إليه لغة الخطاب/النص للربط و التي وظفتها اللغات الإنسانية كثيرا و (تعد إعادة اللفظ في العبارة السطحية التي تتحدد محتوياتها المفهومية و إحالاتها من الأمور العادية في المرتجل من الكلام) (577).....
ومن ثم فهي ظاهرة تستحق الدراسة لتبين معالمها والتعرف على حقيقتها ومواضع استعمالها... و لابد من قيود تضبط هذه العملية , و ذلك أن إعادة اللفظ قد تكون مسيئة للخطاب/النص و مئثرة سلبا في متلقيه خاصة إذا كان هذا الخطاب/النص طويلا ، إذ يقول الدكتور تمام حسان : (ويمكن لإعادة اللفظ في العبارات الطويلة أو المقطوعات الكاملة أن تكون ضارة لأنها تحبط الإعلامية ما لم يكن هناك حافز قوي) (578) و لهذا فإن التكرار ظاهرة لغوية تحكمها ضوابط و قوانين تعمل على إخراجها في صورة تواصلية ايجابية فاعلة , تعمل على تماسك الخطاب و استمرارية حركيته و تدفق معطياته ..

وفي العربية نجد تكراراً للحروف والأسماء والأفعال والجمل الاسمية والفعلية , و هي (التكرار الفعلي للعبارات , و يمكن للعناصر المعادة أن تكون هي بنفسها , أو

576 - أحمد محمد عبد الراضي : نحو النص بين الأصالة و الحداثة , مكتبة الثقافة الدينية , ط1 : 2008 م , ص :

577 - روبرت دي بوجران : النص والخطاب و الإجراء , ترجمة تمام حسان ص : 303

578 - المرجع نفسه ، ص : 306 .

مختلفة الإحالة ، أو متراكبة الإحالة)⁽⁵⁷⁹⁾ ، ونجد كذلك أواناً تكرارية إيقاعية يُقصد بها إحداث نوع من الموسيقى اللفظية المؤثرة ، وعلى مستوى خطاب/نص الحديث القدسي سنجد تكراراً لهذا كله ، وتكراراً لبعض موضوعاته كذلك .

من الناحية اللغوية

(التكرار : هو مصدر ثلاثي يفيد المبالغة كـ(الترداد) مصدره (رد) عند سيبويه ، أو مصدر مزيد أصله (التكرير) قلب الياء ألفا عند الكوفية ، و يجوز كسر التاء فإنه اسم من (التكرر) ..)⁽⁵⁸⁰⁾ . هو مصطلح عربي له حضور قوي في الدرس اللغوي العربي القديم و الحديث واستعراض المعنى اللغوي لمادة (ك ر ر) فابن فارس في مقاييس اللغة يبين أن (الكاف و الراء أصل صحيح يدل على جمع و ترديد ، و ذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى ، فهو الترديد الذي ذكرناه . والكثير : كالحشرة في الحلق ، سمي بذلك لأنه يرددها .)⁽⁵⁸¹⁾ ، لاحظ من ذلك أن دلالة (كرّر) تدل على ترداد الشيء ، وإعادته مرّة بعد أخرى .وقد أورد اللغويون العرب تعريفات متقاربة لاصطلاح التكرار ، فابن الأثير يعرفه بأنه (دلالة اللفظ على المعنى مرددا)⁽⁵⁸²⁾ ، والمراد من ذلك إعادة الكلمة مجددا بصورة تطابق ، أو تكاد تطابق الهيئة الأولى التي ذكرت فيها .كما يعرفه ابن رشيق (أن يأتي الشاعر بلفظة متعلّقة بمعنى ، ثم يرددها بعينها متعلّقة بمعنى آخر)⁽⁵⁸³⁾ في البيت نفسه، أو قسيم منه . وسماه أبو هلال العسكري : (المجاورة) ، وهي عنده : (تردد لفظتين في البيت

579 - أحمد محمد عبد الراضي : نحو النص بين الأصالة و الحداثة ، ص : 102 .

580 - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات ، معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية ، ص : 297

581 - ابن فارس : مقاييس اللغة ، ج5 ، ص : 126 .

582 - ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي ، وبدوي طباطبة، منشورات دار

الرفاعي، الرياض، ط3: 1983 م ، ص : 3 .

583 - ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه تحقيق: محمد قران، دار المعرفة، بيروت، ط1 1988 ج1 ص :

ووقوع كل واحدة منهما بجانب الأخرى أو قريبا منها من غير أن تكون إحداها لغوا لا يحتاج إليها (584) ... و في الكليات : (التكرار إعادة الشيء , فعلا كان أو فولا , و تفسيره بذكر الشيء مرة بعد أخرى) (585) .

و من المعاني التي يدور حولها لفظ التكرار في المعاجم العربية ما يأتي :

- الرجوع : هذا المعنى يقود إلى الوظيفة الإحالية للتكرار و ذلك عندما يتم الرجوع إلى ما سبق ذكره بتكراره مرة أخرى في صورة شكلية أو دلالية .

- البعث/التجديد بعد الفناء : إن المرسل عادة ما يذكر عدة جمل متتالية حتى يكاد المتلقي ينسى ما قيل له منذ بداية الحديث , و هنا يبرز دور الإحالة التكرارية في استحضار ما سبق ذكره و إعادة تفعيله بتجديده بعثه بعد أن كاد ينساه المتلقي , و هذه الاستراتيجية التواصلية تسهر على تماسك الخطاب/النص و ترابط أجزائه و تواشج جملة حتى يغدو لحمة واحدة لارتكاز المرسل على آلية التكرار القائمة على التجديد و البعث .

- ضم ظلفيتي الرحل : تشير هذه العبارة إلى السبك و التماسك بين هاتين الظلفتين , و بالنظر إلى هذا الاسم المثني نستنبط قيام التكرار على قطبين أحدهما إشاري و الثاني إحالي مما يؤكد مرة أخرى على الدور الإحالي الذي يقوم به التكرار .

و انطلاقا من تلك المحاور الرئيسة في العرض المعجمي لمادة (كرر) ننتهي إلى عد التكرار من آليات و أدوات الاتساق في الخطاب/النص بصورة عامة و عامل من عوامل تماسكه و ترابطه ...

و من الناحية الاصطلاحية

لقد تقدم منذ قليل الإشارة إلى أن التكرار في التفكير اللغوي العربي القديم قد ارتبط (في التراث النحوي بالتوكيد اللفظي و في التراث البلاغي بالتوكيد لنكتة..) (586). و من

584 - أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين تحقيق: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، ط1، 1981، ص : 466 .

585 - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات , معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية , ص : 268.

ثمت يتشكل بنويًا على المستوى اللفظي عبر أنماط وحدات لسانية مختلفة تمتد من تكرار الحرف ثم الكلمة إلى الجملة فالعبارة في مواضع أخرى غير الموضع الذي ذكرت فيه أول مرة ، كما يتشكل دلاليًا بإعادة ذكر المعاني في صور مختلفة من البنى اللسانية ، و بذلك فالتكرار كما حده أحمد مطلوب يتمثل في أبسط مستوياته (بأن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفًا ، أو يأتي بمعنى ثم يعيده و هذا شرط اتفاق المعنى الأول و الثاني فإن كل متحد الألفاظ و المعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر و تقريره في النفس و كذلك إذا كان المعنى متحدًا و إن كان اللفظان متفقين و المعنى مختلفًا فالفائدة في الاتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين) (587) .

و التكرار في الدرس اللساني الحديث هو (إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة وذلك باللفظ نفسه أو مرادفه وذلك لتحقيق التماسك النصي بين عناصر النص) (588) و يعرف هاليداي ورقية حسن التكرار بأنه (أية حالة تكرار يمكن أن تكون الكلمة نفسها أو مرادف أو شبه مرادف ، كلمة عامة أو اسما عاما) (589)

والإحالة التكرارية هي (الإحالة بالعودة وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد.. والإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام) (590) إلا أن دراسة هذه الظاهرة لا تتوقف عند حد رصد تواترها الخطابي بل يعنى المحلل بإبراز أدبية الظاهرة و جماليتها في ضوء جدلية الثابت والمتحول ووظيفتها الخطابية من حيث كونها وسيلة للإفهام والإفصاح والكشف والتأكيد والتقرير والإثبات ...

ومن هذا المنطلق تناثرت أقوال كثيرة عن ظاهرة التكرار ، كما تعددت الإشارات إليها في كتب القدماء والمحدثين ، ونالت بعضاً من الدرس الموجز أحياناً ، والمفصل

586 - أحمد محمد عبد الراضي : نحو النص ، بين الأصالة و الحداثة ، ص : 102

587 - أحمد مطلوب : معجم النقد العربي القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1: 1989 م ، ج1، ص :

370 .

588 - إبراهيم صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ، ج1، ص :20 .

589 - محمد خطابي : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص:237 .

590 - سعيد بحيري : من أشكال الربط في القرآن الكريم ، مركز اللغة العربية ، القاهرة ، 1994 م ، ص:101 .

غير المكتمل أحياناً أخرى... إن درس التكرار درس متشعب ، فهناك دراسة المصطلحات الخاصة بالتكرار وتعريفاته المتعددة ، ثم هناك دراسة أنواعه الكثيرة ، ودراسة أغراضه ودواعيه ، وكل ذلك يحتاج إلى درس خاص من وجهة نظر أسلوبية أو نصية للوقوف على حقيقة الظاهرة .

وعلى مستوى الدرس العلمي والعملية لا نكاد نجد عند النحاة والصرفيين كبير اهتمام بالظاهرة ، وإنما اهتم بها نقاد الأدب ودارسوه ومفسرو القرآن الكريم والبلاغيون ، وموقف النحاة والصرفيين القداماء قد يكون له ما يبرره ، ذلك أن الصرف يهتم ببنية الكلمة الواحدة ، والنحو عندهم يهتم بتركيب الجملة ، ولا يتجاوز ذلك عادة إلى النص كله ، ولذا اقتصر درس النحاة للتكرار غالباً على لون واحد منه هو ما أسموه بالتوكيد اللفظي ، ولكننا ندرس الظاهرة من خلال مستويات التحليل اللغوي جميعاً ، حسب ما تتجه إليه الدراسات اللغوية الحديثة .

إن عملية إعادة عنصر لغوي أو تكراره هو في حقيقة الأمر شكل من أشكال التماسك النصي و تعالق مكوناته بل يعد آلية من آليات فعالية محافظة الخطاب/النص على استقراريته و استمراريته انطلاقاً من كونه نظاماً قائماً بذاته ، لأن استمرارية وقائع النص تتم ، و لاشك ، من خلال هذه الاستقرارية الترابطية المنعقدة بين مكونات النص الكلية أو الجزئية ، أو بين مختلف أحداث النص من جهة أخرى ، مع تفاعلها مع سياقها الطبيعي ، و لهذا فالكل يعمل على تحقيق استقرار النص و استمراره بل و ثبات كينونته .

و لهذا فإن التكرار من هذا المتصور يقتضي إعادة معينة و لكن لعنصر معجمي ، أو وجود مرادف له ، أو شبه مرادف . و قد وجدنا بعض الدارسين ينعت هذه الظاهرة النصية العاملة على إيجاد التماسك المعجمي باسم (الإحالة التكرارية)⁽⁵⁹¹⁾ .

و الحقيقة ، فإن هذه الوسيلة عمل على تكرار كلمة أو عدد من الكلمات في بدايات كل تركيب من تراكييب النص ، و الغاية من ذلك ، أساساً ، التأكيد أو أغراض أخرى

591 - أحمد محمد عبد الراضي : نحو النص ، بين الأصالة و الحداثة ، ص : 102 .

يقتضيها السياق بمفهومه الواسع .. و بهذا فهو من سمات الفصاحة إذ يؤكد الزركشي أنه (.. قد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة , ظنا أنه لا فائدة له , و ليس كذلك بل هو من محاسنها , لا سيما إذا تعلق بعضه ببعض ..) (592) . أما عند السيوطي فيعتبر (أبلغ من التأكيد , و هو من محاسن الفصاحة خلافا لمن غلط ... و قد قيل الكلام إذا تكرر تقرر ..) (593) .

في البداية فإن هذا التكرار , انطلاقا من الفضاء النصي الذي يحققه يضطلع بفاعلية إبلاغية و تداولية أثناء الفعل التواصل بين المتخاطبين , بالإضافة إلى أنه يصنع نوعا متميزا من التماسك و الترابطية بين مكونات الخطاب/النص و أجزائه بشكل لا مرية فيه .. و إذا تحققت الفائدة في التكرار كان استعماله مما يؤدي إلى حسن النظم الخطاب/النص و تماسكه و انسباكه , من خلال تدعيم جملة بتحقيق العلاقات المتبادلة بين العناصر المكونة له و تفاعلها فيما بينها , و يأتي ذلك من خلال تكرار عنصر ما تكرارا ملحوظا , ينتج عنه شيوع نسبة ورود عالية في الخطاب/النص تجعله يتميز عن نظائره , و هذه وظيفة لفظية فضلا عن أهميته الدلالية , فتتحدان كلتاهما في سبك النص و انسجامه . لذلك لا بد من قيود تضبط هذه العملية لأن إعادة عنصر لغوي ما بطريقة مقحمة قد تكون ضارة بالبناء الاستراتيجي العام للخطاب/النص خاصة إذا كان هذا الأخير طويلا , و لهذا (.. يمكن لإعادة اللفظ في العبارات الطويلة أو المقطوعات الكاملة أن تكون ضارة لأنها تحبط الإعلامية ما لم يكن هناك حافظ قوي) (594) .

التكرار عند علماء العربية القدامى :

من الظواهر النصية الفاعلة في معمارية الخطاب/النص التكرار , و قد اهتم العلماء القدامى بأتماطه عند دراستهم للقرآن الكريم و الحديث الشريف و الكثير من أشعار

592 - الزركشي : البرهان في علوم القرآن , ج3 , ص : 9 .

593 - السيوطي : الإتقان في علوم القرآن , ج3 , ص : 199 .

594 - روبرت دي بوجراند : النص والخطاب والإجراء , ترجمة تمام حسان , ص306 .

العرب و شواهدهم الشعرية و النثرية , و بينوا فوائده و وظائفه , كما أن تركيزهم المكثف على الخطاب/النص القرآني و البحث في إعجازه قد دفعهم إلى البحث في مثل هذه الظواهر خصوصا أنه قد وردت في القرآن الكريم أشكال متنوعة للظاهرة التكرارية متعددة ابتداء من اعتباره هو في حد ذاته (سمة من سمات الأسلوب القرآني مثله في ذلك مثل الإيجاز و الحذف و غيرها من الأساليب , و قد اهتم دارسو الإعجاز بالتكرار محاولين إدراك قيمته البلاغية , و بيان دوره في الأسلوب القرآني ..) (595). و كما اشتغلوا على تفسيره و ضبط دلالاته في سياق الخاص أو العام للخطاب القرآني ..

و بناء على ذلك ينبغي على الدارس اللغوي أن ينظر إلى ظاهرة التكرار هذه على أنها ليست مجرد تقنية بسيطة ذات فائدة جمالية بلاغية أو شكلية إيقاعية تحسينية , و إنما يجب رؤيتها على أنها بنية لسانية مركبة و تقنية شديدة التعقيد تحتاج إلى تبصر يسهر على رصد حركيتها و تحليلها انطلاقا من معطياتها و مستويات أدائها و تأثيرها في متواليات الخطاب/النص و عناصره , فضلا عن أدوارها الدلالية , إذ يحمل (.. طاقة وظيفية مهمة تتمثل في الدعم الدلالي لمفردات محددة في النص , و إيقاعه عليها في بؤرة التعبير ظاهرة القارئ ..) (596) التي من بينها (التوكيد) الذي أشار إليه القدامى , و لذلك يحسن بنا التركيز على فاعليتها و ديناميكيتها و فائدتها في ضم و جمع ما تفرق من جمل الخطاب/النص و شد أزرها حتى تغدو جملة واحدة أو كلمة واحدة .

من هنا نأتي إلى تلك الظاهرة لمحاولة الكشف عن أنماطها , و استكناه أسرارها , و تبيان أبعادها و دلالاتها على اختلاف مواقع أدوارها سواء أكانت في الجملة أو العبارة أو على امتداد فضاء الخطاب/النص كله سعيا منا إلى التعرف على كيفية بنائها و صياغتها و تركيبها و إبراز فاعليتها الإحالية مثلا في الربط بين العنصر الإشاري و العنصر الإحالي أو ما يمكن تسمينه بـ(قطبي الإحالة) .

595 - محمد مصطفى أبو شوارب و أحمد محمود المصري : أثر المتكلمين في تطور الدرس البلاغي (القاضي عبد الجبار نموذجاً) , دار الوفاء لندنيا الطباعة و النشر , الإسكندرية , ط1: 2006م , ص : 90 .

596 - حسام أحمد فرج : نظرية علم النص , رؤية منهجية في بناء النص النثري , مكتبة الآداب , ط2 : 2009 م ,

و تأسيسا على ما تقدم و في سياق حديثنا عن درس التكرار عند القدامى نشير إلى أن التكرار عولج (في البلاغة العربية بوصفه أصلا من أصول البديع) (597) . بحيث اعتبر محمد عبد المطلب التكرار (المدخل الصحيح من وجهة نظرنا - للتعامل مع علم البديع) على وجه العموم دون أن ينفي ذلك إمكانية البنى البديعية في تقديم إضافات دلالية إلى هذا التكرار , و هي إضافات لا تنفي هذا التكرار أو توقف فاعليته الإنتاجية) (598) . كما يضيف في سياق آخر (أن الأشكال البديعية ترتبط بعلاقة عميقة تكاد تسيطر عليها و توجه عملية انتاجها للمعنى , و هذه العلاقة تتمثل في البعد (التكراري) الذي يتجلى على مستوى السطح الصياغي و على مستوى العمق الدلالي , أي أن التكرار هو ممثل البنية العميقة ... و هنا يتبين للدارس أن البديعيين - بوعي أو بغير وعي - أحكموا الربط بين مجموع البنى البديعية بعلاقة عميقة لا يمكن إهمالها , و إلا استحالت هذه البنى إلى كم متنافر من الصيغ اللغوية التي يربط بينها سوى الاعتباطية) (599) .

و من بين الأعلام القدامى - سواء أكانوا من البلاغيين أو النقاد أو المفسرين - الذين تعرضوا لظاهرة التكرار بالدرس و التحليل , نجد : أبو عثمان الجاحظ (ت 225هـ) الأمدي (ت 370 هـ) , ابن رشيق القيرواني (ت 456 هـ) عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) , الزمخشري (ت 528 هـ) فخر الدين الرازي (ت 606 هـ) ابن الأثير (ت 636 هـ) .. كما عالجه غير هؤلاء و ربما بتفصيل أكثر , و لكن في سياق بلاغي عام (..) (600) , و لا يتسنى لنا حصرهم في طوايا هذه الورقة أو حصر آرائهم جميعا , فهذا مما تنوء به جهود الآحاد .

- أبو عثمان الجاحظ (ت 225هـ) :

597 - جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية , ص : 84

598 - محمد عبد المطلب : البلاغة العربية , قراءة أخرى , الشركة المصرية العالمية للنشر , لونجمان , ط1:1997م , ص : 353 .

599 - محمد عبد المطلب : البلاغة العربية , قراءة أخرى , ص : 352 .

600 - جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية , ص : 84 .

يأتي أبو عثمان الجاحظ في طبيعة العلماء العربية القدامى الذين عرضوا لدرس التكرار من وجهة نظر تداولية خالصة , حيث اعتبره آلية تواصلية و استراتيجية خطابية حين أشار إلى أطراف التخاطب عبر الوسيط التداولي و متغيرات المقام الخارجي , و فسره بالاحالة على المقام الخارجي , إذ يقول (.. وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حد ينتهي إليه و لا يوتى على وصفه , و إنما ذلك على قدر المستمعين , و من يحضره من العوام و الخواص , و قد رأينا الله عز و جل ذكر قصة موسى و هود و هارون و شعيب .. و كذلك ذكر الجنة و النار و أمورا كثيرة لأنه خاطب جميع الأمم من العرب و أصناف العجم , و أكثرهم غبي غافل أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب)⁽⁶⁰¹⁾. و إذا كان علماء النص المحدثون يؤكدون على سمة الاطراد الشكلية و الدلالية للنص , و بالتالي ترابط أجزائه و تتابعها الخطي فإن الجاحظ في تعليقه عن (الشعر المتلاحم الأجزاء , و الذي بهذا التلاحم يعلم أنه أفرغ إفراغا جيدا , و سبك سبكا واحدا ..)⁽⁶⁰²⁾ , و هذا يؤكد إدراك الجاحظ دور الترابط الإحالي الذي يضطلع به التكرار بحيث يعد الطرف الثاني منه عنصرا إحاليا يرتد تفسيره إلى العنصر الإشاري المذكور قبله , و هذا ما يجعل الإحالة قبلية تتجاوز الجملة أو الجملتين إلى الفقرة أو الفقرتين بل إلى الخطاب/النص كله مما يعكس فهما للخطاب/النص على أنه كل دلالي متفاعل الأجزاء و متماسك الحلقات ..

أبو القاسم الأمدي (ت 370هـ) :

فوجد له تصورا واضحا عن الإحالة البعدية التي يقوم بها التكرار , إذ يعلق على قول زهير بن أبي سلمى (الطويل) :

⁶⁰¹ - الجاحظ : البيان و التبیین , ج 1 , ص : 105 .

⁶⁰² - المرجع نفسه , ج 3 , ص : 105 .

سئمت تكاليف الحياة و من يعيش ** ثمانين حولاً لا أبالك يسأم
قائلاً (و لما قال : و من يعيش ثمانين حولاً , و قدم في أول البيت سئمت , اقتضى أن
يكون في آخرة يسأم .
و كذلك قوله أيضا (السريع) :

الستر دون الفاحشات و ما ** يلقاك دون الخير من ستر
فالستر الأول اقتضى الستر الثاني ... فهذا هو الكلام الذي يدل بعضه على بعض , و
يأخذ بعضه برقاب بعض , و إذا انشدت صدر البيت علمت ما يأتي في عجزه (⁶⁰³) و إن
استخدام الآمدي مصطلحات مثل : الأول يقتضي الثاني , بدل , يأخذ , يؤكد إرجاعه
الترابط النصي و التلاحم الدلالي فيما بين عناصر النص إلى الإحالة التكرارية القائمة
على طبيعة العلاقات الشكلية و الدلالية التي يتقاسمها قطبي الإحالة : العنصر الإشاري و
العنصر الإحالي , بالإضافة إلى أن التماسك النصي لا يتم بين العناصر المكررة فحسب بل
أيضا بين البنى النصية التي يرد فيها التكرار على اعتباره ظاهرة عبر-نصية , و لا
يمكن تفسير بنيتها و فك شفرتها إلا بالنظر إلى النص ككل متواشجة عناصره ..

عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) :

أما عبد القاهر الجرجاني فنجده في تعليقه على قوله تعالى : (و قيل با أرض ابلي
ماءك و يا سماء اقلعي و غيض الماء و قضي الأمر و استوت على الجودي و قيل بعدا
للقوم الظالمين) ⁶⁰⁴ يلتفت إلى التكرار التام بـ : (مقابلة (قيل) في الخاتمة ب(قيل) في
الفاحة) ⁶⁰⁵ . إن هذا الالتفات إلى بنية الإحالة في التكرار اللفظي التام - كما هو
واضح في مقابلة عبد القاهر الجرجاني بين العنصرين - تمت وفق العلاقة الجامعة بين

⁶⁰³ - ابن بشر الآمدي : الموازنة بين شعر أبي تمام و البحري , تحقيق السيد أحمد صقر , دار المعارف , ط2:
1972م , ص : 66 .

⁶⁰⁴ - سورة هود , الآية : 44 .

⁶⁰⁵ - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز في علم المعاني , 1982م , ص : 37.

عنصرين أحدهما إشاري و هو (قيل) المذكور أولاً , و الثاني إحالي و هو (قيل) المذكورة ثانيا , حيث يقوم العنصر الثاني بالإحالة و العودة إلى الأول , و هذه الإحالة التكرارية تسهم في تماسك أجزاء النص و تناغمها رغم تباعد طرفيها ..

ضياء الدين ابن الأثير (ت 636 هـ) :

يتعامل مع التكرار اللفظي بالرجوع إلى السياق المقالي في درسه , فعن قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم⁽⁶⁰⁶⁾ , يقول : (فكر الرحمن الرحيم مرتين , و الفائدة في ذلك أن الأول يتعلق بأمر الدنيا , و الثاني بأمر الآخرة)⁽⁶⁰⁷⁾ . و لتوضيح الوظيفة الإحالية القبلية و البعدية في الأنماط التكرارية الواردة في النص القرآني , يضيف قائلاً (و بالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره , فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر , فأنعم نظرك فيه , فانظر إلى سوابقه و لواحقه , لتتكشف لك الفائدة منه)⁽⁶⁰⁸⁾ .

و أما التكرار المعنوي الذي يتطلب من المتلقي دقة النظر لتتكشف له وظيفته الإخبارية الجديدة , وهو ما (يدل على معنيين مختلفين , و هو موضع من التكرير مشكل لأنه يسبق إلى الوهم أنه تكرير يدل على معنى واحد)⁽⁶⁰⁹⁾ . إن ظاهرة التكرار تؤسس بنية إحالية لا غنى للمتلقي من الاستناد إليها لتمام الفهم , و بذلك تعكس الإحالة التكرارية القاعدة الخلفية للعناصر الإحالية , و تضعها في الإطار الدلالي العام للنص , و بالتالي تكون القراءة الجزئية المعزولة بين قطبي الإحالة دون اعتبار العناصر اللسانية المجاورة منعرجاً يجنب المتلقي الفهم السليم ...

⁶⁰⁶ - سورة الفاتحة , الآيات : 1 , 2 , 3 .

⁶⁰⁷ - ضياء الدين ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر , تحقيق أحمد الحوفي و أحمد طبانة , دار النهضة مصر للطباعة و النشر , دت , ج 3 , ص : 7 .

⁶⁰⁸ - ضياء الدين ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر , ج 3 , ص : 25 , 27 .

⁶⁰⁹ - المرجع نفسه , ج 3 , ص : 25 .

التكرار عند علماء اللغة المحدثين :

تكشف لنا من خلال درس علماء العربية القدامى لظاهرة التكرار إعتبارهم إياها ظاهرة : شكلية دلالية و تداولية تضي على العناصر الإحالية و الإشارية تماسكا شكليا و دلاليا من منظور علاقات التجاور في سياق البناء النصي المحكم .

و كانت تلك الظاهرة معرض درس و نقاش من قبل البلاغيين و علماء الاعجاز و المفسرين و النقاد انطلاقا من تعليقاتهم على الشواهد الشعرية و النثرية إلى جانب النص القرآني أو النبوي , و هما المثل الأعلى المحتدى , كما يعد في أرقى درجات الفصاحة العربية حيث عدوا التكرار ضرورة إذا كان المعنى لا يكتمل إلا به , و انتقدوا من يغفل التكرار في نظمه فكونه يؤتى به (للتوكيد و الإفهام لأن التكرار يفيد العناية بالأمر و الاهتمام به , و زيادة التنبيه له , و خشية تناسي الكلام الذي ذكر أولا , فلا تنصرف النفس عنه , و قد راعى القرآن ذلك فكرر و و ضاعف التكرار في بعض السور حين أراد مضاعفة الإهتمام و العناية بما يقال) (610) . و ما دام للتكرار هذه الأهمية الحاسمة التي تتشكل و تتجلى عبر ثلاث مستويات : نحوية و دلالية و تداولية بحيث لا يتحقق لنا كفاءة تفسيره اللهم إذا أخذنا في الحسبان أقطاب التواصل الفاعلة و المتمثلة في : المرسل والرسالة و المرسل إليه .

فهل درس علماء اللغة المحدثون هذه الظاهرة بحثا و تنظيرا ؟ و هل اختلف منهجهم التحليلي و نتائجهم التطبيقية عن منهج و نتائج نظرائهم الأقدمين أم كانوا متخلفين ؟ هل للتكرار وظائف لم يشر إليها القدامى يؤديها في الخطاب/النص ؟ و فيم تتمثل ؟ و ما هي أنماطه ؟ و فوق كل ذلك ما هو الدور الذي يؤديه في التماسك النصي و الترابط الإحالي إن كان هناك تماسك و ترابط أصلا ؟

اهتم علماء الدرس اللساني الحديث بظاهرة التكرار اهتماما ملحوظا في دراستهم بحسبانه أحد الأدوات المركزية للخطاب/النص , و لم يغفلوا دوره الحاسم في البناء

610 - عبد القادر حسين : أثر النحاة في البحث البلاغي , دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة , د ط , 1998

اللغوي و الدلالي و التداولي للخطاب/النص , لكنهم انقسموا فريقين كما كان الحال عند علماء العربية القدامى , ففريق منهم يثبت أهمية التكرار و فريق آخر يلغيها , إذ نجد (روبرت دي بوجراند) في سياق حديثه عن التكرار يقول (تعد إعادة اللفظ في العبارات السطحية التي محتوياتها المفهومية و إحالاتها من الأمور العادية في المرتجل من الكلام (611), و يضيف قائلاً (و يمكن لإعادة اللفظ في العبارات الطويلة أو المقطوعات الكاملة أن تكون ضارة لأنها تحبط الإعلامية) (612) . يتبين لنا أخذ (روبرت دي بوجراند) على التكرار إحباط الإعلامية , و التقليل من شأن المرسل و الرسالة معا على اعتباره لا يقع إلا في الكلام العفوي العادي و المرتجل , ثم إن نحن أخذنا برأي (روبرت دي بوجراند) فكيف ينبغي لنا تفسير ما ورد من تكرار في الشعر القديم و الحديث , و هي نصوص عالية الجودة؟؟ فضلا عن تشكله عبر أنماط مختلفة , و بنسب متفاوتة , يبدأ بالحرف , ثم الكلمة فالعبارة إلى البيت الشعري , و كل نمط له أبعاده النفسية و الدلالية و الشكلية و الايقاعية و التداولية مما يثري النص الشعري و النثري ... و لكن (روبرت دي بوجراند) يستدرك فيقرر أنه (من صواب طرق الصياغة أن تخالف ما بين العبارات بتقليبها بواسطة المترادفات , و لكن يحدث ألا يكون هناك إلا اسم واحد للمدول المطلوب .. و في التقارير العلمية يجب أن يكون هناك استقرار على استعمال المصطلحات المحددة على الرغم مما يتطلبه مبدأ الإعادة , و يبدو أن السامعين و القراء يهيئون إرهاباتهم للاستجابة لهذه العوامل) (613) , و رغم هذا يضيف قائلاً (و يمكن للمخالفة المتعمدة لمبدأي الثبات و الاقتصاد أن تزيد في الإعلامية و الاهتمام) (614) .

و يسير (محمد مفتاح) على خطى (روبرت دي بوجراند) فيعتبر بشأن التكرار (أن تكرار الأصوات و الكلمات و التراكيب ليس ضروريا لتؤدي الجمل وظيفتها المعنوية و

611 - روبرت دي بوجراند : النص و الخطاب و الإجراء , ص : 303 .

612 - المرجع نفسه , ص : 306 .

613 - المرجع نفسه , ص : 306 .

614 - المرجع نفسه , ص : 304 .

التداولية , و لكنه (شروط كمال) أو (محسن) أو (لعب لغوي) (615) , ثم يستدرك هو الآخر , مثلما رأينا مع (روبرت دي بوجراند) قائلاً (و مع ذلك فإن التكرار يقوم بدور كبير في الخطاب الشعري أو ما يشبهه من أنواع الخطاب الأخرى) (616).

أما الفريق الثاني فيؤكد الدور الحاسم لظاهرة التكرار في الخطاب/النص , إذ يقول موسى ربابعة (فلا يجوز أن ينظر للتكرار على أنه تكرار ألفاظ بصورة مبعثرة غير متصلة بالمعنى و أو بالجو العام للنص الشعري , بل ينبغي أن ينظر إليه على أنه وثيق الصلة بالمعنى العام) (617) , و من هنا ننتبين أهمية التكرار في المعمار اللغوي للنص و و صرحه الدلالي باعتباره (لعب على المعنى الغوي) (618) ... فضلا عن كونه مؤشرا بنيويا يسهر على سبك النص , إذ يقول منذر عياشي بأن للتكرار (وظيفة هامة تخدم النظام الداخلي للنص و تشارك فيه ..) (619) و بذلك ينشأ التماسك المعجمي لت التكرار الذي يعد من أدواته التي (تبت في الكلام الاتسجام و الاتساق و التناسق) (620) و الترابط المعنوي بين أجزائه , فهو يحتوي أيضا امكانيات تعبيرية تغني المعنى ...فالتكرار (محمود إذا جاء في الموضع الذي يقتضيه و تدعو الحاجة إليه) (621) ...

كما يضطلع التكرار بدور تداولي يتمظهر عبر وسيط مقامي أثناء التواصل في بنية المقام الخارجي حين يستخدم التكرار بوضوح (من اجل تقرير وجهة نظر معينة و

615 - محمد مفتاح : الخطاب الشعري استراتيجية التناص , المركز الثقافي العربي , المغرب , ط3, 1992 , ص :

. 39

616 - المرجع نفسه , ص : 39 .

617 - موسى ربابعة : التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية , مؤتمر النقد الأدبي , جامعة اليرموك , الأردن ,

10 - 11 تموز , 1988م , ص : 15 .

618 - أحمد مداس : لسانيات النص , نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري , عالم الكتب الحديث , الأردن , ط1:

2007م , ص : 222 .

619 - منذر عياشي : مقالات في الأسلوبية , منشورات اتحاد الكتاب العرب , دمشق , ط1 : 1990م , ص : 83.

620 - ابراهيم خليل : في اللسانيات و نحو النص , دار السيرة للنشر و التوزيع و الطباعة , الأردن , ط1: 2007م ,

ص : 231.

621 - أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية و تطورها , عربي - عربي , ص : 140 .

توكيدها (622) و يكون (القصد الأساسي فيه التذكير و الترسيخ) (623) فيشد انتباه السامع بالإلحاح و التأكيد على جانب مهم من اللفظ أو المعنى به صاحب الخطاب/النص أكثر مما سواه لـ(الاهتمام بالخطاب , أي لفت أسماع المتلقين إلى أن لهذا الكلام أهمية لا ينبغي إغفالها) (624) و هو بذلك ذو وظيفة تداولية تقوي الاعلامية بإثارة التوقع لدى السامع للموقف الجديد , و هذا ما عناه موسى ربابعة بأن التكرار (يكشف عن فاعلية قادرة على منح النص الشعري بنية متسقة , إذ إن كل تكرار قادر على تجسيد الإحساس بالتسلسل و التتابع , و هذا التتابع الشكلي يعين في إثارة التوقع لدى السامع , و هذا التوقع من شأنه أن يجعل السامع أكثر تحفزا لسماع الشاعر و الانتباه إليه) (625) .. و مادام هذا الأسلوب التعبيري لا يزال في اطراد فهذا يدعونا إلى إعادة قراءته مرة أخرى مبرزين دوره التماسكي في ضوء ثنائية الاتساق و الانسجام .. و يؤكد كافة علماء النص المحدثين على دور التكرار في تحقيق التماسك الشكلي و الدلالي في نص ما بحيث يتجاوز الانسجام الإيقاعي في بعده التأثيري , متدخلا في تشكيل البنية الدلالية للنص منة خلال النظم المختلفة التي يمكن أن يأتي عليها التكرار , و أعني بها تكرار الحروف , الكلمات , العبارات , الجمل , الفقرات , ... (ثمة نوع من الذكر لانعاش الذاكرة أيضا , و هو ما يعرف بالتكرار أو إعادة ذكر صدر الكلام بعد أن حال بينه و بين ما يتعلق به فاصل طويل من الكلام جعله مظنة النسيان أو ضعف العلاقة بما يتبعه من خبر أو فاعل أو جواب , فإذا أعيد صدر الكلام اتضحت العلاقة بما يايه و ينتمي إليه ..) (626) . و لم يقف تمام حسان عند هذا الحد بل ذهب أبعد من ذلك بكثير حين عد التكرار في أصل الروابط النصية فيما بين عناصر الكلام أو النص , فعلاقة الربط (وظيفتها إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التي على الوصول إلى هذه الغاية

622 - إلهام أبو غزالة : مدخل إلى علم لغة النص , ص : 82 .

623 - الأزهر زناد : نسيج النص , بحث فيما يكون به الملفوظ نصا , ص : 136

624 - محمد خطابي : لسانيات النص , مدخل إلى انسجام النص , ص : 179 .

625 - موسى ربابعة : التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية , مؤتمر النقد الأدبي , جامعة اليرموك , الأردن ,

10 - 11 تموز , 1988م , ص : 15

626 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن , دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني , ص : 132 .

, و الأصل في أن يكون بإعادة اللفظ لأنها أدعى للتذكير و أقوى ضمانا للوصول إليه)
(627) فضلا على ذلك فالتكرار (يؤدي كذلك إلى تحقيق التماسك النصي , و ذلك عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره , هذا العنصر قد يكون كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة , و هذا الامتداد يربط بين عناصر النص) (628) . و هكذا فالتكرار ظاهرة ودلالية و ليست شكلية فحسب , ففي إطار السياق النصي تتحكم بتحديد المعنى المعين إلى جانب المعاني التي تتقاطع في عنصر إشاري واحد , و بذلك (فالتكرار أو التردد يمثل تعددا في البنية التركيبية , و لكنه لا يغير شيئا من البنية الإحالية في النص لأنه لأنه بنية عابرة للتركيب تقوم في الأساس على المدلول فهي توافق البنية التركيبية في الغالب , و يمكن أن تخرج عنها عند توفر شروط التردد القائم على الترادف) (629) , فالعناصر الإحالية المكررة تسهر على الاطراد المستمر للعناصر الإشارية التي ترتبط بها و تحيل إليها بحيث يكون العنصر الإشاري الواحد بمثابة نقطة التقاطع , أو بؤرة مركزية تفسر في ضوءها العناصر الإحالية المكررة , و تحدد دلالاتها , و بالتالي تشد من خلال موقعها البنى النصية إلى بعضها ..

و رغم الدور المنوط بالتكرار في النصوص من حيث فاعليته التركيبية و الدلالية و التداولية إلا أن اشتغاله ينبغي رفته بمقولات نصية لأداء وظيفته على أكمل وجه , و مما يشترطه صلاح فضل هو (أن يكون لهذا العنصر المكرر نسبة ورود عالية في النص تجعله يتميز عن نظائره ... و أن يساعدنا رصده - أي التكرار - على فك شفرة النص و إدراك كيفية أدائه لدلالته) (630) , و بالتالي فالتكرار العشوائي أو غير المقصود لا يؤدي وظيفته في تشكيل الشفرات , و العلاقات الدلالية في سياق وروده اللهم إذا كان منتظما و متعمدا و مبررا , و هذا ما أشار إليه (روبرت دي بوجراندي) حين قال (الإعادات

627 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن , دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني , ص : 128 .

628 - إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق , ج2 , ص : 22 .

629 - الأزهر زناد : نسيج النص , بحث في ما يكون به الملفوظ نصا , ص : 137 .

630 - صلاح فضل : ظواهر أسلوبية في شعر شوقي , مجلة فصول , الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر , مجلد 1

, ع , 1981م , ص : 210 .

المقصودة التي يكون للتكرار معها مبررات أعمق (631), وبذلك تنسج العناصر الإحالية المكررة صفائر إحالية ممدودة على امتداد طول النص , كلها ترتبط بعنصر إشاري واحد , هذا الأخير الذي قد يطابقها كلياً أو جزئياً , كما قد يطابقها شكلياً أو دلالياً , و يتكرر صدها عبرها بتكراره في صور مختلفة باستمرار . بيد أنه ينبغي أن يتم ذلك وفق ما يقوي الإعلامية و يعززها لدى المتلقي الذي قد ينتابه نوع من الملل أو الصدود , و تلافياً هذا العيب يقترح إلهام أبو غزالة (و للتغلب على ذلك كثيراً ما تستعمل بعض الأساليب التي تتكرر فيها الأشكال مع بعض الاختلاف في المحتوى , أو يتكرر فيها مع اختلاف الأشكال , و تشتمل الموازاة على تكرار أشكالاً لإخراج ذاتها في ظاهر النص مع شغلها بتعبيرات مختلفة) (632) . كما يشترط (دي بوجراند) أنه (يمكن لإعادة اللفظ أن تستعمل مع انتقال الوظيفة النحوية لعبارة ما , و كيف العنصر المكرر بكيفية نسبته السياقية , و لكن اتحاد الإحالة يظل واضحاً) (633) .

و يكاد يتفق غالبية علماء النص على أنماط تكرارية مع زيادة هنا أو نقص هناك , و تلك الأنماط منها ما هو شكلي , و ومنها ما هو معنوي أو هما معا , إذ نجد في هذا السياق إشارة جميل عبد المجيد إلى أن (التكرار عند هاليداي و رقية حسن سلم مكون من أربع درجات يأتي في أعلاها إعادة العنصر المعجمي نفسه , و يليه الترادف (أو شبه الترادف) , ثم الاسم الشامل, و في أسفل السلم تأتي الكلمات العامة) (634) , ويذكر محمد خطابي بأن (التكرير هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب عادة إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً) (635) , و يمكن توضيح هذه الأنماط من خلال إيراد المثال الآتي :

- شرعت في الصعود إلى القمة الصعود سهل للغاية .

631 - روبرت دي بوجراند : النص و الخطاب و الإجراء , ص : 305 .

632 - إلهام أبو غزالة : مدخل إلى علم لغة النص , ص : 87.

633 - روبرت دي بوجراند : النص و الخطاب و الإجراء , ص : 205 و 306 .

634 - جميل عبد المجيد : علم النص , أسسه المعرفية و تجلياته النقدية , ص : 79.

635 - محمد خطابي : لسانيات النص , مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 24.

{
التسلق
العمل
الشيء
هو

إن الناظر إلى هذا المثال يتبين له أنماط التكرار بالنظر إلى العنصر الإشاري المذكور أول الأمر و هو كلمة (الصعود) الأولى حيث تفسر في ضوءه العناصر التكرارية , و تتخذ لها منحى شكليا أو معنويا , جزئيا أو كليا , و لتوضيح ذلك نعالج كل عنصر مكرر بتحديد صورته التكرارية فيما يأتي :

الصعود : تعتبر تكرارا محضا أو كليا لنفس الكلمة الواردة في الجملة الأولى .

التسلق : مرادف للصعود , و هو تكرار بالمرادف .

العمل : اسم مطلق و عام تندرج تحته قضية الصعود , و هو ما يدعى بالتكرار الجزئي .

الشيء : كلمة عامة تحتوي الصعود و ما يتعلق به .

انطلاقا من هذا المثال الذي أوردناه ننتهي إلى الإقرار بأنماط التكرار التي تشكل

نقطة التقاء علماء النص المحدثين في درسهـم لظاهرة التكرار فيما يأتي :

صور الروابط التكرارية

تتمظهر الروابط التكرارية في جملة من الصور يمكننا إيرادها في المحطات الآتية

:

1 - التكرار الكلي (التكرار المحض)

هذا النوع من التكرار يمكن تسميته بـ(التكرار المحض) ⁽⁶³⁶⁾ وهو متعلق باستعمال المتكلم لتعابير معينة في وضعيات معينة يفرضها عليه المقام وهي التي تحدث عنها كلاوس برينكر لما قال (إذ يكرر تعبير معين (كلمة أو ضميمة مثلا) من خلال تعبير أو عدة تعبيرات في الجمل المتتابعة للنص) ⁽⁶³⁷⁾، وهذا التكرار (يشير إلى أن المتكلم يواصل الحديث عن نفس الشيء..) ⁽⁶³⁸⁾ عادة . دون تغيير , أي تكرار تام أو محض , حيث يضطلع هذا النمط - حسب دي بو جراند و ديسلر - بـ(وظيفة أخرى - فضلا عن السبك - يؤديها هذا التكرار في النصوص الشعرية هي تجسيد المعنى) ⁽⁶³⁹⁾ . و (ينقسم هذا النمط بالنظر إلى مرجعه قسمين و هما) ⁽⁶⁴⁰⁾ .

. و هو ينقسم إلى نوعين : تكرار مع وحدة المرجع و تكرار مع اختلاف المرجع .

أ / - تكرار اللفظ و المعنى مع وحدة المرجع

إن الإعادة المباشرة للكلمة أو العبارة في هذا النوع من التكرار يبقي على واحدة المرجع لدى المتلقي . و بالإشارة إلى الكيان ذاته يستمر متواجدا في فضاء الخطاب/النص و عالمه , فهذه الاستمرارية الجلية تعمل على تدعيم ثبوتية الخطاب/النص مع خلق أسس مشتركة بين البنى النصية المكونة للخطاب/النص و محتوياتها القسوية , كل ذلك يسهم في وحدة الخطاب/النص و تماسكه . و للتوضيح أكثر فإن هذا النوع من التكرار يكون فيه المسمى واحدا . أي أن الدلالة التي تؤسس لظاهرة التكرار في النص بين الألفاظ و الكلمات المكرورة ذات طبيعة واحدة و مرجعية موحدة . و نموذج هذا النوع من التكرار يمكن أن نستشفه من تكرار كلمة (صدر) في المثال الآتي :

636 - الأثر الزناد ، نسيج النص ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ، ص 107 .

637 - كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنص ، ترجمة سعود حسن بحوري ، ص 38 :

638 - عزة شبل محمد : علم لغة النص ، النظرية و التطبيق ، ص : 106

639 - جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية ، ص : 80.

640 - أحمد عفيفي : نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص : 106-107 .

(ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم

أسد فقرك) (641)

زيادة على ذلك فإنه يمكن تقسيم هذا النوع من التكرار إلى :

- تكرار كلمات , مثل : (إذا ذكرني عبدي خاليا ذكرته خاليا وإذا ذكرني في ملأ ذكرته

في ملأ خير من الملأ الذي ذكرني فيه) (642), (أنفق أنفق عليك) (643) ..

- تكرار جمل و نماذج هذا النوع كثيرة ففي الحديث القدسي (يا عبادي إني حرمت الظلم

على نفسي وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته

فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم

عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر

الذنوب جميعا غير الشرك فاستغفروني أغفر ...) (644) . فقد تكرر هذا التركيب كذا مرة

.. و هذا النوع من التكرار قد يشي بإثارة انتباه المتلقي حتى يميز بين النصوص التي

يتفاعل معها . و هو بهذا يرمي إلى إحقاق تكاملية بين قواعد الربط و قواعد التناهي . و

لهذا فإن الجملة المكرورة في نص من النصوص قد تؤدي جملة من الوظائف النصية و

تحقق مهامات تواصلية , بحيث قد تكون ختاما لسلسلة كلامية كالتعجب مثلا .. و قد

يسنهل بها الكلام فتحتل بدايته , فتمهد بذلك إلى لمضمون الكلام و تهيب له المتلقي الذي

تضعه في جو من الاستعدادية النفسية لتلقي رسالة لغوية . دون أن ننسى الدور التكتيفي

641 - محمد منير الدمشقي الأزهرى : الإحافات السنوية بالأحاديث القدسية , ص : 10 .

642 - المرجع نفسه , ص : 18 .

643 - المرجع نفسه , ص : 106 .

644 - المرجع نفسه , ص : 262 .

الدلالي الذي تولده تكرارية الجملة ، إضافة إلى ألوان الدلالات الفرعية التي تحيط وحدة الدلالية الكبرى المؤسسة لحقيقة النص .

إن هذا التكرار ليحقق فائدة عظيمة حينما يكرر المتحدث اللفظ ، إذ أن الكلام عند ذلك يبتعد عن الافتقار إلى ما يكمله ، ومن ذلك ما يذهب إليه حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء حينما يتحدث عن أبيات الخنساء : (بسيط)

وإن صخرًا لوأينا وسيدنا وإن صخرًا إذا نشتو لنحار

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فيقول (ولو قالت وإنه لتأتم الهداة به فأضمرت ، لكان البيت ناقصا مفتقرا . وإنما أظهرت

لفظ

صخرثانيا وثالثا تباعدا عن الافتقار ..) (645) .

ب / - تكرار اللفظ و المعنى مع اختلاف المرجع

و ينظر إليه على انه (.. تكرار معجمي غير مقترن بالتكرار من حيث المفهوم ، حيث يتكرر استعمال كلمتين بمعنيين مختلفين ..) (646) ، وفي هذا اللون التكراري الكلي يكون فيه مسمى المكرورات متعددة . و إذا شئنا أن نضرب أمثلة نموذجية على ذلك (إذا تقرب إلى العبد شبرا تقربت إليه ذراعا وإذا تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا وإذا أتى إلي مشيا أُتيته هرولة) (647) . و من صورته ما اتفق لفظه و افترق معناه (المشترك اللغوي) ، و كذلك الجنس التام ..

2 - التكرار الجزئي

645 - حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص 278 .

646 - عزة شبل محمد : علم لغة النص ، النظرية و التطبيق ، ص : 107

647 - محمد منير الدمشقي الأزهرى : الإتحافات السنوية بالأحاديث القدسية ، ص : 29 .

و يقصد به (تكرار عنصر سبق استخدامه و لكن في أشكال و فئات مختلفة)⁶⁴⁸ أو هو (الاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي)⁽⁶⁴⁹⁾ , وقد أطلق عليه دي بوجراند و دريسلر (التكرار الجزئي)⁽⁶⁵⁰⁾ , و يمكن توضيح هذا النمط من خلال استخدام (..المكونات الأساسية للكلمة (الجذر الصرفي) مع نقلها إلى فئة أخرى , مثل : ينفصل - انفصال ..)⁽⁶⁵¹⁾ .

و يراد بالتكرار الجزئي : (إعادة عنصر لغوي قد سبق استخدامه و توظيفه)⁽⁶⁵²⁾ , إلا أن هذه التوظيفية للعنصر اللغوي قد اتخذت أشكالاً متنوعة و تصورت في فئات مختلفة , وذلك حينما يكرر المتحدث الأمر المتحدث عنه لكن بغير لفظه بل بالمرادف مثلاً , ومن صورها : الإعادة من خلال الضمائر :

تتمثل الإعادة بالضمير في أن يتطلب المقام لفتنا لنظر القارئ/ المستمع , ليكون متابعاً لسياق مترابط متكامل , بأن يعيد حديثه ولو بجزء منه متمثلاً في ذكر الضمير المحيل إلى الأصل , وقد مر بنا الحديث عن الضمائر كواحدة من أنواع الإحالة . الإعادة الضمنية : وهي إعادة لا يلجأ فيها المتكلم إلى ذكر اللفظ مرة ثانية , ولا إلى ذكره بالضمير وإنما يتحدث عنه ضمناً ..

و مثال ذلك (أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ومن ثبتها ثبتته إن رحمتي سبقت غضبي)⁶⁵³ .

3 - المرادف

-
- 648 - أحمد عفيفي : نحو النص , اتجاه جديد في الدرس النحوي , ص : 107 .
649 - جميل عبد المجيد : علم النص , أسسه المعرفية و تجلياته النقدية , ص : 146
650 - جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية , ص : 82 .
651 - عزة شبل محمد : علم لغة النص , النظرية و التطبيق , ص : 106 .
652 - الأزهر الزناد , نسيج النص , بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً , ص 107 .
653 - محمد منير الدمشقي الأزهرى : الإتحافات السنوية بالأحاديث القدسية , ص : 70 .

الكثير من علماء الدلالة يستعملون مصطلح (.. الترادف بمعنى : المعنى نفسه ..) (654) . ويعتبر من خلال ما وصل إليه التفكير اللغوي الحديث (.. وسيلة أخرى من وسائل تماسك النص عن طريق استخدام كلمات لها معنى مشترك ..) (655) و يتحقق بـ(تكرار المعنى دون اللفظ) (656) كقولنا : لا إله إلا الله وحده لا شريك له , فالمعنى المستفاد من المعنى الأول (لا إله إلا الله) هو المعنى نفسه أو يقرب من المعنى المستفاد من الشطر الثاني و هو (وحده لا شريك له) حيث حصل الترابط من خلال الترادف المعنوي . ويعود (استخدام الترادف بدلا من التكرار المباشر للكلمة إلى نفي الشعور بالضجر و الملل ..) (657) و بث بدلا عن ذلك الدينامية و التنوع و التجدد المستمر طلبا للحفاظ على تفاعلية المتلقي أكبر قدر ممكن من الوقت و هي في حركية مع الخطاب/النص ...

و قد يتشكل في الصورتين الآتيتين :

أ / - المرادف : دلالة و جرسا

إن الترادفية المقصودة هنا هي التي تمس البعد الدلالي و الجرسى الشكلي للكلمات , و من ثمت يبدو التكرار هذا عبارة عن إعادة للفظين مثلا اللذين يحملان دلالة واحدة , بل تتعدى هذه المشاركة المعنى لتصل إلى المستوى الإيقاعي . فتشترك الألفاظ المترادفة في بعض الأصوات و الميزان الصرفي كذلك ...
مثال ذلك : مجيد = أثيل .
جميل = مليح .

654 - ف . بالمر : علم الدلالة , ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة , كلية الآداب . الجامعة المستنصرية , ص : 103

655 - عزة شبل محمد : علم لغة النص , النظرية و التطبيق , ص : 107 .

656 - جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية , ص : 82.

657 - عزة شبل محمد : علم لغة النص , النظرية و التطبيق , ص : 107

يستره = يحجبه .

أ / - المرادف : دلالة لا جرسا

و هو اللون الذي تتشارك فيه الألفاظ من حيث جانب المعنى , و لكن من دون أن يصل مستوى التطابقية درجة التماهي الجرسى , و رغم ذلك فهو(.. يخضع لمنطق يهيكله) و على هذا الأساس (.. يمكن أن يتحقق بالنسبة للكلمات التي تبدو متقاربة جدا و يعجز الشخص عن تحديد الفروق بينها .. و أمثلة ذلك من اللغة العربية : يثب مع يقفز , يجري مع يعدو , مضيء مع منير. .. كما يمكن أن يمثل له بالكلمات الأربعة : عام - سنة - حول - حجة , و كلها وردت في القرآن الكريم ...) (658) ,.... و مثال ذلك : (أيما عبد من عبادي يخرج مجاهدا في سبيلي ابتغاء مرضاتي ضمننت له أن أرجعه إن رجعت بما أصاب من أجر أو غنيمة وإن قبضته أن أعفر له و أرحمه وأدخله الجنة) (659) , و الملاحظ هنا أن لفظة (أعفر) و (أرحم) قد تشاركتا من حيث الدلالة و المعنى , إذ بينهما قواسم دلالية مشتركة يفرضها الخطاب/النص نفسه انطلاقا من مقاصده أو سياقه الداخلي خاصة ..

4 - شبه التكرار

و هو ظاهرة قريبة جدا من المحسن البديعي اللفظي المسمى الجناس الناقص في عالم البلاغة إذ يتجسد على مستوى الشكل الصوتي , و هو بذلك يكون في إطار منظور التكرار قائم في طبيعته على الافتراضية و التوهم التماثلي , إذ تفتقر فيه العناصر العلائقية المؤسسة للتكرار المحض . و بالتالي فإن تكرار بعض الوحدات و الوقائع اللغوية يضيف على الإحساس شعورا مهيمنا متجانسا بفعل صنعة وحدة صوتية إيقاعية

658 - أحمد مختار عمر : علم الدلالة , عالم الكتب , ط5 : 1998 م ص : 230 و 231 .

659 - محمد منير الدمشقي الأزهرى : الإتحافات السنوية بالأحاديث القدسية , ص : 106 - 107 .

, بفضل تكرار خفي لكنه على المستوى الصوتي , و هو بهذا ليس تكرارا حقيقيا و إنما يتقاطع معه في بعض الأغراض و الأهداف و بالتالي عده شبه التكرار . و المثال الآتي يوضح ذلك :

(لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم اكن قد قدرته ولكن يلقيه النذر إلى القدر وقد قدرته استخرج به من البخيل فيؤتيني عليه ما لم يؤتيني عليه من قبل) (660).

(يا عيسى إني باعث من بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حطم ولا علم قال يا رب كيف يكون هذا لهم ولا حطم ولا علم قال أعطهم من حلمي و علمي) (661)

و رغم كونه شبه تكرار إلا أنه يحمل طاقات فنية معتبرة تعمل على شد انتباه المتلقي و أسر أحاسيسه , و في الوقت نفسه تسهم إلى حد بعيد في جعل أجزاء النص في غاية التماسك و التشاد و حيث جاء الحرف (راء) بخصائصه الصوتية المميزة . و هذا الأمر كذلك فعله حرفا (اللام - الميم في الحطم / العلم) الذي حواهما الحديث القدسي الثاني , و من هذا المنطلق يمكننا أن ننظر إلى هذا اللون من التكرار بأنه تكرار صوتي و يعود الفضل في ذلك إلى تلك المقاطع الصوتية أو وحداتها التي نسجت نوعا من الرابطة المعنوية ذات الطابع الإيقاعي بين مكونات النص كله ..

5 - الكلمة الشاملة (الأساس المشترك) :

من الوسائل اللغوية المحققة للترابط بين كلمات الخطاب/النص و مكوناته الكلمة الشاملة حيث تملك قدرة متميزة تعمل على صناعة الاتساق و التماسك و الاستمرارية و الفاعلية التواصلية بين الرسالة و المتلقي , وهذه الظاهرة القائمة على علاقة الشمولية و المشمولية/الانضواء هي (عبارة عن اسم يحمل أساسا مشتركا بين عدة أسماء , و من

660 - محمد منير الدمشقي الأزهرى : الإتحافات السنوية بالأحاديث القدسية, ص : 231 .

661 - المرجع نفسه , ص : 263 .

ثم يكون شاملا لها) (662) و مثالها الأسماء نحو : الرجل الشخص , المرأة , الولد , البنت , الطفل , العبد.. إلخ (إذا تقرب إلي العبد شبرا تقربت إليه ذراعا وإذا تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا وإذا أتى إلي مشيا أتته هرولة) (663) , و هي أسماء يشملها جميعا اسم شامل لها , و يحتويها جميعا باندرجها ضمنه و هو الاسم (إنسان) .. فكلمة (إنسان) تمثل الكلمة الشاملة أما باقي الكلمات الأخر فهي بمثابة الكلمة المشمولة المنضوية لأنها تقوم بوظيفة تحدد و تخصيص الكلمة الأكثر تعميما/الكلمة الشاملة .. هذا لا يعني أن الكلمات المشمولة لا تملك بالضرورة القابلية على أن تنضوي تحتها كلمات أخر , و من ثمت تصير شاملة و ما انضوى تحتها مشمولاً و هكذا دواليك .. سلسلة من الروابط و التعالقات المحكومة من خلال بنية دلالية علائقية واحدة . و على هذا الأساس (.. يمكن اعتبار الكلمات الشاملة و الكلمات المنضوية أنها من قبيل الترادف أحادي الجانب أو التضمين أحادي الجانب) (664) ...

6 - الكلمة العامة :

هناك - كذلك - نوع أخر من العناصر اللغوية/الكلمات لها حضور قوي و مشاركة فعالة في تجسيد اتساقية الخطاب/النص و استمراريته الإبلاغية أطلق عليها اسم : الكلمة الشاملة و هي من حيث المفهوم التصوري (.. مجموعة صغيرة من الكلمات لها حالة عامة , و تستخدم كوسائل للربط بين الكلمات في النص) (665) , لها القدرة ليس على الإحالة و الإشارة إلى كلمات أو عبارات سابقة فقط و إنما إلى الخطاب /النص السابق بكامله . و على الرغم من محدوديتها من حيث العدد /الكم إلا أنها تلعب دورا لا يستهان به في تحقق نوع من الترادف من خلال الإحالة إلى عنصر آخر , و على هذا يمكن النظر

662 - جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية , ص : 83

663 - محمد منير الدمشقي الأزهرى : الإتحافات السنوية بالأحاديث القدسية , ص : 29 .

664 - عزة شبل محمد : علم لغة النص , النظرية و التطبيق , ص : 108

665 - المرجع نفسه , ص : 108

إليها على أنها (.. كلمات فيها من العموم و الشمول ما يتسع بكثير عن الشمول الموجود في (الاسم الشامل)) (666) و مثال ذلك كلمة (ابن آدم) في هذا الحديث القدسي : (يا ابن آدم إذا ذكرتني خاليا ذكرتك خاليا وإذا ذكرتني في ملا ذكرتك في ملا خير من الذين تذكرني فيهم) (667) , أو مثل قولنا : (الكائنات الحية) للإشارة إلى الكائنات البشرية و الحيوانية و النباتية .

5 - تكرار نظم الجملة (التكرار الجراماتيكي)

من ناحية المفهوم فهو عبارة عن تكرار يتجلى على مستوى نظم الجملة بحيث تتجلى في كيفية واحدة , و يراد بهذا المفهوم أن تكرار يكون للطريقة و الأسلوب الذي تتأسس على غرارها الجملة أو شبه الجملة و تبني . أما الوحدات المعجمية التي تتشكل منها الجملة و تتألف فتكون مختلفة و وهذه الظاهرة كما تتمظهر في الشعر بشكل متواز , فإن النثر هو الآخر فضاء يتسع وهكذا تكرار ... (شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فقله إن لي ولدا وأنا الله الواحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد وأما تكذبه إياي فقله ليس يعيدني كما يداني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته) (668) .

و الربط بين مفهوم التكرار الجراماتيكي و مفهوم التوازي إذا ما أردنا فعل ذلك , يقتضي منا أن نوكد حقيقة أن تكرار نظم الجملة في هذا المستوى بالنسبة لمفهوم التوازي يعتبر نوعا من هذا الأخير و شكلا من أشكاله . لأن طبيعة التوازي عبارة عن مركب ثنائي التكوين , لا يمكن معرفة أحد الطرفين إلا إذا انجلى الطرف الآخر , و هذا الأخير تحكمه علاقة ترابطية مع الطرف الأول تعد هذه العلاقة أقرب إلى التشابه و التماثل , و لكن ليس إلى درجة التطابق الكلي الشامل . و مثال ذلك (إذا ذكرني عبيدي

666 - جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية , ص : 83.

667 - محمد منير الدمشقي الأزهرى : الإتحافات السنوية بالأحاديث القدسية , ص : 242 .

668 - المرجع نفسه , ص : 132 .

خاليا ذكرته خاليا وإذا ذكرني في ملاً ذكرته في ملاً خير من الملاً الذي ذكرني فيه (669)

هذه الثنائيات من الجمل يتجلى فيها هذا النسق الترابطي المثير للانتباه ، مما يزيد في المتلقي جذبا و إثارة و إحساسا بالوحدة الدلالية الكبرى المهيمنة على النص و من ثمة إلى الترابط النصي الشديد الإحكام ...

و الذي ننتهي إليه هو أن الفكر اللغوي العربي القديم قد اهتم بظاهرة التكرار في شتى مستوياتها الداخلية منها و الخارجية ، و بذلك لم يكن بعيدا عما يطرح اليوم من قبل علماء الخطاب/النص ، فقد كانت بينهما نقاط تقاطع و التقاء كثيرة مما تقدم ذكره سواء أكان ذلك على مستوى المفهوم و التداول أو على مستوى التوظيف المصطلحي و لا مشاحة في اختلاف الألفاظ متى اتضحت المسميات . ، فالتكرار عند الفريقين من أهم الآليات المحققة لتماسك الخطاب/النص و انسجام مكوناته و أجزائه ، لأنه (زيادة على كونه يؤدي وظائف دلالية معينة، فإنه يؤدي كذلك إلى تحقيق التماسك النصي، وذلك عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره) (670)... كما تبين مما سلف أن الظاهرة التكرارية تحكمها قوانين دقيقة و نواميس مضبوطة ، بحيث أنه لا يقوم بوظيفته بفاعلية إلا إذا روعي و أعطي العناية التي تناسبه و نظر لدوره في تحقيق تماسك البنى النصية و تفاعلها فيما بينها ، انطلاقا من كونه إحاحات مهمة من اللفظ أو المعنى يريده المرسل و يعنيه أكثر من غيره ، خاصة إذا (.. حال بينه وبين ما يتعلق به فاصل جعله مظنة النسيان، أو ضعف العلاقة بما يتبعه من خبر أو فاعل أو جواب، فإذا أعيد صدر الكلام إلى الذاكرة، اتضحت العلاقة بما يليه وينتمي إليه) (671) . و من ثمت فالتكرار ذو بعد تواصلية/نفسية يتجلى من خلال الضغط على عنصر لغوي واحد بغية الوصول إلى وضعية لسانية قائمة على التأكيد الشكلي و الدلالي و التوافق الانسجامي لاستمرارية

669 - محمد منير الدمشقي الأزهرى : الإتحافات السنوية بالأحاديث القدسية ، ص : 19 .

670 - صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ج2، ص : 22 .

671 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني ، ص : 130 - 132 ..

الخطاب/النص و تواصله ... دون أن ننسى الوظيفة التداولية العاملة على تقوية البعد الإعلامي و تكثيفه و ذلك بإثارة الحس الاستشراقي التوقعي لدى (المتلقي) للمواقف الجديدة و إغناء مقصدية المرسل في استراتيجية تواصلية هادفة ..

التكرار ودوره في التماسك النصي:

التكرار بمختلف أشكاله اللفظية و الدلالية يؤدي أغراضا دقيقة نحوية و دلالية و تداولية كذلك , فالخطاب مهما كان جنسه يقتضي وجودا - بمقدار - لظاهرة التكرار فيه , تخضع لتوجيهه و سلطان منظوماته انطلاقا من كونه بنية كلية قائمة بذاتها . و على الرغم من أن (الربط بواسطة التكرار بإعادة الكلمة نفسها أو بأنواعه الأخرى يحصل عندما يحيل اللفظ الثاني المكرر إلى اللفظ الأول مما يحدث نوعا من الربط بين الجملتين التي حدث فيهما التكرار في إطار النص , و هو نوع من الربط البدهي الذي يقوم في حقيقته على مبدأ التشابه و التماثل حين تلحق التماثلات أو المتشابهات من الأشياء ببعضها)⁽⁶⁷²⁾ , فالإفراط فيه و المبالغة في استعماله من دون مراعاة لمقتضيات حال و مقام الحدث اللغوي (يؤدي إلى تقلص الإعلامية , كما يعد عيبا بلاغيا معروفا لدى النقاد , هذا بالإضافة إلى ما يظهره من فقر لغوي قد يؤدي إلى عدم قبول النص)⁽⁶⁷³⁾ , لكن التكرار المعتدل يبقى من أهم الظواهر المتدخلة في (تحقيق السبك النصي)⁽⁶⁷⁴⁾ و تماسكه , و هي مسألة تتسم بها اللغات عامة واللغة العربية خاصة) .. في الكلام الشفاهي , يستعمل من أجل تقرير وجهة نظر معينة و توكيدها , أو للتعبير عن الدهشة , أو لتدعيم السبك النصي (...)⁽⁶⁷⁵⁾ . و لهذا فالتكرار (زيادة على كونه

672 - جمعان بن عبد الكريم : إشكالات النص , دراسة لسانية نصية , النادي الأدبي بالرياض و المركز الثقافي العربي , ط1 : 2009 م , ص : 359 .

673 - حسام أحمد فرج : نظرية علم النص , رؤية منهجية في بناء النص النثري , ص : 108 .

674 - المرجع نفسه , ص : 107 .

675 - المرجع نفسه , ص : 107 .

يؤدي وظائف دلالية معينة، فإنه يؤدي كذلك إلى تحقيق التماسك النصي، وذلك عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره (676). و بذلك يؤكد الربط و الترابط و يقويهما .

على أن من بين أهم وظائفه العاملة على تماسك الخطاب/النص و اتساقه هو أن يستعمل (من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص . و يشترط لتحقيق هذه الوظيفة شرط أساسي , و هو أن يكون لهذا الملمح (العنصر) المكرر نسبة وردود عالية في النص تميزه عن نظائره ..)(677) من الآليات المجسدة للتماسك النصي و تلاحمه . و هذا لا يعني أن التكرار محصور في الوظيفة المذكورة آنفا , و إنما تمتد (.. لأمن اللبس .. لإعاش الذاكرة , وهو ما يعرف بالتكرار أو إعادة صدر الكلام , بعد أن حال بينه وبين ما يتعلق به فاصل جعله مظنة النسيان، أو ضعف العلاقة بما يتبعه من خبر أو فاعل أو جواب، فإذا أعيد صدر الكلام إلى الذاكرة، اتضحت العلاقة بما يليه وينتمي إليه)(678) . كل ذلك , و غيره , جعل علماء النص المحدثين يؤكدون دور التكرار في تحقيق التماسك السطحي/الشكلي و العميق/الدلالي في الخطاب/النص , إذ يتدخل في تشكيل البنى النصية من خلال النظم المختلفة التي تتعاقب و التكرار و تتبادل معه التأثير و التأثر , سواء أكان ذلك على مستوى الحروف أو الكلمات أو المتتاليات الجمالية ... هذا يعني أن التكرار العشوائي و غير الهادف لا يؤدي بداية إلى تشكيل شيفرات الخطاب/النص , و لا إلى تماسكه و استمراره و حسن تلقيه ..

676 - صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج2، ص : 22.

677 - حسام أحمد فرج : نظرية علم النص , رؤية منهجية في بناء النص النثري , ص : 107 .

678 - تمام حسان، البيان في روائع القرآن , دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني ، ص : 130 - 132 .

الوصل

عندما يتحدث الدارس - عادة - عن الوصل والفصل فإنما هو يتحدث عن علاقة من علاقات الربط التي من (وظيفتها إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التي تعين على الوصول إلى هذه الغاية ...) (679). كما ينبغي وراء ذلك تجلية آلية واحدة من أهم آليات التماسك بين الجمل فيما بينها ، و الترابط بين المتتاليات الجمالية التي تؤلف في مجملها نصوصا متضامة . و لهذا يعد العطف من أهم الظواهر اللغوية التي تعمل على ربط مكونات الفعل اللغوي و أجزائه ، و العاملة على إخراجها في صورة خطاب/نص ، أي عطف الجمل بعضها على بعض أو ترك العطف فيها ، والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى . فالعطف ضرب من الوصل ، وترك العطف نوع من الفصل .

وقد بلغ الوصل والفصل من القوة و الأهمية - معرفة و استعمالا - في التفكير البياني العربي إلى درجة أن أعتبر حدا للبلاغة ، (فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال : معرفة الفصل من الوصل . ذاك إلا لغموضه و دقة مسالكه ، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة) (680) .

الوصل و الفصل لغة و اصطلاحا :

الوصل لغة من مادة : (و . ص . ل) ، يقول ابن فارس (الواو و الصاد و اللام ، أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه . و وصلته به وصلا . و الوصل : ضد الهجران ... و الواصلة في الحديث : التي تصل شعرها بشعر آخر زورا .. و من باب الوصلة : العمارة و الخصب ، أنها تصل الناس بعضهم ببعض ..) (681) . و قد

679 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية و أسلوبية للنص القرآني ، ص : 109 .

680 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص : 174 .

681 - ابن فارس : مقاييس اللغة ، ج : 06 ، ص : 115 - 116 .

جاء في لسان العرب : (نقول وصل الشيء إلى الشيء وصولاً و توصل إليه بمعنى انتهى إليه و بلغه . و الوصل ضد الهجران ...) (682) .

و في القرآن الكريم (و لقد وصلنا لهم القول) (683) ، أي وصلنا ذكر الأنبياء و أقاصيصهم من مضي بعضها ببعض .

2 - الفصل لغة من مادة : (ف . ص . ل) ، و هي من حيث المعنى المعجمي كما حدده ابن منظور (.. بون ما بين شيئين ، و الفصل من الجسد موضع المفصل . و بين كل فصلين وصل ، و أنشد فيه بيتاً من الشعر :

وصلا و فصلا و تجميعاً و مفترقا فتقا و رتقا و تأليفا الإنسان ..) (684) .

و قد وردت لفظة الفصل في القرآن الكريم مرات عديدة ، منها قال تعالى (هذا يوم الفصل جمعناكم و الأولين) (685) . أي هذا يوم يفصل فيه بين المحسن و المسيء و يجازى كل بعمله و مت يفضل الله به على عبده المسلم .

يقول الفيروزآبادي : (الفصل الحاجز بين الشيئين) (686) . و (فصل الشيء فانفصل ، أي قطعه فانقطع ..) (687) .

و جاء في الكليات أن الفصل (فصله فصلا : ميزه . و فصل فصولاً : انفصل . و يقال فصل فلان عندي فصولاً : إذا خرج من عنده ... علامة تفريق ..) (688) .

مفهوم الفصل والوصل

أن مبحث (الفصل و الوصل) لم توجد له دراسة تعرف به ، من جميع الجوانب ، محددة المعالم في كتب البلاغة أو الأدب التي عاصرت دورة نشأة البحث البلاغي ، و لكن

682 - ابن منظور : لسان العرب ، ج 15 ، ص : 224 .

683 - سورة القصص ، الآية : 01 .

684 - ابن منظور : لسان العرب ج 15 ، ص 188 .

685 - سورة المرسلات ، الآية : 38 .

686 - الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، دار الكتب العلمية ، ط 2 : 2007 م ، ص : 1054 .

687 - الرازي : مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، ص : 211 .

688 - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات ، ص : 686 .

من الممكن استخلاص تعريف دقيق و مناسب لما نحن بصدد معالجته ، مما ذكره الكثير من المؤلفين البلاغيين خاصة ، علما بأن بعض الدراسات الحديثة تشير في شيء من الثقة أن الجاحظ يعد ، مقارنة بغيره ممن تناول (الفصل و الوصل) بالذكر أو الدراسة و التحليل ، أول من أشار إلى مبحث الفصل و الوصل ، و لكن كانت إشارة مقتضبة و سريعة، وأن الجرجاني هو أول من قام بوضع الأسس الأولى لموضوع الفصل و الوصل في تصور علمي منظم و محدد ، اعتمد فيه على التنسيق و التفصيل و و التحليل و التعليل و التبيين و التعريف ، وقد استفاد البلاغيون بعده مما توصل إليه سبره ، وخاصة من هؤلاء السكاكي الذي تأثر كثيرا بالجرجاني ، و رؤيته للمبحث و استفاد منه (.. و لا نرتاب بأن أول من أبان عن أسراره ، و كشف عن أكام أستاره ، و أسعد بشذا أزهاره ، كان الإمام عبد القاهر – رحمه الله – في كتابه (دلائل الإعجاز) (689) . و (الوصل عطف بعض الجمل على بعض و الفصل تركه..)(690) ، و هو كذلك (... عطف جملة على جملة بالواو . و الفصل : ترك هذا العطف.)(691) ، و يمكننا الجمع بين التعريفين السابقين في أن (الفصل و الوصل هو العلم بمواضع العطف ، أو الاستئناف ، و التهدي إلى كيفية إيقاع حرف العطف في مواقعها ، أو تركها عند عدم الحاجة إليها .)(692) ، و الملاحظ من هذه التعاريف الثلاثة – (الوصل و الفصل)، أنها تعاريف تكاد تكون واحدة ، ليس من ناحية محتواها فحسب ، بل من جانبها الشكلي التعبيري كذلك ، و هذا يدل على أن التصور العام للموضوع لدى هؤلاء الدارسين متماثل ، إن لم نقل صورة طبق الأصل ، و الملمح الذي أريد أن أشير إليه هنا ، هو أن هذه المفهومات جميعها تسعى إلى تقرير حقيقتين تلازمان (الفصل و الوصل) بداية و انتهاء ، و هما:

689 – فضل حسن عباس : البلاغة فنونها و أفنانها ، دار الفرقان ، ط3 – 1992 م – ص : 393 .

690 – الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، دار المكتبة العصرية – بيروت ، ص : 149 .

691 – عبد القادر حسين : فن البلاغة ، عالم الكتب ، ط 2 – 1984 م ، ص : 250 .

692 – فضل حسن عباس : البلاغة فنونها و أفنانها ، ص : 393 – 394 .

1 — أن الفصل والوصل خاصان بالجمل دون المفردات .

2 — أن الوصل خاص بالواو وحدها من بين حروف العطف .

إن النقطتين اللتين أشرنا إليهما اللحظة ، المستخلصتان من التعريفات السالفة ، تفصيان ، بطريقة أو بأخرى ، قضايا عديدة منها: مسألة (عطف المفردات) و (عطف الجمل التي لها محل من الإعراب) و (العطف بغير الواو) ، و قد علل هؤلاء رأيهم بجملته من التعلات ، لا يسمح ضيق المقام إلى سردها ، لأن الذي نريده من هذا الطرح ، هو تحرير موضوع (الفصل و الوصل) من قيود كثيرة لا تخدم العربية حالا و استقبالا ، و قد أصاب إلى حد بعيد د.بسيوني عبد الفتاح فيود ، حينما رد ، بعلمية و منهجية ، على مبررات هؤلاء الإقصائيين ، إذ قال (.. و هذا الذي ذكروه و إن كان لا يخلو من الصحة ، إلا أننا لا نعدم وجوها دقيقة و أسراراً خفية نجدها كامنة وراء العطف بغير الواو ، كما أننا لا نعدم وجوها أدق و أسرار أخفى تكمن وراء عطف المفردات و الجمل التي لها محل من الإعراب ..)⁽⁶⁹³⁾ و لهذا سنتناول دراستنا — (الفصل و الوصل) الجوانب الآتية :

— عطف الكلمات (المفردات)

— العطف بغير (الواو)

— الوصل و الفصل بين الجمل

— محسنات الوصل

1_ — عطف الكلمات (المفردات)

يعد العطف من (عبارات البصريين ، و هو مصدر إذا أملتة إليه ... ز النسق من عبارات الكوفيين ، و هو من قولهم : ثغر نسق ، إذا كانت أسنانه مستوية ، و كلام

⁶⁹³ — بسيوني عبد الفتاح فيود : علم المعاني دراسة بلاغية و نقدية لمسائل المعاني ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع — القاهرة — ط 3 ، 2004 م ، ص : 345 — 346 .

نسق إذا كان على نظام واحد . فلما شارك الثاني الأول و ساواه في إعرابه , سمي نسقا (694) .

إن العلائقية القائمة بين المفردات , في تصور الكثير من علماء البلاغة , لا تحقق وجودها الفعلي إلا من خلال تحليها بخاصتين متفاعلتين و هما : التناسب و التجانس , و يضربون لذلك العدد الكبير من الأدلة المستقاة من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو كلام العرب الفني .. إلا أن (..هذا الذي ذكره غير سديد و لم يسلم لهم لأن التناسب بين الألفاظ و التلاؤم و التجانس بين الكلمات مطلوب سواء أعطت هذه الكلمات أ لم تعطف .. فالمتكلم ينبغي له أن يراعي التناظر و التجانس و التآلف بين ألفاظه و ألا يباعد في القول ..) (695) , و عليه ليس من عين الصواب أن تؤول كل النماذج تأويلا واحدا مما قد يذهب بروعة الإبداع أو قد يحط من قدر الأسلوب , فعلى كل من ينبغي للبحث عن الأسرار الأسلوبية و اللطائف المبتوثة فيه , فيما يتعلق بعطف المفردات , ألا ينطلق من أفكار مسبقة و قناعات ماضوية مكتسبة , ثم يبحر في العمل الفني , فيحد من فيوضاته و يكبت طاقاته الكامنة فيه , و بالتالي تعطل فعل الإمتاع و الموائسة بين الأطراف الثلاثة خاصة (المبدع) و (النص) و (المتلقي) , و مثال ذلك قوله تعالى { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (696) .. و الذي ننهي به هذه الأسطر هذه الإلتفاتة المهمة و هي أنه (.. عندما ننظر في المفردات المعطوفة , و ترتيبها في الكلام و تقديم ما قدم منها و تأخير ما أخر , نجد كثيرا من الدقائق و اللطائف و الاعتبارات البلاغية ..) (697) , و مثال ذلك قوله تعالى (أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

694 - ابن يعيش : شرح المفصل , ج 5 , ص : 03 .

695 - بسيوني عبد الفتاح فيود : علم المعاني دراسة بلاغية و نقدية لمسائل المعاني , ص : 348 .

696 - سورة الأنعام , الآية : 162 .

697 - بسيوني عبد الفتاح فيود : علم المعاني دراسة بلاغية و نقدية لمسائل المعاني , ص : 352 .

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (698) .

2 - العطف بغير (الواو)

قد يجول في خاطر القاريء السؤال الآتي : لماذا الواو و حدها من بين بقية حروف
العطف الأخرى ؟ و هل لحروف العطف الأخرى لطائف أسلوبية و أسرار تنكشف في
تركيب و تغيب في آخر ؟ و الإجابة طبعاً تنطلق من السؤال الأول , فقد خص الأقدمون
الواو بداية لأنها (... وحدها من بين حروف العطف هي التي ليس لها أي معنى آخر
, من هنا اختصت في مباحث الفصل و الوصل , أما غيرها من الحروف , فلا يحتاج إلى
كثير ذكاء , لأننا إذا أردنا التعقيب جئنا بالفاء , أو التراخي جئنا بثم ..(699) . و هكذا
دواليك , أما مضمون السؤال الثاني فإن الرد عليه ينطلق بداية من ذكر حقيقة أن
للسياق دور مهم في خلق الجماليات الأسلوبية و ضخ المبررات المعقولة و المنطقية فيما
يخص جانب الاختيار الذي ينزع إليه (الناصر) دون غيره , و بالتالي فهو يتدخل بطريقة
أو أخرى في تحديد الكيفيات الأنسب و الأجمل و الأشد تأثيراً فيما يتعلق بـ(الفصل و
الوصل) , من ثمة يبين حرف العطف الأنسب لهذه المهمة , و الذي لا يستطيع غيره
أداءها , و لهذا يتحتم توظيفه دون غيره , و من هنا يصير جلياً (...أن العطف بغير
الواو يكمن وراءه من الدقائق و الأسرار و اللطائف ما ينبغي إظهاره و تجليته , و لا
يمكن إغفاله و التغاضي عنه .) (700) . و مثال ذلك قوله تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ

698 - سورة النساء , الآية : 01 .

699 - فضل حسن عباس : البلاغة فنونها و أفنانها , ص : 397 .

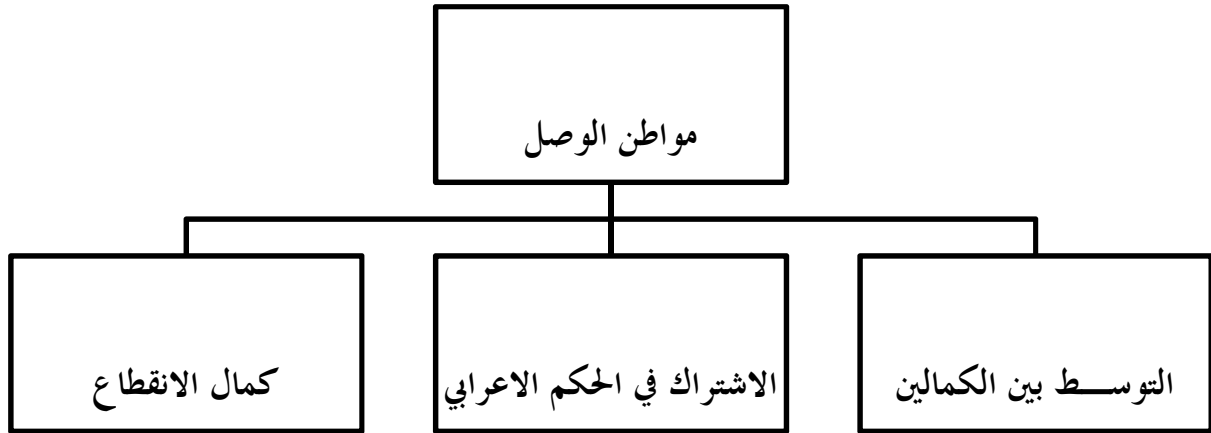
700 - بسيوني عبد الفتاح فيود : علم المعاني دراسة بلاغية و نقدية لمسائل المعاني , ص : 348 .

مُضْغَةً فَخَلَقْنَا كَلْمُضْغَةً عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ (701) .

أن تأتي الجملة الثانية جوابا عن سؤال فهم من الجملة الأولى

مواطن الوصل

للوصل ثلاثة مواطن :



الأول : التوسط بين الكمالين .

و يتحقق ذلك بين الجملتين (... إذا اتفقتا خبرا أو إنشاء , و كانت بينهما جهة
جامعة , أي مناسبة تامة , و لم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما ..) (702) .

أمثله :

(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ
مُسْتَهْزِئُونَ) (703) .

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) (704) .

701 - سورة المؤمنون , الآية : 12 - 14 .

702 - عبد العزيز عتيق : علم المعاني , دار الآفاق العربية - القاهرة - ص : 141 .

703 - سورة البقرة , الآية : 14 .

704 - سورة الانفطار , الآية : 13 - 14 .

الثاني : الإشراك في الحكم الإعرابي.

و هنا تعطف الجملة الثانية على جملة لها محل من الإعراب (و تفصيل ذلك انه إذا أتت جملة بعد أخرى و كان للأولى محل للإعراب و قصد تشريك الثانية لها في هذا الحكم فانه يتعين في هذه الحالة عطف الثانية على الأولى بالواو , تماما كما يعطف مفرد على مفرد بالواو لاشتراكهما في حكم إعرابي واحد) (705) .

أمثله :

نظرت إلى رجل خلقه حسن و منظره جميل ..فقد أشركت الجملة الثانية (منظره جميل) في حكم الأولى (خلقه حسن) و هو وقوعها في موضع جر صفة للنكرة , و أمثله كثيرة في القرآن الكريم و سائر كلام العرب الفصيح

الثالث : كمال الانقطاع مع الإيهام :

إيصال المعنى واضحا إلى (المتلقي) من الغايات الأساسية للتواصل الإنساني لأن أي خلل يعتري ذلك فإنه قد يسفر على نتائج كارثية , و لهذا يطلب من (الباث) لخطاب ما تختلف الجملتان فيه خبرا وإنشاء , أن يعتمد إلى الوصل ,دفعاً للوهم و سوء التأويل , و لهذا قرر علماء البلاغة أنه (... يجب الوصل بين الجملتين إذا اختلفتا خبرا و إنشاء و أوهم الفصل خلاف المقصود ..)(706) . وضابطه : أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء , لكن لو ترك العطف لأوهم خلاف المقصود .

مثاله :

أتبعني هذا الثوب ؟ لا وعافاك الله .

(4 - محسنات الوصل

و من صور أسلوبية (الفصل و الوصل) أن تنعطف جملة على أخرى و الجامع بينهما هو الاشتراك في النوع , كأن تكون الجملة الأولى اسمية و الجملة المعطوفة أي

705 - عبد العزيز عتيق : علم المعاني , ص : 140 .

706 - المرجع نفسه , ص : 142 .

الجملة الثانية اسمية كذلك , أو أن تكون الأولى فعلية و التابعة لها بالعطف فعلية هي الأخرى , هذا التناسب الوصلي – إن صح التعبير – بين الجملتين يضيف على الأسلوب جمالية فنية , و يكسبها شحنات مشاعرية جراء احتشاد الطاقات ذات النوع الواحد المبنوثة بين : جملة اسمية و جملة اسمية أو جملة فعلية و جملة فعلية , و الذي يربط عقدها و يجعلها متماسكة هي وساطة العطف , و لهذا فهي تملك قدرة و طاقة لها تأثير قوي على (المتلقي) , و الذي نريده هنا , هو أن (... اتحاد الجملتين في الكيفية كأن توكنا اسميتين أو فعليتين أو شرطيتين أو ظرفيتين , ثم في الاسميتين اتفاهما في كون الخبر اسما أو فعلا ماضيا أو مضارعا , و في الفعلين اتفاهما في كونهما ماضويتين أو مضارعتين إلا لداع يدعو إلى التخالف ..)(707) . من أمثلة ذلك قوله تعالى : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّقُ مَنْ تَشَاءُ بِيدِكَ كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (708) .

المنظور البلاغي العربي و النحوي للوصل

1 - المنظور البلاغي

حينما يدخل الإنسان في خطاب تواصلية شفوي أو مكتوب مع الآخر, يتدفق من فيه سيل من الكلمات المتتالية , تنتظم , بنسقية مثيرة , في جمل و تراكيب يتلو بعضها بعضا , في ترابطية مثيرة للانتباه , داعية إلى التأمل و التفكير فيها , فبعض هذه الجمل يقترب من بعضه , و يتراص , و لكن دون رابط عيني يذكر , و البعض الآخر منها يتسلسل و يتقارب و يتجاور و لكن بوساطة روابط مرئية مكتوبة و متنوعة , غيابها من بين الجملتين يحث خلا كبيرا في نسيج الخطاب و يربك منظومة العلاقات الظاهرة و الخفية المكونة لكيونته , ولا يسد مسدها غيرها , لأنه (ليست اللغة مجرد

707 - أحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة , المكتبة العصرية , - بيروت - ط 1 - 2004 م - ص: 141-142

708 - سورة آل عمران , الآية : 26 .

كلمات مرصوفة لا يجمع بينها نظام و إنما هي مجموعة من العلاقات . فعند استخدامنا للغة نعد إلى اختيار الكلمات ثم نؤلف بينها في هيئات تركيبية محكومة بقواعد خاصة ..(709) , و من بين الظواهر اللغوية المجسد بقوة لهذه المسألة , موضوع الفصل و الوصل .

إذا كان التأليف يتجسد في العبارة على مستويين , أحدهما يسمى مستوى الجملة , و ما يعترها و يصحبها من تغيرات , تضي عليه الكثير من الحيوية و المرونية و القدرة على استيعاب المستجدات على اختلاف الأعصر و متطلباته , فإذا كان أمر المستوى الأول كذلك , فإن المستوى الثاني للتأليف إنما يتمثل في تلك الجمل المتلاحقة و المرتبطة بعضها ببعض , تارة برابط معنوي دلالي , و تارة أخرى بأداة من الأدوات – و أخص في هذا المقام – العاطفة و الرابطة لها , و هذا الأمر أساسا يقوم على نظام مقتضيات النظم و إدراك المعاني النحوية خاصة الأدوات العاطفة التي تحقق التلاحم بين شتى الجمل في الخطاب عامة , و من ثمة تتجلى المواقع و المحطات التي يعد فيها ذكر الأدوات الرابطة ضرورة دلالية و جمالية و مقاصدية تتناغم و الحالة النفسية و التجربة الشعورية التي يكون فيها و عليها (الباث) للخطاب , كما يدعو ذلك إلى تبيين المواقع التي يعتبر فيها ذكر الأدوات خروج كلي و انحراف عن سنن اللغة غير مقبول , يخرج بـ(المتكلم) و (الكلام) و (المتلقي) عن فضاء المنظومة التواصلية , يحدث شرخا كبيرا في طبيعة العلاقات المؤسسة للأطراف المشار إليها آنفا ...

و قد اعتبر (الرجائي) و غيره هذا اللون الأسلوبى و التأليف الأدائى , و نقصد به (الفصل و الوصل) , منزلة من أرقى المنازل التي يمكن أن يعلو إليها الراغب في امتلاك ناصية البيان و التبيين , إلا أنها في نظره غاية عزيزة المنال و لكنها ممكنة (اعلم أن العلم بما ينبغى أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها

709 - عاطف مذكور : علم اللغة بين التراث و المعاصرة , دار الثقافة للنشر و التوزيع - القاهرة - , ص : 191 .

, و المجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة و مما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص , و إلا قوم طبعوا على البلاغة , و أوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام , هم بها أفراد...⁽⁷¹⁰⁾ , و لتأكيد ذلك نعد , بداية إلى تحديد المفهوم و التصور العلمي لمسألة (الفصل و الوصل) .

إذا كان التأليف يتجسد في العبارة على مستويين , أحدهما يسمى مستوى الجملة , و ما يعترها و يصحبها من تغيرات , تضي عليه الكثير من الحيوية و المرونية و القدرة على استيعاب المستجدات على اختلاف الأعصر و متطلباته , فإذا كان أمر المستوى الأول كذلك , فإن المستوى الثاني للتأليف إنما يتمثل في تلك الجمل المتلاحقة و المرتبطة بعضها ببعض , تارة برابط معنوي دلالي , و تارة أخرى بأداة من الأدوات – و أخص في هذا المقام – العاطفة و الرابطة لها , و هذا الأمر أساسا يقوم على نظام مقتضيات النظم و إدراك المعاني النحوية خاصة الأدوات العاطفة التي تحقق التلاحم بين شتى الجمل في الخطاب عامة , و من ثمة تتجلى المواقع و المحطات التي يعد فيها ذكر الأدوات الرابطة ضرورة دلالية و جمالية و مقاصدية تتناغم و الحالة النفسية و التجربة الشعورية التي يكون فيها و عليها (الباط) للخطاب , كما يدعو ذلك إلى تبيين المواقع التي يعتبر فيها ذكر الأدوات خروج كلي و انحراف عن سنن اللغة غير مقبول , يخرج بـ(المتكلم) و (الكلام) و (المتلقي) عن فضاء المنظومة التواصلية , يحدث شرخا كبيرا في طبيعة العلاقات المؤسسة للأطراف المشار إليها آنفا ...

و قد اعتبر (الرجاني) و غيره هذا اللون الأسلوبى و التأليف الأدائى , و نقصد به (الفصل و الوصل) , منزلة من أرقى المنازل التي يمكن أن يعلو إليها الراغب في امتلاك ناصية البيان و التبيين , إلا أنها في نظره غاية عزيزة المنال و لكنها ممكنة (اعلم أن العلم بما ينبغى أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها

⁷¹⁰ – عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز , ص : 174 .

, و المجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة و مما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص , و إلا قوم طبعوا على البلاغة , و أوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام , هم بها أفراد...⁽⁷¹¹⁾ , و لتأكيد ذلك نعمد , بداية إلى تحديد المفهوم و التصور العلمي لمسألة (الفصل و الوصل) .

2 - المنظور النحوي ابن هشام نموذجاً

الربط و موقعية الربط عند ابن هشام

انتبهه الدرس اللساني العربي القديم إلى العيد من الظواهر اللغوية و منها ظاهرة الربط في الكلام العربي خاصة و المجتمع اللغوي الإنساني عامة , على الرغم أن بعض الدارسين القدماء كان يستعمل للدلالة على مفهوم الربط مصطلح الوصلة كابن يعيش و ابن هشام مثلاً , و في السياق نفسه أدركوا أهمية الأدوات الظاهرة و غير الظاهرة المحققة لهذه البنية العلائقية الترابطية المشاركة بقوة في نسج الخطاب/النص المرشح لتفعيل ميكانيزمات العملية التواصلية الفاعلة في شتى مستوياتها و على اختلاف مقاماتها و مقالاتها .. إلا أن الذي أفرد في مصنفه عناية كبيرة لأدوات الربط انطلاقاً مما وصل إليه البحث اللغوي العربي في زمانه نجد ابن هشام و ذلك في كتابه (مغني اللبيب) , إذ نجده قد أفرد عنواناً قائماً بذاته لأدوات الربط عنونه بـ : روابط الجملة بما هي خبر عنه و حدها في عشر محطات , كما وضع يده على المواضيع التي يكون فيها الربط في التراكيب العربية و ذلك في أحد عشر موضعاً .. إلا أن الذي يبدو للباحث بعد أن يبتلع بتأن الرصد العلمي لابن هشام لأدوات الربط المحققة لتضام العناصر اللغوية و تماسك مكونات الكلام العربي تنتهي به الملاحظة أن منطلق ابن هشام كان - في غالبه - محصوراً في مستوى نحو الجملة و مكوناتها , و ليس الخطاب/النص هذه الوحدة الدلالية

711 - عبد القاهر الجرجاني : دلالة الإعجاز , ص : 174 .

الكبرى , هذا لا يعني أنه بين الفينة و الأخرى نجده يخرج عن شرنقة هذا المعيار المفهومي لينطلق إلى فضاء نحوي أوسع و إن لم يؤسسه معرفيا و ذلك يظهر في إشارات ضمنية إلى مدى فاعلية أدوات الربط في التواجد عمليا في مساحات تكييية لسانية أوسع من الجملة البسيطة أو الجملة المركبة , و ذلك من حيث سلامة الكلام تماسكا و وظيفة و إفادة تواصلية ..

أدوات الربط

كما أسلفنا فقد عرض ابن هشام في كتابه (مغني اللبيب) لطائفة من وسائل

الربط الشكلية نقدمها موجزة في هذا الجدول الآتي :

توضيحات وتعليقات	نموذج	أداة الربط	
<p>و هو الأصل , و لهذا يربط به مذكورا .. و محذوفا</p> <p>- قد يوجد الضمير في اللفظ و لا يحصل الربط و ذلك في ثلاث مسائل :</p> <p>1 - أن يكون معطوفا بغير الواو , نحو : زيد قام عمرو :فهو أو ثم هو .</p> <p>2 - أن يعاد العامل , نحو : زيد قام عمرو و قام هو .</p> <p>3 - أن يكون بدلا , نحو : حسن الجارية الجارية أعجبتني هو : فهو بدل اشتمال من الضمير العائد على الجارية , و هو في التقدير كأنه من</p>	<p>- زيد ضربته</p> <p>- (إن هذان لساحران)⁽⁷¹³⁾. و تقدير المحذوف مرفوعا (لهما ساحران) ..</p>	(الضمير) ⁽⁷¹²⁾	1

⁷¹² - ابن هشام : مغني اللبيب , ج 2 , ص : 573 .

⁷¹³ - سورة طه , الآية : 63 .

جملة أخرى.			
	(والذين كذبوا بآياتنا و استكبروا عنها أولئك أصحاب النار) ⁽⁷¹⁵⁾ . (والذين آمنوا و عملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة) ⁽⁷¹⁶⁾ .	(الإشارة) ⁽⁷¹⁴⁾	2
و أكثر وقوع ذلك في مقام التهويل و التفخيم .	(الحاقة ما الحاقة) ⁽⁷¹⁸⁾ : .. (أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) ⁽⁷¹⁹⁾ .	(إعادة المبتدأ بلفظه) ⁽⁷¹⁷⁾	3
- إذا كان أبو عبد الله كنية له . أجازه أبو الحسن مستدلا بنحو قوله تعالى (و الذين يمسكون بالكتاب و أقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين) الأعراف ... و أجيب بمنع كون الذين مبتدأ , بل هو مجرور بالعطف على : الذين يتقون , أو ضمير محذوف أي : منهم .	- زيد جاعني أبو عبد الله .	(إعادته بمعناه) ⁽⁷²⁰⁾	4
- فالرابط العموم , لأن المصلحين أعم من المذكورين.	- زيد نعم الرجل - (و الذين يمسكون بالكتاب و أقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين) ⁽⁷²²⁾	(عموم يشمل المبتدأ) ⁽⁷²¹⁾	5

714 - ابن هشام : مغني اللبيب , ج 2 , ص : 575 .

715 - سورة الأعراف , الآية : 36 .

716 - سورة الأعراف , الآية : 42 .

717 - ابن هشام : مغني اللبيب , ج 2 , ص : 575 .

718 - سورة الحاقة , الآية : 01 .

719 - سورة الواقعة , الآية : 08 .

720 - ابن هشام : مغني اللبيب , ج 2 , ص : 575 .

721 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 576 .

722 - سورة الأعراف , الآية : 170 .

	<p>6 - (أن يعطف بفاء السببية جملة ذات ضمير على جملة خالية منه أو بالعكس .)(723)</p> <p>- (ألم تر أن الله أنزل من ماء فتصبح الأرض مخضرة)(724) .</p> <p>- و إنسان عيني يحسر الماء تارة فيبدو , و تارات يحم فيغرق</p>	<p>6</p>
<p>- أجازة هشام و حده ...بناء على أن الواو للجمع , فالجملتان كالجملتان كمسألة الفاء , و إنما الواو للجمع في المفردات لا في الجمل , بدليل جواز : هذان قائم و قاعد , دون : هذان يقوم و يقعد .</p>	<p>- زيد قامت هند و أكرمها .</p> <p>- زيد قام و قعدت هند .</p>	<p>7 (الواو)(725)</p>
	<p>- زيد يقوم عمرو إن قام .</p>	<p>8 (شروط يشتمل على ضمير مدلول على جوابه بالخبر.)(726)</p>
<p>- و هو قول الكوفيين و طائفة من البصريين ..</p> <p>- و الأصل مأواه , و قال المانعون التقدير : هي المأوى له .</p>	<p>- (و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى)(728) .</p>	<p>9 ((أل) النائبة عن الضمير .)(727)</p>
<p>- و من هذا إخبار ضمير الشأن و القصة .</p>	<p>- هجيرى أبى بكر لا إله إلا الله .</p> <p>- (قل هو الله أحد)(730) .</p>	<p>10 (كون الجملة نفس المبتدأ في المعنى .)(729)</p>

723 - ابن هشام : معني اللبيب , ج 2 , ص : 576 .

724 - سورة الحج , الآية : 63 .

725 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 576 .

726 - ابن هشام : معني اللبيب , ج 2 , ص : 577 .

727 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 577 .

728 - سورة النازعات , الآية : 40 - 41 .

729 - ابن هشام : معني اللبيب , ج 2 , ص : 577 .

- (فإذا هي شاخصة أبصار الذين
كفروا)⁽⁷³¹⁾ .

مواضع الربط

فقد حددها ابن هشام في أحد عشر موضعا , كذلك نقدمها في هذا الجدول الآتي :

موضع الربط	الشاهد	الرباط(مذكور/مقدر) و تعليقات
1 (الجملة المخبر بها (⁷³²).(⁷³³)	1 - لولا زيد لأكرمتك . 2 - (فالحق و الحق أقول لأملأن) ⁽⁷³³⁾	- الخبر فيهما محذوف : أي لولا زيد موجود , و الحق قسمي ..
2 (الجملة الموصوف بها (⁷³⁴).(⁷³⁵)	1 - (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) ⁽⁷³⁵⁾ 2 - إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عارا عليك , و رب قتل عار	- لا يربطها إلا الضمير إما مذكورا (كما في الآية) أو مقدرًا(كما في البيان) ... أي هو عار عليك .
3 (الجملة الموصول بها الأسماء) ⁽⁷³⁶⁾ . (⁷³⁷) (⁷³⁸)	1 - (يأكل مما تأكلون منه) ⁽⁷³⁷⁾ 2 - (و يشرب مما تشربون) ⁽⁷³⁸⁾	- لا يربطها غلبا إلا الضمير إلا الضمير إما مذكورا (كما في الآية 1) و إما مقدرًا (كما في الآية 2) ... و الحذف من الصلة أقوى منه من الصفة , و من الصفة أقوى منه من الخبر .
4 الجملة (الواقعة حالا) ⁽⁷³⁹⁾ .	1 - (لا تقربوا الصلاة و أنتم عراة)	- و رباطها إما الواو و الضمير (الآية 1) أو الواو فقط (الآية 2) أو

730 - سورة الإخلاص , الآية : 01

731 - سورة الأنبياء , الآية : 97 .

732 - ابن هشام : معني اللبيب , ج 2 , ص : 578 .

733 - سورة ص , الآية : 84 .

734 - ابن هشام : معني اللبيب , ج 2 , ص : 578 .

735 - سورة الإسراء , الآية : 93 .

736 - ابن هشام : معني اللبيب , ج 2 , ص : 577 .

737 - سورة المؤمنون , الآية : 33 .

738 - سورة المؤمنون , الآية : 33 .

الضمير فقط (الآية 3)	سكاري ⁽⁷⁴⁰⁾ 2 - (لئن أكله الذئب و نحن عصابة) ⁽⁷⁴¹⁾ 3 - (ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) ⁽⁷⁴²⁾ .	
- إذا قدرت الأخ بيانا , فإن قدرته بدلا لم يصح نصب الاسم على الاشتغال , و لا رفعه على الابتداء , و كذا لو عطف بغير الواو .	1- زيدا ضربته , أو ضربت أخاه , أو عمرا و أخاه , أو عمرا أخاه .	5 الجملة (المفسرة) لعامل الاسم المشتغل عنه ⁽⁷⁴³⁾ .
- لا يربطها إلا الضمير ملفوظا(الآية 1) أو مقدرا (الآية 2) أي : فيه .	1- (ثم عموا و صموا كثيرا منهم) ⁽⁷⁴⁵⁾ 2- (من استطاع).	6 (بدلا البعض) ⁽⁷⁴⁴⁾ ..
- لا يربطها إلا الضمير ملفوظا(الآية 1) أو مقدرا (الآية 2) .. أي فيه .. و قيل إن آل خلف عن الضمير : أي ناره . * نبه ابن هشام قائلا : إنما لم يحتج بدل الكل إلى رابط , لأنه نفس المبدل منه في المعنى , كما أن الجمل التي هي نفس المبتدأ لا تحتاج إلى رابط .	1- (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) ⁽⁷⁴⁷⁾ . 2- (قتل أصحاب الأخدود النار) ⁽⁷⁴⁸⁾ .	7 (بدلا الاشتغال) ⁽⁷⁴⁶⁾ ..
- لا يربطها أيضا إلا الضمير , إما	1- زيد حسن وجهه أو وجهها منه .	8 (معمول الصفة)

739 - ابن هشام : معني اللبيب , ج 2 , ص : 580 .

740 - سورة النساء , الآية : 43 .

741 - سورة يوسف , الآية : 17 .

742 - سورة الزمر , الآية : 60 .

743 - ابن هشام : معني اللبيب , ج 2 , ص : 581 .

744 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 582 .

745 - سورة المائدة , الآية : 71 .

746 - ابن هشام : معني اللبيب , ج 2 , ص : 582 .

747 - سورة البقرة , الآية : 217 .

748 - سورة البروج , الآية : 05 .

		المشبهة (749).	- زيد حسن وجهه , أي : منه	ملفوظا به (الشاهد 1) أو مقدرًا (الشاهد 2)
9	(جواب اسم الشرط المرفوع بالابتداء)(750) .	1- (فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه)(751) 2- (فمن فرض فيهن الحج فلا رقت و لا فسوق و لا جدال في الحج)(752) .	- لا يربطها أيضا إلا الضمير, إما مذكورا(الآية 1) أو مقدرًا أو منويا عنه(الآية 2) أي فيه , أو الأصل في حجه .	
10	(العاملان في باب التنازع)(753) .	1- قام و قعد أخوك . 2- (و أنه كان يقول سفيها على الله شططا و أنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا)(754) . 3 - (تعالوا يستغفر لكم رسول الله)(755) 4 - (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة)(756) .	- لا بد من ارتباطهما , إما بعاطف (الشاهد 1) , أو عمل أولهما في ثانيهما(الشاهد 2) أو كون ثانيهما جوابا للأول , إما جوابية الشرط (الشاهد 3) , أو جوابية السؤال (الشاهد 4)	
11	(ألفاظ التوكيد الأول)(757).	- جاء زيد نفسه , و الزيدان كلاهما , و القوم كلهم.	إنما يربطها الضمير الملفوظ به	

و لعنا نلحظ مما أسلفناه أن ابن هشام قد تناول الربط بتفصيل و توضيح أكثر مما ورد عند السابقين عليه , و أنه قدم عرضا للوسائل التي يتم عن طريقها اربط , و حصرها في الضمير و ما يجري مجراه , بارزا كان أو مقدرًا , و في الحروف بنوعيتها :

749 - ابن هشام : مغني اللبيب , ج 2 , ص : 582 .

750 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 583 .

751 - سورة المائدة, الآية : 115 .

752 - سورة البقرة , الآية : 197 .

753 - ابن هشام : مغني اللبيب , ج 2 , ص : 584 .

754 - سورة الجن , الآية : 04 .

755 - سورة المنافقون, الآية : 05 .

756 - سورة النساء , الآية : 176 .

757 - ابن هشام : مغني اللبيب , ج 2 , ص : 586 .

الجارّة و العاطفة , و الأدوات بصورها المتعددة : كواو الحال و واو المعية و أدوات
النصب و الشرط و الاستثناء و غيرها من الوسائل .

بعد أن عرض البحث للرؤية البلاغية و لموضوع الفصل و الوصل ثم اتبعها بأدوات
الربط و مواطنه في التركيب العربي عند ابن هشام ذاك للجمع بين البعد البلاغي العربي
و النحوي في تعاطيهما مع ظاهرة الوصل/الربط ظاهرة/شكلية كانت أو خفية/دلالية كل
ذلك يقود البحث إلى ضرورة تسجيل جملة من الملاحظات التي وقف عندها بعض متتبعي
التصور العربي اللغوي القديم لظاهرة الربط مثل تمام حسان و حسام البهنساوي و
غيرهما , هذه الملاحظات نوجزها في النقاط الآتية :

1 - في هذا التناول تضيق لدائرة العلاقات السياقية بين الجمل و إنكار لما عدا المفاهيم
النحوية من العلاقات الرابطة بين الجمل.(758) .

2 - استهداف البلاغيين (في الوصل على واو العطف . فالجمل في اللغة العربية تتربط
بغير الواو من الأدوات و بغير مطلق الجمع من العلاقات ..)(759) .

3 - على الرغم من أن ابن هشام قد (..حدد المواضع التي تحتاج إلى الربط في التراكيب
العربية , و لكنه في كل ذلك لم يقدم الربط كمنهج من مناهج المعالجة اللغوية التركيبية
في اللغة العربية , ...التي ينبغي أن تحلل التراكيب العربية في ضوء قواعدها و أنظمتها
, باعتبارها نظرية هامة , قائمة برأسها في إبراز العلاقات بين عناصر التراكيب
العربية.كما فعلوا مع الإعراب ...و جعلوه النظرية الأهم في تحليلاتهم , على حساب بقية
القرائن الأخرى و منها : الربط.(760) .

4 - و خدمة للبحث المنصف فإن ما انتبه إليه الفكر اللغوي العربي وقتئذ مما يتعلق
بظاهرة الربط من إشارات و تعقيبات و ملاحظات المنتشرة في شتى المصنفات هنا و

758 - تمام حسان : البيان في إعراب القرآن , ص : 398 .

759 - المرجع نفسه , ص : 398 .

760 - حسام البهنساوي : أنظمة الربط في العربية , مكتبة زهراء الشرق . ط: 2003 م ص : 16 .

هناك إنما (.. تتفق في الكثير من أصلها و طريقة تناولها مع النظريات اللغوية الحديثة (761) ..).

و لما كان موضوع الوصل/الربط بنوعيه الظاهر و الخفي لم ينضج بعد ليحترق , فإن فعاليات الفكر اللغوي العربي قد استمرت في مقاربة الظاهرة وصفا و تحليلا , مما جعل جملة من الاستفهامات المفصلية التي طرحت في الساحة الثقافية و البحثية وقتئذ حول ظاهرة الربط قد بدأت تجد لها استفسارات علمية مجلية للفهم و معمقة له , و من بين هؤلاء الذين حفروا في هذا الاتجاه تمام حسان الذي سنعرض رؤيته في الموضوع السالف الذكر و لكن في شكل جدول نعرضه كالآتي :

الوصل في منظور الدرس اللغوي الحديث

بداية هل يمكن اعتبار عملية الوصل/الربط القاسم المشترك الجامع بين ظاهرتي الفصل و الوصل ؟ هل يمكن أن يكون مصطلح الوصل بديلا مناسباً و اقتصاديا لمصطلح الفصل و الوصل ؟ ما الإضافات اللسانية المعرفية التي جاء بها الدرس اللغوي الحديث عند مقاربتة الظاهرة اللغوية السالفة الذكر ؟ و لإجابة على هذه الأسئلة يفضل البحث أن ينطلق إليها من هذه البداية التأسيسية .

إن الرؤية الجديدة التي انطبع بها التفكير اللغوي العربي الحديث جراء مقاربتة المستمرة الطويلة النفس للغة العربية في ذاتها و من خلال ما كتب حولها من مؤلفات قديمها و حديثها زيادة على التفاعل المعرفي الحضاري مع الثقافات الانسانية الذي فرضته طبيعة العصر و منتوجاته المتنوعة خاصة منها ما يتعلق بالجانب المهم بالدرس اللغوي .. كل ذلك راكم المعرفة و فاعلها بحيث ولدت الكثير من النتائج المعرفية المتنوعة منها ما يصب في موضوعنا و هو أن (.. اللغة العربية لغة الوصل , ففيها من

761 - حسام البهنساوي : أنظمة الربط في العربية . ص : 16 .

أدوات الربط ما لا نكاد نراه في غيرها , كالواو , و الفاء و ثم ...إلخ . و قد اشتركت في هذا إلى حد ما كل اللغات السامية التي لا تكاد تبدأ جملة من جملها بغير واو العطف . فالوصل خاصة من خصائص اللغات السامية لا نكاد نراها في اللغات الأوربية . و يكفي أن يقوم المرء بترجمة قطعة من اللغة العربية إلى الانجليزية ترجمة صحيحة , حتى يدرك أنه لا بد من تجاهل واوات العطف الكثيرة في الكلام العربي ..(762) . إذا فظاهرة الوصل هاته من أهم الخواص الشكلية للخطاب/النص الي عمل على تفعيل القوة العلائقية بين المتتاليات الجمالية و منتوجاتها الفكرية الهادفة إلى تحقيق التواصل بين المرسل و المتلقي سواء أكان ذلك عبر خطابات/نصوص مكتوبة أو مسموعة أو مرئية , و التي تعتمد إلى تقديم موقف شموليا كان او جزئيا تجاه قضية أو اشكالية ما , و في الوقت ذاته إذا كان الوصل من أهم مواطن الالتقاء بين مختلف اللغات السامية فإنه كذلك و بالمقابل من أهم سمات التمايز و الاختلاف مقارنة باللغات الهندأروبية ...

و لآليات السابقة و آلية الوصل قاعدة مشتركة و نقطة قاطع أساس تمثل في دورها جميعا في تحقيق التماسك الشكلي بين مكونات الخطاب/النص و الترابط خاصة بين المتتالية الجمالية المشكلة للبنية السطحية للرسالة اللغوية التواصلية إذ (.. كل نشاط و كل إجراء غايته رصف عناصر اللغة في تركيب نسقي مناسب , بحيث يمكن للكلام أو الكتابة أو السماع أو القراءة أن تتم في توال زمني)(763) , و لهذا فإن اتساقية الخطاب/النص ليست وليدة آلية واحدة من الآليات السالفة مهما كان لحضورها من فاعلية و قوة , و إنما هي نتيجة لتشابك و تضام معقد و تضافر محكم بين كل آليات الاتساق فيما بينها من جهة , و حضورها الذي يتناسب انتشارا و انحسارا , كثرة و قلة , مع جملة من المعطيات التكوينية للخطاب/النص و طبيعته و موضوعه من جهة أخرى.. إذا فليس من الضروري أن تنتشر آليات الاتساق كلها بتساو في فضاء

762 - إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة . مكتبة الانجلومصرية - القاهرة . ط07 , 1994 م , ص : 327.

763 - روبرت دي بوجراند : النص و الخطاب و الإجراء , ص : 36 .

الخطاب/النص ليحقق أقصى ما فيه من فاعلية تواصلية اتصالية , و لكن الشيء الذي يعمل على استمرارية الخطاب/النص هو أن تحضر هذه الآليات الاتساقية جميعا بمقدارية متناسبة مع الكل الذي يشكل الرسالة التواصلية الناجحة ..

أما الذي يميز آلية الوصل عن باقي الآليات الاتساقية السالفة الذكر خاصة و يجعلها في الآن ذاته مباينة لكل علاقات الاتساقية كونها لا تحوي إشارة توعد إلى ضرورة البحث عن طرف مفترض سواء أكان قبليا أو بعديا .

الوصل مفصل مهم من المفاصل التي عمل على تماسك الخطاب/النص . و الموقعية المفصلية في كل بنية ديناميكية /حية لها وظيفة استراتيجية تعمل على الحفاظ على الوجد و الحضورية الفعالة لكل البنية و من ثمة لكل مكوناتها التكوينية , إذ تكسيها مرونية لافتة للانتباه تسهم بشكل كبير في اضعاف سمة استمرارية حركية البنية و تفاعل شبكة علاقاتها الداخلية و الخارجية , هذه الحالة المتميزة إنما هي في الأساس نتيجة الوجود الوظيفي و فاعلية مفاصل الخطاب/النص و حركيته الايجابية . و لما كان المفصل هو الحلقة الواصلة بين طرفين على الأقل , فإن هذه التواصلية الواقعة بين الأطراف إنما تحدث في الخطاب/النص جراء تواجد وسائل و أدوات ملفوظة/ملحوظة تعمل على إحقاق الربط بين الأطراف المعنية بذلك , و من ثمة تنشأ بواسطتها شبكة من العلاقات الاتساقية المحكمة التي تحافظ بقوة على الحضورية المستمرة للخطاب/النص و أدائه التواصلية الايجابية . هذا , و الأمر الذي يزيد هذه الرؤية مصداقية و يعطي لأدوات الوصل حقها من الأهمية و هي تتحرك بمقدار في فضاء البنية السطحية للخطاب/النص كون النص من حيث الصور اللسانية الحديث : مجموعة من الجمل أو المتتاليات الجمالية المتعاقبة خطيا في بنية نصية شديدة الهندسة معقد التماسك .

و من هذا المنظور فإن التعالق الحاصل فالخطاب/النص بين وحداته الجمالية إنما يعود إلى عوامل كثيرة داخلية و خارجية , أساسها تلك العناصر اللغوية الرابطة بين الجملة و الأخرى , و التي تدفع باستمرارية الخطاب/النص إلى أقصاها كلما كانت هذه

الأدوات الرابطة منسجمة فيما بينها اولا ثم متفاعلة مع طبيعة الخطاب/النص و موضوعه . و لهذا فإن الخطاب/النص مهما كان نوعه و جنسه فهو في حاجة إلى فاعلية الوصل/الربط و أدواته و لكن بسبب متنوعة و انتشارية هادفة حتى يحافظ الخطاب/النص على كينونته بداية و على وظيفته الأساس و هي التواصل الفعال الايجابي بين أفراد المجتمع اللغوي .

المقصود بعلاقة الوصل

هو أسلوب محكم و متميز يقوم على أساس عقد نوع من العلائقية الترابطية بين مكونات البنية السطحية للخطاب/النص و الذي يعمل على تحقيق ذلك جملة من الوحدات اللغوية/المورفيمات المحددة و التي تتنوع بتنوع طبيعة الرسالة اللغوية و مقاصدها , مما يجعلها تعد من بين أهم الوسائل التي تسهم بمعية بقية العناصر الفاعلة في استمرارية الخطاب/النص على الحفاظ على اتساقيته و احكام بنائه حتى يحافظ على تميزه بين بقية أجناس الخطاب المتنوعة , و لهذا فإن علاقة الوصل هي (..تحديد للطريقة التي يترابط بها (اللاحق) على (السابق) بشكل منظم ..)(764) . هذا يدعونا إلى ضرورة الإشارة إلى أنه لما كانت وحدة الخطاب و تماسكه من الغايات المهمة التي يسعى الفعل التواصل إلى إيجادها فعلا , فإنه حتى يم له ذلك هو في حاجة ضرورية للحفاظ على حركية المتتاليات الجمالية و تعاقبها التي تتحقق بواسطة وجود عناصر رابطة تعمل على وصل مكونات و مفاصل الخطاب/النص بعضها ببعض.

لما كان الوصل عنصرا فاعلا من عناصر ترابط و تعالق و تماسك مكونات الفعل اللغوي و تراكيبه و من ثمة أنظمتها بات من الضروري التأكيد أن هذه الظاهرة تحكمها قوانين دقيقة و أنظمة مضبوطة , بل هي نظرية لغوية معتبرة لها حضور قوي في تحليل الظاهرة اللغوية في شتى مستوياتها التركيبية أو المتتالية الجمالية أو الخطاب كوحدة لغوية كبرى . و لهذا كانت ظاهرة الربط/الوصل اللغوي من أهم القضايا التي حظيت

764 - محمد خطابي : لسانيات النص , مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 277.

باهتمام لافت للانتباه من قبل مدارس لغوية كثيرة و خاصة المدرسة التوليدية التحويلية لكن في مراحلها الأخيرة على وجهة التخصيص .

فمنذ أوائل الثمانينيات من القرن العشرين بدأت تظهر جليا الملامح الأولية للبعد المعرفي لنظرية الربط , و كان ذلك مجسدا عند تشومسكي الذي اقترح تصورا علميا تحت ما يسمى (نظرية الربط) و كان ذلك سنة 1978 م . ثم تابعت الدراسات العلمية و راحت تعمق البحث في ذات الموضوع رغبة منها أن تقف علميا على القوانين الكلية و الجزئية المنظمة و المتحكمة في ظاهرة الربط اللغوي . و لهذا ظهرت أعمال أخرى لتشومسكي و غيره من الباحثين منها :

1 - مقالات حول العامل و الربط السياقي - تشومسكي .

2 - بعض المبادئ و الأسس حول نظرية العامل و الربط السياقي - تشومسكي .

3 - وجهة نظر حول الربط العائدي على مسافة بعيدة - أرولاندي .

و إذا كان العناية الغربية بظاهرة الربط اللغوي على الصورة التي أسلفنا , فإن درس اللغوي العربي لم يعر هذه المسألة كبيرة اهتمام بحيث يفردها لها مصنفات قائمة بذاتها و بحوث مستقلة تنضج هذه الظاهرة اللغوية المهمة من شتى جوانبها حتى تقف على أسرار أنظمة الربط و قوانينه المتحكمة في ثواب اللغة العربية و متغيراتها . هذا لا يعني أنه لا توجد إطلاقا إشارات متفرقة هنا و هناك قد تناولت الربط في اللغة العربية . لكن الملاحظ على معظمها أنها نظرت إليه من زاوية كونه قرينة لفظية - تصريحيا أو تلميحا - من وظائفه الأساس حماية الجمل و الجمل المركبة من الغموض دلاليا حتى تحقق الرسالة اللغوية نوعا من التماسك المحقق للفائدة التي يحسن السكوت عليها .

وسائل الربط في إطار الوصل

إنما يراد بالوسائل - هنا - أدوات الوصل/الربط و هي من حيث المفهوم عبارة عن (الوحدات اللغوية/المورفيمات التي تقيم علاقة بين جملتين..)(765) و بهذا تكون كل الوحدات اللغوية التي تعمل على إنشاء علاقة ترابطية شكلية /ظاهرية و نسجها بين مختلف أنواع المتتالية الجمالية تعتبر أداة من أدوات الوصل/الربط , و لهذا نجدها متنوعة حرفية كانت أو اسمية أو فعلية ... و يقودنا ذلك إلى تأكيد حقيقة أن وظيفة المورفيم الرابط لا تقتصر على الجمل فقط و إنما دورها يطال الخطاب/النص باعتباره وحدة دلالية كبرى . و بالتالي يسهم إلى حد بعيد في تحقيق البعد الاتساقى و التماسكى المتين بين كل مكونات الرسالة اللغوية مهما كان نوعها .

و على هذا الأساس تتموقع أدوات الوصل في موضعية حساسة من هيكلية الخطاب/النص إذ تمثل مفصله .. و الموقع المفصلي في كل بنية ديناميكية له وظيفة استراتيجية بحيث يعمل على استقرارية هذه البنية و يضيف عليها مرونية مميزة تسهم بقسط كبير في استمراريتها و تفاعل شبكة علاقاتها الداخلية و الخارجية . هذه الحالة إنما هي وليدة الوجود الوظيفي لمفاصل البنية و حركيتها الايجابية . و لما كان المفصل هو الحلقة الواصلة بين طرفين على الأقل . فإن هذه التواصلية إنما تحدث في الخطاب/النص جراء تواجد أدوات ملفوظة بواسطتها تنشأ سلسلة متشابكة من العلاقات الاتساقية المحكمة التي تحافظ بقوة على حيوية الخطاب/النص و استمرارية أدائه التواصلى الفاعل . و الأمر الذي يضيف على العناصر اللغوية المنشئة للوصل أهمية معتبرة كون الخطاب/النص إنما هو مجموعة ملفوظة أو مكتوبة من الجمل أو المتتاليات الجمالية ذات التعاقب الخطي المجسدة في بنية نصية شديدة التماسك معقدة في هندسيتها . و من هذا المنظور فإن التعالق الحاصل في الخطاب/النص بين وحداته الجمالية إنما هو عائد إلى عوامل كثيرة , أساسها تلك العناصر اللغوية الواصلة/الرابطية بين الجملة و

765 - دو منيك مانغونو : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب , ص : 26 .

الأخرى داخل فضاء الخطاب/النص لتدفع به إلى أقصى مستوى من مستويات النجاح التواصلي . إذ كلما كانت هذه الأدوات مختارة بدقة و نازلة في الموقعية المفصلية المناسبة و منسجمة و طبيعة الخطاب/النص و الموضوع الذي يحويه تحقق التماسك و التعالق المطلوب خاصة على مستوى البنية السطحية . و لهذا فإن كل تواصل لغوي مهما كان نوعه و جنسه فهو في حاجة ضرورية إلى أدوات الوصل بنسب متنوعة و انتشارية معينة في فضاء الخطاب/النص حت يحافظ هذا الأخير على كينونته و على وظيفته الأساسية و هي التواصل الايجابي بين أفراد المجتمع اللغوي ... و من هنا بات من الضروري رصد هذه الأدوات و الوسائل التي عمل على وصل مكونات الخطاب/النص بعضه ببعض

أنواع وسائل الوصل قديما و حديثا

قبل الإشارة إلى أهم أدوات الوصل انطلاقا من زوايا نظر معرفية مختلفة من حيث الثقافة و المرجعية و الانتماء الحضاري .. , يجدر بنا هنا الإلماح إلى أن هذه الوسائل جميعها تؤدي وظيفية و دورا ذا أهمية من حيث أنها على الخطاب/النص الاتساق و التماسك بين مكونات بنيته السطحية ..

وسائل الربط عند تمام حسان :

وسيلة الربط	
1- (التكرار) ⁽⁷⁶⁶⁾	(أ) - (إعادة اللفظ) ⁽⁷⁶⁷⁾

⁷⁶⁶ - تمام حسان : البيان في روائع القرآن دراسة لغوية و أسلوبية للنص القرآني , ص : 109 .

⁷⁶⁷ - المرجع نفسه , ص : 109 .

	(ب) - (إعادة ذكر صدر الكلام) ⁽⁷⁶⁸⁾
2 - (الضمائر) ⁽⁷⁶⁹⁾	(أ) - (ضمائر الأشخاص) ⁽⁷⁷⁰⁾
	(ب) - (الربط بالوصول) ⁽⁷⁷¹⁾
	(ج) - (الربط بالصفة التي دخلت عليها (أل) الموصولة) ⁽⁷⁷²⁾ .
	(د) - (الربط بالإشارة) ⁽⁷⁷³⁾
3 - (الظرف) ⁽⁷⁷⁴⁾	() يربط الظرف بين ما أضيف إليه و بين متعلقه سواء أكان المضاف إليه مفردا أم جملة ..) ⁽⁷⁷⁵⁾
4 - (الحروف) ⁽⁷⁷⁶⁾	(أ) - (كل أداة داخلة على جملة لإفادة معنى الجملة فهي رابطة تقوى بها الصلة بين كل المفردات الداخلة في حيزها . يصدق ذلك على ..) ⁽⁷⁷⁷⁾ . - النفي . - الأمر باللام . - النهي . - الاستفهام . - الشرط . - القسم . - التعجب .. إلخ .
	(ب) - (أل) التي للتعريف) ⁽⁷⁷⁸⁾
	(ج) - (حروف الجر .) ⁽⁷⁷⁹⁾

768 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن دراسة لغوية و أسلوبية للنص القرآني , ص : 113 .

769 - المرجع نفسه , ص : 118 .

770 - المرجع نفسه , ص : 119 .

771 - المرجع نفسه , ص : 122 .

772 - المرجع نفسه , ص : 125 .

773 - المرجع نفسه , ص : 121 .

774 - المرجع نفسه , ص : 142 .

775 - المرجع نفسه , ص : 142 .

776 - المرجع نفسه , ص : 139 .

777 - المرجع نفسه , ص : 135 .

778 - المرجع نفسه , ص : 128 .

779 - المرجع نفسه , ص : 139 .

(د) - (حروف العطف .) (780)
(هـ) - (واو المعية .) (781)
(و) - (حرف الاستثناء .) (782)

5 - (المطابقة) (783)

إنه عندما نكتب فإننا نتواصل بواسطة الألفاظ ، و لكن عندما نتحدث فإننا لا نتواصل بواسطة الألفاظ فقط و إنما كلنا بكل أبعاده ينفعل و يتفاعل مع العملية التواصلية ، هذه الخلفية التصويرية اللسانية تدفع متلقى الطرح السالف عند الانتهاء من قراءة هذا الجدول أن يتواد بذهنه أسئلة موضوعية متنوعة منها : كيف استطاع تمام حسان أن يوسع من محيط دائرة وسائل الربط اللغوية ؟ هل يعد عمله هذا قطيعة ابستمولوجية مع ما انجزه التفكير اللغوي العربي في هذا المجال ؟ ما هي البؤرة الفكرية التي تحرك منطق تمام حسان اللغوي ؟ و لاجابة على ذلك ننطلق من أن الذي حدا بهذه الرؤية أن تأخذ هذا المنحى الأوسع - نسبيا- والذي لم يحصر في نظره عملية الربط و وسائلها - و هي تحقق وجودها سواء بين مكونات الجملة أو المتتالية الجمالية أو الخطاب/النص كله - في حروف محددة أو حرف الواو فقط هو أن تمام حسان أقام تصوره ذاك على منهج مؤسس على فكرة التعليق أو العلاقات السياقية وهي الفكرة المركزية في النحو العربي ، حسب نظره ، وقد استلهم أصولها و منطلقاتها من الجرجاني، وفي الوقت نفسه قد اقتفى أثر أستاذه(فيرث) الذي أقام نظريته على فكرة السياق، و أقام علاقة فكرية متينة معه ، على الرغم من أن هذه لفكرة قد عالجها علماء اللغة قديما مثل : سيبويه و ابن جنبي و

780 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن دراسة لغوية و أسلوبية للنص القرآني ، ص : 140 .

781 - المرجع نفسه ، ص : 141 .

782 - المرجع نفسه ، ص : 142 .

783 - المرجع نفسه ، ص : 142 .

الجرجاني و غيرهم من خلال إدراكهم أثر السياق في فهم الحدث اللغوي، إلا أن (فيرث) قد توسع في معالجتها بحيث انقلبت إلى نظرية لغوية قائمة بذاتها و متكاملة، بل أصبحت أساس المدرسة اللغوية الاجتماعية، ذلك يعود إلى أن هذا العالم قد عالج جميع الظروف اللغوية الاي تعمل على تحديد المعنى، ومن ثم حاول (فيرث) إثبات صدق المقولة بأن "المعنى وظيفته السياق ، واستطاع تلميذه تمام حسان بذكائه اللغوي الجامع بين الرؤية القديمة و الحديثة أن يزاوج و يربط بين (نظرية السياق) عند(فيرث) و(نظرية التعليق النحوي) عند عبد القاهر الجرجاني، فيما يسمى بسياق(الحال)والسياق اللغوي(المقال). وانتهى هذا التأثير عنده بالمنهج الوصفي الوظيفي، الذي تبناه، وشيد عليه فكرة القرائن بعد قراءته عبد القاهر الجرجاني وفكرة التعليق النحوي عنده ، وجعلها محور كتبه ومقالاته ودراساته اللغوية، محاولا - بناء عليها - تفسير العلاقات النحوية التي تعتمد على القرائن المعنوية واللفظية لتوضح المبنى النحوي ، و من خلال هذا الجهد المعتبر لتمام حسان و وضوح الفكرة عنده تفاعل مع ظاهرة الوصل/الربط بفعالية و رؤية خاصة وسعت من دائرة الوسائل - نوعا و وظيفة - العاملة على ربط المكونات اللغوية على اختلاف تواجدها في المستويات الكلامية تحقيقا لتمام الرسالة اللغوية و إحقاقا للفعل التواصلي للايجابي و الفعال ...

- عند هاليداي و رقية حسن

اعتبر كل من (هاليداي) و (رقية حسن) أن الوسائل الرابطة المحققة للوصل كثيرة و متنوعة في آن نفسه ، و ذلك يعود إلى مقتضيات و اعتبارات تفرضها طبيعة الخطاب/النص و جنسه و موضوعه و المقاصد التي يرمي إليها و لون منطقيّة الاسترانيجية التي حبك على أساسها . و بالتالي فقد قسما هذه الأدوات إلى الأنواع الآتية :

أ) - الوصل الإضافي :

و يمكن أن نطلق على هذا النوع من الوصل بالوصل الإسنادي , فهو (يربط الأشياء التي لها نفس الحالة)⁽⁷⁸⁴⁾ . و به تنسب فيه الجمل بعضها ببعض و تتعقد بين المتتاليات الجمالية شبكة علاقات تنضاف فيها المكونات اللغوية بعضها إلى بعض لتشكّل في الأخير نسيجاً من الخطاب/النص يستعصي على من يريد مقاربتة مقارنة علمية أن ينفرد بجزئه عن بقية الأجزاء الأخرى دون أن يقع في الشطط و اللبس و التأويلات غير العلمية .. هذا النوع من الوصل يسميه كل من (هاليداي) و (رقية حسن) : الوصل الإضافي إذ يتحقق عن طريق وسيلتين أساسيتين هما : (و , أو)⁽⁷⁸⁵⁾ .

إن الدلالة المعرفية و المفهومية لمقولة الوصل الإضافي تتسع لتحتوي جملة من العلاقات و الهيئات التركيبية لكونها تتقاطع معه دلالياً و وظيفياً , و من بين هذه العلاقات :

1 - علاقة التماثل الدلالي : الذي ترتبط فيه الجملة بجملة أخرى أو تترابط المتتاليات الجمالية فيه و إنما (بواسطة تعبير من نوع : بالمثل ...)⁽⁷⁸⁶⁾ .

2 - علاقة الشرح : يجسد هذه العلاقة و يؤسسها داخل الخطاب/النص و يحكم الهيئة التركيبية إن كانت بين جملة و أخرى أو بين مجموعة من الجمل , جملة من الأدوات منها : (أعني بتعبير آخر ...)⁽⁷⁸⁷⁾ .

3 - علاقة التمثيل : و توجد لها فعلاً و تجسدها أمراً واقعا تعابير دقيقة منها : (مثلاً , نحو ...)⁽⁷⁸⁸⁾ .

(ب) - الوصل العكسي :

784 - عزة شبل محمد : علم لغة النص , النظرية و التطبيق , ص : 111 .

785 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 23 .

786 - المرجع نفسه , ص : 23 .

787 - المرجع نفسه , ص : 23 .

788 - المرجع نفسه , ص : 23 .

قد يتعرض المتلقي للخطاب/النص في لحظات معينة إلى موقف تواصلتي يقتضي منه أن يتعامل معه (على عكس ما يتوقع ..)(789) منه , و على هذا الأساس فهو مطالب بأن ينتبه - قدر المستطاع - إلى القرائن اللفظية و الوسائل اللغوية التي تستدعي مثل هكذا موقف . و من بين الأدوات المؤسسة لما تقدم ذكره , بحسب منظور هاليداي و رقية حسن , نجد مثلا (but - yet و غيرهما , و بتعابير مثل : nevertheless - hozever ... إلا أن الأداة التي تعبر عن الوصل العكسي , في نظر الباحثين , هي : yet)(790) , و يمكن أن نمثل لها باللغة العربية بلفظة : حتى .

ج) - الوصل السببي :

من المعروف في الدراسات اللسانية الحديثة أن (اللغة ظاهرة إنسانية و الإنسان بطبعه قلما يكتفي لإدراك شيء ما بقرينة واحدة تدل على هذا الشيء ..)(791) , و لهذا فمن بين القرائن اللغوية العاملة على تماسك الخطاب و ترابطه و من ثمة فهمه و إدراكه نجد (العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر , و يعبر عنه بعناصر مثل : thus - so - hence - therefore ... و تندرج ضمنه علاقات خاصة كالنتيجة و السبب و الشرط ... و هي .. علاقات منطقية ذات علاقة وثيقة بعلاقة عامة هي : السبب و النتيجة)(792) . و للإشارة فإن SO يقابلها في العربية العنصر اللغوي : و هكذا . كما يمكن التعبير عن هذه العلاقة (من خلال الكلمات : لهذا - بهذا - لذلك - لأن , و عدد من التعبيرات مثل : نتيجة لـ - سبب لـ)(793)

د) - الوصل الزمني :

789 - المرجع نفسه , ص : 23 .

790 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 23 .

791 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن دراسة لغوية و أسلوبية للنص القرآني , ص : 223 .

792 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 23 .

793 - عزة شبل محمد : علم لغة النص , النظرية و التطبيق , ص : 112 .

و يتحقق هذا اللون من خلال (علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعين زمنيا , و أبسط تعبير عن هذه العلاقة هو : .. then)⁽⁷⁹⁴⁾ , و حرف العطف : (ثم) أحسن لفظ يمكن أن نجعله مضارعا لكلمة : then . كما يعبر عن هذه العلاقة بالاستعانة بـ (.. بعد , و عدد من التعبيرات مثل : و بعد ذلك - على نحو تال , .. في ذات الوقت - حالا - في هذه اللحظة ... مبكرا - قبل هذا - سابقا ..)⁽⁷⁹⁵⁾ .

- عند صاحب المصطلحات المفاتيح

تلعب هذه أدوات الربط عند دومنيك مانغونو (دورا ذا بال من حيث أنها تضيفي الاتساق على النص)⁷⁹⁶

أ) - الظروف (adverbs) : مع ذلك + رغم ..⁽⁷⁹⁷⁾

ب) - العطف (coordination) : و + ف ...⁽⁷⁹⁸⁾

ج) - الاتباع/الصلة (subordination) : لأن + بما أن ...⁽⁷⁹⁹⁾

- من حيث المنظور الدلالي

و يمكن أن ننظر لوسائل الربط هذه و نصنفها (اعتمادا على أبعادها الدلالية)⁽⁸⁰⁰⁾ و المعاني التي يتحقق من خلالها التعالق و نوع العلاقة المؤسسة بين الجملة و

794 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 23 - 24 .

795 - عزة شبل محمد : علم لغة النص , النظرية و التطبيق , ص : 112 .

796 - دو منيك مانغونو : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب , ص : 26 .

797 - المرجع نفسه , ص : 26 .

798 - المرجع نفسه , ص : 26 .

799 - المرجع نفسه , ص : 26 .

800 - محمد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه , الدار العربية للعلوم ناشرون , ط1 : 2008

م , ص : 95 .

الأخرى أو بين المتتاليات الجمالية المشكلة للخطاب/النص .. و نعرض ذلك في هذا
الجدول :

نماذج	دلالة أداة الوصل	
- الواو + أو + أيضا + بالإضافة ...	- (صنف يفيد الإضافة) ⁽⁸⁰¹⁾	1
- أولا + ثانيا + أخيرا + في النهاية + بعد ذلك ...	- (صنف يفيد التعداد) ⁽⁸⁰²⁾	2
- لأن + بمعنى + بعبارة أخرى ...	- (صنف يفيد الشرح) ⁽⁸⁰³⁾	3
- مثلا + خاصة ...	- (صنف يفيد التوضيح) ⁸⁰⁴	4
- على غرار + نحو + مثل	- (صنف يفيد التمثيل) ⁽⁸⁰⁵⁾	5
- لكن + غير أن + عكس ذلك	- (صنف يفيد الربط العكسي) ⁽⁸⁰⁶⁾	6
- إذا + و عليه + و فعلا + و نتيجة ذلك + بناء على ذلك ..	- (صنف يفيد السبب) ⁽⁸⁰⁷⁾	7
- بإيجاز + باختصار + و على العموم + أخيرا ...	- (صنف يفيد الاختصار) ⁽⁸⁰⁸⁾	8
- قبل ذلك + بعد ذلك + ثم + إثر ذلك ...	- (صنف يفيد التعاقب الزمني) ⁽⁸⁰⁹⁾	9

قوانين الوصل/الربط

- 801 - محمد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه, ص : 95 .
- 802 - المرجع نفسه , ص : 95 .
- 803 - المرجع نفسه , ص : 95 .
- 804 - المرجع نفسه , ص : 95 .
- 805 - المرجع نفسه , ص : 95 .
- 806 - المرجع نفسه , ص : 95 .
- 807 - المرجع نفسه , ص : 95 .
- 808 - المرجع نفسه , ص : 95 .
- 809 - المرجع نفسه , ص : 95 .

و إذا كان الفصل هو ترك عطف بعض الجمل على بعض و الوصل (.. هو عطف جملة فأكثر على جملة أخرى بالواو خاصة , لصلة بينهما في المبنى و المعنى , أو دفعا للبس يمكن أن يحصل ..) (810) . فإن مضمونية هذان المفهومين و التصور يشي بأن هذا التركيب/الربط مبني على أساس القصدية , و هو بذلك يناسب الأحوال المرسلة و تلك المتقبلة للرسالة اللغوية و يجعل التركيز عليا الرسالة نفسها حتى تتناسق و مكونات الفعل التواصلي و عملياته , و على هذا الأساس تعمل ظاهرة الفصل و الوصل على ثلاثة محاور رئيسة متمظهرة في ثلاثة صور شكلية , مراعية المعطيات السالفة بمقدارية متناهية و تفاعلية علائقية شديدة التعقيد في بنيتها السطحية منها و العميقة كذلك . فالصورة الأولى إما أن تكون هذه المتتالية الجمالية موصولة العلاقات كلها بحروف العطف و بالتالي لا نكاد نعثر على تركيبية واحدة تحكمها ظاهرة الفصل , و قد تتجلى المتتالية الجمالية في صورتها الثانية في شكل مزيج متساو حيناً و متفاوتة التناسب كما أحيانا أخرى بين الفصل و الوصل و من هنا يحدث نوع من التزاوج أو التساوي أو التدافع أو التفاعل بين قوتين كل واحدة تريد أن تحتل أكبر قدر ممكن من مساحة فضاء الخطاب/النص , أما الصورة الثالثة فقد تنبني المتتالية الجمالية فيها خالية من كل علامات الوصل و بالتالي تعم الفعل اللغوي حينئذ ظاهرة الفصل . و من هذا المنطلق يشير البحث إلى أن فعل الفصل هذا إنما هو عملية مشربة بالهدفية و الغائية و مشعرة بأن (المرسل) متعمد في إحقاقها , من ثمة على (المتلقي) واجب إدراك هذه العملية المعقدة الهادفة الخفية و الجمالية في مبنائها و معناها . فالجمل المتتالية خطياً إذا الخالية من حروف الربط و الوصل أو المحكومة بألوان مختلفة منها الهادفة لتفعيل العملية التواصلية داخل المجتمع اللساني إنما تدل على أن هناك تجاذبية

810 - عيسى على العاكوب و على سعد الشتيوي : الكافي في علوم البلاغة العربية , الجامعة المفتوحة , 1993 م .
ص : 298 .

شكلية أو معنوية و تماسكية معينة تحكمها جملة من الآليات تعمل على انجاح الفعل التواصلي و إن تنوعت مقاماته و مقالاته .. هذا يدعو البحث إلى تحقيق النتيجة الآتية و هي أن الربط و الوصل بين الوحدات الصغرى للخطاب/النص قد يكون مرة بوسائلة ملفوظة شكلية كحرف الواو مثلا , و قد تكون بوسائل معنوية دلالية لاختلاف الجملتين من حيث الخبر و الإنشاء مثلا . فالفصل إذا هو ربط و لكن بصورة معنوية تغيب فيها الأداة كوسيلة شكلية حقيقة , لتترك فراغا مكانيا يملأ تعويضا برابط معنوي خفي يعمل على تحقيق الوظيفة نفسها المتمثلة في تماسك الخطاب/النص و تألفه خدمة لانسجامه و استمراريته ..

كل خطاب/نص حتى يؤدي الوظيفة التواصلية أداء فعالا يجب أن يتوفر على طائفة معتبرة من القوانين و القواعد منها قاعدة الربط . إذ لا يعقل أن يقبل (المتلقى) خطابا /نصا هو عنده منفرط العقد لا تحكمه تراتبية شكلية و لا منطقية يرضى عنها . كما أن (الباث) نفسه لا يرضى هو الآخر و لا يقبل أن يدخل في عملية تواصلية هادفة إذا أحس لحظة أن الرسالة التي هو بصدد تفعيلها بكل مكوناتها التواصلية فيها عيوب كثيرة و خاصة إذا كان هذا الخلل أو العيب يتمثل في غياب شرط الرابطة بين مكونات هذا الفعل اللغوي التواصلي . و (الرسالة) نفسها لن يتم لها العيش و الاستمرارية طويلا , حتى و إن استطاعت أن تفلت من بين يدي (الباث) و ((المتلقي) فقوانين الحياة التواصلية الطبيعية التي تنتخب دائما الخطاب/النص الذي تعلق فيه نسبة التوفيق إلى أقصى درجاتها و تختاره يحول دون حياة الخطاب/النص المختل من زاوية الروابط . لهذا فإن قانون الربط من أهم القوانين الإجرائية التي يجب الحرص عليها بثا و استقبالا ..

انطلاقا من هذا المنظور أرسى الأزهر الزناد و إثرى استقرائه الدرس اللغوي العربي القديم و الحديث المقارب لظاهرة الفصل و الوصل في اللغة العربية من جهة و كذلك تعاطيه مع ما وصلت إليه الجهود اللسانية الحديثة الغربية , كل ذلك آل به إلى استنباط جملة من القواعد و الضوابط و القوانين التي تعمل على إيجاد ظاهرتي الفصل و

الوصل و تحققها فعلا في الخطاب سواء أكان فنيا أو غير فني , مع التحكم في حركيته و تجلياته في فضاء تواصل المجمعات اللغوية .

بداية جمع الأزهر الزناد ظاهري الفصل و الوصل تحت مظلة مصطلح علمي واحد و هو الربط , لكون هذا الأخير ينظر إليه أساسا أنه قاسم مشترك مفصلي تقاطع فيه كل تجليات و أساليب الفصل و الوصل في شتى المحطات الأدائية التواصلية . أما ما يتعلق بالقواعد و القوانين التي رشحت جراء الدرس النظري و الميداني التطبيقي الذي قام به صاحب كتاب (نسيج النص) المتعلقة بمسألة الربط اللغوي /الفصل و الوصل في الخطاب التواصلية في النقاط الآتية .

قاعدة الربط :

من المسلمات القواعدية التي توصل إليها الأزهر الزناد في قضية الربط أنه (إذا توفر في أي نص جملتان أو أكثر ارتبطت الواحدة منهما بالأخرى ارتباطا بـ : أداة أو بغير أداة .)(811)

نص : ج1 أداة / Ø ج2 أداة / Ø ج3 أداة / Ø ج ن .

عندما نتأمل هذه القاعدة مليا نلاحظ مباشرة أنها تستبطن قاعدتين فرعيتين أساسيتين , انطلاقا من وجود الأداة أو عدم وجودها على صعيد الربط بين الجملتين على أقل تقدير في الخطاب/النص . هذا الأمر اقتضى الأزهر الزناد أن يؤكد (أن هذه القاعدة تعود إلى قاعدتين أساسيتين هما ..)(812) .

1 - قاعدة الربط البياني / دون أداة .

2 - قاعدة الربط الخطي / وجود أداة .

811 - الأزهر الزناد : نسيج النص , فيما يكون به الملفوظ نصاً , ص : 28 .

812 - المرجع نفسه . ص : 28 .

قاعدة الربط الكلية

في كل (نص) قاعدة ضرورية هي : قاعدة الربط .

إذا توفر في أي (نص) جملتان أو أكثر
ارتبطت الواحدة منهما بالأخرى ارتباطا بأداة أو
بغير أداة .

هذه القاعدة تعود إلى قاعدتين أساسيتين

قاعدة الربط الخطي . (+ أداة)

كل جملتين متتاليتين في (النص) : ثانيتهما تخالف الأولى
ترتبطان ارتباطا بأداة ربط .

نص : [ج 1 , ج 2] ← ج 1 أداة ج 2 .
بشرط : ج 2 خلاف ج 1

قاعدة الربط البياني . (- أداة)

كل جملتين متتاليتين في (النص) : ثانيتهما
بيان للأولى ترتبطان ارتباطا مباشرا بغير أداة .

كل جملتين متتاليتين في (النص) : ثانيتهما
توكيد للأولى ترتبطان ارتباطا مباشرا بغير أداة

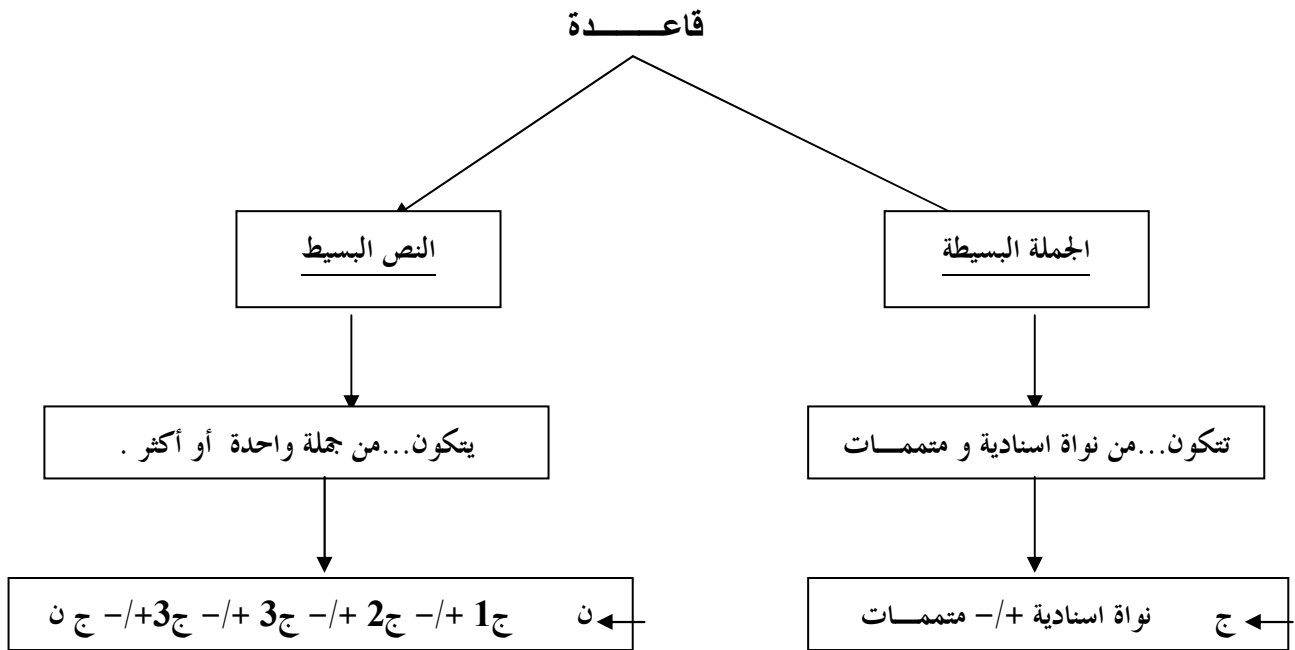
كل جملتين متتاليتين في (النص) : ثانيتهما
بدل للأولى ترتبطان ارتباطا مباشرا بغير أداة

نص : [ج 1 , ج 2] ← ج 1 Ø ج 2 .
بشرط : ج 2 بيان أو توكيد أو بدل ج 1 .

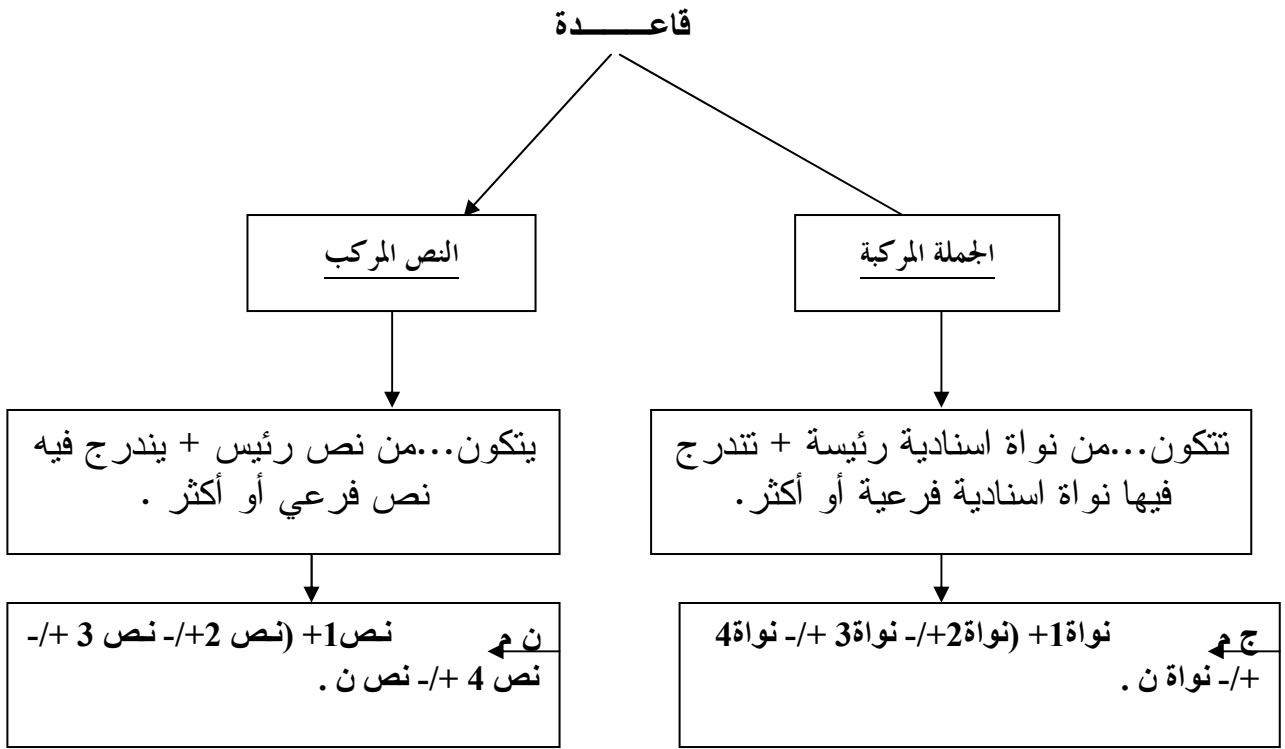
هذه القاعدة الكلية يمكن أن تنقسم - في تطبيقاتها - إلى عدد من القواعد الفرعية تتفق و طبيعة الملفوظ و لهذا حتى تكون قاعدة الربط الكلية هذه عملية أكثر يجب أن نتعرض للقاعدة التي تحكم في أطار ظاهرة الربط الجملة البسيطة و المركبة و كذا تلك التي تتحكم في النص البسيط و المركب , و لتوضيح ذلك نتقدم بالرسم الآتي :

قواعد الربط

1 - الجملة البسيطة و النص البسيط

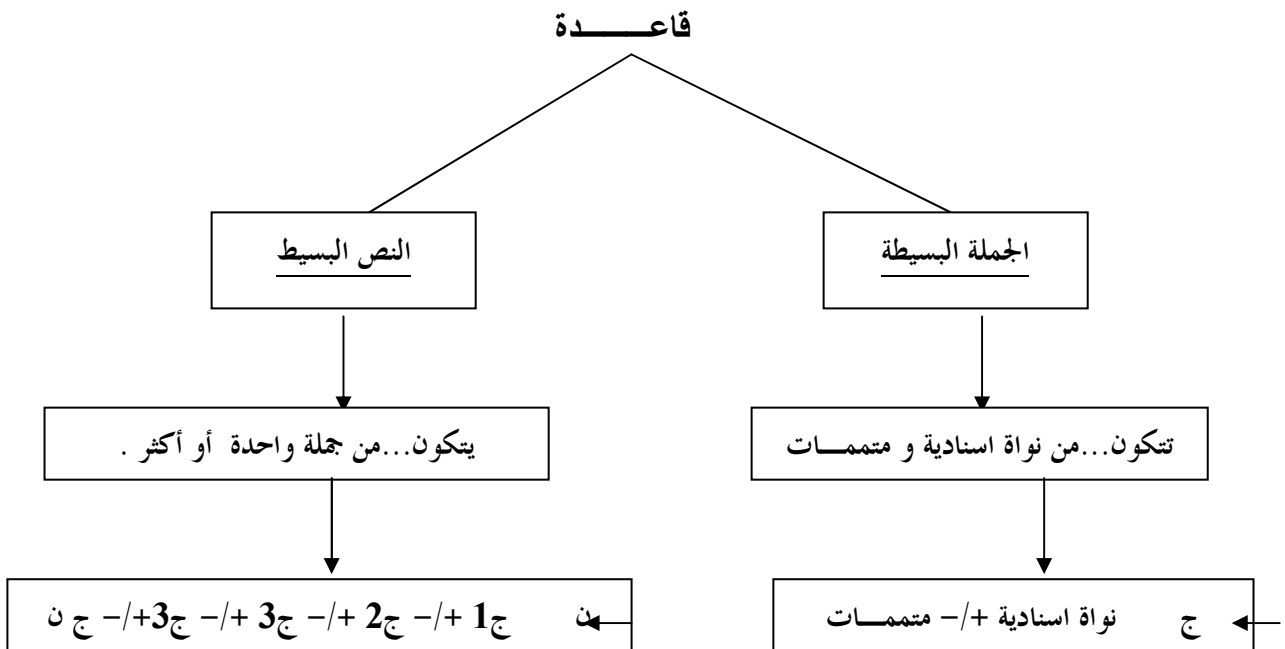


2 - الجملة المركبة و النص المركب



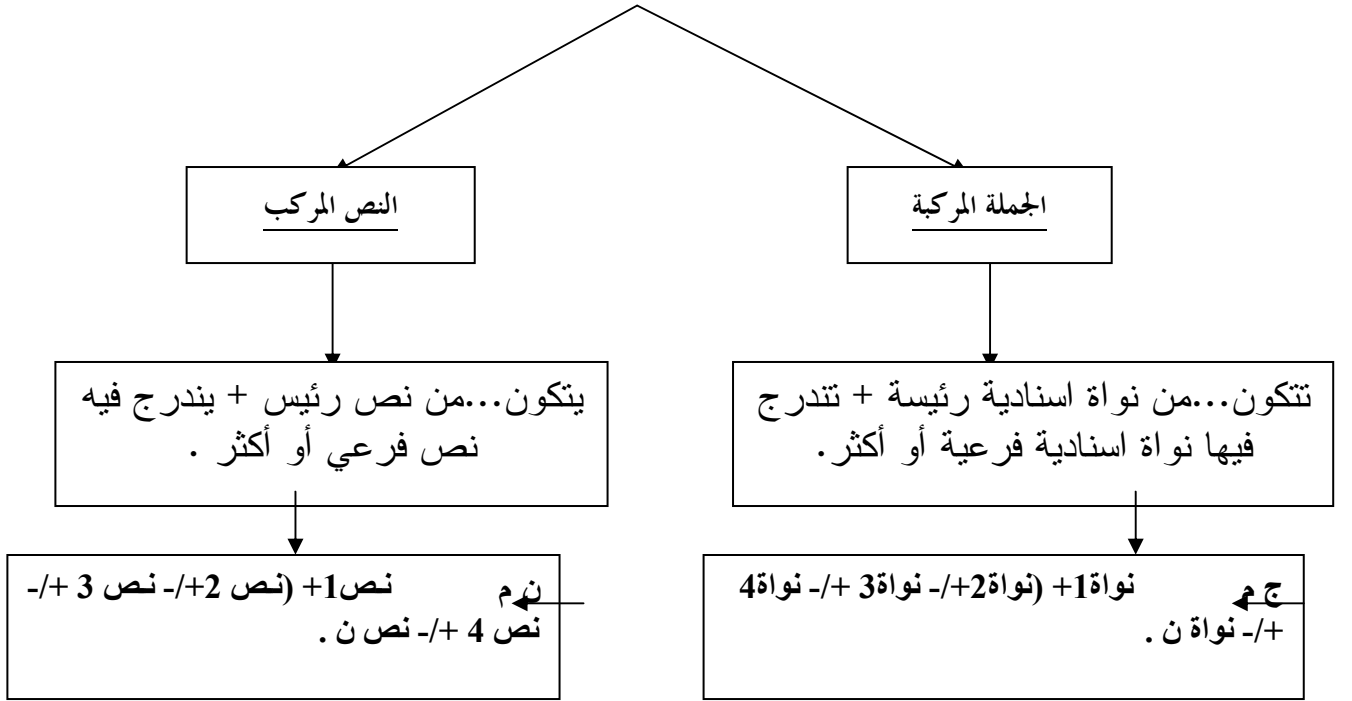
قواعد الربط

1 - الجملة البسيطة و النص البسيط



2 - الجملة المركبة و النص المركب

قاعدة



قاعدة الربط

في كل (نص) قاعدة ضرورية هي : قاعدة الربط .

إذا توفر في أي (نص) جملتان أو أكثر
ارتبطت الواحدة منهما بالأخرى ارتباطا بأداة أو
بغير أداة .

هذه القاعدة تعود إلى قاعدتين أساسيتين

قاعدة الربط الخطي . (+ أداة)

كل جملتين متتاليتين في (النص) : ثانيتهما تخالف الأولى
ترتبطان ارتباطا بأداة ربط .

نص : [ج1 ، ج2] ج 1 أداة ج 2 .
بشرط : ج 2 خلاف ج 1

قاعدة الربط البياني . (- أداة)

كل جملتين متتاليتين في (النص) : ثانيتهما
بيان للأولى ترتبطان ارتباطا مباشرا بغير أداة .

كل جملتين متتاليتين في (النص) : ثانيتهما
توكيد للأولى ترتبطان ارتباطا مباشرا بغير أداة

كل جملتين متتاليتين في (النص) : ثانيتهما
بدل للأولى ترتبطان ارتباطا مباشرا بغير أداة

نص : [ج1 ، ج2] ج 1 Ø ج 2 .
بشرط : ج 2 بيان أو توكيد أو بدل ج 1 .

الوصلُ وتماسك الخطاب/النصّ

هناك مبادئ دلالية/معنوية , و يراد بها دخول (المعنى) في تحقيق الترابط بين مكونات النص و عناصره اللغوية , و ذلك بإحلال العطف أو تركه .

1 - معنى الجمع :

و هو عطف يحصل في جملتين لا محل لهما من الإعراب , و مبرر هذا العطف ما يسمى بمعنى الجمع , ففي المثال الآتي : زيد قائم و عمرو قاعد , فمبرر هذا العطف هو أنه (حتى يكون عمرو بسبب من زيد , و حتى يكونا كالنظيرين و الشريكين , بحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني)⁽⁸¹³⁾. و الظاهر من هذا أن (السامع و هو أحد عناصر السياق و حاجته إلى معرفة حال الثاني بعد معرفة حال الأول لاقترانها في ذهنه مبرر من مبررات العطف)⁽⁸¹⁴⁾ .

2 - النظير و الشبيه و النقيض :

و هو مجوز العطف معنويا لما امتنع معياريا , فالقيد المجوز هنا هو أن يكون الخبران شبيهين أو نقيضين , و ذلك كقولنا :

- زيد طويلة القامة و عمرو شاعر .
- زيد طويلة القامة و عمرو قصير .
- زيد شاعر و عمرو كاتب .

فالعطف الأصوب هو الثاني و الثالث وفق المبدأ الموضوع للعطف - الإخبار عن الأول و الثاني - لوجود مشاكلة و تعالق بين طول القامة و قصرها , لأن الصفتين من سمة واحد , و كذلك في المثال الثالث بين قول الشعر و الكتابة , لأنهما نشاطان متشابهان .

3 - نقصان المعنى :

813 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز , ص : 224 .

814 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 102 .

و يقصد به وجوب الفصل لعدم تمام المعنى , و قد أورده السكاكي في الحالة التي تقتضي الإبدال , و ذلك أن الكلام قد يكون غير واف أو مكتمل , فيغير المتكلم صياغته لإتمام معناه و الوصول إلى كماله , و مثال ذلك قول الشاعر :

أقول له إرحل لا تقيم عندنا و إلا فكن في السر و الجهر معلنا

ففصل (إرحل) عن (لا تقيم) راجع إلى نزول النهي منزلة البدل , و أضاف لا تقيم لشعوره أن المعنى الأول ناقص غير واف , و لأنه قصد (كمال إظهار الكراهة لإقامته , بسبب خلاف سره العلن)⁽⁸¹⁵⁾.. و يميز الدارس بين المعنيين كالآتي :

- إرحل : دال على القصد بالتضمن غير مؤكد .

- لا تقيم : دال على القصد بالمطابقة مع التأكيد .

4 - الإيضاح :

و هو أن يكون بالكلام السابق نوع خفاء , و المقام مقام إزالة له , و هو مبدأ يظهر العلائق التي تنظم الخطاب/النص , رغم غياب الروابط الشكلية . فعلاقة الكلام السابق باللاحق علاقة تجلية و وضوح . و مثال ذلك قوله تعالى (فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ)⁽⁸¹⁶⁾ . فجملة (قال آدم) مفصولة شكلا عن (فوسوس) لاعتبار معنوي , و هو أن المقول إيضاح للوسوسة و إن كان المتلقي يدرك أن الوسوسة فعل قبيح و منكر , لكن الجملة الثانية أتت لتوضيح هذا المنكر , و هي الإشراك بوحدانية الله , لذا جاء الخطاب الثاني لرفع خفاء الأول و توضيحه له)⁽⁸¹⁷⁾ .

المبادئ التداولية :

815 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 102 .

816 - سورة طه , الآية : 120 .

817 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 115 .

إلى جانب المبادئ الدلالية/المعنوية السالفة الذكر تعمل على تبرير العطف , هناك - وفقا لعلاقة المتلقي بالخطاب/النص حيث يختلف من متلق إلى آخر , و عليه فتبرير وجوب العقل يعود لأسباب تداولية نوجزها في النقاط الآتية :

1 - التضام النفسي و التضام العقلي :

ينظر إلى الخطاب/النص م زاوية التلقي أي من خلال علاقة المتلقي بالخطاب و بذلك يربط العطف بأسباب تداولية . و لان اقتران الأشخاص في ذهن المتلقي بعضها ببعض مختلف من متلق إلى آخر فان مبدأ التضام النفسي نسبي . و ذلك لان الشخصين أو مجموعة أشخاص تعتبر متضامنة بالنسبة لمن يعرفها و يعنيه حالهما فحسب . و لا يمكن أن تعتبر كذلك بالنسبة لجميع الناس . ففي هذا المثال عمرو قائم و زيد قاعد . فالشخصان في ذهن المتلقي لا يفترقان فمعرفة حال الأول تستدعي معرفة حال الثاني . في حين انم بدا التضام العقلي عام لأنه مرتبط بالوقائع بحيث إذا قلنا : العلم نور او حسن بالضرورة تكون الجملة الثانية الجهل ظلام او قبيح ... فمبرر العطف هو كون الخبر عن الثاني مضاد للخبر عن الأول .

أما تداوليا تكون الواقعتان متضامتين عقليا (818) .

2 - الوصل : تأويل اختلاف الأفعال الكلامية :

و ذلك أن يكون المقام مشتملا على ما يزيل اختلاف الجملتين من تضمين الخبر معنى الطلب أو الطلب معنى الخبر , قال تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ) (819) , فجملة - قولوا - وردت بصيغة الطلب معطوفة , و لكن الآية لم يرد فيها طلب تعطف عليه , و لذا فالمقام يجعلنا نؤول جملة - لا تعبدون - ب: لا تعبدوا , لأنها مضمناة معناه .

818 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 103 .

819 - سورة البقرة , الآية : 83 .

إذا الخطاب/النص قد يرد في صورته السطحية منفصلا , و لكنه في صورته العميقة يتضمن الوصل , و ذلك بمساعدة المقام , و هذا ما يسمى بالتأويل المقامي .

3 - الوصل : جهة الجمع :

(أ) - الجامع العقلي

(ب) - الجامع الوهمي

4 - الفصل : تقدير السؤال :

تقدير السؤال يكون - عادة - لتفادي التكرار , كما أنه من دواعي تقدير السؤال عند السكاكي هو أن (تنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة) (820) .

1 - تنبيه السامع على موقفه .

2 - ترغيبه في السؤال .

3 - إيقافه عن الكلام .

4 - منع تداخل الحديث و اضطرابه بين المتكلمين

5 - تكثير المعنى بقليل من الألفاظ .

و الملاحظ أن هذه الاعتبارات مزيج بين مرسل الخطاب (1+2+3) و متلقيه (4) و الخطاب /النص نفسه (5) .. حيث يستغني عن تكرار السؤال بين كل قولين , إذ لو تكرر لأثقل الخطاب (821) ..

5 - اختلاف الأفعال الكلامية :

يرى السكاكي أن الجملتين المختلفتين من حيث الخبرية و الإنشائية ينبغي أن تفصلا عن بعضهما لامتناع عطف الطلب على الخبر , و مثال ذلك :

ملكته حبلي و لكنه ألقاه من زهد على غاربي

820 - الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة , ص : 264 .

821 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 116 .

و قال: إني في الهوى كاذب إنتقم الله من الكاذب

نجد في البيت الثاني /الشرط الأول = خبر , وفي الشرط الثاني = دعاء , و نظرا

لاختلاف الفعلين الكلاميين , وجب فصل الثاني عن الأول .

الاستبدال

أ - الواقع اللغوي :

من الآليات التي تعمل على تماسك الخطاب/النص و اتساقه و ترابط أجزائه و عناصره و تفاعل بنياته و تشابكها نجد آلية (الاستبدال) . و هي بداية - من الزاوية اللغوية - كلمة مأخوذة من أبدل , و أبدل الشيء من الشيء و بدله : اتخذ منه بدلا . كما أن البدل في اللغة : العوض ، ومنه قوله تعالى : (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها)⁽⁸²²⁾... قال ابن فارس : (الباء والداد واللام أصل واحد ، وهو : قيام الشيء مقام الشيء الذاهب ، يقال : هذا بدلُ الشيء وبديله ، ويقولون : بدلتُ الشيء ، إذا غيرته ، وإن لم تأت له ببده . . . وأبدلته إذا أتيت له ببدل)⁽⁸²³⁾..وقد قال ابن منظور : (وبدلُ الشيء غيره . . . بدلُ الشيء وبدله وبديله : الخلفُ منه ، والجمع أبدال)⁽⁸²⁴⁾ . و زيادة على هذا فإن صاحب مختار الصحاح بعد أن عرض لكلمة (بدل) بالشرح الذي يكاد يطابق ما جاء عند من تقدم ذكرهم عرج للحديث عن المفهوم اللغوي لكلمة (بدل) و لكن على صيغة (استفعل) حيث قال الرازي حينئذ : (..و استبدل الشيء بغيره و تبدله به إذا أخذه مكانه ..)⁽⁸²⁵⁾ . مما تقدم يتضح أن هذه اللفظة (بدل) بمختلف استعمالاتها الأساس تتمحور حول معان مركزية تتمثل في : العوض و الإتيان ببديل و التغيير و الخلف . و قد (.. أدخله بعض المتأخرين في فنون البديع ، و عرفوه

822 - سورة القلم ، الآية : 32 .

823 - ابن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ط : 1979 م ، ج 1 ، ص : 210 .

824 - ابن منظور : لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، ط : 1999 م ، ج 1 ، ص : 343 .

825 - أبو بكر الرازي : مختار الصحاح ، مكتبة لبنان 1986 م . ص : 18 .

بقولهم : إنه إقامة بعض الحروف مقام بعض ,... و ليس هذا من فنون البديع , بل هو من الدراسات اللغوية , و تحدث عنه اللغويون في مباحثهم . و لكن الباحثين في علوم القرآن كالزركشي و السيوطي , عدوه من البديع , و بحثوه مع التفوييف , و تأكيد المدح بما يشبه الذم , و التقسيم , و التدرج . (826) . مما يعني أن هذه الظاهرة اللغوية قد استرعت انتباه الكثير من الحقول المعرفية , فوضعت تحت العناية العلمية و التحليلية ابتغاء الوصول معرفة حقيقة هذا المظهر اللغوي و إلى أي مدى يمكن أن يتفاعل و مكونات فضاء الحيز المعرفي الذي يتحرك فيه , قد يظهر ذلك على صعيد علم الصرف أو علم البديع أو علوم القرآن أو غيرها من التخصصات التي تعنى وصفا و تحليلا بالمجتمع اللغوي و حركية فعله التواصلية ..

(أ) - الواقع المفهومي :

تعتبر ظاهرة الاستبدال بداية من أهم (ما تناوله الباحثون اللغويون المعاصرون و أولوه اهتمامهم , لكونه يشكل وسيلة مهمة من وسائل التعبير , و التنوع في الأداء , و التفنن في إيصال الدلالات التي تكمن في ذهن الباحث صدورا إلى ذهن المتلقي) (827) . أما إذا نظرنا للاستبدال من ناحية الاصطلاحية نجد ثمة تقاطعا بين دلالاته اللغوية و الاصطلاحية , إلا أنه مخصوص بالتعبيرات اللغوية , فهو (إحلال عنصر لغوي محل عنصر لغوي آخر) (828) , كما يعني (تعويض عنصر لغوي بعنصر آخر , , و هو

826 - إنعام فول عكاوي : المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع و البيان و المعاني , دار الكاب العلمية , بيروت - لبنان , ط2 : 1996 م , ص : 20 - 21 .

827 - عز الدين محمد الكردي : وجوه الاستبدال في القرآن الكريم , دراسة لغوية وصفية تحليلية , دار المعرفة , ط1 : 2007 م , ص : 08 .

828 - كارل ديتر بونتنج , المدخل إلى علم اللغة , ترجمة : سعيد بحري , مؤسسة المختار , ط2 : 2006 م , ص : 239 .

صورة من صور الربط المعجمي) (829). و هذه العملية الشكلية و المدركة حسيا تجعل من السهل عقد علاقة ارتباط بين الاستبدال و الإحالة (حيث يستبدل لفظ لاحق بلفظ أو فعل أو جملة سابقة , فيعمل على سبك النص و تماسكه , و يعمل أيضا على اختصاره) (830). بل إن العلاقة تكون شديدة الوضوح إذا علمنا أن من بين الشروط الأساسية المحقق لفاعلية هذه الظاهرة اللسانية (.. المطابقة الإحالية بين المستبدل و المستبدل منه) (831).

لا شك أن المقاربة اللسانية النصية للخطاب/النص تؤسسه من خلال متصور معرفي ينطلق من كونه (. وحدة كبرى شاملة لا تضمها وحدة أكبر منها) (832). هذا الأمر يجعل الوقوف أمام أي وحدة نصية صغرى كظاهرة الاستبدال هنا مثلا يقتضي الإشارة إلى أن هذه الوحدات الصغرى جميعها مترابطة فيما بينها في تفاعلية من خلال علاقات تقع من الناحية النحوية على المستوى الأفقي و من الناحية الدلالية على المستوى الرأسي (.. إذ يمكن أن تركز العلاقات ... في متتالية نصية على الدلالات , أي على علاقات داخلية أو على الروابط بين العناصر المشار إليها داخل النص و المشار إليه في خارجه , و هي علاقات الامتداد الخارجية) (833). إنها حقيقة شبكة من العلاقات المحكمة المتشابكة و المعقدة في الآن نفسه , من ميزات أنها حيوية و ديناميكية و فاعلة . و على هذا الأساس فالخطاب/النص (.. لا يجيز وجودا مستقلا لعناصره , حيث لا تكون القيم الجزئية ذات اعتبار كبير إلا باشتراكها في القيمة الكبرى المكونة من ذلك

829 - أحمد محمد عبد الراضي : نحو النص بين الأصالة و الحداثة , مكتبة الثقافة الدينية , ط1 : 2008 م , ص : 130 .

830 - محمد أشرف عبد العال : معايير النصية , دراسة في نحو النص , رسالة ماجستير , إشراف تمام حسان , كلية دار العلوم , 2003 م , ص : 59 .

831 - زتسيسلاف واورزنيك : مدخل إلى علم النص , مشكلات بناء النص , ترجمة : سعيد بحري , مؤسسة المختار , ط: 2003 م , ص : 61 .

832 - سعيد حسن بحري : علم لغة النص المفاهيم و الاتجاهات , الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان . ط1 : 1997 م . ص : 119 .

833 - سعيد حسن بحري : علم لغة النص المفاهيم و الاتجاهات , ص : 145 .

التكوين الأكبر..)(834)... إلا أنه - و رغم ذلك - فقد ينظر إلى الاستبدال من زاويتين معرفيتين إحداهما بلاغية فيكون حينئذ عبارة عن (..إحلال صفة أو اسم أو وظيفة أو لقب مكان اسم العلم , نحو استعمال كلمة : الفاروق بدل عمر بن الخطاب , أو هو استعمال اسم علم للتعبير عن فكرة عامة , نحو استخدام عبارة : عنتره زمانه للدلالة على القوة و الشجاعة ..)(835) , كما يمكن أن ينعت من زاوية علم اللغة على أنه (.. استبدال مقطع لغوي بمقطع آخر بحيث يؤدي هذا الاستبدال إلى كلمة جديدة , نحو الاستبدال بين الدال و الجيم في : دار و جار ..)(836) . و لكل نظرة متميزة فضاء تصويري خاص , قد يرقى إلى المستوى الذي وصل إليه الفكر اللساني النصي كما قد يبتعد عنه ملتزما الحدود المعرفية التي جادت بها البيئة الثقافية وقتئذ (.. و من ثم فإن كثيرا من الظواهر التي تعالج في إطار النص كوحدة كبرى هي في حقيقة الأمر قد كانت محور البحوث النحوية السابقة التي كانت تعد الجملة أكبر وحدة في التحليل ..)(837) , و لكن رغم ذلك تبقى العملية الإستبدالية في اللغة هي إحدى العمليات الضرورية لتحقيق التواصل الفاعل داخل اللغة بين عناصرها المختلفة و خارج اللغة بين أفراد المجتمع اللغوي أو بين أطراف العملية التواصلية نفسها، و من هذا المنظور فهي تدخل في إطار تطوير وتنمية اللغة و جعلها أكثر قابلية لتحقيق وظائفها الطبيعية خاصة . و قد تناول اللساني جورج مونان في كتابه الموسوم : معجم اللسانيات , مصطلح (الاستبدال) , حيث نظر إليه على أنه (*Forme linguistique . généralement brève . qui se substitue a une autre précédemment énoncée . en y renvoyant la lecteur ou l'auditeur . Ce terme est plus général que pronom . puisqu' il permet de dénoter les formes qui remplacent des unités d un niveau supérieur a celui du nom et même du syntagme nominal . jusqu' a la phrase. ou d une catégorie différente comme l'adjectif ..*

834 - المرجع نفسه , ص : 139 - 140 .

835 - محمد التونجي و راجي الأسمر : المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) , دار الكتب العلمية بيروت -

لبنان , ط 1 : 2001 م , ج 1 , ص : 30

836 - المرجع نفسه , ص : 30 .

837 - سعيد حسن بحري : علم لغة النص المفاهيم و الاتجاهات , ص : 134 .

(...)(838). (شكل لغوي. موجز عموماً. يحل محل شكل لغوي آخر قد أعلن في وقت سابق. في توجيهه للقارئ أو للمستمع إليه، وهذا المصطلح هو أكثر عمومية من الضمير. نظراً لأنه يمكن أن يشير إلى النماذج التي تحل محل وحدات من مستوى أعلى من ذلك الذي يحمل نفس الاسم وحتى العبارة الاسمية ، وصولاً إلى الجملة ، أو من فئة/نوع مختلفة . مثل : النعت) ، و لهذا فهي تقوم بدايةً بوظيفة أولية أساسية و مفصلية داخل الخطاب/النص و خارجه و هي الربط (.. و إنما كانت وسيلة للربط لأن في اشتراك العنصرين اللغويين في محور واحد من محاورهما نوعاً من التصنيف يحمل في طيه دعوى ضمنية بانتفاء كليهما صنف واحد و ارتباط أحدهما بالآخر بواسطة هذه الشركة ، و .. المطابقة إنما تكون في أمور معينة دون غيرها ..)(839) .

و تأسيساً على ما قدم ذكره فإن (الخطاب/النص) يستبطن عدداً غير محدود من العمليات الداخلية الألسنية المتفاعلة فيما بينها في معمارية نسقية محكمة البناء ، بها يوجد (الخطاب/النص) نفسه و حضوره و منها يحقق تواجده بمعزل عن الأنظمة التواصلية المختلفة التي تتقاطع معه حيناً و تجانبه أحياناً . فـ(اللسانياتية بطرحها إشكالية العلاقة بين المشار و المشار إليه ، أو بين الدال و المدلول ، في علاقات اعتبارية ، لم تكتف بالإشارة إلى العلاقة بين الأسماء و المسميات ، أو بين الأشياء و الكلمات ، و بالتالي بين الصور و المفهومات و إنما تحاول إشراك الوعي الإبداعي في تحمل هذه العلاقة ..)(840) . و من خلال هذه الكينونة المميزة تنطلق العملية التفاعلية النصية سواء أكانت بين

(الخطاب/النص) و منشئه ، أو بين (الخطاب/النص) و (مستلقيه) من ثمة فإن لغة (الخطاب/النص) هذه (.. لا تغدو مجرد حامل لمجموع الجمل و المفردات المولدة و إنما

838 - Georges Mounin : Dictionnaire de la Linguistique . . 1 édition :1974 .p =310 .

.QUADRIGE / PuF

839 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ج1 ، ص : 159 .

840 - خيرة خمر العين : جدل الحداثة في نقد الشعر العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1996 م ، ص : 105

يصير محصول تفاعل لغوي في إطار نظام لسانياتي يستمد إجراءاته من مبادئ جمّة تستمد معطياتها النظرية من طبيعة اللغة ذاتها (841).

و الاستبدال (.. يتمثل .. - كوسيلة من وسائل التماسك النصي- في تعويض عنصر لغوي بعنصر آخر , و هو يتم على المستوى النحوي و المعجمي داخل النص..)(842) . و هو بهذا المنظور واحد من هذه العلائق النصية المميزة , لها قدرات كامنة تسهم إلى حد بعيد في خلق التماسكية النصية و صناعة اتساقية (الخطاب/النص) ذاك يعني أن (.. هناك علاقات دلالية ترتبط بالعلامة المادية أو الدال , , أخرى علاقات دلالية ترتبط بالعلامة اللا مادية المدلول ..)(843) , و تضيف عليه شرعية ألسنية تجعله متداولاً في المحيط التواصلية الاجتماعية , ما لم تتبدل - في أحيان قليلة - هذه الحضورية و تنزاح إلى مواقع تواصلية أخرى أو أن تصيبها عوادي الزمان فتزول ..و على هذا الأساس فـ (.. La substitution La substitution est un dispositif de cohésion qui n'est pas à proprement parler sémantique, comme la référence ; Halliday et Hasan le qualifient de lexico-grammatical. Il conduit certes en dernière analyse à des ...processus ...)(844) . (الاستبدال هو عبارة عن صورة من صور التماسك , و ليس في صريح العبارة واقعا في المستوى الدلالي مثل الإحالة . فهاليداي و حسن يعتبرانه معجميا - نحويا , يقود بكل تأكيد في نهاية التحليل إلى إجراءات ..) . حتى يتميز الاستبدال أكثر و نمحه خصوصية دقيقة , تجدر بنا الإشارة إلى أهم الفروق القائمة بينه و بين الإحالة , و نوجزها في النقاط الآتية :

841 - خيرة خمر العين : جدل الحداثة في نقد الشعر العربي , ص : 105 .

842 - محمد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى عالم النص و مجالات تطبيقه , ص : 91 .

843 - خيرة خمر العين : جدل الحداثة في نقد الشعر العربي , ص : 111 .

844 - Role et fonctionnement de l'anaphore dans la dynamique textuelle .par Denis

1 - الاستبدال لا يقع إلا داخل النص , في حين تقع الإحالة داخل النص و خارجه , فالاستبدال أخص من الإحالة في ذلك .

2 - (الاستبدال يعد علاقة بين طرفيه على المستويين النحوي و المعجمي , أما الإحالة فهي علاقة على المستوى الدلالي .) (845) .

3 - يشترط في الاستبدال كون عنصره مشتركين في البنية الوظيفية , في حين لا يشترط ذلك في الإحالة .

و قبل أن ننهي هذه الجزئية لا بد أن نشير إلى أنه يوجد فرق و لو طفيف بين مصطلحين هامين من المصطلحات اللغوية التي قد تتداخل في هذا المقام تداخلا يصنع الغموض و الاضطراب المفاهيمي و من ثمة يلتبس على الدارس سبيل الحقيقة العلمية الدقيقة , و نعني بذلك مصطلح (البدل) و (الاستبدال) فإنه (على الرغم من التشابه الكبير في وظيفة هذه الوسائل بين العربية و الانجليزية ..فإن هناك اختلافا في مثل (الابدال) , فالبدل في العربية نوع من أنواع التوابع المعروفة , و هو يقوم بوظيفة التماسك النصي أيضا , لكنه يختلف عن الابدال في الانجليزية , لأنه عندهم في مقابل التركيب : كذلك , عندنا , و مثل هذا التركيب عندنا ليس بدلا . و من ثم فلا صلة بين الابدال و البدل من الناحية النحوية و التركيبية , و لكن من الناحية النصية فإن التركيب SO عندهم يؤدي وظيفة الابدال , و كذلك في العربية - بوصفه تابعا - من وظائفه التماسك (...)(846)

الاستبدال بين القدماء و المحدثين

إذا أراد الدارس أن يتتبع حضورية الاستبدال من حيث كونه ظاهرة لغوية متأصلة في التواصل اللساني الإنساني في الفكر اللغوي القديم منه و الحديث , فإنه لا شك , سيلاحظ أن هذا السلوك اللغوي الذي يتأسس من خلال (وضع عنصر لغوي موضع آخر

845 - فان ديك : علم النص , مدخل متداخل الاختصاصات , ترجمة : سعيد بحري , مؤسسة المختار , ط: 2004 م , ص : 310 .

846 - صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق , ج 1 , ص : 117 .

في سياق معين) , قد أخرجته الدرس اللغوي تارة من مرحلة الكمون فينضبط حينئذ في إطار مصطلح محدد تنظيرا , و تارة أخرى يبقى في منطقة الظل و في فضائه الطبيعي فلا يطفو إلى سطح الاصطلاح , على الرغم من أنه محسوس به من قبل الدارسين و مشار إليه بطرق غير مباشرة , تعتمد كثيرا على التلميح أكثر من التصريح في شكل نماذج تبينية و توضيحية .. و على هذا الأساس يجد الباحث نفسه محاطا بجملة من الأسئلة منها : هل كان الاستبدال عند القدماء ظاهرة محددة و مصطلح عليها ؟ كيف تعامل هؤلاء مع حيثياته في الاستعمالات اللغوية المختلفة ؟ و ما الذي جعل التفكير اللغوي الحديث يضبط هذه الظاهرة في اصطلاح محدد و يسعى إلى فك مكوناتها الأساسية , ثم وضعها في إطار ضوابط معرفية معينة ؟ هذه الأسئلة تدعو إلى أن نبدأ من حيث :

أ / - الاستبدال عند القدماء

كان معظم ما أنتجه التفكير اللغوي القديم يدور في فلك (نحو الجملة) الذي يتخذ من الجملة وحدة كبرى للتحليل اللغوي , , أو يعتبر الجملة أكبر مقولة لغوية , و يقف دونها كمون نحوي , دون أن يتعرض - عادة - لما وراءها من معطيات مختلفة قد تكون سسيولوجية أو سيكولوجية .. أو محددات سياقية حتى ...

لقد كان ذلك هو المناخ المعرفي الذي ساد و هيمن على معظم حركات البحث اللغوي لهذه المرحلة , بل حتى منتصف الستينيات كان يُنظر إلى الجملة وحدها على أنها الوحدة الأساسية في علم اللغة، وهي أكبر وحدة يمكن تعيينها ومن ثم متاحة للوصف اللغوي .. و هذا لا يعني - البتة - أنه بين الفينة و الأخرى , لا نجد من المفكرين اللغويين من يشذ على هذه القاعدة و يعمل تفكيره في إطار أوسع مما هو سائد في زمانه , و نعني به أن يتعاطى مع الظواهر اللغوية لا من منظور نحو الجملة و إنما من منظور نحو النص , و هو أشمل و أوسع .

و من هذا المنطلق فقد تناول النحاة القدماء ظاهرة الاستبدال بطريق تشبي بأنهم كانوا يتعاملون معها وفقا لمقتضيات الرؤية النحوية التي لا تخرج عموما عن حيز تركيب (الجملة) . و لهذا وجدنا (سيبويه) مثلا لم يستعمل أو يذكر مصطلحا مباشرا يسم

الاستبدال بالتعيين و التخصيص , أي (لم يذكر مصطلحا خاصا لهذا النهج الاستبدالي , و خلا كتابه من الفعل (استبدل) أو مصدره , أو أي مشتق من مشتقاته , ذلك بأنه غير معني بالايضاح النظري لهذا الاساس في كتابه , بل يتجه مباشرة إلى استخدامه في التحليل اللغوي , لكنه يشير إلى القدرة الاستبدالية لعنصر من العناصر اللغوية باستخدام كلمات و عبارات يراوح بينها , و أهمها : بمنزلة , زقع موقع , جرى مجرى , كأنك قلت , في معنى , في موضع , و تقول , كما تقول , يوافق قولك ...)⁽⁸⁴⁷⁾ . هذا يقتضي من الدارس أن يشير إلى أن هذه الألفاظ التي وظفها (سيبويه) السالفة الذكر أو غيرها للإشارة إلى ظاهرة الاستبدال , إنما لم تكن محصورة فيها و مخصصة بها , بل حينما نتتبع دلالاتها داخل الخطاب النحوي لـ(سيبويه) من خلال كتابه (الكتاب) نجدها تحمل و تحتمل دلالات أخرى , لا علاقة لها بالاستبدال , بل بالتركيب أو الوظيفة لعنصر لغوي ما .

و للتوضيح أكثر فقد أشار النحاة القدماء إلى أنه من المسلم به في الاستعمال اللغوي العربي الفصيح , استبدال (الجملة) بـ(المفرد) , إذا كانت هذه الجملة من حيث الوظيفة النحوية عبارة عن (صفة) , أي تابعة و عائدة على (نكرة) , و من ثمة يمكن استبدالها /الجملة بـ(مفرد) يحمل الدور النحوي نفسه و المماثل للذي قامت به (الجملة) الآتفة . و قد ذلك كل من سيبويه و المبرد و غيرهما .. فقد (قال سيبويه , نقول : هذا رجل ضربنا , فتصف بها النكرة و تكون في موضع ضارب , إذا قلت : هذا رجل ضارب . و قال المبرد : و إنما تكون الجمل صفات للنكرة و حالات للمعرفة , لأن (يفعل) إنما هو مضارع (فاعل) , فهو نكرة مثله , ألا ترى أنك تقول : مررت برجل يضرب زيدا , كما تقول : مررت برجل ضارب زيدا , و تقول : مررت بعبد الله يبني دارة , فيصير (يبني) في موضع نصب لأنه حال , كما تقول : مررت بعبد الله بانيا دارة)⁽⁸⁴⁸⁾ .

⁸⁴⁷ - محمد سالم أبو عفرة : السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق و المكتوب , مكتبة الآداب , ط1 : 2010 م ,

ص : 94 .

⁸⁴⁸ - محمد نحلة : التعريف بين الدلالة و الشكل , دار التوني للطباعة و النشر , مصر , ط1 : 1997 م , ص : 178

بل هناك من نحاة هذه المرحلة التاريخية من تجاوزت نظرته للاستبدال الحدود التي كان سابقوه قد توقفوا عندها , حيث اعتبر هذه الظاهرة اللغوية بمثابة طوق نجاة , و واحد من آليات حل بعض الإشكالات اللغوية التي تصنعها عادة معيارية بعض القواعد العامة (تقول ما يصلح بالرجل خير منك أن يفعل هذا , و خير نكرة و الرجل معرفة , و قد تقدم أن النكرة لا تنعت إلا بالنكرة , و المعرفة بالمعرفة . قلت : لما لم يمكن تعريف خير , و كان الرجل و إن كان معرفة تقع في موضعه النكرة هنا على معنى واحد فتقول : ما يصلح برجل خير منك , فجرى (خير) صفة على ما يصلح أن يقع في الموضع لتوهمه على حسب ما ذكرته , و لهذا في كلام العرب نظائر كثيرة .)(849) .

ب / - الاستبدال عند المحدثين

لكن لما تغيرت الرؤية المعرفية النحوية المعاصرة , وحدثت فيه تبدلات قد تكون يسيرة أو كبيرة , و لكنها مع كل ذلك نوعية , في منهج مقارنة الظاهرة اللغوية عامة لدى علماء الدرس اللساني و فلسفته و كذلك (لتغير كثير من المفاهيم النقدية الحديثة , و تغير النظرة اللسانية إلى مفهوم اللغو و وظيفتها عند تحليل الخطاب ..)(850) , فإنه - لا شك - لمثل هذه المدخلات النوعية أن تولد مخرجات قد تعمق ما قدمه القدماء , أو تزيد فيه أو تنسفه من أساسه , و بهذا ظهر اتجاه لا يعترف باستقلالية الجملة , بل يعالج الخطاب/النص من منظور كونه وحدة بنيوية كلية , فتميز برؤية أشمل , و بتوظيف المعالجة اللسانية الحديثة في التحليل النحوي الذي يتخذ من النص محورا للتحليل اللغوي , بحيث ينطلق منه و ينتهي إليه .

و لتأكيد ذلك فإن المهتمين بالدرس العلمي اللغوي النصي بكل أبعاده و تجلياته , قد اعتبروا الظاهرة/الاستبدال - التي تعامل معها التفكير النحوي القديم - أنها واحدة من أهم مرتكزات اتساق الخطاب/النص و تماسك عناصره و أجزائه و مكوناته , و من ثمة استمراريته الدلالية , سواء أكانت هذه الاستمرارية على مستوى البنية الداخلية

⁸⁴⁹ - ابن أبي الربيع : البسيط في شرح جمل الزجاجي , تحقيق : عياد بن عيد الثبتي , دار الغرب الاسلامي , بيروت

, ط: 1986 م , ص : 236 - 327 .

⁸⁵⁰ - أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي , ص : 37 .

للخطاب/النص أو على مستوى بعده الخارجي حيث يتفاعل وجود الرسالة اللسانية مع واحد من الأطراف التواصلية الأساس وهو المتلقي . ذلك أن العنصر المستبدل اللاحق في الخطاب/النص هو العنصر المستبدل منه السابق بالقوة لا بالفعل , بالإطلاق لا بالتقييد ..

لقد عمل كل من هاليداي و رقية حسن على تحديد مفهوم الاستبدال , بعدما انتبها لضغط هذه الظاهرة و حضورها المتميز و القوي أحيانا في كل الاستعمالات اللغوية الشفوية منها و المكتوبة , الفنية منها و غير الفنية .. طبعا مع اختلاف و تباين في نسبة التواجد و الانتشار من فعل تواصل لسانى إلى آخر . و لكن للوقوف على الحدود المفهومية لظاهرة الاستبدال اللغوي اعتمد هاليداي و رقية حسن في مقاربتها على مقارنتها بالحذف مرة و بالإحالة أخرى , فالاستبدال عندهما إذا (as the replacement of one item by another ,and ellipsis as the omission of an item....⁽⁸⁵¹⁾) (تعويض عنصر بآخر أما الحذف فهو نسيان عنصر و تغييره), كما هو في الوقت نفسه (is a relation between linguistic items ,such as words or phrases ; whereas reference is a relation between meanings⁽⁸⁵²⁾) (هي علاقة بين الصيغ اللغوية مثل المفردات او الجمل , بينما الإحالة هي علاقة بين المعاني)

و قد تناول كل من براون و يول ما عرضه هاليداي و رقية حسن بشيء من النقد و التقويم , و قد ناقشا رؤيتهما للاستبدال تلك من زاوية أخرى فيه من الاضافة ما يستأهل التنويه و الإشادة به , حيث يقول براون و يول (يتبنى هاليداي و رقية حسن نمودجا مباشرا للإحالة داخل النص فنظرتهما للاستبدال بسيطة , إذ يريان أنه يمكن استبدال عبارة بعبارة أخرى داخل النص . و لا تختص هذه النظرة بهما , فهناك توجه عام في تحليل النص يسمى : علم لسانيات النص الاستبدالية)⁽⁸⁵³⁾ , و بهذا يكون ما أنجزه هاليداي و رقية حسن إنما هو رؤية محدودة و عمل بسيط لا يرى إلى مستوى

M.A HALLHDAY and RUGAHYA HASAN : Coheshon hn Englshh . longman . - 851
london .1976 .p :88.

M.A HALLHDAY and RUGAHYA HASAN : Coheshon hn Englshh .p :89 - 852

853 - محمد الشاوش : أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية - تأسيس نحو النص - , المؤسسة العربية

للتوزيع - تونس , ط1 : 2001 م , ص : 240 .

العمق الذي يبغيه كل من براون و يول و غيرهما .. فيما يتعلق بظاهرة الاستبدال اللغوي

كما نجد من المحدثين العرب محمد خطابي الذي حاول الاقتراب معرفيا أكثر من آلية الاستبدال , بالاستعانة بما راكمه المفكرون اللغويون المحدثون من معطيات و استنتاجات و ما أفرزته الثقافة اللسانية المعاصرة , حيث يقول (يعتبر الاستبدال من جهة أخرى وسيلة أساسية يعتمد في اتساق النص , يستخلص من كونه عملية داخل النص أنه نصي , على أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية , أي علاقة بين عنصر متأخر و بين عنصر متقدم , و بناء عليه يعد الاستبدال مصدرا أساسيا من مصادر اتساق النص ..)(854) , و قد مثل لذلك بذكر ما قدمه هاليداي و رقية حسن في هذا الأساس , و المتمثل في :

My ax hs too blunt . Imust get a sharper one .

فأسي جد مثلومة . يجب أن أقتني (فأسا) أخرى حادة .

و على هذا الأساس تقوم شبكة العلاقات الاستبدالية بين العناصر المتباعدة منها أو المتقاربة في فضاء الخطاب/النص , على تماسكه و تيسير تلقيه من قبل المرسل إليه , و هذا (مدخل الاقتصاد في نظام المعوضات , في اللغة , إذ تختصر هذه الوحدات ..)(855) الكثير من العناصر اللغوية , و في الوقت نفسه (تجنب مستعملها إعادتها و تكرارها)(856) ..

من وظائف الاستبدال :

- الاستبدال وسيلة قوية تعمل على تماسك الخطاب/النص و اتساقه , فإذا كان الخطاب/النص (تتابعا لوحدات لغوية فالتسلسل الضميري هو الوسيلة الحاسمة لتشكيله ,

854 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 19 .

855 - الأزهر الزناد : نسيج النص , المركز الثقافي العربي ط1 : 1993 م , ص : 212 .

856 - المرجع نفسه , ص : 89 .

و عن طريقه يمكن ربط الجمل مع ضمان تنوع الأسلوب و اختصاره , و الاستبدال من العمليات التي تحقق ذلك . (857) .

- الاستبدال من أهم آليات التأليف على المحور الرأسي داخل الخطاب/النص (أنه إشارة بعنصر لغوي إلى عنصر لغوي آخر يتفق معه في الدلالة) (858) , و تقابلها ظاهرة الترتيب التي تتحرك على المحور الأفقي , و من هنا يعتبر الاستبدال صنو القافية في الشعر , , فالاستبدال يتحقق على مستوى البيت , و القافية على مستوى القصيدة من أولها إلى آخرها .

- الاستبدال متعدد العبارات و الأساليب (يتم على المستوى النحوي و المعجمي داخل النص) (859) , فعلى مستوى الاسم يتحقق بطائفة من الكلمات/ عناصر لغوية اسمية منها : (آخر , آخرون , أخرى , نفس) (860) , واحد , واحدة ... تقع مستبدلا الأسماء الواردة في الخطاب/النص . كما أن على مستوى الفعل نجد صيغة عامة للفعل (فعل) تقع مستبدلا لأي فعل وجد في الخطاب/النص , مهما كان معناه أو جذره اللغوي ..

- الاستبدال صورة من صور ترابط الخطاب/النص و تفاعله , خاصة بين عناصر لغوية معينة مشكلة مظهرا بنيويا متميزا لأن (الاستبدال عملية تتم داخل النص , إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر) (861) أولا , ثم يتخذ أشكالا حركية داخل فضاء الخطاب/النص كله , لينطلق فيما بعد نحو كل مكونات الرسالة اللغوية الداخلية و الخارجية ليشاركها الفعل التواصلي بكل أبعاده و أطرافه ..

- الاستبدال يحيل على الاستمرارية الدلالية , و هو بهذا المعنى وسيلة هامة من الوسائل المغرية للمتلقي حتى لا يبتعد كثيرا عن النص , إما شاردا عنه و إما مفترضا له تأويلات تنحرف به عن إطار البنية الكلية النواة الأساس التي تتحرك حولها كل مكونات

857 - فولفانج هاينه مان و ديتر فيهيجر : مدخل إلى علم لغة النص , ترجمة : سعيد بحري , مكتبة زهراء الشرق , ط : 2004 م , ص : 23 .

858 - أحمد محمد عبد الراضي : تحو النص بين الأصالة و الحداثة , ص : 130 .

859 - محمد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه , ص : 91 .

860 - أحمد محمد عبد الراضي : تحو النص بين الأصالة و الحداثة , ص : 130 .

861 - أحمد عفيفي : نحو النص , اتجاه جديد في الدرس النحوي , ص : 123 .

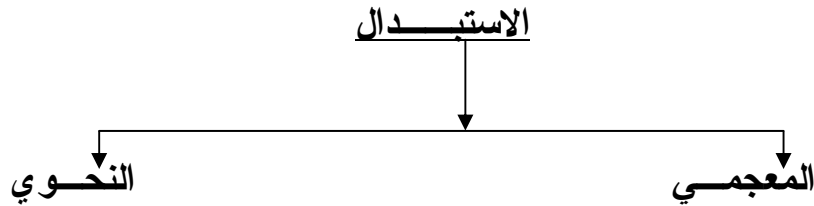
الخطاب من أديانها إلى أقصاها .. لأنه من هذه الاستمرارية الدلالية يكتسب الخطاب قيمته عند المتلقي

- بالنسبة لتحليل الخطاب : فهي تسمح خاصة بالإبانة عن الاختيارات الإيديولوجية الضمنية : قد تكرر (مجهولون هاجموا محافظة الشرطة)—(أشرار ...) أو (جنود العصابات ...) أو (فلاحون دون أراض ..) إلخ .

و قبل التمييز بين الاستبدال الذي يقع في المستوى المعجمي عن ذاك الذي يحدث في المستوى النحوي تجدر الإشارة هنا إلى أن الدرس اللغوي العربي القديم لم يقف عند هذا النوع من الظواهر اللغوية بالصورة نفسها التي وقفها العلماء المحدثون المهتمون بقضايا لسانيات النص , فقد تحدث الفكر اللساني العربي فيما يخص هذه القضية عن الإبدال النحوي و الإبدال بين الحروف بعضها ببعض , و الكلمات بعضها ببعض على اختلاف لهجات القبائل , و رغم هذا الجهد العلمي المعتبر فالأمر يختلف عن مفهوم الاستبدال الذي حده النصيون و دعوا إليه , هذا لا يعني أن هذا الأمر عند القدماء العرب يعد طفرة أو اختراعا غريبا لم يشيروا إليه لا من قريب أو بعيد , فإننا لا نعدم شواهد تزيل هذا اللبس و الادعاء , فقد ذكر ابن هشام ما يصب في إطار الاستبدال بالمفهوم المعاصر , و ذلك في سياق الحديث عن كلمة (كذا) حيث يقول : (..ترد على ثلاثة أوجه , أحدها : أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما و هما كاف التشبيه و ذا الإشارية كقولك : رأيت زيدا فاضلا و رأيت عمرا كذا...)(862) . فالملاحظ هنا أن العنصر المستبدل به هو : (كذا) و المستبدل منه هو : (فاضلا) , هذا قد يدعونا إلى التأويل الآتي للشاهد السالف الذكر : رأيت زيدا فاضلا و رأيت عمرا فاضلا , هذا الذي يعنيه الدرس النحوي النصي بالاستبدال , إلا أن ابن هشام - طبعا - لم يصطلح على هذه الظاهرة اللسانية بما عرف به عند المشتغلين من المحدثين بلسانيات النص . وقبل الكشف عن تلك الظاهرة نشير إلى أن مفاهيمها (..لم تتردد لدى علمائنا في مجال محدد , أو في مؤلفات من

862 - ابن هشام : معني اللبيب , ج 1 , ص : 211 .

صنف معين , و إنما وردت في مصنفات مختلفة : البلاغية و النحوية و الفلسفية و الأصولية و غيرها ..)(863) . و بعد هذا التوضيح أن لنا أن نعرض إلى الإطار الذي يقع فيه الاستبدال على المستوى المعجمي و الآخر الذي يقع على المستوى النحوي كل ذلك في ما يأتي :



(أ) - الاستبدال المعجمي :

هذه العملية اللغوية الحادثة داخل الخطاب/النص هي في الأساس (..تكرار وحدة معجمية بأخرى معجمية ..)(864) , وإذا ما أردنا أن نضرب لها مثالا يجسدها نأخذ هذا النموذج الذي ساقه الدكتور محمد الأخضر الصبيحي ثم علق عليه في كتابه الموسوم : مدخل إلى عالم النص و مجالات تطبيقه, إذ يقول : (من أمثلة الاستبدال المعجمي العبارة التالية : (سيارتي قديمة يجب أن أشتري أخرى جديدة) فكلم (أخرى) عوضت كلمة (سيارة) و قامت مقامها , مما زاد في تعلق الجملة الثانية بالأولى .)(865) . هل هذا التصور يدعونا إلى نعت هذا النوع الاستبدالي بأنه استبدال جزئي متكئين في ذلك على أنه (.. يكرر وحدة أصغر من الجملة ..)866 ؟ . و إذا أردنا أن نسوق أنموذجا على

863 - دراسات أدبية : دورية فصلية محكمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث و الاستشارات و الخدمات التعليمية , العدد (03) , 2008 م . ص : 64 .

864 - دومينيك مانغونو : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب , ص : 50

865 - محمد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى عالم النص و مجالات تطبيقه , ص : 91 .

866 - دومينيك مانغونو : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب , ص : 50 .

ذلك من الحديث النبوي فقد وجدناه مثلاً في هذه الرواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوَضِّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ)⁽⁸⁶⁷⁾ , فغني عن البيان الإشارة إلى أن العنصر اللغوي (العبد) في الجملة الأولى من بداية الخطاب النبوي قد حل محله العنصر اللغوي (فلاناً) الواقع مباشرة في الجملة الموالية خدمة للتماسك النصي و تحقيقاً للتواصل الفعال بين كل مكونات الفعل اللغوي .

(ب) - الاستبدال النحوي :

أما ما يتعلق بهذا الضرب من الاستبدال الذي أطلق عليه علماء الدرس اللساني النصي اسم الاستبدال النحوي الذي يتخذ لوجوده الفضاء التركيبي مجالاً للتحرك فيه , فإنما متصوره (.. يتمثل في لجوء المتكلم أو الكاتب إلى استعمال تركيب نحوي بدل تركيب آخر ..)⁽⁸⁶⁸⁾ . و المثال التوضيحي الذي قد يجلي هذا المظهر اللساني النصي إنما نستقيه من قوله تعالى (.. وقيل اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنا عشرة عينا)⁽⁸⁶⁹⁾ . لقد حصل الاستبدال هنا بتعويض جملة جواب الطلب (و هي من المفروض : فاضرب الحجر بعصاه ...) . و ترتبط هذه الجملة بالجملة المحذوفة بعلاقة سببية (...)⁽⁸⁷⁰⁾ . بينما قد نجد من العلماء و منهم دومينيك مانغونو قد نظر إلى هذا اللون من الاستبدال على أنه (.. تكرار بواسطة الضمير خاصة ..)⁽⁸⁷¹⁾ , و من الموضوعية الإشارة إلى أن هذه الرؤية لا تعني أن هذه العملية العائدية منحصرة فقط في الضمير , و إنما هذا الأخير هو الذي عادة ما يفرض وجوده احتلال فضاء معتبر في التفاعل

867 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القاري شرح صحيح البخاري , ص : 181 .

868 - محمد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى عالم النص و مجالات تطبيقه , ص: 92 .

869 - سورة البقرة , الآية : 60 .

870 - محمد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى عالم النص و مجالات تطبيقه , ص: 92 .

871 - دومينيك مانغونو : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب , ص : 50 .

النصي بين أفراد المجتمع التواصلي . و إذا كنا قد تساءلنا سابقا عن إمكانية نعت الاستبدال المعجمي بـ(الاستبدال الجزئي) , فإننا هنا نتقدم ضمنا بالاستفهام نفسه مشيرين من خلاله إلى إمكانية وسم هذا النوع من الاستبدال (الاستبدال النحوي) تحت اسم : الاستبدال الكلي .

فالعناصر اللغوية المشكلة لـ(الخطاب/النص) إذا تحمل في ذاتها جملة من القابليات , منها القابلية الاستبدالية . فتعويض (عنصر لغوي) بـ(عنصر لغوي) آخر داخل (الخطاب/النص) , بعد أن تأسس بينهما نوع من العلائقية المتواشجة الاتساق الفريدة , هذه الظاهرة هي التي (تغطي .. مختلف الظواهر التي تقوم على تكرار وحدة لغوية ما بأخرى في نفس النص ..)(872) و هي المسماة عند علماء لسانيات النص بـ: (الاستبدال) .

قد ينظر للاستبدال بداية على أنه صورة محددة المعالم للتماسكية النصية التي تتمظهر أساسا في المستوى النحوي المعجمي , فتتحقق ميدانيا بين الكلمات و العبارات . و المتابعة الميدانية للممارسة الفعلية لحالات الاستبدال النصي , تجعلنا نلاحظ أن التشكل الاستبدالي المنتشر بقوة لحظة الفعل التواصلي هي الحالة القبلية , بل هي النموذج الذي يكاد يفرض وجوده الاستعمالي في (الخطاب/النص) . و كأن الدينامية التي تحكم التعويض النصي هذا تأخذ – عادة – اتجاها واحدا , و لكنه يتجدد في ثبات عام من موقعية إلى أخرى ... إن هذا الأمر قد يجعل الدارس مثارا بأسئلة مفصلية , قد تكون سؤالا حول الأسباب الكامنة وراء قلة بل ندرة الحالة البعدية التي قد يتشكل الاستبدال منها . أو سؤالا عن ماهية (الخطاب/النص) الذي يستدعي الحالة القبلية و ينغلق دون الحالة البعدية . و هل هناك خطاب خال من الحالتين ؟ و ما الذي يحدث لـ(الخطاب/النص) لو تدخلنا وأجرينا تغييرا و تبديلا بين نوعي الحالات في إطار الاستبدالية ؟ هذه الأسئلة و غيرها صيرورة البحث قد تكشف عن بعض تفاصيلها .

872 - دومينيك مانغونو : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب , ص : 49 .

إن الفعل الاستبدالي و هو يتحقق داخل (الخطاب/النص) يشي بكون هذا الأخير و هو يؤسس لنفسه الوجود يترك فضاء من المرونية يسمح له بطائفة من النشاطات المعقدة الداخلية , منها أنها تكسب (الخطاب/النص) قدرة حركية منضبطة ذات طبيعة بدائية , تتخذ صوراً شتى منها الاستبدال نفسه الذي يمثل من هذه الزاوية واحدة من التظاهرات البدائية لـ (الخطاب/النص) . و من هذه الناحية قد ننظر إلى العملية الاستبدالية النصية حينئذ على أنها فعل نصي مؤسس وجوده على علاقات رابطة بين جمل و متتاليات جمالية , إلا أنها بشتى أصنافها تخضع لشرطية ذات طبيعة دلالية , و هي أن يتم استبدال (وحدة لغوية) بشكل آخر من الوحدات اللغوية , قاسمها المشترك البعد الدلالي خاصة . إذ المطلوب حينئذ أن يشترك كل من المستبدل والمستبدل (الشكلان اللغويان) في الدلالة على المرجعية الواحدة المتمثلة في الشيء غير اللغوي نفسه .

و من خلال ما تقدم يبدو لنا الاستبدال , هذه العملية التي تحدث داخل النص , إنما هو عبارة في الحقيقة عن عملية تعويضية شديدة التعقيد والإحكام بين عنصرين متقابلين كلاهما يسبح في فضاء النص , موجداً لنفسه موقعية تؤهله ليسهم في تحقيق التماسكية النصية و تجسيد البنية الكلية للخطاب/النص . و من ثمة فهو يعد علاقة فاعلة و دينامية مشاركة في تخليق الاتساقية النصية . و من الموضوعية الإشارة إلى أنه ينبغي على الدارس أن ينظر إلى هذه الظاهرة النصية (.. من حيث صلتها بالنص بأكمله و بالعناصر الأخرى في النص)⁽⁸⁷³⁾ . ذلك حتى تتشكل صورتها واضحة لحظة مقارنة هذه الآلية لدى (المتلقي) و هي تعمل داخل بنائية محكمة و في ديناميكية و حركية تشابك فيها نفسها بباقي الآليات و البنى النصية للـ(الخطاب /النص) (.. و هذا كله من أجل إبعاد الطابع الذاتي قدر الإمكان عن الأحكام التي يصدرها الدارس , و الاقتراب من الموضوعية التي ينشدها)⁽⁸⁷⁴⁾....

وعليه ينظر إلى ظاهرة الاستبدال النصي على أنها من أهم العناصر المجسدة فعلياً و واحدة من بين وسائل الاستمرارية النصية و المتمثلة الاتساق النصي و تماسكه , و لهذا

873 - محمد عبد الله جبر : الأسلوب و النحو , دار الدعوة , ط: 1 , ص : 18 .

874 - المرجع نفسه , ص : 11 .

عرفه الكثير من علماء النص بقولهم (as the replacement of one item by another)⁽⁸⁷⁵⁾ (هو إحلال عنصر لغوي مكان عنصر آخر) داخل النص ، و عليه فالتعبير الأول من التعبيرين (إحلال عنصر لغوي) يسمى المستبدل به بينما يطلق على الآخر (مكان عنصر آخر) المستبدل منه الذي حل محله . إلا أنه إذا ما تموقع كل من (المسبدل منه) و (المستبدل به) في موضوعية و موقعية نصية متوالية ففي هذه الحالة تنعقد بينهما علاقة استبدالية نحوية (.. تخلق أساق التوازي في الخطاب ..)⁽⁸⁷⁶⁾ . و لا تتسم في الوقت نفسه بالتطابقية التي تتحكم في العلاقة القائمة بين عنصري الاحالة و إنما تتسم بالتقابلية التي (.. تقتضي إعادة التحديد و الاستبعاد..)⁽⁸⁷⁷⁾ . بالإضافة إلى ما سبق هناك حقيقة أخرى تؤكد مساهمة الاستبدال في سبك النص وهي استحالة فهم ما يعنيه one أو do أو so كعناصر مستبدلة إلا بالعود إلى ما هي متعلقة به قبليا، وفي هذا العود يكمن ما يسمى لدى هاليداي و رقية حسن معنى الاستبدال: (ينبغي البحث عن الاسم أو الفعل أو القول الذي يملأ هذه الثغرة في النص السابق أي أن المعلومات التي تمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي توجد في مكان آخر في النص)⁽⁸⁷⁸⁾ .

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن الدرس اللغوي العربي القديم لم ينتفت إلى هذا النوع من الاستبدال برؤية تنظيرية واضحة المعالم و مؤسسة ، وإن كان بعض من العلماء القدماء قد تحدث عن ظاهرة الإبدال و لكن من منظور نحوي أو صرفي صرف ، سواء أكان الأمر متعلقا بالإبدال بين الحروف بعضها ببعض ، أو الكلمات بعضها ببعض على اختلاف لهجات القبائل العربية (فالإبدال الذي يعنيه هاليداي و رقية حسن ليس الإبدال الذي يعنيه علماء النحو العربي ...)⁽⁸⁷⁹⁾ .

Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 88 – 875

876 - حسن ناظم : مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول و المنهج و المفاهيم ، المركز الثقافي العربي ، ط: 1 ، ص : 104 .

877 - محمد خطالي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ص : 21 .

878 - المرجع نفسه ، ص : 20 - 21 .

879 - صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، ج2 ، ص : 199 .

والذي يلحظه الدارس مباشرة هو الاختلاف و التباين بين ما يريده النحويون العرب القدماء من مفهوم الإبدال و ما يعنيه الاستبدال عند النصيين ، وإن كنا لا نعدم بعض الإشارات هنا و هناك تارة في ثنايا المصنفات النحوية و مرة بين فقرات الدرس البلاغي و النقدي الأدبي كل ذلك يعد شاهدا على النضج الفكري اللساني العربي القديم رغم عدم تطابق رؤاه اللغوية تتطابقا كليا مع ما ذهب إليه التصور الخاص عند علماء لسانيات النص . و لذلك فقد ذكر ابن هشام ما يقارب رؤية النصيين للاستبدال في سياق الحديث عن لفظ (كذا) حيث يقول (.. ترد على ثلاثة أوجه، أحدها : أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما , وهما كاف التشبيه وذا الإشارية كقولك : رأيت زيدا فاضلا ورأيت عمرا كذا.. الثاني : أن تكون الكلمة واحدة مركبة من كلمتين مكنيا بها عن غير عدد كقول أئمة اللغة : قيل لبعضهم : أما بـمكان كذا و كذا وجد ؟ فقال : بلى و جازا , فنصب باضمار أعرف ...) (880) . و الذي نلاحظه هو أن العنصر (كذا) وهو المستبدل به قد حل عوضا عن العنصر اللغوي (فاضلا) وهو المستبدل منه، وكان الكلام في بنيته العميقة كائن على الشاكلة الآتية : (رأيت زيدا فاضلا ورأيت عمرا فاضلا) إلا أن ابن هشام لم يوظف التعبيرات و المصطلحات كتلك التي عرفت به عند المحدثين. و تناولها العلماء في مصنفاتهم ..

الاستبدال و الإحالة

و للابتعاد عن الوقوع في شرك التكرارية المعرفية و التداخلية المضطربة بين دلالات المصطلحات التي تؤسس لتماسك (الخطاب/النص) , نجد أنفسنا في حاجة ماسة للتفريق المفهومي بين طبيعة و حركية كلا من (الإحالة) و (الاستبدال) , لأن النظرة العجلى أو غير العلمية قد تحسب (الإحالة) مرادفة لـ(الاستبدال) و بالتالي تساوي بين قضيتين نصائيتين معرفيتين مختلفين , و عليه فإن نتائجها الممارساتية بادية للقاصي و الداني , و انعكاساتها الإجرائية السلبية لا ريب فيها لأن (..الكيفيات المتنوعة في عملية

880 - ابن هشام : معنى اللبيب , ج 1 , ص : 211 .

التركيب و التأليف هي التي تميز الأساليب , و هي التي ينتج عنها الاختلاف فيها , فإن الاختلاف في البنية و الكيفيات في عملية التركيب و التأليف و رصف الجمل هي ما تميز الأساليب , و تعطي أنماطها المختلفة ... (881) , و لهذا فإن (الاستبدال) يخلف عن (الإحالة) في نقاط عديدة منها :

1 - الاستبدال علاقة تتم في المستوى: (.. النحوي والمعجمي ..) (882) (كلمات أو عبارات) .

2 - الإحالة علاقة معنوية (.. تقع على المستوى الدلالي, كما أنها أحيانا تحيل على أشياء خارج النص ..) (883) . أي على شيء غير لغوي ..

3 - الإحالة تقضي بأن يكون (المحيل) و (المحال عليه) : شيئا واحدا دلاليا .

4 - الاستبدال لا يوجب أن يكون (المستبدل) و (المستبدل): صورة دلالية طبق الأصل .

5 - (كما يتميز الاستبدال عن الإحالة أيضا , في أن معظم حالاته قبالية , و ذلك أن العلاقة بين الكلمات فيه تكون بين عنصر متأخر و عنصر متقدم .) (884) .. , أي أن العنصر المستبدل سابق على العنصر المستبدل منه , و ذلك بغية حيك صلة قوية و نوع من العلائقية المتسمة بالحوارية المتزنة ..

5 - في الإحالة العلاقة بين (المحيل) و (المحال عليه) ← علاقة تطابق .

6 - في الاستبدال العلاقة بين (المستبدل) و (المستبدل): ← علاقة تقابل نوجب إعادة التحديد و الاستبعاد.

7 - إن (.. où La substitution est définie comme relation grammaticale. ou l'on linguistic objet substitués pour un plus long. l'élément de remplacement est donc interprétable que par référence à l'élément plus

881 - البدرأوي زهران : أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث , دار المعارف , ص : 104 .

882 - محمد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه , ص : 91 .

883 - المرجع نفسه , ص: 91 .

884 - محمد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه , ص : 91 .

(..original) (885) يعرف الاستبدال على أنه علاقة نحوية , أين يعوض عنصر مستبدل آخر أطول , المستبدل إذا لا يمكن فهمه إلا بالرجوع إلى عنصر مرجعي ...) . لتوضيح هذه النقطة الأخيرة , فـ(المستبدل) يحتفظ بجزء من المعلومة السالفة المكونة في (المستبدل) , و لهذا فالعلاقة الاستبدالية لا تتأسس على أرضية : مبدأ التطابقية و التماثلية , و إنما تنشأ أساسا على : مبدأ التقابلية و الاختلافية و التمايز الذي يولد جراء دينامية الظاهرة الاستبدالية القائمة على الاستبعاد و المفعلة لعلاقة مميزة تستمد منها القيمة الاتساقية .

و على الرغم مما ذكرناه من نقاط اختلاف و تباين بين الاحالة و الاستبدال إلا هناك من ينعى على أولئك الذين عمقوا اتجاه الفصل بينهما و لم يردموا الهوة المصطنعة بينهما - حسب رأيه - حيث يقول محمد الشاوش - منتقدا كلا من هاليداي و رقية حسن - (لقد بدا التخطيط الذي جعله المؤلفان لكتابهما تخطيطا مضللا , فأبوابه و فصوله لا تراعي التقسيم المنطقي للظواهر التي عولجت فيه , و من عيوب التقسيم المتبع اعتبار الاستبدال أصلا للتقسيم و فرعا من فروعه .. قد ذكر أن الاستبدال هو تعويض عنصر آخر , أما الحذف فهو نسيان عنصر و تغييره , و يمكن ارجاع هاتين الظاهرتين إلى ظاهرة واحدة , و ذلك متى اعتبرت الحذف ضربا من الاستبدال يكون في التعويض بانعدام العنصر أو بالعنصر الصفر , لكن العملية التي تقوم عليها كل ظاهرة تختلف عن الأخرى) (886) , و بهذا يكون محمد الشاوش قد دعا إلى عدم تفكيك الظاهرة اللغوية (الحذف/الاستبدال) إلى بنيتين متميزتين و مختلفتين , بل توحيد الرؤية , اعتبار المسألة وجهين لعملة واحدة , هي الوضعية الطبيعية لهذه القضية .

إن القضية و الملاحظة التي تقدم بها صاحب كتاب (أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية) , على الرغم من كونها جهدا يسعى إلى أن يلبس اللبوس

885 - Role et fonctionnement de l'anaphore dans la dynamique textuelle .par Denis

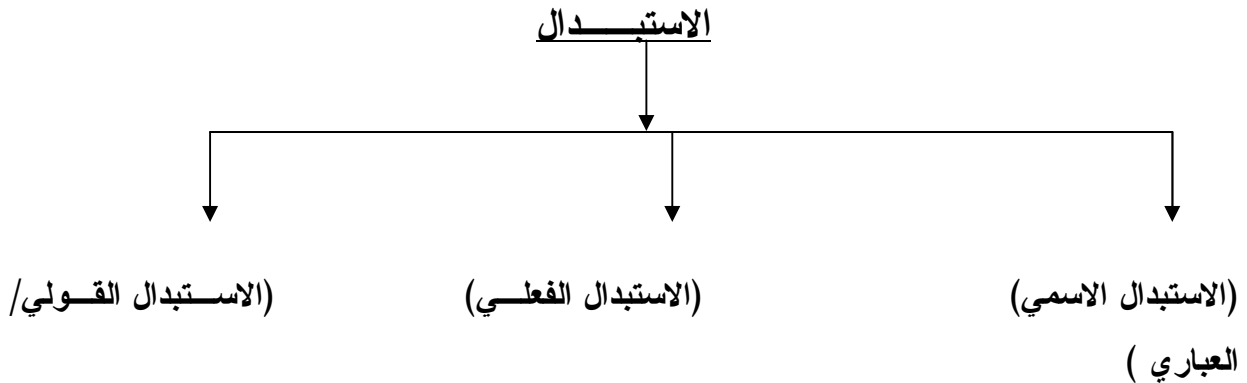
. Apothelose .librairie Deroze .geneve-paris. P 119 .

886 - محمد الشاوش : أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية - تأسيس نحو النص - , 131 - 132 .

الموضوعي العلمي , فإن الصورة ستكون أكثر وضوحا , لو نظر هو إلى المسألة من زاوية أن هاليداي و رقية حسن (.. يسيران في إطار نظرية النحو النظامي , و هنا يكمن تحرير الخلاف في المسألة ..) (887) .

أنواع الاستبدال

و إذا كان (.. substitution is define as a grammatical relation , ..) (888) (.. where one linguistic item substitutes for a langer one) (الاستبدال يعرف على أنه علاقة نحوية حيث يعوض عنصر لغوي (مستبدل) آخر (مستبدل منه) ..) , العنصر المستبدل بناء على ذلك يؤول فقط بالرجوع إلى المستبدل منه. فهناك ثلاثة أنواع من الاستبدال : الاسمي , و الفعلي و القولي . إنه وسيلة لتجنب تكرار البناء النحوي و آلية لتحقيق التماسك النصي هذا يعني أن العملية الحركية التعويضية التي تتحقق داخل (الخطاب/النص) التي تمارسها العناصر اللغوية فيما بينها تتخذ لها ثلاثة تجليات , نعرضها على الترتيب الآتي :



1 - استبدال اسمي (الاستبدال الاسمي): Nominal Substitution

⁸⁸⁷ - جمعان بن عبد الكريم : إشكالات النص دراسة لسانية نصية , ص : 355 .

⁸⁸⁸ - Analysing English :an introduction to descriptive linguistics. par howard jackson .

يتجلى هذا النوع الاستبدالي عن طريق استخدام عناصر لغوية اسمية محل عناصر لغوية أخرى , و لكن في إطار (قاعدة عامة في علاقة الاستبدال و هي أن الكلمة البديلة يكون لها نفس الوظيفة التركيبية)⁽⁸⁸⁹⁾ , و من أمثلة ذلك كلمة : آخر , آخرون , نفس , ...

و فيه تستبدل كلمات هي من حيث النوع أسماء من كلمات أخرى من الجنس نفسه (أسماء) و لكنها متقدمة عليها في النص ذاته (la technique de la substitution nominale donne lieu a une double correlation)⁽⁸⁹⁰⁾ .. إن تقنية الاستبدال الاسمي تعطي مجالا لعلاقة ترابطية مزدوجة ..), و من بين هذه الكلمات في اللغة العربية نجد : آخر، أخرى، و واحد و واحدة (نفس - ذات)⁽⁸⁹¹⁾ ... و يمكن أن يكون (اسم الإشارة) - إذا ما تشرب مضمون و وظيفية الاستبدال - عنصرا مستبدلا لعنصر آخر متقدما عليه , منها خطبته - صلى اله عليه و سلم - في مرضه الذي نقله إلى الرفيق الأعلى : (.. ألا و إن أحبكم إلي من أخذ مني حقا إن كان له , و حللني فلقيت ربي و أنا طيب النفس و قد أرى أن هذا غير مغن عني حتى أقوم فيكم مرارا)⁽⁸⁹²⁾... فقد استبدل (اسم الإشارة/هذا) من المستبدل منه (الجملة/المتقدمة) عليه (.. إن أحبكم ...طيب النفس) . هذه الواقعة اللغوية إنما تشي بأن هناك تضافر بين آليات الاتساق أحيانا وتضام بينها . فالتداخل الوظيفي بين الاستبدال و الإحالة في حيز (اسم الإشارة مثلا) , (.. لأن استبدال الاسم تكافئ الانتقال من شخص إلى آخر...).

هو من هذا المنظور عنصر (مستبدل به) و كما أنه في الوقت نفسه واحد من عناصر الإحالة , هذا يدعونا إلى القول أنه هناك بعض حالات التماسك النصي يمكن تفسيرها بوسيلتين من وسائل الاتساق في آن واحد بشرط أن يحدث بين سماتها و

⁸⁸⁹ - عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق , ص : 113 .

⁸⁹⁰ - Autourdu roman beur : immigration et identité par Michel Larande/L'Harmattant.1993.p201 ..

⁸⁹¹ - عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق , ص : 114 .

⁸⁹² - ابن هشام : السيرة النبوية , دار الجيل , ط: 1975 م , ج 4 , ص : 219 .

خصائصها نوع من التداخل و التماهي يفعل فيها هذه الوظيفة المزدوجة . و على الرغم من كل ذلك فإن الفارقية الدقيقة بينهما (الإحالة و الاستبدال) و التي تغييب في أحيان كثير على عامة الناس بينما تسفر عن ذاتها إذا ما كانت بين يدي المختصين من علماء اللسان تجعلنا نشير إلى أن هناك فرقاً بين الاستبدال و الإحالة دقيقاً يساعد على التمييز لحظة حدوث التداخل في تحديد نوعية الظاهرة الاتساقية إحالية كانت أو استبدالية و من ثمة يقع (المتلقي) في شرك اللبس و الغموض ، فالاستبدال لا يقع إلا داخل النص على حين تقع الإحالة داخل النص وخارجه، والاستبدال يعد علاقة على (المستوى النحوي المعجمي) (893) ، بينما الإحالة تعد علاقة على (المستوى الدلالي)⁸⁹⁴ ، هذا بالإضافة إلى أن العناصر المستبدلة يشترط اشتراكها فيما بينها في البنية الوظيفية على حين لا يشترط ذلك في الإحالة .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهْمُوا بِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فِيرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، لِنَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، قَالَ: وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: أَكَلُهُ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا، وَلَكِنْ انْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ. فَيَأْتُونَ نُوحًا . فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَكِنْ انْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ. قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ، وَلَكِنْ انْتُوا مُوسَى: عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ، وَكَلَّمَهُ، وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا. قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ، وَلَكِنْ انْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ. قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ انْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ ، فَيُؤْذَنُ لِي

893 - جمعان بن عبد الكريم : إشكالات النص دراسة لسانية نصية , ص : 354 .

894 - المرجع نفسه , ص : 354 .

عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي، فَيَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدًا، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعُ، وَسَلْ تُعْطَى، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِنِشَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمْنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، - قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ. ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ: فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدًا، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعُ، وَسَلْ تُعْطَى، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِنِشَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمْنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، - قَالَ قَتَادَةُ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ - ثُمَّ أَعُودُ الثَّلَاثَةَ: فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدًا، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعُ، وَسَلْ تُعْطَى، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِنِشَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمْنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، - قَالَ قَتَادَةُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ - حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ "، أَي وَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ، قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: 79] قَالَ: ((وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعِدَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)). (895) .

2 - استبدال فعلي (الاستبدال الفعلي): Verbal Substitution

و قد يطلق عليه كذلك اسم (الفعل البديل/الكنائي (فعل)) (896) . و يتم هذا النوع باستبدال عنصر (فعلي) بأخر يماثله , الذي يجب أن ينتبه إليه الدارس بداية أن (...الفعل (يفعل) غير كثير الاستعمال في اللغة العربية المعاصرة , و أكثر منه استعمالا

895 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القاري شرح صحيح البخاري , ج 25 , ص : 196 - 197 .

896 - عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق , ص : 114 .

هو الفعل (يقوم) ..(897) , و و حتى يتجلى لنا هذا النوع من الاستبدال نتكى على المثال الآتي :

(هل تعتقد أن أحمد لا يصارك بالحقيقة ؟ أعتقد أن كل شخص يفعل. فكلمة (يفعل) استبدلت بكلام كان يجب أن يحل محلها و هو (لا يصارح بالحقيقة)...) (898) , و على هذا الأساس فقد حل فعل محل فعل آخر متقدم عليه . ويمثل ذلك في الإنجليزية (do) بصيغه المختلفة، وفي العربية مادة (فعل) بصيغتها المختلفة، ومنه قوله- صلى الله عليه و سلم - في خطبة الوداع (لكم عليهن أن لا يطأن فرشكم أحدا تكرهونه , و عليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع ...) (899) فالعنصر اللغوي (فعل) المستبدل به قد حل محل العناصر اللغوية المتمثلة في الأفعال الثلاثة السابقة عليه (يوطنن - يدخلن - يأتين) و بالتالي فهو من نوع الاستبدال القبلي . هذا فضلا عن توفر عناصر الإحالة من خلال مرجعية الضمير المخاطب في (فرشكم - غيركم - بيوتكم..) محيلة إلى الاسم الظاهر (الناس) هذا بالإضافة إلى بلاغة الإيجاز والقصر في استعمال النفي والاستثناء وما أفاده من تخصيص .

** (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - يُؤَذِّنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرِ , أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) (900) .

3 - استبدال قولي (الاستبدال القولي/ العباري) : Clausal Substitution

897 - جمعان بن عبد الكريم : إشكالات النص دراسة لسانية نصية , ص : 354 .

898 - المرجع نفسه , ص : 354 .

899 - ابن هشام : السيرة النبوية , ج4 , ص : 185 - 186 .

900 - عصام الدين الصبابطي : صحيح الأحاديث القدسية , ص : 33 .

يتمثل باستخدام مثل هذه الكلمات : (كذلك , أيضا , لا , نعم , أجل ,) (901) و غيرها , إذ تعوض هذه العناصر اللغوية و تكون بديلا عن جملة أو متتالية من الجمل . و مثال ذلك :

(حضر محمد الدرس باكرا و عبد الله كذلك . فنابت (كذلك) عن حضر عبد الله الدرس) (902) . و ما تقدم يشي بأنه قد تم إحلال عنصر لغويو موقعته محل عبارة داخل الخطاب/ النص , إلا أن العملية هاته كانت مضبوطة باقتضاء دقيق ألا وهو أن يتضمن العنصر (المستبدل به) محتوى العبارة المستبدل منها , وتمثل هذه الظاهرة النصية في الإنجليزية الكلمات (so, not) . ومنه قوله - صلى الله عليه و سلم - في خطبته الأولى بالمدينة : (فمن استطاع أن يقي وجهه من النار، ولو بشق من تمره فليفلح، ومن لم يجد فبكلمة طيبة) (903) , فالعنصر اللغوي (فليفلح) حل محل الجملة المتقدمة عليه وكان الأصل (فليلق وجهه من النار , و لو بشق تمره) وأكد ذلك الجملة الواقعة بعدها (من لم يجد فبكلمة طيبة) أي : فليلق وجهه بكلمة طيبة؛ لأن الكلمة الطيبة صدقة.

فهناك تداخل بين الاستبدال والحذف، فمن الباحثين من جمع بينهما، ومنهم من فصل , ولذلك جاء الحديث عن الاستبدال مجملا تارة ومفصلا تارة أخرى . ومهما يكن من أمر فهذا الخلاف لا يقلل من أهميته في الاتساق النصي حيث يدعم عملية الاتساق النحوي داخل النص ، إذ يقوم العنصر المستبدل به بالدور الذي يؤديه العنصر المستبدل منه، وهذه الاستمرارية في الأدوار في سياق البناء اللغوي للنص تمنحه قوة التماسك ..

عَنْ أَنَسٍ يَرْفَعُهُ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَأَهْلُونَ النَّارِ عَذَابًا لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي فَأَبَيْتَ إِنَّا الشَّرْكَ (904) .

901 - جمعان بن عبد الكريم : إشكالات النص دراسة لسانية نصية , ص : 354 .

902 - المرجع نفسه , ص : 354 .

903 - أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب , في عصور العربية الزاهرة , شركة مكتبة و مطبعة مصطفى الباني الحلبي و أولاده بمصر , ط 1 : 1923 م , ج 1 , ص : 148 .

904 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القاري شرح صحيح البخاري , ج 23 , ص : 188 .

إن ما عرض سالفا فيما يتعلق بالأدوات المحققة للاستبدال بأنواعه الثلاثة , لا يعني بالضرورة أنها الأدوات الوحيدة الثابتة و الخاصة التي لا يمكن أن يضاف لها غيرها , أو أن تتسع الدائرة فتشمل غيرها . إلا أنه من خلال إمعان النظر و يبدو أن عناصر الاستبدال أوسع مجالا من تلك العناصر اللغوية التي تقدم ذكرها , فمما يعد من أدوات الاستبدال الاسمي :

- (- بعض الإحالات لغير مذكور تدخل في مفهوم الاستبدال الاسمي .
- و كذلك صنوف الاستعارات , حيث يحل اسم ظاهر مكان آخر من غير أن تتحقق شروط الإحالة .
- كذلك يدخل في الاستبدال الاسمي قضية التنوين المعوض عن اسم مفرد , و إقامة الصفة مقام الموصوف , و المضاف إليه مقام المضاف .
- قد يستبدل الاسم بالضمير , كما في قول الشاعر :

سعاد التي أضناك حب سعادا

و الأصل : حبا , و كذلك يستبدل الحرف بالضمير نحو : (فإن الجنة هي المأوى (905) . , و الأصل : مأواه .) (906)

كما يمكن أن ندرج الاستعمالات اللغوية الآتية ضمن وسائل الاستبدال الفعلي , و تتمثل في :

- (- التضمين في الأفعال من الاستبدال .
- و استعمال أسماء الأفعال من الاستبدال أيضا .
- و جزم المضارع في جواب الطلب داخل فيه .
- و إذا حل العامل عمل الفعل محل الفعل الذي من صيغته فهو استبدال بلا شك ..

...

- بالإضافة إلى أن (كان) التامة في سياق نفي تأتي بديلا لأي فعل , كما في الحديث حين سأل الصحابة النبي صلى الله عليه و سلم : أقصرت الصلاة أم نسيت ؟ فقال صلى الله

905 - سورة النازعات , الآية : 41 .

906 - صالح عبد العظيم فتحى خليل الشاعر : شعر محمد مهدي الجواهري , دراسة نحوية نصية , أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه , إشراف محمد عبد المجيد الطويل , جامعة القاهرة , 2009 م , ص : 72 .

عليه و سلم : كل ذلك لم يكن , فـ(لم يكن) تساوي (لم تقصر الصلاة و لم تنس)
(..)(907) .

أما الاستبدال العباري فيدخل ضمنه هذه الاستعمالات اللغوية الآتية :

- (- التكوين المعوض عن جملة اللاحق للظرف (إذ) .
- و كذلك أحرف الجواب التي تحذف الجمل بعدها كثيرا , و تقوم هي في اللفظ مقام تلك
الجمل .) (908)

الاستبدال و اتساقية النص

إن الأنواع السالفة الذكر المحققة للفعل الاستبدالي داخل (الخطاب/النص) , مع تمسك كل نوع بصورته و سمه الخاص , تدفعنا إلى أن نطرح سؤالاً مفاده : إلى أي حد نستطيع تلك الألوان الاستبدالية أن تعمل على تحقيق الاتساقية النصية ؟ , و ما هي الصورة العملية التي تجسده ؟ .

و إذا أردنا أن نفكك هذا الطرح الاشكالي , فإن العودة إلى طبيعة العلاقة التي تحكم طرفي الاستبدال (المستبدل) و (المستبدل) , و هي كما جاءت في الأسطر السالفة : هي علاقة قبلية تجمع بين عنصر سابق في (الخطاب/النص) و بين عنصر سابق فيه , و هذا يعني ضمناً و منطقياً أن العنصر (المستبدل) حاضر بشكل من الأشكال في (المستبدل) و وجوده مستمر في التركيبة اللاحقة . بل هذا الحضور المستمر بالاستمرارية النسبية هي التي خلقت العلاقة المنشئة لواحدة من أشكال اتساق (الخطاب/النص) و هو الاستبدال , إلا أن الذي يجب أن ننبه إليه , هو أن هذه الحضورية المستمرة ليست تطابقية تماثلية بين العنصرين , و إنما هي تقاطعية و مشاركاتية في جملة من المعطيات التي من دونها تنقطع العلاقة القائمة بين طرفي الاستبدال : (المستبدل) و (المستبدل) , و هذا الذي عناه الباحثان هاليداي و رقية حسن بـ : الاستمرارية في محيط تقابلي .

907 - صالح عبد العظيم فتحي خليل الشاعر : شعر محمد مهدي الجواهري , دراسة نحوية نصية , ص : 73 .

908 - المرجع نفسه , ص : 73 .

أما القضية الأخرى المحققة لاتساقية (الخطاب/النص) في إطار البعد الاستبدالي , فإننا نجد أنه من الصعب جدا بل قد يصل إلى حد المستحيل الوقوف على دلالة (المستبدل) و تستمر العملية التواصلية إلا بعد ما تعود إلى متعلقه القبلي , و من هناك يتأسس معنى الاستبدال وفقا للمنظور النصي و بالتالي (يتحقق الربط بصورة آلية عن طريق المتلقي أي بعملية خارجية دينامية)⁽⁹⁰⁹⁾ , و كذلك بعملية داخلية دينامية كذلك , و هي المظهرية التي يعول عليها هاليداي و رقية حسن , إذ (... تتم من خلال النص)⁽⁹¹⁰⁾ .

و عليه فإن الفراغات الفنية (الأدبية) و التقنية (غير الأدبية) التي عادة ما تترك جراء جمالية الإنشاء أو مقتضيات المقام , لن نقبل على تأويلها المناسب إلا بالعودة إلى العنصر الاستبدالي المناسب الذي يتواجد - و لا شك - في موقعية معينة تفترضها معمارية النص التي تحققت على أساسها بنية (الخطاب/النص) الكلية . هذه الظاهرة اللغوية و بهذه الهيكلية لاشك .. أنها تمكن كاتب النص من عرض أفكاره دون تكرار كلمات بعينها , و دون الاستعمال المفرط للضمائر , الأمر الذي قد ينعكس سلبا على مقروئية النص .⁽⁹¹¹⁾ .

و تأسيسا على كل ما سبق يمكن أن ننتهي إلى القول بأن الربط بالاستبدال substitution - إذا - هو شامل لكل عنصر لغوي نصي ما , يمكن أن يستخدم بديلا و عوضا عن اسم أو فعل أو عبارة (المستبدل منه) , قد تموقعت في سياق الجملة السابقة و امتلكت قابلية نصية جعلتها قادرة على عقد علاقة نوعية دقيقة و محددة مع ما تعود عليه و تشير إليه (المستبدل) مثل :

- 1 - استخدام كلمة مرادفة تحمل نفس معنى كلمة سابقة لتوضيح معناها.
- 2 - استخدام اسم الفئة العامة أو الصنف للإشارة إلى كلمة سابقة تنتمي إليها مثل (حيوان : أسد) .

⁹⁰⁹ - جمعان بن عبد الكريم : إشكالات النص دراسة لسانية نصية , ص : 355 .

⁹¹⁰ - المرجع نفسه , ص : 355 .

⁹¹¹ - محمد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى عالم النص و مجالات تطبيقه , ص:92 .

3 - استخدام كلمة عامة جامعة للإشارة إلى كلمة سابقة محددة مثل (مشكلة: تخريب) .

4 - استخدام كلمات التوكيد مثل:

1	كلا
2	كلتا
3	كل من
4	بعض
5	كل
6	جميع
7	اجمع نفس
8	عين
..

5 - استخدام كلمات مثل:

1	من
2	عدد من
3	عدة
4	جميع
5	كثير
6	الأول والثاني
7	أثنان
8	آخر
9	أخرى
10	واحد

واحدة	11
اسم الاشارة	12
.....	...

6 - استخدام كلمات ليس لها مرجع محدد مثل:

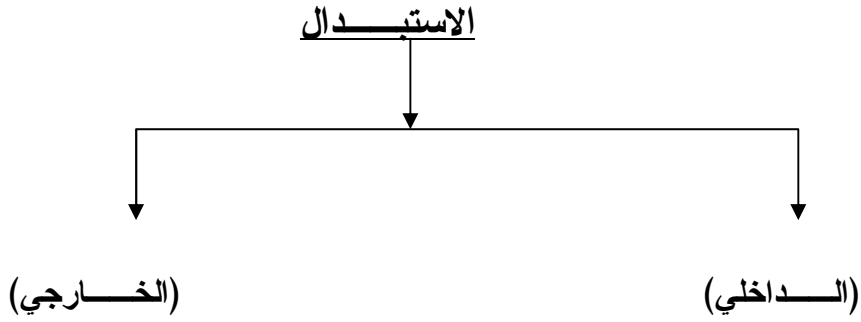
المرء	1
الإنسان	2
الشخص	3
الناس	4
قوم	5
ذلك	6
مثال ذلك	7
.....	..

هذا و يمكن للاستبدال أن يتخذ مظهرات و تجليات متعددة منها :

- 1 - يكرر مرجع وحدة معجمية : (أخي ... هو...) .
- 2 - يكرر مدلول وحدة معجمية : (كتاب بول ... كتابي...) .
- 3 - يكرر دال وحدة معجمية : (الزهر بصيغة المفرد) (fleur est au singulier) : (... هو...) .

الاستبدال الداخلي و الاستبدال الخارجي

كما يمكن تقسيم الاستبدال إلى :



إن جميع أنواع الاستبدال السالفة الذكر : الاستبدال الاسمي , و الاستبدال الفعلي , و الاستبدال القولبي/ العباري , يمكن إدراجها جميعا ضمن رافد استبدالي قائم بذاته , يطلق عليه (الاستبدال الداخلي)⁽⁹¹²⁾ , لأنه يوطر العلاقات النصية الاستبدالية , و يحتوي العمليات و التغيرات التي تتحرك في محور إحلال عنصر لغوي محل عنصر لغوي آخر , و لكن كل ذلك داخل الخطاب/النص و في حدود فضائه , بحيث لا تتجاوز رسومه الشكلية و الدلالية . و على هذا الأساس فقد ذهب (هاليداي و رقية حسن إلى أن جميع أمثلة الاستبدال هي استبدال داخلي ..)⁽⁹¹³⁾ , و بالتالي يمكن للدارس أن ينعت الاستبدال الاسمي و الاستبدال الفعلي و كذا الاستبدال القولبي/ العباري بـ(الاستبدال الداخلي)⁽⁹¹⁴⁾ .. أما الرافد الثاني من الاستبدال فهو الاستبدال الخارجي , إذ هو مقارنة بالأنواع الأولى قليل الورد و الاستعمال في العمليات التواصلية المكتوبة منها و الشفاهية بين المرسل و المتلقي , لأن هذا الأخير كثيرا ما يجهد نفسه و يستثير ذاكرته و يعمل تفكيره من أجل ربط (المستبدل/داخل النص) ما هو موجود داخل الخطاب/النص (المستبدل) بما هو موجود خارجه (المستبدل منه) .. حتى يتسنى له في الأخير فهم مقاصد المرسل و تأويل خطابه .. و من ثمة , فإن الاستبدال الخارجي (.. نادر الوقوع تماما , و يستخدم

912 - عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق , ص : 115 .

913 - المرجع نفسه , ص : 115 .

914 - المرجع نفسه , ص : 115 .

فقط في المحادثة عندما يريد المتكلم أن يحاكي العلاقة النصية ليحدث تأثيرا لشيء ما
تمت ملاحظته بالفعل (915) .

⁹¹⁵ - عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق , ص : 115 .

الفصل الثاني :

آليات الاتساق دراسة تطبيقية

- المبحث الأول : الإحالة في الحديث القدسي ص : 332
- المبحث الثاني : الحذف في الحديث القدسي.... ص : 359
- المبحث الثالث : التكرار في الحديث القدسي.... ص : 386
- المبحث الرابع : الوصل في الحديث القدسي.... ص : 410
- المبحث الخامس : الاستبدال في الحديث القدسي.... ص : 446

الإحالة

في الحديث القدسي

تنوع وسائل الإحالة

تعد الإحالة آلية من آليات الربط اللفظي وسيلة من أهم وسائل تماسك الخطاب/النص و اتساقه على وجه الخصوص داخل نص الحديث القدسي بكل تنوعاته (حيث استطاعت أن تمزج بين بعض الأنواع السابقة كاستخدام ضمائر الغياب و الإشارة و اسم الموصول .. إلخ)⁽⁹¹⁶⁾ , فهي علاقة دلالية تشير إلى ديناميكية استرجاع المعنى الاحالي في النص مرة أخرى و ذلك عن طريق مجموعة من العناصر اللغوية الملفوظة من الكلمات ليس لها معنى مستقل بذاته , إلا أن تحديد المعنى المقصود منها بدقة و بحسب مقتضيات الحال و المقام إنما يقتضي الرجوع إلى الألفاظ التي تملك قدرة الإحالة عليها في أجزاء أخرى من النص ... و هذه الكلمات التي تقوم بهذه الوظيفة التماسكية الدقيقة قد تكون ضميرا من الضمائر أو اسما من أسماء الإشارة و لفظة من ألفاظ الأسماء الموصولة , بل و بعض العناصر المعجمية من نوع : كل - بعض - نفس - عين ... إن هذه العناصر الإحالية تشترك في نقطة محورية أساس و هي تفعيل استمرارية الدلالة بالإحالة و الرجوع إلى الدلالة الكلية للخطاب/النص , و بالتالي يبقى المتلقي في حالة وصال نشط و استمرارية تواصلية تجاه المعنى الذي يستبطنه الخطاب/النص و المخزون الثقافي و المعرفي الذي يعمل على تدعيم علاقة التفاعل بين الخطاب/النص و المتلقي ...

على مستوى الأحاديث القدسية تنوعت وسائل الإحالة و تعددت . و تعتبر الضمائر على مختلف أشكاله المصدر الأساس لفعل الإحالة و العملية الإحالية داخل هيكلية الخطاب/النص , و وهذه الأدوات من خلال استقراء و تتبع لحضورها عبر كل حديث قدسي تتمثل في : (هو - هي - هم - أنت - تاء الفاعل - واو الجماعة - ألف الاثنين - ياء المخاطب - كاف الخطاب - هاء الغيبة ..) على نحو ما نجد في الحديث القدسي من قوله : (عَنْ أَبِي صَالِحِ الزِّيَّاتِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِذَا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا

916 - أحمد عفيفي : الإحالة في نحو النص , ص : 6 .

أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جِنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَصْنَبُ فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرَحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ (917) , حيث تستخدم مجموعة من الضمائر المتتالية (ياء المتكلم - أنا - ضمير الغائب - ضمير المخاطب) في الملفوظات الآتية (فَإِنَّهُ لِي - أَنَا أَجْزِي بِهِ - فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ - وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ) التي تحيل على مرجعين أساسيين . فأما الأول فيشير إلى (الله تعالى) , ذلك من خلال توظيف ضمير الحضور في قوله (لي - أنا)

الله تعالى

أنا

لي

, بينما يتعلق المرجع الثاني بـ(المؤمن الصائم) و ذلك عند استخدام ضمير الغيبة في قوله (سابه - قاتله) .

سابه

قاتله

فليقل

إني أمرؤ

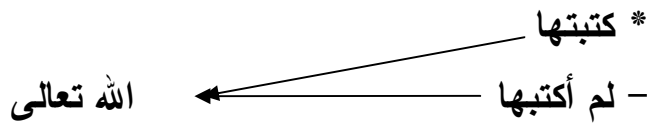
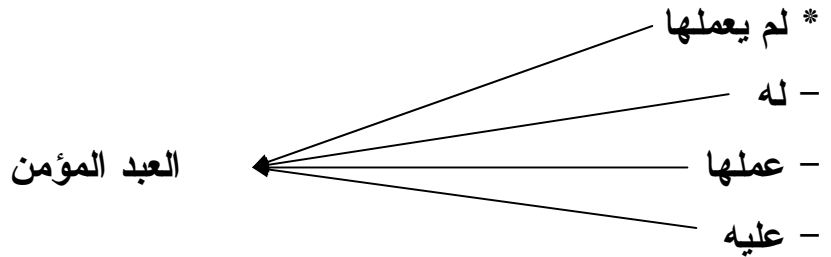
المؤمن الصائم

بالإضافة إلى الضمائر تعد أسماء الإشارة و بعض الظروف المكانية من مصادر الإحالة في الحديث القدسي , و أدواتها هي : (هذا - هذه - هذان - هؤلاء - ذا - تلك - ذاك - هناك - هنا) , على نحو ما نجد في الحديث القدسي : (حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا أَنَّ النَّاسَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ هَلْ تَمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَهَلْ تَمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ وَمِنْهُمْ مَنْ

917 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج10, ص395 .

يَتَّبِعُ الطَّوَاعِيتَ وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ هَذَا
مَكَانَنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا
فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمْتِهِ وَلَا
يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلَ وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ سَلَّمَ وَسَلَّمٌ وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ مِثْلُ
شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ
أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمَتِهَا إِلَّا اللَّهُ تَخَطَّفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبِقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ
يُخْرَدُلُ ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ
يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ
تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ فُكْلَ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَ
مِنَ النَّارِ قَدْ اِمْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ
ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ
دُخُولًا الْجَنَّةَ مُقْبِلٌ بَوَاجِهُهُ قَبْلَ النَّارِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ قَدْ قَشَبَنِي
رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذُكَاوُهَا فَيَقُولُ هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ فَيَقُولُ لَا
وَعَزَّتِكَ فَيُعْطِي اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ
عَلَى الْجَنَّةِ رَأَى بِهَجَّتِهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ قَدَّمَنِي عِنْدَ بَابِ
الْجَنَّةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ
فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ فَيَقُولُ فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ
فَيَقُولُ لَا وَعَزَّتِكَ لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَقْدِمُهُ إِلَى بَابِ
الْجَنَّةِ فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسَّرُورِ فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ
يَسْكُتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ ادْخُلْنِي الْجَنَّةَ فَيَقُولُ اللَّهُ وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ أَلَيْسَ قَدْ
أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ
فَيَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ تَمَنَّيْتَنِي حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ
أَمْنِيَّتُهُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ
لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَوْلَهُ لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ

إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ (918) . في هذا الخطاب/ النص تستخدم أسماء الإشارة (هذا - ذا - ذلك) في الإحالة مرة إلى رؤية الشمس (فَهَلْ تَمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ) أو المكان المكوث و الانتظار (فِيأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانَنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا) , و مرة أخرى للإشارة إلى التقديم إلى باب الجنة (قَالَ يَا رَبِّ قَدَّمَنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقَكَ فَيَقُولُ فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ) أو البوح بالأمنيات و الرغبات (حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أَمْنِيَّتُهُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ كَذَبَا وَكَذَا أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ) . فضلا عن استخدام ضمائر الغيبة (هاء الغيبة) كما جاء في هذا الحديث القدسي : (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل إذا هم عبي بحسنة ولم يعملها كتبت لها حسنة فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبتها سيئة واحدة) (919) , و تحيل هذه الضمائر إلى المرجعين (الله تعالى + العبد المؤمن) ,



كما تستخدم بعض الظروف الدالة على المكان مثل (هناك) كما ورد في الحديث القدسي الذي قال فيه (.. النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَاجَّتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ أُوتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبَّرِينَ وَقَالَتِ الْجَنَّةُ مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ

918 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 117 .

919 - النووي : صحيح مسلم , ج 2 , ص : 211 .

وَسَقَطُهُمْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي وَقَالَ
 لِلنَّارِ إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَلُؤُهَا فَأَمَّا النَّارُ
 فَلَمَّا تَمَلَّتْ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ فَهَذَاكَ تَمَلَّتْ وَيُزَوِّى بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ وَلَا
 يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا (920).
 إن العنصر اللغوي (هنالك) المركب من المكونات اللغوية الآتية : (هنا) اسم إشارة
 للمكان + (لام) البعد + (كاف) الخطاب يحيل إلى مرجع (يوم القيامة) .

كما تعد الأسماء الموصولة من مصادر الإحالة في الخطاب/النص , و أدواتها هي :
 (الذي - التي - من - ما) على نحو ما نجد في الحديث القدسي الآتي : (عَنْ أَبِي ذَرٍّ
 عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ يَا عِبَادِي
 إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ
 هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا
 عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِنُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضْرُونِي
 وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى
 قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ
 وَجَنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ
 أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنِّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ
 مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ
 أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا
 نَفْسَهُ (921) , حيث يحيل الاسم الموصول (من - ما) على المرجع (عباد الله تعالى) -

(عطاء الله تعالى)

مَنْ هَدَيْتُهُ
 مَنْ أَطْعَمْتُهُ
 مَنْ كَسَوْتُهُ
 (عباد الله تعالى)

920 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 19 , ص : 268 .

921 - النووي : صحيح مسلم , ج 8 , 185 .

مِمَّا عِنْدِي ← (عطاء الله تعالى)
كَمَا يَنْقُصُ

. كما تستخدم بعض العناصر المعجمية في الإحالة مثل كلمة (كل) على نحو ما نجد في الحديث القدسي السالف الذكر : (يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ - كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ - كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ) , حيث تحيل كلمة (كل) على (المخلوقات العاقلة جميعا) و هي ارشاد من الله تعالى إلى كل مؤمن بضرورة الاعتماد عليه دائما في العسر و اليسر , في الرخاء و الشدة (فلا يغتر أحد بالمال الذي بين يديه , و لا بالطعام الذي عنده , فهو مسكين و فقير بالرغم من ماله الكثير لأن الله يذهب في لحظة واحدة إذا شاء , و هو جائع محتاج بالرغم من وفرة طعامه , لأن الله قادر على أن يفقدك إياه متى شاء , و كذلك هو عار بالرغم من جميع أنواع اللباس التي يملكها لأن الله قادر على أن يذهب بها . فليكن اعتماد العبد على الله لا على ما معه من طعام الدنيا , و ليسأل الله دوما , و ليكثر من السؤال , و هكذا يريدنا الله ربنا ...)⁽⁹²²⁾ , و على هذا النحو تتنوع أدوات الإحالة في فضاء الأحاديث القدسية بين الضمائر و أسماء الإشارة و الأسماء الموصولة , و بعض العناصر المعجمية .

مستويات الإحالة و الربط

تقوم الإحالة في خطاب الحديث القدسي بدورها في الربط عبر استمرار المعنى دون التصريح بالمرجع مرة أخرى تجنباً للتكرار . فهي وسيلة من وسائل الاقتصاد في استخدام اللغة . و تؤدي هذه الوظيفة عبر مستويين : المستوى الأول : الإحالة الخارجية . المستوى الثاني : الإحالة الداخلية .

المستوى الأول : الإحالة الخارجية/السياقية .

هي أحد أنواع الاعتماد السياقي و أشكاله , تسهم في صنع النص عبر ربطه بالسياق الخارجي أو سياق الموقف , حيث يكون العنصر المشار إليه /المرجع محددًا في سياق الموقف /خارج النص . و يمثل هذا المرجع في الحديث القدسي عنصر (المتلقي) المشار إليه بضمير (نا الفاعلين) في نص السند : (حدثنا هارون بن سعيد الأيلي وأحمد بن عيسى قالوا حدثنا ابن وهب أخبرني مخرمة بن بكير عن أبيه قال سمعت

⁹²² - زكريا عميرات : الأحاديث القدسية الصحيحة , ص : 174 .

يونس بن يوسف يقول عن ابن المسيب قال قالت عائشة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفه وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء) (923) . و كذلك الوضع نفسه في قوله (حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ح وَ قَالَ لِي خَلِيفَةُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي انْتُوا نُوحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ سُؤَالَ رَبِّهِ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ فَيَسْتَحِي فَيَقُولُ انْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ انْتُوا مُوسَى عَبْدًا كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بِغَيْرِ نَفْسٍ فَيَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ فَيَقُولُ انْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ انْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَاسْلُ تَعْطَهُ وَقُلْ يُسْمَعُ وَأَشْفَعْ تَشْفَعُ فَارْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يَعْلَمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مِنْهُ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ) (924) , حيث يقوم الراوي (حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ + حَدَّثَنَا هِشَامٌ + حَدَّثَنَا قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بنقل نص (حديث الشفاعة لقول أهل الموقف لآدم - و علمك أسماء كل شيء -) (925) إلى المتلقي , و يحيل الضمير (نا الفاعلين) على عنصر المتلقي أو جمهور المستمعين (قال ابن حجر : - حدثنا مسلم - هو ابن إبراهيم , و هشام هو الدستوائي ..) (926) , أما في الحديث الأول فقد تنوعت فيه العناصر اللغوية التي تحيل بضمير (نا + و تاء الفاعلين) في (حدثنا هارون بن سعيد الأيلي وأحمد بن عيسى قالوا حدثنا ابن وهب أخبرني مخرمة بن بكير عن أبيه قال سمعت يونس بن يوسف يقول عن ابن المسيب قال قالت عائشة) و هي في حقيقة

923 - النووي : صحيح مسلم , ج 5 , 245 .

924 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القاري شرح صحيح البخاري , ج 18 , 107 .

925 - أحمد مصطفى متولي : الأحاديث القدسية و شروحهها , دار ابن الجوزي - القاهرة , ص : 452 .

926 - المرجع نفسه , ص : 452 .

الأمر مراجع غير مشار إليها في عالم النص الداخلي , و إنما يعتمد في فهمها على سياق الموقف .

كما احتضنت الكثير من الأحاديث القدسية على عناصر إحالية داخله تجعل المتلقي مضطرا للبحث عن مرجعيتها حتى يتسنى له تحقيق استمرارية التلقي عن النص و يضمن إلى حد بعيد نوعا من التدفق الدلالي غير منقطع يحافظ على سلامة البنية الدلالية الكبرى لنص الخطاب القدسي و يبتعد بذلك عن التأويل المنحرف و المقاربة التعسفية التي تستنطق النص بما ليس فيه أو بما لا يريد أن يعنيه و من أمثلة ذلك هذا الحديث القدسي (حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا منصور عن ربعي بن حراش أن حذيفة حدثهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقت الملائكة روح ممن كان قبلكم فقالوا أعملت من الخير شيئا قال لا قالوا تذكر قال كنت أداين الناس فأمر فتياي أن ينظروا المعسر ويتجاوزوا عن الموسر قال قال الله عز وجل تجوزوا عنه)⁽⁹²⁷⁾ , حيث لجأ هذا النص إلى استعمال عنصر احوالي آخر هو الضمير (كم) حيث يحيل إلى عنصر إشاري أساس و هو صحابة النبي صلى الله عليه و سلم , و قد و رد هذا العنصر الاحالي في سياق حوار دائر بين الملائكة

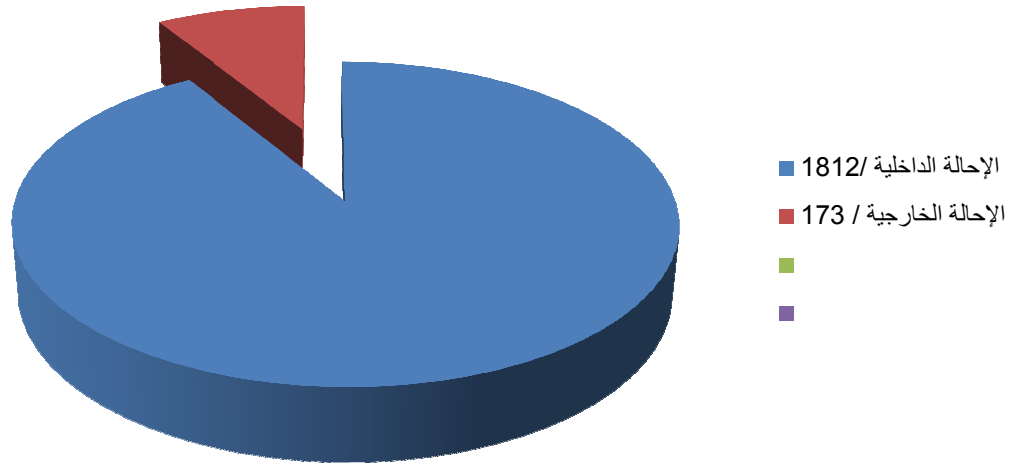
المستوى الثاني : الإحالة الداخلية/ النصية .

تقع هذه الإحالة داخل الخطاب/النص , فيسهم السياق اللغوي في فهمها , حيث يكون العنصر المشار إليه /المرجع موجودا في فضاء النص نفسه . و هنا تكون الإحالة على المرجع إحالة نصية , تربط أجزاء النص و مكوناته اللغوية من خلال وحدة دلالية تعمل على تنشيط عملية التلقي في الاتجاه الذي يضيف على الخطاب/النص استمرارية متجانسة و يغري من ثمة المتلقي على ضرورة التفاعل مع المعطيات النصية و تدفقات معانيه إلى المستوى الذي يشعر فيه بالتشبع و أن النص أعطى في هذه اللحظة ما يمكن أن يعطيه من المفاهيم و الأفكار والأسرار التي تمنح بعد طول معانات القراءة الايجابية و مشقاتها .

و إذا أراد الدارس أن يعرض صورة شمولية تلخص نوعي الإحالة الداخلية منها و الخارجية , فإن هذا الرسم البياني الآتي كفيلا بذلك :

⁹²⁷ - النووي : صحيح مسلم , ج 6 , ص : 96 .

الإحالة الداخلية و الخارجية



و الملاحظ من خلال هذا الرسم التوضيحي أن مساحة الإحالة الداخلية (1812) حالة في فضاء خطاب الحديث القدسي أكبر مقارنة بما تحتله الإحالة الخارجية (172) حالة , مما يعني أن الحديث القدسي يلقي بثقله و يركز كل طاقاته المفاهيمية و الدلالية و القيمة عليه هو , أي على متنه لا على من يرويه أو ينقله عن غيره - على الرغم من أهمية السند في علوم الحديث - . فالذي ينقل الحديث القدسي و يرويه عن النبي صلى الله عليه و سلم عن ربه مسؤولياته تنتهي عند حدود أمانته و صدقه و ضبطه في رواية الحديث , بينما متن الحديث هو الخطاب المراد تبليغه لكل مسلم في كل زمان و مكان , و بالتالي فإن له الكثير من الخصائص الشكلية و الدلالية التي تجعله يستجيب لتغيرات الظروف و تطورات التراكم العلمي و الثقافي الذي يطبع كل مرحلة تاريخية يمر بها المجتمع المسلم ... و على هذا الأساس كان نص الحديث القدسي يفعل آلية الإحالة الداخلية بقوة و يمكنها من أن تنتشر في مساحة كبيرة من أرضيته و يعمد إلى تكاثرها خدمة للمقاصد الدين و أخذاً بطريقة أو بأخرى بيد المتلقي حتى يتسنى له فهم خطاب الحديث القدسي كما أراده منشئه دون إفراط في التأويل و تفريط ... و لهذا فإن جعل مساحة الإحالة الخارجية أقل انتشاراً من الإحالة الداخلية يضع للرواية الحديث القدسي في حدوده الطبيعية و ينزله بدقة في وظيفته الأساس و هي نقل الخبر كما ورد عن النبي صلى الله عليه و سلم دون أن يزيد فيه أو ينقص شكلاً و دلالة , لأنه يدرك بإيمان معاني

و مقاصد (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) أخرجه الستة (928) , من ثمة يقلل من غلواء و هيمنة راوية الحديث و أسر الخطاب في إطار ضيق يجعله مسجوناً في بعده التاريخاتي و عاجزاً على مسامرة تغيرات المراحل الحياتية بكل معطياتها و حاجياتها و بالتالي تتعرض مسألة إعجازيته - من حيث المعنى التشريعي و التكويني - فيه إلى الكثير من الظنون و الشكوك و عدم المصادقية , كما يلقي على متلقيه مسؤولية التفاعل الايجابي و مسؤولية التعامل المباشر مع الخطاب/النص القدسي دون خلفيات كابحة أو تصورات مسلم بها مبدئياً لا تقبل المناقشة أو المحاججة , لأن إغفال ذلك يؤدي مباشرة إلى تعطيل النص القدسي عن وظيفته الأساسية إلى مجرد تعاويد ترقق القلوب ليس غير . على نحو ما نجد في الحديث القدسي الآتي : (حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ عَنْ أَبِي صَالِحِ الزِّيَّاتِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَصْخَبُ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) (929). فالإحالة الداخلية بين قبلية و بعدية بلغت (22) حالة , منها على سبيل التمثيل العناصر اللغوية الآتية (له - فإنه - لي - أنا - الذي ... يفرحهما ..)

له (الهاء/الضمير)يحيل إلى ابن آدم .

فإنه (الهاء/الضمير)يحيل إلى الصيام .

لي (الياء/الضمير) + (أنا) + (الذي)يحيل إلى لفظ الجلالة سبحانه و تعالى .

يفرحهما (الضمير المستتر)يحيل إلى الصائم . بينما الضمير المتصل (هما) يحيل إلى الفرحتين . بينما الإحالة الخارجية لم تتجاوز الحالتين , و هما ممثلتان في

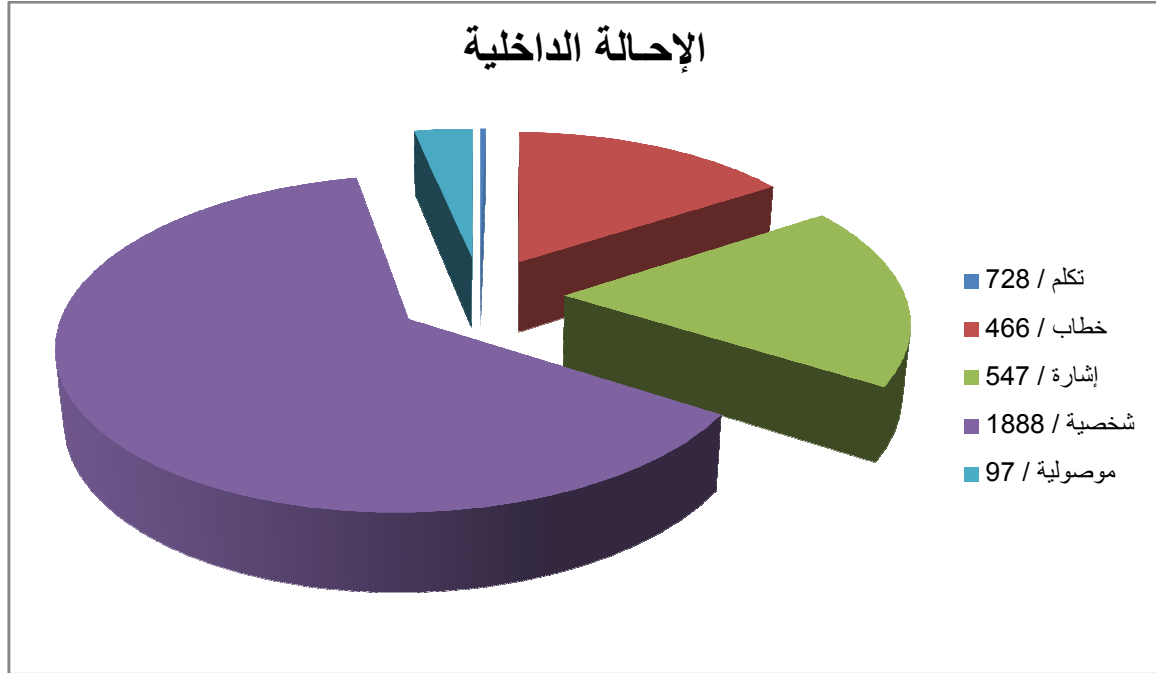
⁹²⁸ - ابن حمزة الحسيني : البيان و التعريف في أسباب ورود الحديث الشريف , دار الكتاب العربي - بيروت , ط :

1981 م , ج 2 , ص : 229 .

⁹²⁹ - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 10 , ص : 395 .

العناصر اللغوية (حَدَّثْنَا - خَبَّرْنَا - قَالَ - سَمِعَ) و ضمير المخاطب (أَحَدِكُمْ) الذي يشير إلى الحاضرين من الصحابة بداية .

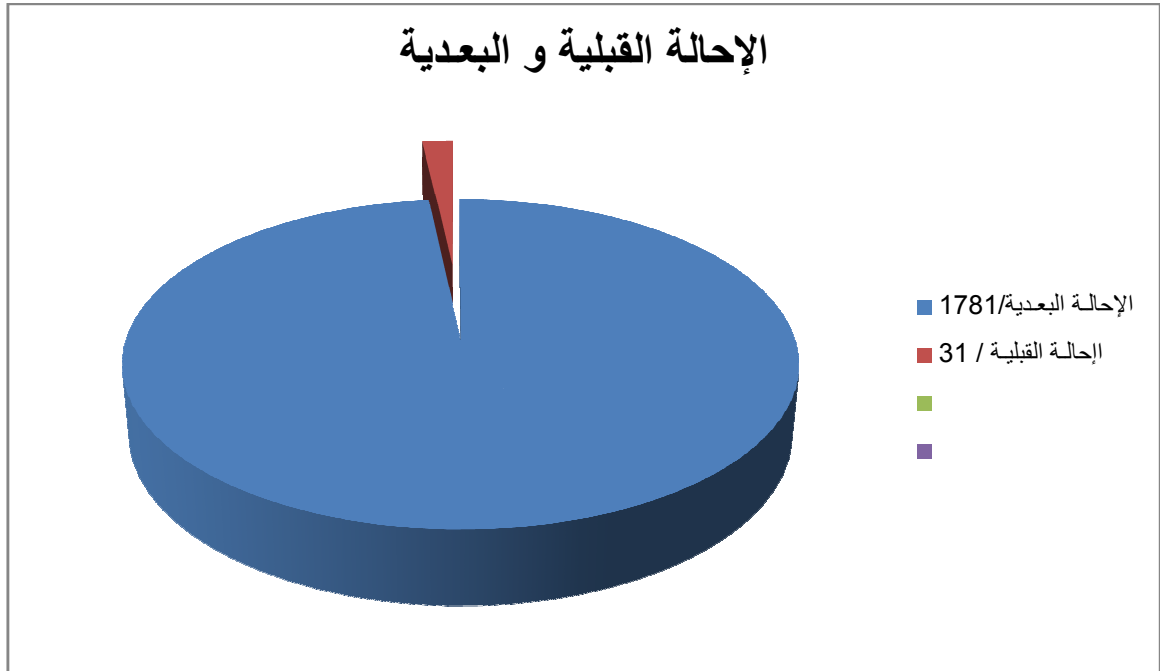
و هذا الرسم البياني يلخص لنا المساحة التي احتلها وجود الإحالة الداخلية في فضاء خطاب الحديث القدسي مدونة البحث :



و القراءة المباشرة لهذا الرسم البياني تبين أن العناصر اللغوية المحققة لفعل الإحالة داخل لم تكن متساوية من حيث الانتشار داخل النص القدسي , فضمير الشخصية الذي تكرر وجوده إلى 1888 حالة فرض تموقعه من حيث الترتيب في المقام الأول , و على العكس من ذلك فقد أحتل ضمير التكلم المرتبة الأخيرة بـ 728 حالة , بينما العناصر الإحالية الأخرى قد توسطت هذين الموضوعين و لكن وفقا للتراتبية الآتية : (الإشارة) ب : 547 حالة , (خطاب) ب : 466 حالة , (الموصولية) ب : 97 حالة .

فضلا عن الإحالة الداخلية و الإحالة الخارجية , تنقسم الإحالة في داخل نص الحديث القدسي إلى : إحالة بعدية و إحالة قبلية . و قد تجلت هذه الظاهرة النصية التي تعمل على تماسك الخطاب و اتساق مكوناته اللغوية على مستوى البنية السطحية و البنية العميقة جميعا في الحديث القدسي في صورة تشي بأن الإحالة البعدية هي التي كان لها حضور قوي و ملفت للانتباه بكمية عددية بلغت : 1781 حالة , أما الإحالة القبلية فقد كادت تختفي من على النص القدسي فقد تجلت 31 مرة فقط , و الرسم البياني يوضح

الصورة أكثر ، قد يكون السر في ذلك عائد إلى طبيعة الحديث القدسي المتميز عن باقي أنواع الخطابات الشرعية (القرآن الكريم و الحديث الشريف) التي منها الإخبار بطريقة حوارية بسيطة عن قضايا غيبية توحيدية عقدية تتجلى فيها الذات الإلهية و هي تخاطب أنواعا من المخلوقات بشرية و ملائكية بطرية و قضايا لا يمكن لأي مخلوق أن يتصورها مسبقا أو يتعاطي معها باجتهادات فكرية و استنتاجات بشرية . ذلك أن الله قد يلقي المعنى في روع النبي صلى الله عليه و سلم ، و قد يريه هذا المعنى في منامه ، أو يأتيه به بواسطة جبريل عليه السلام نفسه . و إلا أن النبي صلى الله عليه و سلم قد كلف أن يصوغ هو بنفسه ذلك المعنى الموحى به إليه . و لهذا فإن الفرق بين القرآن الكريم وبين الحديث القدسي يكمن في أن القرآن الكريم لا يكون إلا عن طريق جبريل عليه السلام ، والنص مبناه و معناه من الله عز وجل، بينما الحديث القدسي يكون عن طريق المنام ، ورؤيا الأنبياء حق ، ويكون عن طريق الإلقاء في الروع ، قال صلى الله عليه و سلم : (إن روح القدس نفثت في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها...)⁽⁹³⁰⁾ حديث صحيح . فالمعنى من الله تعالى و الصياغة من عند الرسول صلى الله عليه و سلم



⁹³⁰ - محمد ناصر الدين الألباني : صحيح الجامع الصغير و زيادته ، الفتح الكبير ، المكتب الإسلامي ، ط 3 :

الإحالة البعدية

و تعني استخدام (المضمرة) بعد (المرجع) أي المشار إليه , بمعنى أنها تعود على (مفسر) سبق التلفظ به , على نحو ما نجد في : (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَنِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لَأَغْنِي بِي عَنْ بَرَكَتِكَ وَرَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا) (931) , حيث يعد المشار إليه (أيوب) مرجعا سابقا لمجموعة من الإحالات يعبر عنها بضمير مع الكلمات : (يغتسل - عليه - يحتني - ثوبه) .

الإحالة القبلية

و تعني استخدام (المضمرة) قبل (المرجع) أي المشار إليه , بمعنى أنها تعود على (مفسر) لاحق , كما نجد في الحديث القدسي الآتي : (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكَتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكَنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ) (932) . حيث يلاحظ أن الضمير في (يتعاقبون) يعد عنصرا إحاليا متقدما يشير إلى (ملائكة/المرجع) و هو المشار إليه و قد جاء متأخرا . كما نجد هذه الظاهرة في الحديث القدسي : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أتسخر بي أو أتضحك بي وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله صلى الله

931 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 3 , ص : 343 .

932 - المرجع نفسه , ج 5 , ص : 64 .

عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه قال فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة⁽⁹³³⁾ .
و تتجلى هذه الظاهرة كذلك في آخر الحديث القدسي حيث يقول صلى الله عليه و سلم
(آخر أهل النار خروجاً/ آخر أهل الجنة دخولا الجنة) عنصر محيل على غيره , و هو
آت بعده , لم يكتفي بذاته (من حيث التأويل , إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه
من أجل تأويلها)⁽⁹³⁴⁾ , و لهذا فإنه مما لا شك فيه أن العنصر اللغوي اللاحق و هو كلمة
(رجل) أسفرت عن مضمون و جنس (آخر أهل النار خروجاً/ آخر أهل الجنة دخولا
الجنة) . و لهذا لن يجد متلقي هذا الخطاب أي معاناة في التعاطي معه و الاستمرار في
مقاربتة إلى آخر كلمة منه .

الإحالة و مداها داخل النص

و تختلف الإحالة في مدى الربط داخل النص , فقد يكون المدى قصيرا نسبيا على
نحو ما نجد في : (عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
أَنَّهُ قَالَ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي
كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ
فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُمْكُمْ يَا عِبَادِي إِنِّكُمْ
تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنِّكُمْ لَنْ
تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضْرِبُونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنِّكُمْ
وَجِنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ
أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنِّكُمْ وَجِنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرَ قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي
شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنِّكُمْ وَجِنِّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي
فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ
يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ
وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)⁽⁹³⁵⁾ .

933 - النووي : صحيح مسلم , ج 2 , ص : 314 .

934 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 17 .

935 - النووي : صحيح مسلم , ج 8 , ص : 185 .

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

عِبَادِي (ي)

إِنِّي (ي)

حَرَمْتُ (ت)

نَفْسِي (ي)

جَعَلْتُهُ (ت)

خيرا

ذلك

ما تقدم يرسم بعض المسافات الفاصلة بين المحيل و المحال إليه التي تبدو قريبة نسبيا , إذ بين الضمير في (عبادي) المحيل و المحال إليه (اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى) مسافة قريبة جدا مقارنة بين تلك المسافة القائمة بين (جعلته) و المرجع (اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى) . و قد يكون طويلا نسبيا , حيث يتم الفصل بين المرجع/المشار إليه , و الإحالة بمجموعة من الجمل , على نحو ما نرى في الحديث القدسي : (حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْيسِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَّمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ الْإِنجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ فَعَمَلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأَعْطِينَا قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ أَيُّ رَبَّنَا أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ وَأَعْطِينَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَا قَالَ فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مِنْ أَشَاءِ) (936) , حيث يحيل الضمير (هو) في آخر الحديث القدسي قوله تعالى (فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مِنْ أَشَاءِ) إلى المرجع السابق (قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ) و قد تشكلت بينهما مسافة بعيدة نسبيا , و بالتالي يوضح حقيقة هذه الزيادة / قراطين قراطين مقارنة بما ناله أهل التوراة و أهل الإنجيل/ قِيرَاطًا قِيرَاطًا : فـ(قراطين قراطين) اللذين حازهما المسلمون العاملون

936 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 5 , ص : 74 .

بالقرآن الكريم , إذا ما هما في حقيقة الأمر إلا فضل من الله تعالى يعطيه من يشاء من عباده العاملين بشريعته .

كل ما سبق ذكره يمكن توضيحه أكثر من خلال الجدول الآتي :

أنواع الإحالة في الحديث القدسي

المجموع	إحالة خارجية		إحالة داخلية		إحالة داخلية قبلية					رقم
		-	بعديّة	قبلية	موصولية	شخصية	إشارة	خطاب	تكلم	
20		1	-	9	-	09	-	01	-	01
29		-	1	13	-	08	-	04	03	02
45		5	3	13	01	18	-	02	03	03
63		4	0	25	03	12	01	06	12	04
311		2	5	135	17	97	07	28	20	05
31		-	0	23	02	14	05	01	07	06
		-	-	-	-	-	-	-	-	07
20		-	-	-	03	10	-	-	07	08
13		-	-	13	-	-	-	-	-	09
53		-	-	22	-	24	01	03	03	10
69		-	-	34	01	26	-	05	03	11
45		-	-	22	01	17	-	01	04	12
51		3	-	19	-	15	-	03	06	13
29		-	-	14	-	13	-	-	02	14
57		6	-	22	01	14	01	04	09	15
		-	-	-	-	-	-	-	-	16
		-	-	-	-	-	-	-	-	17
52		-	-	25	01	17	-	04	05	18

71		-	-	34	-	25	02	04	06	19
32		-	-	14	-	14	-	-	04	20
16		-	-	8	-	06	-	-	02	21
19		-	-	9	-	08	-	02	-	22
-		-	-	-	-	-	-	-	-	23
27		-	-	21	-	02	-	02	02	24
20		-	-	-	02	09	01	08	-	25
28		-	-	13	-	05	01	07	02	26
33		-	-	16	-	11	-	03	03	27
48		-	-	24	01	11	01	07	04	28
47		1	-	23	-	09	-	06	08	29
-		-	-	-	-	-	-	-	-	30
-		-	-	-	-	-	-	-	-	31
-		-	-	-	-	-	-	-	-	32
31		-	1	14	01	11	-	01	03	33
53		-	-	24	-	18	-	07	04	34
-		-	-	-	-	-	-	-	-	35
-		-	-	-	-	-	-	-	-	36
-		-	-	-	-	-	-	-	-	38
-		-	-	-	-	-	-	-	-	40
-		-	-	-	-	-	-	-	-	41
32		-	1	14	02	11	-	04	-	42
-		-	-	-	-	-	-	-	-	43
-		-	-	-	-	-	-	-	-	44
42		-	-	19	03	12	-	04	04	45
-		-	-	-	-	-	-	-	-	46
-		-	-	-	-	-	-	-	-	47

-		-	-	-	-	-	-	-	-	48
-		-	-	-	-	-	-	-	-	49
14		-	-	9	-	04	-	-	01	50
08		-	-	4	-	01	-	-	03	51
46		-	-	21	02	12	02	07	02	52
-		-	-	-	-	-	-	-	-	53
60		-	-	28	02	15	01	04	10	54
96		-	-	63	02	15	02	04	10	55
-		-	-	-	-	-	-	-	-	56
-		-	-	-	-	-	-	-	-	58
-		-	-	-	-	-	-	-	-	59
21		-	-	10	-	07	-	-	04	60
-		-	-	-	-	-	-	-	-	61
38		-	-	18	01	14	-	01	04	62
03		-	-	-	02	-	01	-	-	63
-		-	-	-	-	-	-	-	-	64
-		-	-	-	-	-	-	-	-	65
03		-	-	-	-	-	03	-	-	66
-		-	-	-	-	-	-	-	-	67
01		-	-	-	-	-	01	-	-	68
-		-	-	-	-	-	-	-	-	69
11		-	-	5	-	03	-	-	03	71
-		-	-	-	-	-	-	-	-	72
-		-	-	-	-	-	-	-	-	73
58		-	-	27	-	30	01	-	-	74
-		-	-	-	-	-	-	-	-	75
-		-	-	-	-	-	-	-	-	76

-		-	-	-	-	-	-	-	-	77
-		-	-	-	-	-	-	-	-	78
-		-	-	-	-	-	-	-	-	79
54		-	-	26	-	08	02	09	09	80
30		-	-	15	-	03	01	08	03	81
12		-	-	-	-	11	-	01	-	82
88		-	-	43	-	24	01	10	10	84
26		-	-	12	01	05	-	02	06	86
57		-	-	26	03	15	-	04	09	87
33		-	-	16	01	09	-	03	04	88
16		-	-	7	-	06	-	-	03	89
32		-	-	15	01	04	-	04	08	90
10		-	-	5	-	04	-	-	01	92
27		-	-	13	-	03	01	07	03	93
51		-	-	23	-	13	-	-	15	95
12		-	-	6	-	05	-	-	01	97
20		-	-	8	03	07	-	-	02	104
09		-	-	4	-	02	-	-	03	108
53		-	-	22	-	25	-	04	02	114
19		-	-	9	-	05	-	-	05	117
08		-	-	4	-	01	-	-	03	118
28		-	-	13	-	10	02	02	01	123
11		-	-	5	-	02	-	-	04	127
11		-	-	5	01	05	-	-	-	132
13		-	-	6	01	05	-	-	01	135
11		1	1	-	01	04	-	02	02	02

18		1	-	-	-	12	-	-	05	04
13		2	1	2	-	04	03	01	-	07
18		2	-	-	-	11	-	04	01	11
45		-	-	-	-	26	01	10	08	14
35		-	2	-	-	18	02	06	07	17
57		-	3	2	-	29	03	08	12	18
31		1	-	1	02	13	-	09	05	19
49		2	1	2	03	18	-	02	21	21
09		-	-	1	-	07	01	-	-	34
19		1	1	-	01	09	-	04	03	35
13		-	-	-	-	05	-	02	06	36
42		1	1	1	-	22	03	03	11	40
09		-	1	-	01	06	-	-	01	41
11		-	-	-	-	04	-	01	06	44
05		-	-	-	-	03	-	-	02	45
06		-	-	-	-	02	-	-	04	47
40		-	-	2	-	16	02	29	18	48
08		2	-	-	-	04	-	-	02	50
35		3	-	-	-	16	-	-	16	52
15		1	-	-	-	07	-	-	07	53
16		1	-	-	-	08	-	-	07	55
30		1	-	-	-	19	-	-	11	57
42		-	-	-	-	23	-	07	12	63
06		-	-	-	-	06	-	-	-	64
31		-	-	2	01	18	01	03	06	65
17		-	-	-	-	12	-	-	05	68
31		-	-	-	01	09	02	10	09	73
12		1	-	8	01	01	-	01	-	78
11		1	1	-	-	05	-	-	04	79

10		1	-	-	01	04	-	02	02	80

هذا الجدول يبين أنواع الإحالة و أدواتها في الأحاديث القدسية على الشاكلة الآتية :

1 - تمثل ظاهرة الإحالة النصية في الحديث القدسي/ مدونة البحث أعلى نسبة حضور من الإحالة السياقية , هذا الحضور المكثف للإحالة النصية يسهم إلى حد بعيد في ربط الأجزاء الداخلية و المكونات اللغوية بعضها ببعض في النص فتخرجه في شكل بنية واحدة لا يمكن الاستغناء عن أي عنصر من عناصر تكوينها مهما كان حجمه أو موقعه , في حين تسهم الإحالة السياقية ابتداء في ربط الخطاب/النص القدسي بالسياق و محيطه الخارجي و البيئة التي تخلف فيها و تأسس , و هي إحالة متكررة مع الجملة الافتتاحية للأحاديث القدسية (حدثنا - حدثني) مما يشير إلى البعد الشفاهي لنص الحديث القدسي فإذا كانت الأحاديث النبوية قولية و فعلية و تقريرية فـ(الأحاديث القدسية قولية)⁽⁹³⁷⁾ ليس غير , في الوقت نفسه يوحى قصرها على الجملة الافتتاحية بالمرحلة التالية التي مر بها التعامل مع الحديث القدسي و المتمثلة في البعد الكتابي للنص حفاظا على قيمته التشريعية و صونا له من أن يتعرض للتحريف أو التغيير , دون أن ننسى قصد الشارع إلى تدوينه قال تعالى (و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)⁽⁹³⁸⁾ , فتثير الثنائية بين الإحالة السياقية و الإحالة النصية إلى نوع النص بأنه نص شفاهي كتب لكي يلقي على جمهور المستمعين بواسطة الراوي .

2 - تعددت أدوات الإحالة الداخلية بين الضمير و اسم الإشارة و الاسم الموصول و بعض العناصر المعجمية مثل : (كل) و هي الأدوات المستعملة في نص الأحاديث القدسية .

3 - تسجل الإحالة بضمير الشخصية (1888 حالة) أعلى نسبة ورود لأدوات الإحالة في النص , ثم يليها في المرتبة الثانية ضمير التكلم بـ(728 حالة) , فضمير الإشارة بـ(547 حالة) , أما ضمير الخطاب و الموصولية فالأول حضر بـ(466 حالة) و

⁹³⁷ - أحمد مصطفى متولي : الأحاديث القدسية و شروحا , ص : 73 .

⁹³⁸ - سورة النحل , الآية : 44 .

الثاني بـ (97 حالة) ، و يرجع ذلك التوزيع إلى نوع النص القدسي و طبيعته ، حيث أنه خطاب/نص (يرويه النبي صلى الله عليه و سلم بلفظ من عنده و يضيفه إلى الله عز و جل ، فالمعنى ... من عند الله و اللفظ من صياغة النبي صلى الله عليه و سلم) (939) يعتمد كثيرا على الحوار تارة بين الله سبحانه و تعالى و عباده (..ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار قد قشبتني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك ..) (940) ، و مرة بينه تعالى و ملائكته (..ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون ..) (941) . أو بينه تعالى ورسله مثل آدم عليه السلام (خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يحيونك تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله) (942) و (يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول أخرج بعث النار) (943) و أيوب (..فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى ..) (944) و إبراهيم عليه السلام (..فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأبي خزي أخزي من أبي الأبعد فيقول الله تعالى إنني حرمت الجنة على الكافرين ..) (945) ، وموسى عليه السلام (..وقال ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة قال أي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالآن ..) (946) ، محمد صلى الله عليه و سلم (.. فيأتوني فأطلق حتى أسأذن على ربي فيؤذن لي فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ثم يقال ارفع رأسك وسل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمني ثم

939 - أحمد مصطفى متولي : الأحاديث القدسية و شروحا ، ص : 73 .

940 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 6 ، ص : 117 .

941 - المرجع نفسه ، ج 5 ، ص : 64 .

942 - المرجع نفسه ، ج 15 ، ص : 287 .

943 - المرجع نفسه ، ج 15 ، ص : 329 .

944 - المرجع نفسه ، ج 3 ، ص : 343 .

945 - المرجع نفسه ، ج 15 ، ص : 363 .

946 - المرجع نفسه ، ج 7 ، ص : 213 .

أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَهُ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مِنْ حَبْسَةِ الْقُرْآنِ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ ..) (947) . و الإحالة عليها بصورة متداخلة , و سرد الأحداث من قبل النبي صلى الله عليه وسلم و ما يتخلل هذا السرد من وصف للمراجع المستخدمة , و من ثمة تمثل الإحالة بالضمير أعلى نسبة ورود لها في النص .

4 - تتفاوت نسبة الإحالة في النص القدسي تبعاً لتفاوت طول الأحاديث القدسية , حيث تزداد نسبة الإحالة مع الحديث القدسي الطويل نسبياً و ذلك مثل (عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذَكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي ائْتُوا نُوحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذَكُرُ سُؤَالَ رَبِّهِ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ فَيَسْتَحِي فَيَقُولُ ائْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذَكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بغيرِ نَفْسٍ فَيَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ فَيَقُولُ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلِّ تَعَطُّهُ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعُ تَشْفَعُ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَهُ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مِنْ حَبْسَةِ الْقُرْآنِ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ) (948) .

المجموع	إحالة خارجية		إحالة داخلية		إحالة داخلية				
	-		قبلية	بعدية	موصولية	شخصية	إشارة	خطاب	تكلم
211	1	-	95		01	73	01	16	24

947 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 18 , ص : 107 .

948 - المرجع نفسه , ج 18 , ص : 107 .

و (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحْفُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَمَجِّدُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ فَيَقُولُ فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ رَوَاهُ شُعْبَةُ عَنِ الْأَعْمَشِ وَلَمْ يَرْفَعَهُ وَرَوَاهُ سُهَيْلٌ عَنِ أَبِيهِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (949) .

المجموع	إحالة خارجية	إحالة داخلية		إحالة داخلية				
		قبلية	بعدية	موصولية	شخصية	إشارة	خطاب	تكلم
212	1	96	-	-	94	-	12	09

و (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُتِيْتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أبيضٌ طویلٌ فوقَ الحِمَارِ ودونَ البُغْلِ يضعُ حافرُهُ عندَ منتهى طرفِهِ قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَالَ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ الَّتِي يَرِبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ قَالَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَأَخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ

مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ عِيسَى
ابْنِ مَرِيَمَ وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَبًا وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى
السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى
السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ
قَالَ مُحَمَّدٌ قَالَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي
بِخَيْرٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) , ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ
جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ
بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِبَهَارُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ
بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ
مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ
هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ
قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السُّدْرَةِ
الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرْفُهَا كَأَذَانِ الْقَبِيلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِنَالِ قَالَ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا
غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا
أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ
التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى
رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي
خَمْسًا قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ
رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ
كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ
حَسَنَةٌ فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ

سَيِّئَةً وَاحِدَةً قَالَ فَنَزَلَتْ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ
ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ
إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ (950) .

المجموع	إحالة خارجية		إحالة داخلية		إحالة داخلية				
		-	بعديّة	قبليّة	موصوليّة	شخصيّة	إشارة	خطاب	تكلم
222		1	5	4	02	123	06	25	56

بينما يقل انتشار الظاهرة الإحالية في نص الحديث القدسي نسبياً مع تلك التي تتسم
بالإيجاز و الاقتضاب , و منها على سبيل التمثيل :

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يُؤَذِّنِي ابْنُ آدَمَ
يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي أَلْمَرُّ أَقْبَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) (951) .

المجموع	إحالة خارجية		إحالة داخلية		إحالة داخلية				
		-	بعديّة	قبليّة	موصوليّة	شخصيّة	إشارة	خطاب	تكلم
09		1	-	4	-	02	-	-	03

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ اللَّهُ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي
بِي) (952) .

المجموع	إحالة خارجية		إحالة داخلية		إحالة داخلية				
		-	بعديّة	قبليّة	موصوليّة	شخصيّة	إشارة	خطاب	تكلم
08		1	-	4	-	01	-	-	03

(عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ يَعْزِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَنَا يَنْبَغِي لِعَبْدِي لِي وَ
قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى لِعَبْدِي أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ) (953) .

950 - النووي : صحيح مسلم , ج 2 , ص : 261 .

951 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 25 , ص : 237 .

952 - المرجع نفسه , ج 25 , ص : 244 .

953 - النووي : صحيح مسلم , ج 7 , ص : 466 .

المجموع	إحالة خارجية		إحالة داخلية		إحالة داخلية				
		-	بعديّة	قبليّة	موصوليّة	شخصيّة	إشارة	خطاب	تكلم
06		1	-	-	-	03	-	-	02

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيُّنَ الْمُتَحَابُّونَ بِيَوْمِ الظُّلْمِ فِي يَوْمِ الظُّلْمِ لَنَا ظِلٌّ إِنْ ظَلَّيْنَا) (954) .

المجموع	إحالة خارجية		إحالة داخلية		إحالة داخلية				
		-	بعديّة	قبليّة	موصوليّة	شخصيّة	إشارة	خطاب	تكلم
07		1	-	-	-	02	-	-	04

الحذف

في الأحاديث القدسية

البحث في الحذف يعد من البحوث واسعة (الانتشار في لغة الكلام على الأخص ..)(955) التي تقع بين دراسات النحو و البلاغة من حيث أنواع المحذوف و حكمه و أغراضه , و لكن هذه الظاهرة اللغوية قد أخذت بعدا لغويا آخر لحظة أن تبناها التفكير اللغوي الخاص بلسانيات النص , و لقد حظي بهذه (المزية بفضل آليات القراءة التي جاءت بها الثقافة الحديثة , و التي أصبحت تدور على فحوص المواقع بين القارئ و المقروء ...)(956) , بل إن مصطلح الحذف أو (المبنى العدمي)(957) نفسه بات من المقولات اللسانية المفصلية و الاستراتيجية في مقاربة الخطابات التواصلية و (معلوم أن المقولات تصنيفات تستقر في الذهن فيستخدمها العقل في سعيه الإدراكي لحقائق الأشياء و الوقائع و الظواهر . و شأن المقولات ألا يراعى فيها أمر الألفاظ الدالة عليها لأنها تصورات لولا تعذر مناجاة الناس بعضهم بعضا بغير أداة اصطلاحية يتواضعون عليها فكانت مدلولاتها مركوزة في النفس بغير ملفوظات)(958) . كما أصبح التركيز على ظاهرة الحذف ينطلق من اعتبارها إحدى الأدوات المفصلية التي تساهم بقوة في تحقق وجودية النص و تماسكه وحسن انسيابه تجاه المتلقي . و هذه الرؤية متجلية في الكثير من الخطابات الفنية و غير الفنية , و لكن في نص الحديث القدسي بعينه , فهي زيادة على ما تقدم , يمكن أن تسهم في التعرف على نوعه و خصائصه اللسانية مقارنة بباقي ألوان الخطاب الشرعي سواء أكان القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف , لذلك سوف نحاول دراسة أنواع الحذف في الحديث القدسي و دوره في تحقيق تماسك الخطاب/النص و علاقته بنوع النص .

أنواع الحذف

955 - William o .hendrick : علم اللغة السيميائي و الأدب المروي , ص : 56 .

956 - عبد السلام المسدي : مجلة دبي الثقافية , السنة الثامنة - العدد : 83 , أبريل (نيسان) 2012 م , ص : 37 .

957 - حسام أحمد فرج : نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري , مكتبة الآداب , ط2 : 2009 م , ص

958 - عبد السلام المسدي : مجلة دبي الثقافية , ص : 37 .

تميل لغة الأحاديث القدسية في معظمها إلى الإيجاز/الاقتصاد في التعبير ، و قد يعود ذلك إلى مبررات كثيرة منها تجنب التكرار غير الفني ، حتى لا يتعرض النسيج اللغوي لنص الحديث القدسي للثقل و الترهل ، و من ثمة قد يوضع في حالة تنقطع فيه الصلة بينه و بين متلقيه ، أو يفقد تناغمه و انسجامه مع المقاصد الأساسية للرسالة الشرعية التي جاء لتحقيقها... فهذا الإيجاز الاقتصادي القائم على فنيات كثيرة منها الحذف لن يوتي أكله إلا وضعت بين يدي المتلقي قرائن لغوية أو غير لغوية ، داخلية أو خارجية ، تأخذ بيده بر أمان المعنى المقصود ، و تدل بدقة متناهية على المحذوف ، تجنباً للغموض و التعقيد و إنهاك القدرات الفكرية و الإدراكية للمتلقي ، مع كسب خطاب/نص القدسي ميزة الاستمرارية و تخطي حاجزي الزمان و المكان ، ليكون حاضراً في أي لحظة تلق و استقبال و فهم تقتضيه الوضعيات الجديد و إشكالاتها . و هذا يعني كذلك أن (مثل هذا اللجوء إلى الاقتصاد في الجهد ينطوي على أساس غير لغوي لهذا الجانب من العلاقات التي يقع في ما بعد الجملة) (959) .

و تتعدد أنواع الحذف في الحديث القدسي بين : حذف الاسمي أو الفعلي أو الجملي أو حتى شبه الجملة . فلو بدأنا بالحذف الاسمي و أخذنا بعض العينات على ذلك انطلاقاً من مثل قوله (صلى الله عليه و سلم) : (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ . فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُتَوَيَّةً قَالَ وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو الْحَيَاةِ وَقَالَ خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ) (960) البخاري/1 . و يتجلى حذف الاسم (حاصلة) في العبارة الآتية : (من خردل) (يتعلق بمحذوف و هو حاصلة ، و التقدير : مثقال حبة حاصلة من خردل ...) (961) . (من إيمان) (يتعلق بمحذوف آخر ، و التقدير من خردل حاصل من إيمان

959 - William o .hendrick : علم اللغة السيميائي و الأدب المروي ، ص : 57 .

960 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 1 ، ص : 270 .

961 - المرجع نفسه ، ج 1 ، ص : 274 .

..(962) . كما حذف الاسم (نبات) في : (كما تنبت الحبة) , لأن التقدير يكون : كنبات الحبة فـ (الكاف للتشبيه و ما مصدرية والتقدير : كنبات الحبة) (963) . كما تم حذف المصدر (نباتا) في قوله : (كما تنبت الحبة) لأن (محل الجملة : نصب على أنها صفة لمصدر محذوف : أي فينبتون نباتا كنبات الحبة) (964) .

الشيء نفسه يمكن أن نراه مع حذف الاسم في هذا الحديث (عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَّمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ الْإِنجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ فَعَمَلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأَعْطِينَا قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ أَيُّ رَبِّنَا أَعْطَيْتَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَا قَالَ فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مِنْ أَشَاءِ) (965) البخاري/5 . ففي قوله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَّمِ ..) يلاحظ أن هذا التركيب قد تعرض للمسة جمالية من لمسات الحذف (وحاصله أن " في " بمعنى إلى , وحذف المضاف وهو لفظ " نسبة ") (966) . (فكأنه قال : إنما بقاؤكم بالنسبة إلى ما سلف الخ) (967) .

و نجد الحذف الفعلي في مثل قوله (صلى الله عليه وسلم) : (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالًا فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حَضَرَ أَيُّ أَبِ كُنْتُ لَكُمْ قَالُوا خَيْرٌ أَبِ قَالَ فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ مَا

962 - محمد بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري , ج 1 , ص : 274 .

963 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 274 .

964 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 274 .

965 - المرجع نفسه , ج 5 , ص : 74 .

966 - ابن حجر العسقلاني : فتح البارئ بشرح صحيح البخاري , دار المعرفة - بيروت . ج 2 , ص : 39

967 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 39

حَمَلَكَ قَالَ مَخَافَتَكَ فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ⁽⁹⁶⁸⁾ . فقد حذف الفعل (كنت) في قوله (قَالُوا خَيْرَ أَبِي) (المحذوف : (المحذوف : كنت ...)⁽⁹⁶⁹⁾ ... كما أن عبارة (قَالَ مَخَافَتَكَ) تشي بأن هناك محذوف تقديره : (.. حملتني ...)⁽⁹⁷⁰⁾ الذي وقع في الجملة الثانية , و قد ساهم العنصر اللغوي المتمثل في أداة العطف الفاء (ففعلوا + فجمعه + فقال) كقرينة لغوية في فهم المحذوف و تقديره .

و نشهد الظاهرة نفسها , أي حذف الفعل , في هذا الحديث القدسي كذلك (عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالًا فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ أَيُّ أَبِي كُنْتُ لَكُمْ قَالُوا خَيْرَ أَبِي قَالَ فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ففعلوا فجمعه الله عزَّ وجلَّ فقال ما حملك قال مَخَافَتَكَ فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ) البخاري/34 . ففي قوله (قَالُوا خَيْرَ أَبِي) يمكن تقدير (المحذوف : كنت ...)⁽⁹⁷¹⁾ , كما يقدر (المحذوف : حملتني ...)⁽⁹⁷²⁾ من خلال تأمل عبارة : (قَالَ مَخَافَتَكَ) .

كما شهدت بعض الأحاديث القدسية ظاهرة الحذف الجملي التي مست عبارة بكاملها أو متتالية جمالية , و مثال ذلك : (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ أَخْبَرَنَا سَعْدَانُ بْنُ بَشْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُجَاهِدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيفَةَ الطَّائِيُّ قَالَ سَمِعْتُ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا يَشْكُو الْعَيْلَةَ وَالْآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ وَأَمَّا الْعَيْلَةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ ثُمَّ لِيَقْفَنَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ يَتَرَجَّمُ لَهُ ثُمَّ لِيَقُولَنَّ لَهُ أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا فَلِيَقُولَنَّ بَلَى ثُمَّ لِيَقُولَنَّ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَلِيَقُولَنَّ بَلَى فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ فَلْيَتَّقِينَ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنَّ

968 - محمد بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري , ج 16 , ص : 84 .

969 - ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 523 .

970 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 524 .

971 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 523 .

972 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 524 .

لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ (973). فعندما يقف القارئ عند حدود قوله (فَإِنْ لَمْ يَجِدْ) : يدرك أن هذه العبارة تتضمن محذوفاً , تشير إليه الكثير من المؤشرات اللغوية المذكورة في النص و غير اللغوية الممثلة في السياق , تقديره : فإن لم يجد أحدكم شيئاً يتصدق به على المحتاج فليرد بكلمة طيبة . و يبدو الأمر كذلك في قوله صلى الله عليه و سلم (مَنْكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابِينَ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءَ فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطِينَ فَأَنْتُمْ هُمْ فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً قَالَ هَلْ نَقَصْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ قَالُوا لَا قَالَ فَذَلِكَ فَضَلِّي أَوْتِيهِ مِنْ أَشَاءِ) (974) . (كمثل رجل) فيه (فيه حذف تقديره : و هو مثلكم مع نبيكم و مثل أهل الكتابين مع أنبيائهم كمثل رجل استأجر , فالمثل مضروب للأمة مع نبيهم , و الممثل به الأجراء مع من استأجرهم) (975) .

كما نجد الحذف الجملي في مثل قوله (صلى الله عليه و سلم) : (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ فَقَالَ لَهُ أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ قَالَ بَلَى وَلَكِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَزْرَعَ قَالَ فَبَذَرَ فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاوَهُ وَاسْتَحْصَادُهُ فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ وَاللَّهِ لَا تَجِدُهُ إِلَّا قُرْشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (976). (قال : بلى) (.. الأمر كذلك , و لكن أحب الزرع) (977) . . (فبذر) (يعني ألقى البذر , فيه حذف تقديره : فأذن له بالزرع فعند ذلك قام و رمى البذر

973 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 8 , ص : 393 .

974 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 125 .

975 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 125 .

976 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 260 .

977 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 261 .

على أرض الجنة فنبت في الحال و استوى , و أدرك حصاده فكان كل حبة مثل الجبل .
(978)

أما الحديث القدسي الذي يبدأ بـ(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيفَةَ الطَّائِيُّ قَالَ سَمِعْتُ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا يَشْكُو الْعَيْلَةَ وَالْآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا قَطَعُ السَّبِيلَ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعَيْرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ وَأَمَّا الْعَيْلَةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ ثُمَّ لَيَقْفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتَرَجَّمُ لَهُ ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا فَلَيَقُولَنَّ بَلَى ثُمَّ لَيَقُولَنَّ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَلَيَقُولَنَّ بَلَى فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ فَلَيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ) (979) , فَإِنَّ الْقَارِيَّ عِنْدَمَا يَقِفُ بَيْنَ يَدَيْ عِبَارَةَ (فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ) يدفعه مكونات السياق الداخلي و الخارجي و ما علق بذهنه مما تقدم في نص الحديث القدسي إلى الإحساس بوجود فراغ/حذف فني يقتضي منه أن يملأه حتى يستكمل البناء السطحي للنص و من ثمة ينجلي المعنى المقصود و لهذا فعبارة (فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ...) تقديرها (أي فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَتَّصِقُ بِهِ عَلَى الْمَحْتَاجِ فَلْيُرِدْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ) 980 .

كما تعرض الحديث القدسي إلى فراغات فنية تمثلها هذه المرة : شبه الجملة , هذا المظهر اللغوي الذي لا يستقل بذاته شكلا و دلالة , و إنما يتحقق وجوده من خلال العلاقة الإحالية التي تربطه بعنصر لغوي نووي اسما كان أو فعلا - قبليا أو بعديا - و من ثمة يتم المعنى و يتخصص , و من الأحاديث القدسية التي حذفنا منها شبه الجملة ما يلي : (عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ

978 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 12 , ص : 261 .

979 - المرجع نفسه , ج8, ص : 393 .

980 - المرجع نفسه , ج8, ص : 394 .

بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ (981) ، ففي عبارة (فلما انصرف ..) و
 قع حذف لشبه الجملة : من الصلاة ، فيصير تقدير الكلام : (أي من صلاته) (982) .. أما
 في الحديث القدسي الآتي : (عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ
 وَطُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا ثُمَّ قَالَ أَذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيُونَكَ تَحِيَّتَكَ
 وَتَحِيَّةَ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ
 مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ) (983) ، فقد وقع
 الحذف لشبه الجملة عند قوله : (فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ) و المحذوف (من طولهِ) (984) .
 و الملاحظ مما تقدم أن ظاهرة الحذف في الحديث القدسي تقع عادة بين جملتين ،
 كما أنها لا تحدث هكذا فجأة بحيث تصدم القارئ و تترك ديناميكية تلقيه للخطاب القدسي
 ، و إنما كل ذلك يحدث بعد أن تنتشر جملة من القرائن و تتموقع في شكل معالم في
 الطريق تعمل على توجيه التلقي و ترفع من درجته ، و من ثمة ترشد المتلقي إلى وجود
 الحذف و مكانه فيما سبق أو لحق من الكلام . و يشير تعدد أنواع الحذف في النص
 القدسي إلى تفاوت المحذوف من حيث مسافته من مرجعه طولاً أو قصراً ، و اختلافه من
 حيث الوظيفة النحوية ، ذلك مما لا شك فيه يضيف تنوعاً جمالياً على البناء التركيبي و
 نسيجه في النص .

الحذف على مستوى المدونة/الأحاديث القدسية

أما عن تنوع الحذف على المستوى الكمي فهو ما يعبر عنه هذا الجدول الآتي كما يلي :

الحذف : (47 حالة حذف)

(1)

16 حالة .

جمالي	
-------	--

981 - محمد بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ج 6 ، ص : 195 .

982 - المرجع نفسه ، ج 6 ، ص : 197

983 - المرجع نفسه ، ج 15 ، ص : 287 .

984 - المرجع نفسه ، ج 15 ، ص : 288 .

	بلى أي : بلى (أغنييتي)(985) .
	(فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها) (عطف على : بلغ و جواب إذا محذوف تقديره : فإذا بلغ إلى آخره سكت , ثم بين سكوته بقوله : فيسكت , بالفاء التفسيرية) (986) ..
	(فإن لم يجد) (أي فإن لم يجد أحدكم شيئاً يتصدق به على المحتاج فليرد بكلمة طيبة) (987)
	(كمثل رجل) (فيه حذف تقديره : و هو مثلكم مع نبيكم و مثل أهل الكتابين مع أنبيائهم كمثل رجل استأجر , فالمثل مضروب للأمة مع نبيهم , و الممثل به الأجراء مع من استأجرهم) (988)
	(قال : بلى الأمر كذلك , و لكن أحب الزرع) (989) (فبذر) (يعني ألقى البذر , فيه حذف تقديره : فأذن له بالزرع فعند ذلك قام و رمى البذر على أرض الجنة فنبت في الحال و استوى , و أدرك حصاده فكان كل حبة مثل الجبل .) (990) .
	(فَيَقُولُ نَعَمْ) (ألا يرى أن الله تعالى يوقفه على ذنوبه التي عصاه فيها ثم يغفرها له) (991) .
	(وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) أن يكذبني .
	(قَالَ نَعَمْ)
	(فَيَقُولُ نَعَمْ)
	(فَيَقُولُونَ لَأَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ)
	(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ) .. (و فيه حذف تقديره : قال رسول الله قال الله تعالى)

985 - محمد بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري , ج 3 , ص : 344 .

986 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 125 .

987 - المرجع نفسه , ج 8 , ص : 394 .

988 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 125 .

989 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 261 .

990 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 261 .

991 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 404 .

	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ.. إِلَى آخِرِهِ (992) .
	(فيقول : نعم)
	(فمن خلق الله) (في جواب شرط مقدر , , و (من) اسم استفهام مبتدأ و الجملة بعده خبر , , و التقدير : إذا ثبت أن الله خلق كل شيء فمن خلق الله ؟) (993)
	(فيقول نعم)
	(قال : لا)
	(قالوا تذكر) : تذكر ما عملت من خير
	(فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَدْبَتُهُ) : (فالضمير في (إزاره و رداؤه) يعود إلى الله تعالى , للعلم به , و فيه محذوف تقديره : قال الله تعالى فمن ينازعني ذلك أعذبه) (994)
	(يَقُولُ بَلَى)

(2)

07 حالات .

	شبه جملة
	(فلما انصرف ..) (أي من صلاته) (995) .. من الصلاة
	(إذا أفطر فرح) (معناه فرح بزوال جوعه و عطشه حيث أبيح له الفطر) (996)
	(فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ) (من طوله) (997)
	(ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ) (من الزمان) (998)
	(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي) (قال القاضي : قيل معناه بالغفران له إذا استغفر و القبول إذا تاب و الاجابة إذا دعا و الكفاية إذا طلب الكفاية ..) (999)

992 - محمد بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري , ج 22 , ص : 112 .

993 - موسى شاهين لاشين : فتح المنعم شرح صحيح مسلم , دار الشروق , ط 1 : 2002 م , ج 1 , ص : 431

994 - المرجع نفسه , ج 10 , ص : 116 .

995 - محمد بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 197

996 - المرجع نفسه , ج 10 , ص : 396 .

997 - المرجع نفسه , ج 15 , ص : 288 .

998 - المرجع نفسه , ج 25 , ص : 245 .

999 - المرجع نفسه , ج 17 , ص : 02 .

(وَأَنَا مَعَهُ) (بِالرَّحْمَةِ وَ الْهَدَايَةِ وَ الرِّعَايَةِ) (1000)
(وَأِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَيْرًا) (بَطَاعَتِي) (1001) .
(تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ) (بِرَحْمَتِي وَ التَّوْفِيقِ) (1002) .
(وَأِنْ أَتَانِي يَمْنِي) (فِي طَاعَتِي) (1003) .
(وَأَزِيدُ) : أَي وَ أَزِيدُ عَلَيْهَا ..
(فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ انْطَقِي) : بِأَعْمَالِهِ

(3)

03 حالات .

فعل
(وَ يَدْخُلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ) (1004)
(قَالُوا خَيْرَ آبٍ) (الْمَحذُوفُ : كُنْتُ ...) (1005)
(قَالَ مَخَافَتُكَ) (الْمَحذُوفُ : حَمَلْتَنِي ...) (1006)
(قَالَ : مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبِّهِ) : ضَحَكَتَ مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبِّهِ (فَيَقُولُ بُعْدًا لَكِنَّ وَسَحَقًا) : بَعْدَ بَعْدًا .. سَحَقَ سَحَقًا

(4)

21 حالة .

اسم
* (من خردل) (يتعلق بمحذوف و هو حاصلة , و التقدير : مثقال حبة حاصلة من

1000 - النووي : صحيح مسلم بشرح النووي , ج 17 , ص : 02 .

1001 - المرجع نفسه , ج 17 , ص : 03

1002 - المرجع نفسه , ج 17 , ص : 03

1003 - المرجع نفسه , ج 17 , ص : 03

1004 - محمد بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ج 1 , ص : 274 .

1005 - ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري , دار المعرفة - بيروت , ج 6 , ص : 523 .

1006 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 524 .

<p>(خردل ...)(1007)</p> <p>(من إيمان) يتعلق بمحذوف آخر , و التقدير من خردل حاصل من إيمان</p> <p>(..)(1008)</p> <p>(كما تنبت الحبة) (الكاف للتشبيه و ما مصدرية والتقدير : كنبات الحبة , و محل الجملة : النصب على أنها صفة لمصدر محذوف : أي فينبتون نباتل كنبات الحبة)(1009)</p>	<p>(إِنَّمَا بِقَاوُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ ..) (وحاصله أن " في " بمعنى إلى , وحذف المضاف وهو لفظ " نسبة ")(1010). (فكأنه قال : انما بقاؤكم بالنسبة إلى ما سلف الخ)(1011)</p>
<p>فيقول (أي فيقول الله تعالى)(1012)</p> <p>(مقبل بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف : أي هو مقبل بوجهه إلى جهة النار) (1013).</p> <p>(فيعطي الله) (مفعوله محذوف , أي فيعطي الرجل المذكور) (1014)</p> <p>(فيقول : لا) (أي فيقول الرجل لا يا رب لا أسأل غيره وحق عزتك) (1015)</p> <p>(فيعطي ربه) (أي فيعطي الرجل ربه ما شاء من العهد و الميثاق) (1016).</p>	<p>(يفرحهما) (أي يفرح بهما , فحذف الجار و أوصل الضمير كما في قوله تعالى) فليصمه (1017), أي : فليصم فيه , و هو مفعول مطلق فأصله : يفرح الفرحتين , فجعل الضمير بدله ...)(1018)</p>

- 1007 - محمد بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري , ج 1 , ص : 274 .
- 1008 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 274 .
- 1009 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 274 .
- 1010 - ابن حجر العسقلاني : فتح البارئ بشرح صحيح البخاري , ج 2 , ص : 39
- 1011 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 39
- 1012 - محمد بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 119 .
- 1013 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 123 .
- 1014 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 124 .
- 1015 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 125 .
- 1016 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 125 .

<p>(ثلاثة) : (أي ثلاثة أنفس , و ذكر الثلاثة ليس للتخصيص , لأن الله تعالى خصم لجميع الظالمين , و لكن لما أراد التشديد على هؤلاء الثلاثة صرح بها) . (1019)</p> <p>(أعطى بي) : (حذف المفعول و تقديره : أعطى العهد باسمي و اليمين به , ثم نقض العهد و لم يوف به .) (1020)</p>	
<p>(كمثل رجل : فيه حذف تقديره : و هو مثلكم مع نبيكم و مثل أهل الكتابين مع أنبيائهم كمثل رجل استأجر , فالمثل مضروب للأمة مع نبيهم , و الممثل به الأجراء مع من استأجرهم ... أو التقدير : مثل الشارع معكم كمثل رجل مع أجراء) . (1021)</p> <p>(أكثر : بالرفع و النصب , أما الرفع فعلى تقدير : مالنا نحن أكثر , على أنه خبر مبتدأ محذوف , و أما النصب فعلى الحال . و يجوز أن يكون خبرا كان تقديره : ما لنا كنا أكثر عملا ؟) (1022)</p>	
<p>(استأذن ربه في الزرع) (أي في مباشرة الزرع) (1023)</p>	
<p>(تَحِيَّتُكَ) (بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف , أي : هذه تحيتك و تحية ذريتك من بعدك .) (1024)</p> <p>(فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ) (أي كل من يرزقه الله تعالى دخول الجنة يدخلها و هو على صورة آدم في الحسن و الجمال , و لا يدخل على صورته التي</p>	

1017 - سورة البقرة , الآية : 185 .

1018 - محمد بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري , ج 10 , ص : 396 .

1019 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 59 .

1020 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 60 .

1021 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 125 .

1022 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 126 .

1023 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 261 .

1024 - المرجع نفسه , ج 15 , ص : 288 .

كان عليها من السواد إن كان من أهل الدنيا السود , و لا يدخل أيضا على صورته التي كان عليها بوصف من العاهات و النقائص (1025) .	
(رجل) (روي بالرفع و النصب , أما النصب فظاهر , و أما الرفع فعلى أنه مبتدأ مؤخر , و تقدر ضمير الشأن محذوفاً , و التقدير فإنه منكم رجل ...) (1026)	(و كذا الكلام في ألف و ألفا) (1027)
(الأبعد) (أي الأبعد من رحمة الله , و إنما قال بأفعل التفضيل لأن الفاسق بعيد و الكافر أبعد , و قيل هو بمعنى الباعد أي : الهالك من بعد بفتح العين إذا هلك , و على المعنيين المضاف محذوف أي : من خزي أبي الأبعد .) (1028)	
(الكتاب) (بالنصب أي : هاتي الكتاب , أو أخرجيه) (1029)	(فأخناها) : (أي : فأخناها بغيرها .) (1030)
(أنا الدهر) (معناه أنا صاحب الدهر و مدبر الأمور التي تنسبونها إلى الدهر) (1031). المضاف محذوف , و أن أصله خالق الدهر	
(رجل) : (يعني هو رجل .) (1032)	
(لا تضارون) .. حذف المفعول لبيان معناه .	
(رجل) : (يعني هو رجل .) (1033)	
(يقولون الكواكب وبالكواكب) : (خبر مبتدأ محذوف تقديره الممطر أو المنعم الكواكب و (بالكواكب) جار و مجرور متعلق بمحذوف تقديره : مطرنا بالكواكب .) (1034)	
(رجل) : هو رجل .	

1025 - محمد بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري , ج 15 , ص : 288 .

1026 - المرجع نفسه , ج 15 , ص : 330 .

1027 - المرجع نفسه , ج 15 , ص : 330 .

1028 - المرجع نفسه , ج 15 , ص : 336 .

1029 - المرجع نفسه , ج 17 , ص : 128 .

1030 - المرجع نفسه , ج 17 , ص : 128 .

1031 - المرجع نفسه , ج 19 ص : 239

1032 - المرجع نفسه , ج 23 ص : 200 .

1033 - المرجع نفسه , ج 23 ص : 200 .

1034 - موسى شاهين لاشين : فتح المنعم شرح صحيح مسلم , ج 1 , ص : 245 .

(ما من يوم أكثر) : (من يوم عرفة ..) (1035)
(فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ أَعْرِفُ) : ذنوبي
(وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ : رُوحٌ طَيِّبَةٌ) : هي روح طيبة . (وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ خَبِيثَةٌ) : هي روح خبيثة
(فَقَالَ غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفَنِي عَلَيْكُمْ) : (تقدير الكلام خوف غير الدجال أخوفني عليكم , أي حذف المضاف) (1036)

1 - تتعدد أنواع الحذف في الحديث القدسي بين حذف للاسم أو الفعل أو العبارة أو الجملة , و الجدول المذكور سالفا يرسم هذه النتيجة بدقة .

2 - تنوعت أشكال الحذف في نص الحديث القدسي و إن كانت من حيث الكم قليلة , ف47 حالة حذف مقارنة بعدد الأحاديث القدسية الواردة في مدونة البحث تعد نسبة قليلة و ظاهرة لغوية لا تحتل مساحة كبيرة في فضاء النص القدسي و بالتالي لا تمارس ضغطا قويا على المتلقي . فأكثر أنواع الحذف ورودا في الحديث القدسي هو حذف (الاسم) ب: 21 حالة . , يليه حذف (فقرة/جملة) ب: 16 حالة , ثم حذف (شبه جملة) ب : 07 حالات , و في الأخير حذف (الفعل) ب : 03 حالات فقط . و كل هذه الأنواع من الحذف تسهم في تماسك الخطاب/النص القدسي و تقارب عناصره اللغوية المذكورة و تضامها خدمة لبنية النص الكبرى , و ملاءمة عمليتي الحفظ و الرواية له و انسياب تداوله بين الأجيال .

3 - و من الملاحظات الهامة أن نسبة استخدام الحذف في الحديث القدسي لا تتفاوت تبعا لطول النص نسبيا أو قصره نسبيا , و إنما تعود إلى مقتضيات المقام و الحال و كليات مقاصد الشريعة و أهدافها التي (لا يمتري أحد في أن كل شريعة شرعت للناس أن أحكامها ترمي إلى مقاصد مرادة لمشرعها الحكيم تعالى , إذ قد ثبت بالأدلة القطعية أن الله لا يفعل الأشياء عبثا..) (1037) , مما يجعل حركية الخطاب القدسي لا تنفك تدور حول

1035 - موسى شاهين لاشين : فتح المنعم شرح صحيح مسلم , ج 5 , ص : 408 .

1036 - المرجع نفسه , ج 10 , ص : 537 .

1037 - موسى شاهين لاشين : فتح المنعم شرح صحيح مسلم, دار سحنون للنشر و التوزيع , ط2 : 2007 م , ص :

هذه المحاور الاستراتيجية في فعل التبليغ و التواصل و تدور أينما دارت هذه المقاصد الشرعية ، فالكلام مهما كانت طبيعته و مهما (... كان نوع من أنواعه و أساليبه في اللغة الواحدة بالذي يكفي في الدلالة على مراد اللفظ دلالة لا تحتل شكاً في مقصده من لفظه ... و لكن تفاوت دلالة ألفاظ اللغات و دلالة أنواع كلام اللغة الواحدة تفاوتاً في تطرق الاحتمال إلى المراد بذلك الكلام ، ، بعض أنواع الكلام يتطرقه احتمال أكثر مما يتطرق إلى بعض آخر ، و بعض المتكلمين أقدر على نصب العلامات في كلامه على مراده منه من بعض آخر ، و من هنا وصف بعض المتكلمين بالفصاحة و البلاغة .. (1038) ، و لهذا يجد الدارس الحديث القدسي الذي تناول قضية توحيدية تتمثل في إمكانية رؤية المؤمن ربه يوم القيامة رؤية مباشرة دون وسائط يكاد يخلو من المحذوفات بأنواعها المختلفة (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا قُلْنَا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْتِهِمَا ثُمَّ قَالَ يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَعَبْرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ فَيَقَالُ كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ فَمَا تُرِيدُونَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا فَيَقَالُ اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فَيَقُولُونَ كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ فَيَقَالُ كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ فَمَا تُرِيدُونَ فَيَقُولُونَ نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا فَيَقَالُ اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ فَيَقَالُ لَهُمْ مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ فَيَقُولُونَ فَارْقِنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنْهَا إِلَيْهِ الْيَوْمَ وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ فَيَأْتِيهِمْ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ فَيَقُولُ هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ فَيَقُولُونَ السَّاقُ فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَبِئْسَ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسَمْعَةً فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيَجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ قُلْنَا يَا رَسُولَ

اللَّهُ وَمَا الْجَسْرُ قَالَ مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَالْيَبُ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا
 شَوْكَةٌ عَقِيفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيْحِ
 وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ
 آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ
 لِلْجَبَّارِ وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا
 وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ
 مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ وَيَحْرِمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ
 إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ
 فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ
 وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَإِنْ
 لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَأُوا : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا) , فَيَشْفَعُ
 النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ
 أَقْوَامًا قَدْ امْتَحَشُوا فَيُلْقُونَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ
 كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا
 كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ فَيُخْرِجُونَ كَأَنَّهُمْ
 اللُّوْلُؤُ فَيَجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمَ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ هُوَلَاءِ عِتْقَاءُ الرَّحْمَنِ
 ادْخُلْهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمَلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَمُوهُ فَيَقَالُ لَهُمْ لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ وَقَالَ
 حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ
 النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَهْمُوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ
 لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ
 اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ لَتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ
 حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا قَالَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ قَالَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكْلَهُ مِنْ
 الشَّجَرَةِ وَقَدْ نَهَى عَنْهَا وَلَكِنْ أَنْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَ
 نُوحًا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَكِنْ أَنْتُوا
 إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ قَالَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ
 كَذَبَهُنَّ وَلَكِنْ أَنْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى

فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتَلَهُ النَّفْسَ وَلَكِنْ أَنْتُوا عَيْسَى عَبْدَ
اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ قَالَ فَيَأْتُونَ عَيْسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنْ أَنْتُوا مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَاسْتَأْذِنُ
عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي
فَيَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدٌ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعُ تَشْفَعُ وَسَلِّ تَعْطُ قَالَ فَارْفَعْ رَأْسِي فَأَتْنِي عَلَى رَبِّي
بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمْنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ فَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ
أَيْضًا يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي
فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي ثُمَّ يَقُولُ
ارْفَعْ مُحَمَّدٌ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعُ تَشْفَعُ وَسَلِّ تَعْطُ قَالَ فَارْفَعْ رَأْسِي فَأَتْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ
وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمْنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ فَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ
يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّلَاثَةَ فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي
دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ
مُحَمَّدٌ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعُ تَشْفَعُ وَسَلِّ تَعْطُ قَالَ فَارْفَعْ رَأْسِي فَأَتْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ
وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمْنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ فَتَادَةُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ
يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ
الْقُرْآنُ أَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ قَالَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا)
قَالَ وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (1039) ، وَهُوَ نَصٌ
طَوِيلٌ نَسَبِيًّا كَمَا هُوَ مَلَاظِمٌ مَقَارِنَةً بِالْأَحَادِيثِ الْقُدْسِيَّةِ الْآخَرَى إِلَّا أَنَّهُ رَغْمَ ذَلِكَ لَمْ يَشْهَدِ
مِنَ الْحَذْفِ إِلَّا حَالَةً وَاحِدَةً ، فِي (لَا تَضَارُونَ) .. حَذَفَ الْمَفْعُولُ لِبَيَانِ مَعْنَاهُ . فِي حِينِ
قَدْ تَرْتَفَعُ نَسَبُهُ الْمَحذُوفَاتِ اللَّغْوِيَّةِ مَعَ الْأَحَادِيثِ الْقُدْسِيَّةِ الْقَصِيرَةِ نَسَبِيًّا ، وَ يَظْهَرُ ذَلِكَ فِي
مِثْلِ الْأَحَادِيثِ الْآتِيَةِ (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ
ظَنِّ عَبْدِ بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي
مَلَأَ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأَ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبِيرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ
ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) (1040) . وَ قَدْ شَهِدَ هَذَا الْحَدِيثُ

1039 - محمد بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج 25 ، ص : 192 .

1040 - النووي : صحيح مسلم ، ج 9 ، ص : 12 .

خمس حالات من الحذف ، و لكنها من نوع واحد (حذف شبه الجملة) ، و ذلك في قوله : (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) (قال القاضي : قيل معناه بالغفران له إذا استغفر و القبول إذا تاب و الإجابة إذا دعا و الكفاية إذا طلب الكفاية ..)⁽¹⁰⁴¹⁾ ، و كذلك في قوله (وَأَنَا مَعَهُ) بالرحمة و الهداية و الرعاية)⁽¹⁰⁴²⁾ ، و قوله (وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَيْراً) (بطاعتي)⁽¹⁰⁴³⁾ . أما قوله (تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ) فالمحذوف تقديره (برحمتي و التوفيق)⁽¹⁰⁴⁴⁾ . و (وَإِنْ أَتَانِي يَمْنِي) يقدر المحذوف بـ (في طاعتي)⁽¹⁰⁴⁵⁾

أثر الحذف و التماسكنص الحديث القدسي

الحذف وسيلة من وسائل الربط النحوي و هو بذلك يعد (اعتداد بالمبنى العدمي)⁽¹⁰⁴⁶⁾ ، فالبنيات السطحية في النصوص (غير مكتملة غالباً بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللغة العادي)⁽¹⁰⁴⁷⁾ . و يقوم بدوره في تحقيق التماسك عبر ثلاثة محاور :

الأول : التكرار : الذي يعمل على استمرارية المعنى ، حيث يقع الحذف في سطح النص ، و لكنه يعامل معاملة المذكور من حيث المعنى .

الثاني : المرجعية : و تتمثل في إحالة المحذوف على المعنى المذكور .

الثالث : وجود دليل أو قرينة يحف الكلام يشير للعنصر المحذوف ، وهي التي تنشأ مع المرجعية الداخلية ، و من ثم يتحقق التماسك النصي داخل الجمل أو المتتالية الجمالية .

و عندما ننظر إلى الأحاديث القدسية السابقة بمنظار ظاهرة الحذف و موظفين فاعليه الأسلوبية داخل الخطاب/النص و ما تضيف عليه لمسات بيانية مميزة ، ندرك على الفور أثر الحذف بأشكاله المختلفة في تحقيق التماسك و الترابط بين مكونات النسيج

1041 - النووي : صحيح مسلم ، ج 17 ، ص : 02 .

1042 - المرجع نفسه ، ج 17 ، ص : 02 .

1043 - المرجع نفسه ، ج 17 ، ص : 03 .

1044 - المرجع نفسه ، ج 17 ، ص : 03 .

1045 - المرجع نفسه ، ج 17 ، ص : 03 .

1046 - حسام أحمد فرج : نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري ، مكتبة الآداب ، ط 2 : 2009 م ،

اللغوي المؤسس للبنية السطحية للفعل التواصلي ، لأنه من الأخطاء الخطيرة أن يقتصر الدارس في فهم النص القدسي على (اعتصار الألفاظ و يوجه رأيه إلى اللفظ مقتنعا به ، فلا يزال يقلبه و يحلله و يأمل أن يستخرج ليه ، و يهمل ... الاستعانة بما يحف بالكلام من حافات القرائن و الاصطلاحات و السياق ...) (1048) و غيرها من الوسائل المساعدة على الوصول إلى حقيقة الخطاب و جوهره ، و لذلك فإن التعاطي مع النص القدسي من خلال تقدير المحذوف وبالتالي تكراره ، ثم المرجعية التي تربط بينه وبين الدليل ، يصب في هذا الاتجاه و يخدم المقصد المرجو . إذ يكفي أن نأخذ أي حديث قدسي شهد ظاهرة الحذف عينة على ذلك حتى نتأكد من حقيقة هذه النتيجة . (عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابِينَ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءً فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطِينَ فَأَنْتُمْ هُمْ فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً قَالَ هَلْ نَقَصْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ قَالُوا لَا قَالَ فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَسَاءَ) (1049) . فقلوه : (كمثل رجل : فيه حذف تقديره : و هو مثلكم مع نبيكم و مثل أهل الكتابين مع أنبيائهم كمثل رجل استأجر ، فالمثل مضروب للأمة مع نبيهم ، و الممثل به الأجراء مع من استأجرهم ... أو التقدير : مثل الشارع معكم كمثل رجل مع أجراء ..) (1050) . المحذوف المقدر (مثلكم مع نبيكم و مثل أهل الكتابين مع أنبيائهم) في عبارة (كمثل رجل) قد كررت لنا ما تقدم ذكره في بداية الحديث (مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابِينَ) ، على اعتبار أن المحذوف يعامل معاملة المذكور من حيث المعنى . من دون اغفال وحد المرجعية التي تربط بينه و بين الدليل الذي يؤكد ذلك و يدعمه . و الشيء نفسه مع المحذوف (نحن) / (كنا) في عبارة (مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا) (أما

1048 - محمد الطاهر بن عاشور : مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص : 24 .

1049 - محمد بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، ج 12 ، ص : 125 .

1050 - المرجع نفسه ، ج 12 ، ص : 125 .

الرفع فعلى تقدير: مالنا نحن أكثر, على أنه خبر مبتدأ محذوف ... و يجوز أن يكون خبرا كان تقديره : ما لنا كنا أكثر عملا ؟ (1051) .

ولقد ساهمت هذه المحذوفات في تحقيق تماسك النصّ القدسي من خلال ملء الفراغات (مواضع الحذف) وتقديرها ، ومن ثمّ وضوح المعنى العام وما يترتب عليه من مقتضيات ايمانية ، و مثال ذلك (عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ اللَّهُ ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ) (1052) .

ومما سبق يظهر لنا دور الحذف في تحقيق الترابط النصّي لتلك الأحاديث القدسية , و لكن هذه المرة , من خلال إثارة ذهن المتلقي في تقدير المحذوف وملء فراغات في النصّ فمعرفة كل من صاحب النص و المتلقي (بالأعراف اللغوية مما يسهم في نجاح ظاهرة الحذف في صنع الترابط داخل النص) (1053) , لأن منتج النص يعتمد إلى تفعيل آلية الحذف (عندما يدرك أن قارئه سيدرك المحذوف , و لن تعوقه عملية الحذف عن القراءة , إنه يقوم بالحذف من أجل اضاء عنصر السرعة على القراءة , بحيث يتواجد المحذوف مفهوما في الكلام , و إن كان غير موجود لفظا , فيسهم التواجد المفهومي في استمراره كعنصر فاعل دلالي , و يسهم الحذف اللفظي في خلق السرعة القرائية) (1054) و التلقي الايجابي . ينتج عنها شبكة من التفاعلات و التواشجات بين كل مكونات العناصر اللغوية المكونة لنص الحديث القدسي , و كذا ما يحيطها من ملابسات سياقية داخلية و خارجية , تبدأ بالتكرار الواضح بين الدليل المذكور وبين العنصر المحذوف , والمرجعية العائدة إلى المذكور , و تنتهي بملامسة المتلقي ذلك في شكل ترابط واضح بين جمل النصّ و متتالياته الجمالية .

إن تعدد المحذوفات لا يسهم في السمو بالخطاب إلى المستوى الفني بل يعمل إلى حد بعيد في دعم شبكة ترابط النص و تماسكه , و هذا ما يلاحظه الدارس عند تأمله في

1051 - محمد بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري , ج 12 , ص : 126 .

1052 - المرجع نفسه, ج 11 , ص : 59 .

1053 - حسام أحمد فرج : نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري , ص : 89 .

1054 - المرجع نفسه , ص : 89 .

بعض الأحاديث القدسية ، فقد لامسنا الحذف وسيلة من وسائل الربط بين جملتين متعاقبتين ، على نحو ما رأينا في الأمثلة السابقة . و قد يمتد الحذف إلى مجموعة من الجمل المتجاورة ، فتتشكل سلاسل متتالية من المحذوفات تدفع المتلقي (للاستمتاع باستمرار فعل القراءة دون عناء ، و خلق شكل من أشكال الألفة بينه و بين ما يقرأ) (1055) ، على ما نرى في هذا الحديث القدسي : (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَيْبَرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) (1056) . فهذا الحديث القدسي قد شهد مجموعة من المحذوفات المتتالية ابتداء من قوله : (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) (قال القاضي : قيل معناه بالغفران له إذا استغفر و القبول إذا تاب و الإجابة إذا دعا و الكفاية إذا طلب الكفاية ..) (1057) . (وَأَنَا مَعَهُ) (بالرحمة و الهداية و الرعاية) (1058) . (وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَيْبَرًا) (بطاعتي) (1059) . (تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ) (برحمتي و التوفيق) (1060) . و انتهاء بقوله : (وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي) (في طاعتي) (1061) . فالأمر بالظن بالله سبحانه و تعالى في الحديث القدسي السالف ليس مطلقا و إنما هو (مقيد بحال الذكر) (1062) ، مما يقتضي من المتلقي أن يتتبع بشيء من الروية و التوؤدة مكونات هذا النص القدسي ليملاً ما يعترضه من فراغات حتى يستكمل دلالاته الكلية التي تدور حول قضية أن الله تعالى يؤكد أنه (قادر على أن يعمل به ما ظن أني عامله به) (1063) . و في الوقت نفسه تعمل تلك السلاسل من الحذف داخل النص الواحد على الربط بين الجمل بعضها ببعض و (تقريب المسافة بين المفردات الظاهرة

1055 - حسام أحمد فرج : نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري ، ص : 91 .

1056 - النووي : صحيح مسلم ، ج 9 ، ص : 12 .

1057 - المرجع نفسه ، ج 17 ، ص : 02 .

1058 - المرجع نفسه ، ج 17 ، ص : 02 .

1059 - المرجع نفسه ، ج 17 ، ص : 03 .

1060 - المرجع نفسه ، ج 17 ، ص : 03 .

1061 - المرجع نفسه ، ج 17 ، ص : 03 .

1062 - محمد منير المشقي الأزهري : الإتحافات السننية بالأحاديث القدسية ، ص : 96 .

1063 - المرجع نفسه ، ص : 96 .

في سطح النص ، و التي كان العنصر المحذوف يفصل بينها (1064) رغبة من صاحب النص حتى تكون ظاهرة جلية قريبة من المتلقي لتأخذ بيده إلى المقاصد المرجوة و المستهدف قبل إنتاج الكلام التواصلي مهما كان شكله أو حجمه ، و لهذا فـ (التشكيلات اللغوية انعكاس مباشر لتشكيلات نفسية) (1065) . كل ذلك يدفع بآلية الحذف إلى أن تكون واحدة من الوسائل اللسانية المجسدة للاقتصاد اللغوي ،

و مما يثير انتباه الدارس للحديث القدسي أن الحذف الواقع على الكلمات الآتية و التي نسوقها - هنا - على سبيل المثال : (المنعم + صاحب + حاصلة) الواقعة في هذه التراكيب : (يقولون الكواكب وبالكواكب) (1066) - (أنا الدهر) (1067) - (من خردل) (1068) ، تسهم في تحقيق الربط بين الجمل و ذلك عن طريق إحالة المحذوف على المذكور السابق في النص داخله أو خارجه ، و استمرار المعنى عبر تكراره ، مما ينشأ عنه استمرار التواصل عبر دلالات الغياب ، و توجيه اهتمام المتلقي إلى دلالات الحضور . و الذي يؤسس لذلك هي تلك العلاقة الناشئة بين (الحذف والإحالة نظرا لوجود دليل/مرجع يسهم في تقدير المحذوف ، فالحذف بطبيعته علاقة مرجعية قبلية ، إلا أن ذلك يكون بعنصر صفري ، و قد تكون مرجعية الحذف خارجية) (1069) فيدخل بذلك النص في علاقات و ترابطات تضي عليه تماسكا مع السياق .

كما يعد الحذف من الوسائل التي تحقق التماسك على مستوى نص الحديث القدسي كبنية دلالية كلية كبرى و تستحضر لدى المتلقي المسلم (الرؤية الشمولية للشريعة) (1070) ، و ذلك من خلال ربط نص المقدمة بمتن الحديث القدسي ، على نحو ما نرى في الحديث القدسي الذي يتناول قضية ذكر الدجال و صفته و ما معه في إطار الحديث عن الفتن و أشراط الساعة : (عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

1064 - محمد منير المشقي الأزهرى : الإتحافات السننية بالأحاديث القدسية ، ص : 90 .

1065 - المرجع نفسه ، ص : 90 .

1066 - النووي : صحيح مسلم ، ج 2 ، ص : 137 .

1067 - محمد بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، ج 19 ، ص : 238 .

1068 - المرجع نفسه ، ج 1 ، ص : 270 .

1069 - حسام أحمد فرج : نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري ، ص : 88 .

1070 - محمد مهدي شمس الدين : مقاصد الشريعة ، دار الفكر المعاصر ، ط 1 : 2002 م ، ص : 17 .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالُ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَقَالَ غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَاْمُرُوا حَجِيجَ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَائِفَةٌ كَأَنِّي أَشْبَهُهُ بَعْدَ الْعُرَى بْنِ قَطَنِ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاتَّبِعُوا قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٌ وَيَوْمٌ كَشَهْرٌ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٌ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةَ يَوْمٍ قَالَ لَا أَقْدِرُوا لَهُ قَدْرَهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضُ فَتَنْتَبِ فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتَهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرْبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرَجِي كُنُوزَكَ فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيْبِ النَّحْلِ ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسِّيفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَةِ الْغُرْضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ يَضْحَكُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَينِ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّوْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يَدْرِكَهُ بَبَابَ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرَّرَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُحْصِرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثُّورِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرِغِبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي

الْأَرْضِ مَوْضِعَ شَبْرِ إِلَّا مَاءَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عَيْسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبَتِي ثَمَرَتِكَ وَرُدِّي بَرَكَتَكَ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرِّمَانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارِكُ فِي الرَّسْلِ حَتَّى أَنْ اللَّقْحَةَ مِنَ الْبَابِلِ لَتَكْفِي الْفَنَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقْرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْدَ مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطَاهِمُ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ فَعَلَيْهِمْ تَقَوْمُ السَّاعَةِ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ وَالْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ ابْنُ حُجْرٍ دَخَلَ حَدِيثَ أَحَدِهِمَا فِي حَدِيثِ الْآخَرِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَمَا ذَكَرْنَا وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ لَقَدْ كَانَ بِهِدْمَةً مَرَّةً مَاءٌ ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمْرِ وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَيَقُولُونَ لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ فَيَرْمُونَ بِنُشَابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نُشَابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ حُجْرٍ فَإِنِّي قَدْ أَنْزَلْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدِي لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ⁽¹⁰⁷¹⁾. ففي المحطة التي يقول فيها الرسول صلى الله عليه وسلم : (... غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ) نجد ظاهرة الحذف تبرز بقوة إذ (تقدير الكلام خوف غير الدجال أخوفني عليكم ، أي حذف المضاف)⁽¹⁰⁷²⁾ . فكلية (خوف) المحذوفة إنما تصور الوضعية السلوكية و الحالة النفسية التي كان عليها الصحابة لحظة تلقيهم لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من قصة الدجال ، حيث تحولنا هذه اللفظة المحذوفة بعد تقديرها إلى مقدمة الحديث القدسي نفسه (عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا)⁽¹⁰⁷³⁾ . حيث يعد هذا الشكل من أشكال الحذف المرتبطة بالمرجع ارتباطاً عضوياً وسيلة ربط نصية تربط نص المقدمة بمتن الحديث القدسي حتى لا (يقطع

1071 - النووي : صحيح مسلم ، ج 9 ، ص : 191 .

1072 - موسى شاهين لاشين : فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، ج 10 ، ص : 537 .

1073 - النووي : صحيح مسلم ، ج 9 ، ص : 191 .

المقصد من المعرفة الحديثية ، و يطعن في السنة ، يضل الناس عن الحق ...) (1074) ،
و لهذا تتصافر ظاهرة الحذف مع وسائل الربط الأخرى في تحقيق تماسك النص و النظر
إلى تلك الأحاديث القدسية باعتبار أنها تشكل نصا واحدا .

هذه الرحلة الممتعة في رياض الأسلوبية النبوية الأنيقة من خلال الأحاديث القدسية ،
والشاقة المجهدة في الوقت ذاته ؛ لأنها تتعامل مع واحد من أهم الخطابات الشرعية
اشكالية في التلقي الديني قديما و حديثا في الثقافة الإسلامية ، زيادة على أنها ، في هذا
المقام ، تعالج ظاهرة لغوية مهمة و هي الحذف (الغائب) بالفعل/لفظا (الحاضر)/بالقوة
في ذهن وذاكرة المتلقي ، لكنه المقدر من خلال الحدث الكلامي وفق سياقه ومقامه ،
لأنه هناك (أسباب مختلفة تدعو إلى ...الحذف ، و كلها ترجع إلى مراعاة المقام و حسن
الاختيار .. بأبلغ تعبير و أجمل صورة) (1075) حتى يكتمل المعنى وتتضح دلالاته . كل ذلك
يجعل الدارس ينتبه - من خلال هذا البحث - إلى أن الحذف ليس مسألة اعتبارية و
سلوكا لغويا ارتجاليا ، و إنما هو حادثة لسانية لها أنظمتها وأبعادها وأصولها وفروعها
ولها مواقعها وأقسامها وأغراضها.. و استراتيجياتها المميزة ...

الحذف جزء لا يتجزأ من عملية فهم النص و تفسيره و تأويله ، من خلال تفاعل
النص مع طرفي الإنتاج و التلقي . فالحذف عملية اختيار يلجأ صاحب النص إليها لتحقيق
مقاصد معينة ، و يسعى المتلقي إلى استنباط تلك المقاصد عبر قراءته للنص ، في
محاولة للكشف عن دور الحذف في صنع تماسك النص و خصوصيته .

و على الرغم من أن طبيعة السرد تقتضي قابليته أن (تحتمله اللغة المنطوقة شفوية
كانت أم مكتوبة ،... إنه موجود في كل مكان تماما كالحياة ، فهل تدفعنا كونية السرد إلى
..) (1076) اعتبار أن الحذف في الأحاديث القدسية يسهم بقسط معتبر في الكشف عن
طبيعة السرد فيها ، حيث يتوزع الحذف بين حذف اسم أو فعل أو أو جملة أو متتالية
جملية ، و لا يتجاوز ذلك على حسب ما توصل إليه هذا البحث ، فيتحكم من جانبه في (

1074 - عبد الكريم حامدي : نظرات في أصول الشريعة و الفقه الإسلامي للإمام محمد الغزالي ، بيت الحكمة ، ط :

2010 م ، ص : 73 - 74 .

1075 - فاضل صالح السامرائي : التعبير القرآني ، دار عمار ، ط6 : 2009 م ، ص : 119 .

1076 - رولا بارت : طرائق تحليل السرد الأدبي - دراسات ، منشورات اتحاد كتاب المغرب ، ط1 : 1992 م ، ص :

الإستراتيجية السردية للمواقف و المخاطبات جميعا التي إذا حاولنا هندستها , فإننا لا نقع إلا على فعل تواصل يبنى على حركيتين عمودية - أفقية , ليست إلا المرحلتين الأساسيتين لطبيعة (1077) النصوص التشريعية الأخرى/القرآن الكريم و السنة المطهرة التي تربط (كل تصور لعملية الخطاب بمفهوم إبلاغ الرسالة الدينية , و ذلك في عنصر النقل مجردا) (1078) .. بما يمكن معه وصف سرد الحديث القدسي بأنه بسيط بساطة السهل الممتنع , مقارنة بالسرد في النصوص الفنية التي يركز فيها المبدع - متممدا ذلك - على الارتقاء باللغة إلى أقصى مستوى ممكن و تفجير كل امكاناتها الكامنة لسحر المتلقي و إرغامه على التفاعل بغض النظر عن الحق و الباطل و الصواب و الخطأ . و مرجع ذلك أن الحديث القدسي يعتمد في بنائه السردى على استهداف بدقة مقاصد الشريعة الإسلامية و كلياتها الثابتة الموجهة للقراءة الفاعلة وفقا لكونها (مطلقة و عامة تحكم جميع مطلقات و عموميات الشريعة) (1079) , مع تذييل النسيج اللغوي و تبيينه مراعاة لطبيعة المتلقي و طاقاته الإدراكية المختلفة التي تتناسب تناسباً طردياً مع اختلاف الأزمنة و الأمكنة و الثقافات , و من جانب آخر إيصال الدلالة الكلية للنص القدسي واضحة بعيدة عن التأويلات المنحرفة سواء أكانت حرفية أو باطنية , ثلاثة أبعاد أساسية متكررة مع سردية كل حديث قدسي , و من أمثلة ذلك : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ) (1080) . لقد تحققت الأبعاد الثلاثة المذكورة آنفاً في هذا الحديث القدسي القصير نسبياً , سواء من ناحية المقاصد الشرعية أو البناء اللغوي أو دلالاته الكلية الجليلة للمتلقي , إذ يؤكد النص القدسي أن الله تعالى يعلمنا أن (العز و القوة و الكبرياء و العظمة هي مختصة بالله تعالى , لا يشاركه في هذه الصفات أحد من خلقه , و لا يليق , لا جن و لا إنس و ملك و لا سلطان و لا فقير و لا غني و لا صعلوك , كاختصاص أحدكم بردائه و إزاره , فإنهما يشملانه دون غيره , و هذا ضرب مثل تقريبي إلى عقول البشر حسب عاداتهم و عرفهم

1077 - آمنة بلعلي : تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة , ص : 202 .

1078 - المرجع نفسه , ص : 202 .

1079 - محمد مهدي شمس الدين : مقاصد الشريعة , ص : 19 .

1080 - النووي : صحيح مسلم , ج 8 , ص : 222 .

ليفهموا و يعقلوا , فمن نازع المولى جل علاه في شيء من هذه الصفات المختصة به
جل و عز , قذفه في ناره .. و عذبه بها و قصمه ..(1081) .

1081 - محمد منير الدمشقي الأزهرى : الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية , ص : 113 .

التكرار

في الأحاديث القدسية

بداية (يكتسب النص الديني في الإسلام أهمية بالغة , ليس لكونه نصا مقدسا يمثل ارتباط السماء بالأرض فحسب , و إنما لما يمثله من نمط معرفي متميز و فعال مع كل مساحات المعرفة التي تفرضها الضرورة الزمنية , و من هذه الزاوية يمثل النص الديني أول تمايز بينه و بين الأشكال المعرفية التي تعارف عليها البشر)⁽¹⁰⁸²⁾ , من هذا المنطلق التصوري نعالج لقضية الربط المعجمي الذي هو عبارة عن الربط الاحالي المؤسس على مستوى المعجم , فيعمل على استمرارية المعنى , و يتحقق الربط المعجمي داخل الأحاديث القدسية من خلال وسيلتين هما : التكرار و التضام .

مفهوم التكرار

يراد بالتكرار في هذا الموضع الإعادة المباشرة للكلمات , و ينقسم ذلك إلى :

- التكرار المباشر .
- التكرار الجزئي .
- الاشتراك اللفظي .
- الترادف .

التكرار المباشر و الربط داخل الحديث القدسي

يقصد بالتكرار المباشر / التكرار المعجمي البسيط : تكرار الكلمات في الخطاب/النص دون أن يمسه أي تغيير , بما يعني استمرار الإشارة إلى العنصر المعجمي , فيؤدي هذا الاستمرار إلى ترابط المعنى في الخطاب/النص .

تتنوع أشكال التكرار المباشر في الأحاديث القدسية , فنجد تكرار الكلمة (الجنة - النار) , كما في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ , ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ

1082 - معتصم السيد أحمد : الهرمنيوطيقا في الواقع الإسلامي بين حقائق النص و نسبية المعرفة , دار الهادي , ط 1

مِنْ إِيْمَانٍ .فِيخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَا أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ فَيَنْبُتُونَ
 كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً (1083) , و تكرار
 الجملة مثل (فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا) على نحو ما نجد في قوله (صلى الله عليه و سلم
) : (يَقُولُ إِنَّمَا بِقَاوِكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنْ الْأَمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ
 الشَّمْسِ أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا
 قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا
 قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأَعْطَيْنَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ فَقَالَ
 أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ أَيُّ رَبَّنَا أُعْطِيَ هَوْلَاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ وَأَعْطَيْنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا
 وَحَنُّ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَا قَالَ
 فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مِنْ أَشَاءِ) (1084) , كما نجد التكرار الذي يشمل متتالية جمالية بأكملها
 في مقاطعة متعددة داخل الحديث القدسي الواحد و مثال ذلك : (فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ فَقِيلَ
 مَنْ أَنْتَ قَالَ جَبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ
 لَنَا) التي تكررت ست مرات , كما في هذا الحديث القدسي : (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَتَيْتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أبيضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ
 وَدُونَ الْبَعْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ قَالَ
 فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرِبُّ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ قَالَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ
 فَجَاءَنِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَاءٍ مِنْ خَمَرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جَبْرِيلُ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ فَقِيلَ
 مَنْ أَنْتَ قَالَ جَبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ
 لَنَا فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ
 جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جَبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ
 إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّاءَ
 صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ فَاسْتَفْتَحَ
 جَبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جَبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ

1083 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 1 , ص : 270

1084 - المرجع نفسه , ج 5 , ص : 74 .

وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هُوَ قَدْ
 أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ
 جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَالَ وَقَدْ بُعِثَ
 إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
 (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) , ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ هَذَا
 قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا
 أَنَا بِبَهَارُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ
 السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ
 مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ
 جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ
 إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ
 وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى
 وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ قَالَ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ
 فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ
 عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا
 فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا
 يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبِّ
 خَفَّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ
 لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ فَلَمَّ أَزَلُّ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى
 وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ
 صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً وَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ فَإِنْ عَمَلَهَا
 كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ قَالَ
 فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ

فَأَسْأَلُهُ التَّخْفِيفَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ (1085) .

و يختلف مدى الربط باستخدام التكرار المباشر في الحديث القدسي باختلاف موقعه من التركيب , حيث نجد الربط داخل الجملة , و عندئذ يكون مدى الربط قصيرا نسبيا , كما في الحديث القدسي الآتي : (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ أَخْبَرَنَا سَعْدَانُ بْنُ بَشْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُجَاهِدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيفَةَ الطَّائِيُّ قَالَ سَمِعْتُ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا يَشْكُو الْعَيْلَةَ وَالْآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا قَطَعُ السَّبِيلَ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ وَأَمَا الْعَيْلَةَ فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ ثُمَّ لِيَقْفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجَمَانُ يَتَرَجَّمُ لَهُ ثُمَّ لِيَقُولَنَّ لَهُ أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا فَلِيَقُولَنَّ بَلَى ثُمَّ لِيَقُولَنَّ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَلِيَقُولَنَّ بَلَى فَيَنْظُرُ عَنِ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنِ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ) (1086) . و قد وقع الربط خارج حدود الجملة , حيث يكون مدى الربط كبيرا نسبيا لتباعد

المسافة بين التكرار , كما في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطَوَّلَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا ثُمَّ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيَاكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَاسْتَمَعَ مَا يُحْيُونَكَ تَحِيَّتِكَ وَتَحِيَّةَ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ) (1087) .

و قد يتعاقب استخدام التكرار فيشكل سلاسل للمعنى , مثل العنصر اللغوي (رأوها) الذي ذكر (08 مرات) , كما في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحْفُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا

1085 - النووي : صحيح مسلم , ج 2 , 261 .

1086 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 8 , ص : 393 .

1087 - المرجع نفسه , ج 15 , ص : 287 .

يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَمَجِّدُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَعَجِيبًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلْبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ فَيَقُولُ فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فَلَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ⁽¹⁰⁸⁸⁾ . و هذا الشكل من أشكال التكرار يولد وسيلة أخرى من وسائل الربط اللفظي في الخطاب/النص ، ألا و هي الربط الصوتي بين شطرتي السجعة الواحدة ، و يزداد ذلك النوع من الربط وضوحا كلما كانت السجعات قصيرة .

إن نص الحديث القدسي من النصوص النثرية المتميزة ، و يعد التكرار المباشر فيها إحدى الوسائل التي تربط مكونات النص بعضها ببعض في الحديث الواحد ، على نحو ما نرى في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (قَالَ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبِبُوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ)⁽¹⁰⁸⁹⁾ . حيث تكرر لفظ (جبريل) مرتين و كذا لفظ (أهل السماء) .. و ذلك لتأكيد حقيقة غيبية قد لا يؤمن بها البعض أو قد لا يعرّفها البعض الآخر أي اهتمام ، فعوالم القلوب و العلاقات المشاعرية بين أفراد المجتمع الإنساني ، بل و التفاعلات الحميمية الايجابية مع المظاهر الكونية كلها ، ليست من المدركات المباشرة التي تتواجد بسهولة بين أيدي كل الناس ، و إنما هي قضايا معقدة و عميقة ، تتدخل أطراف كثيرة و معطيات متعددة في صناعتها و حبكها بين أفراد المجتمع الانساني بمختلف ألوانه الثقافية و الدينية و العرقية ... و (جبريل) و (أهل السماء) من الثوات الأساسية - وفقا للحديث القدسي ، و من ثمة في المنظور

1088 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري، ج 23 ، ص : 40 .

1089 - المرجع نفسه ، ج 15 ، ص : 181 .

الإسلامي - التي تتدخل بطريقة مخصوصة في ايجاد هذه الظاهرة الانسانية العجيبة المتمثلة في اجماع مشاعري ايجابي تجاه شخص من الأشخاص , و لهذا فقد (تنشأ المودة بسبب القرابة أو المصالح المتبادلة أو الصداقة , فهذه أسباب المودة في الدنيا بين الخلق جميعا , مؤمنهم و كافرهم . أما هنا ... بدون سبب من أسباب المودة هذه , , مودة بدون قرابة , و بدون مصالح مشتركة أو صداقة ... هذه محبة جعلها الله بين المؤمنين , فضلا منه سبحانه و تكرما , لا بسبب من أسباب المودة المعروفة . لذلك قال هرم بن حيان : إن الحق تبارك و تعالى حين يرى عبده المؤمن قد أقبل عليه بقلبه و أسكنه فيه , و أبعد عن قلبه الأغيار , و سلم قلبه و هو أسمى ما يملك من مستودعات العقائد و ينبوع الصالحات و قدمه لربه فتح اه قلوب المؤمنين جميعا) (1090) . و في الوقت نفسه ينبه الحديث القدسي المتلقي عن طريق توظيفه للتكرار المباشر إلى التفريق النوعي بين (محبتك لله) و (و محبة الله لك) فإنك (قد تحب الله , و لكن عليك أن تلاحظ الفرق بين أن تحب أنت الله , و أن يحبك الله , إن التكليف قد يبدو شاقا عليك فتمهل التكليف ... لا يكفي أن تحب الله لنعمة إيجاده و إمداده , لأنك بذلك تكون قد أهملت نعمة تكليفه التي تعود عليك بالخير ..) (1091) .

كما يقوم تكرار الفعل (قال - قلنا - يقال - يقول - قالوا - يقولون) بدوره في ربط وقائع السرد داخل النص القدسي , على نحو ما نجد في هذا الحديث القدسي الطويل نسبيا : (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ هَلْ تَضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا قُلْنَا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ لَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا ثُمَّ قَالَ يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَغُبْرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ فَيَقَالُ كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ فَمَا تُرِيدُونَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا فَيَقَالُ اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فَيَقُولُونَ كُنَّا نَعْبُدُ

1090 - محمد متولي الشعراوي : الأحاديث القدسية , ج2 , ص : 375 - 376 .

1091 - المرجع نفسه , ص : 378 .

الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ فَيَقَالُ كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا فَمَا تُرِيدُونَ فَيَقُولُونَ نُرِيدُ أَنْ
 تَسْقِينَا فَيَقَالُ اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ
 فَيَقَالُ لَهُمْ مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ فَيَقُولُونَ فَارْقَنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنْهُنَّ إِلَيْهِ الْيَوْمَ وَإِنَّا
 سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْحَقِّ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ
 فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَلَا
 يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ فَيَقُولُ هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ فَيَقُولُونَ السَّاقُ فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ
 فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَبِئْسَ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسَمِعَةَ فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ
 طَبَقًا وَاحِدًا ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ فَلَنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ قَالَ
 مَدْحَضَةٌ مَزَلَةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِبٌ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطْحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءٌ تَكُونُ
 بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ
 وَالرَّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ
 سَحْبًا فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ وَإِذَا رَأَوْا
 أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِخْوَانَنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا
 وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ
 فَأَخْرَجُوهُ وَيُحْرِمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ
 وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ
 مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرَجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي
 قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَإِنْ لَمْ
 تُصَدِّقُونِي فَأَقْرَعُوا : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا) , فَيَشْفَعُ
 النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ
 أَقْوَامًا قَدْ امْتَحَشُوا فَيُلْقُونَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ
 كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا
 كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ فَيُخْرِجُونَ كَأَنَّهُمْ
 اللُّؤْلُؤُ فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ هُوَلَاءِ عَتَقَاءُ الرَّحْمَنِ
 أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمَلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ فَيُقَالُ لَهُمْ لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ وَقَالَ
 حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهْمُوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَا نَكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ لَتَشْفَعُ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا قَالَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ قَالَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا وَلَكِنْ أَنْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَكِنْ أَنْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ قَالَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ وَلَكِنْ أَنْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ وَلَكِنْ أَنْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ قَالَ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنْ أَنْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي فَيَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدٌ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعُ تَشْفَعُ وَسَلُّ تَعْطُ قَالَ فَارْفَعْ رَأْسِي فَأَنْتِي عَلَى رَبِّي بِنَاءً وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةَ وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأَخْرُجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدٌ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعُ تَشْفَعُ وَسَلُّ تَعْطُ قَالَ فَارْفَعْ رَأْسِي فَأَنْتِي عَلَى رَبِّي بِنَاءً وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأَخْرُجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّلَاثَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدٌ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعُ تَشْفَعُ وَسَلُّ تَعْطُ قَالَ فَارْفَعْ رَأْسِي فَأَنْتِي عَلَى رَبِّي بِنَاءً وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ (1092) ، فنجد تكرار الفعل (قال : 09 مرات - قلنا : 03 مرات - يقال : 05 مرات - يقول : 10 مرات - قالوا : مرتين - يقولون : 16 مرة) بمثابة الخيط الأساسي الذي ينظم فيه سرد الحديث القدسي و هو وسيلة من وسائل الربط المتكررة عبر الأحاديث القدسية جميعا .

1092 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 25 ، ص : 192 .

لذلك فهو من وسائل الربط الكبرى على مستوى الأحاديث القدسية ككل من ناحية , كما أنه يعلن عن السمة الأساسية لجماليات الحديث القدسي , و هي أنه فن شفاهي من ناحية أخرى . و من ناحية أخرى , فلإن تكرار بعض الكلمات الدالة على القول و السرد على مستوى نص الحديث القدسي من مثل (قَالَ هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا قُلْنَا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا) و (.. فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ فَيُقَالُ كَذِبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ فَمَا تُرِيدُونَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا فَيُقَالُ اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ) يميز الحديث القدسي باعتباره نصا شفاهيا ينتقل بفعل الرواة و مجالسهم . و باعتباره نصا يقوم على الحوار بين الشخصيات , حيث يسهم التكرار في استمرارية السرد و بناء المعلومات في النص .

و في إطار عملية الربط يقوم التكرار المباشر بوظائف متنوعة تختلف من حديث قدسي إلى آخر , بما يخدم الموضوع الرئيس الذي يتمحور حوله الحديث القدسي . منها وظيفة التأكيد من خلال تكرار (لِيَخْلُقُوا) مرتين مباشرة , كما في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (يَقُولُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً)⁽¹⁰⁹³⁾ . و منها وظيفة التنبيه لخطورة ما يصدر عن عباد الله من أعمال مختلفة و متناقضة و متضاربة أحيانا بعضها وفقا لمقتضيات الشريعة و بعضها الآخر خدمة لأهواء النفس و حظوظها , ثم كيف يتعامل معها القضاء الالهي المبني على أساس الرحمة و الرأفة و الحنو على العباد جميعا ... , و يتجلى ذلك في استعمال الكلمات الآتية مرتين ((حسنة)/2 (سيئة)/2 (كتبتها)/3 (عملها)/2 (يعملها)/2) , كما في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (قال الله عز وجل إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبتها سيئة واحدة)⁽¹⁰⁹⁴⁾ , و منها وظيفة التحذير كما في نص هذا الحديث القدسي : (عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي

1093 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 25 , ص : 299 .

1094 - النووي : صحيح مسلم , ج 2 , ص : 211 .

كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُمْكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضْرِبُونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرَ قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلْيَأْمُرْ بِاللَّيْسِ (يا عبادي : 10 مرات)

تكرارا مباشرا حتى ينفث في روع المتلقي و يحذره خطورة الظلم بكل أنواعه بعد أن حرمه عز وجل عن نفسه المقدسة لأنه (لا يليق و لا ينبغي أن يتصف به , و هو مستحيل في حقه تعالى , لأن الظلم قبيح , و نفاه البارئ تعالى في غير موضع في كتابه .. (و لا يظلم ربك أحدا) (1096) ...) (1097) , و جريمة التغاضي و الغفلة عن ضرورة (الاعتصام به سبحانه و الافتقار إليه و اللجوء إليه سبحانه , إذ أنه عز و جل هو ملجؤنا و هادينا و الملاذ الذي نلوذ به ... فان الله تعالى هو الخالق , و هو الرازق , تفرد سبحانه بالخلق و الهداية , و الإحياء و الإماتة , فلا بد من الافتقار إليه عز وجل ..) (1098) , و منها التعبير عن البعد النفسي لذلك الرجل الذي يمثل (آخر أهل النار خروجا منها , و ذلك بعد الشفاعة , و بعد أن عذب فيها على قدر ما ارتكب من الذنوب في دنياه يصور النبي صلى الله عليه و سلم حاله) (1099) كما نجد ذلك في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها و آخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تبارك و تعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيّل

1095 - النووي : صحيح مسلم , ج 8 , ص : 185 .

1096 - سورة الكهف , الآية : 18 .

1097 - محمد منير الدمشقي الأزهري : الإتحافات السننية بالأحاديث القدسية , ص : 50 .

1098 - حامد أحمد الطاهر : صحيح الأحاديث القدسية , دار الفجر للتراث , ط2 : 2010 م , 19 .

1099 - المرجع نفسه , ص : 243 .

إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أتسخر بي أو أتضحك بي وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه قال فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة (1100) ، فالحالة النفسية لهذا الرجل بادية بقوة و وضوح من خلال قوله لله عز و جل (يا رب وجدتها ملأى) ، و تشتد حالته النفسية اضطرابا و قلقا من خوف أن يعود إلى ما كان عليه من قبل ، بعد أن بداله - في أكثر من محاولة - أن الجنة ملأى مما جعله يقول لله تعالى مباشرة : (أتسخر بي) ، و هي عبارة تنم عن الوضعية النفسية المتأزمة لهذا الرجل و (هو غير ضابط لما قاله ، من أجل ما ناله من سرور ، ببلوغ ما لم يخطر بباله ، فلم يضبط لسانه دهشا و فرحا ، فقاله ، و هو لا يعتقد معناه ، و جرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق ... إنه لم يضبط نفسه من الفرح) (1101) .

مما سبق ، فالتكرار المباشر في الأحاديث القدسية يتعدى كونه أداة للربط داخل الحديث القدسي الواحد إلى كونه وسيلة من وسائل الربط على مستوى نص الأحاديث القدسية كلها ، يدرك المتلقي من خلالها الأحاديث القدسية بوصفها نصا واحدا ، كما يدرك خصوصية هذا الخطاب/النص . و لكن الربط في الأحاديث القدسية لا يقتصر فقط على التكرار المباشر ، بل نجد نوعا آخر من أنواع التكرار يقوم بدوره في صنع التماسك داخل النص ألا و هو التكرار الجزئي .

التكرار الجزئي

يراد بالتكرار الجزئي : التكرار الاشتقائي ، أو تكرار جذر الكلمة . و هو شكل آخر من أشكال الربط يضيف على النص طابع التنوع و ينفي عنه الرتابة .

التكرار الجزئي و التركيب

يقع التكرار الجزئي في الحديث القدسي على مستويين : إما داخل الجملة أو بين الجمل . و يحتل التكرار الجزئي داخل الجملة مواقع مختلفة منها موقع : الخبر أو الفاعل

1100 - النووي : صحيح مسلم ، ج 2 ، ص : 314 .

1101 - محمد أسامة طباع : الأحاديث القدسية ، دار الفيحاء ، ط 1 : 2004 م ، ص : 379 .

أو المفعول به , أو الموصوف أو المفعول المطلق أو المضاف إليه ... كما في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (وَلَا تَرْجُمَانِ يَتْرَجَمُ/صفة) (1102) و (اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا/ مفعول به) (1103) و (خَلَقَ اللَّهُ الْخُلُقَ/مفعول به) (1104) و (كَتَبَ فِي كِتَابِهِ / اسم مجرور) (1105) و (فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ/خبر) (1106) و (فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اِطِّاعَةً/مفعول مطلق) (1107) . و يشكل التكرار الذي يقع داخل الجملة مدى قصيرا للربط , في حين أن التكرار الجزئي الذي يقع بين جملتين متجاورتين يشكل مدى طويلا نسبيا , كما في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ (اسْتَشْفَعْنَا) إِلَى رَبِّنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ (فَاشْفَعْ) لَنَا) (1108) و (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ) فَإِذَا وَجِدُوا قَوْمًا (يَذْكُرُونَ) اللَّهَ (1109) و (هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) (1110) و (لَا يَأْتِ ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قَدْ (قَدَّرْتُهُ) وَلَكِنْ يُلْقِيهِ (الْقَدْرُ) ..) (1111) . أما أن يتسع مدى الربط مع الجمل غير المتجاورة فإنه لا يكاد يذكر في نص الأحاديث القدسية موضوع الدراسة و البحث .

يشكل التكرار الجزئي في الحديث القدسي سلاسل من التكرار , فيحدث إيقاعا صوتيا متكررا و منتظما , مما يزيد من أواصر الربط بين الجمل , خاصة مع وجود التوازي التركيبي , من مثل ((يَذْكُرُنِي/ ذَكَرَنِي/ ذَكَرْتُهُ) - (تَقْرُبُ/تَقَرَّبْتَ) - (أَتَانِي/أَتَيْتَهُ)) على نحو ما نرى في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأِ

1102 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 8 , ص : 393 .

1103 - المرجع نفسه , ج 11 , ص : 59 .

1104 - المرجع نفسه , ج 19 , ص : 247 .

1105 - المرجع نفسه , ج 15 , ص : 152 .

1106 - المرجع نفسه , ج 15 , ص : 336 .

1107 - النووي : صحيح مسلم , ج 6 , ص : 513 .

1108 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 18 , ص : 107 .

1109 - المرجع نفسه , ج 23 , ص : 40 .

1110 - المرجع نفسه , ج 23 , ص : 40 .

1111 - المرجع نفسه , ج 23 , ص : 237 .

ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأَ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً (1112) . كما نشهد الظاهرة نفسها في هذه السلسلة من الكلمات (الظلم/تظالموا) - (حرمت/محرمًا) - (هديتُهُ/ فاستهدوني/ أهدكم) - (أطعمته فاستطعموني أطعمكم) - (كسوته فاستكسوني أكسكم) - (فاستغفروني أغفر) - (ضري/فتضروني) - (نفعي/فتنفعوني) في قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه (عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِيَ كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِيَ كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُمْ يَا عِبَادِيَ كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِيَ إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِيَ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي) (1113) ...

وظائف التكرار الجزئي

يقوم التكرار الجزئي بالربط داخل النص سواء على المستوى الحديث القدسي الواحد أو بين الأحاديث القدسية جميعها . فعلى مستوى الحديث القدسي الواحد يقع الربط داخل الجملة أو بين جملتين متجاورتين أو متباعدين ، على نحو ما تقدم ذكره . كما يقوم التكرار الجزئي بدوره في بناء المعلومات داخل الحديث القدسي الواحد من خلال تكرار الكلمات التي ترتبط بموضوع الحديث القدسي ، على نحو ما نجد في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) (1114) ، فنرى التكرار الجزئي (صوم - صيام - صائم) يتخلل الحديث القدسي و هو يشكل بنية لغوية واحدة ذات قاسم دلالي مشترك ، هذه الكلمات الثلاث ارتبطت عضويا بموضوع كلي واحد هو الصيام لأنه (إمساك عن الشهوات ، و النار محفوفة بالشهوات

1112 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 9 ، ص : 12 .

1113 - النووي : صحيح مسلم ، ج 8 ، ص : 185 .

1114 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 10 ، ص : 395 .

. فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترا له من النار في الآخرة (1115) , و يدخل الناص من خلاله المعلومات التي يريد الإخبار بها في رسم صورة للنفس الزكية (فمن الشهوات العاتية التي يمكن أن تحرف الإنسان شهوتا البطن و الفرج , و الصوم تعويد للنفس على التحكم بهاتين الشهوتين , و لذلك كان عاملا مهما من عوامل تزكية النفس , و إذا كان الصبر من أرقى مقامات النفس , فإن الصوم تعويد للنفس على الصبر) (1116) .

إن ثنائية الخوف و الرجاء تمثل قطبي موضوع التوحيد و العقيدة و التصور الإيماني و الأحكام التشريعية و (قليل منها يتعرض للأحكام التكليفية) (1117) في الأحاديث القدسية كلها , فالخوف (من أجل منازل الطريق , و أنفعا للقلب , و هي فرض على كل أحد) (1118) , أما الرجاء فهو (حاد يحدو القلوب الى بلاد المحبوب , و هو الله و الدار الآخرة , و يطيب لها السير ... هو الاستبشار بجود و فضل الرب تبارك و تعالى , و الاتياع لمطالعة كرمه سبحانه .. هو الثقة بجود الرب تعالى) (1119) فنعني به ذاك الذي لا يعتق العبد من رق التكليف ... بل تبقى الطاعات غداء لقلبه , و سرورا له , و قرة عين في حقه , و نعيما لروحه . يتلذذ بها , و يتنعم بملاستها أعظم مما يتنعم بملاسة الطعام و الشراب و اللذات الجسمانية , فلا يجد في أورد العبادة كلفة , و لا تصيرا تكليفا في حقه . فإن ما يفعله المحب الصادق , و يأتي به في خدمة محبوبه : هو أسر شيء إليه) (1120) . لذلك ينجذب نحو كل قطب مجموعة من الكلمات التي تشكله , فيتعلق بالخوف مجموعة من التكرارات الجزئية التي ترسم صورة كلية لأهوال يوم القيامة و ألوان الخزي الذي يتعرض له الآبق عن عبودية الله تعالى تعبر عنه مثلا

1115 - أحمد مصطفى متولي : الأحاديث القدسية و شروحا , دار ابن الجوزي بالقاهرة , ص : 291 .

1116 - سعيد حوى : المستخلص في تزكية الأنفس نظرية متكاملة في تزكية النفوس , دار السلام , ط 13 : 2007

م , ص : 61 .

1117 - أحمد مصطفى متولي : الأحاديث القدسية و شروحا , ص : 73 .

1118 - ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين , دار الكتاب العربي , ط : 1972 م ,

ج 1 , ص : 511

1119 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 35

1120 - المرجع نفسه , ج 3 , ص : 165 .

((تعصني/أعصيك) - (تخزني/ خزي/ أخزى)) في قوله صلى الله عليه وسلم : (قَالَ يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتْرَةٌ وَغَبْرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي فَيَقُولُ أَبُوهُ فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ يَا رَبُّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خَزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ثُمَّ يُقَالُ يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتِ رِجْلَيْكَ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِحٍ فَيُؤَخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ)⁽¹¹²¹⁾ , و كذا في الحديث القدسي الذي يقول فيه تعالى (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ)⁽¹¹²²⁾ , حيث ظهر التكرار الجزئي في الكلمات الآتية (الشركاء/الشرك/أشرك) التي تصور شدة غضب الله سبحانه و تعالى من أولئك الذين لم يجردوا التوحيد و لم يخلصوا أعمالهم بـ(توحيد في المعرفة و الإثبات , توحيد في الطلب و القصد)⁽¹¹²³⁾ .

أما القطب الثاني فتعلق به مجموعة من التكرارات الجزئية التي ترسم هي بدورها صورة كلية لتؤسس لحقيقة الرجاء في التصور الإسلامي , إذ (القلب في سيره الى الله عز و جل بمنزلة الطائر . فالمحبة راسه , و الخوف و الرجاء جناحاه . فمتى سلم الراس و الجناحان فالطائر جيد الطيران , و متى قطع الراس مات الطائر . و متى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد و كاسر . و لكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء , و عند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف ..)⁽¹¹²⁴⁾ . قال صلى الله عليه وسلم : (يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ , ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ . فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَا أَوْ الْحَيَاةِ شَكًّا مَالِكٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً ...)⁽¹¹²⁵⁾ .

فقد تجلى التكرار الجزئي في (أخرجوا - فيخرجون) الذي يؤكد أن المؤمن مهما كانت ذنوبه فإن أمله في رحمة الله كبير و طمعه في المغفرة و التجاوز عن السيئات أكبر ,

1121 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 15 , ص : 336 .

1122 - النووي : صحيح مسلم , ج 9 , ص : 232 .

1123 - ابن قيم الجوزية : مدارج السلكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين , ج 3 , ص : 449 .

1124 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 517 .

1125 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 1 , ص : 270 .

لأن الله تعالى في الحديث القدسي السالف (يخاطب ملائكته يوم القيامة , و يأمرهم باخراج من دخل النار من عباده المؤمنين , و كان ذكر الله جل ذكره يوما من أيام حياته , أو خاف الله تعالى في مقام ما مدة عمره ..) (1126) ..

يشير استخدام التكرار الجزئي في الحديث القدسي إلى الخصوصية اللغوية لهذا النص , حيث يرتبط استخدام هذا الشكل من أشكال التكرار بالغاية التعليمية لنص الحديث القدسي , و مهارة الناص في توظيف حصيلته اللغوية داخل النص , فترى اختيار التكرار الذي يشكل تلازما بين الكلمات مما يندرج تحت العبارات المحفوظة التي يسهل حفظها , فتخدم الطابع الشفاهي للحديث القدسي و تبرز ثقافة الناص بمفهومها الموضوعي , لأنه مهما كان فالإنسان ابن بيئته , من مثل التكرار الجزئي في : (خلق/الخلق) - (الرحم/الرحمن) - (أصل/وصلك) - (أقطع/قطعك) الوارد في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال له مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى يا رب قال فذاك) (1127) . و كذلك في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرصت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي) (1128) .

فقد تجلى التكرار الجزئي في العبارات الآتية : (أعودك/تعدده/عدته) - (استطعمتك/تطعمني/أطعمك/استطعمك/تطعمه/أطعمته) - (استسقيتك/أسقيك/استسقاك/تسقه/سقيته) . و على الرغم مما تقدم فالحديث القدسي لا يكتفي باستخدام أشكال التكرار

1126 - محمد منير : الإتحافات السننية بالأحاديث القدسية , ص : 301 .

1127 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 19 , ص : 247 .

1128 - النووي : صحيح مسلم , ج 8 , ص : 180 .

السابقة , بل نراه يقدم صورة أخرى من صور التنوع في وسائل الربط و مهارة استخدام الكلمات عبر شكل آخر من أشكال التكرار و هو الاشتراك اللفظي .

الإشترك اللفظي

يقصد بالاشترك اللفظي : الاتفاق في الحروف و الاختلاف في المعنى بين كلمتين أو أكثر . و حينما نصل إلى هذا النوع اللغوي من أنواع التكرار , نلاحظ أن حضوره مقارنة بالنوعيين السالفين قليل و محتشم , حيث بلغ عدد حالات وروده في الأحاديث القدسية ما يساوي (10 حالات) أي بنسبة مئوية مقدرة بـ: (02.32 %) , مما يعنى أن الكثير من الأحاديث القدسية تخلو منه تماما . و لتجسيد المعطيات البيانية السالفة الذكر نستعين برسم بياني على الشكل الآتي :



الإشترك اللفظي و الربط

يتميز هذا الشكل من أشكال التكرار بعدم وقوعه في إطار الجملة الواحدة , و إنما يختص بالربط بين جملتين , و قد ورد كذلك في 09 حالات , أما وقوعه في الجملة الواحدة فقد ورد في حالة واحدة (بأجوج/مأجوج) (1129) . ففي الحديث القدسي نجد استخدام الإشتراك اللفظي بين جملتين متجاورتين بما يشكل سجعة واحدة , فيؤدي هذا التكرار , فضلا عن الربط المعجمي , إلى وجود ربط صوتي بين شطري السجعة الواحدة , و هو ما يسمى في علم البديع : الجناس التام على نحو ما نرى في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرْتَنِي فَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ

1129 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 15 , ص : 329 .

بَشِيرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً (1130), و ذلك بين كلمتي (باعا/ذراعا) .. .

و إذا انتقلنا للحديث عن قصد الناص من اختيار الاشتراك اللفظي و ارتباطه بموضوع الحديث القدسي عامة .. حيث نجد خصوصية اختيار الاشتراك اللفظي في الحديث القدسي مرتبط بموضوع العقيدة و التوحيد و التصور الكلي لليوم الآخر و الرغبة في تعليم الناس و تربيتهم وفقا للدين الاسلامي ... و هو ما يمكن التمثيل له بقوله (صلى الله عليه و سلم) : (تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا أعملت من الخير شيئا قال لا قالوا تذكر قال كنت أداين الناس فأمر فتياي أن ينظروا المعسر ويتجاوزوا عن الموسر قال قال الله عز وجل تجوزوا عنه(1131) , في توظيفه لـ : (الموسر - المعسر) , و في الحديث القدسي الطويل نسبيا الذي يتحدث فيه النبي صلى الله عليه و سلم عن المسيح الدجال و اللحظات الأخيرة من حياة الإنسانية على وجه هذه الأرض فقد أخبرت لفظتا (مدر - وبر) في قوله : (ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّرْفَةِ) (1132) . للدلالة على أن هذه اللحظات مزيج بين الألم و الأمل بكل ما تحمله من مشاهد مرعبة و وضعيات يشيب لها الولدان لن تترك مكانا إلا زحفت إليه و مسته برهجها و فتنتها و شغبها . فيقدم الاشتراك اللفظي الجمع بين المعنيين الأساسيين (الخوف + الرجاء) تلك المعاني التي يشغل بها الناص على المستوى الإدراكي , لأنه (على حسب المحبة و قوتها يكون الرجاء , فكل محب راج خائف بالضرورة فهو أرجى ما يكون لحبيبه أحب ما يكون إليه . و كذلك خوفه . فإنه يخاف سقوطه من عينه , و طرد محبوبه له و إبعاده , و احتجابه عنه . فخوفه أشد خوف , و رجاؤه ذاتي للمحبة ..) (1133) , و بذلك يعد الاشتراك اللفظي وسيلة إبراز لعنصر آخر من عناصر ربط الحديث القدسي مثل موضوعه أو المكان العام الذي فيه أحداثه . كما يعد الاشتراك اللفظي وسيلة من وسائل إبراز

1130 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 25 , ص : 151 .

1131 - النووي : صحيح مسلم , ج 6 , ص : 69 .

1132 - المرجع نفسه , ج 9 , ص : 191 .

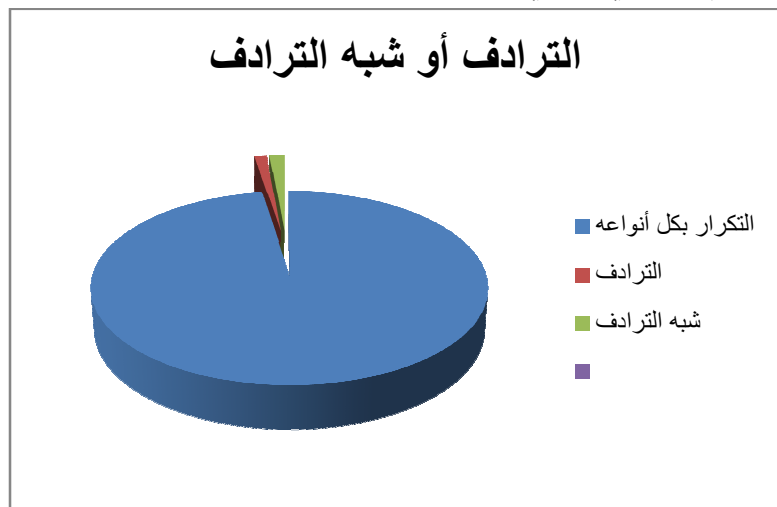
1133 - ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين , ج 2 , ص : 42 .

الحصيلة اللغوية للنص بالاضافة إلى الوسائل الأخرى كالتكرار و التكرار الجزئي و الترادف و التقابل , و التي تجعل من الحديث القدسي متنا لغويا , يحرص صاحبه على الاسهام في الوظيفة التعليمية . لذلك نجد الاشتراك اللفظي يقوم بدور كبير في إثراء نص الحديث القدسي بالمفردات الشرعية . و انتشار مثل هذه الكلمات في نص الحديث القدسي لا يرتبط فقط بالحصيلة اللغوية للنص , بل يضي على الحديث القدسي طابعا شرعيا مميزا , خاصة فيما يتعلق بالكلمات التي ترتبط بقضايا التوحيد و العقيدة و كليات التصور الإسلامي أو التي ترتبط بقضايا الأخلاق و السلوكيات الإيمانية .

الترادف

الترادف و أشكال الربط

يعد الترادف وسيلة من وسائل الربط المعجمي , يسهم في امتداد المعنى داخل الخطاب/النص باعتباره شكلا من أشكال التكرار . فقد تضمنت الأحاديث القدسية ظاهرة الترادف و شبه الترادف و لكن بنسبة قليلة , حيث بلغ عدد حالاتها (11 حالة) أي بنسبة مئوية مقدرة بـ(02.55 %). ف:(05 حالات) تمثل الترادف المطلق الذي تتفق فيه الكلمتان في المعنى اتفقا كاملا , و (06 حالات) تجسد شبه الترادف الذي تتشابه فيه الكلمتان تشابها كبيرا في المعنى , إلا أنه إذا ما تبدل السياق تعرض ذلك القاسم المشترك /المعنى بينهما إلى التغير و التبديل , إلى درجة قد تصل إلى الاختلاف و التضاد حتى .. و الرسم البياني الآتي يجسد المعطيات السالفة :



تتعد أشكال الربط بالترادف داخل الحديث القدسي , فقد يقع الترادف داخل جملتين متعاطفتين مثلا , و عندئذ يكون مدى الربط قصيرا نسبيا , كما في قوله (صلى الله عليه

و سلم) : (...أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَيْتَكَ الْمَتَوَكَّلَ لَيْسَ بَفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَابٍ فِي
النَّسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيْنَةِ السَّيْنَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ....) (1134) . فالمسافة بين (يعفو) و
(يعفر) قريبة جدا .. و قد يقع الترادف بين جملتين بينهما متتاليات جميلة , و عندئذ
يكون المدى طويلا نسبيا مثل ما نجد بين الكلمات الآتية : ((المسيح ابن مريم / عيسى
ابن مريم / عيسى / نبي الله عيسى)) في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (...فبينما هو
كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين
مهردتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه
جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه
فيطلبه حتى يدركه باب لد فيقتله ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه
فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى
عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحدِ بقالتهم فحرر عبادي إلى الطور
ويبعث الله ياجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة
طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله
عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم
فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النعف في رقابهم فيصبحون
فرسى كموت نفس واحدة ثم يهب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في
الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتاجهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه
...) (1135) .

و قد أفرز الترادف في نص الحديث القدسي ظاهرة لغوية تميزه عن باقي الخطابات
الأخرى ألا و هي : أن الترادف بين الكلمات يؤدي إلى إعادة الصياغة بين الجمل : بحيث
تصبح كل كلمة في الجملة الأولى (مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ) مرادفة لنظيرتها في الجملة
الثانية (مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ) , فتنشأ جملتان مترادفتان في المعنى , لإعادة الصياغة
على نحو ما نجد في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ

1134 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 11 , ص : 345 .

1135 - النووي : صحيح مسلم , ج 9 , ص : 191 .

إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ (1136) .

و يرتبط استخدام الترادف في الحديث القدسي ببناء البنية الدلالية الكبرى و الفكرة الأساس , حيث يسهم التكرار باستخدام المترادفات في تعالق المعاني و بناء موضوع النص , على نحو ما نجد في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (...فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفِيهِ عَلَى أَجْنِحَةٍ مَلَكِيْنٍ إِذَا طَاطَأَ رَأْسُهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّوْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابٍ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسُحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهِدِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُحْصِرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَتَنَنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ...) (1137) . حيث تتمحور الدلالة الكلية الأساس لنص الحديث القدسي السالف ذكره حول الفتن و أشراف الساعة و منها ظهور ذكر الدجال و صفته و ما معه من خوارق للعادة , تعرض كل من عش هذه اللحظة إلى امتحان عظيم ... فقدحتوي النص على مجموعة من المترادفات تصنع شبكة من العلاقات الدلالية التي تشكل ذلك المعنى , على نحو ما نجد في توظيفه (صلى الله عليه و سلم) لهذه الألفاظ المترادفة : (الْمَسِيحِ ابْنَ مَرْيَمَ / عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ / عِيسَى / نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى) .

الترادف وسيلة ربط نصية عبر الأحاديث القدسية

1136 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 332 .

1137 - النووي : صحيح مسلم , ج 9 , ص : 191 .

اتخذت الأحاديث القدسية العقيدة و التوحيد و الأخلاقيات و البناء الداخلي للمؤمن موضوعا رئيسا لها , و سارت بذلك على نهج القرآن الكريم و خاصة السور المكية منه . و من ثمة احتوت على مجالين دلاليين رئيسين هما : العقيدة و الأخلاق , و يندرج تحت كل مجال دلالي مجموعة من الحقول الدلالية الصغرى التي تشكل في مجموعها المجال العام , و يعد الترادف أحد الوسائل المعجمية التي تسهم في بناء تلك الحقول الدلالية . فنجد مجال (العقيدة) يضم المترادفات مثل :

(جهنم/النار)(1138) .
(بعث النار/من كل ألف تسع مائة و تسعة و تسعين)(1139) .
(آدم/أبو الناس)(1140) .
(المسيح ابن مريم/ عيسى ابن مريم/ عيسى/ نبي الله عيسى)(1141) .

أما مجال (الأخلاق) فنجده يشمل المترادفات الآتية :

(عهد و ميثاق)(1142)
(يدعوني/ يسألني) (فأستجيب/ فأعطي)(1143) .
(خداج/غير تمام)(1144) .
(الصيام/جنة)(1145) .
(فظ/غليظ) - (يعفو/يغفر)(1146) .

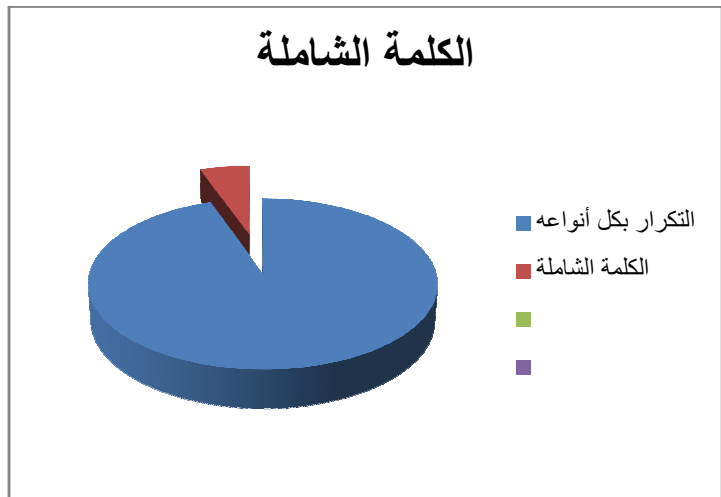
- 1138 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 117 .
- 1139 - المرجع نفسه , ج 15 , ص : 329 .
- 1140 - المرجع نفسه , ج 18 , ص : 107 .
- 1141 - النووي : صحيح مسلم, ج 9 , ص : 191 .
- 1142 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 117 .
- 1143 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 332 .
- 1144 - النووي : صحيح مسلم, ج 3 , ص : 206 .
- 1145 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 10 , ص : 395 .
- 1146 - المرجع نفسه , ج 11 , ص : 345 .

مما سبق نرى أن الترادف وسيلة من وسائل بناء موضوع العقيدة و الأخلاق في الأحاديث القدسية عبر تعالق المعاني في الحقول الدلالية الصغرى التي تشكل في مجموعها المجالين الدلاليين الرئيسيين و هما العقيدة و الأخلاق .

3 - الكلمة الشاملة في الأحاديث القدسية

و هي واحدة من الطرق التي تلجأ إليها اللغة للإشارة إلى أن هناك نوعا من الكلمات - في دلالتها إلى فئة معينة - جعلت بعض الكلمات تتحرك في فلكها و منضوية تحت سلطانها لكونها تمثل عنصرا منتما لهذه الفئة , و ذلك من أجل تحقيق الترابط بين العناصر اللغوية في البنية السطحية التي تتحدد محتوياتها المفهومية وفقا لطبيعة النص و بنيته الكلية . على الرغم من أن تكرار الكلمة دون مراعاة للشروط الموضوعية التي تجعلها متسمة بالوضوح و الدقة , تهدد العملية التواصلية من زاوية المتلقي الذي يتعرض عندئذ إلى التيه في ببدأ البحث عن الدلالة المناسبة و المرجعية المطابقة حتى يستمر في التفاعل مع الرسالة اللغوية المراد تفكيكها .

لقد بلغت الكلمة الشاملة من حيث الحضور في الحديث القدسي ما يساوي (24 حالة) , يعني ذلك أن هذه الظاهرة اللغوية نسبتها المئوية تقدر بـ: (05.57 %) و بذلك تحتل المرتبة الثالثة من حيث مساحتها داخل النص القدسي . إن هذا النوع من التكرار يحقق جملة من الفوائد عظيمة , فالكلام عندئذ يبتعد عن الافتقار إلى ما يكمله . و الصورة البيانية الآتية تجسد ما سلف ذكره :



4 - الكلمة العامة في الأحاديث القدسية

أما فيما يخص الكلمات التي لها إحالة عامة و التي اصطلح على تسميتها بـ(الكلمة العامة) , فإنها تعمل على بناء شبكة علائقية محكمة تضم إليها كل العناصر اللغوية التي تتقاطع معها دلاليا و تشاركها في صناعة المعنى العام وفقا لمقتضيات النص و شروطه النصائية . و من هنا فهي تعمل - هي الأخرى - على تحقيق الترابط داخل النص , انطلاقا من اعتباره (فعالية خطابية تمتلك من الأدوات و الشروط التي توفر له النصية , ما يجعله يكتسب الأبعاد المختلفة التي تضمن له الاتسجام و شروط التواصل ضمن معايير الاتصال .. العام)⁽¹¹⁴⁷⁾. فقد احتلت المرتبة الأخيرة من حيث كثافتها داخل نص الحديث القدسي مقارنة بالأنواع الأخرى السالفة الذكر , إذ لم يتجاوز ذكرها (04 حالات) في مدونة الحديث القدسي كلها , أي بنسبة مئوية تقدر بـ(0.93 %). و الرسم البياني الآتي يجسد ذلك :



¹¹⁴⁷ - آمنة بعلي : تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة , ص : 21 .

الوصل

في الأحاديث القدسية

أدوات الوصل :

إن عملية بناء الكلام الشفوي أو المكتوب (تحتاج إلى روابط لغوية بين الفعل و الفعل أو بين الفعل و الاسم و بين الاسم و الاسم و بين الجملة و أختها..)⁽¹¹⁴⁸⁾, و لهذا تعتبر أدوات الوصل من أهم الوسائل البنائية و (المصطلحات المقترنة التي تدرس فيها الظواهر الأسلوبية المتقابلة)⁽¹¹⁴⁹⁾ التي تعمل على تفسير ما يتجسد فعلا من التشابك العلائقي بين العناصر اللغوية السابقة باللاحقة , فهي تعد من بين الفعاليات اللغوية التواصلية التي تعمل على تبيين الكيفية التي يتعرف من خلالها المتلقي مسبقا على أن هناك جملة من العلاقات الدلالية البادية على البنية السطحية للخطاب/النص . وعلى الرغم من أن هذه الأدوات الرابطة المسماة بأدوات الوصل لها (وظائف كلامية هامة)⁽¹¹⁵⁰⁾, فإنها تتقاطع وظيفيا في الكثير من النقاط و المحطات مع باقي وسائل التماسك النصي و اتساقه إلا أن النظرة المتمعنة تدرك أن طبيعة الربط بأدوات الوصل و ما تنتجه من مخرجات تواصلية تختلف عن تلك العلاقات الترابطية التي تولدها علاقات الربط الأخرى كالإحالة و الحذف و الاستبدال ... فهي أساسا تتضمن دلالات دقيقة تدفع المتلقي إلى أن يفترض التوقف لمدة زمنية معينة بقصد البحث عن عناصر لغوية أخرى موجودة بالقوة أو بالفعل في فضاء الخطاب/النص .. كل ذلك حتى يحافظ على استمرارية تواصله مع الخطاب و تدفق عطاءات هذا الأخير , و يتسنى له في الوقت نفسه فهم مقاصد النص و الناص مع العمل على إنتاج خطاب/النص آخر يدعم النص الأصلي و يمهّد الطريق لقراءات مستقبلية و تلقيات جديدة تحافظ هوية النص الأصلي بكل كينونته و حدوده و لكن تعمل - إن أمكن - على تجاوزه و صناعة الإضافة الإيجابية

¹¹⁴⁸ - مقران فصيح : البناء اللغوي لشعر السجون عند مفدي زكريا و أحمد الصافي النجفي , منشورات بونة للبحوث و الدراسات , ط 1 : 2008 م , ص : 133 .

¹¹⁴⁹ - محمد بن علي الصامل : قضية الفصل و الوصل بين المفردات عند البلاغيين , دار كنوز اشبيليا للنشر و التوزيع , ط 1 : 2007 م , 14 .

¹¹⁵⁰ - مقران فصيح : البناء اللغوي لشعر السجون عند مفدي زكريا و أحمد الصافي النجفي , ص : 133 .

... فـ(مما لا شك فيه أن الجمل في النص مترابطة بمجرد تجاوزها , غير أن مثل هذا التجاور ليس شرطا ضروريا أو كافيا للتماسك)⁽¹¹⁵¹⁾ و على هذا الأساس فأن أدوات الوصل , انطلاقا من كونها وسائل ربط استراتيجية , لا يكاد يخلو منها خطاب ما - تستخدم (لتحدد ربطا خاصا بين الأجزاء المختلفة للنص)⁽¹¹⁵²⁾, و من ثمة تتحرك هذه الروابط الشكلية - إشارة لغوية صريحة - داخل الخطاب محققة أنواعا مختلفة من المعاني و الدلالات و شبكة من العلاقات التواصلية المباشرة منها و غير المباشرة ...
الربط بأدوات الوصل في الأحاديث القدسية :

من الوسائل الأساسية للربط النحوي في خطاب الأحاديث القدسية أدوات الوصل بكل أشكالها . و هي عبارة عن مجموعة من الوحدات اللغوية المتميزة التي تتشكل و تتموقع في بنية النص السطحية , إذ تعمل على تحقيق التماسك السلس بين الكلمات أو بين الجمل أو بين الفقرات ... و لهذا يختلف الوصل اختلافا تاما عن بقية وسائل التماسك النصي التي سبق الحديث عنها , من حيث إنه يصل وصلا مباشرا بين جملتين أو مقطعين في النص . و تأتي أهمية الوصل من كون النص مجموعة من الجمل أو المتواليات المتعاقبة , و أنه لا بد لكي ندرك بنيته المتماسكة من توافره على أدوات رابطة , تفرض كل نوع منها طبيعة العلاقة بين الجمل . و كثيرا ما يطلق على هذه الأدوات تسمية « الأدوات المنطقية » و ذلك لدورها في تحديد أنواع العلاقات بين الجمل و إسهامها كذلك في بناء النص بناء منطقيا . إلا أنها - و هي تحقق ذلك فعليا - تعمل على تنبيه المتلقي - إشارة - إلى ضرورة الانتباه الوجه الآخر لهذه الأدوات اللغوية و المتمثل في خلق شبكة و أنواع من (العلاقات الدلالية بين الجمل على مستوى النص ...)⁽¹¹⁵³⁾ ..

أدوات الوصل إجمالاً :

1151 - William o . hendrick : علم اللغة السيميائي و الأدب المروي , ترجمة : نورزاد حسن أحمد و يونيل

يوسف عزيز , الدار العربية للموسوعات , ط1 : 2010 م , ص : 55 .

1152 - عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق , ص : 110 .

1153 - المر عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق , ص : 162 .

لقد كان لأدوات الوصل حضور معتبر في فضاء نص الحديث القدسي , و قد قامت (من غير شك بوظيفة ربط الجمل ..)(1154) المشكلة له , حيث بلغ تعدادها إجمالاً 1402 رابطاً وصلياً عملت كل أداة من أدوات الوصل هذه على جعل الخطاب القدسي متماسكاً و متسقاً في بنيته الكلية سطحية كانت أو عميقة , و أضفت عليه طابع الاستمرارية .. و هذا الجدول البياني يوضح مدى تواجد هذه الظاهرة في الأحاديث القدسية .

الشرطي	السببي	الاستدراكي		الإضافي				المجموع النهائي
		أم	أو	حتى	ثم	ف	و	
من/27 إذا/35 لو/17 إن/19	بل لكن لا							
98	6	00	17	41	76	686	465	
98	6	17		1285				
1406								

من خلال استقراء أدوات الوصل و تتبعها من خلال كل الأحاديث القدسية تبين للدارس أنها تنقسم إلى :

الربط الإضافي : و قد كانت نسبته المئوية (19.65 %)

الربط السببي : لم تتجاوز نسبته المئوية (0.14 %)

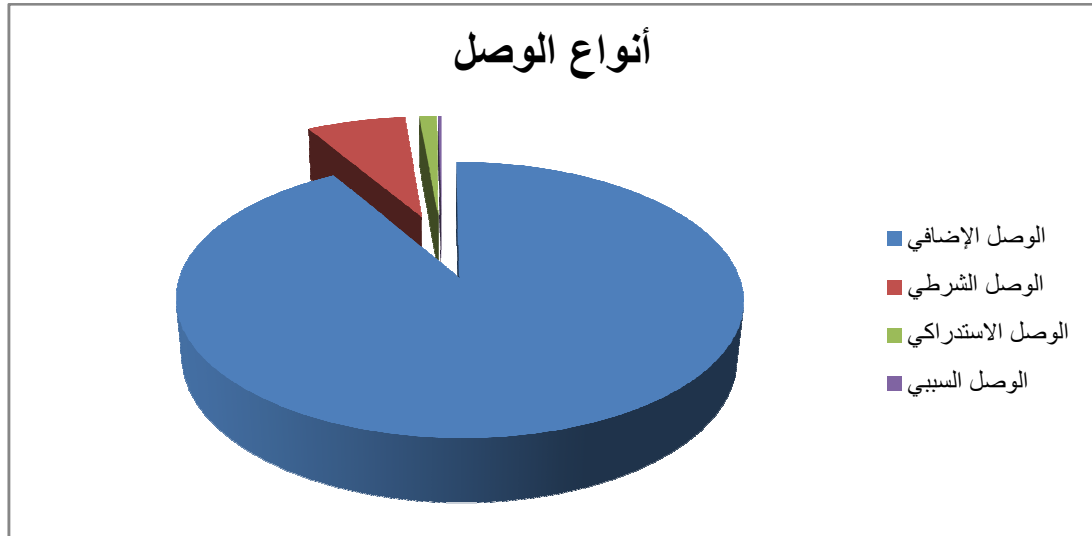
الربط الشرطي : احتل المرتبة الثانية من حيث نسبته المئوية (6.99 %)

الربط الاستدراكي : يمثل المرتبة الثالثة فقد كانت نسبته المئوية (0.14 %) .

و الرسم البياني الآتي يوضح هذه الأنواع من حيث كمها و رتبها كما تواجدت في

خطاب الأحاديث القدسية مدونة البحث :

1154 - William o . hendrick : علم اللغة السيميائي و الأدب المروي , ص : 67 .



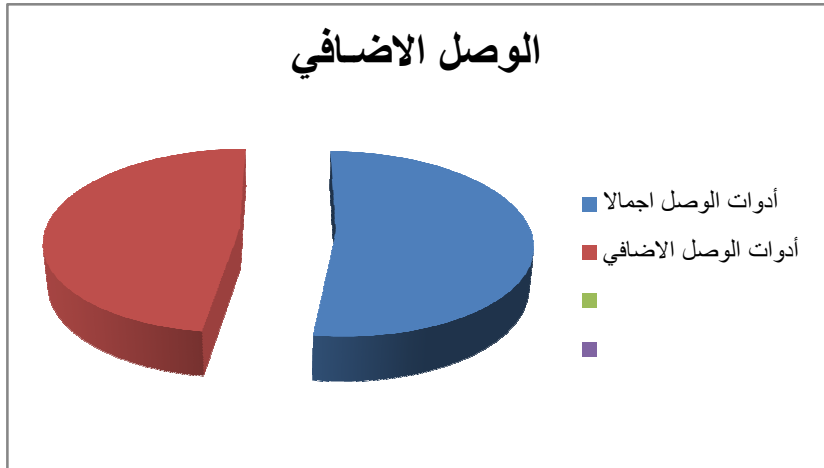
1 - الربط الإضافي :

هذا اللون من الروابط تعبر عنه الأدوات الآتية : (الواو - الفاء - أم - أو) ، هذه الوسائل الرابطة تعمل على الربط بين الجمل و لكن من خلال إضافة معنى جديد ، و ذلك يعني أن كل جملة سابقة إنما تستمد قوتها و وجودها و استمراريتها داخل الخطاب من خلال تفاعلها مع الجملة اللاحقة لها ، كما أن هذه الأخيرة تضيف إلى الجملة السابقة عنصرا دلاليا جديدا يحافظ على الدلالات القديمة السابقة و يسعى إلى توضيحها أو تعميقها أو نصرتها بتكميل نقائصها إن وجدت لدى المتلقي ... هذه العملية تتم سواء أكان ذلك على صعيد التتابع و تجسده الأدوات الآتية : (الواو - الفاء) أو على صعيد التخيير و الانتخاب و ذلك بإضافة أحد المعنيين من خلال هذه العناصر اللغوية المتمثلة في : (أم - أو) ... و نتيجة ذلك تتراكم الدلالة و تعمل على هندسة الخطاب/النص و بنائه ... و الرسم البياني (1) و (2) الآتي يوضحان لنا أهمية أدوات الوصل في الحديث القدسي و دورها في تماسكه و انسجامه .

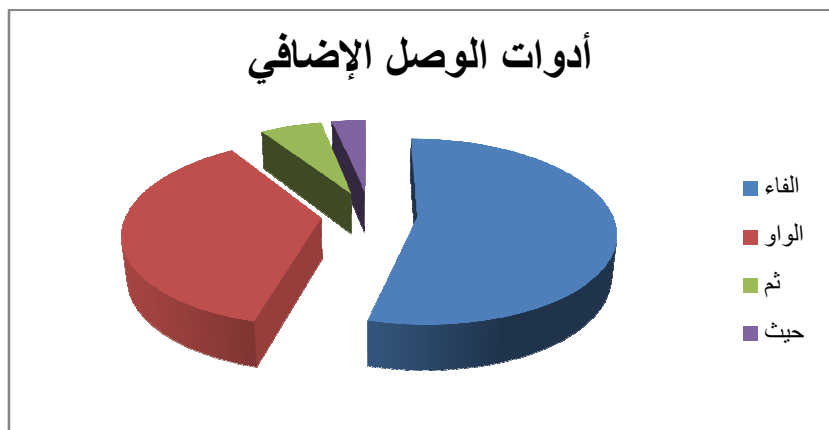
الرسم البياني (1) :

الإضافي				
حتى	ثم	ف	و	
41	76	686	465	المجموع النهائي
1285				

الرسم البياني (2)



و إذا تأمل الدارس الرسم البياني (1) و (2) السالف الذكر تبين له أن لأدوات الوصل الإضافي تواجدا معتبرا في خطاب الحديث القدسي , فقد بلغ عدد هذه الأدوات الوصلية المحققة لظاهرة الوصل الإضافي فيه : 1285 أداة أي بنسبة مئوية تقدر بـ (91.65 %) , موزعة بين (الواو) ب : 465 مرة بنسبة مئوية مقدرة بـ (36.18 %) , و (الفاء) ب : 686 ما يساوي بالنسبة المئوية (53.38 %) , و (ثم) ب : 76 مرة أي بنسبة مئوية تصل (5.91 %) , و (حتى) ب : 41 مرة , و نسبتها المئوية تقدر بـ (3.19 %) , و الملاحظة الأولية لهذه النتيجة تقود الدارس إلى الإشارة إلى أن هذه الأدوات الرابطة يمكن ترتيبها من حيث كثافة تواجدها في نص الحديث القدسي على الشكل الآتي : (الفاء) أولا ثم (الواو) ثانيا , أما ثالثا فتأتي (ثم) و في الأخير نجد (حتى)



كما أن هذه النتيجة الكمية يمكن أن تدفع بالباحث إلى أن يعتبر الأحاديث القدسية عموما على أنها خطاب/نص من الخطابات التواصلية السردية التي تتأسس في بنائها على نقل الفعل القابل للتواصل (من الغياب إلى الحضور , و جعله قابلا للتداول ..

(1155) , و من ثم يرويه الرسول صلى الله عليه و سلم لـ (بناء الرؤية الاسلامية المعرفية , القائمة على مقومات التصور الاسلامي السليم و خصائصه , ليتضح ما يمكن اعتباره النظام المعرفي الاسلامي , القادر على الاجابة عن الاسئلة الانسانية الكلية , و إنتاج النماذج المعرفية الضرورية , دون تجاوز شيء منها , و بناء قدرة ذاتية على النقد المعرفي , الذي يمكن من الاستيعاب و التجاوز لتراث الماضين و إنتاج المعاصرين , بشكل منهجي منضبط , و في الوقت نفسه يعطي القدرة على التوليد المعرفي المنهجي و التفسير المعرفي , الذي لا يقوم على الإقناع و الخطابة , بل على المنهجية المعرفية التامة) (1156) , و على الرغم من ذلك فكل حديث قدسي مميزات خاصة دلالية و شكلية تجعله ذا شخصية قائمة بذاتها دون أن تخرجه عن فضاء المنظومة الكلية المؤسسة لخطاب الحديث القدسي . مما يجعل الربط الإضافي عملية مهمة في تماسك الحديث القدسي و استمراريته و رابطا مفصليا على مستوى الحديث القدسي الواحد , و ذلك ما نلاحظه جليا في قوله صلى الله عليه و سلم : (حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ , ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ . فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيَلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ أَوْ الْحَيَاةِ شَكًّا مَالِكٌ فَيَبْتَبُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً قَالَ وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو الْحَيَاةِ وَقَالَ خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ .) (1157)

و قد تم الربط بين الجمل فيما تقدم من الأحاديث القدسية من خلال وسائل الربط : (الواو - الفاء - أو) , و قد احتوى هذا الحديث القدسي معظم أدوات الربط الإضافية فـ(الواو) مرة واحدة , و (أو) هي كذلك مرة واحدة , بينما (الفاء) تكرر ذكرها ثلاث مرات . و قد فرق عبد القاهر الجرجاني (بين (الواو) - و هي من أشهر حروف العطف - و الفاء التي توجب , فضلا عن الاشتراك في الحكم , الترتيب ... و (أو) التي تفيد

1155 - سعيد يقطين : السرد العربي مفاهيم و تحليلات , رؤية للنشر و التوزيع , ط 1 : 2006 م , ص : 72 .

1156 - طه جابر العلواني : نحو منهجية معرفية قرآنية , محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة , دار

الفكر , ط 1 : 2009 م , ص : 109 - 110 .

1157 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 1 , ص : 270 .

التخيير..)(1158) , و على الرغم من أن هذه الأدوات اللغوية مختلفة من حيث الدلالة إلا أنها جميعا تعمل أساسا على جعل مكونات الخطاب/النص القدسي متلاحمة و أحداثها و وقائعها متتابعة تصور مشهدا من مشاهد يوم القيامة و فيه يخاطب الله تعالى (ملائكته .. و يأمرهم بإخراج من دخل النار من عباده المؤمنين , و كان ذكر الله جل ذكره يوما ما من أيام حياته , أو خاف الله تعالى في مقام ما مدة عمره ..)(1159) هذا الحدث الرئيس عملت وسائل الوصل السالفة الذكر على ربط أوصاله و جمع مكوناته و توجيهه الاتجاه الذي يريده صاحب الخطاب . فقد وصلت (الواو) بين جملتين فعليتين , وهذا يقتضي (إشراك المعطوف عليه في اللفظ و المعنى , أي في وجوه الإعراب و الحكم) (1160), لكن الجملة المعطوفة /الثانية منهما محذوفة الفعل (يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ,) و هو مؤشر كاف للتلقي حتى يملأ الفراغ و الفجوة أو يحده (من طرف وضعيته أو ما يقدمه له النص من آفاق..)(1161) , و هذا يجلي للدارس مظهرا من مظاهر خواص الحديث القدسي الذي يحرص على الاختزال و التكتيف لأنه (لو لم يكن الأمر كذلك لكان لدينا خطاب مليء بالحشو) (1162). أما أداة الوصل (أو) فجمهور النحاة يجعلها (تشرك في الإعراب دون المعنى , حيث يقع الفعل من أحد ما تشرك بينهما , لكن بعض النحاة - و على رأسهم ابن مالك - يجعلها تشرك في الإعراب و المعنى , حيث الشك واقع على كل مما تشرك بينهما)(1163). و هذا ما تجلى بقوة في هذه العبارة (في نَهْرِ الْحَيَاةِ أَوْ الْحَيَاةِ شَكٌّ مَالِكٌ) فأداة الوصل هنا قد عطفت أحد شيئين كان التشكيك في أحدهما , فقد شك (مالك) في رواية أحد اللفظين (الحياء) أو (الحياة) , لكن شراح الأحاديث القدسية قد مالوا للفظ الثانية و بها (جزم الخطابي و عليه المعنى , لأن المراد كل ما به تحصل الحياة , و الحيا بالقصر هو المطر , و به تحصل حياة النبات ,

1158 - إبراهيم خليل : في نظرية الأدب و علم النص , بحوث و قراءات , منشورات الاختلاف , ط1 : 2010 م , ص

: 228 - 229 .

1159 - محمد منير الدمشقي الأزهرى : الإتحافات السنوية بالأحاديث القدسية , ص : 301 .

1160 - إبراهيم إبراهيم بركات : النحو العربي , دار النشر للجامعات - مصر , ج5 , ص : 192 .

1161 - أحمد بوحسن : في المناهج النقدية المعاصرة , دار الأمان , ط1 : 2004 م , ص : 44 .

1162 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص , ص : 229 .

1163 - إبراهيم إبراهيم بركات : النحو العربي , ج5 , ص : 227 .

فهو أليق بمعنى الحياة من الحياء الممدود الذي هو بمعنى الخجل (1164). أما العنصر اللغوي الثالث في هذا المقام و هو (الفاء) فوجودها مقارنة بما تقدم ذكره من أدوات الوصل يعد مهيمنا ، (فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيَلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَا أَوْ الْحَيَاةِ شَكًّا مَالِكٌ فَيَبْتُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ .) فقد تكرر ذكرها ثلاث مرات متتاليات ، لكن الملاحظ أن هذا التتالي قد اخترق بأداة الوصل (أو) ، فصنع الاعتراض الذي يقتضي من المتلقي أن ينتبه إليه و يتوقف عنده مدة زمنية معتبرة حتى يختار اللفظة التي يرى أنها متناغمة مع نسيج النص و مقاصده . فـ(الفاء) له (دلالات في التراكيب عديدة منها العطف و .. الجمع و الترتيب و التعقيب) (1165) ، إلا أن الفاء هنا بمواقعها الثلاث قد عملت على تماسك الخطاب/النص من حيث الترتيب المعنوي و اللفظي معا ، هذه الظاهرة من حيث المفهوم هي (أن يكون المعطوف لاحقا بالمعطوف عليه زمانا و ذكرا أو لفظا) (1166) . حيث نجد تتابعا ملحوظا للإحداث : (إخراج - فالقاء - فإنبات) زمانا و ذكرا في التلفظ . و هذا ما يجد الدارس في بعض الأحاديث القدسية الأخرى - تقريبا - مثل :

(حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ عَنْ أَبِي صَالِحِ الزِّيَّاتِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جَنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمَ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَتَا يَرْفُثُ وَلَا يَصْخَبُ فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) . فقدت تواجدت (الواو) خمس مرات و (الفاء) أربع مرات لكن (أو) ذكرت مرة واحدة فقط . كما ذكرت مرة واحدة كذلك في الحديث القدسي الآتي : (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ فَقَالَ لَهُ أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ قَالَ بَلَى وَلَكِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَزْرَعَ قَالَ فَبَذَرَ فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاوَهُ وَاسْتَحْصَادُهُ فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ وَاللَّهِ لَا تَجِدُهُ إِلَّا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى

1164 - محمد محمد تامر و عبد العزيز محمد : صحيح الأحاديث القدسية ، دار البيان العربي ، ص : 8 .

1165 - إبراهيم إبراهيم بركات : النحو العربي ، ج5 ، ص : 215 .

1166 - المرجع نفسه ، ج5 ، ص : 215 .

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (1167) ، بينما ذكرت الواو ست مرارة و الفاء عشر مرات . و في الحديث القدسي الآتي : (حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ قَالَ سَمِعْتُ حُصَيْنَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا مَرْثَدَةَ الْغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَكُنَّا فَارِسَ ، قَالَ انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاحٍ فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرٌ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْنَا الْكِتَابُ فَقَالَتْ مَا مَعَنَا كِتَابٌ ، فَأَنخَنَاهَا فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا ، فَقُلْنَا مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنَجْرِدَنَّكَ فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ فَأَنْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعَنِي فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ حَاطِبٌ وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا فَقَالَ عُمَرُ إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعَنِي فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ فَقَالَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ ااعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجِبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) (1168) ، فقد ذكرت (أو) مرتين في قوله : (لَنُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنَجْرِدَنَّكَ) و قوله : (فَقَدْ وَجِبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ) ، و الاختلاف الدلالي واضح بين استعمال أو في التركيب الأول و في التركيب الثاني ، ففي هذا الأخير نحس بشك الراوي بين إيراد لفظة (وجبت) و لفظة (غفرت) ، بينما أو في التركيب الأول فإن المعنية مخيرة بين أن تعطي ما عندها طوعا أو أن يؤخذ منها عنوة ، و على الرغم من ذلك يبقى المعنى الذي يمكن تصفيه هذه الوسائل الوصلية (..لا يمكن أن يمسه إلا كصورة ، و الصورة تتطلب ملاً لما أهملته بنيات النموذج النصية ، و المعنى هو وقع تجب معاناته) (1169) . و زيادة على ذلك فقد أسهم في بناء هذا الربط و تماسكه على مستوى الحديث القدسي وحدة المخبر/المرسل ، لأن هذه الأحاديث القدسية كلها هي أساسا مروية على لسان شخصية واحدة هي محمد صلى الله عليه و سلم عن ربه ليس غير .

1167 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 12 ، ص : 260 .

1168 - المرجع نفسه ، ج 17 ، ص : 127 .

1169 - أحمد بوحسن : في المناهج النقدية المعاصرة ، دار الأمان ، ط 1 : 2004 م ، ص : 44 .

و لم ينحصر الربط الإضافي في الأحاديث القدسية على بناء الحدث الرئيس من خلال تتابع الأحداث و تداعيتها , و إنما قام بوظيفة أخرى لا تقل أهمية و فاعلية عما سلف ذكره و هي البناء الوصفي داخل خطاب الحديث القدسي . فالحديث القدسي عموماً يعتبر من الخطابات/النصوص السردية التي يتخللها غالباً الوصف الذي يقطع تتابع الأحداث و تدفقها . و هذا يعمل عادة على إظهار (دور الربط الإضافي في تقديم معلومات عن المراجع المستخدمة في بناء النص عبر مجموعة من الجمل المتتابعة) (1170) , و هذا الذي نلامسه في وصف المراجع الآتية في الحديث القدسي المتعلق بإمكانية رؤية الله تعالى يوم القيامة : (حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا أَنَّ النَّاسَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ وَتَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَيَدْعُوهُمْ فَيَضْرِبُ الصِّرَاطَ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمْرِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَخَطَّفُ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبِقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرَدِلُ ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ مُقْبِلٌ بَوَجْهِهِ قَبْلَ النَّارِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي

ذَكَوْهَا فَيَقُولُ هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ فَيَقُولُ لَأَوْعِزْتُكَ فَيُعْطِي اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ رَأَى بِهَجَّتِهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ قَدِمْنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَأَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَأَكُونَ أَشْقَى خَلْقِكَ فَيَقُولُ فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَأَسْأَلَ غَيْرَهُ فَيَقُولُ لَأَوْعِزْتُكَ لَأَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَقْدِمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسَّرُورِ فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ ادْخُلْنِي الْجَنَّةَ فَيَقُولُ اللَّهُ وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَأَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَأَجْعَلَنِي أَشْقَى خَلْقِكَ فَيَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ تَمَنَّى فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أُمْنِيَّتُهُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَوْلَهُ لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ (1171) عبر تتابع إضافي للجمل . فالمرجع (القمر) يصفه بقوله :

(هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ) و ثم يصف المرجع الثاني (الشمس) بقوله (فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ) ثم يصف المرجع الثالث (المنافقون) بقوله (وَتَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانَنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَيَدْعُوهُمْ) , و لهذا فالربط الإضافي من أهم وسائل التي تعمل على بناء الحديث القدسي الواحد سواء أكان ذلك من خلال (إضافة حدث إلى حدث لبناء الحدث الرئيس , أو من خلال إضافة خبر إلى خبر لبناء الوصف داخل ..) الحديث القدسي ...

و إذا نظر الدارس إلى الأحاديث القدسية كلها على أنها نص واحد كبير يجد أن أدوات الربط الإضافي تعمل عبر مختلف النصوص القدسية على تحقيق التماسك النصي و اتساق مكوناته المختلفة و ذلك من خلال تتابع وسائل الربط بين الكلمات و الجمل و

1171 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 117 .

المتتاليات الجمالية كذلك , كما أن وحدة الناص تعمل إلى حد بعيد في تداخل هذا التماسك و تعالقه , و ذلك ما يجده في قوله صلى الله عليه و سلم : (حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل صلى الله عليه وسلم اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكرياء صلوات الله عليهما فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم إذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قال وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب ودعا لي بخير قال الله عز وجل : (ورفعناه مكانا عليا) , ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قال وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون صلى الله عليه وسلم فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم فرحب ودعا لي بخير ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو

يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى وإذا ورقها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف على أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمسا قال إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحيت منه (1172) حيث وردت فيه أدوات الوصل على الشاكلة الآتية :

و	ف	ثم	حتى	أو	أم	بل	لكن	لا	المجموع
30	61	10	3	0	0	0	0	0	104

و كذلك هذا الحديث القدسي المتعلق بالفتن وأشرط الساعة الذي ذكر فيه الدجال وصفته وما معه (عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامروا حجيجه نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طائفة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح

1172 - النووي : صحيح مسلم , ج 2 ص : 261 .

سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كمشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما إسرعه في الأرض قال كالغيث استديرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمه خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوهم فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور وبيعت الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النعف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ومنتهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة

من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهاجون فيها تهاجر الحمر فعليهم تقوم الساعة) (1173). وفيه انتشرت عناصر الوصل اللغوية بكثافة بحيث شكلت في الأخير هذا الكم العددي المعتبر الذي يجسده هذا الجدول .

و	ف	ثم	حتى	أو	أم	بل	لكن	لا	المجموع
42	54	7	6	0	0	0	0	0	109

إذ تتنوع الروابط كما هو مثبت في الجدول السابق بين الجمل المتتالية و المتعاقبة , حتى تشكل في الأخير خبرة متموضعة في بنية كلية واحدة متشابكة و متماسكة .

2 - الربط السببي :

من أهم العناصر اللغوية و الأدوات المعبرة على هذا النوع من أنواع الربط الوصلي : (بل - لكن - لا) . و يوضح الجدول البياني (1) الآتي أن أولى الملاحظات في هذه المحطة أن العنصر اللغوي الذي فرض حضوره في الأحاديث القدسية هي أداة الربط (لكن) وحدها , و قد ذكرت ست مرات (06) أي بنسبة مئوية قليلة تقدر بـ (0.15 %) , بينما لم ترد الأداة (بل) و لا (لا) و لو مرة واحدة في كل الأحاديث القدسية/مدونة البحث

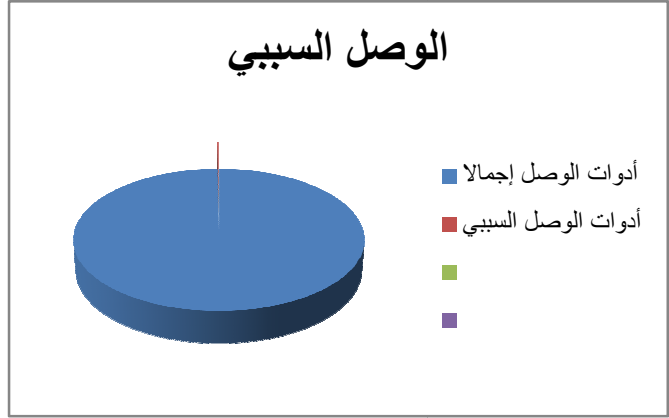
الجدول البياني (1)

السببي			
لا	لكن	بل	
00	06	00	
06			المجموع

الرسم البياني (2) :

و أما الرسم البياني (2) فإنه يبين لنا المساحة التي يحتلها الوصل السببي في مساحة الأحاديث القدسية كلها , هذه المساحة التي لا تكاد تذكر مقارنة بما تقدم ذكره :

1173 - النووي : صحيح مسلم , ج 9 , ص : 191 .



وآية ذلك تتجلى في الحديث القدسي الآتي : (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانَ حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ حَدَّثَنَا هَلَالٌ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ قَالَ أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) وَحِرْزًا لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمِيْتُكَ الْمَتَوَكَّلُ لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٌ وَلَا سَخَابٌ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بَأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عَمِيًّا وَآذَانًا صَمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا) (1174) . و من أهم وظائف هذه الأداة هي أنها تعمل على الربط بين الجمل في الحديث القدسي وفقا لعلاقة : السبب بالنتيجة . هذا و تتداخل علاقة السبب و النتيجة مع علاقات الربط الأخرى في بناء البنية الدلالية الكبرى و المعاني المكرورة في النص .

يحكم المنطق الدلالي العلاقة السببية الناتجة عن التفاعل الدلالي على نحو ما نجده في الحديث القدسي : (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانَ حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ حَدَّثَنَا هَلَالٌ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ قَالَ أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) وَحِرْزًا لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمِيْتُكَ الْمَتَوَكَّلُ لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٌ وَلَا سَخَابٌ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بَأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عَمِيًّا وَآذَانًا صَمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا) (1175) .

1174 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 11 ، ص : 345 .

1175 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 11 ، ص : 345 .

أما في هذا الحديث القدسي الطويل نسبيا (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هَلَالٍ عَنْ زَيْدٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ هَلْ تَضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا قُلْنَا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ لَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا ثُمَّ قَالَ يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَعَبْرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ثُمَّ يُؤْتَى بِهِمْ تَعْرُضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ فَيَقَالُ كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ فَمَا تَرِيدُونَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا فَيَقَالُ اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فَيَقُولُونَ كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ فَيَقَالُ كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ فَمَا تَرِيدُونَ فَيَقُولُونَ نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا فَيَقَالُ اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ فَيَقَالُ لَهُمْ مَا يَحْسِبُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ فَيَقُولُونَ فَارْقَنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَيْهِ الْيَوْمَ وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ فَيَأْتِيهِمْ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ فَيَقُولُ هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ فَيَقُولُونَ السَّاقُ فَيَكْتَشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسَمْعَةً فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيَجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ قَالَ مَدْحَضَةٌ مَرَّلَةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطْحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالْجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٌ مُسَلَّمٌ وَنَاجٌ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ وَيَحْرِمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا) فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ بِقِيَّتِ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتَحَسُوا فَيُلْقُونَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبِتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبِتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ فَيُخْرِجُونَ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ فَيَجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمَ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ

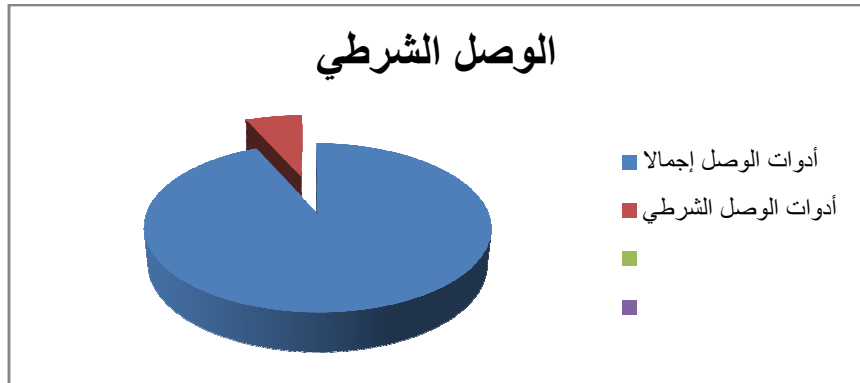
أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه وقال حجاج بن منهال حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهيموا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا قال فيقول لست هناكم قال ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهى عنها ولكن اتوا نوحا أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن قال فيأتون إبراهيم فيقول إني لست هناكم ويذكر ثلاث كلمات كذبهن ولكن اتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول إني لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس ولكن اتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته قال فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن اتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فاستأذن علي ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقول ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط قال فأرفع رأسي فأنتني على ربي ببناء واشفع تشفع وسل تعط قال فأرفع رأسي فأنتني على ربي ببناء فإخرجهم الجنة قال قتادة وسمعتهم أيضا يقول فإخرج فإخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثانية فاستأذن علي ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط قال فأرفع رأسي فأنتني على ربي ببناء واشفع تشفع وسل تعط قال فأرفع رأسي فأنتني على ربي ببناء فإخرجهم الجنة قال قتادة وقد سمعتهم يقول فإخرج فإخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود قال ثم تنا هذه الآية (عسى أن يبيعتك ربك مقاما محمودا) قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم (1176) . حيث تشكل هذه العبارة (ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهى عنها) سببا تعقبه نتيجة مؤداها (اتوا نوحا أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض) . و الشيء نفسه مع ما بقي من

استعمالات (لكن) في هذا الحديث القدسي , دون أن نستثني قوله : (فَيَأْتُونَ عَيْسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنْ أَنْتُمْ مَحْمَدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فهي تحمل الوظيفة نفسها ...

و على هذا الأساس تتتابع أدوات الربط السببية فتصنع منظومة من العلاقات تربط بين المشاهد في الأحاديث القدسية .

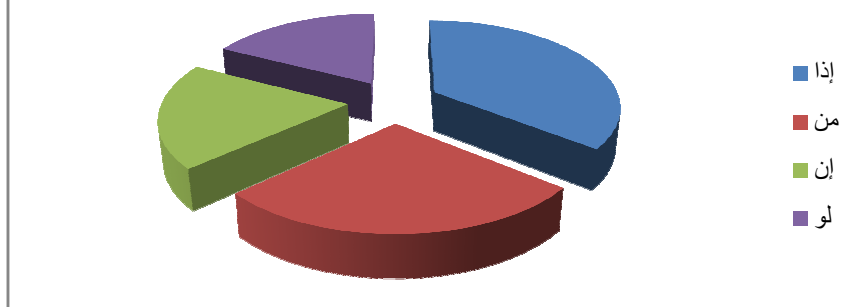
3 - الربط الشرطي :

أما العناصر اللغوية التي تعبر على الربط الشرطي فهي : (إذ - لو - إن - من - مهما - لولا) , و تستعمل هذه الأدوات في الجمع بين جملتين متعاقبتين . و الأدوات الشرطية الوصلية التي طفت على سطح بنية خطاب الحديث القدسي و كانت حاضرة في تكوين نسيجه اللغوي و تماسك مكونات التواصلية يمكن حصرها في في الأدوات الآتية : من - إذا - إن - لو . و قد ذكرت جميعا (98) مرة أي بنسبة مئوية تصل إجمالاً (6.99 %) .



و قد تمثلت هذه الأدوات بداية في أداة الوصل الشرطية (إذا) التي احتلت المرتبة الأولى من حيث الحضور في خطاب الحديث القدسي , مقارنة بالأدوات الوصلية الشرطية الأخرى بـ(35) مرة بنسبة مئوية مقدرة بـ(71 . 35 %) , ثم تليها (من) بـ(27) مرة و نسبتها المئوية محددة بـ (27.55 %) , أما (إن) فقد ذكرت في الأحاديث القدسية (19) مرة أي بنسبة مئوية تصل إلى (19.38 %) , و يأتي في المرتبة الأخيرة (لو) و قد تكرر ذكره بـ(17) مرة و نسبتها المئوية مقدرة بـ(17.34 %) .

أدوات الوصل الشرطي



و هذا ما نجده في قوله صلى الله عليه و سلم : (يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يَرْيَحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذَكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي انْتُوا نُوحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذَكُرُ سُؤَالَ رَبِّهِ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ فَيَسْتَحِي فَيَقُولُ انْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ انْتُوا مُوسَى عَبْدًا كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذَكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بِغَيْرِ نَفْسٍ فَيَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ فَيَقُولُ انْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ انْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهُ وَقُلْ يُسْمَعُ وَأَشْفَعُ تُشْفَعُ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَهُ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجِبَ عَلَيْهِ) (1177) . و الربط الشرطي هو أحد أنواع الربط المستخدمة في النص لبناء كلام الرسول صلى الله عليه و سلم الذي يختلف من حديث قدسي إلى آخر ، و لذلك فعلى الرغم من الاستخدام القليل لهذا النوع من أنواع الروابط ، إلا أن الدارس يلاحظ تنوعا في توظيفها ، و هذا ما ورد في هذا الحديث القدسي : (حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا أَنَّ النَّاسَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ هَلْ تَمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ قَالُوا لَا

1177 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 18 ، ص : 107 .

يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يُحْشَرُ
النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ وَتَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانَنَا
حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ
الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرَّسْلِ بِأَمْنِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرَّسْلُ وَكَلَّمَ
الرَّسْلُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ قَالُوا
نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظْمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَخَطَّفَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ
مَنْ يُوبِقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرَدَلُ ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ
الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ
تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَ مَنْ النَّارِ فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَ مَنْ النَّارِ قَدْ
امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ
بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دَخَلُوا الْجَنَّةَ مُقْبِلِينَ بِوَجْهِهِ قَبْلَ النَّارِ فَيَقُولُ
يَا رَبِّ أَصْرَفَ وَجْهِي عَنِ النَّارِ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا فَيَقُولُ هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِكَ
أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ فَيُعْطِي اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيُصْرَفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ
فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ رَأَى بِهَجَّتِهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ قَدَّمَنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ
فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَا أَكُونُ
أَشْقَى خَلْقِكَ فَيَقُولُ فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ
فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنْ
النُّضْرَةِ وَالسَّرُورِ فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَدْخَلْنِي الْجَنَّةَ فَيَقُولُ اللَّهُ وَيْحَكَ يَا ابْنَ
آدَمَ مَا أَعْدَرَكَ أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي
أَشْقَى خَلْقِكَ فَيُضْحِكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ ثُمَّ يَأْذُنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ تَمَنَّ فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ
أُمْنِيَّتُهُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ ذَلِكَ
وَمِثْلُهُ مَعَهُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِلَّا قَوْلَهُ لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ (1178) . و
قوله صلى الله عليه وسلم : (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ
يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتُكُمْ قَالَ فَيُحْفَوْنَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى

السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُجَدِّدُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ نَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ نَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلْبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ نَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ فَيَقُولُ فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ قُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ هُمْ الْجُلَسَاءُ نَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ رَوَاهُ شُعْبَةُ عَنِ الْأَعْمَشِ وَلَمْ يَرْفَعْهُ وَرَوَاهُ سَهِيلٌ عَنِ أَبِيهِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁽¹¹⁷⁹⁾. هذا لا يعني أن الربط الشرطي قد اقتصر على الجمل المتعاقبة فقط ، بل تواجد بين الجمل غير المتعاقبة ، على غرار ما جاء في نص هذا الحديث القدسي : (عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَقَالَ غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ بَخْرَجَ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَبِيبُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ بَخْرَجَ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَاْمُرُوا حَبِيبَ نَفْسِهِ وَاللَّهِ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَائِفَةٌ كَأَنِّي أُشْبِهُهُ بَعْدَ الْعَزِيِّ بْنِ قَطَنِ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاتَّبِعُوا قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لُبُّنُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمًا كَسَنَةٍ وَيَوْمًا كَشَهْرٍ وَيَوْمًا كَجَمْعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةَ يَوْمٍ قَالَ نَا أَقْدَرُوا لَهُ قُدْرَةَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ كَالْعَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتَنْبِتُ فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُحَلِّينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمْرُ بِالْخَرِيبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكَ فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِنًا شَبَابًا فَيُضْرِبُهُ بِالسِّيفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَةَ الْغُرْضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبَلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ فَيَبِينُ مَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفِيهِ عَلَى أَجْنِحَةٍ مَلَكِينَ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرًا وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جَمَانٌ كَاللُّوْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عَيْسَى

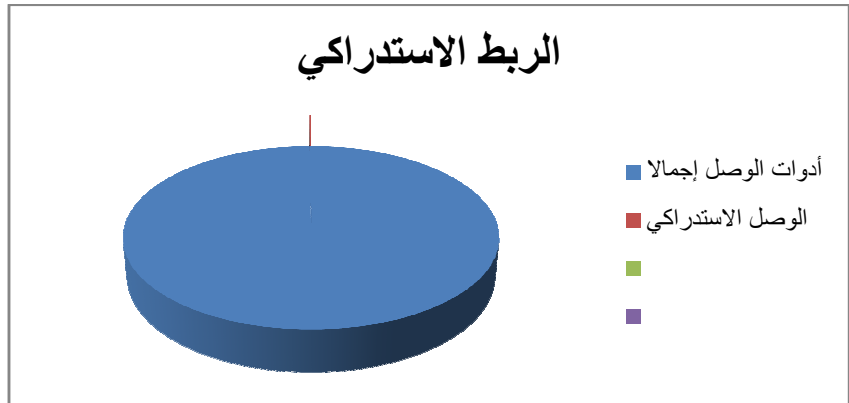
ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمنح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فيبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبدا لي لا يذان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النعف في رقابهم فيصيحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ومنتهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك ورددي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الأبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فيبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت أباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمير فعليهم تقوم الساعة حدثنا علي بن حجر السعدي حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر والوليد بن مسلم قال ابن حجر دخل حديث أحدهما في حديث الآخر عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بهذا الإسناد نحو ما ذكرنا وزاد بعد قوله لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما وفي رواية ابن حجر فإني قد أنزلت عبدا لي لا يدي لأحد بقتالهم⁽¹¹⁸⁰⁾ . فتصير الإطالة عبر الإضافة في الجمل المتلاحقة بعد جملة الشرط وسيلة للمتلقى لتشويقه ، و رسم صورة متكاملة للرؤية الإسلامية لقواعد المنهج التوحيدي للمعرفة الإيمانية فالإنسان العربي قد فهم رسالة التوحيد (ضمن خصائص تكوين الإنسان العربي الموضوعية الماضية ، التي كانت بطيئة و محدودة اجتماعيا و فكريا ، بالقياس إلى خصائص التكوين الحضاري العالمي الراهنة ... حيث تسيطر عقلية الإدراك المنهجي للامور ، و البحث عن علاقاتها الناظمة لها بطرق تحليلية و نقدية ، توظف الأطر العلمية المختلفة ، و تربطها بموضوعات حضارية متشعبة و

علاقات متنوعة , فلا بد من إعادة النظر في علوم وسائل فهم النص و خدمته و قراءته , قراءة الجمع مع الكون و التداخل المنهجي معه ...)(1181) .

أما تكرار - في بعض الأحيان - بعض الروابط الشرطية فيشكل (عناقيد للربط) (1182) , و هذا ما يتجلى في قوله صلى الله عليه و سلم : (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأِ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)(1183) .

4 - الربط الاستدراكي :

(لكن - بل) أداتا الربط المعبرة عن الربط الاستدراكي , و هما من وسائل الربط القليلة الانتشار و الاستخدام في الحديث القدسي مقارنة بأدوات الوصل السالفة الذكر , بل لم تستعمل الأحاديث القدسية من هذين الرابطين إلا (لكن) فقط بـ(17) مرة أي بنسبة مئوية تقدر بـ(1.21%) .



فقد نجده في هذا الحديث القدسي : (عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ قَالَ أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْمَتَوَكَّلَ لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ بِأَنَّ

1181 - طه جابر العلواني : نحو منهجية معرفية قرآنية , ص : 110 - 111 .

1182 - عزة شبل محمد : علم لغة النص , النظرية و التطبيق , ص : 167 .

1183 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 25 , ص : 151 .

يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَفْتَحْ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا وَآذَانًا صَمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا (1184) ، و كذلك في نص هذا الحديث القدسي الطويل نسبيا : (عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ هَلْ تَضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا قُلْنَا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ لَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا ثُمَّ قَالَ يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَغَيْرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تَعْرُضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنَ اللَّهِ فَيَقَالُ كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَالدَّ فَمَا تُرِيدُونَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا فَيَقَالُ اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ ثُمَّ يَقَالُ لِلنَّصَارَى مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فَيَقُولُونَ كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ فَيَقَالُ كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَالدَّ فَمَا تُرِيدُونَ فَيَقُولُونَ نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا فَيَقَالُ اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ فَيَقَالُ لَهُمْ مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ فَيَقُولُونَ فَارْقَانَهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَيْهِ الْيَوْمَ وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ فَيَقُولُ هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ فَيَقُولُونَ السَّاقُ فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسَمْعَةً فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيَجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ قَالَ مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيقَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبُرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالْجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَادِيَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ وَيَحْرِمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَأَفْرَعُوا (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا) فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ اِمْتَحَشُوا فَيُلْقُونَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ

فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللَّوْلُؤُ فَيَجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ هُوَءَاءِ عَتَقَاءِ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرَ قَدَمُوهُ فَيَقَالُ لَهُمْ لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ وَقَالَ حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَهْمُوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ لَتَشْفَعَنَّ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا قَالَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ قَالَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكَلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نَهِيَ عَنْهَا وَلَكِنْ أَتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَكِنْ أَتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ قَالَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ وَلَكِنْ أَتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ وَلَكِنْ أَتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ قَالَ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنْ أَتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذِنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي فَيَقُولُ أَرْفَعُ مُحَمَّدٌ وَقُلْ يُسْمَعُ وَأَشْفَعُ تَشْفَعُ وَسَلْ تُعْطَى قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَتْنِي عَلَى رَبِّي بِنِئَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمْنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأَخْرُجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذِنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي فَيَقُولُ أَرْفَعُ مُحَمَّدٌ وَقُلْ يُسْمَعُ وَأَشْفَعُ تَشْفَعُ وَسَلْ تُعْطَى قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَتْنِي عَلَى رَبِّي بِنِئَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمْنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأَخْرُجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّلَاثَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذِنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي فَيَقُولُ أَرْفَعُ مُحَمَّدٌ وَقُلْ يُسْمَعُ وَأَشْفَعُ تَشْفَعُ وَسَلْ تُعْطَى قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَتْنِي عَلَى رَبِّي بِنِئَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمْنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأَخْرُجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ قَالَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) قَالَ وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (1185).

و مما تقدم يلاحظ الدارس أن أدوات الوصل بالأداة داخل خطاب/نص الحديث القدسي بأشكاله المختلفة الربط الإضافي و الربط السببي و الربط الشرطي و الربط الاستدراكي قد تنوعت وتباينت نسبة حضورها من حديث قدسي إلى آخر , و ساهمت بطريقة مباشرة

في تماسك الخطاب و تلاحمه و تعاقب أحداثه , بحيث شكلت تعالقا متميزا داخل النص على المستوى الكمي أو المستوى الكيفي . و يجلي هذا المستوى الأخير أكثر و يبين دوره في الكشف على طبيعة خطاب الحديث القدسي و نوعه ما سنعرضه من خلال الجدول الآتي :

الوصل									
	الشرطي	السببي	الاستدراكي		الإضافي				
			أم	أو	حتى	ثم	ف	و	
		بل لكن لا		1			2	1	
4							3	1	
4						1	1	4	
6					1	3	8	2	
14					4	4	42	19	
76	من/1 أذا/4 من/2						3	7	
10							3	1	
7	من/3					2	9	1	
13	نو/1				3	4	10	6	
25	إذا/1 من/1			1			4	5	
10		لكن/1			1			9	
11						1	2	3	
6						2	6	3	
11				1			10	6	
17							7	6	
13							2	4	
6							1	1	
2									

7						1	5	1	
3							1	2	
13					1	1	7	4	
4	1/نو						2	1	
9							7	2	
20				1		1	10	8	
13						1	10	2	
6					1		5		
12	1/إذا					2	8	1	
41				2	1		23	15	
57	1/نو 2/إذا				2	5	32	15	
6							1	5	
5							5		
2						1		1	
1								1	
7	1/إن 1/من						4	1	
20	2/من						6	12	
2	1/إذا						1		
0									
8						1	3	4	
32	1/إذا 6/نو						12	13	
2	1/إذا					1			
13	2/من 1/إن					1	6	3	
11							6	5	
5	1/نو						3	1	

1	إذا/1								
24				2	1		17	4	
3					1		2		
3						1		2	
3							3		
2								2	
2					1		1		
2						1		1	
3							1	2	
12	أذا/1 إن/5						1	5	
2						1		1	
301	إذا/3 من/4 نو/1	لكن/5		2	6	13	101	68	
1							1		
2								2	
16	إذا/2 إن/3				1		8	2	
3	إذا/2							1	
0									
17				2		4	9	3	
6							5	1	
1								1	
1								1	
4				2			1	1	
	من/16 إذا/19 نو/12	6		14	26	52	447	291	المجموع

	8/إن								
									مسلم
01								1	
09	إذا/2 إن/2						2	3	
06	من/2 إن/2				1		1		
104					3	10	61	30	
07							5	2	
20							16	4	
11	إذا/1						5	5	
23							10	13	
09							6	3	
15	إذا/5						3	7	
03						1	1	1	
03							2	1	
05							4	1	
08					1	1	5	1	
03				1			1	1	
04							3	1	
00									
12	نو/2						6	4	
33	نو/3 من/1					1	12	14	
03	من/1						1	1	
10	إن/5							5	
05	إذا/3							2	
06	إذا/3			1				2	
15	من/6			1			2	6	

20						2	12	6	
02					1			1	
09							6	3	
07					3		1	3	
12							7	5	
08	إذا/2					1	2	3	
113	إن/2 من/1 إذا/1				6	7	54	42	
13						1	9	3	
00									
	من/11 إذا/16 لو/5 إن/11			3	15	24	239	174	المجموع
	من/27 إذا/35 لو/17 إن/19	6		17	41	76	686	465	المجموع النهائي

من خلال هذا الجدول نتبين النقاط الآتية :

- تعدد أنواع الربط الوصلي في خطاب/نص الحديث القدسي بين اضافي و سببي و شرطي و استدراكي .

- أكثر أنواع الوصل ورودا في الحديث القدسي الربط الإضافي بـ(1168 حالة), و يليه الربط الشرطي (98 حالة) , ثم يأتي في المرتبة الثالثة الربط الاستدراكي بـ(17 حالة) , و في الأخير الربط السببي بـ(6 حالات) فقط . إلا أن هذا الاختلاف الكمي بين رابط و آخر لم يمنع من أن تكون متفاعلة فيما بينها و متداخلة , مما مكنها من أن تعمل في

كلية متجانسة على المحافظة على استمرارية الخطاب/النص القدسي و تفاعله مع القارئ

- تتفاوت نسبة استخدام أدوات الوصل في الحديث القدسي تبعاً لطول الخطاب/النص في الكثير من الأحيان , فنجد ارتفاع هذه النسبة - مثلاً - مع الحديث القدسي الذي يتحدث فيه صلى الله عليه وسلم عن رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة , الذي مر بنا آنفاً (قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا....)(1186) . في حين تنخفض نسبة التواجد هذه مع الأحاديث القصيرة نسبياً و ذلك من مثل قوله صلى الله عليه وسلم : (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارَ) (1187) .

الوصل و تماسك النص القدسي:

الوصل وسيلة فاعلة من وسائل انسجام النص و تماسكه , يقوم بدور كبير في تلاحم مكونات الخطاب و تعالق بنياته اللغوية عبر محورين :

الأول : التعاقب : الذي يعمل على استمرارية المعنى , حيث تتوالى الروابط في سطح النص , بحيث تحافظ على تدفق المعاني و تعطي لها حركية مميزة تحافظ على شد المتلقي نحو النص و تفاعله مع الخطاب دون أن يحس برتابة معينة أو فراغات تحول دون وضوح المعنى لديه . الثاني : المرجعية : و تتمثل في إحالة الجملة المعطوفة على الجملة المعطوفة عليها , بحيث لا يتم استيعاب المضمون الحقيقي للجملة السابقة إلا بالعودة عن طريق أداة الوصل إلى الجملة اللاحقة , فتكتمل حينئذ الصورة الدلالية المقصودة من قبل الناص لدى المتلقي .

يجب على الدارس للخطاب/النص القدسي ألا ينظر إلى وسائل الوصل السالفة الذكر من زاوية كونها واحدة من أهم الامكانيات اللغوية المؤسسة لتماسك البنية الشكلانية/السطحية لخطاب الحديث القدسي - فقط - بفعل طبيعتها الأولية , و هي الربط و الضم , و إنما عليه أن يوسع من مجال الرؤية و يتأمل بعداً مهماً تعمل أدوات

1186 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 25 , ص : 192 .

1187 - المرجع نفسه , ج 25 , ص : 237 .

الوصل على تحقيقه فعليا و المتمثل في (الزاوية المقابلة أي الاختزال)⁽¹¹⁸⁸⁾ , هذا الأخير يسهم بفاعلية في ضغط الرسالة اللغوية و تحييزها في فضاء مكثف دلاليا يجعله بعيدا عن بعض المثيرات السلبية التي يمكن أن يحدثها التكرار غير الفني مثلا في نفسية المتلقي , مما يدفعه إلى الاعراض و عدم الاستجابة للخطاب جملة و تفصيلا .

و لهذا السبب و غيره يمكن النظر إلى أدوات الوصل من خلال تفاعلها داخل خطاب الحديث القدسي على أنها متعددة الوظائف و الأدوار خاصة إذا كانت متموقة بفنية في مفاصل الخطاب و بين عناصره اللغوية التي لا يمكننا الاستغناء عنها مهما كان الأمر . و من هنا عملت أدوات الوصل في الحديث القدسي على الربط بين أجزاءه التكوينية و مفاصله و (تكثيف الخطاب عن طريق الاختزال)⁽¹¹⁸⁹⁾ , كل ذلك حتى لا يتعرض الخطاب للارتخاء و الترهل المعيق للفعل التواصلي بين المرسل و المتلقي .. و لهذا يتأكد للباحث أن وسائل الوصل ليست أدوات محققة لضم المكونات اللسانية للخطاب بعضها ببعض , و إنما هي - زيادة على ذلك - وسائط (لجعل الخطاب أكثر أناقة و ذلك بإلغاء التعابير المعبرة عن نفس الفكرة)⁽¹¹⁹⁰⁾ .

و من الملاحظات الواجب الإشارة إليها في هذا المقام , هو أن وسائل الوصل هذه لا تؤسس علاقة ترابطية /اختزالية بين مكونات الخطاب القدسي هكذا بطريقة آلية بحتة , و إنما تفعل إمكاناتها و تفجر طاقاتها الكامنة حينما تنعقد علاقة مؤسسة بين العناصر المترابطة فيما بينها في عالم الناص الإدراكي , و قد انتبه لهذا الجرجاني حينما أكد أنه (ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق , بل أن تناسقت دلالاتها و تلاقى معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل)⁽¹¹⁹¹⁾ . (ترتيب المعاني في النفس , ثم النطق بالألفاظ على حذوها)⁽¹¹⁹²⁾ و (و ينزلها و يبني بعضها على بعض)⁽¹¹⁹³⁾ . هي إذا العملية التي يجريها صاحب الخطاب حتى يجعل له مصداقية لدى المتلقي . لكن ذلك لن

1188 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 228 .

1189 - المرجع نفسه , ص : 228 .

1190 - المرجع نفسه , ص : 229 .

1191 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز , ص : 56 .

1192 - المرجع نفسه , ص : 57 .

1193 - المرجع نفسه , ص : 58 .

يتحقق له إلا بعد طول تأمل , سواء أكان ذلك على مستوى المتلقي أو على مستوى المرسل نفسه , بل للبنية الكلية للخطاب/النص - هنا - سهم لا ينكر و حضور لا يدفع في تحقيق كينونة الخطاب/النص من زاوية حضورية وسائل الوصل و فاعليتها .

الوصل و تلقي الخطاب القدسي

إن (وضعية القارئ و قدراته و ممتلكاته التي تسمح له بانجاز القراءة .. و الآفاق التي يسمح بها أثناء القراءة)⁽¹¹⁹⁴⁾.. هذا النوع من المتلقين لا يطمئن لخطاب/نص ما , و لا يدخل معه في عملية تفاعلية ما لم يقتنعه بأنه متماسك . و لهذا فاتباق النص من السمات الأساسية و الأولية التي تغري المتلقي ليدخل في عملية نسج علاقات متشابكة و متفاعلة بينه و بين الخطاب/النص .. و الأحاديث القدسية الموجزة منها و الطويل نسبياً حقت هذه الخاصية بامتياز , و في الوقت نفسه جسدت (الجمع في الكلم - بلاغة - و .. الدلالة على مواقف من الحياة)⁽¹¹⁹⁵⁾ الأخروية - في أغلب الأحيان - النابضة بالحركة و التصوير... كل هذه المزايا هي في الأساس (قيم عالية تحملها اللغة العربية)⁽¹¹⁹⁶⁾ التي احتضنت الحديث القدسي و انفعل بها متلقيه الذي يحس أن للحديث القدسي ذوقاً متميزاً يستشعر من اللحظة الأولى التي يولد فيها التقارب المعرفي و التفاعل الإيجابي بين (القطب الفني)⁽¹¹⁹⁷⁾ / الحديث القدسي و (القطب الجمالي)⁽¹¹⁹⁸⁾ / انجاز المتلقي . و إذا ما تتبع الدارس الوسائل اللغوية التي تعمل مباشرة على تقديم الخطاب إلى القارئ في شكل يشي بالتماسك و المقبولية , فإنه و اجد لا محالة أدوات الوصل بمختلف أنواعها تتصدر القائمة و تتراحم على المرتبة الأولى .. إذ لا نكاد نعثر - إلا نادراً - على خطاب يخلو تماماً من أدوات الوصل .

و من هذا المنطلق , فعندما نتأمل الأحاديث القدسية نلاحظ من خلال الروابط التي عملت على إخراجها في صورة مميزة , نجد أدوات الوصل لها حضور قوي في فضاء

1194 - أحمد بو حسن : في المناهج النقدية المعاصرة , دار الأمان , ط 1 : 2004 م , ص : 44 .

1195 - عبد الرحمن بودرع : جوامع الكلم في البيان النبوي , نحو دراسة لغوية لبلاغة الجمع و الإيجاز في الحديث النبوي , مكتبة سلمى الثقافية ط : 2005 م , ص : 56 .

1196 - المرجع نفسه , ص : 56 .

1197 - أحمد بو حسن : في المناهج النقدية المعاصرة , ص : 44 .

1198 - المرجع نفسه , ص : 44 .

النص القدسي , بعد أن أتخذ أشكالا متنوعة , فقد تجلّى في الربط بين كلمتين أو أكثر أو بين جملتين فأكثر أو بين فقرتين فأكثر ... و الملاحظة الأولية هو أنه كلما كان نص الحديث القدسي طويلا كثرت فيه أدوات الوصل و تنوعت بل و تموقعت في مفاصله , بحيث يشكل حذفها ارباكا للنص كله و خروجا به عن طبيعته التي تميزه عن باقي الخطابات الشرعية الأخرى , و نعني بذلك القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف . و لهذا فالحديث القدسي (وجه عملي للقرآن الكريم , و تطبيق متفوق لبلاغته و فصاحته و نسقه و بيانه , و له قدرة عالية على الوضع و الإبتكار , و التشقيق من الألفاظ , فهو يعترف من معين كتاب الله , و يستجيب)⁽¹¹⁹⁹⁾ لمقاصده الكبرى العقديّة و التصورية الكلية ...

انطلاقا مما تقدم فالمتلقي مطالب بأن يتجاوز في مقاربتة للخطاب/النص القدسي فضاء البنية السطحية و بعدها الشكلاني إلى محاولة البحث عن طبيعة العلاقات التي تربط بين مكونات الخطاب و مبرراتها . فمما لا شك فيه أن الفهم و التأويل قد تعتريهما العطالة و الشلل و خيبة الأمل (ما لم تدرك العلاقة بين هذه العناصر) المشكلة للخطاب . و بالتالي فالمتلقي لخطاب الحديث القدسي ينبغي له أن يستحضر منطلقات أساسية و هو يتعامل مع هذا النوع المتميز من الخطاب الشرعي , بحيث أن ينطلق - ابتداء - من فهم ضمني لطبيعة الحديث القدسي باعتباره خطابا موجها (إلى العباد و الذي يمس النفس و العقل , من أجل تربية إيمانية سامية قائمة على صفاء روحي و نقاء وجداني ...)⁽¹²⁰⁰⁾ يقتضي من المتلقي له أن يتحلى بسلوكات قرائية و بحثية معينة (حيث تلتقي فيها أنظمة العقل مع أنظمة الواقع , مع المزاج و الميل , مما يستدعي إيجاد نوع من الدمج و الملاءمة بينها)⁽¹²⁰¹⁾ , و لهذا فإن افتقار المتلقي لخطاب الحديث القدسي لهذه المعارف القبلية يفقده كمتلق فرصا كثيرة تتيح له القدرة على فتح مغاليق الخطاب

¹¹⁹⁹ - عبد الرحمن بودرع : جوامع الكلم في البيان النبوي , نحو دراسة لغوية لبلاغة الجمع و الإيجاز في الحديث

النبوي , ص : 59 .

¹²⁰⁰ - أحمد إدريس عبده : الأحاديث القدسية , دار الهدى , عين مليلة , ص : 4 .

¹²⁰¹ - عبد الكريم بكار : تجديد الوعي , دار القلم - دمشق , ط 1 : 2000 م , ص : 10 .

القدسي و أسرارہ التي لا تزال في منطقة الظل , بل يصاب المتلقي بخيبة أمل تجعله يتأسف على النتائج الضئيلة المحققة مقارنة بالجهود و الوسائل الضخمة المستعملة ...

الاستبدال

في الأحاديث القدسية

واقعية الاستبدال في الحديث القدسي نظرة كلية

إن الأمر الجديد في لغة الحديث القدسي - لحظة النظر إليه من زاوية الاستبدال - أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد , و أمسها رحماً بالمعنى المراد , أجمعها للشوارد , و أقبلها للامتزاج ... بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا وطنه الأمين , و قراره المكين⁽¹²⁰²⁾ و (تكون هذه بأي وجه من وجوه الاستبدال التي انماز بها , حتى لكأن المكان الذي توضع فيه مفرد بعينها لا تصلح له غير تلك المفردة نفسها ..)⁽¹²⁰³⁾ . المراد - كما سلف - بالاستبدال تعويض عنصر لغوي بعنصر لغوي آخر في النص , حيث تستبدل وحدة لغوية سابقة بوحدة لغوية لاحق قد تكون كلمة أو فعلاً أو جملة أي علاقة وظيفية بين طرفين على مستوى نحوي - معجمي , و هو وسيلة من وسائل السبك النحوي و اتساق داخل النص كبنية كلية يدخل جملة في شبكة علائقية متداخلة و محكمة (كلما ازدادت معرفة تلك العلاقة عمقا كانت أسرار النص أو الكلام أعمق)⁽¹²⁰⁴⁾ , و من ثمة يعمل على تحقيق استمرارية تدفق معنى النص واختصاره أيضاً , مع الحرص على خلق تفاعل متبادل بينه و المتلقي من خلال حضورية العنصر المستبدل . و يمكن تقسيم هذه الظاهرة اللغوية في الحديث القدسي إلى أنواع ثلاث : الاستبدال الاسمي و الاستبدال الفعلي و الاستبدال الجملي .

الاستبدال الاسمي و الربط داخل الحديث القدسي :

و يعبر عنه عادة بهذه الكلمات و هي : واحد - نفس - ذات . بمعنى استمرارية المستبدل منه في المستبدل , و بذلك يتحقق الترابط الدلالي و تركز المعنى في النص . إذ نجد هذه الظاهرة في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ

1202 - محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم , نظرات جديدة في القرآن , ص : 92 .

1203 - عز الدين محمد الكردي : وجوه الاستبدال في القرآن الكريم , دراسة لغوية وصفية تحليلية , دار المعرفة ط1 :

2007 م , 91 .

1204 - حسني عبد الجليل : إعراب النص دراسة في إعراب الجمل التي لا محل لها من الإعراب , الصحوة , 2010 م

, ص : 15 .

مِنَ الْأُمَّمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ أُوتِيَ أَهْلَ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمَلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمَلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَعَمَلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأَعْطَيْنَا قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ أَيُّ رَبَّنَا أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ وَأَعْطَيْنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَا قَالَ فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مِنْ أَشَاءِ (1205) فاستبدل الضمير المتصل (نا) باسم الإشارة (هؤلاء) في (.. ثُمَّ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَعَمَلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأَعْطَيْنَا قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ أَيُّ رَبَّنَا أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ وَأَعْطَيْنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ..) الذي يدل على أمة محمد صلى الله عليه و سلم , (ف) من أدرك منهم النبي صلى الله عليه و سلم و آمن به أعطي الأجر مرتين , (1206) ..) , كما نرى ظاهرة الاستبدال الاسمي بين (الناس) و (أحد) في الحديث القدسي الذي جاء فيه : (أَنْ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا أَنَّ النَّاسَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ هَلْ تَمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَهَلْ تَمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ وَتَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمْتِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظْمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَخَطَّفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبِقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرَدُلُ ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ

1205 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج5 , ص74.

1206 - المرجع نفسه , ج5 , ص : 76 .

السُّجُودِ فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ اِمْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ
الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ
النَّارِ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا فَيَقُولُ هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ
ذَلِكَ فَيَقُولُ لَأَوْعِزَّتِكَ فَيُعْطِي اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ
فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ رَأَى بِهَجَّتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ قَدَّمَنِي
عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَأَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ
سَأَلْتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَأَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ فَيَقُولُ فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَأَسْأَلَ
غَيْرَهُ فَيَقُولُ لَأَوْعِزَّتِكَ لَأَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيُقَدِّمُهُ إِلَى
بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسَّرُورِ فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ
أَنْ يَسْكُتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ ادْخُلْنِي الْجَنَّةَ فَيَقُولُ اللَّهُ وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْرَكَ أَلَيْسَ قَدْ
أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَأَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَأَتَجَعِّلُنِي أَشْقَى خَلْقِكَ
فَيَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ تَمَنَّيْتُ حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ
أُمْنِيَّتُهُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ (1207) فقد استبدل صلى الله عليه و سلم كلمة (الناس) في
قوله (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بـ(أحد) عند قوله (وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ) . و
يختلف مدى الربط باستخدام الاستبدال الاسمي باختلاف تواجده في التركيب , حيث نجد
الربط داخل الجملة , و عندئذ يكون مدى الربط قصيرا نسبيا في مثل قوله (صلى الله
عليه و سلم) : (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ
جِبْرِيلُ فَيُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ
يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ) (1208) , فالمسافة بين العنصر المستبدل (فلانا) و العنصر
المستبدل منه (العبد) قصيرة حيث وقع الاستبدال داخل الجملة المركبة نفسها , و كذلك
في قوله صلى الله عليه و سلم (خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطَوَّلَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا ثُمَّ قَالَ أَذْهَبْ فَسَلِّمْ
عَلَى أَوْلَادِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَاسْتَمَعَ مَا يُحْيُونَكَ تَحِيَّتِكَ وَتَحِيَّةَ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا

1207 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص 117 .

1208 - المرجع نفسه , ج 15 , ص 181 .

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ) (1209) بين المستبدل (هؤلاء) و المستبدل منه (الملائكة) .
 و قد يقع الربط خارج حدود الجملة داخل نص الحديث القدسي , بحيث يكون مدى الربط كبيرا نسبيا لتباعد المسافة بين المستبدل و المستبدل منه , و ذلك يبرز جليا في قوله صلى الله عليه و سلم : (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَأَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي فَأَبَيْتَ إِلَّا الشَّرْكَ) (1210) , فالمدى بين كلمة (هذا)/المستبدل و بين (شيء)/المستبدل منه طويل نسبيا .

يقوم الاستبدال الاسمي بدور مهم يتمثل في ربط وقائع السرد داخل الحديث القدسي , على نحو ما نجده في الحديث القدسي الذي قال فيه ابن عباس : (ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْنَا
 ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾

ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ أَلَا إِنَّهُ يَجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ فَأَقُولُ يَا رَبُّ أَصْحَابِي فَيَقَالُ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِّكَ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ
 ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ إِلَى قَوْلِهِ شَهِيدٌ ﴾

فَيَقَالُ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ) (1211) , فنجد المستبدل الاسمي (هؤلاء) يقوم مقام الخيط الذي تنتظم فيه وقائع السرد , و من ثمة يعد و سيلة من وسائل الربط ليس داخل الحديث القدسي الواحد بل من خلال الأحاديث القدسية كلها , كما يكشف عن طبيعة نص الحديث القدسي في كونه من الناحية الفنية شفاهيا .

و قد يعتبر الاستبدال الاسمي وسيلة من وسائل التي تسهم بفاعلية في ايجازية النص , بضغظ المستبدل منه في المستبدل الذي عادة ما يكون أقل منه كما من حيث عدد الحروف , فظاهرة الاقتصاد اللغوي بادية في هذا المقام . ففي قوله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ

1209 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج15, ص 287 .

1210 - المرجع نفسه, ج15, ص 294 .

1211 - المرجع نفسه, ج19, ص 94

إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أضعافٍ كَثِيرَةٍ وَمَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ () ، فكلمة (ذلك) /المستبدل أوجزت لنا كلا من (الحسنات - السيئات) ، و هي من حيث الكم أقل عدد حروف مقارنة بـ: الحسنات - السيئات .

الاستبدال الفعلي و الربط داخل الحديث القدسي :

و يعبر عنه بالفعل ، بحيث يأتي هذا الفعل ليضمّر فعلا أو حدثا معنا أو عبارة ما ، و الهدف من هذه العملية هي المحافظة على استمرارية الفعل التواصلي بين الناص و المتلقي من خلال استمرارية محتوى (الفعل/ المستبدل منه) في تضاعيف (المستبدل) ، و من ثمة تدفق المعنى و اطراد حيويته داخل النص .

إذ نجد هذه الظاهرة في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (أَنْ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالًا فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حَضِرَ أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ قَالُوا خَيْرَ أَبٍ قَالَ فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ففَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ قَالَ مَخَافَتِكَ فَتَلَقَاهُ بِرَحْمَتِهِ وَقَالَ مُعَاذُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَبْدِ الْغَافِرِ سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (1212) ، كما نراها في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤَذِّنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) (1213) .

و يختلف مدى الربط باستخدام الاستبدال الفعلي باختلاف تواجده في التركيب ، حيث نجد الربط داخل الجملة ، و عندئذ يكون مدى الربط قصيرا نسبيا في مثل قوله (صلى الله عليه و سلم) : (قَالَ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتْ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ قَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ قَالَتْ بَلَى يَا رَبُّ...) (1214) بين (مه) /المستبدل اسم فعل أمر الذي معناه الزجر و بين (أخذت ..) . و يقع الربط خارج حدود الجملة ، بحيث يكون مدى الربط كبيرا

1212 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج16، ص 84 .

1213 - المرجع نفسه ، ج 19، ص 238 .

1214 - المرجع نفسه ، ج 19، ص 247 .

نسبياً لتباعد المسافة بين المستبدل و المستبدل منه و ذلك في مثل ما جاء في هذا الحديث القدسي : (..أرؤأحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطاعة فقال هل تشتهون شيئاً قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرؤأحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا) , فالمسافة بين المستبدل (فعل) و المستبدل منه (هل تشتهون شيئاً) طويلة نسبياً .

يقوم الاستبدال الفعلي بدور مهم يتمثل في ربط وقائع السرد داخل الحديث القدسي , على نحو ما نجده في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (أن رجلاً كان قبلكم رَغَسَهُ اللهُ مالاً فقال لبيبه لما حضر أيّ أب كنت لكم قالوا خير أب قال فإني لم أعمل خيراً قط فإذا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في يوم عاصف ففعلوا فجمعه الله عز وجل فقال ما حملك قال مخافتك فتلقاه برحمته⁽¹²¹⁵⁾) , فنجد المستبدل الفعلي (ففعلوا) يقوم مقام الخيط الذي تنتظم فيه وقائع السرد , و من ثمة يعد و سيلة من وسائل الربط ليس داخل الحديث القدسي الواحد بل من خلال الأحاديث القدسية كلها , كما يكشف عن طبيعة نص الحديث القدسي في كونه من الناحية الفنية شفاهياً .

و قد يعتبر الاستبدال الفعلي وسيلة من وسائل التي تسهم بفاعلية في ايجازية النص , بضغط المستبدل منه في المستبدل الذي عادة ما يكون أقل منه كما من حيث عدد الحروف , فظاهرة الاقتصاد اللغوي بادية في هذا المقام .

الاستبدال الجملي و الربط داخل الحديث القدسي :

يقصد بالاستبدال الجملي استبدال جملة بكاملها داخل النص , و ليس استبدالاً لكلمة داخل الجملة . و من هنا فإن ترتيب موقعية جملة الاستبدال أولاً ثم يليها موقعياً الكلمة المستبدلة خارج حدود الجملة معطى ضروري للتفاعل الايجابي مع هذه الظاهرة اللغوية المتميزة . و من الكلمات التي تملك هذه الوظيفية نجد : هذا - ذلك ...

إذ نجد هذه الظاهرة في الحديث القدسي الذي مطلعته : (كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا يَشْكُو الْعَيْلَةَ وَالْآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ فَقَالَ رَسُولُ

¹²¹⁵ - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج16 , ص84 .

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا قَطَعُ السَّبِيلَ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ وَأَمَّا الْعَيْلَةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ ثُمَّ لِيَقْفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتْرَجَمُ لَهُ ثُمَّ لِيَقُولَنَّ لَهُ أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا فَلِيَقُولَنَّ بَلَى ثُمَّ لِيَقُولَنَّ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَلِيَقُولَنَّ بَلَى فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ فَلْيَتَّقِينَ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنَّ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ (1216) , كما نراها في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَكَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَكَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ (هُوَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) (1217) .

و يختلف مدى الربط باستخدام الاستبدال الجملي باختلاف تواجده في التركيب , حيث نجد الربط داخل الجملة , و عندئذ يكون مدى الربط قصيرا نسبيا في مثل قوله (صلى الله عليه و سلم) : (إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبْوًا فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ رَبِّ الْجَنَّةِ مَلَأَى فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَكُلُّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ مَلَأَى فَيَقُولُ إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَّاتٍ) (1218) . و يقع الربط خارج حدود الجملة , بحيث يكون مدى الربط كبيرا نسبيا لتباعد المسافة بين المستبدل و المستبدل منه في مثل قوله (صلى الله عليه و سلم) : (عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تَخْطُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضْرُبُونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ كَانُوا

1216 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج8 , ص393 .

1217 - المرجع نفسه , ج12 , ص403 .

1218 - المرجع نفسه , ج25 , ص251 .

عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ
وَأَنْسَكُمْ وَجَنِّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ
مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ
ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ
(1219).

يقوم الاستبدال الجملي بدور مهم يتمثل في ربط وقائع السرد داخل الحديث القدسي ،
على نحو ما نجده في الحديث القدسي الطويل نسبيا : (ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ
عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ
وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَقَالَ غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ
فَأَنَا حَبِيبُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَاْمُرُوا حَبِيبَ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ
مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابُّ قَطَطٍ عَيْنُهُ طَائِفَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بَعْدَ الْعُرَى بْنِ قَطَنِ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ
فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا
وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاتَّبِعُوا قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لُبُّنُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا
يَوْمٌ كَسَنَةٌ وَيَوْمٌ كَشْهَرٌ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ
الَّذِي كَسَنَتْهُ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ قَالَ لَا أَقْدِرُوا لَهُ قَدْرَهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ
فِي الْأَرْضِ قَالَ كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ
وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتَنْبِتُ فَتُرْوَحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا
كَانَتْ ذُرًّا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ
فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمَحَّلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ
فَيَقُولُ لَهَا أَخْرَجِي كُنُوزَكَ فَتَتَّبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِنًا شَبَابًا
فَيَضْرِبُهُ بِالسِّيفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ يَضْحَكُ
فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ
دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفِيهِ عَلَى أَجْنِحَةٍ مَلَكِينَ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرٌ وَإِذَا رَفَعَهُ

تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّوْلُوِّ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي
طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يَدْرِكَهُ بِبَابٍ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ
اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ
إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرَّرَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ
وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ
طَبْرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيَحْصُرُ نَبِيُّ اللَّهِ
عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ
فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ
فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي
الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى
اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ
مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ ثُمَّ يُقَالُ
لِلْأَرْضِ أَنْبِيَّ ثَمَرَتِكَ وَرُدِّي بَرَكَتَكَ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرَّمَانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا
وَيُبَارِكُ فِي الرَّسْلِ حَتَّى أَنْ اللَّقْحَةَ مِنَ الْبَابِلِ لَتَكْفِي الْفَنَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ
الْبَقْرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْدَ مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ
كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطَاهُمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ
وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارِجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ فَعَلَيْهِمْ تَقَوْمُ السَّاعَةِ (1220) ، فَجَدَّ
المستبدل الجملي يظهر على سبيل المثال من خلال العنصر اللغوي (كذلك) الذي عوض
متتالية جمالية و حل محلها و المتمثلة في (فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به
ويستجيبون له فيأمر السماء فتُمْطِرُ والأرض فتَنْبِتُ فتروح عليهم سارحتهم أطول ما
كانت ذرًا وأسبغهُ ضروعًا وأمدهُ خواصِرَ ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله
فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة
فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعهُ كنوزها كيغاسيب النحل ثم يدعو رجلاً مُمْتَلئًا شَبَابًا
فيضربه بالسيف فيقطعهُ جزلتين رمية الغرض ثم يدعوهُ فيقبلُ ويتهللُ وجههُ يضحكُ
.. و الملاحظ أن هذه العملية تقوم مقام الخيط الذي تنتظم فيه وقائع السرد ، و من ثمة

يعد و سيلة من وسائل الربط ليس داخل الحديث القدسي الواحد بل من خلال الأحاديث القدسية كلها , كما يكشف عن طبيعة نص الحديث القدسي في كونه من الناحية الفنية شفاهايا .

و قد يعتبر الاستبدال الجملي وسيلة من وسائل التي تسهم بفاعلية في إيجازية النص و اختصاره , بضغط المستبدل منه في المستبدل الذي عادة ما يكون أقل منه كما من حيث عدد الحروف , مما يجعل ظاهرة الاقتصاد اللغوي بادية بقوة في هذا المقام . (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكَ قَالَ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي لَأُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا قَالَ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لَأَرْكَانِهِ أَنْطَقِي قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ ثُمَّ يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ فَيَقُولُ بَعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكَنَّ كُنْتُ أَنْاضِلُ) (1221) .

الاستبدال و طبيعة نص الحديث القدسي

إن الاستبدال بأنواعه , الاسمي و الفعلي و الجملي , من خلال نسبة حضوره في نص الأحاديث القدسية , يميز هذه الأخيرة باعتبارها تمثل أصلا خطابا شفويا , يعمل الرواة و الحفظة على تناقله من جيل إلى جيل , كما نلمسها في الحديث القدسي الآتي : (حدثنا عثمان بن أبي شيبة وإسحق بن إبراهيم الحنظلي كلاهما عن جرير قال عثمان حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أتسخر بي أو أتضحك بي وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه قال فكان يقال ذاك أدنى أهل

الجنة منزلة) (1222) . . و من جهة أخرى تشي هذه الأنواع الاستبدالية كلها إلى أن الحديث القدسي من حيث بنيته الفنية هو نص سردي ، مؤسس عادة على مبدأ الحوار ، سواء أكان هذا الحوار داخل النص أو خارجه . و بالتالي يلاحظ الدرس عندئذ مدى تأثير هذه الأنواع الاستبدالية في استمرارية الفعل السردي و بناء المعلومات و هندستها داخل النص ، كما نراها في هذا الحديث القدسي الطويل نسبيا : (حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبُنَائِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُتِيَْتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضٌ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَعْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ قَالَ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرِبُّ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ قَالَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَأَخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْنِي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَالَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِبَهَارُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ

بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحَبَّ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السُّدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ قَالَ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً قَالَ فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ (1223)

.. هذا بالإضافة إلى تنوع مظاهر الاستبدال من حيث العدد و نسبية حضورها داخل نص الحديث القدسي مراعية في ذلك البنية الدلالية الكلية التي تعد النواة الأساس له و المحور المركزي الذي تتحرك في مداراته كل مكونات النص و البؤرة الجاذبة التي تعمل على تماسك كينونة الخطاب القدسي و تميزه , و مراعية كذلك المقاصد القريبة - و نعني بها مقاصد نص الحديث القدسي و فقا لطبيعة موضوعه و حاجات المتلقي - أو المقاصد البعيدة - و يراد بها أهداف الشريعة بكل مكوناتها - . دون أن نغفل دور المتلقي و وزنه المعرفي و الإيمان في تنوع مظاهر الاستبدال من حيث العدد و نسبية حضورها داخل نص القدسي , كما نراها في هذا الحديث القدسي الذي رواه البخاري : (حَدَّثَنَا أَبُو

الِيْمَانَ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعَطَاءُ بْنُ
يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا أَنَّ النَّاسَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ قَالَ هَلْ تَمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ
فَهَلْ تَمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يُحْشَرُ النَّاسُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيَةَ وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ
فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ
فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنْ
الرُّسُلِ بِأَمْرِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلَ وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ وَفِي جَهَنَّمَ
كَلَالِيْبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ
السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَخَطَّفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ
بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرَدَلُ ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ
الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ وَحَرَّمَ اللَّهُ
عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ فِكْلَ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ
السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ
الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دَخُولًا الْجَنَّةَ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ
النَّارِ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا فَيَقُولُ هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ
ذَلِكَ فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ فَيُعْطِي اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ
فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ رَأَى بِهَجَّتِهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ قَدَّمَنِي
عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ
سَأَلْتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ فَيَقُولُ فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ
غَيْرَهُ فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَقْدِمُهُ إِلَى
بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسَّرُورِ فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ
أَنْ يَسْكُتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ ادْخُلْنِي الْجَنَّةَ فَيَقُولُ اللَّهُ وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ أَلَيْسَ قَدْ
أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ

فِيضْحُكَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ تَمَنَّ فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أَمْنِيَّتُهُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَوْلَهُ لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ (1224) ، فالبنية الدلالية الكبرى التي يدور حولها هذا الخطاب القدسي هي مدى مكانية المؤمنين و قابليتهم لرؤية الله تعالى رؤية تشترك فيها كل وسائل الإدراك الحسية و غير الحسية ، على الرغم من أن رؤية الله تعالى في الدنيا من المسائل التي حسم فيها الشرع نفسه في قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) ... و من ثمة تعددت ظاهرة الاستبدال ، حيث بلغت : 15 حالة ، و انتشرت بقوة و لكن وفقا لهذا الترتيب الكمي ، حيث شهد هذا الحديث القدسي حالتين من الاستبدال الاسمي و 13 حالة بالنسبة للاستبدال الجملي . كما تنوعت مظاهر الاستبدال كما و نوعا في هذا الحديث القدسي خدمة لمقاصده القريبة و البعيدة ، فمن مقاصده القريبة طمأننت المتلقي المسلم وقتئذ و في كل زمان من أن توحيدهم لله تعالى يمثل الحقيقة المطلقة و الصواب الذي لا يعتريه الشك .. بينما غيرهم يعبدون خرافات و أوام ... و من مقاصده البعيدة تحقيق الحرية المنشودة في ممارسة السلوك الذي يعتقده الإنسان أنه صواب ... فتحقيق مقصد الحرية الاعتقادية - و هو واحد من المقاصد الشرعية الكبرى - يجعل العلاقات الانسانية عامة يسودها السلام و الاحترام و التعايش العمراني ...

الاستبدال و البنية الكلية لنص الحديث القدسي

مما لا شك فيه أن الأحاديث القدسية كلها تحكمها بنية كلية و ترتبط جميعا بموضوع كلي يتمثل في الخوف و الرجاء ، و يتجلى ذلك بقوة من خلال تلوين الظاهرة الاستبدالية و تنويها من نص قدسي إلى آخر ، فالاستبدال الاسمي عامة مرتبط بسياق الرجاء و الطمع في رحمة الله تعالى و إكرامه ، كما نراها في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعرِجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ

يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ (1225) . كما نراها في قوله (صلى الله عليه و سلم) :
(إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأَمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ أُوتِيَ
أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ
أُوتِيَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا
ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ فَعَمَلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأَعْطِينَا قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ فَقَالَ أَهْلُ
الْكِتَابِينَ أَيُّ رَبَّنَا أُعْطِيَتْ هَؤُلَاءِ قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا وَنَحْنُ كُنَّا
أَكْثَرَ عَمَلًا قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَا قَالَ فَهُوَ فَضْلِي
أُوتِيهِ مِنْ أَشَاءِ) (1226) . كما أن الاستبدال الفعلي مرتبط هو الآخر بسياق الخوف عامة
من العقاب الالهي ، كما نراها في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (أَنْ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ
رَغَسَهُ اللَّهُ مَالًا فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حَضَرَ أَيُّ أَبِ كُنْتُ لَكُمْ قَالُوا خَيْرَ أَبٍ قَالَ فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ
خَيْرًا قَطُّ فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ قَالَ مَخَافَتُكَ فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ) (1227) . كما نراها في قوله (صلى الله
عليه و سلم) : (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤَذِّنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ
أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) (1228) . بينما نجد الاستبدال الجملي مرتبط بسياق المزج بين الخوف
و الرجاء ، كما نراها في هذا الحديث القدسي : (أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا أَنَّ النَّاسَ قَالُوا
يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ
سَحَابٌ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا
قَالَ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يُحْشِرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ فَمِنْهُمْ مَنْ
يَتَّبِعُ الشَّمْسَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيَةَ وَتَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا
مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانَنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا
عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَيَدْعُوهُمْ فَيَضْرِبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ
ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرَّسْلِ بِأُمَّتِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرَّسْلُ وَكَلَامُ

1225 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري . ج 5 ، ص 64 .

1226 - المرجع نفسه . ج 5 ، ص 74 .

1227 - المرجع نفسه ، ج 16 ، ص 84 .

1228 - المرجع نفسه : ج 19 ، ص 238 .

الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَخَطَّفُ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبِقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرَدِلُ ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَارِ السُّجُودِ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ مُقْبِلٌ بَوَجْهِهِ قَبْلَ النَّارِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا فَيَقُولُ هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ فَيُعْطِي اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ رَأَى بِهَجَّتِهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ قَدِمْنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ فَيَقُولُ فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَقْدِمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النُّضْرَةِ وَالسَّرُورِ فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ ادْخُلْنِي الْجَنَّةَ فَيَقُولُ اللَّهُ وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ فَيَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ ثُمَّ يَأْذُنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ تَمَنَّيْتُمْ حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أُمْنِيَّتُهُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ (1229) . , كما نراها في قوله (صلى الله عليه و سلم) : (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحْفُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ

عِبَادَةٌ وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلْبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ فَيَقُولُ فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ⁽¹²³⁰⁾ . كل ذلك يعد من بين السمات التي يتميز بها الحديث القدسي عن باقي الخطابات الإسلامية الأخرى و نقصد هنا القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة .

مما سبق يتبين للدارس أن الاستبدال بأنواعه الثلاث : الاسمي و الفعلي و الجملي ليس هو وسيلة للربط داخل الحديث القدسي الواحد فقط , و إنما قدرته الرابطة تتعدى هذا المجال لتنتشر في كل فضاء الأحاديث القدسية كلها , مما يجعل المتلقي يدرك أنه أمام نص واحد , و لو تعدد من حيث الإحصاء , و من ثمة يلامس خصوصية الخطاب القدسي . كما يشير إلى الخاصية اللغوية لهذا الخطاب/النص , حيث عادة ما يرتبط هذا الشكل من أشكال الربط على مستوى البنية السطحية بالغاية التعليمية لنص الحديث القدسي , و من ثمة تتجلى مهارة الناص في توظيف هذه الوسيلة بكيفية تمكنه من أن يجسد الهدف السالف أحسن تجسيد . دون أن ننسى الدور الفعال الذي يقوم به الاستبدال في الأحاديث القدسية جميعها المتمثل في هندسة المعلومات و المفاهيم و و المعطيات الدينية داخل فضائه , بحيث تبدو في أرقى صور الاتساق و التماسك و التناغم داخليا و خارجيا ... و الجدول الآتي الذي يلخص أنواع الاستبدال في الحديث القدسي و المشفوع بالرسم البياني يبين بجلاء المساحة التي يحتلها كل نوع من الاستبدال كما و نوعا داخل خطاب الحديث القدسي .

الجدول تفصيلي :

الاسمي	الفعلي	القولبي/العباري
--------	--------	-----------------

1230 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج23 , ص 40 .

(بلى) (1231)	//	//	
(لا) (1233)	//	(هو لاء) (1232)	
(نا) (1237)	(فعل) (1236)	(أحد) (1234)	
(نا) (1238)		(آخر) (1235)	
(كَذَلِكَ) (1239)			
(يَوْمَئِذٍ) (1240)			
(نَعَمْ) (1241)			
(ذَلِكَ) (1242)			
(ذَلِكَ) (1243)			
(نا) (1244)			
(ذَلِكَ) (1245)			
(نا) (1246)			
(ذَلِكَ) (1247)			
(ذَلِكَ) (1248)			

- 1231 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 5 , ص 64 .
- 1232 - المرجع نفسه , ج 5 , ص : 74 .
- 1233 - المرجع نفسه , ج 5 , ص : 74 .
- 1234 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .
- 1235 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .
- 1236 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .
- 1237 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .
- 1238 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .
- 1239 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .
- 1240 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .
- 1241 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .
- 1242 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .
- 1243 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .
- 1244 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .
- 1245 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .
- 1246 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .
- 1247 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .

(كذا) (1250)	//	(ذلك) (1249)	
(بلى) (1252)	//	(الآخر) (1251)	
(بلى) (1253)			
//	//	(أحد) (1254)	
//	//	(ثلاثة) (1255)	
(لا) (1256)	//	//	
(فذلك) (1257)			
(دونك) (1258)	//	//	
(بلى) (1259)			
(نعم) (1260)	//	//	
//	//	(فلانا) (1261)	
//	//	(أولئك) (1262)	
(نعم) (1264)	//	(هذا) (1263)	

1248 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 117 .

1249 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 195 .

1250 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 195 .

1251 - المرجع نفسه , ج 8 , ص : 393 .

1252 - المرجع نفسه , ج 8 , ص : 393 .

1253 - المرجع نفسه , ج 8 , ص : 393 .

1254 - المرجع نفسه , ج 10 , ص : 395 .

1255 - المرجع نفسه , ج 11 , ص : 59 .

1256 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 125 .

1257 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 125 .

1258 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 260 .

1259 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 260 .

1260 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 403 .

1261 - المرجع نفسه , ج 15 , ص : 181 .

1262 - المرجع نفسه , ج 15 , ص : 287 .

1263 - المرجع نفسه , ج 15 , ص : 294 .

(نعم) (1265)	//	//	
(لا) (1266)	//	//	
//	//	(ذلك) (1267)	
//	(ففعلو) (1268)	//	
//	//	(أحد) (1269)	
//	//	(أبو الناس) (1270)	
		(أول رسول) (1271)	
//	//	(هو لاء) (1272)	
//	(يسب) (1273)	//	
(بلى) (1275)	(مه) (1274)	//	
(فذك) (1276)			
//	//	(واحدة) (1277)	
		(أحدا) (1278)	
(لا) (1279)	//	//	

1264 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 15 ، ص : 294 .

1265 - المرجع نفسه ، ج 15 ، ص : 302 .

1266 - المرجع نفسه ، ج 15 ، ص : 302 .

1267 - المرجع نفسه ، ج 15 ، ص : 329 .

1268 - المرجع نفسه ، ج 16 ، ص : 84 .

1269 - المرجع نفسه ، ج 17 ، ص : 127 .

1270 - المرجع نفسه ، ج 18 ، ص : 107 .

1271 - المرجع نفسه ، ج 18 ، ص : 107 .

1272 - المرجع نفسه ، ج 19 ، ص : 94 .

1273 - المرجع نفسه ، ج 19 ، ص : 238 .

1274 - المرجع نفسه ، ج 19 ، ص : 247 .

1275 - المرجع نفسه ، ج 19 ، ص : 247 .

1276 - المرجع نفسه ، ج 19 ، ص : 247 .

1277 - المرجع نفسه ، ج 19 ، ص : 268 .

1278 - المرجع نفسه ، ج 19 ، ص : 268 .

(لا) (1280)			
(لا) (1281)			
//	//	(ذلك) (1282)	
//	//	(أحدا) (1283) (ذلك) (1284) (ذلك) (1285)	
(نعم) (1287)	//	(هذا) (1286)	
		(آخر) (1288) (آخر) (1289) (ذاك) (1290)	
(ذلك) (1292)	//	(آخر) (1291)	
(لا) (1294) (يومئذ) (1295)	//	(هو لاء) (1293)	

1279 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 23 ، ص : 40 .

1280 - المرجع نفسه ، ج 23 ، ص : 40 .

1281 - المرجع نفسه ، ج 23 ، ص : 40 .

1282 - المرجع نفسه ، ج 23 ، ص : 121 .

1283 - المرجع نفسه ، ج 23 ، ص : 184 .

1284 - المرجع نفسه ، ج 23 ، ص : 184 .

1285 - المرجع نفسه ، ج 23 ، ص : 184 .

1286 - المرجع نفسه ، ج 23 ، ص : 184 .

1287 - المرجع نفسه ، ج 23 ، ص : 188 .

1288 - المرجع نفسه ، ج 23 ، ص : 199 .

1289 - المرجع نفسه ، ج 23 ، ص : 199 .

1290 - المرجع نفسه ، ج 23 ، ص : 199 .

1291 - المرجع نفسه ، ج 25 ، ص : 133 .

1292 - المرجع نفسه ، ج 25 ، ص : 133 .

1293 - المرجع نفسه ، ج 25 ، ص : 192 .

1294 - المرجع نفسه ، ج 25 ، ص : 192 .

(ذلك) (1296)	//	//	
(ذلك) (1297)			
//	//	(ذلك) (1298) (ذلك) (1299)	
(نعم) (1300)	//	//	
//	//	(آخر) (1301) (آخر) (1302) (ذاك) (1303)	
//	//	(ذلك) (1304)	
//	//	(هؤلاء) (1305)	
(لا) (1306)			
(ذلك) (1308) (ذلك) (1309)	(ففاعل) (1307)	//	

1295 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري، ج 25، ص 192

1296 - المرجع نفسه، ج 25، ص 251 .

1297 - المرجع نفسه، ج 25، ص 251 .

1298 - النووي: صحيح مسلم، ج 2، ص: 137 .

1299 - المرجع نفسه، ج 2، ص: 137 .

1300 - المرجع نفسه، ج 2، ص 303 .

1301 - المرجع نفسه، ج 2، ص 314 .

1302 - المرجع نفسه، ج 2، ص 314 .

1303 - المرجع نفسه، ج 2، ص 314 .

1304 - المرجع نفسه، ج 1، ص 319 .

1305 - المرجع نفسه، ج 5، ص 245 .

1306 - المرجع نفسه، ج 6، ص 69 .

1307 - المرجع نفسه، ج 6، ص 513 .

1308 - المرجع نفسه، ج 6، ص 513 .

1309 - المرجع نفسه، ج 6، ص: 513 .

(ذلك) (1310)	//	//	
(أي) (1312)	//	(هؤلاء) (1311)	
	//	(أحدا) (1313)	
(لا) (1315) (كذلك) (1316) (كذلك) (1317) (كذلك) (1318)	//	(آخراهم) (1314)	
(بلى) (1319)	//	//	
47 %53.40	05 %05.68	36 %40.90	المجموع
		88	المجموع الكللي

يبين الجدول السابق أنواع الاستبدال في الأحاديث القدسية :

1 - بلغ المجموع الكللي لحالات الاستبدال في الأحاديث القدسية (88 حالة) , توزعت بين أنواع الاستبدال الثلاث , فمثل الاستبدال الاسمي (ب: 36 حالات و نسبة مئوية مقدرة

- 1310 - النووي : صحيح مسلم , ج 8 , ص : 185 .
1311 - المرجع نفسه , ج 9 , ص : 35 .
1312 - المرجع نفسه , ج 9 , ص : 35 .
1313 - المرجع نفسه , ج 9 , ص : 104 .
1314 - المرجع نفسه , ج 9 , ص : 191 .
1315 - المرجع نفسه , ج 9 , ص : 191 .
1316 - المرجع نفسه , ج 9 , ص : 191 .
1317 - المرجع نفسه , ج 9 , ص : 191 .
1318 - المرجع نفسه , ج 9 , ص : 191 .
1319 - المرجع نفسه , ج 9 , ص : 223 .

بـ: 40.90%) و الاستبدال الفعلي (بـ: 05 حالات و نسبة مئوية مقدرة بـ: 05.68%)
 (و الاستبدال الجملي (بـ: 47 حالات و نسبة مئوية مقدرة بـ: 53.40%) .

2 - يمثل الاستبدال الجملي أعلى نسبة ورود مقارنة بالاستبدال الاسمي و الاستبدال الفعلي , حيث بلغ 47 حالة أي بنسبة مئوية مقدرة بـ: 53.40% . مما يشير إلى ثنائية البعد الشفاهي و الكتابي لنص الحديث القدسي و قصد الناص من جهة إلى (يلقي على جمهور المستمعين بواسطة الراوي)⁽¹³²⁰⁾ , و من جهة أخرى (إلى تدوينه)⁽¹³²¹⁾ .

3 - تتفاوت نسبة الاستبدال في نص الحديث القدسي تبعاً لطوله أو قصره , حيث تزداد نسبة الاستبدال انتشاراً مع الحديث القدسي الطويل نسبياً مثل الحديث القدسي رقم (3 - 78) , بينما تقل نسبياً مع الأحاديث القصيرة و منها رقم (20 - 32 - 35) ..

4 - وجود هذه الأنواع الثلاث من الاستبدال بهذه النسب المتفاوتة يؤكد ترابطية النص القدسي و استمراريته , و هو الأمر الذي يسهم إلى حد بعيد في تقبل القارئ للنص و تفاعله معه تفاعلاً إيجابياً , كما يعمل في الوقت نفسه على المحافظة (على استمرار خيط الأحداث دون انقطاع يخل بتتابعها)⁽¹³²²⁾ .

5 - و لأنه خطاب شفوي من حيث طبيعته الأولية فقد كثر فيه الاستبدال الاسمي (بـ: 36 حالات و نسبة مئوية مقدرة بـ: 40.90%) (بـ: 36 حالات و نسبة مئوية مقدرة بـ: 40.90%) و الجملي (بـ: 47 حالات و نسبة مئوية مقدرة بـ: 53.40%), و من ثمة فقد كثرت فيه الإشارة إلى عمن يحكي عنه و عمن يسند إليه القيام بمضامين الأحداث ...

¹³²⁰ - عزة شبل محمد : علم لغة النص , النظرية و التطبيق , ص : 182 .

¹³²¹ - المرجع نفسه , ص : 182 .

¹³²² - حسام أحمد فرج : نظرية علم النص , رؤية منهجية في بناء النص النثري , ص : 85 .

الباب الثاني :

آيات الانسجام في الحديث القدسي

الفصل الأول

آيات الانسجام دراسة نظرية :

المبحث الأول : موضوع الخطاب/البنية الدلالية الكبرى ص : 471

المبحث الثاني : السياق ص : 503

المبحث الثالث : الفصل ص : 541

المبحث الرابع : مبدأ التغيريض ص : 570

موضوع الخطاب

البنيات المشكلة للخطاب/النص بشتى مظهراتها الفنية وغير الفني تلقى اهتماما كبيرا و عناية مركزة من قبل الدرس اللساني الحديث , انطلاقا من أن الخطاب/النص (شكل من أشكال الإنجاز اللغوي , يقيمه نظامه الخاص)⁽¹³²³⁾ , بل إنه أكثر من ذلك فهو (موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لغوية , بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة , لكنها غير قابلة الانحصار في مقولاتها)⁽¹³²⁴⁾ , هذه الرؤية و غيرها جعلته واحدا من الفضاءات الرحبة التي تملك قابلية مميزة و مرونة معتبرة تغري الكثير من النظريات اللسانية و البلاغية و الرؤى العلمية المشتغلة بالظاهرة التواصلية الإنسانية لمحاولة الوقوف على أسرار التأثير و الجمال داخل الخطاب/النص مع السعي إلى التعرف على القوانين و الميكانيزمات المتحركة فيه . حيث نظرت هذه المدارس اللغوية - من خلال ما وصلت إليه الدراسات - إلى الخطاب/النص نظرة متكاملة و ذلك باعتباره بنية متماسكة و منسجمة تشكل الوسيلة الأساسية للتواصل بين المرسل/الناص و المرسل إليه/المتلقي . فلا يمكن حينئذ قطع أو اصر هذه الهندسية البنائية المحكمة المتكاملة في جملة من البنات المتناثرة , مما يقتضي النظر إليه نظرة شمولية متكاملة ترى (أن الخاصية الأولى لتحديد النص الاكتمال , و ليس الطول أو الحجم المعين)⁽¹³²⁵⁾ , ليتسنى فهم الرسالة المخبوءة في طيات هذا الخطاب/النص .

من الحقائق الواجب تأكيدها بداية هو أن القراءة الخاصة بالنص الديني تتميز عن القراءة المتعلقة بالنصوص البشرية الفنية منها و غير الفنية من حيث أنها في ظاهرها تحافظ (على النص الأصلي الذي لحقه التأويل..⁽¹³²⁶⁾) , و ذلك من منطلق أن اغلب

1323 - منذر عياشي : الأسلوبية و تحليل الخطاب , ص : 121 .

1324 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص , ص : 211 .

1325 - المرجع نفسه , ص : 214 .

1326 - بومدين بوزيد : الفهم و النص , دراسة في المنهج التأويلي عند شلير ماخر و ديلتاي , الدار العربية للعلوم

ناشرون , ط 1 : 2008 م , ص : 31 .

الذين تناولوا النص، سيما الأدبي وسائر الأعمال الفنية، إنما أرادوا ذلك بمعزل عن قصد المؤلف/صاحب النص، وقد دفعهم هذا العمل للبحث عن إمكانات الدلالة التي يمكن أن يتضمنها الخطاب/النص حتى لو كانت خارج دائرة قصد المؤلف، بل وحتى لو جرت القراءة على الضد مما قصده صاحب النص. ولهذه القراءة مبرر مفهوم - مع ما لنا من تحفظ -، وهو أنها تبحث عن ثراء النص وخصوبته، لهذا فهي تتعمق في النص لاستكشاف المجالات الرحبة لإمكاناته وجعله ينطق بكل شيء من غير تحديد، أو ضمن قيود قد تتسع وقد تضيق، كما قد تتلاشى أحيانا. لذلك تعترف هذه الأدبيات بوجود إمكانات غير متناهية للفهم والتأويل، بل كل فهم يجر إلى فهم آخر قد يكون مراكما له أو مغايرا له، و بالتالي يصبح كل قارئ يمهّد إلى آخر ليتمكن من الإدلاء بدلالات أخرى مراكمة أو مختلفة وقد تكون متعارضة مع ما سبق، وكلها تعد مناسبة أو ذات إضاءات جديدة .

إن أغلب الذين تناولوا النص البشري والعمل الفني قاموا بعزل المؤلف وتحييده عما أبدعه، سيما بعد مرحلة ما يسمى بما بعد البنيوية أو ما بعد الحداثة منذ ستينات القرن العشرين، إلى الدرجة التي عبّر فيها الناقد الفرنسي (رولان بارت) تعبيره الشهير بموت المؤلف، وذلك ليخلّوا بين القارئ والنص، وبعضهم أراد من هذه الممارسة فسح المجال لأن يقول القارئ ما يريدته تبعاً لما تفرضه ذاتيته وقبلياته الخاصة، ليفسح المجال أمام المتلقين/القراء جميعاً بأن يدلي كل منهم بدلوه لفهم الخطاب/النص و الوصول إلى موضوعه الرئيس . وبذلك سيكون الخطاب/النص مفتوحاً لجميع القراءات و المقاربات ، أو هو منفتح على كل من يعرف القراءة كالذي يراه غادامير ويؤيده ريكور، وكما يقول هذا الأخير: (إذا ما دام النص يفلت من مؤلفه ومن سياقه فإنه يفلت أيضاً من متلقيه الأصلي، وهكذا يهب نفسه قراءً جدداً باستمرار) (1327) .

لكن كل ما سبق لا يمكن تطبيقه على الخطاب/النص الديني(الحديث القدسي) ، لأنه ليس الهدف في قراءة هذا الخطاب/النص هو البحث عن ثراء المعنى والخصوبة

1327 - بول ريكور : نظرية التأويل الخطاب و فائض المعنى ، ترجمة : سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، ط 2 :

التنظيرية كل ذلك بمعزل عن قصد الخطاب/النص نفسه وصاحبه، بل الغاية هو معرفة ما يتضمنه (الموضوع) الخطاب/النص كحقيقة موضوعية غير منفصلة عن قصد صاحبه . إذ لا يعترينا أدنى شك بأن مضمون خطاب/نص الحديث القدسي يحمل رسالة للبشر يراد التعرف عليها لتطبيقها، سواء آما بحقيقة ما يفترضه الخطاب/النص من مصدر قدسي أم لم نؤمن. ولا يجري هذا الحال - غالباً - في النصوص الأدبية وسائر الأعمال الفنية، لذلك كان لا بد من التعرف على كل ما له علاقة بصاحب الخطاب/النص ، كالتعرف على الرسول القائم بتبليغ الخطاب/النص وتجربته وكيفية تطبيقه له، بغية فهمه(الخطاب/النص) فهماً يقترب من مقاصد صاحبه الأول .

موضوع الخطاب/النص

مما لا شك فيه أن الخطاب/النص (رسالة ناجمة عن نظام محدد من المفاهيم و الشفرات ..)(1328) ، و هو - زيادة على ذلك - له مركز ثقل و بؤرة متحققة بالفعل تجمع مكوناته و توحيدها و هي (تتسم بدرجة قصوى من الانسجام و التماسك)(1329) ، تشكل من خلال كل ذلك الفكرة الأساس /العامة التي يدور حولها الخطاب/النص و يرمي إلى إبلاغه للمتلقي . إن هذا المفهوم جذاب إذ يبدو أنه مبدأ مركزي منظم لقسم كبير من الخطاب ، و في الوقت نفسه (تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة)(1330) له ، يمكن أن يجعل المحلل قادراً على التفسير المناسب للكثير من الأسئلة التي منها : لماذا ينبغي أن نعتبر الجمل والأقوال و المتتاليات/(مجموعة الجمل التي تتميز فيما بينها بتحقيق شروط الترابط)(1331) متآخذة و متحدة تستطيع أن تكون وسيلة لتمييز الأجزاء الخطابية الجيدة المنسجمة ، من تلك التي تعد حدسيا جملا متجاورة غير منسجمة لأن (الجملة ليست مجرد مجموعة من الكلمات ، بل إن علاقة هذه الكلمات بنيويا هي التي تجسد

1328 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص ، ص : 215 .

1329 - المرجع نفسه ، ص : 236 .

1330 - المرجع نفسه ، ص : 237 .

1331 - المرجع نفسه ، ص : 236 .

الجملة ، فإن تحليل النصوص للوصول إلى بنيتها الكبرى يتجاوز بالضرورة مجموع أبنية المتتاليات (1332) .

وقد أضاف الدارسون إلى موضوع الخطاب - هذه البنية التجريدية الكامنة التي (.. تمثل منطق النص) (1333) - مفهوم التخاطب الذي يقتضي اشتراك اثنين في العملية ، خاصة في الخطاب/النص متعدد الأصوات ، ويظهر ذلك من خلال حوارية مقطعية داخلية بحيث يساهم كل مقطع في علاقته بسائر المقاطع في بناء موضوع الخطاب .

يعد موضوع الخطاب آلية من آليات الانسجام النصي و تماسكه الذي لا يتحدد) فحسب على مستوى علاقات الترابط بين المتتاليات و الجمل . لأن هذا المستوى الأخير لا يقدم سوى الأبنية الصغرى ... و تظل البنية الكبرى هي التمثيل الدلالي الكلي الذي يحدد معنى النص باعتباره عملا كليا فريدا (1334) ، إذ بفضل تماسك النص ككل ، ذلك أنه (.. توجد أبنية نصية ذات طابع شمولي هي التي تسمى أبنية كبرى ، و أنها ذات صبغة دلالية ، أي أن البنية الكبرى للنص هي تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة للنص) (1335) ، بحيث أن المواضيع الجزئية المشكلة له تتجمع و تنتظم لتؤدي في النتيجة إلى الموضوع الأساس الذي يدور حوله الخطاب .. (إن تحديد موضوع النص يسمح للمتلفظ المشارك بتأويله بتجاوز نقائصه و بالاحفاظ إلا بما هو مناسب لهذا الموضوع) (1336) . هذا و لموضوع الخطاب/أدوار عديدة منها أنه يعمل على ضغط الأفكار و دمجها بعضها ببعض ، بعد أن يكون قد رتبها و نظمها ، زيادة على أنه يأخذ بيد المتلقي ليضعه أمام العوالم المتصلة بموضوع الخطاب/النص ، ولهذا فإن مقدرة المتلقي على استرجاع و تذكر عناصر بذاتها أكثر من غيرها (.. قد يكون دليلا على أن ما نحمله في رؤوسنا بعد قراءة النص هي تلك العناصر التي تمثل موضوع الخطاب ..) (1337) . و لقد كان لعلم النفس الإدراكي و علم الذكاء الاصطناعي و

1332 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص ، ص : 236 .

1333 - المرجع نفسه ، ص : 246 .

1334 - المرجع نفسه ، ص : 246 .

1335 - المرجع نفسه ، ص : 237 .

1336 - دومينيك مانغونو : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص : 120 .

1337 - عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق ، ص : 191 .

غيرهما من العلوم الحديثة المشتغلة على سبر أغوار العمليات الذهنية الممثلة للمضمون سواء أكان ذلك عن صاحب الخطاب/النص أو المتلقي اهتمام كبير بهذه القضية بحيث (يرى العلماء أنه إذا كان من من المفترض أن المعلومات الدلالية التي لا يمكن تخزينها لوقت أطول في الذاكرة القصيرة المدى ، أو لا ينبغي ذلك ، تنتقل إلى الذاكرة الطويلة المدى ، فإن علينا أن نحاول التحقق من الكيفية و الشروط التي تحكم هذه العملية ...)⁽¹³³⁸⁾ ، و لهذا فإن إدراك و تحسس العلاقة القائمة بين مراحل فهم موضوع الخطاب و العوالم الموضوعية من قبل الدارس مهمة مفصلية وخطوة هامة و القفز عليها قد ينتهي إلى نتائج صفرية أو عكسية لا تتناسب و الجهود المبذولة ...

نتناول من خلال ما سبق عرضه مفهوم موضوع الخطاب من حيث كونه تماسكا بنيويا شاملا و قاعدة تتمحور حولها أي تجربة في القراءة . حيث تتشكل تجربة القراءة من خلال بحث القارئ عن موضوع الخطاب/النص و (ما هو أكثر جوهرية في مضمون النص متناول ككل)⁽¹³³⁹⁾ مع غض الطرف عن بعض التفاصيل و الجزئيات التي لا يعد حضورها أو غيابها من أساسيات تكوينية النص و وجوده . لذلك تؤسس التجربة القرائية إجراءاتها من خلال استراتيجيات عامة لتكوينه. و انطلاقا مما سلف ذكره يمثل المستوى الدلالي أحد أهم مفاهيم المعنى لدى القارئ العادي ، إلا أن المعنى بهذا الوصف لا يعبر عن تجربة متكاملة في القراءة ، فالتعامل مع المعنى كمحتوى دلالي للخطاب/النص هو جزء من التجربة ، يتعلق بالمرجع الواقعي الذي يشير إليه تركيب الخطاب/النص ، و لهذا فإن (القراء يختارون من النص عناصر مهمة ، تتباين باختلاف معارفهم و اهتماماتهم أو آرائهم)⁽¹³⁴⁰⁾ ، هذا النوع من التفاعل مع النص بإمكانه أن يجعل موضوع الخطاب مختلفا بالزيادة أو النقص من قارئ إلى آخر .. إلا أنه على الرغم من إمكانية حدوث التباين في التلقي فإنه (يلاحظ على مستوى التفسير الإجمالي

1338 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص ، ص : 247 .

1339 - المرجع نفسه ، ص : 237 - 238 .

1340 - المرجع نفسه ، ص : 237 .

لأحد النصوص وجود توافق كبير بين مستعملي اللغة ، و بدون هذا التوافق .. يستبد كل فهم ضروري لانتقال المعلومات) (1341)

و تولد أثناء تكوين القارئ للمعنى العام للخطاب/النص أشكال مختلفة من التفاعل و التداخل بين القارئ باعتباره طرفا تفعيليا من جهة و الخطاب/النص باعتباره هو كذلك طرفا فاعلا و منفعلا في الآن نفسه من جهة أخرى ، إن ذلك ما هو إلا تعبير إجرائي و عملي عن مظاهر متنوعة لتجربة القراءة ، تعتمد في مجملها على التعامل مع موضوع الخطاب/النص كأثر نصي يقتضي من المتلقي و هو يشكل المعنى العام أن يتعامل بجدية و ايجابية مع معطيات التركيب النصي ، لأن المظهر التركيبي للخطاب/النص هو معطى حاضر ثابت ، بينما المظهر المعنوي/موضوع الخطاب يكتسب وجوده من خلال وجود قارئ يجسده بواسطة تفاعل متبادل مع معطى البنية السطحية للخطاب/النص) يتضح من ذلك أن البنية الكبرى للنص ترتبط بموضوعه الكلي) (1342) ، و لهذا فالمتلقي مطالب أن يتعامل مع تركيب الخطاب/النص بواسطة استراتيجيات معينة . فاستراتيجيات القراءة التي تذلل الطريق أمام الباحث للوصول رأسا إلى موضوع الخطاب/النص تقتضي أن يضع في حسابه (أن هناك مستويات عديدة للأبنية الكبرى في النص الواحد ، مما يجعل المستوى الذي يشملها جميعا و يقع في أعلى المراتب هو الذي يعد بنية كبرى بالنسبة إلى ما دونه) (1343) ، و لهذا فإن كل ذلك إنما هو في حقيقة الأمر وسائل و اجرائيات فعالة بواسطتها يوظف المتلقي معطيات التركيب الخطابي/النصي من أجل تكوين صورة موضوعية علمية عن موضوع الخطاب/النص...

و إذا (كانت البنية الكبرى للنص ذات طبيعة دلالية ... و مشروطة بمدى التماسك الكلي للنص ، فإن الذي يحدد إطارها نتيجة لذلك هو المتلقي . لأن مفهوم التماسك ينتمي إلى مجال الفهم و التفسير الذي يضيفه القارئ على النص ، و نتيجة لأن تأويل النص من جانب القارئ لا يعتمد فحسب على استرجاع البيانات الدلالية التي يتضمنها هذا النص ، بل يقتضي أيضا إدخال عناصر القراءة التي يملكها المتلقي ، داخل ما يسمى

1341 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص ، ص : 237 .

1342 - المرجع نفسه ، ص : 241 .

1343 - المرجع نفسه ، ص : 241 .

بكفاءة النص أو انجازه ، فإن نظم العقائد و الأعراف و الأبنية العاطفية ، و ما يطلق عليه الشفرات المساعدة ، تسهم كلها في صنع هذا التماسك للخطاب النصي (1344) . فبحسب منهجية القارئ الخبير يتحقق موضوع الخطاب/النص ، و كذلك من خلال فعاليات تجربته الكاملة (لا يقوم فحسب بعملية ترجمة للبيانات الواردة دلاليا في النص .. بل هو الذي يضع لها نوع الإطار الذي يراها من خلاله) (1345) ، و ذلك باعتبار أن معنى الخطاب/النص هو كل رد فعل يثيره النص في ذهن القارئ ، و بذلك يشتمل موضوع الخطاب/النص على عناصر التجربة القرائية الكاملة ، فكل شئ يحدثه المتلقي في تفاعله مع الخطاب/النص هو جزء مفصلي من بنية موضوعه . يساعد بطريقة أو أخرى على تجلية البنية الكبرى للخطاب ، لأن ذلك لا يؤدي فحسب (التماسك الكلي ، بل تؤدي أيضا إلى التماسك الجزئي المحلي في المستوى الكامن تحت متتاليات الجمل ، كما تقتضي بذلك مبادئ النحو التحويلي التوليدي . و معنى هذا أن تحليل النصوص علميا يعتمد على ملاحظة التعالق و الترابط بين الأبنية الصغرى و البنية الكبرى الكلية) (1346) .

تمثيل موضوع الخطاب

(أ) - الخطاب و العالم :

هل يمتلك الخطاب/النص قيمته و يستمدّها من ذاتيته أم من خلال كاتبه فقط ؟ أم هل تعتبر حقيقة أن (كل وعي هو وعي بشيء ما ، سواء أكان بالذات أم بعالم الأشياء الذي يحيط بنا) (1347) هو الذي يصنع الرابطة العلائقية بين الخطاب و العالم ؟ . من الافتراضات الأساس التي تجول في خاطر المتلقي و تضغط عليه للتفكير فيها أن ما يقدمه الخطاب/النص و يطرحه موضوعا (.. يجعلنا أمام افتراض أنه يوجد عالم خارج

1344 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص ، ص : 241 .

1345 - المرجع نفسه ، ص : 241 .

1346 - المرجع نفسه ، ص : 247 .

1347 - مجموعة من الكتاب : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، ترجمة رضوان ظاها ، عالم المعرفة ، العدد : 221 ،

1997 م ، ص : 125 .

النص يشير إليه النص , و عادة ما نشير إلى هذا العالم باعتباره عالما فعليا...)(1348) . و المقارب لأي خطاب/النص في محاولة منه لفهمه لا بد أنه متخيل لهذا العالم الخارجي/الفعلي الموازي للرسالة اللغوية , بل (نجد عند ريشار أن صفات حسية من مثل خشن , ناعم , مرمرى , ذابل , لماع , الخ...تفقد وظيفتها كصفة لتصبح ماهية حقيقية)(1349) , فتصير عندئذ هذه العملية من بين أهم المعطيات الفاعلة في تحقيق المقاربة الأنموذجية , و بالتالي فإن عملية الفهم تعتمد اعتمادا أساسيا على مدى مقدرة المتلقي/القارئ على إدراك /معرفة العالم الخارجي و حسن استعماله في تجربته القرائية التي تتحدد (من خلال علاقته مع ما يحيط به)(1350) لصناعة نوع من المماثلة لكي يفهم و تقتنذ لغة الخطاب/النص التي يتعامل معها . و عليه فمن أفضل الوسائل الإجرائية لملاسة مدى العلاقة القائمة بين الخطاب/النص و العالم نجد على سبيل التمثيل إعادة الصياغة أو الترجمة , لأن كل عملية لغوية انتقائية/اختيارية يعمد إليها الناص على مستوى التواصل اللساني إنما هي في الأساس لون من الرؤية و زاوية من زوايا الإدراك التي يتموقع فيها الناص ناظرا - انطلاقا منها - للعالم الخارجي , و تتضمن هذه العملية ضرورة التمييز في التلفظ (بين المعلومة المنقولة الموسومة بالمحتوى و العلاقة التي يقيمها بين المتفاعلين و الإطار الذي يترتب عن ذلك ..)(1351) . و لهذا فالعمليات التفكيرية المتنوعة التي تعتمل داخل المتلقي من تحليل و استنتاج و فهم للخطاب/النص بل حتى تلخيصه أو تقليصه ..تستفزها الكثير من المؤثرات و لكن على رأسها معرفة المتلقي بالعالم /المعرفة العامة معرفة مبنية التجربة الذاتية خاصة... و من هنا نصل إلى نتيجة مهمة و هي أن قيمة الخطاب/النص تستمد من العالم /المعرفة العامة كذلك ...

(ب) - الإفتراضات المسبقة :

1348 - عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق , ص : 192 .

1349 - مجموعة من الكتاب : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي , ص : 127 .

1350 - المرجع نفسه , ص : 125 .

1351 - دومينيك مانغونو : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب , ص : 27 .

لقد استمد هذا المصطلح من المنطق و الفلسفة و استخدم للدلالة على مجموعة من الاحتمالات القبلية التي تضع إطاراً حول كيفية رؤية السلوك النصي و المبادئ والأسس والمفاهيم التي تشكل منظومته الكلية . إن الافتراضات المسبقة هي أمور مفترضة من قبل، ويمكن للإنسان أن يقول إنه عندما «يفترض مقدماً» فهو هنا يستنتج مسبقاً قبل أن يبدأ في البحث والاستقصاء في الموضوع. بدرجة ما، فإن الافتراضات المسبقة لا يمكن غالباً الفكك منها، و على هذا الأساس (..علينا افتراض أن تجربة الإنسان مع أحداث سابقة مشابهة تزوده بتوقعات و افتراضات عن خصائص السياق ..بل يصبح الإنسان قادراً على التنبؤ بما يحتمل أن يحدث ..)(1352) داخل عالم الخطاب/النص أو خارجه ..

تعتبر الافتراضات المسبقة Pré-supposition من بين المفهومات التداولية الإجرائية الهامة و المستخدمة (.. في تحليل الخطاب للإشارة إلى المعلومات المشتقة من النص , سواء كانت معلومات ضمنية أو معلومات صريحة ..)(1353) , أي متعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب/النص . ففي كل تواصل لساني ينطلق شركاء الخطاب/النص من معطيات أولية وافتراضات مسبقة معترف بها و متفق عليها بينهم . تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية ضرورية حيوية و نقطة انطلاق ارتكازية لفاعلية اتصالية تفاعلية , و معطى أساس من معطيات استمرارية الخطاب/النص و تدفقه من أجل تحقيق أقصى نجاح ممكن لعملية تواصلية إنسانية , وهي بذلك محتواة ضمن السياقات و البنيات التركيبية العامة .

ففي الملفوظ (1) مثلاً :

1 - أغلق النافذة .

وفي الملفوظ (2) :

2 - لا تغلق النافذة .

في الملفوظين كليهما خلفيةُ "افتراض مسبق" مضمونها أن "النافذة مفتوحة" .

1352 - عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق , ص : 06 .

1353 - المرجع نفسه , ص : 192 .

ويرى الكثير من علماء التفكير التداولي أن "الافتراضات المسبقة" ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ؛ ففي التعليمات Didactique، تم الاعتراف بدور "الافتراضات المسبقة" منذ زمن طويل، فقد أثبت البحث العلمي التجريبي أنه لا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه. أما فيما يتعلق بمظاهر "سوء الفهم" التي تعيق استمرارية الفعل التواصلية أو تشوشه على أقل تقدر التي تدرج عادة تحت اسم "التواصل السيئ"، فلها سبب أصلي مشترك هو ذلك الخلل والضعف الذي مس أساس "الافتراضات المسبقة" الضروري لنجاح كل تواصل كلامي.

(ج) - الاستنتاج:

إن عملية قراءة وفهم الخطاب/النص إنما هي عملية تفاعلية تواصلية، فالقارئ خلال هذا التفاعل يساهم بمجموعة من العمليات الذهنية، وإذا كان الخطاب/النص يقدم مجموعة من العلامات تمثل أدلة وإشارات ومفاتيح تمكن القارئ من فهمه وتأويله. فإن عملية الوصول إلى المعنى الجلي والواضح للخطاب/النص تمثل الصيغة الأولية والأساسية خلال عملية القراءة والفهم، ولهذا فإن الفعل القرائي هو أكثر تعقيدا من أن يكون عملية بسيطة لفك رموز وإشارات، ويعتبر حالياً عملية تفاعلية بين القارئ والخطاب/النص. ولأنه في العديد من الأحيان عندما يواجه القارئ خطاباً نصاً ما يتعرض له الكثير من العقبات أو الصعوبات تحول دون وصوله إلى معناه الضمني والمضمرة ولا يتمكن من تحديد معناه الإجمالي/مضمون الخطاب؛ وذلك لأنهم يواجهون مشكلة في فك رموز كلمات جديدة أو ربط معاني الجمل بعضها بعض أو في بناء أفكار الخطاب/النص بصورة إجمالية. في مثل هذه الحالات يعتبر استخدام إستراتيجيات الاستنتاج التي تعد قوام وأساس عملية القراءة والفهم السبيل الأمثل لتجاوز مثل هذه العقبات.

و الاستنتاج هو تلك العملية الذهنية الإدراكية التي يقوم بها القارئ/السامع للانتقال من معطيات البنية السطحية لما هو مكتوب /أو مقول إلى فضاء البنية العميقة قصد الكاتب /أو المتكلم من وراء الخطاب/النص، وذلك إنما يتحقق من خلال تحديد جملة من

الاستنتاجات اللازمة القيام بها و تفعيلها .. (وعلى ذلك يعد مصطلح الاستنتاج مصطلحا
جامعا لكل المعلومات الضمنية الممكنة التي يمكن اشتقاقها من الخطاب (على نحو
ضروري أو ممكن , سابق أو لاحق) (1354).

فالاستنتاج يشير إلى استدعاء المعرفة أو المعلومات التي تستخدم في فهمه ..

بنية موضوع الخطاب :

عندما يتحدث الدارس عن الخطاب فإنما هو يعني (.. رسالة من الكاتب إلى القارئ
.. فالإتصال بين الكاتب و المتلقي يكون إنما يتم عبر النص , تماما مثلما أن الإتصال بين
المتكلم و السامع إنما يتم عبر الكلام , أي عبر الإشارات الصوتية ..) (1355) . و مما
لاشك فيه هو أن هذه الرسالة اللغوية بين المتكلم و المتلقي لا تكون فاعلة إلا إذا كانت
حاملة لمضمون/موضوع ما يؤسس لعلاقة تواصلية و تفاعلية , يتم من خلالها إضفاء
الاستمرارية على الخطاب فـ(المعنى الذي تحمله الإشارة الصوتية هو , في آن واحد ,
من إنتاج المتكلم و السامع , فذلك المعنى الذي يحمله النص , في آن واحد , من إنتاج
الكاتب و القارئ) (1356).

و على أساس ما سلف ذكره ينظر محمد الخطابي إلى موضوع الخطاب على أنه (
الوحدة الكلية العضوية للنص) (1357) الذي يعمل على تنظيم و تصنيف الإختيار الدلالي
للمتتاليات ككل , تلك هي وظيفة موضوع الخطاب الذي (يعد بنية دلالية بواسطتها يصف
انسجام فان ديك الخطاب , و بالتالي يعتبر أداة إجرائية حدسية بها تقارب البنية الكلية
للخطاب) (1358). لكن قبل الحديث عن البنية الخطابية للأحاديث القدسية , لا بد أن نشير
ولو بإيجاز إلى وجهة نظر المتلقي دوره في الحكم على انسجام النص و تماسكه .

1354 - عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق , ص : 193 .

1355 - محمد عابد الجابري : الخطاب العربي المعاصر , دراسة تحليلية نقدية , مركز دراسات الوحدة العربية , ط 5 :

1994 م , ص : 10 .

1356 - المرجع نفسه , ص : 10 .

1357 - مجموعة من الكتاب : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي , ص : 131 .

1358 - محمد خطابي : لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 42 .

تعطي بنية الخطاب لعناصرها العضوية أهمية بالغة لكونها تعمل جميعا دون استثناء على تحقيق الفعل التواصل المنشود , و من بين أهم هذه المكونات البنيوية للخطاب المرسل/المتكلم و المرسل إليه/المتلقي و نوع الرسالة , و هي - لاشك - عناصر أساسية في صناعة البنية التواصلية لأي خطاب/نص , بل تدخل كشريك كبير في عملية تأويل الخطاب و فهمه و (الاندماج مع تلك الحركة التي تحمل النص) (1359) , و من ثمة إلى تحقيق تماسكه و انسجامه و استمراريته دلاليا . و لهذا فـ(الخطاب ..إذا كان يعبر عن فكرة صاحبه فهو يعكس أيضا مدى قدرته على البناء . و... لما كان كل بناء يخضع , و لا بد , لقواعد معينة تجعله قادرا على أداء وظيفته , فإن الخطاب يعكس كذلك مدى قدرة صاحبه على احترام تلك القواعد , أي على مدى استثماره لها لتقديم وجهة نظره إلى القارئ بالصورة التي تجعلها تؤدي مهمتها لدى هذا الأخير , مهمة الإخبار و الإقناع ...) (1360) .

دور المتلقي في الحكم على انسجام الخطاب/النص :

و إذا كان السامع يسهم (مساهمة ضرورية في تحقيق .. الاتصال الكلامي , يساهم القارئ بدوره مساهمة ضرورية في تحقيق الاتصال الكتابي عبر النص .) (1361) , فإنه يمكننا التنبيه في بداية الأمر إلى أن القراءة التي لا تساهم في إنتاج المقروء (لا وجود لها , و إذا وجدت فهي النص ذاته , بدون قراءة . بل إننا على العكس من ذلك نحاول أن نسهم بوعي و تصميم في إنتاج مقروئنا) (1362) هذا من جهة . و من جهة أخرى فإن حديثنا عن دور المتلقي في الحكم على انسجام الخطاب/النص , لا يستهدف بالضرورة القارئ الإستنساخي . و هو نوع من المتلقين يتسم بقراءة (تحاول أن تخضع نفسها للنص , تبرز ما يبرز و تخفي ما يخفي لتقدم لنا صورة - طبق

1359 - مجموعة من الكتاب : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي , ص : 135 .

1360 - محمد عابد الجابري : الخطاب العربي المعاصر , دراسة تحليلية نقدية , ص : 11 .

1361 - المرجع نفسه , ص : 10 .

1362 - المرجع نفسه , ص : 12 .

الأصل - إلى هذه الدرجة أو تلك , عن المقروء , أي تعبيراً مطابقاً لوجهة النظر الصريحة المكشوفة التي يحملها . هذا ما تفعله في الغالب الكتب المدرسية و أيضا المؤلفات الجامعية الأكاديمية عندنا حيث تقدم للطالب بـ(أمانة) خلاصة المقروء ... نفس الخطاب حول نفس الموضوع ... مثل هذه القراءة نسميها قراءة استنساخية ... و مع ذلك فهذه القراءة لا تخلو و لا يمكن أن تخلو من التأويل , بل إنما تخلو من الوعي بما تقوم به من تأويل) (1363), كما لا ترمي هذه الدراسة لتوظيف نموذج القارئ التشخيصي . أو ما يطلق علي قراءته محمد عابد الجابري مصطلح (قراءة تشخيصية) , و التي في نظره تنطلق من الرؤية القائمة على (كشف و تشخيص للتناقضات التي يحملها الخطاب سواء على سطحه أو داخل هيكله العام , سواء أكانت تلك التناقضات مجرد تعارضات أو جملة نقائص) (1364) . و إنما نقصد من وراء كلمة متلق هنا ما عناه روسيه أولاً بأنه ذاك الذي (يستقر في العمل الأدبي و يندمج في حركة خيال المؤلف و في رسومات تركيبه الشكل و المعنى) (1365) , كما يراد به ثانياً ذلك المتلقي المبدع المتفاعل مع الخطاب/النص و الذي (يساهم بوعي في إنتاج وجهة النظر التي يحملها , أو يتحملها الخطاب . هي لا تريد و لا تقبل الوقوف عند حدود العرض و التلخيص و التحليل ... بل تريد إعادة بناء ذلك الخطاب بشكل يجعله أكثر تماسكا و أقوى تعبيراً عن إحدى وجهات النظر التي يحملها صراحة أو ضمناً) (1366) , هذا النوع من القراءة ذو بعدين (البعد الذي يتحدث منه كاتب النص , البعد الذي يتحدث منه القارئ) (1367). ومادام الخطاب/النص بنية مغلقة ونسيجاً لسانياً فإن هذه البنية يقينا تضرر طاقة الخطاب/النص (موضوع الخطاب) , وطاقة مؤلفه. و زيادة على ذلك ثمة طاقة أخرى هي طاقة المتلقي والتي من خلال الفعل القرآني المنتج تعمل على استيعاب طاقة الخطاب/النص (موضوع الخطاب) و احتواء مكموناته إن أمكن ذلك , فـ(الكاتب يريد أن يقدم فكرة أو وجهة نظر في موضوع معين , و هذا خطاب , و القارئ يتلقى هذه

1363 - محمد عابد الجابري : الخطاب العربي المعاصر , دراسة تحليلية نقدية , ص : 11 .

1364 - المرجع نفسه , ص : 12 .

1365 - مجموعة من الكتاب : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي , ص : 136 .

1366 - محمد عابد الجابري : الخطاب العربي المعاصر , دراسة تحليلية نقدية , ص : 12 .

1367 - المرجع نفسه , ص : 12 .

الفكرة أو الوجهة من النظر كمت يستخلصها هو من النص و بالطريقة التي يختارها -
بعل العادة أو بوعي و إرادة - و هذا تأويل للخطاب أو قراءة له (1368).

و من هنا فإن القارئ تنتظره جملة من المهامات لا يمكن حصرها كلها و لكن منها
(تعيين نقطة الانطلاق , أي الحدس الأولي الذي يشع في العمل الأدبي و .. استرجاع
حيوية ما و الاهتداء إلى نقطة البداية) (1369) , ومنها كذلك إعادة التعرف على الكيفيات
التأليفية و محاولة إدراك السبل التي سلكها المؤلف في إنشاء خطابه . و من ثم
تجربته .

و الدافعية من وراء كل ذلك هي السعي إلى مقارنة الخطاب/النص و تأويله , و
في الوقت ذاته ممارسة القارئ لنشاطه المعرفي , و توظيف رصيده كفايته المعرفية .
لأنه في كل خطاب/نص ثمة جانبان : (جانب موضوعي يشير إلى اللغة وهو المشروط
الذي يجعل عملية الفهم ممكنة , و جانب ذاتي يشير إلى فكر المؤلف و يتجلى في
استخدامه الخاص للغة . و هذان الجانبان يشيران إلى تجربة المؤلف التي يسعى القارئ
إلى إعادة بنائها بغية فهم المؤلف أو فهم تجربته) (1370) .

إن هذه التفاعلية الإيجابية الناشئة بين القارئ و الخطاب/النص , إنما تمثل الشركة
المحورية و نقطة ارتكاز ضرورية لترابط أجزاء النص و قدرته التواصلية , و البنية
اللسانية المنجزة هي التي تتيح للقارئ مباشرة التأويل و البحث عن موضوع
الخطاب/النص (النقطة التي يتبلور عندها الحدس بالوجود الذي يتجاوز النص , و في
ذات الوقت لا يوجد مستقلا عن الفعل المؤدي إلى إظهاره) (1371) , مما يمنحه القابلية
و القدرة على الاستعانة في تجسيد هذا الأمر بتحريك و خلخلة مكونات
الخطاب/النص و الأطراف المتفاعلة ضمن الفعل القرائي الذي أنتجه تفاعل القارئ
مع الخطاب/النص (نتيجة لأن تأويل النص من جانب القارئ لا يعتمد فحسب على
استرجاع البيانات الدلالية التي يتضمنها هذا النص , بل يقتضي أيضا إدخال عناصر

1368 - محمد عابد الجابري : الخطاب العربي المعاصر , دراسة تحليلية نقدية , ص : 10 .

1369 - مجموعة من الكتاب : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي , ص : 136 .

1370 - حامد أبو زيد : إشكالية القراءة وآليات التأويل , ص : 21 .

1371 - مجموعة من الكتاب : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي , ص : 138 .

القراءة التي يملكها المتلقي , داخل ما يسمى بكفاءة النص أو انجازه , فإن نظم العقائد و العراف و الأبنية العاطفية , و ما يطلق عليه الشفرات المساعدة , تسهم كلها في صنع هذا التماسك للخطاب النصي ..(1372) .

إن تعامل القارئ مع اللغة انطلاقاً من كونها ليست فقط شفرات ورموزاً وعلامات , و إنما هي كذلك نظام نصي و انتظام أسلوبى/تأليفى. الأمر الذي يدفع الدارس إلى القول أنه ما دام فعل القراءة يشكل ضرورة مفصلية و مرحلة لا يمكن تجاوزها و إغفالها . فإن مضمون الخطاب/النص الذي يشكل جوهر و مركزية بنية الخطاب في بعده اللغوي و المعرفي يتولد عنه جدل ملازم في كل قراءة . يتجاذبه قطبي الفهم أو الاستيعاب.

إن للمتلقى دوراً أساسياً في الحكم على انسجامية الخطاب/النص و تماسكه , إذ يمثل أحد الأركان الأساسية في التحليل النصي و مقارنته , فهو (.. يعتبر القراءة الثانية للنص , و لهذا لم يغفل علماء اللغة هذا الدور للمتلقى , فالنص يعد حواراً قائماً بين قائل النص و النص و المتلقى)(1373) .

و قد تنبه علماء لسانيات النص لدور المتلقى في الحكم على النص و لم يعتبروه مجرد مستهلك , بل عد بمثابة المشارك و الشريك في وجود الخطاب/النص و استمراريته , و هذه الاستمرارية و (.. المشاركة لا تضمن قطيعة بين البنية و القراءة , و إنما اعني اندماجها في عملية دلالية واحدة , فممارسة القراءة إسهام في التأليف , فللقارئ مكان جوهري في عملية التفسير لا يقل عن دور المنتج)(1374) . فالذي يخرج الخطاب/النص إلى عالم الوجود و يبث فيه الحياة و يدخله في شبكة من التفاعل و التواصل و التثاقف مع الآخر لا شك أنه المتلقى ابتداءً , كما أن الذي يحكم على قيمة الخطاب/النص هو المتلقى الذي قد قارب الخطاب/النص استوعبه قراءة و تفاعلاً و تماهياً حتى ..

إن ما تقدم يقودنا إلى إشارة مفصلية و هي أن المتلقى ليس طرفاً و معطى أساسياً في عملية الإبداع النصي فقط , بل هو شريك عضوي و والوجه الآخر للناص/المؤلف

1372 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص , ص : 241 .

1373 - صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق : دراسة تطبيقية على السور المكية , ج 1 , ص

: 110 .

1374 - سعيد حسن بحري : علم لغة النص المفاهيم و الاتجاهات , ص : 111-112 .

في التخليق النصي و نموه و استوائه على سوقه و التشكيل الدلالي و إنتاج وجهات النظر , إلا أن القارئ (عندما يساهم في إنتاج وجهة نظر معينة من الخطاب يستعمل هو الآخر أدوات من عنده , هي في جملتها وجهة نظر أو جزء منها أو عناصر صالحة لتكوينها . و من هنا اختلاف القراءات و تعدد مستوياتها ..)(1375) . و بهذا يكون المتلقي من خلال هذه المعادلة شريك مشروع و شرعي , لأن الخطاب/النص ما وجد و نسج إلا من أجله و بفضل اثراته و تأثيراته , فالخطاب/النص منه و إليه .

و على هذا الأساس فإن حقيقة العمل الجمالي لا يتمثل وجوده و لا ينتقل من مرحلة الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل - كما يقول المناطقة - إلا من خلال ذلك التفاعل الإيجابي بل التماهي و التداخل بين المتلقي و الخطاب/النص و المبدع , بل إن هذا الأخير/الناص يخلق عملاً ينتزع فيه الكلمات من عالم المحسوسات مجسمة في نسيج عالم خيالي ... محكم الربط و البناء , و مهياً لأن يستكمل على نحو خاص لدى كل قارئ (1376)

لهذا إدراكنا مبدئياً لوظيفية المتلقي و أدواره العضوية المفصلية خطوة أساسية و مرحلة مقارباتية لا يمكن القفز عليها أو تجاهلها , فالخطاب/النص معادلة وجوده لا يتحقق إلا بحضورية المتلقي , ففي خطاب/نص الحديث القدسي , نجد أن المتلقي التفاعلي التواصل المبدع خاصة , إنما هو ذلك الذي قد أدرك مضمونية الأحاديث القدسية و لو بصورة عامة وتشرب بطريقة أو أخرى بعض جمالياته الأسلوبية , بعد أن يكون قد اتكأ على سياق الخطاب/النص القدسي و مناسبات وروده - إن وجدت - و بهذا نجده في الكثير من الأحيان يطرح مجموعة من الاستفهامات حول خطاب/نص بعينه , مستهدفاً بذلك بذلك فك شفرته , للغوص معرفياً وراء المعاني الدقيقة و الدلالات المؤسسة له , أو على الأقل محاولة الاقتراب من معطياته المباشرة المختلفة طمعا في الوصول إلى أسراره , و من خلال كل ذلك تنكشف الكيفية و الطريقة التي حقق بها

1375 - محمد عابد الجابري : الخطاب العربي المعاصر , دراسة تحليلية نقدية , ص : 11 .

1376 - صبحي ابراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : دراسة تطبيقية على السور المكية , ج 1 , ص

الخطاب/النص انسجامه و فرض وجوده و استمراريته , مستمدا كل ذلك انطلاقا من أن وجود الخطاب/النص كان من أجل القارئ/المتلقي .

علامات حدود موضوع الخطاب/النص :

إن الخطاب/النص عندما يدخل في عملية تفاعلية بحيث يتعرض لمقاربة استنطاقية من قبل القارئ يتخذ شكلا وجوديا متميزا فيتمثل في صورة أفكار و مفاهيم و (النقطة التي يتبلور عندها الحدس بالوجود الذي يتجاوز النص , و في ذات الوقت لا يوجد مستقلا عن الفعل المؤدي إلى إظهاره) (1377) ... و من ثمة تعثره ديناميكية معينة فيتحرك وتتعدد دلالاته , مما ينزع عنه صفة الثبوتية , ويجعله عرضة للتحول و معرضا لها بحيث (يوجه كل ناقد قراءته بحسب حدسه الخاص , تظهر الذاتية واضحة هنا , لاختيار الموضوعات التي يشرحها , و.. قد يرجعنا إلى محتوى أو إلى واقع شكلي سواء بسواء) (1378) , إلى درجة قد تصل به أحيانا إلى حدود الاضطراب (ذلك لأنه من المستحيل أن تحل الحالة الشعورية الواحدة في ذهن أكثر من شخص سواء في نفس الوقت أو في وقتين مختلفين) (1379) لحظة غياب الشروط الحقيقية للتواصل التأويلي , المتمثلة في التجربة العميقة والمعرفة الحقيقية . لأن المبدع/الناص (قد يعتمد على خبراته اعتمادا كلياً أو جزئياً , إلا أنه كلما ازداد .. اكتمالا انفصل فيه الشخص الذي يعاني عن العقل الذي يخلق , و ازدادت قدرة ذهنه على انتخاب عناصره , و تحويل انفعالاته , أي مادته الأصلية , إلى شيء جديد) (1380) , هذا يعني أن الناص يملك ذهنية تشبه إلى حد بعيد (إناء يختزن عددا لا حصر له من الأحاسيس و العبارات و الصور , و يستبقيها تاركا إياها كامنة فيه إلى أن تتجمع الجزئيات التي يمكن لها أن تتحدد و تخرج مزيجا جديدا) (1381) , و بهذا يصبح مصطلح الموضوع يشير إلى

1377 - مجموعة من الكتاب : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي , ص : 138 .

1378 - المرجع نفسه , ص : 139 .

1379 - محمد عزام : المنهج الموضوعي , منشورات اتحاد الكتاب العرب , 1999 م , ص : 47 .

1380 - المرجع نفسه , ص : 23 .

1381 - المرجع نفسه , ص : 23 .

.. كل ما يشكل قرينة متميزة الدلالة في العمل الأدبي عن الوجود - في - العالم الخاص ..(1382) بصاحب الخطاب . وهنا يتحدد مجال التواصل الذاتي و يصير من المعطيات الضرورية و المحورية لهذه العملية شديدة التعقيد و التركيب التي (ليست إطلاقا كشافا بالتواترات بل هي جملة الصلات التي يرسمها العمل الأدبي في علاقتها بالوعي الذي يعبر عن ذاته من خلالها) (1383) ، وبالتالي يتم تأطير التأويل كآلية تفاعلية تواصلية ، ويستبعد بذلك ، المعيار اللساني لوحده أن يستحوذ على العملية هاته بكلياتها ، باعتباره لا يستوفي أبعادها، ولا يسبر أغوارها ما دام يقلل من حضورية و قيمة البعد الرمزي للتجربة دينية كانت أو غير دينية ، كما عبر عنها قديما الفخر الرازي بقوله (ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي) (1384) . و لهذا حتى يكون التواصل و التوصيل ناجحا بين صاحب الخطاب و المتلقي يجب مراعاة ناحيتي هامتين في ذلك (ايجابية ، و هي قدرة المتكلم على عرض الموضوع الذي يتحدث عنه بحيث ينقل للمستمع فكرة عنه ، و ناحية سلبية هي قدرة المستمع على الاستقبال بحساسية و تميز . و يتطلب التوصيل الناجح ، بالاضافة إلى وجود الموهبة ، من الوجهتين الايجابية و السلبية أن يكون الناس مشتركين في الكثير من التجارب ، و أن تكون ظروفهم الحياتية متشابهة ، فبدون هذا التشابه ، في تجارب الماضي ، يتعذر التفاهم و التوصيل) (1385)

هذا يدعونا إلى تأكيد أن (.. محاولة الوصول إلى موضوع الخطاب قد تتطلب تقسيم الخطاب إلى سلسلة من الوحدات الصغرى ، لكل منها موضوع مستقل ، و عند محاولة وصف الانتقال في الموضوع فإنه لابد من وجود نقطة معينة بين مقطعين خطابين متجاورين ندرك حدسيا أن لهما موضوعين مختلفين ، و يكون الانتقال عندها من موضوع معين إلى الذي يليه معلما بعلامة ما ..) (1386) .

1382 - مجموعة من الكتاب : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، ص : 139 .

1383 - المرجع نفسه ، ص : 139 .

1384 - ابن أبي العز الحنفي : شروح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي ، ط 9 : 1988 م ، ص : 208..

1385 - محمد عزام : المنهج الموضوعي ، ص : 47 .

1386 - عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق ، ص : 194 .

- علامات الانتقال الموضوعي :

(أ) - في الخطاب الشفوي : و منها

- الفقرات النغمية : ففي المحادثة الفقرات النغمية تعتبر علامات تدل على الانتقال الموضوعي , إذ يوظف المتكلم بطريقة مميزة بعض العبارات الاستهلاكية يشعر بها المخاطب و يعلن له تحديدا ما يريد التحدث عنه و توصليه , و تكون عادة هذه العبارات الاستهلاكية من الناحية الصوتية واضحة و بارزة عمدا من قبل المتكلم .

و لكن هناك كذلك بعض العلامات التي تندرج ضمن السياق السالف الذكر إلا أنها أكثر خفاء و دالة في الوقت نفسه على الانتقال الموضوعي أشار إليها محللو الخطاب الحوارية خاصة و و من أمثلة ذلك :

- تحديق المتكلم

- حركات الجسم

- (استعمال أنواع مختلفة من المألآت مثل أجل و المهمة و التأوه و غيرها مما له علاقة بالانتقال الموضوعي ...) (1387) .

(ب) - في الخطاب المكتوب : و منها

- الفقرات : فالخطاب/النص المكتوب عادة ما يعمد صاحبه إلى تجزئته إلى فقرات متتالية , و يجليها أكثر بالاعتماد على إبراز حدودها و أحجامها و ذلك من خلال ترك الفراغات ذات مسافات واحدة في أول الخطاب/النص , و عند الانتقال إلى فقرة جديدة تتكرر الصورة و هكذا دواليك , و من ثمة يتمكن القارئ من التعرف بيسر على المحطات الانتقالية الموضوعية في الخطاب المكتوب انطلاقا من كل فقرة جديدة . أما فيما يخص النص السردي هناك طرق تحدد لحظة و موضع الانتقال الموضوعي كالتحول الذي يمس الإطار الزماني أو المكاني أو القضية أو الشخص الموضوع المتحدث عنه فينتقل بالمتلقي من وضعية قرائية معينة إلى أخرى مفاجئة أو غير مفاجئة , لكنها متميزة في انسجامية عن الذي سبقها

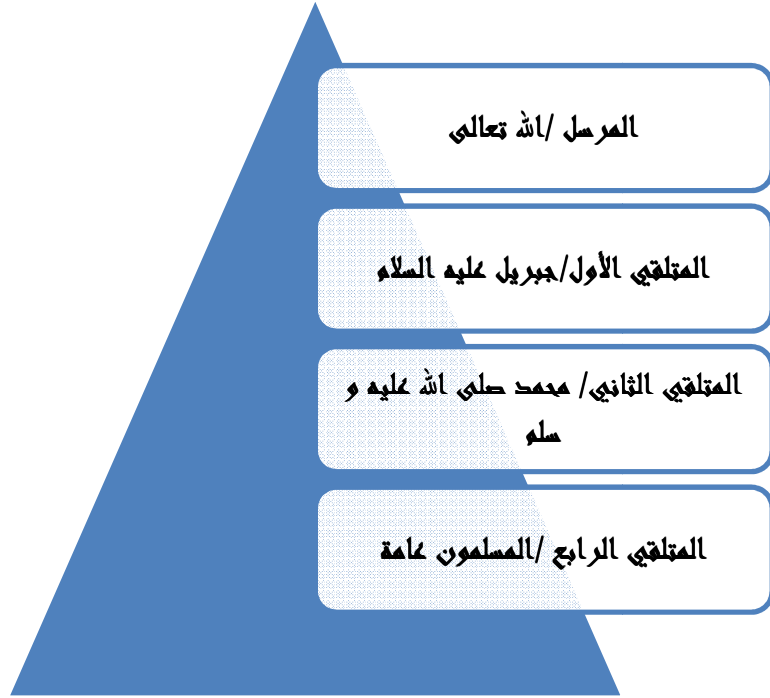
إن هذه المؤشرات الحادية إلى تحديد موقعية الانتقال الموضوعي في الخطاب/النص هي ليست قواعد معيارية و قوانين ثابتة و صارمة لا يجوز تجاوزها بل هي علامات تملئها طبيعة الرسالة اللسانية نفسها أولا ثم هي وسائل و آليات يستهدي بها القارئ انطلاقا من خيارات مسؤولة هي مزيج بين البعد الذاتي و البعد الموضوعي ينزع إليها لتنظيم الفعل القرائي التواصلي و المقارباتي للخطاب/النص , حتى يتسنى له معرفة موضوع الخطاب و الوقوف على حدود أسراره ...

خصائص البنية الخطابية :

تهتم البنية الخطابية بالمتكلم/المرسل أو المخاطب , كما تعنى في الوقت ذاته بمتلقي الخطاب/المرسل إليه و الخطاب/النص نوع الرسالة , و كل ما تقدم ذكره إنما هي عناصر أساسية في تخلق الخطاب و وجوده , بل تدخل في تشكيل البنية الخطابية لأي خطاب/نص أو رسالة تواصلية , كما تساهم في تأويلية الخطاب/النص و فهمه و حسن تلقيه و الوصول به إلى حدود حقيقة انسجامه دلاليا و تماسك نسجه تداوليا ..

تتميز البنية الخطابية في الحديث القدسي بأن المرسل/المتكلم هو الله تعالى و المتلقي الأول قد يكون : هو جبريل عليه السلام و من ثمة يكون المتلقي الثاني : هو النبي محمد صلى الله عليه و سلم , أو أيكون المتلقي الأول مباشرة هو : هو النبي صلى الله عليه و سلم دون واسطة جبريل عليه السلام , أما المتلقي الثالث/أو الثاني , بحسب ما تقدم : فهو جمهرة المسلمين عامة , انطلاقا من صحابة الرسول صلى الله عليه و سلم ثم من جاء بعدهم من المسلمين إلى أن تقوم الساعة .

رسم بياني (1)



الرسم البياني (2)



إن الحديث القدسي يعد شكلا من أشكال الرسالة الربانية إلى البشرية جمعاء و مظهرا من مظاهر تجلياتها و استمراريتها , منذ بعثة النبي محمد صلى الله عليه و سلم و إلى أن يرث الله الأرض و من عليها , إنه تواصل و اتصال نوعي و علائقية متميز (.. ترقى إلى ما فوق الزمنية التاريخية و التاريخية) (1388) . عن باقي الأنواع التواصلية القائمة بين الناس و المتداولة بينهم ...

يبني الخطاب/النص بوصفه كلا متكاملا على شبكة من الروابط منها الرابط الدلالي , و عليه فإن المقاربة النصية المبنية على البعد التحليلي تعمد في هذا الجانب على هوية بنية الخطاب/النص الكبرى , التي تقود المتلقي و تمكنه من أن يحدد انسجامية الخطاب/النص الكلي , و تمنحه جملة من الخصائص منها خاصية الاستمرارية و النصية ...

إن الانسجام في الحديث القدسي ذو طبيعة دلالية كذلك , على الرغم من الحضورية المعتبرة للعمليات التداولية و تداخليتها , فالانتقال أولا من تفسير جمل الحديث القدسي تفسيراً خطياً داخلياً , فإن المتلقي لا بد أنه واجد نفسه منتقلاً إلى مستوى ثان من التعاطي المنهجي المعرفي مع خطاب الحديث القدسي و لكن في نظرة شمولية وحدوية تكاملية ..

و إذا كانت البنية الكبرى (يمكن .. أن تختلف جزئياً فحسب من شخص إلى آخر فإن مبادئ تكونها لا تكاد تتغير في حد ذاتها) (1389) , بناء على هذا الأساس فإن الكيفية التي تتحدد بها بنية الخطاب الكبرى ليست بالسهولة التي يعتقدونها الكثير , لأنها هي في حد ذاتها منظومة من العلاقا المتشابكة و المتداخلة ترتبط في بداياتها خطواتها) بالقضايا المعبر عنها بجمل النص بواسطة ما يسمى بالقواعد الكبرى , فهذه القواعد تحدد ما هو الأكثر جوهرية في مضمون نص متناول ككل (1390) . فالملاحظ - إذا - أن

1388 - عبد المالك مرتاض : نظام الخطاب القرآني , تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن , دار هومة , الجزائر :

2001 .

1389 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص , ص : 237 .

1390 - المرجع نفسه , ص : 237 - 238 .

التلقي و المتلقي يختلف من واحد إلى آخر , انطلاقا من العناصر الكامنة فيه المثيرة للانتباه و الضاغطة في الآن نفسه , و لما كانت المعارف الخلفية و التجارب الإنسانية و القدرات الذهنية و الاهتمامات و المواقف ... متباينة من متلق إلى آخر فإن بنية الخطاب الكبرى تتلون و تأخذ أشكالا متنوعة - مع المحافظة على الجوهر و النواة الصلبة - من قارئ إلى آخر ..

و تتميز بنية خطاب/نص الحديث القدسي في الكثير من الأحيان بصعوبة التحديد و التعيين , لأنه قد يكون من المستحيل اختزال و ضغط الحديث القدسي في جملة واحدة أو أكثر نظرا لما يتمتع به من دقة شديدة في اختيار الكلمات بأنواعها الثلاث /اسم , فعل , حرف , زيادة على فرادة نسيجه التألفي و النظمي الذي يفقد الكثير من أسرارته و مقاصده في اللحظة التي يتعرض فيها للتغيير أو التبديل و لكن من خلال متلق سلبي ... زيادة على أن بنية الخطاب/النص للحديث القدسي تحمل خصوصية تقتضي طريقة متميزة و معينة للوصول إلى تخومها أو إليها مباشرة ...

و الذي نلاحظه بداية أن بنية الخطاب/النص للحديث القدسي ترتبط ارتباطا عضويا بالقضايا الواردة أساسا في مصدر الوحي الأول/القرآن الكريم , كما أنه من الزاوية الإجرائية و العملية مرتبط بالقضايا الواردة في جملة و تراكيبه و ألفاظه , و في الكثير من الأحيان تطرح أسئلة معينة تأخذ بيد القارئ نحو بنية الخطاب/النص الكبرى , و منها مثلا : ما هي القضية المحورية التي يثيرها هذا الحديث القدسي ؟ ما المقاصد التي ترمي إليها الأحاديث القدسية جميعا ؟ هل تتعرض لكل جوانب حياة المتلقي و انشغالاته ...؟

زيادة على ذلك فإن القواعد الكبرى التي حددها (فان ديك) من أهم المعالم العملية العلمية المساعدة في التعاطي مع ألوان الخطاب/النص للوقوف على بنية الخطاب/النص الكبرى , فقد ذهب (فان ديك) إلى أننا (لكي نحصل على البنية الكلية لأية متوالية يجب علينا أن ننفذ مجموعة من العمليات و طبيعة هذه العمليات كلها

حذفية تنفذ من أجل اختزال النص إلى بنية دلالية كلية (1391) . هذه العمليات كما حددها (فان ديك) (1392) تتمثل في :

- 1 - العملية الأولى/ الحذف: تتعلق بحذف المعلومات العرضية .
- 2 - العملية الثانية /الاختيار: تتعلق العملية الثانية بحذف معلومات مكونة (أساسية) .
- 3 - العملية الثالثة /التعميم : تتعلق هذه العملية المسماة التعميم البسيط بحذف المعلومات الأساسية .

حتى يتعبد الطريق أمام المتلقي و يصل في أمان إلى البنية الكبرى للخطاب/النص و يجعل دلالاته الكبرى - المتحركة في ترابط و تماسك المكونات اللغوية الشكلية و المعنوية - تطفو على السطح , اقترح *فان ديك* بعض الآليات الإجرائية المرحلية التي تملك قابلية استقطاب البنية الكبرى للخطاب مع الأخذ بيد المتلقي و جعله يقترب أكثر فأكثر من بؤرة الرسالة اللسانية التي يسعى الناص إلى غرسها داخل الخطاب , فهذه التجربة المزدوجة (تمس القارئ و الكاتب على حد سواء) (1393) , و من ثمة عرضها بين يدي المتلقي لحظة مقاربتة للخطاب يقتضي التنبيه إلى أن (هذا التحليل ليس نتيجة للمميزات الموضوعية الملاحظة للنص و للسياق إذن فقط , و لكنها أيضا و خصوصا(بناء) عقلي) لمميزات تنسبها الذات المحللة , بشكل تفاعلي , إلى النص أو إلى السياق .وإن هذا ليصح بالنسبة إلى القارئ أو المستمع الذي يقترب حدسا من النص , كما يصح بالنسبة إلى الباحث العلمي (1394) .

و أما عن الطريقة التي تتحدد بها البنية الكبرى للخطاب (فإنه من الملاحظ أن القراء يختارون من النص عناصر مهمة , تتباين باختلاف معارفهم و اهتماماتهم و آرائهم ... لكن بالرغم من هذه الاختلافات يلاحظ على مستوى التفسير الاجمالي لأحد النصوص

1391 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 283 .

1392 - المرجع نفسه , ص : 283 - 284 .

1393 - مجموعة من الكتاب : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي , ص : 120 .

1394 - منذر عياشي : العلاماتية و علم النص , ص : 141 - 142 .

وجود توافق كبير بين مستعملي اللغة . و بدون هذا التوافق الذي تحدده اصطلاحات علوم الاتصال يستبعد كل فهم ضروري لانتقال المعلومات (1395) .

القواعد المساعدة على تحديد البنية الكبرى للخطاب

إلا أن قواعد التي تأخذ بيد القارئ إلى البنية الكبرى للخطاب/النص عند فان ديك فإنها تتمثل حسب ما أكده صلاح فضل في كتابه : بلاغة الخطاب و علم النص في أربع خطوات أساسية , اثنتان تستعملان : (للإلغاء)⁽¹³⁹⁶⁾ وهما : 1 - الحذف و 2 - الاختيار , و اثنتان أخريان تستعملان : (للإبدال)⁽¹³⁹⁷⁾ و هما : 3 - التعميم و 4 - التركيب/البناء , للإشارة فإن كل هذه الأدوات تعمل على إلغاء (بعض التفاصيل كي تقصر بالتالي معلومات النص على تكوينها الأساسي)⁽¹³⁹⁸⁾ . و هي قواعد معروضة كما يأتي :

1 - القاعدة الأولى: الحذف

و يراد بهذه القاعدة أنه (تحذف كل القضايا التي يفترض مستعمل اللغة فيها أنها لم تعد وثيقة الصلة بتفسير القضية اللاحقة)⁽¹³⁹⁹⁾ , و هذا يعني أن القارئ يجب أن يملك القدرة على التمييز بين المعلومة النصية الأساس و المعلومة الثانوية التي يمكن الاستغناء عنها دون أن تهتز مهارة النص الشكلية و الدلالية و التداولية (فعندما يكون لدينا مجموعة من الأقوال يمكننا ببساطة أن نحذف منها ما ليست له وظيفة يقوم بها في النص , أي ما لا يعتبر فرضا تترتب عليه نتائج في بقية النص . ففي جملة مثل :

1395 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص , ص : 237 .

1396 - المرجع نفسه , ص : 238 .

1397 - المرجع نفسه , ص : 238 .

1398 - المرجع نفسه , ص : 238 .

1399 - كلاوس برينكر : التحليل اللغوي للنص , مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج , ترجمة : سعيد حسن بحري , مؤسسة المختار للنشر و التوزيع , ط2 : 2010 م , ص : 79 .

مرت فتاة ترتدي ثوبا أصفر . نجد أنفسنا حيال ثلاثة أقوال :

أ - مرت فتاة .

ب - ترتدي ثوبا .

ج - كان الثوب أصفر اللون .

و يمكن اختصار هذه المجموعة إلى (أ) و (ب) أو إلى حدها الأدنى و هو (أ) فقط , إن كان تفسير النص التالي لا يحتاج إلى معرفة أن الفتاة كانت ترتدي ثوبا و ليس بنطلونا مثلا , و أن الثوب كان أصفر و ليس أسود اللون , إذ أننا نعتبر هذه المعلومات في تلك الحالة قليلة الأهمية بالنسبة للنص الكامل (1400) . و بناء على ما تقدم فالنص من حيث مضمونه يحتوي على مجموعة من المعلومات لا تتساوى من حيث الأهمية و الخطورة لدى المتلقي , و لهذا يعتمد هذا الأخير إلى الفرز و التمييز بين المعلومات التي يعتبرها جوهرية و عضوية و تلك التي تعد عرضية تكميلية الاستغناء عنها لا يغير الموضوع و لا يشوّهه حتى...

كما أن الاستطراد و الحشو من المظاهر اللغوية المكتوبة و المنطوقة الذي يقع فيه الكثير من الكتاب و المتخاطبين سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . و لهذا فإنه من القليل النادر أن تجد كاتباً أو متكلماً يساوي بين شكل الرسالة اللغوية و معناها مساوية مطلقة بحيث لا يمكن الاستغناء عن أي عنصر لغوي منها , لأنه عادة إذا ما حدث ذلك انهار الفعل التواصل أساساً و اختلت الرسالة الكبرى التي ينوي صاحب النص أن يبثها للمتلقي . و لهذا فإن الأسلوب الحكيم من أصعب الأساليب التي يتمنى الكاتب أو الخطباء أن يملكوها ناصيتها .. و تأسيساً على ذلك فإن هذه المرحلة /الحذف المبنية على (اختيار القضايا التي تعد شرطاً للتأويل) (1401) , تعتبر خطوة أساسية في التخلص من العناصر اللغوية و الجمل التي يمكن الاستغناء عنها و حذفها دون أن يحدث أي خلل في البنية العميقة للخطاب أو ينسلخ - في لحظة من اللحظات - من أهم خاصية من خصائصه الوجودية و التي نعني بها الاستمرارية التي تعمل على تحقيق دينامية التواصل بينه و بين المتلقي .

1400 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص , ص : 238 - 239 .

1401 - منذر عياشي : العلاماتية و علم النص , ص : 160 .

إن هذه القاعدة لا تقوم على الافتراض و الاحتمال و إنما هي مؤسسة من خلال الواقع التطبيقي و الممارسة الفعلية من قبل المتلقي تجاه الخطاب/النص , و لهذا فإن العناصر اللغوية التي يعمل المتلقي على حذفها إذا ما أساءت للشكل أم للمضمون فإنها حينئذ تعد عناصر رئيسة و مكونات عضوية لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال , و من ثمة فعلى المتلقي أن يصبو اهتمامه على العناصر الثانوية التي غيابها لا يحول دون استمرارية الخطاب في التعاطي مع متلقيه و لا يفقده تميزه و تفردته عن باقي الرسائل اللغوية الأخرى ...

فالحذف إذا لا يرتبط فقط عمليا بالمعلومات التي تعد قليلة الأهمية , بل كذلك بالألفاظ و التراكيب و المتتاليات الجمالية ... التي يشحن بها الخطاب و يكدهه .. فالمتلقي يستهدف إذا من كل هذه العملية (الموضوع بوصفه نواة مضمون النص)(1402) و الوقوف على الهيكلية البنيوية للخطاب و بؤرته الأساس التي تعمل على تحقيق وجوديته و تميزه عن باقي الأفعال و المواقف التواصلية الإنسانية الأخرى ..

و من خلال ذلك يمكن الاعتماد على تقنية التقليل أو التلخيص لأن مضمون النص يمثل حينئذ (الصياغة الملخصة إلى أبعد حد لمضمون النص)(1403) , فتسلط الأضواء على المحاور المفصلية التي يركز عليها ثقل خطاب/نص الحديث القدسي و حملته المعرفية أو انطلاقا من جملة أو متتالية جمالية مفتاحية أو من خلال كلمة نواة أو كلمات ...

2 - القاعدة الثانية: الاختيار

هذه المرحلة تعد من أهم المراحل التي يحرص المتلقي على حسن استثمارها لحظة مقاربتة للرسالة اللغوية .. لأن الخلل الذي قد يعتري هذه القاعدة و هي تنزل على واقع لغوي ما و تمارس فاعليتها عليه , كثيرا ما يزيد فعل التلقي بعدا عن غاياته الأساس و التي على رأسها الوقوف بين يدي البنية الكبرى للخطاب و دلالاته ..

1402 - كلاوس برينكر : التحليل اللغوي للنص , مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج , ص : 83 .

1403 - المرجع نفسه , ص : 84 .

و هي تعني بداية (حذف بعض المعلومات و إبقاء البعض الآخر, مع مراعاة وضوح العلاقة بين المحذوف و المتروك . ففي مجموعة من الأقوال مثل :

أ - اتجه أحمد إلى سيارته .

ب - استقلها

ج - ذهب بها إلى اسكندرية .

نجد أنه طبقا لقاعدة الاختيار يمكن أن نحذف الجملتين الأولى و الثانية , إذ أنه طبقا لشروط القول نجدهما فرضيتين مكملين أو نتيجتين لقول آخر غير محذوف و هو (ج) , إذ أنه يترتب على معلوماتنا عن الانتقال أنه كي نساfer بسيارة ينبغي أن نتوجه إليها أولا و نستقلها , كما أنه بوسعنا أن نحذف قولاً رابعاً هو - د - وصل إلى الاسكندرية . إذ من البديهي أننا نصل إلى المكان المقصود من الرحلة ما لم يحدث شيء يعوق ذلك . فإذا لم يمض الأمر على ما هو معروف فإن جملة مثل - د - لكنه لم يصل إلى الاسكندرية , لا يمكن أن نحذفها , لأن لها أهمية دلالية جوهرية غير متضمنة في النص , إذ تشير إلى الحادثة التي وقعت له مثلاً (1404) . هذه المرحلة تقتضي من المتلقي أن يعتمد إلى بعض المعلومات و الأفكار التي تكررت في فضاء النص فيقوم بحذفها و التخلص منها و لكن بشرط أن يبقى على رابطة علائقية بين العناصر التي تم حذفها و تلك التي بقيت ثابتة في النص , أو أن تكون العلاقة القائمة بين المحذوف و المتروك علاقة استدعائية بحيث كلما قرأ المتلقي في الخطاب المعلومة المتبقية , أثارت هذه الأخيرة آلياً و استحضرت المعلومة المحذوفة/المتروكة في التو و اللحظة (لأن لها أهمية دلالية جوهرية) (1405) متضمنة في النص . ذلك لأنها تعمل على توضيح و تذليل الصعوبات التي قد تقف دون تشكيل الصورة الكلية للدلالة الكبرى للنص . فالقارئ مطالب ألا يتناسى هذه العلاقة القائمة بين المحذوف و المتروك و يعمل على استحضارها في اللحظة المناسبة حتى تدعم المتلقي ليصل إلى حصر و بناء الدلالة الكبرى للخطاب ..

3 - القاعدة الثالثة: التعميم

1404 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص , ص : 239 .

1405 - المرجع نفسه , ص : 239 .

قدرة المتلقي على ضغط مجموعة من الأفكار التي يتضمنها خطاب ما في فكرة واحدة أو صوغ متتالية جمالية في جمل واحدة أو حصر نص برمته في لفظة واحدة عملية ليست بالغريبة و لا بالجديدة في حقل علم النفس المعرفي أو نظريات التلقي أو غيرها من المناهج المعرفية التي تولي اهتماما كبيرا للعمليات الذهنية و الإدراكية العقلية التي تعمل على التفاعل مع العوالم الموضوعية المختلفة و التواصلية خاصة ..

التعميم في هذا المقام يراد به (تعويض تتابع من القضايا تستلزمها كل قضية من قضايا التتابع . مثال : ماري تلعب الكرة , جان يلعب بالكرة , ميشيل يلعب بالكرة .. يلعب الأطفال بألعابهم)⁽¹⁴⁰⁶⁾ , حدث ذلك لأن (كل الأقوال السابقة تتضمن من الناحية التصورية و المفهومية القوال الوارد في الجملة الأخيرة)⁽¹⁴⁰⁷⁾ .

و في الوقت نفسه تعد قاعدة التعميم التي تحرص على وضع (التصور الكلي موضع الجزئيات التي نحذفها , و هو يشملها كلها)⁽¹⁴⁰⁸⁾ من بين القدرات و العمليات التجريدية والتي يجب أن تكون كامنة لدى المتلقي و مفعلة , و ذلك لأن هذه الكفاءة الجوهرية تعمل على مساعدته على (حذف بعض البيانات الجوهرية ... بطريقة يترتب عليها ضياع هذه البيانات .. لعدم احتوائها)⁽¹⁴⁰⁹⁾ لفهم الخطاب اللغوي و فك شيفراته المتنوعة , بل و الوصول إلى مقاصد الناص و أهدافه ... واستحضار خاصية التصور الإجمالي/الكلي للخطاب .. لأن هذا الأخير قد يكشف عن البنية الكلية للنص لارتباطها بموضوعه الكلي و مضمونه الإجمالي عندما يمارس عليه القارئ آلية تجميع مكوناته الدلالية في تصور عام مضبوط و بديل عن ذكر كل الجزئيات المتناثرة في فضاء الخطاب ..

3 - القاعدة الرابعة : التكوين / البناء

1406 - منذر عياشي : العلاماتية و علم النص , ص : 160 .

1407 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص , ص : 239 .

1408 - المرجع نفسه , ص : 239 .

1409 - المرجع نفسه , ص : 239 .

لكل مرحلةٍ من المراحل السالفة - و كذا المرحلة الآتية - في مقاربة الخطاب/النص جهازها المعرفي الخاص و المتميز , يعمل على تأطيرها ضمن شبكة متواشجة من العلاقات النصية و ضمن أدوات معرفية لها خصوصية تمتاز بها , يستغلها المتلقي في الرؤية والتحليل , ولهذا يجب أن نضع بعين الاعتبار أن كل خطاب/نص مهما كان نوعه يفرز مكوناته، وعناصره وآلياته، التي تشكل نظاماً أو نسقاً لا يمكن الولوج إليه إلا من خلال الإحاطة قدر المستطاع بهذا التشكل العلائقي ، الذي يرتبط بعضه ببعض، و يؤدي بعضه إلى بعض و لهذا (يقر فان دايك بأن القواعد يمكن تبعاً للسياق و للمتلقي و موقفه الإدراكي أن تطبق بصورة متباينة , و من الممكن أيضاً تبعاً لذلك أن يكون لنص ما و للنص ذاته أوجه اختصار متباينة) (1410) .

لقد أكد فان دايك نفسه في موضع عنوانه : (النص : بنى و وظائف مدخل أولي إلى علم النص) أن هذه القاعدة الرابعة من حيث المفهوم إنما هي (تعويض تتابع من القضايا بقضية تحيل إجمالاً إلى الحدث نفسه الذي تحيل إليه قضايا التتابع في مجموعها ..) (1411) . و فحوى هذه القاعدة أن يقوم المتلقى بعملية تجريدية تعميمية للعينة النصية و هو منتبه كل الانتباه إلى ضرورة الحرص على سلامة النص كبنية كلية من أن يفقد مضمونه الأساس/الأصلي. و يتضح من ذلك أن كل موقف لساني تواصلية إنما يتحقق بمقتضى الكثير من المعطيات و الشروط و المواصفات و كذا النتائج , كل هذه الحثيات مجتمعة و متفاعلة تعمل على إنتاج و تكوين في آخر المطاف تصورا/مفهوماً عاماً كلياً , هذا الأخير يمكن تشكيله مرة أخرى في (جملة واحدة , مثلما نجد في الأقوال التالية :

- أ - ذهبت إلى محطة القطار .
- ب - اشتريت تذكرة سفر .
- ج - اقتربت من الرصيف .
- د - صعدت إلى القطار .
- هـ - جلست في مقعدي .

1410 - كلاوس برينكر : التحليل اللغوي للنص , مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج , ص : 80 .

1411 - منذر عياشي : العلاماتية و علم النص , ص : 161 .

و - تحرك القطار

.... لكن في جملتها متضمنة في قول واحد هو : ز - ركبت القطار . لأنه من المعلوم أن ركوب القطار يقتضي العناصر الممكنة السابقة . و إن لم تكن كلها إجبارية في تكوين هذا الإطار للسفر في القطار)⁽¹⁴¹²⁾ . فأهمية هذه القاعدة - إذا - تكمن في أن القول الأكبر/المفهوم العام الكلي إنما هو من حيث الحقيقة نتاج مجموعة من الأقوال الصغرى , و أن هذا المفهوم العام الكلي نفسه ليس من الضروري أن تشكله مجموعة معينة من الألفاظ أو متاليات جمالية بعينها, بل يكفي أن يوجد عدد من الخواص النصية المكونة له حتى يتمكن القارئ من استنتاج الرابط بينها انطلاقاً من النص ذاته . و نجاح هذه العملية تحكمه الكثير من الخلفيات المعرفية اللسانية من أهمها أنه لا يمكن بتر بناء النص المحكم و هيكلته المتناغمة في جملة من اللبانات المتناثرة , بل لا بد من النظر إليه نظرة متكاملة , ذلك حتى يتسنى للمتلقى فهم الرسالة المخبوءة في طيات هذا الخطاب ...

و على الرغم من كل ما تقدم فيما يخص القواعد المساعدة على تحقيق الوصول إلى البنية الكلية للنص , فعلى الدارس (أن يكون بوجه عام على يقين من أنه لا يمكن أن يقدم عند التحديد التحليلي النصي للموضوع , بوصفه نواة المضمون , إجراء (آلي) تفضي وفق خطوات كثيرة نهائية بشكل تلقائي إلى الصياغة الصحيحة للموضوعات)⁽¹⁴¹³⁾ . إن هذه القناعة تستطيع أن تطور نظرة قرائية تستطيع رؤية أجزاء النص في إطارها الكلي الشمولي, وهذا متحقق من خلال بحث العلاقات بين هذه الأجزاء المختلفة المشكلة للنص . مثل هذا اللون من الإدراك إنما هو نتاج تفاعل وتداخل العناصر النصية , و عملية تشبه إلى حد بعيد الضرب في المنطق الرياضي , مما يقتضي أن (كل صيغة هي دالة متغيرات متعددة , و ليست حاصل جمع عناصر متعددة)⁽¹⁴¹⁴⁾ , وعند هذه النقطة يجد القارئ نفسه إزاء فلسفة الإدراك الشمولي (الجشطلت), التي تؤكد أن الكل ليس فقط حصيلة الأجزاء , ولكنه ينطوي على ما في الأجزاء و(يزيد على حاصل جمع

¹⁴¹² - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص , ص : 240 .

¹⁴¹³ - كلاوس برينكر : التحليل اللغوي للنص , مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج , ص : 84 .

¹⁴¹⁴ - بول جيروم : علم نفس الجشطلت , ترجمة : صلاح مخيمر و عبده مخيمر رزق , مؤسسة سجل العرب , ص

أجزائها) (1415) ، أي أن إدراك الكل سابق على إدراك الجزء . فالإنسان لا يشاهد في الحياة العناصر مجزأة قبل الكل المركب منها ، فكما أن الكائن الحي يوجد في الحياة في صورة كل وظيفي يعمل كوحدة ، وأنه بواسطة النمو المستمر تحدث عملية تخصص أعضائه لمهام خاصة ، كذلك الحال في تلقي الخطاب إذ يحدث الإدراك للكل قبل الأجزاء ، ثم بعد إدراك الكل يحدث تفصيل للأجزاء . وعلى هذا فلا يكفي أن نتوقف إزاء ما في النص من مفردات وجمل (فالوقوف عند هذه الوحدات بمستواها اللغوي الصرف لن يُسهم في الكشف عن الخواص النوعية البنوية المميزة للنص) (1416) . ما يجب الإقرار به في النهاية هو أن الخطاب/النص بكيته يعد أحد المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها الحياة الإنسانية ، إذ لا يمكن تصور مجتمع إنساني منسجم ومتماسك دون وجود نصوص تنظم مختلف مؤسساته و تضبط قوانين اشتغالها ، وتقن التعامل بين أفرادها بما يضمن لها الثبات و الاستقرار و الاستمرارية . لذلك نجد الحياة الاجتماعية تعج بأنواع كثيرة و مختلفة من الخطابات و النصوص ، منها الديني و السياسي و الإعلامي ، و منها القانوني و الفلسفي و الأدبي.

1415 - المرجع نفسه ، ص : 27 .

1416 - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 253 .

السياق

سنحاول في هذه المحطة التعريف بأداة معرفية/إجرائية حديثة تتوفر على قدر هام من "الكفاية العلمية و الفعالية الإجرائية" الضرورية في الدرس اللغوي الحديث ... فقد حققت هذه الآلية نجاحا معتبرا في مقاربة الخطاب/النص و دراسته على اختلاف أنساقه المعرفية في حقول العلوم الإنسانية المختلفة ، و نعني بهذه الأداة المنهجية "السياق"، و سنحاول ربط هذا المفهوم الإجرائي بأصول علمية إجرائية قال بها علماءنا القدامى ووظفوها في فهمهم لـ "دلالات اللفظ و العبارات و الخطاب ككل" في النص العربي عموما و نص الحديث القدسي خصوصا، إثراء للمعرفة الإنسانية عامة وإبرازا لدور علمائنا الأجلاء في تأطير معارف عصرهم، ولأصالة بحثهم، و سنضرب أمثلة تطبيقية من نص الحديث القدسي تظهر كيف يكون للسياق دور قوي في فهم معاني الحديث القدسي وضبط دلالاتها.

بداية (المقصود بالسياق التوالي ..)⁽¹⁴¹⁷⁾، و هو في الوقت ذاته إطار عامّ تنتظم فيه عناصر الخطاب/النصّ و وحداته اللغوية ، وآلية تتصلّ بوساطتها الجُمْل فيما بينها و تتماسك ، و بيئة لغوية تداولية تعنى بمجموعة العناصر المعرفية مع انتخاب أدوات معينة و آليات مناسبة لعملية الفهم و الإفهام بين طرفي الخطاب/النص التي يقدمها لكل من الباحث و للمتلقى . و كما يعمل السّياق على ضبط حركية الإحالة بين عناصر الخطاب/النصّ، فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصليها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل إطار السّياق ، و على هذا الأساس (يضطلع السياق بأدوار كثيرة في التفاعل الخطابي)⁽¹⁴¹⁸⁾ . إذ كثيرا ما يقع الشبّه بين الجُمْل و التتابعات اللغوية مع بعض الفوارق التي تميز بينها، ولا نستطيع تفسير تلك الفوارق إلا بالرجوع إلى السّياق اللّغويّ ابتداء و العمل على متابعة الفوارق الدقيقة التي طرأت بين الجمل و رصدها . فكلّ مساق للألفاظ

¹⁴¹⁷ - تمام حسان : اجتهادات لغوية ، عالم الكتب ، ط 1 : 2007 م ، ص : 237 .

¹⁴¹⁸ - عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط 1

2004 م ، ص : 40 .

يجرّ ضرباً من المعنى بجزئياته و تفاصيله. و مع كل ذلك فالسياق يمثل الصورة الكلية التي تنتظم الصور الجزئية فيه و تتواجد من خلاله ، و لا يفهم كل جزء إلا في موقعه من «الكل» ، و قد أثبت العلم أنّ الصورة الكلية تتكوّن من مجموعة كبيرة من النقاط الصغيرة أو المتشابهة أو المتباينة ، التي تدخل كلها في تركيب الصورة و وجودها. هذا و إنّ مقارنة الخطاب/النص تفكيكا و تركيباً بتوظيف آلية السياق يُعدّ وسيلةً من بين الوسائل الناجعة في تصنيف المدلولات المختلفة و تحديد البنية الكلية التي تدور في فلكها الرسالة اللسانية التواصلية ، لذلك يتعيّن عرض مكونات الخطاب/النصّ على موقعها لفهم معناها و دفع المعاني غير المرادة من قبل المتكلم .

السياق :

1 - التعريف اللغوي

يعتبر (.. المفهوم اللغوي للألفاظ الركن الأصيل في تحديد و توضيح المعنى الاصطلاحي ، بل إته لا يتضح إلا من خلاله ، و لذا كان من اللازم بيان المعنى اللغوي و عطف المعنى الاصطلاحي عليه ..)(1419) .

جاء في مقال خطه طه جابر العلواني رئيس جامعة قرطبة- واشنطن على موقع (الرابطة المحمدية للعلماء) قوله (وردت المادة اللفظية "س، ي، ا، ق" في القرآن المجيد نجدها قد وردت في آيات عديدة و ذلك مثلاً في سورة القيامة (9، 30) وفي سورة الأنفال (24)، وفي سورة الفرقان (7)، وفي سورة ص (33)، وفي سورة ق (21)، وفي سورة الفتح (29) وفي سورة النجم (42) وفي سورة القلم (42). وفي غالب هذه الآيات الكريمة وردت الكلمة أو مادتها للدلالة على مدلولات حسية. مثل سوق الإبل، ومساق الناس يوم القيام: أي منتهاهم إلى الله تعالى والتفاف الساق بالساق)(1420) .

1419 - المثني عبد الفتاح محمود : نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية ، دار وائل للنشر ، ط1 :

1429 هـ/2008 م ، ص : 12 .

1420 - www.arrabita.ma/content.aspx?C=150&S=49 .

و السياق من الناحية اللغوية/مصدر مأخوذة من الجذر اللغوي (س و ق) ، و الملاحظ أن هذه المادة اللغوية (لم يزد جل اللغويين على ما وردت الإشارة إليه في معنى مادة "السياق" اللغوية في القرآن المجيد؛ فقد اعتمدوا الألفاظ القرآنية التي وردت المادة اللغوية فيها، وساقوا لها المعاني ذاتها. لاحظنا هذا في القاموس وشرحه وفي أساس البلاغة ، وفي لسان العرب نحوه مع إسهاب في ذكر الشواهد والأسماء) (لم يزد جل اللغويين على ما وردت الإشارة إليه في معنى مادة "السياق" اللغوية في القرآن المجيد؛ فقد اعتمدوا الألفاظ القرآنية التي وردت المادة اللغوية فيها، وساقوا لها المعاني ذاتها. لاحظنا هذا في القاموس وشرحه وفي أساس البلاغة ، وفي لسان العرب نحوه مع إسهاب في ذكر الشواهد والأسماء)⁽¹⁴²¹⁾ و تأكيدا لذلك فكلمة السياق (تقع .. في معجم لسان العرب ، في سبع صفحات من الحجم الكبير ، أنفقها صاحبها في معاني هذه المادة ..)⁽¹⁴²²⁾ ، قال ابن منظور (السوق معروف ، ساق الإبل و غيرها يسوقها سوقا و سياقا ، و هو سائق سواق ، شدد للمبالغة ... و قد انساقت و تساوقت الإبل تساقوا ، إذا تتابعت ، و كذلك تقاودت فهي متقاودة و متساوقة)⁽¹⁴²³⁾ ، فالمعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث، و(هو التتابع و السير و الانتظام في قطع واحد و هو المعنى الحسي لهذه المادة و هو ما له علاقة قريبة جدا بمعنى السياق ...)⁽¹⁴²⁴⁾ ، و يقول ابن فارس ، و هو يقترب كثيرا من المعنى المقصود ، في مقاييسه: (سوق: السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حذو الشيء. يقال ساقه يسوقه سوقا، والسوقة: ما استيق من الدواب ... والسوق مشتقة من هذا، لما يُساق إليها من كل شيء ، و الجمع أسواق ، و الساق للإنسان و غيره ، و الجمع سوق ، و إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق إليها)⁽¹⁴²⁵⁾ . وقد أورد الزمخشري في (أساس البلاغة ما يقرب من عشرين معنى في هذه المادة

1421 - www.arrabita.ma/content.aspx?C=150&S=49

1422 - عبد النعيم خليل : نظرية السياق بين القدماء و المحدثين ، دراسة لغوية نحوية دلالية دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية ، ط2007:1 م ص : 21 .

1423 - ابن منظور : لسان العرب ، مادة (سوق)، ج3، ص : 2153-2145.

1424 - عبد النعيم خليل : نظرية السياق بين القدماء و المحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، ص : 22

1425 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (سوق) 476 - 477.

(1426). منها قوله: (تساوقت الإبل: تتابعت. وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و((إليك يُساق الحديث)). وهذا الحديث مساقاة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سَوِّقِهِ: على سَرْدِهِ (1427). و المراد بالسرد هنا التوالي و التتابع , و أما (معاني المجازات التي ذكرها الزمخشري تكون وصفا للأسلوب والغرض و الغاية , ثم توالي و تتابع مكونات الحديث (النص) , و هو التتابع المفهوم من سوق الإبل أو القافلة ..(1428). و لهذا أعتبر (سياق الكلام: أسلوبه الذي يجري عليه , و وقعت هذه العبارة في سياق الكلام أي : مدرجة فيه ..(1429)

و من العلماء الذين كانوا على دراية معرفية بهذه الظاهرة /السياق ابن جني , إذ تعرض له في مواضع كثيرة منها في قوله (و لهذا الموضع نفسه ما توقف أبو بكر عن كثير مما اسرع إليه أبو اسحق من ارتكاب طريق الاشتقاق , و احتج أبو بكر عليه بأنه لا يؤمن أن تكون هذه الألفاظ المنقولة إلينا قد كانت لها أسباب لم نشاهدها , و لم ندر ما حديثها , و مثل له بقولهم (رفع عقيرته) إذا رفع صوته . قال له أبو بكر : فلو ذهبنا نشق نقولهم (ع ق ر) من معنى الصوت لبعد الأمر جدا , و إنما هو رجلا قطعت إحدى رجليه رفعها و وضعها على الأخرى , ثم نادى و صرخ بأعلى صوته , فقال الناس : رفع عقيرته , أي رجله المعقورة . قال أبو بكر : فقال أبو إسحاق : لست أدفع هذا . و لذلك قال سيبويه في نحو من هذا : أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر , يعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال و الأوائل .(1430) , هذا يعني أن لبن جني قد (قرر أن المعاني قد لا يوصل إليها إلا بالظروف التي أحاطت بها , و من ثم لا ينبغي أن يكتفي اللغوي بالسماع , بل ينبغي أن يجمع إليه الحضور و المشاهدة..(1431) في فهم دلالات الخطاب/النص ومكوناته المختلفة و مقاصد المتكلم فيما يتعاطاه من أحاديث مختلفة لحظة

1426 – عبد النعيم خليل : نظرية السياق بين القدماء و المحدثين , ص : 24 .

1427 – الزمخشري: أساس البلاغة, مادة(سوق) , ص : 225

1428 – ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي : دلالة السياق , جامعة أم القرى. مكتبة فهد الوطنية , ط1, دت, ص :

41

1429 – جماعة من المختصين : معجم النفايس الوسيط , دار النفايس , ط1: 1428 هـ/2007 م , ص : 611 .

1430 – ابن جني : الخصائص , تحقيق : عبد الحميد هندواوي , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , ط4: 1424هـ –

2003 م , ج1, ص : 262 .

1431 – عبده الراجحي : فقه اللغة في الكتب العربية , دار النهضة , دط , بيروت , لبنان , دت , ص : 167 .

دخوله في تفاعل تواصلية بسيط أو معقد ، و على هذا الأساس يجد الدارس و يلاحظ أن الكثير من مؤلفي المعاجم ينزلون إلى الواقع اللساني وينتقلون بين البوادي و يرتحلون إلى مواطن العرب الخالص طلباً للمادة اللغوية وهي في بيئتها الطبيعية وسياقها الحقيقي الذي تستعمل فيه ، و لا شك أن كل هذا الجهد المعتبر كان حرصاً منهم على الالتزام بضوابط المنهجية العلمية و الموضوعية و كذلك إدراكاً منهم للأهمية المفصلية التي يؤدها السياق في الوصول إلى الحقيقة و تجديرها . و من أمثلة ذلك ما يجده الدارس في معجم مقاييس اللغة لابن فارس و أساس البلاغة للزمخشري ، إذ نراهما يذكران المعنى الأصلي للكلمة ثم يفرعان منه مختلف المعاني بحسب السياق ... و لهذا فمن الصواب القول أن (الألفاظ لا تعيش منعزلة في متون النصوص ، بل مجتمعة مركبة مع غيرها من الألفاظ ، و لذلك كانت دراستها منفردة دراسة عميقة غير منتجة ، فيجب أن يستنتج أو معانيها المتعددة من مجموع النصوص التي تحدد استعمالها ، و تمكناً من ضبط معناها ضبطاً دقيقاً ..)⁽¹⁴³²⁾ ويقول تمام حسان تأكيداً لهذه المعاني اللغوية التي تدل على (التتابع أو الإيراد) : (المقصود بالسياق التوالي، و من ثم يمكن أن ننظر إليه من زاويتين : أولاهما توالي العناصر التي يتحقق بها سياق الكلام ، و في هذه الحالة نسمي السياق (سياق النص) . و الثانية توالي الأحداث التي هي عناصر الموقف الذي جرى فيه الكلام ، و عندئذ نسمي السياق (سياق الموقف) ...)⁽¹⁴³³⁾ ، و مما تقدم نخلص إلى أن السياق في اللغة هو: تتابع الأشياء بعضها إثر بعض بنفسها، أو بسبب خارجي ، هذا يعني أن (.. التتابع فيما بين الأشياء هو التساوق ، و لا يكون متتابعاً إلا إذا كان له غاية لا بد من وصولها ... فالسياق في اللغة يدل على تتابع منتظم في الحركة توصلنا إلى غاية محددة ، دون أن يكون هناك انقطاع أو انفصال ، هذا ما تفهمه مجموعة النصوص اللغوية الواردة على هذا السياق)⁽¹⁴³⁴⁾ .

2 – التعريف الاصطلاحي

¹⁴³² – محمد المبارك : فقه اللغة و خصائص العربية ، دار الفكر ، بيروت، ط5 : 1392هـ – 1972م ، ص : 164

¹⁴³³ – تتم حسان : اجتهادات لغوية ، ص : 237 .

¹⁴³⁴ – المثني عبد الفتاح محمود : نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية ، ص : 14 .

إذا نظر الباحث إلى اللغة على أنها ليست كياناً ثابتاً مُنبتاً الصلة التي تربطها بالمتكلم والمخاطب وما يجرّانه وراءهما من اعتبارات تاريخية وثقافية واجتماعية ونفسية ... يكون باختصار شديد ، قد حرص على عدم تجريد اللغة من سياقها و بيئتها الطبيعية . و على ذلك لم تكن اللسانيات النصية وحدها من اهتم بالسياق بل كان ذلك محور اهتمام الكثير من الأنساق المعرفية المختلفة واللسانيات بصفة عامة فمصطلح السياق بات يعني(الإطار العام الذي يسهم في ترجيح أدوات بعينها و اختيار آليات مناسبة لعملية الافهام و الفهم بين طرفي الخطاب , و ذلك من خلال عدد من العناصر ... و بمعرفته يمكن تفكيك هذه اللغة للوصول إلى المعنى المقصود أو الغرض المراد)..(1435)

و يتكون مصطلح السياق CONTEXTE من مقطعين CON و TEXTE , أي (من السابقة اللاتينية Cun بمعنى مع و Textus اللاتينية أيضا التي تعنى النص أو المتن)..(1436) النسيج , حيث استعمل المصطلح الأول ليعني الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية , ثم بعد ذلك أصبح يستعمل بمعنى النص , (أي تلك المجموعات من الكلمات المتراسة مكتوبة أو مسموعة , إضافة إلى معنى جديد متمثل في ما يحيط بالكلمة المستعملة في النص من ملابس لغوية و غير لغوية) (1437).

و لعل ذلك يقود الدارس إلى اعتبار السياق على أنه (بناء كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة. و دائماً ما يكون سياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي ضوءاً لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها) (1438) ..

1435 – عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية , ص : vi

1436 – عيد بلبع : السياق و توجيه دلالة النص , بلنسية للنشر و التوزيع , ط1: 2008 / , ص : 126 .

1437 – كريم زكي حسام الدين : أصول تراثية في اللسانيات الحديثة , القاهرة , ط3 , 1421 هـ/ 2001 م , ص :

251 .

1438 – إبراهيم فتحي : معجم المصطلحات الأدبية، التعاقدية العالمية للطباعة و النشر , صفاقس , الجمهورية

التونسية ، ص : 201 – 202

هذه الرؤية تسمح لنا أن نقول أن السياق (بيئة الكلام و محيطه و قرائنه)⁽¹⁴³⁹⁾ هو جوهر المعنى المقصود في أي بناء نصي أو كلامي فهو لا يلقي الضوء على الكلمة والجملة فقط وإنما على النص المكتوب والكلام المجمل من خلال علاقة المفردات بعضها ببعض في أي سياق من السياقات المختلفة.

و في هذا الصدد يرى رشيد بن مالك أن السياق يتكون على ثلاث مستويات :
(أولهما : على مستوى الكلام : يشتمل المحيط الأسنوي للوحدة على مجموعة من العناصر الحاضرة في النص المجاورة أو المبتعدة عن الوحدة المدروسة .
ثانيا : على مستوى اللغة : تكون كل وحدة ألسنية بمثابة السياق للوحدات , الموجودة في رتبة أدنى , و يتموضع سياقها في الوحدة الموجودة في مستوى أعلى . كالفونيم /ص/ يتمظهر في سياق /صديق/ و بدوره يتمظهر في سياق /صديق/ في جملة/أنت صديق ./

ثالثا : المحيط الألسني أو غير الألسني الذي تتحقق فيه الوحدة .)⁽¹⁴⁴⁰⁾

إذن نستخلص من كل ما سبق أن السياق هو (تتابع المعاني و انتظامها في سلك الألفاظ...لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود , دون انقطاع أو انفصال)⁽¹⁴⁴¹⁾

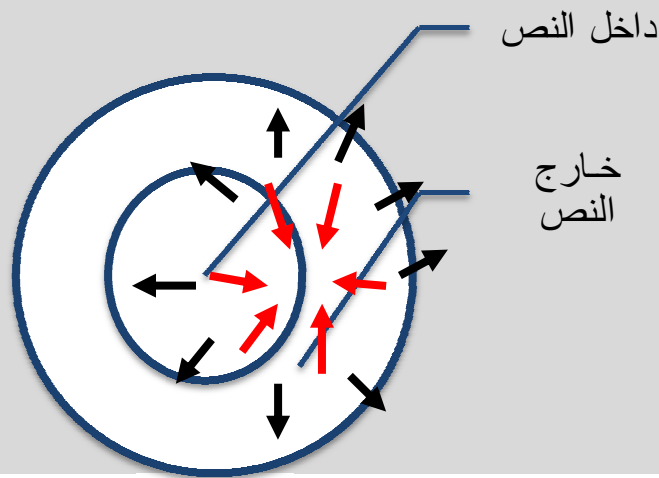
و ينقسم إلى قسمين هما : السياق اللغوي و السياق غير اللغوي الذي يعني كل ما يحيل على خارج النص أو ما حوله من مؤثرات بيئية : تاريخية , سياسية , اقتصادية , اجتماعية , نفسية ... من الممكن أن تنعكس على النص فيصطبغ ببعض ألوانها لذلك يسعى النقد التقليدي إلى أن يتخذ من السياق معولا مرجعيا يتكئ عليه في سبيل الولوج إلى أغوار النص و إضاءة جوانبه الداخلية .

1439 - إبراهيم فتحي : معجم المصطلحات الأدبية ، ص : 201

1440 - رشيد بن مالك : قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي , انجليزي , فرنسي) دار الحكمة , ب

ط , 2000 م , ص : 44 - 45

1441 - المثني عبد الفتاح محمود : نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية , ص : 15



لذا فالخطاب/النص تتجاذبه علاقته ، واحدة داخلية تعمل على تماسكه و أما الثانية فهي متمثلة في وقوعه كذلك بين التأثير و التأثر من قبل البيئة المحيطة . و هذا ما يؤكد لنا العلاقة التلازمية بين الخطاب/النص و السياق باعتباره يؤثر فيه . و بفضل كل تلك الأطراف و العناصر يمكن المتلقى ، إلى حد بعيد ، من الاقتراب الشديد أو القبض على المعنى النصي .

و لعل هذه الأهمية للعلاقات بين الخطاب/النص و السياق هي التي دفعت هاليداي و رقية حسن إلى جعل عنوان كتاب لهما (اللغة ، السياق و النص) الذي أكد فيه أن الفكرة الأساسية تهدف إلى توضيح المتميزة العلاقة القائمة بين النص و السياق إذ (.. كل من النص و السياق يمكن تفسيره بالرجوع إلى الآخر)⁽¹⁴⁴²⁾ ، و هو ما يؤكد عليه جون ليونز أيضا ، إذ يرى أن (..كلا منهما متمم للآخر..و تعتبر النصوص مكونات للسياقات التي تظهر فيها أما السياقات فيتم تكوينها و تحويلها و تعديلها بشك دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون و الكتاب في مواقف معينة)⁽¹⁴⁴³⁾

¹⁴⁴² - يوسف أوغليسي : الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض بحث في المنهج و الإشكالية ، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية ، الجزائر ، 2000 م ، ب ط ، ص : 33 .

¹⁴⁴³ - جون لاينز : اللغة و المعنى و السياق ، ترجمة ، عباس صادة الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، العراق ، ط 1 : 1987 م ، ص : 215 ..

و من هنا يتضح أن فهم النص و تفسيره لا يتأتى لنا إلا بالرجوع إلى السياق باعتباره يلعب دورا كبيرا في جلاء معنى النص و إبرازه . بيد أنه قد يلتبس مصطلح السياق بمصطلح (المقام) , و هذا الالتباس ممتد بين زمنيين و ثقافتين , فقد شاع المقام عند العرب قديما عندما استعملوه في الدراسات البلاغية , في حين استعمل كثير من المحدثين خصوصا الغربيين مصطلح السياق إلا أن هناك فروقا بينهما .

و هذا ما أشار إليه تمام حسان عندما رأى أن الاختلاف بين مفهومي المقام و السياق إنما يعود أساسا إلى معرفة ما تنطوي عليه الثقافة و تتأسس به , ففيها و من خلالها ترتبط العديد من المواقف بالاستعمال اللغوي , مما يجعل المقام بعيدا عن الخضوع للمعيارية التي تلتصق بتعريفات معظم البلاغيين العرب القدماء خاصة , و قد تجلى ذلك في كتابه (الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب) بقوله : (لقد فهم البلاغيون (المقام) أو (مقتضى الحال) فهما سكونيا نمطيا مجردا ثم قالوا : لكل مقام مقال [..] , فهذه المقامات نماذج مجردة , و أطر عامة , , أحوال ساكنة [..] و بهذا يصبح المقام عند البلاغيين سكوني (STATIC) فالذي أقصده بالمقام ليس إطارا و لا قالباً , و إنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءا منه , كما يعتبر السامع و الكلام نفسه , و غير ذلك مما له اتصال بالتكلم (CONTEXT OF SITUATION) الذي يستعمله المحدثون(1444) .

و مع ذلك فنحن مع الأستاذ تمام حسان لأن (.. مصطلح السياق هو المصطلح الأنسب .. لدلالاته على الممارسة المتصلة للفعل اللغوي الذي يتجاوز مجرد التلطف بالخطاب , بدءا من لحظة إعمال الذهن للتفكير في إنتاجه , بما يتضمن تحقيق مناسبة التداولية) (1445) . و على ضوء ما تقدم يمكن أن نعتبر السياق :

- هو الناظم الذي يعطي للكلمة في إرتباطها بما قبلها وما بعدها معناها المقصود.
- هو ما سيق الكلام لإفادته على نسق معين من ترتيب لفظه.
- هو الجو العام الذي يحيط بالكلمة وما يكتنفها من قرائن وعلامات.

1444 - تمام حسان : الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب, دار الثقافة , الدار البيضاء , 1411 هـ , ص : 332 .

1445 - المثني عبد الفتاح محمود : نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية , ص : 41 .

- هو مؤدى الكلام السابق واللاحق ومقتضاه في تفسير بعض الألفاظ وتحديد المعاني المرادة من بين معانيها.
- هو نظام داخلي يجري عليه الكلام الذي تنتظم فيه المعاني والألفاظ المؤدية لها للتعبير عما في النفس بمفردات اللغة وتراكيبها وأساليب البيان المختلفة.
- هو تتابع الكلام وترايبه وأسلوبه الذي يجري عليه ويوصل إلى معاني مقصودة ... بل هو في الأخير و تلخيصا لما تقدم مجموعة متداخلة و متفاعلة من العناصر اللغوية والطبيعية و الاجتماعية و النفسية و الثقافية و التاريخية و الدينية و غيرها من العناصر التي تشكل عالم الإنسان و فضائه المعيش . و إطار عامٌ تنتظم فيه مكونات الخطاب/النصّ و وحداته اللغوية ، و مقياس تتصل بوساطته الجملُ فيما بينها و تترابطُ ، و بيئة لغوية و تداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النصّ للقارئ و الصورة الكلية التي تنتظم الصور الجزئية في فضائها، و لا يفهم كلُّ جزء إلّا في موقعه من الكلّ. و لعل كل ذلك (من الأسباب المباشرة التي تجعل النص يخترق الزمان و المكان و يحيا مع متلقيه و قارئه ..)(1446) .. و رغم كل ذلك فإن مصطلح السياق يعتبر من المصطلحات العسوية على التحديد الدقيق ، و قد صرح جون لاينز أنه (لا يمكن .. إعطاء جواب بسيط على السؤال : ما السياق؟)(1447)

أنواع السياق

نتكلم لغة واحدة، نفهم حروفها وكلماتها. ولكن هذه اللغة تسير في سياقات وظروف مختلفة مما يجعل معاني الخطاب/النص ودلالاته تتغير. وبسبب هذه التغيرات نختلف - نحن المتلقين - في فهم الخطاب/النص و نتباين في مقاربتة . و ينشأ عن الاختلاف في هذا الفهم اختلاف في الرؤية والتقدير والحكم . زيادة على ذلك فإن تعدد أنواع الكلمة الواحدة يرجع إلى تعدد المواضع التي ترد فيها ، و الذي يؤدي بدوره إلى أنواع عديدة

1446 - عبد الواسع أحمد الحميري : في آفاق الكلام و تكلم النص ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ،

ط2010: 1 م ، ص: 118 .

1447 - جون لاينز : اللغة والمعنى والسياق ، ص : 242 .

من السياقات . و يرى أصحاب نظرية السياق أن معنى الكلمة هو (استعمالها في السياق) و لهذا صرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال وضع الوحدة اللغوية في سياقات مختلفة لذلك يقول أحد أصحاب هذه النظرية (معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى و أم معنى هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحريرها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها) (1448) . و من أجل تركيزهم على السياقات التي ترد فيها الكلمة و أهمية البحث عن ارتباطات الكلمة بالكلمات الأخرى نفوا أن يكون الطريق إلى معنى الكلمة هو رؤية المشار إليه أو وصفه أو تعريفه , و (على هذا فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات و المواقف التي ترد فيها , حتى ما كان منها غير لغوي...) (1449)

و إضافة لما سبق هناك عوامل نفسية وأخرى عقلية تكونان شخصية المتكلم و المتلقي فلا يفهم المعنى الحرفي (المنطوق) أحياناً، أو لا يفهم المعنى المجازي (المنطقي) أحياناً، و يخلط بينهما في ظروف نفسية تؤثر في إدراكه لحقيقة الأمور. و من هنا فإن دراسة معنى أي كلمة من الكلمات يتطلب تحليل السياقات و المواقف التي ترد فيها , و بذلك فإن معنى الكلمة يتحدد تبعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها , و استعمال الكلمة عند هؤلاء يحكمه أمران : (.. السياق اللغوي ..) (1450) و كذلك (.. سياق التلفظ , أو سياق الحال , أو سياق الموقف) (1451) , و بهذا فإن الدراسات اللغوية الحديثة ترى أن (.. كل ما يتعلق بأحوال المتتالية اللغوية في ظروف استعمالها داخل النص و خارجه) (1452) يعني به السياق , لهذا فهو مقسم إلى قسمين رئيسيين :

1448 - تمام حسان : الأصول الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب , ص : 68 - 69 .

1449 - أحمد مختار عمر : علم الدلالة , عالم الكتب , ط5: 1998 م , ص : 69 .

1450 - عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية , ص : 40 .

1451 - المرجع نفسه , ص : 40 .

1452 - جمعان بن عبد الكريم : إشكالات النص دراسة لسانية نصية , ص : 400

الأول : (السياق الداخلي أو السياق اللغوي)⁽¹⁴⁵³⁾: (verbal contexte) الذي لا ينظر إلى الكلمات كوحدات منعزلة , فالكلمة يتحدد معناها بعلاقتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية .

الثاني : (السياق الخارجي أو سياق الموقف , أو سياق الحال أو سياق المقام أو الماكريات)⁽¹⁴⁵⁴⁾ (contexte of situation): و هو نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام , و سياق الحال يشمل أنواع النشاط اللغوي جميعا كلاما و كتابة . غير أن بلومفيد السلوكي قد حد (سياق الحال بظواهر يمكن تقريرها في إطار من الأحداث العملية و هو عنده مادي , و لهذا نجده يتجاهل حقائق لها شأن بالكلام)⁽¹⁴⁵⁵⁾.

و لسياق الموقف عناصر (عند الانجليزي فيرث رائد المدرسة السياقية)⁽¹⁴⁵⁶⁾ هي :
1 -الصفات المشتركة المتعلقة (.. بمن يشتركون في الحديث ممن لهم علاقة بالحديث اللغوي ..)⁽¹⁴⁵⁷⁾ .

2 - المجال : و المراد به (موضوع النص , أي ما يدور حوله الخطاب .

3 - أثر الحدث اللغوي في المشتركين كالإقناع أو الفرح أو الألم أو الإغراء ...

و قد قسم مالينوفسكي قبله مصطلح السياق إلى نوعين : الأول سياق الحال أو الموقف , و الثاني السياق الثقافي (contexte of culture) فكل من السياقين ضروري في عملية فهم النص فهما كاملا و هذا لما يلعبه كل منهما من دور بارز في تفسير النصوص .

غير أننا سنركز في عرضنا هذا على منظور المؤسسين لعلم النص على وجه التحديد باعتبار أن السياق يمس جوانب عديدة و شاملة مما يقتضي منا حصره في الإطار الخاص بالنص بشكل مباشر .

1453 - جمعان بن عبد الكريم : إشكالات النص دراسة لسانية نصية , ص : 401 .

1454 - المرجع نفسه , ص : 401 .

1455 - محمد السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي , ص : 310 - 311 .

1456 - جمعان بن عبد الكريم : إشكالات النص دراسة لسانية نصية و ص : 402 .

1457 - المرجع نفسه , ص : 402 .

فقد ذهب فان ديك في مقاله (النص بنياته و وظائفه مدخل أولي إلى علم النص) إلى تقسيم السياق إلى مستويات و هي كالآتي :

1 - السياق التداولي : (الخطاب/النص كفعل كلامي) ,

لا قيمة للعناصر اللغوية مهما كان نوعها أو المتتاليات التعبيرية إذا كانت بعيدة عن سياقها ، فلا بد من دراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم إلى السامع داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب والتي يرمي إليها المتكلم. وكل هذه الأمور تهتم بها الدراسة التداولية ، إذ (.. يقوم السياق التداولي على تأويل النص كفعل كلامي ، أو كسلسلة أفعال كلامية ، فالعود و التهديدات و التأكيدات و الأسئلة و الأوامر ... هي أمثلة على الأفعال الكلامية ، و نقوم بفعل كلامي معين حين نطق بجملته أو عدة جمل في سياق ملائم لها .)⁽¹⁴⁵⁸⁾ . و إذا نظرنا إلى المكونات التي تصنع هذا اللون من السياق وجدناها حسب رؤية (فان ديك) تتألف (... من كل العوامل النفسية و الاجتماعية التي تحدد نسقيا لكي تلائم أفعال اللسان . و تتمثل هذه الأفعال في المعرفة ، و الرغبات ، أو الإرادة و التفضيل ، و حكم مستخدمي اللغة و إنجازاتهم الاجتماعية من جهة أخرى (مثل علاقة السلطة و الصداقة) و يمكن أن يوجد أيضا في بعض الحالات تضيق مؤسسي على إنجاز أفعال اللسان (توقيف شخص ، قرار بطي الملف ، القيام بامتحان...) ⁽¹⁴⁵⁹⁾ . وهذا يدعو إلى تأكيد أنه لا نكتفي بدراسة الملفوظات اللغوية أو النصوص من حيث بناها فحسب ، و إنما أيضا من حيث وظائفها ، بمعنى أن دراسة أي خطاب/نص لا تكون بهدف معرفة شكله و محتواه و إنما الهدف منها أيضا و أساسا هو معرفة الوظائف التي ينجزها و يحقق من خلالها كينونة الخطاب/النص و فاعليته التواصلية بين مكونات الحدث اللغوي .

فالسباق التداولي يعتمد على تأويلية الخطاب/النص باعتباره فعلا للغة أو متتالية من أفعال اللغة (فحين نتلفظ بنص مأخوذ بكليته ، إنما نقوم أيضا بفعل كلامي إجمالي أو

1458 - علي آيت أوشان : السياق و النص الشعري من البنية إلى القراءة ، مطبعة النجاح الجديدة - دار البيضاء ،

ط1: 2000 م، ص : 82 .

1459 - منذر عياشي : العلامة و علم النص ، ص : 172 .

أيضا بفعل كلامي كبير , فقد لا تكون رسالة طويلة سوى طلب واحد .. و هذه الأفعال الكلامية الكبيرة مشتقة من متتاليات أفعال بواسطة قواعد كبيرة (1460) , و تتناوله ككينونة بنوية ولغوية مستقلة، مؤلفة من منظومة سيميائية مترابطة، يتم سبر أغوارها في سياق تداولي، عبر تفكيك شفراتها المضمره والظاهرة، واحترام كثرتها وتعددتها وتناقضها.. و مهمة التداولية عندئذ هي (أن تحدد الشروط التي تمكن من ترتيب أفعال كلامية في متتاليات أفعال كلامية) (1461) بوصفها منظومة نصية داخل نموذج ثقافي محدد ، خاضعة لمنطق داخلي قوامه علامات وإشارات لغوية تنتجها ثقافة محددة في مرحلة لها آفاق زمانية ومكانية تعبر عن الخطاب بين المتكلم والمخاطب , كل ذلك وفقا لمقتضى تحولات الخطاب/النص الذي يتفاعل و السياق النفسي والاجتماعي والثقافي إلى السياق السيميائي واللغوي والبلاغي ... إذن فإن (فعل اللسان يكون ملائما لسياق معين عندما تكون كل الشروط الضرورية لانجاز هذا الفعل اكتملت) (1462) . و بالإضافة إلى تحديد هذه الشروط التي يجب أن تتوفر في خطاب/النص ما , يبحث السياق التداولي أيضا عن الطريقة التي يتم من خلالها ربط مكونات الخطاب و عناصره التكوينية بعضها ببعض ..

2 - السياق الإدراكي أو المعرفي : (فهم النص)

إن عقل الإنسان ليس مجرد صفحة بيضاء تتراكم عليها المعطيات المادية أو المعرفية ، وإنما هو عقل له مقدرة توليدية، كما أنه مستقر كثير من الخبرات والمنظومات الأخلاقية والرمزية ، ومستودع كثير من الذكريات والصور المخزنة في الوعي واللاوعي، فالمخزون الإدراكي يفرض نفسه بقوة على المتلقي و هو يستقبل الرسالة اللغوية مهما كان نوعها . و من هنا فإنه في اللحظة التي تكون فيها المعرفة الإدراكية لعقل الإنسان ذات الصلة بمعنى الخطاب/النص المنطوق أو المكتوب ناقصة

1460 - علي آيت أوشان : السياق و النص الشعري من البنية إلى القراءة , ص : 83 .

1461 - المرجع نفسه , ص : 83 .

1462 - منذر عياشي : العلامية و علم النص , ص : 172 .

تكون النتيجة المباشرة وقع اللبس و الغموض و التشويش في العملية التواصلية , لهذا يقوم السياق الإدراكي – وهو المعرفة المكتسبة من خلال القراءة المحددة و المباشرة للنص – بوظيفة فاعلة و إستراتيجية في حدوث التفاعل اللساني الاجتماعي و الفردي و استمراريته . و عندما تحدث (فان ديك) عن السياق الإدراكي ركز فيه على انه (يجب على المستمع /القارئ , لكي يستطيع أن يستعمل نصا في وضع تواصلية , أن يفهم هذا النص)⁽¹⁴⁶³⁾ . و أن (فهم النص يتم على أكثر من مستوى)⁽¹⁴⁶⁴⁾ . و السياق الإدراكي في نظره يقوم على المخطط الآتي :

1 – إن مستعمل اللغة سوف يفهم بالدرجة الأولى الكلمات و مجموعة الكلمات و الجمل و من ثم متتاليات الجمل)⁽¹⁴⁶⁵⁾ . كما أشار فان ديك إلى مجموعة من المعطيات و التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لكي نصل إلى فهم النص و هي :

– استحضار معرفة العالم :

لنتمكن من إقامة هذه الروابط على المستعمل أن يستعين بمعرفته للعالم انطلاقا من مكتسباته المعرفية المخزنة في الذاكرة)⁽¹⁴⁶⁶⁾ . إن الفهم الفعال لعناصر النص يكمن في ذاكرته العملية , و هي التي تخزن فيها المعلومات غير أنها تملك طاقة محدودة فبعد أن تمتلئ يجب أن تخزن المعلومات في الذاكرة الطويلة المدى . و لكن للحكم على النص ما بأنه منسجم ينبغي أن تحتفظ ببعض المعلومات في الذاكرة العملية , و كلما كانت قيمة هذه المعلومات أكبر أصبح استرجاعها أسهل منالا)⁽¹⁴⁶⁷⁾ , كما أن لكل نص مجموعة من العوامل التي تساعد على فهمه بحيث تمكن القارئ من معالجة النص في مواقف خاصة و بالتالي تساعده على تفسيره)⁽¹⁴⁶⁸⁾ .

– تفعيل (الذاكرة العملية) ربطا و تحريراً :

1463 – منذر عياشي : العلامية و علم النص , ص : 174 .

1464 – المرجع نفسه , ص : 177 .

1465 – علي آيت أوشان : السياق و النص الشعري من البنية إلى القراءة , ص : 83 .

1466 – صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص , ص : 246 .

1467 – المرجع نفسه , ص : 246 ..

1468 – علي آيت أوشان : السياق و النص الشعري من البنية إلى القراءة , ص : 85 .

و يراد بذلك (أنه لكي نفهم نصا , يجب علينا من جملة طويلة إلى أخرى إنشاء الروابط الضرورية في ذاكرة العمل ثم تحريرها جزئيا من حملتها , و إدخال معلومات جديدة فيها .إن .. لسيرورة فهم النص سمة دائرية) (1469) , و إنما نريد مما تقدم التأكيد على أنه (لكي نستطيع فهم نص معين علينا أن نقيم بين الجمل الطويلة الروابط الضرورية في الذاكرة العملية , ثم نحرر هذه الأخيرة جزئيا من حملتها , و ندخل فيها مجددا معلومات جديدة ..) (1470) .

– تخزين الوحدات المعلوماتية المركزية في (ذاكرة العمل) :

لا شك أن وحدات المعلومات المفهومية المستخلصة من الخطاب/النص ليست متساوية من حيث القيمة و الأهمية للمتلقي و (أن المعلومات الدلالية التي لا يمكن تخزينها لوقت أطول في الذاكرة القصيرة المدى , أو لا ينبغي ذلك , تنتقل إلى الذاكرة الطويلة المدى ..) (1471) , و على ذلك فالمتلقي مطالب من حيث يشعر أو لا يشعر بأن يحتفظ بوحدات معينة (وذلك لكي يصار إلى تزويد النص بتماسك خطي . و هكذا , فإنه لن يكون علينا باستمرار أن نعيد سحبها من الذاكرة على امتداد زمن طويل) (1472) . إن الذي يجب أن ينتبه إليه الدارس هنا هو أن هذه الأعمال التحليلية و إجراءاتها إنما تنطلق أساسا مما تنتهي إليه (.. معطيات بحوث علوم اللغة النصية و علم نفس المعرفة حول الذاكرة و أنماط الاستيعاب و سبل الاسترجاع , مما يجعل مقولاتها متحركة بمدى ما تحرز هذه الدراسات من تقدم في إنجازها ..) (1473) .

– تنظيم الكم المعلوماتي و بنائه و تخزينه :

هذه محطة مهمة في تحقيق فهم النص من ثمة تجسيد وظيفية السياق الإدراكي . فالمعلومات المستخلصة من الفعل القرائي يجب أن تخضع للتنظيم و البناء/الهيكلة ثم التخزين . لكن , و هذا ما يجب التنبيه إليه , يجب أن (تأخذ البنى الكبرى مكانا مركزيا

1469 – منذر عياشي : العلاماتية و علم النص , ص : 176 .

1470 – صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص , ص : 227 .

1471 – المرجع نفسه , ص : 247 .

1472 – منذر عياشي : العلاماتية و علم النص , ص : 176 .

1473 – صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص , ص : 248 .

في المعالجة الإدراكية للنص (1474) . لأن .. البنية الكبرى للنص بشكل رئيس هي التي تقاوم النسيان إلى حد ما (1475) . و أن (القارئ عمليا لن يتذكر من قراءته للنص بعد عدة أسابيع سوى المواضع الأكثر أهمية منه) (1476) . بينما المكونات النصية الأخرى الصغرى منها و الكبرى ذات الأهمية الأقل بالنسبة للمتلقى , فإنه حينئذ يكون غير قادر فعليا على استرجاعها و تكرارها لفظة لفظة أو جملة جملة أو عبارة عبارة ...

– ربط الفهم بالسياق التداولي :

(يجب على المستعمل أن يقوم , تزامنيا , بتحليل مفصل للسياق (تداولي) , و لمعالمه , و لسلوكه , و يجب أن يقارن الكل بتحليله للعبارة) (1477) .

– الاستعداد الإدراكي :

هو مجموعة من العوامل الذاتية و الخارجية الموضوعية المتعاقبة تعمل على تفعيل فهم النص . هذه المجموعة من العوامل تقوم على صعيد مستوى الجماعة اللسانية أو مستوى الفرد بدور عام و مستمر , و من جهة أخرى هي لصيقة بالذات (المتكلم) و وضعيته المحددة و حينئذ هذا الاستعداد الإدراكي (لا يعمل إلا في اللحظة الحاضرة للفهم) (1478) . أما إذا تغيرت اللحظة و المقام فإن .. استعداد القارئ نفسه أمام النص نفسه أن يكون مختلفا (1479) .

– موقف المتكلم و معايير ه :

ومن بين أهم العوامل كذلك المؤدية فهم الخطاب/النص و التي تملك فاعلية كبيرة (في المعالجة الإدراكية للنصوص) (1480) . موقف (المتكلم/المرسل) أو (السامع/القارئ) و ثوابته المعيارية و مقاييسه الحياتية المستمدة من تجاربه المتنوعة عبر رحلته العمرية

1474 – منذر عياشي : العلاماتية و علم النص , ص : 177 .

1475 – المرجع نفسه , ص : 177 .

1476 – المرجع نفسه , ص : 177 .

1477 – المرجع نفسه , ص : 178 .

1478 – المرجع نفسه , ص : 178 .

1479 – المرجع نفسه , ص : 178 .

1480 – المرجع نفسه , ص : 180 .

. و إذا كان الأمر كذلك حينئذ تعمل النصوص بمضامينها على تثمين و تقييم باستمرارية المخزون الموقفي للمتلقي/القارئ , فيحدث نوع من التبادل بين الخطاب/النص و المتلقي يمس الكثير من من الجوانب لحظة فهم التأويل , فيستقبل الإدراك الجانب السلبي و الايجابي و يستدعيه وقت الحاجة .

و الذي ننتهي إليه هنا هو أنه (عن طريق هذا السياق الإدراكي يتم تحليل العوامل الاجتماعية و الثقافية الفاعلة في تكوين النصوص ... و بهذه الطريقة فإن التحليل النصي لا يقارب من العوامل الاجتماعية و الثقافية المشتتة و غير المتجانسة بطبيعتها إلا تلك المظاهر التي تقوم بدور بارز في السياقات الإدراكية , سواء كان ذلك بالنسبة لمنتج النص عند إجرائه لعمليات التشفير الدلالي و الجمالي , أو بالنسبة لمتلقي هذا النص عند ممارسته لفك الشيفرة و استقبال البيانات المتضمنة , ..) (1481) .

3 - السياق النفسي الاجتماعي: (تأثير النصوص)

وهو الذي (يتم فيه إنتاج النص و فهمه و إعادة تكوينه ..) (1482) . و المقصود به كذلك المفعول الذي تحدثه النصوص على مستعملي اللغة سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي , فالأمر لم يعد متعلقا بالتساؤل عن ماذا يفعل القارئ أو المستمع بالخطاب/النص ؟ و إنما ما هي العوامل النفسية التي تلعب دورا في فهم الخطاب/النص ؟ أو ما هي مظاهر فهم الخطاب/النص التي تحتوي على إichاءات نفسية ؟ و بعد كل ذلك (.. تظل إحدى الوظائف الجوهرية لديناميكياتنا النفسية تتمثل في إمكانية استثارة بعض المعلومات في ظروف معينة , و ذلك عن طريق تذكرها ..) (1483) . فالتركيز إذا أصبح منصبا على العوامل السيكلوجية المساعدة في فهم الخطاب/النص و التي تحمل صبغة نفسية على مستوى علم النفس الفردي و علم النفس الاجتماعي .

إننا يجب أن نبحث لا في منطوق اللغة فقط و إنما يجب التركيز أكثر على منطق اللغة في مجالات لغوية مهمة كالحوار والأوصاف والجدل , لكي نفهم الرسالة اللغوية و مقاصد المرسل بل حتى من أين أتى هذا الشخص، فنقدّر ما يقوله وفق السياق النفسي

1481 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص , ص : 228 .

1482 - المرجع نفسه , ص : 225 .

1483 - المرجع نفسه , ص : 226 .

والثقافي المحيط بالكلام) فقد نغبت أو نغتاظ مما نسمع أو نقرأ , لكن ذلك لا يصلح إلا عندما يفهم النص (1484). و من الأمثلة الواقعية التي تبين أهمية السياق النفسي، حينما يقول شخص متدمر بأن رئيسه في العمل «ذبحه من الوريد إلى الوريد»، نفهم من ذلك أنه قد تعرضه للمضايقة و مارس عليه ضغطا لم يحتمله ، و من ثمة نفهم نفسية المتحدث الانفعالية التي تضخم الأمور، وتُبالغ في تصوّرها للحياة. وحينما يتحدث شخص مع صاحبه فيذكر أنه - مثله - مدمنٌ على شرب القهوة، فيرد عليه صاحبه قائلا: «وأنا أفسّ منك». فليس هناك مجال للفهم بأن المتحدث كان يقصد اتهام صاحبه بالخسة والرذيلة، ولكنه أراد القول بأنه أكثر منه إدماناً على شرب القهوة.

4 - السياق الاجتماعي: (النص في التفاعل) ,

أي الاهتمام بالعلاقات القائمة بين السياق الاجتماعي و استعمال اللغة . كما أن هذه الموقف الاجتماعية التي تنتج فيها النصوص فريدة بحد ذاتها لكن مع ذلك تتمتع بخصائص ذات طابع أعم فهي مقامات خاضعة لمعايير معينة و تتكرر باستمرار , و هكذا فثمة مقامات ذات طبيعة عامة أو خاصة تأخذ فيها الملفوظات قية فعل كلامي . قالنص كفعل كلامي لا يحدده المقام الاجتماعي فقط , و إنما المقام الاجتماعي نفسه تحدده كيفية استعمال اللغة (1485) .

فالمقامات تختلف من نوع إلى نوع آخر و فيها تتحدد قيمة النص , إذ أن كل من النص و المقام الاجتماعي يحدد بعضه بعضا , , و يؤثر كل منهما في الآخر . السياق الثقافي : (النص كظاهرة ثقافية) و يعتبر النص ظاهرة ثقافية , إذ من خلاله يمكن أن نستخرج بعض الخلاصات التي تهم البنية الاجتماعية للمجموعات الثقافية , كما يمكن أن نستخلص منها المحادثات المستعملة في مقامات خاصة و دور أعضاء المجتمع و حقوقهم و واجباتهم (...)(1486) .

1484 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص , ص : 227 .

1485 - علي آيت أوشان : السياق و النص الشعري من البنية إلى القراءة , ص : 87 .

1486 - فان ديك : النص بنياته و وظائفه مدخل أولي إلى علم النص , ص : 76 - 77 ..

و يذهب بعض الباحثين إلى اقتراح تقسيم آخر للسياق يشمل كل ما يتصل باستعمال الكلمة من علاقات لغوية و ظروف اجتماعية و خصائص و سمات ثقافية , و نفسية و غيرها و على هذا يمكن أن يقسم السياق إلى أربعة أقسام هي :

(أ) - السياق اللغوي

يعتمد , بداية , السياق اللغوي (مقالي) على القرائن اللغوية التي يتضمنها الدليل و يستدل بها على مدلوله من جهة اللفظ والمعنى لتحديد المعنى اللغوي, أو ما يعبر عنه البعض بالمعنى النحوي أو الوظيفي للجملة، فالعرب قديما حين استعملت عبارة : خرق الثوبُ المسمارَ، لم يقيموا وزنا كبيرا لقرينة الإعراب في دلالتها على المعنى النحوي للجملة، وذلك لوضوحها، وهو ما يسميه اللغويون بـ" أمن اللبس"، لدلالة قرينة الإسناد والمعنى المعجمي المناسب لمادة خرق. وهو المحيط الدلالي الذي يحدد مدلول العناصر اللسانية , و لذلك يختلف المدلول باختلاف السياقات التي يرد فيها , و قد نظر تمام حسان للسياق اللغوي على أنه (.. توالي العناصر التي يتحقق بها السياق الكلامي (1487) ..) والبيئة اللغوية التي تحيط بجزئيات الكلام من مفردات وجمل وخطاب , و حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاوزة و كلمات آخر مما يكسبها معنى خاص محدد , فالمعنى في السياق ليس بالضرورة المعنى الذي يقدمه المعجم , إنما هو عادة متعدد ومحتمل , في حين أن المعنى الذي يقدمه السياق اللغوي هو معنى معين و دقيق له حدود واضحة وملاح محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم , كما يشار في هذا الصدد إلى أن السياق اللغوي يوضح الكثير من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياسا لبيان الترادف و الاشتراك أو العموم و الخصوص أو الفروق و نحو ذلك (1488).

و ما يترتب على تلك العلائق من دلالات جزئية و كلية ..

(ب) - و يرى عبد القادر عبد الجليل أن السياق اللغوي هو كل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة و ما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية و هي

1487 - تتمم حسان : اجتهادات لغوية , ص : 237 .

1488 - أحمد قدور : مبادئ اللسانيات , دار الفكر المعاصر , بيروت , لبنان , ط 1 , 1996 م , ص : 295 .

تسبح في نطاق التركيب (1489) , لأن المعنى الذي يقدمه السياق لا سيما اللغوي , هو معنى معين له حدود واضحة و سمات محددة غير قابلة للتعدد . و لذلك وجب العودة إلى نظام اللغة (الصوتية و المعجمية , و الصرفية , و النحوية , و الدلالية) للوقوف على ذات الكلمة و أهميتها . و من هنا فإن السياق اللغوي يشمل مكونات أساسية هي :

1 - السياق الصوتي

2 - السياق الصرفي

3 - السياق النحوي

4 - السياق المعجمي

5 - السياق الأسلوبي

أما النوع الثاني من السياق فهو :

2 - السياق العاطفي :

هو الذي يأخذ بيد المتلقي ليحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية و دلالتها الانفعالية و الوجدانية , كما يقوده أيضا إلى الوقوف على درجات الانفعال و المساحات التي يحتلها من الخطاب/النص حسب القوة و الضعف مما يتطلب قرائن بيانية تؤكد عمق أو سطحية هذا اللون من الانفعال أو اعتداله و تطرفه .. و يختلف هذا على السياقات الأخرى في كونه يرتبط بدرجة قوة الانفعال المصاحبة لأداء الفعل في الكلام من تأكيد أو مبالغة أو اعتدال مثل غضب.سخط ... ولا يخفى في هذا المقام ما للإشارات المصاحبة للكلام من أهمية في إبراز هذه المعاني الانفعالية . فمثلا عند التعبير عن أمر فيه غضب و شدة انفعال فإننا ننتقي الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية أو المعبرة , إلى درجة أن المتكلم نفسه قد لا يقصد استعمال هذه الكلمات : مثل القتل , الذبح ... أو غير ذلك .

3 - سياق الموقف :

وهو سياق غير لغوي (مقامي) يعتمد على سائر القرائن الأخرى المرتبطة بالدليل والمدلول لتحديد مراد المتكلم بحسب مقتضى الحال ، و هذا المعنى المقصود في خطاب المتكلم هو ما يعبر عنه البعض بالمعنى الوظيفي المراد من الخطاب ، ومقتضى الحال يشمل عناصر كثيرة تتصل بالمخاطب والمخاطب وسائر الظروف التي تحيط بالخطاب، وهذا قدر زائد على مجرد فهم وضع اللفظ في اللغة، ويمكن أن ننظر إلى سياق الموقف من زاوية كونه الإطار الخارجي الذي يحيط بالإنتاج الفعلي للكلام في المجتمع اللغوي أي الحيز الاجتماعي ، و يدل هذا السياق على شبكة العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام. وقد أشار اللغويون العرب القدامى إلى هذا اللون السياق، و قد عبّر عنه البلاغيون بمصطلح ((المقام)) ، وكما غدت كلمتهم ((لكلّ مقام مقال)) مثلاً مشهوراً لا يخلو منه حقل معرفي يمت للفكر اللغوي بصلة . ويرى الدكتور تمام حسن أنّ ما صاغه مالمينوفسكي تحت عنوان سياق الموقف Context of situation قد سبقه إليه العرب الذين عرفوا هذا المفهوم قبله بألف سنة أو ما فوقها (إن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح (المقام) لكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح مالمينوفسكي من تلك الدعاية بسبب انتشار النفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات و براعة الدعاية الغربية الدائبة..) (1490) . إن مراعاة المقام تجعل المتكلم يعدل عن استعمال الكلمات التي تنطبق على الحالة التي يصادفها خوفاً أو تأديباً. بل قد يضطر المتكلم إلى العدول عن الاستعمال الحقيقي للكلمات فيلجأ إلى التلميح دون التصريح. وإن ما يؤديه المقام للمعنى من تحديد ومناسبة ظرفية، يتطلب الباحث الإلمام بالمعطيات الاجتماعية التي يجري الكلام فيها.

. لكنّ كتب هؤلاء لم تجد من الدعاية على المستوى العلمي ما وجده مصطلح مالمينوفسكي من تلك الدعاية بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كلّ الاتجاهات يدل على العلاقات الزمانية و المكانية التي يجري فيها الكلام .أو هو على حد تعبير عبد القادر عبد الجليل (مجموعة الظروف التي تحيط بالحدث الكلامي ابتداء من المرسل و الوسط و حتى المرسل إليه بمواصفاتهم و تفصيلاتهم المتناهية في الصغر . فمن أجل

فهم نص ما يجب معرفة كل القرائن و الظروف التي تحيط به , باعتبارها تساعد بشكل كبير في إزالة اللبس و الغموض عن النص.

إذ ما يؤديه السياق للمعنى من تحديد و مناسبة ظرفية يتطلب من الباحث الإمام بالمعطيات الاجتماعية التي يجري الكلام فيها , ولذلك يمهد عادة للآثار الأدبية بدراسة للبيئة الزمانية و المكانية , و للملابسات الشخصية لما لها من أهمية في معرفة المعنى المقصود من تلك الأثناء.

4- السياق الثقافي :

من الحقائق العلمية التي انتهى إليها التفكير العلمي الحديث أن (الفرد لا يمكنه , مهما أوتي من قوة تمرد , أن يفلت من الثقافة السائدة , التي تنتقل إليه عبر قنوات مختلفة منذ ولادته , إلى درجة تصبح معها الثقافة حياة لا شعورية لكل فرد من أفراد المجتمع . فالفرد يكتسب جملة من العقائد و الأفكار و العلاقات ... بحيث يغدو المجتمع مكتفا في شخص واحد ..)(1491) . ويتعلق هذا النوع من السياق بالمحيط الثقافي بمفهومه الواسع للمجتمع اللغوي حيث يختلف المفهوم الذهني للمداخل المعجمية باختلاف السياقات الثقافية . كما يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة , و غالبا ما يكون هذا المحيط اجتماعيا 46 . فالسياق الثقافي أهمية بارزة , إذ يقتضي من القارئ لكي يفهم نصا من النصوص أن يلم بالسياق الثقافي لهذا النص , فالدلالة المعجمية تكون مضللة له إذا لم يتوسع بالبحث عن المعاني الأخرى و التي يستمدها من السياق الثقافي . فلو أخذنا هذه العبارة : والله لأقتلك، أو لأذبحك.. إلخ التي يستعملها بعض الآباء والأمهات يهددون بها أطفالهم في لحظات الغضب عادة ، فالمعنى المقصود بها هو مجرد التهديد فقط ، وليس هناك مجال لاستحضار الدلالة الحرفية التي يحملها منطوق اللغة . و السبب في ذلك أن السياق الثقافي المتعارف عليه هو الذي يجعلنا نفهم المعنى المراد . بينما إذا كان المتلقي ينتمي إلى خارج الثقافة قد يفهم الكلام السابق على أنه تهديد صريح للشروع في القتل، لأنه أخذ منطوق اللغة فقط .

1491 - رضوان السيد و أحمد برقواوي : المسألة الثقافية في العالم العربي/الإسلامي , دار الفكر المعاصر , بيروت -

و من خلال مقارنة أنواع السياق المختلفة , يتضح أن المعنى هو ما يفهم من السياق سواء كان لغويا أو عاطفيا أو ثقافيا و كذلك من خلال سياق الموقف , فكل هذه الأنواع تساعد على تدارك و فهم معاني النص المختلفة .

السياق في المنظور النحوي

إن من بين الغايات الكبرى للدرس النحوي العربي إبان انطلاقته الأولى هي محاولة مقارنة النص الديني الإسلامي القرآني و الحديث النبوي, مع الحرص على استيعاب و معرفة ما يؤديه التركيب بكل تجلياته وهو يعمل داخل فضاء الخطاب/النص الديني , غير أن عناية النحاة لم تقتصر على الإعراب و لم تنصرف إليه وحده من حيث كونه (.. أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة..)(1492) , بل نظروا إليه على أنه وسيلة هامة و فعالة ينضبط من خلالها الفهم و يسلم المعنى من اللبس و الغموض جنبا إلى جنب , مما يعني أن عمل النحاة يرتبط أساسا بالبعد الدلالي و يستهدفه قصدا . هذا يدعو الباحث إلى الإشارة إلى أنه إلى جانب قرينة الإعراب , نجد في الكثير من المؤلفات النحوية على اختلاف مشاربها تلميحات و إشارات إلى قرائن نصية أخرى , و خاصة ما يتعلق منها بظاهرة الترابط و التماسك التي تتمظهر في سياق عناصر الجملة الواحدة أو مجموعة من الجمل أو بنية الخطاب/النص ككل متكامل ...و هذا الأمر يشي بأن الدرس النحوي العربي عموما كان على دراية و وعي عميق بالسياق و قيمته داخل الخطاب/النص (.. و إن لم يشيروا إليه بلفظه صراحة ..)(1493) . و يقول ابن جني (و يدلك على تمكن المعنى في أنفسهم)(1494) , و يقول السيوطي (... و صناعة النحو قد تكون فيها الألفاظ مطابقة للمعاني و قد تكون مخالفة لها ... و هو مسند في المعنى إلى زيد)(1495) .

(لا تفهم من المقال , بل تفهم من المقال و الظروف المحيطة بالمقال و تسمى سياق الحال في الدراسات اللسانية الحديثة , و هي تقف في النحو العربي جنبا إلى جنب مع

1492 – ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك , دار الجيل , بيروت , ط 1979:5 م , ص : 39 ..

1493 – ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي : دلالة السياق , ص : 66 .

1494 – ابن جني : الخصائص , ج 1, ص : 224 – 225 .

1495 – السيوطي : الأشباه و النظائر في النحو , تحقيق ابراهيم محمد عبد الله , دمشق , ط , 1407 هـ/ 1986 م ,

ص : 172 – 173 .

القرائن المقالية في تعيين المعنى الوظيفي النحوي)⁽¹⁴⁹⁶⁾ . و الدرس النحوي العربي و إن لم يشير إلى هذه الأمور بألفاظها صريحة ، فإن دلالاتها المعرفية عامة لم تكن غائبة عن الرؤية المعرفية النحوية المتجلية عادة بين ثنايا أعمالهم و سطور مؤلفاتهم ، خاصة لحظة تعاطيهم مع النصوص و تعاملهم معها سواء أكان ذلك من زاوية الشرح و التحليل و التفسير أو الإعراب و البيان و التفكير أحيانا ، هذا لا يعني أنها كانت مطابقة تماما للمفهوم الاصطلاحي الذي أصبح شائعا فيما بين علماء اللغة المحدثين وبخاصة الداليون منهم مطابقة كلية . فإذا تأملنا آراء الخليل بن أحمد (ت 175 هـ) - كما يتضح من كتاب تلميذه سيبويه - يجد الدارس أنه من أوائل النحاة الذين اعتمدوا على السياق اللغوي في دراسته للتراكيب النحوية، كما يعتبر من الرواد الذين اهتموا بعناصر سياق الموقف المتمثلة في المتكلم والمخاطب والعلاقة بينهما، وعلم المخاطب بالمعنى الذي آل إليه في الدرس الحديث و إلى غير ذلك مما يرتبط بالمقام . فمن أمثلة اعتماد الخليل على " السياق اللغوي " ما نسبه إليه تلميذه في معرض تحليله لقول الشاعر: (

إذا تغنى الحمامُ الورقُ هيجني ولو تغربتُ عنها أمَّ عمَّارٍ [البسيط]

قال الخليل رحمه الله: لما قال (هيجني) عرف أنه قد كان ثم تذكر لتذكرة الحمام و تهيبجه، فألقى ذلك الذي قد عُرف منه على (أمَّ عمَّارٍ)، كأنه قال: هيجني فذكرني أمَّ عمَّارٍ. ومثل ذلك أيضا قول الخليل رحمه الله، وهو قول أبي عمرو: ألا رجلَ إما زيدا وإما عمرا؛ لأنه حين قال: (ألا رجلَ)، فهو متمن شيئا يسأله ويريده، فكأنه قال: اللهم اجعله زيدا أو عمرا، أو وفق لي زيدا أو عمرا⁽¹⁴⁹⁷⁾. ومعنى كلام الخليل، أن الشاعر إنما نصب (أمَّ عمَّارٍ) بفعل دلَّ عليه السياق اللغوي (أو سياق الموقف) ...

من هنا يتضح أن التفكير اللغوي العربي القديم لم يقتصر على النظر في بنية الخطاب/النص اللغوي، انطلاقا من كونه ظاهرة منعزلة عن الظروف و العوامل الخارجية التي تلفه وتبؤره، وإنما استمد مادتهم اللغوية ، و هو يحمل رؤية كلية من خطوطها

¹⁴⁹⁶ - توامة عبد الجبار : القرائن المعنوية في النحو العربي ، رسالة دكتوراه دولة ، جامعة الجزائر ، 1994 م -

1995 م ، ص : 59 .

¹⁴⁹⁷ - سيبويه : الكتاب ، ج 1 ، ص : 286

العريضة و مكوناتها الأساس أن الظاهرة اللسانية نوع من النشاط الإنساني المتفاعلة مع محيطها وظروفها، من وظائفها المركزية تحقيق العملية التواصلية الاجتماعية الايجابية بين الأطراف المعنية ، الكل له ارتباط وثيق بسياق الحال أو المقام وما فيه من شخوص وأحداث و يسبح في فضائه . هذا و إن لم ينص التفكير اللغوي العربي على ذلك بطريقة اصطلاحية و تنظيرية مباشرة مباشرة .

السياق في المنظور البلاغي

انصب اهتمام البلاغيين في دراستهم للسياق على فكرة (مقتضى الحال) والعلاقة بين المقال والمقام . فأما مصطلح (مقتضى الحال) فقد اهتم به علماء (علم المعاني)، و (الحال) في اصطلاحهم يعدل (مقتضى الحال). يقول التهانوي : (والحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه مخصوص - أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ما هي المسماة بمقتضى الحال، مثلا كون المخاطب منكرا للحكم حال يقتضى تأكيد الحكم والتأكيد مقتضاها... وعلى هذا النحو قولهم (علم المعاني) علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال - أي يطابق صفة اللفظ مقتضى الحال، وهذا هو المطابق بعبارات القوم حيث يجعلون الحذف والذكر إلى غير ذلك معللة بالأحوال) (1498) . فمن الواضح أن أهل علم المعاني اهتموا بأحوال المتكلم و(لاحظوا المخاطب باعتباره عنصرا من عناصر السياق الاجتماعي .. لكن من منطلق الاهتمام بتركيب العبارة او الجملة بحسب حال المخاطب) (1499) . مما يقتضى أن يكون المتكلم على علم بأحوال السامع قبل أن يتكلم؛ حتى يأتي بالكلام على صفة مخصوصة تتطابق مع حال المستمع.

1498 - التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون ، تقديم و إشراف: رفيق العجم ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1 : 1996

1996 م ، ص : 616 - 617 .

1499 - عبد النعيم خليل : نظرية السياق بين القدماء و المحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية ، ص: 176 .

وإذا ما نظرنا إلى " المقال " على أنه يمثل " السياق اللغوي " فإننا نجد أن البلاغيين قد أولوه عناية كبيرة. وليس أدلّ على ذلك من ربط العلامة عبد القاهر الجرجاني فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيّب الذي قيلت فيه، حيث يقول: (.. أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة ، و الفضيلة القاهرة ، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض ، و أن لم يعرض لها الحسن و الشرف إلا من حيث لاقت الأولى الثانية ، و الثالثة الرابعة ، و هكذا ، إلى أن تستقرّ إليها إلى آخرها ، و أن الفضل نتائج ما بينها ، و حصل من مجموعها ..) (1500) .

ويقول في موضع آخر: (فقد اتضح إذن اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة و خلفها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ، وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ) (1501) .

كما ردّ عبد القاهر الجرجاني على أولئك الذين يعتقدون و يدعون في آن ذاته أنه (... لا معنى للفصاحة سوى التلاؤم اللفظي ، وتعديل مزاج الحروف حتى لا يتلاقى في النطق حروف تثقل على اللسان ..) (1502) .

وإذا ما نظرنا إلى " المقام " على أنه يمثل " سياق الموقف " وجدنا ذلك أيضاً واضحاً عند البلاغيين فـ(من أوائل من تحدثوا عن فكرة المقام من البلاغيين ابن المقفع ت 145 هـ) حين سئل عن معنى البلاغة.. (1503) ، و قد تفتن لهذه القضية كذلك بشر بن المعتمر فيما يرويه الجاحظ في كتابه (البيان و التبیین) إذ يقول (.. كن في ثلاث منازل ، فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقة عذبا ، و فخما سهلا ، و يكون معنك ظاهرا مكشوفاً ، و قريبا معروفا ، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، و إما عند العامة أن كنت

1500 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص : 45 .

1501 - المرجع نفسه ، ص : 46 .

1502 - المرجع نفسه ، ص : 57 .

1503 - عبد النعيم خليل : مظريّة السياق بين القدماء و المحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية ، ص : 163 .

للعمامة أردت . و المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة , و كذلك ليس يضع بأن يكون من معاني العمامة. و إنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال , و ما يجب لكل مقام من المقال (1504) . وهذا يربط الكلام بمقام استعماله، ومراعاة مقتضى حاله وهو لب دراسة المعنى اللغوي و ثورة على المتشبهين بالتصنع ...

والملاحظ مما سبق هو أن مصطلح " مقتضى الحال " يقترب إلى حدّ كبير من مصطلح "سياق الحال " في الدرس اللغوي الحديث ويشترك معه في أهم خاصية وهي الاهتمام بالجانب الاجتماعي للغة و أنه لا بد أن يسبق المقام أو مقتضى الحال المقال؛ لأن الكلام يصاغ بمقتضاه، كما أن (سياق الموقف) الذي يستعان بعناصره في فهم الكلام بعد إنتاجه يعتبر المقال جزء من هذا السياق وليس منفصلا عنه . و لا يفوتنا في النهاية أن نسجل خلاصة رؤية تمام حسان حيث يقول : (و هكذا تمتد قرينة السياق على مساحة واسعة من الركائز تبدأ باللغة من حيث مبانيها الصرفية و علاقاتها النحوية و مفرداتها المعجمية و تشمل الدلالات بأنواعها من عرفية إلى عقلية إلى طبيعية كما تشمل على المقام بما فيه من عناصر حسية و نفسية و اجتماعية كالعادات و التقاليد و مآثرات التراث , كذلك العناصر الجغرافية و التاريخية مما يجعل قرينة السياق كبرى القرائن حق لأن الفرق بين الاستدلال بها على المعنى و بين الاستدلال بالقرائن اللفظية النحوية كالبنية و الإعراب و الربط و الرتبة و التضام إلخ هو فرق ما بين الاعتداد بحرفية النص و الاعتداد بروح النص . و قرينة السياق هي التي يحكم بواسطتها على ما إذا كان المعنى المقصود هو الأصلي أو المجازي و هي التي تقضي بان في الكلام كناية أو تورية أو جناسا إلخ و هي التي تدل عند غياب القرينة اللفظية على أن المقصود هذا المعنى دون ذلك إذ يكون كلاهما محتملا ..) (1505) .

- السياق في منظور المفسرين والأصوليين:

إن إيمان المفسرين و علماء علوم القرآن والأصوليين بأهمية السياق في الكشف عن مراد الشارع الحكيم جعلهم يستحضرونه في مسائل مختلفة وقضايا متنوعة، الشيء

1504 - الجاحظ : البيان و التبيين , ج1 ص : 136 .

1505 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن , دراسة لغوية و أسلوبية للنص القرآني , ص : 221 - 222 .

الذي يصعب على الدارس مهمة استقراء وتتبع مختلف استعمالات كلمة سياق ومعرفة المدلول الذي اعتمده بشأنها في هذا الموضوع أو ذاك، خصوصاً مع تعدد المصادر وغزارة المباحث وشساعة المجال.

و لقد كان المفسرون و علوم القرآن من أسبق العلماء الذين اهتموا بالسياق كوسيلة مهمة من الوسائل العملية للكشف عن المعنى المراد من الخطاب الشرعي . في دراسة الخطاب/النص القرآني وتعاملهم مع المصدر الأول للعقيدة و الأحكام الشرعية الإسلامية بهدف فهم دلالاته و مقاصده فـ(التفسير كشف معاني القرآن , و بيان المراد منه , سواء أكانت معاني لغوية أو شرعية بالوضع أو بالقرائن الأحوال و معرفة المقام)⁽¹⁵⁰⁶⁾ و من ثمة لا غضاضة إذا أكد الدارس أن المفسرين و علماء علوم القرآن قد اعتمدوا على جانبي السياق: اللغوي الكلي / بسياق النص " و " بأسباب النزول /سياق الموقف".

ففيما يخص النوع الأول نجدهم قد نظروا إلى الآية القرآنية أو مجموعة الآيات على أنها جزء من نص متكامل هو القرآن، و كانوا في ذلك بعيدي النظر , فلم يقفوا عند المعنى اللفظي و إن عرفوه أو الوظيفة الإعرابية و إنما تجاوزوا كل ذلك لتحليل النص الكامل للآية على نحو وصل فيما بعد إلى الحديث عن التناسب بين الآيات و بين السور .فقد نقل السيوطي في كتابه (التحبير في علم التفسير) هذه الحادثة إذ يقول (يحكى أن أعرابيا سمع قارئاً يقرأ: (فإن زلتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم) البقرة/209 , فأنكره , و قال : إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا , الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه)⁽¹⁵⁰⁷⁾ ومعنى ذلك أنهم لا يعتمدون على السياق اللغوي الجزئي المتمثل في الآية الواحدة أو مجموعة الآيات المعزولة عن سياقها الكلي . واهتموا بعنصر آخر مكمل للسياق اللغوي في النص القرآني وهو القراءات القرآنية، كما أفردوا المؤلفات لعلم الوقف والابتداء وكيفية الوصل والفصل وما يترتب على ذلك من دلالات، وهي من عناصر السياق اللغوي . أما النوع الثاني و هو سياق الموقف فيتمثل عندهم فيما عُرفَ " بأسباب النزول " ، فقد اعتنوا بمعرفة أسباب النزول لآيات النص

¹⁵⁰⁶ — السيوطي : التحبير في علم التفسير , تحقيق فتحي عبد القادر فريد , الرياض , دار العلوم , ط1:1402 هـ , ص : 38 .

¹⁵⁰⁷ — السيوطي : التحبير في علم التفسير , ص : 290 .

القرآني؛ لأنها تعينهم على فهم معانيه . ويذكر الزركشي في (البرهان)⁽¹⁵⁰⁸⁾ و السيوطي في (الإتقان)⁽¹⁵⁰⁹⁾ فوائد لمعرفة أسباب النزول منها :

- 1 – معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .
- 2 – تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب .
- 3 – الوقوف على المعنى و إزالة الإشكال .
- 4 – دفع توهم الحصر .
- 5 – معرفة اسم النازل فيه الآية و تعيين المبهم منها .

و زيادة على ما سلف فقد أولى المفسرون و علماء علوم القرآن أهمية بالغة للمخاطب و حاله و اعنباره في التفسير خاصة عند حديثهم عن المكي و المدني , و هو حديث لا شك أنه تناول بالإشارة أماكن نزول الآيات . و لكن يفهم في الوقت نفسه منه النسبة إلى مكة و المدينة المكان و حال المشمولين بهما أيضا , أهل مكة و أهل المدينة, كما يفهم منه زمان نزول القرآن باعتبار الهجرة و ما قبلها . و معرفة مكان و زمان نزول القرآن نوع من العلوم القرآنية يطلق عليه (المكي و المدني) .. يقول السيوطي (.. المكي ما نزل قبل الهجرة , و المدني ما نزل بعدها , سواء نزل بمكة أو بالمدينة , عام الفتح أو عام حجة الوداع , أم بسفر من الأسفار) .⁽¹⁵¹⁰⁾ . إن الفرق بين الخطاب المكي و الخطاب المدني فرق بائن للعيان , و أساسا يعتمد على الموضوع الذي يعتمد بدوره على الأحوال المكانية و الزمانية التي نزل فيها الخطاب الشرعي , و هذا إشارة واضحة و عميقة إلى لسياقي الخطاب/النص و الموقف عند المفسرين ..

وأما علماء " أصول الفقه " فقد اعتمدوا على فكرة السياق في بيان المعنى في النصوص الشرعية، إذ يعد اللجوء إلى قرائن السياق من وسائلهم لتحديد المعنى . فابن

1508 – الزركشي : البرهان في علوم القرآن , ج1, ص : 22 .

1509 – السيوطي : الإتقان في علوم القرآن , ص : 48 – 49 .

1510 – المرجع نفسه , ص : 19 .

قيم الجوزية يعتقد أن من أسباب الوقوع في الغلط و المغالطة و تحريف الكلم الشرعي عن مواضعه إهمال فاعلية السياق و دوره و عدم النظر إليه على أنه (.. يرشد إلى تبين المجمل و تعيين المحتمل و القطع بعدم احتمال غير المراد و تخصيص العام و تقييد المطلق و تنوع الدلالة . و هذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم , فمن أهمه غلط في نظره و غلط في مناظرته (...)(1511) . و يعمق الشاطبي في موافقاته هذه الرؤية بقوله (.. كلام العرب على الاطلاق لا بد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ , و إلا صار ضحكة و هزأة , , ألا ترى إلى قولهم : فلان أسد أو حمار , أو عظيم الرماد , أو جبان الكلب , و فلانة بعيدة مهوى القرط , و ما لا ينحصر من الأمثلة لو اعتبر اللفظ بمجردده لم يكن له معنى معقول , فما ظنك بكلام الله و كلام رسوله .. (1512) ما تقدم يشي بأنه لا يليق بكلام الله تعالى وكلام رسوله أن يقارب دون أن يوضع في عين الاعتبار البعد السياقي . كما هي إشارات واضحة من قبل هذه العينة من الأصوليين إلى أهمية السياق البالغة في الكشف عن مراد الشارع و مقاصده ..وقد وعى تماماً هؤلاء الأصوليون أن ثمة نوعين من القرائن السياقية، النوع الأول هو القرائن اللفظية، والثاني هو القرائن المقامية ، إلى جانب ذلك فقد أدركوا إلى حد بعيد نظريا و تطبيقيا الأثر الذي تقوم به هذه القرائن في تحديد دلالة الخطاب/النص و مقاصده

و فهم الخطاب/النص الشرعي لا يتم إلا بعد تأمل بجدية مكوناته اللغوية السابقة و اللاحقة أو جملة النصوص المترابطة مع هذا الخطاب/النص , أي باستيفاء جميع أطرافه و أجزائه (..فالذي يكون على بال من المستمع و المتفهم و الالتفات إلى أول الكلام و آخره , بحسب القضية و ما اقتضاه الحال فيها , لا ينظر في أولها دون آخرها , و لا في آخرها دون أولها , فإن القضية و إن اشتملت على جمل فبعضها متعلق بالبعض , لأنها

1511 – ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد , دار الكتاب العربي , ط1:2001 م ص : 540 .

1512 – الشاطبي : موافقات في أصول الشريعة , تحقيق : عبد الله دراز , دار الكتب العلمية , بيروت , ج 3 , ص

قضية واحدة , نازلة في شيء واحد . فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله و أوله على آخره .. فإن فرق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده⁽¹⁵¹³⁾

عناصر السياق :

و إذا كان السياق بعد كل ما تقدم يعد عنصراً هاماً سواء على مستوى تكوين الخطاب/النص أو تحليله ، فإن الذي يعمد إلى مقاربتة و تحليله ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار العناصر المباشرة و غير المباشرة التي تدخل في وجودية السياق و صيرورته ، إذ نجدها تتشكل من : المتكلم والمستمع ، و كذلك من العناصر المشتركة بينهما والزمان والمكان و الشخصيات الحاضرة لحظة الفعل التواصلي ..؛ لأنه ما من عنصر مما سبق إلا و له دور فعال يؤديه في تأويل الخطاب و التفاعل معه ، فمما لا شك فيه أن اختلاف السياق كثيراً ما يؤدي إلى تباين في التلقي و التأويل ... و بناء على ذلك يمكن للدارس أن ينظر إلى عناصر السياق من هذه الزوايا الأساسية ..

1 – العناصر الموضوعية .

2 – العناصر الذاتية .

3 – العناصر المشتركة .

أ – العناصر الموضوعية (الجو الخارجي) :

يرى عبد الهادي بن ظافر الشهري في كتابه (إستراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية) أن هذا النوع من العناصر (.. يمكن أن نسميه الجو الخارجي الذي يلف إنتاج الخطاب ، من ظروف و ملابسات ..)⁽¹⁵¹⁴⁾ و الوقائع البرانية الزمانية منها و المكانية التي تكوثر فيها الخطاب/النص و تكاثر مع غيره من الخطابات

ب – العناصر الذاتية (الجو الداخلي) :

1513 – الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة ، ج3 ، ص : 413 ،

1514 – عبد الهادي بن ظافر الشهري : إستراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط2004:1 م ، ص : 45 .

و مما لا شك فيه أن الدرس اللغوي الحديث (يعد العنصر الشخصي من أهم عناصر السياق , و يمثله طرفا الخطاب : المرسل و المرسل إليه , و ما بينهما من علاقة ...)(1515) .

1- المرسل (المتحدث/الكاتب):

وهو الطرف الأول والأساس في عملية التّواصل، والمسؤول عن إرسال الرّسالة واختيار المرجع وقناة الاتّصال والرّامزة . و غالبا ما يفهم من نفس المصطلح مصدر الرسالة، يعني مكان تشكل الرسالة (مثلا: الدماغ الإنساني بالنسبة للغة الحديث أو الكتابة، أو الكلام الإنساني بالنسبة للهاتف أو المذياع) والمرسل، بخصر المعنى، هو الذي يقتضي ميكانيزمات تشفير الرسالة، والجهاز المرسل نفسه (أعضاء الكلام بالنسبة للغة الحديث، والميكروفون، والراديو المرسل بالنسبة للهاتف اللاسلكي). إنه على مستوى مصدر-مرسل يتم إنجاز عملية التشفير؛ يعني انتقاء عدد من العلامات التي تنتمي للشفرة، والتي تسمح للمرسل بإرسال الرسالة . و المرسل *destinateur* هو من يقوم بتصدير الرسالة و يولد الوظيفة التعبيرية *La fonction référentielle* و تسمى أيضاً الوظيفة الانفعالية *La fonction émotive* و هذا العنصر يدور حول تعبير المرسل عن عواطفه و ما يصاحبها من انفعالات كالتعجب و والانزعاج أثناء بث الرسالة .

فبدونه لا يكون هناك خطاب/النص؛ لأن طرفه الأول الذي يتّجه به إلى الطرف الثاني ليكمل دائرة العملية التواصلية و التخاطبية، بقصد إفهامه مقاصده أو التأثير فيه. ولذلك فإنه يختار ما يتناسب مع منزلته ومنزلة المرسل إليه، بما يراعيه عند إعداد خطاب/النص، وفق ما يقتضيه موقعه، إمّا الموقع الاجتماعي أو الموقع الوظيفي، أو غيرهما، كما يتوخّى اختيار ما يتناسب مع السياق العام..

كما أن مقاصده وأهدافه تتنوّع بتنوع بعض العناصر السياقية، مما يفرض عليه أطراً معينة لابد أن يستجيب لها، فإن كان هدفه الإقناع فإنه يختار من الأدوات اللغوية والآليات الخطابية ما يبلغه مراده، وإن كان هدفه السيطرة مثلاً، فإنه يعمد إلى الأدوات التي تكفل تحقيقها. وتنعكس هذه العوامل بشتى ضروبها في شكل الخطاب وآلياته، وتصبح عنصراً فعّالاً في تحقيق الخطاب آثاره ونتائجه .

ب- المرسل إليه (المتلقي/القارئ):

وهو الطرف الآخر في عملية التواصل، والمستقبل لمضمون الرسالة، المسؤول عن عملية إنجاز التواصل أو إفشاله . و هذا المصطلح يشمل مجموع ميكانيزمات تلقي الرسالة: الجهاز المستقبل-مفكك الشفرة (الأذن بالنسبة للغة الحديث، الراديو المستقبل، ومكبر الصوت بالنسبة للمذياع). والمرسل إليه، بحصر المعنى، الذي يتلقى الرسالة (الدماغ الإنساني بالنسبة للغة الحديث، المستمع بالنسبة للمذياع) إن سيرورة تفكيك الشفرة تنجز على مستوى المستقبل-المرسل إليه، من خلال "البحث في الذاكرة" عن العناصر التي تنتمي للشفرة المنتقاة من أجل نقل الرسالة.

غالبا ما يشغل المستقبل-المرسل إليه بدوره دور المصدر- المرسل، مستعملا نفس القناة: وذلك في حالة التواصل الشفوي. بالإضافة إلى ذلك، بالإمكان نقل نفس الرسالة بواسطة نسق تناوب قنوات مختلفة ومتتالية تتطلب بذلك عمليات متعددة لفك الشفرة: هكذا في رسالة بواسطة مورس Morse، حيث تنقل العلامات بواسطة الأسلاك الكهربائية، ثم يعاد نقلها إلى علامات خطية graphiques، يمكنها هي نفسها أن تكون مفككة الشفرة أو يعاد تشفيرها على شكل متتاليات صوتية. قد ينتج عن ذلك أخطاء في الرسالة بسبب تتالي العمليات وتراكمها. لكن حتى باستعمالنا لقناة واحدة، فمن النادر أن يكون نسق ما من التواصل على أحسن ما . المرسل إليه destinataire الذي يستقبل الرسالة و تنتج عنه الوظيفة الإفهامية و التأثيرية La fonction conative التي تميز الرسالة بقصد جعلها فاعلة في المرسل إليه وبالطبع يهدف المرسل من ورائها إلى التأثير على مواقف أو سلوكيات وأفكار المرسل إليه . و يختلف المرسل إليه باختلاف النوع الأدبي، كان فلسفياً أو روائياً، شعرياً أو دينياً .. و بحسب اهتمامه . و قد يكون المتلقي هو المسيطر على يد الكاتب كما أسلفنا في القارئ الضمني وينتج من هذا خوف الكاتب من عدم فهم القارئ لموضوع ما فنجدّه يدور و يدور حول هذا الموضوع من أجل إيصاله بشكل أفضل.

وهو طرف الخطاب/النص الثاني، وإليه تتجه لغة الفعل التواصلية التي تعبر عن مقاصد المرسل . وعليه فإنه يمارس بشكل غير مباشر دوراً في توجيه المرسل عند

اختيار أدواته وصياغة خطابه، وذلك بحضوره العيني أو الذهني، انطلاقاً من علاقاته السابقة بالمرسل وموقفه منه ومن الموضوعات التي يتناولها الخطاب. كل ذلك يترك أثره، بوصفه هو الذي يمارس تفكيك الخطاب/النص ، ويؤوّله، لمعرفة مقاصد المرسل وأهداف الخطاب/النص التي يرى أنه يريد تحقيقها .

3 – العناصر المشتركة :

و هي عناصر سياقية مؤثرة في فاعلية الخطاب/النص و استمراريته التواصلية , بل إن الكثير من مواطن الاختلاف التي تنشأ بين المتلقين للخطاب الواحد أثناء تأويله , تفضيها مثل هذه العناصر السياقية و توحد الرؤية الكلية للتلقي حتى لا يضيع الخطاب/النص و يهمل بين تجاذب قطبين متنافرين ..و يمكن للدارس أن يجمل هذه العناصر في النقاط الآتية :

– العلاقة بين طرفي الخطاب رسمية كانت أو غير رسمية .

– المعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب , هذا الرصيد المشترك هو بمثابة الأرضية المعتمد عليها في تحقيق تواصلية فاعلة , بل هو متكأ المرسل إليه في مقاربة الخطاب/النص و تأويله و في الوقت نفسه الدعامة الأساسية التي ينهض عليها إنتاج الخطاب/النص من قبل المرسل . و يمكن أن تنقسم هذه المعرفة إلى : (معرفة عامة بالعالم)⁽¹⁵¹⁶⁾ و (المعرفة بنظام اللغة)¹⁵¹⁷ و حضورية الخطابات السابقة و تفاعليتها) فتصبح هذه الخطابات عناصر سياقية للخطابات اللاحقة , مما يعين على الإحالة عليها (1518) ...

– الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يسهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي .

– الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي .

–المقام : وهو زمان ومكان الحدث التواصلية .

1516 – عبد الهادي بن ظافر الشهري : إستراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية , ص : 49 .

1517 – المرجع نفسه , ص : 49 .

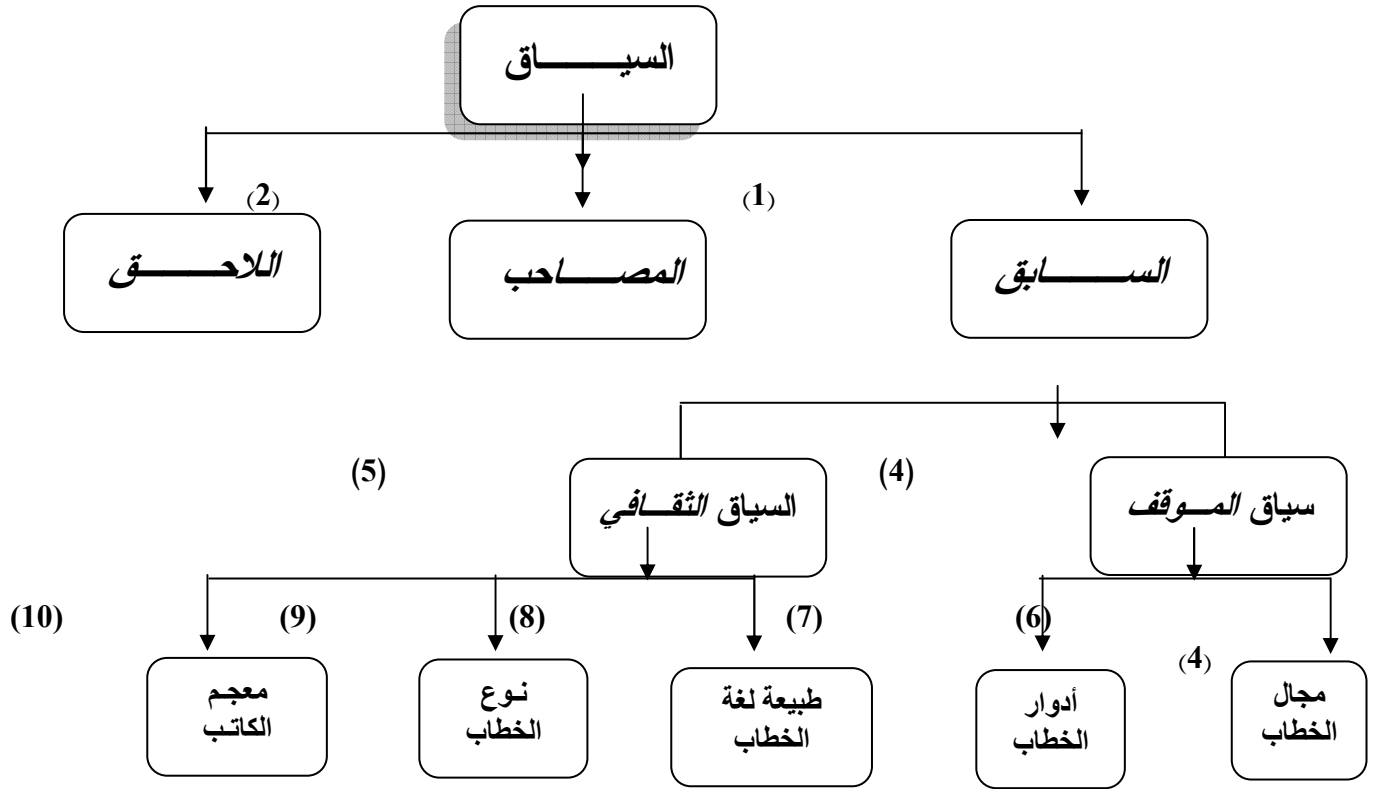
1518 – المرجع نفسه , ص : 51 .

- العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه .
- القناة : كيف تم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي : كلام . كتابة . إشارة .
و انطلاقاً مما سلف و بناء على أساسه يمكن أن ينظر الدارس إلى السياق على أنه الإطار العام الذي يسهم في ترجيح أدوات بعينها واختيار آليات مناسبة لعملية الإفهام والفهم بين طرفي الخطاب، وذلك من خلال عدد من العناصر المختلفة الذاتية و الموضوعية ، فمن عناصره العلاقة بين المتخاطبين سواء أكانت سلبية أم إيجابية، ولذلك فعدم وجودها يُعدُّ توجيهاً للمرسل في اختياراته. ومن عناصره الزمان والمكان اللذان يتلفظ فيهما المرسل بخطابه، فما يصلح لزمان قد لا يصلح لزمان آخر، و ما تقبله مرحلة تاريخية قد تمجه مرحلة تاريخية أخرى ، فتحيّة الصباح لا تصلح للمساء، وكذلك تحية المساء لا تصلح للصباح، إلا إذا كان المرسل يقصد معنى آخر من خطابه غير ما يدلّ عليه معنى التحية الحرفي أو المتداول بين المجتمع اللغوي . و ما يناسب مكاناً قد لا يناسب مكاناً آخر؛ فمعرفة عناصر السياق تسهم في عملية التعبير عن المقاصد والاستدلال لإدراكها. وعليه فإن اختيار الأدوات والآليات اللغوية يعد انعكاساً للعناصر التي تشكل في مجموعها سياقاً معيناً يبرز من خلال لغة الخطاب، وبمعرفته يمكن تفكيك هذه اللغة للوصول إلى المعنى المقصود أو الغرض المراد.

المحاور الأساسية للسياق :

تقودنا المتابعة الاستقصائية السالفة و المتعلقة بموضوع السياق إلى أن (..ننظر له بشكل موسع ، فهناك عوامل سياقية تؤدي إلى ظهور النص ، و هناك عوامل تصاحبه وقت حدوثه ، و أخرى تعقبه)⁽¹⁵¹⁹⁾ مما يدعو الدارس إلى التعامل مع السياق من زاوية كونه ثلاثة محاور أساسية نوجزها في المخطط الآتي :

1519 - حسام أحمد فرح : نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري ، مكتبة الآداب ، ط2009:2 م ، ص



ملاحظات :

1 - (يشير ... إلى مفردات الموقف الاجتماعي التي تمخض عنها النص و الجوانب الثقافية الايدولوجية لأطراف الخطاب..)⁽¹⁵²⁰⁾ العوامل السياقية المؤدية إلى ظهور النص.

2 - (يعبر ... عن البيئة اللفظية للنص أو الأداء الصوتي المصاحب له من نبر و تنغيم . كما يعبر عن الأداء السيميولوجي المصاحب من إيماءات و حركات للجسد , و في النص المكتوب يمكن تحديد عناصره من خلال أساليب لغوية أخرى مثل علامات الترقيم و الجمل الاعتراضية .. و أساليب السجع و الجناس الدالة على وجود أداء صوتي خاص للنص)⁽¹⁵²¹⁾. و هي العوامل السياقية و العناصر (لغوية) و (غير لغوية) المصاحبة لما يحدث بالفعل لحظة الفعل التواصلي(الكلام - الكتابة) .

1520 - حسام أحمد فرح : نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري, ص : 24 . .

1521 - المرجع نفسه , ص : 24 .

- 3 - (.. يدل على ما أدى له النص من تغيير في النواحي الاجتماعية و الأيديولوجية , مما انعكس أثره على النصوص التالية له أو على تصرفات الشخص المتصلة به ..)(1522). العوامل السياقية التي تعقب الخطاب/النص وما يولده و ينتج عنه من تغيرات و تأثيرات .
- 4 - (و هو في اللغويات الحديثة البيئة غير اللغوية التي تستخدم فيها اللغة..)(1523).
- 5 - (.. تلك الخلفية الثقافية للنص .. و كذلك كل التاريخ الثقافي الذي يقف وراء المشاركين في الخطاب...)(1524)
- 6 - (يشير مجال الخطاب إلى نوع النشاط الذي يحدث الآن ..)(1525). يكتسب مصداقيته من خلال الطبيعة الخاصة للمجتمع و مرحلته التاريخية .
- 7 - (طبيعة المشاركين في الخطاب و حالتهم و العلاقات الدائمة و المؤقتة بينهم , و..طبيعة العلاقات الاجتماعية المتصلة بالكلام..)(1526) .
- 8 - قد تكون طبيعة لغة الخطاب (شفهية/ صورة سمعية) خالصة أو (مكتوبة/صورة مرئية) خالصة , أو ثنائية (شفهية/مكتوبة - مكتوبة/شفهية) .
- 9 - (..يشير إلى أصناف النصوص الأدبية مثل الرواية و القصة و الرسالة...)(1527)
- 10 - (.. يشير الى هيمنة خواص نوعية معجمية و نحوية داخل النص . و هو نتيجة لارتباط اللغة بالاستخدام..)(1528) .

1522 - حسام أحمد فرح : نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري, ص : 24 .

1523 - المرجع نفسه , ص : 24 .

1524 - المرجع نفسه , ص : 30 .

1525 - المرجع نفسه , ص : 25 .

1526 - المرجع نفسه , ص : 28 .

1527 - المرجع نفسه , ص : 34 .

1528 - المرجع نفسه , ص : 38 .

الفصل

لقد اقتضت طبيعة اللغة العربية أن تكون مكوناتها على نسق معين ، و نظام محدد ، و عليه تعد الجملة العربية ذات معنى دلالي واحد (وتقتضي وحدة المعنى الدلالي ائتلاف المعاني الجزئية داخل الجملة بطريقة العلاقات النحوية السياقية ولا تستوي العلاقات النحوية فبعضها وثيق كعلاقة الشيء بنفسه وبعضها واهن كعلاقة الشيء بغيره، ومن هنا كان سبيل الائتلاف بين المعاني الجزئية هو الارتباط والربط وهذا الائتلاف هو أساس النظام التركيبي للجملة)⁽¹⁵²⁹⁾، إلا أن علماء الدرس البلاغي العربي لم يقفوا عند هذا الحد و إنما تجاوزوه عن طريق مقارنة الجمل وعلاقاتها المختلفة وتلاحم المعاني بينها ، فكلما اشتد التعالق كان وصل الكلام أشد لزوماً وأكثر اتساعاً وأوفر حظاً. وكلما قل التعالق كان قطع الكلام والاكتفاء به أشد لزوماً وأقرب مجالاً ، و من ثمة بات رصف الكلمات و المتتاليات الجمالية يخضع داخل النص العربي (لثنائية الانفصال و الاتصال)⁽¹⁵³⁰⁾ .

وكان للتفكير البلاغي و البياني العربي الفضل الكبير في تناول هذه القضية فقد أفرد لها الأبواب والمباحث وقد استهدف من ذلك البحث في المناسبات بين المعاني وتحديد صلاتها ومجالات التقائها ولم فصلت هذه المعاني عن تلك ؟ ولم وصلت ؟ وما هو نوع الصلات ؟ وما هو حدها ؟ وما هي مكانتها ؟ ، ونظر بعين بصيرة في لحمة العلاقة و النسب بين الكلمات المفردة و الجمل المتتالية ، وأتبع ذلك بتدبر تماسك الجملة وعلاقاتها بجاراتها من الجمل الأخرى ، وحاول أن يحدد الخيوط التي تجمعها ودقق فيها. والتفكير النحوي العربي نفسه يثمن هذا الاتجاه و يعترف بهذه المناسبة ، فلا يقبل من متحدث أن يقول : حرارة الشمس ومرارة الأرنب وألف فيلسوف . فهو مع صحة إعراب هذا التركيب ، إلا أنه غير مقبول ، فقد (كان يزيد بن معاوية يقول : إياكم أن تجعلوا الفصل

1529 - مصطفى حميدة : نظام الارتباط و الربط في تركيب الجملة العربية ، ص : 195

1530 - فؤاد بوعلی : الأسس المعرفية و المنهجية للخطاب النحوي العربي ، عالم الكتب الحديث ، ط1 : 2011 م ،

وصلا , فإنه أشد و أعيب من اللحن) (1531) , ولذلك يرى بعض الباحثين انطلاقاً من هذا المبدأ أن (الذين يزعمون أن النحو لا يعنيه في هذا إلا أن تضبط حركات الأواخر , لا يفهمون النحو الذي يعرفه علماء هذه الأمة هو النحو الذي يبحث منطق اللسان ويحلل ضروب العلاقات بين كلماته ويشرح سليقة الأمة المنعكسة في هذا البناء الإعرابي المعجب) (1532) . و بهذا يكون علماء اللغة العرب قد تجاوزوا أمر تمكن الكلمات في الجملة إلى ضرورة مراعاة التآخي بين الجمل السابقة والجمل اللاحقة , لأن الكلام في تداعياته المختلفة يفضي من كلمة إلى جملة تتعلق بها لنلج إلى جملة أخرى ذات علاقة بسابقتها , وهكذا يتفرع ويتداخل الكلام ويفضي بعضه إلى بعض , وقد نظروا أيضاً إلى وجوب التآخي بين الجمل ذات الصلة فتلفق وتضم إلى بعضها في لحمة نسب و شبكة علائقية تحقق المعاني التي يومئ إليها المتحدث , فيدرك منها المتلقي العلاقات الكامنة بين أجزاء الكلام المختلفة من خلال هذا التلاحم والتآخي. كما ينظرون إلى وجوب المباعدة بين بعض الجمل وقطعها عن سابقتها حرصاً منهم أيضاً على المعنى والإفادة المرتجاة من خلال هذه الجمل .

مفهوم الفصل لغة و اصطلاحاً

1 - المفهوم اللغوي:

أما الفصل فقد جاء في لسان العرب : (الفصل بون ما بين الشئيين) (1533). و (فصلت الشئ فانفصل : أي قطعه فانقطع) (1534) , و في معجم مقاييس اللغة: (الفاء و

1531 - بدوي طباته : معجم البلاغة العربية , دار المنارة , ط3 : 1988 م , ص : 502 .

1532 - محمد أبو موسى : دلالات التراكيب , مطبعة وهبة , ط2 : 1987 م , ص : 269 .

1533 - ابن منظور : لسان العرب , مادة: (فصل) . ج 11 , ص : 521 .

1534 - المرجع نفسه , ج 11 , ص : 521 .

الصاد كلمة تدل على فصل بين شيئين , و من ذلك الفصوص , هي مفاصل العظام كلها ... واحدها فص (1535) .

2 - المفهوم الاصطلاحي :

من المفيد هنا , قبل أن يعمد البحث إلى تعريف الفصل اصطلاحاً , الإشارة إلى أن أكثر علماء الدرس البلاغي و اللغوي قد وقفوا (عند هذا الموضوع , و بحثوا أهميته , و محسناته في كثير من الآيات القرآنية الكريمة , و الكلام المنظوم و المنثور , و من هؤلاء : الجاحظ , و أبو هلال العسكري , و عبد القاهر الجرجاني , و السكاكي , و القزويني , و الزمخشري و غيرهم ...)⁽¹⁵³⁶⁾ , كما عمد معظمهم إلى تقديم في مؤلفاتهم , عند مقاربتهم ظاهرة (الفصل و الوصل) , مصطلح (الفصل) على (الوصل) , و انتبهوا هم أنفسهم إلى هذه المسألة الترتيبية , فعمدوا إلى تعليلها وفقاً لقناعاتهم و منطلقاتهم التفكيرية , بقولهم : أن الفصل (مرجعه إلى عدم العطف و الوصل مرجعه إلى العطف)⁽¹⁵³⁷⁾ , و كذلك لأن الفصل هو الأصل (و الوصل طارئ أي عارض عليه , حاصل بزيادة حرف من حروف العطف , لكن لما كان الوصل بمنزلة الملكة و الفصل بمنزلة عدمها , و الإعدام إنما تعرف بملكاتها)⁽¹⁵³⁸⁾ . و الملاحظة الثانية أن معظم التعريفات المتعلقة بالفصل عند علماء الدرس البلاغي العربي إنما هي مستمدة بقوة و متأثرة إلى حد بعيد بالدلالة المعجمية و المعنى اللغوي لهذه اللفظة/الفصل , و من خلال

1535 - ابن فارس : معجم مقاييس اللغة , مكتبة الخاتجي بمصر , ط3 : 1981 م , مادة: فصل , ج4 , ص : 440 .

1536 - يوسف أبو العدوس : مدخل إلى البلاغة العربية , علم المعاني - علم البيان - علم البديع , دار المسيرة , ط1 : 2007 م , ص : 119 .

1537 - أبو يعقوب المغربي : مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص) , مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه , 1974 م , ص : 02 .

1538 - سعد الدين التفتازاني : شرح المختصر على تلخيص المفتاح , تحقيق عبد المتعال الصعيدي , المكتبة المحمودية التجارية بالأزهر , ج1 , ص : 227 .

ذلك كانت تعريفاتهم - في معظمها - توافقية في خطوطها العريضة , على الرغم من تباين (طرائق تعبيرهم تبعاً لتباين اختصاصهم و نظرتهم الى هذا الموضوع من التخصيص و التعميم , و التوسع في الباب و التضييق فيه , أو اختلاف فهمهم لبعض المصطلحات الواردة فيه) (1539) .

إذا ما كانت علاقة -الإحالة والحذف - تتجه إلى البحث عن المفترض فيما تقدم أو فيما سيلحق في النص ، فإن علاقة الفصل تختلف في أنها تتجه إلى تحديد الطريقة المعنوية التي يترابط بها اللاحق من الجمل مع السابق منها بشكل منظم , مادام النص جملاً أو متتاليات متعاقبة خطياً تحتاج إلى إدراكها كوحدة متماسكة إلى علاقات رابطة متنوعة تصل بينها .

لقد أجمل عبد القاهر الجرجاني ظاهرة الفصل في تعريف مركز فقال : (فترك العطف إما للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية) (1540) , و بهذا يكون الفصل ترك العطف بين جملتين أو أكثر ، ويعد من أسرار البلاغة إذ (لا يتأتى إلا للأعراب الخُصّ أو لقوم طُبعوا وجُبلوا على الفصاحة والبلاغة وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام) (1541) ، لاسيما وأن البلاغيين قد عرفوا البلاغة بأنها (معرفة الفصل من الوصل) (1542). يشير ما تقدم إلى أن الفصل ليس مجرد ظاهرة لغوية تقترب بترك العطف بل هي ظاهرة دلالية هامة من ظواهر آليات النصوص . وهو ليس مجرد ربط ميكانيكي بين العبارات والجمل بل هو أداة هامة لتحقيق التفاعل السياقي بين أجزاء النص الذي يؤدي بالنتيجة إلى تماسكه .

1539 - شكر محمود عبد الله : الفصل و الوصل في القرآن الكريم , دار دجلة , ط 1 : 2009 م , 23 .

1540 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز , ص : 223 - 224 .

1541 - المرجع نفسه , ص : 135 .

1542 - الجاحظ : البيان و التبیین , ج 1 , ص : 88 .

و قد نبه الزمخشري إلى أن الفصل إنما هو وصل تقديري خفي , كما أنه مقارنة بالوصل الظاهر بحرف العطف هو أقوى منه و أشد تأثيرا في المخاطب و (التنبيه إلى هذا الوصل الخفي باب دقيق من أبواب البيان تتكاثر محاسنه)⁽¹⁵⁴³⁾ , و هذا ما يطلق عليه بعض المحدثين مصطلح (الوصل بغير عطف)⁽¹⁵⁴⁴⁾ .

.... تعريفات مختلفة للفصل قديمة

(الفصل فهو ترك العطف , إما لأن الجملتين متحدتان مبنى و معنى , أو بمنزلة المتحدتين , لأنه لا صلة بينهما في المبنى أو في المعنى)⁽¹⁵⁴⁵⁾ .
(الفصل ترك العطف بين الجملتين)⁽¹⁵⁴⁶⁾

و قد حاول المتأخرون من مفكري الدرس البلاغي إيجاد تعريفات للفصل أخص من الحدود القديمة و أدق منها , و أكثر تعالقا بالبلاغة و الدرس اللغوي الحديث , فعبد الفتاح لاشين يرى أن (الوصل عطف بعض الكلام على بعض , و الفصل ترك هذا العطف)⁽¹⁵⁴⁷⁾ , و المتأمل لهذا التعريف يلاحظ أنه يختلف نوعا ما عن التعريفات القديمة , ذلك لأن صاحبه يرى من خلاله أن الكلام أعم من الجملة لأنه يشمل المفردات و الجمل معا , كما ذهب صاحب (جواهر البلاغة) إلى حد الفصل بقوله : (الفصل ترك هذا العطف بين

1543 - محمد حسن أبو موسى : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري , دار الفكر العربي , دار الحمامي للطباعة , ص : 395 .

1544 - أحمد عبد الستار الجوارى : نحو المعاني , ص : 101 .

1545 - يوسف أبو العدوس : مدخل إلى البلاغة العربية , علم المعاني - علم البيان - علم البديع , ص : 119 .

1546 - فضل حسن عباس : البلاغة - علم المعاني , دار الفرقان للنشر و التوزيع , ط 4 : 1997 م , ص : 392 .

1547 - عبد الفتاح لاشين : المعاني في ضوء أساليب القرآن , دار المعارف , ط 3 : 1978 م , ص : 313 .

الجمليتين ، و المجيء بها منثورة ، تستأنف واحدة منها بعد أخرى ... الفصل ترك الربط بين الجمليتين ... (1548)

وليس مسألة الفصل/القطع محصورة في الألفاظ المفردة بل يتجاوزها إلى استهداف أجزاء الكلام من تراكيب ومنتاليات جمالية ، هذه النقلة تعد (أعلى وأرفع ما فيه بل يكاد البلاغي يقصر عنايته على العلاقة بين التراكيب) (1549) ، لهذا السبب و غيره ووجب على المتلقي للنص (فهم القدر الرابط بين الجمليتين فإن كانتا متباينتين فتفصل أحدهما عن الأخرى) (1550) .

وقد تناول البلاغيون هذا المصطلح مرتبطاً بالكلام ، لأن الكلام: إما أن يتصل بعبءه ببعض أو ينقطع فيكون هناك حاجز بين أجزائه ، وهو ما عرف عندهم بقضية الفصل والوصل . و لهذا أدرك البلاغيون -ومنهم الجرجاني- صعوبة هذا العلم وغموضه ودقته فهو القائل: (واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول إنه فيه خفي غامض ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب) (1551) . فهو ينظر إلى القضية - إذن - من خلال منظومة علاقات ، حيث تشتد هذه العلاقات فيقتضي الأمر معها الوصل ، وقد تخف مما يقتضي الأمر معها الفصل ، غير أن الوصل عندهم في هذا الباب يتم بواسطة أداة تصل ما بين طرفي الكلام ، أما قضية الصعوبة التي أشار إليها الجرجاني آنفاً ، فإنما تكمن في طبيعة العلاقات التركيبية بين الجمل لأن الدلالات الإفرادية (أقرب تناولاً وأبين استنطاقاً في النظم والسياق من الدلالات التركيبية التي تموج بها

1548 - أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان و البديع ، دار ابن الجوزي ، ط1 : 2010 م ، ص : 147 - 148 .

1549 - أحمد عبد الستار الجوارى : نحو المعاني ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، طبعة جديدة : 2006 م ، ص : 93 .

1550 - كاظم مشكور : البحث الدلالي في تفسير الميزان ، مؤسسة البلاغ ، ط1 : 2010 م ، ص : 248 .

1551 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص : 158 .

أسرار بيانية وترابطها مواقف استدلالية في علائقها وتناسبها (1552). و لذلك فإن تراتبية الأفكار و تعالق أجزاء مكوناتها بعضها ببعض (كنظم العقد يحتاج إلى ملكة مالكة، وقدرة بارعة، وذكاء لمّاح يوجد فيه انسجاماً واتساقاً وتعاقباً وترابطاً) (1553). و لذلك يقول صاحب الطراز (أما الفصل فهو في لسان علماء البيان عبارة عن ترك الواو العاطف بين الجملتين) (1554).

فالذي يلاحظ من هذه النصوص أنهم جميعاً اتفقوا على تعريف الفصل وجعلوه محددًا بجملتين فأكثر، جملة سابقة وأخرى/آخر لاحقة. وقد وصف علماء البلاغة هذا الفن بالأهمية وبالذقة في مكانه من العلوم وأنه لا يتأتى إلا لمن سلم طبعه وصفت قريحته: (واعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى ، من أسرار البلاغة ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص والإاقوم طبعوا على البلاغة وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم به أفراد وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفة الفصل من الوصل ذلك لغموض مسلكه وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة) (1555)، وقد وصفه السكاكي بقوله: (وإنها لمحك البلاغة ، ومنتقد البصيرة ومضمار النظر ومتفاضل الأنظار، ومعيار قدر الفهم ومسبار غور خاطر ومنجم صوابه وخطئه) (1556). و قد تناوله بعض المحدثين أيضاً ، و لكن بحذر شديد ، بحيث نقلوا عن القدماء

1552 - كاظم مشكور : البحث الدلالي في تفسير الميزان ، ص : 247 .

1553 - أحمد عبد الستار الجوارى : نحو المعاني ، ص : 94 .

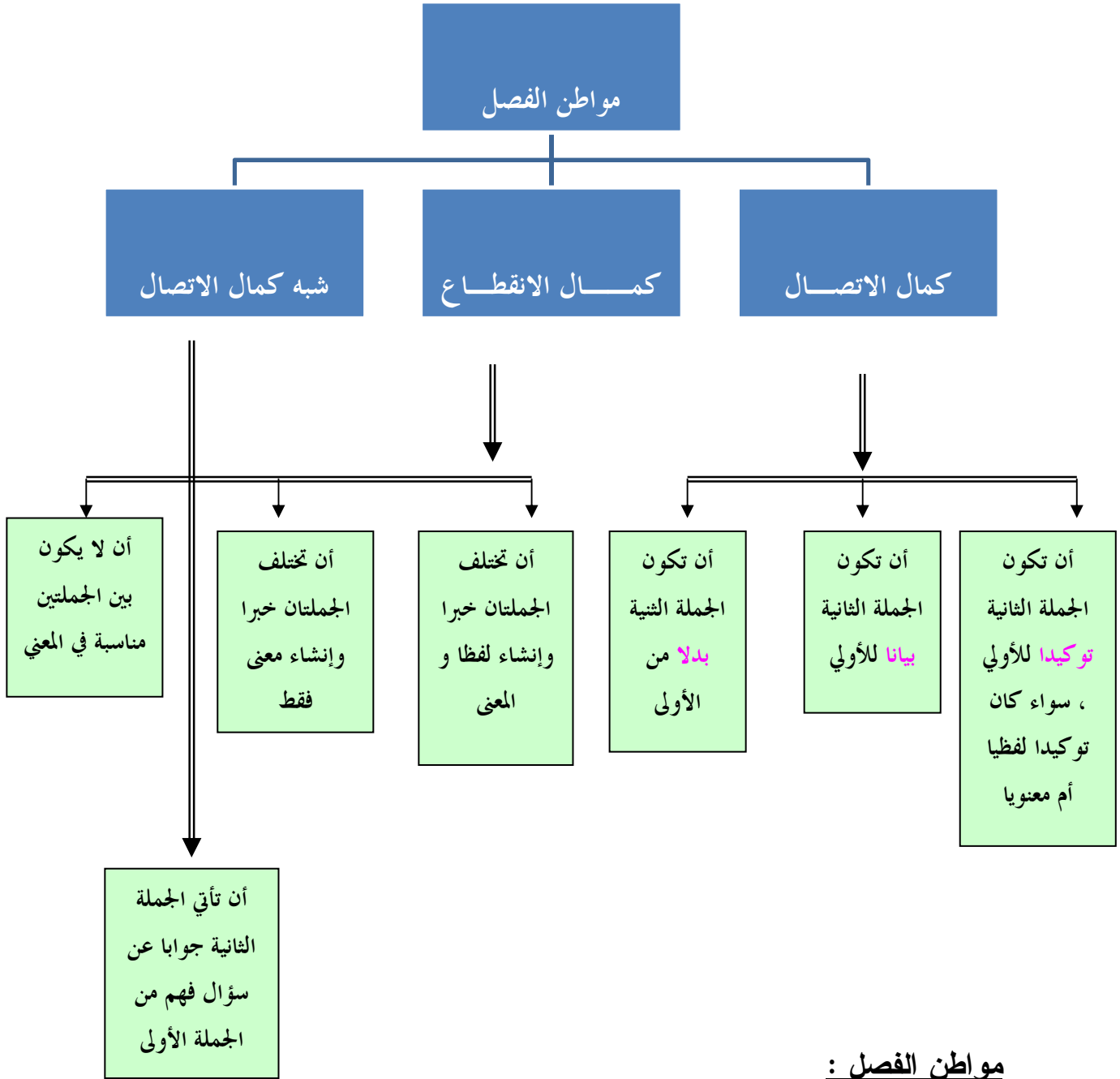
1554 - يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم : الطراز المتضمن أسرار البلاغة وحقائق الإعجاز ، دار الكتب العلمية بيروت (بدون تاريخ) ، ج3 ، ص: 34 .

1555 - عبد القاهر الجرجاني : دلالات الإعجاز ، ص: 174 .

1556 - السكاكي : مفتاح العلوم ، ضبط وشرح: نعيم زرزور ، الكتب العلمية بيروت ، (بدون تاريخ) ، ص: 249 .

الشواهد و المواضع نفسها ، فإبراهيم أنيس وصف اللغة العربية بأنها لغة وصل ، و أن الفصل و الوصل في اللغات لا يعدو أن يكون (أمر أسلوب) (1557) .

– الفصل بين الجمل



العطف بالواو يقتضي مناسبة ومغايرة ، فإذا افتقدت المناسبة امتنع العطف ، لأن الواو للجمع ، ولا يُجمع بين شيئين لا علاقة بينهما .
وإذا افتقدت المغايرة امتنع العطف كذلك ، لأن الشئ لا يعطف علي نفسه .

(أولاً) الفصل لكمال الاتصال :

نعني بكمال الاتصال أن يكون بين الجملتين اتحاد في المعنى ، فتتصل الجملتان اتصالاً ذاتياً ، أي (..أن تكون الثانية متصلة بالأولى اتصالاً كاملاً تاماً..) (1558) ، دون احتياج إلي واصل لفظي ، (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أتسخر بي أو أتضحك بي وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه قال فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة) (1559) .

(سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ) (1560) .
ويتحقق ذلك في ثلاث صور :

1 - أن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى لفظيا أم معنويا

1558 - فضل حسن عباس : البلاغة فنونها و أفنانها ، ص : 405 .

1559 - النووي : صحيح مسلم ، ج 2 ، ص : 314 .

1560 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 5 ، ص : 75 .

و ذلك أن يكون في الجملة الأولى/السابقة (نوع توهم للتجاوز أو الغلط فيؤتى بالثاني دفعا له و تقريراً للمراد) (1561)

(عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبَّنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذَكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي ائْتُوا نُوحًا) (1562) .

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ بِسَبِّ الدَّهْرِ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) (1563) البخاري/51

الأمثلة :

{ذَلِكَ كَلِمَاتٌ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} {البقرة/2}

{فَسَجَدَ كُلْمَلَايِكَةً كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} {الحجر/30}

_____ قوله تعالى : " فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا " الشرح / 5 – 6 .

2 - أن تكون الجملة الثانية (صفة للأولى أو بيانا لها) (1564):

و ذلك بان تنزل الجملة الثانية من الجملة الأولى (منزلة الصفة من موصوفها , أو عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح , و المقتضي للتبيين أن يكون بالكلام السابق نوع خفاء , و المقام مقام إزالة له) (1565)

1561 - ابن الناظم : المصباح , تحقيق حسني عبد الجليل يوسف , مكتبة الآداب بالقاهرة , ط1: 1989 م , ص : 62 .

1562 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 18 , ص : 107 .

1563 - المرجع نفسه , ج 19 , ص : 238 .

1564 - ضياء الدين عبد الغني : القران في علم المعاني , دار النوادر , ط1 : 2013 , ص : 492 .

1565 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز , ص : 229 .

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ
الذِّكْرِ...) (1566)

الأمثلة :

{فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى} طه/120.
{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} النجم/3+4.

3 - أن تكون الجملة التنية بدلا من الأولى :

(و أما الحالة المقتضية للإبدال فهي أن يكون الكلام السابق غير واف بتمام المراد و
إيراده , أو كغير الوافي , و المقام مقام اعتناء بشأنه , إما لكونه مطلوباً في نفسه , أو
لكونه غريباً , أو فظيلاً , أو عجبياً , أو لطيفاً , أو غير ذلك مما له جهة استدعاء
للاعتناء بشأنه , فيعيده المتكلم بنظم أوفي منه على نية استئناف القصد إلى المراد ,
ليظهر بمجموع القصدين إليه في الأول و الثاني ... مزيد الاعتناء بالشأن) (1567)

(قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ آخِرُ
أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ لَنَا وَعِزَّتِكَ لَنَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا
(1568)

الأمثلة :

{ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ } الشعراء/132+133.
{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} الرعد/2.

1566 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 23 , ص : 40 .

1567 - السكاكي : مفتاح العلوم , ص : 361 .

1568 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 25 , ص : 133 .

(ثانيا) الفصل لكمال الانقطاع :

(أما الحالة المقتضية لكمال الانقطاع ما بين الجملتين فهي , أن تختلفا خبرا و طلبا , مع تفصيل يعرف في الحالة المقتضية للتوسط , أو إن اتفقتا خبرا , فأن لا يكون بينهما ما يجمعهما) (1569)

و لكمال الانقطاع (ثلاث صور) (1570) :

الصورة الأولى : أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء لفظا و معنى.

(أن تكون إحدى الجملتين خبرية لفظا و معنى , و الثانية إنشائية لفظا و معنى) (1571)

الصورة الثانية : أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء معنى فقط.

(أن تكون الجملتان مختلفتين خبرا و انشاء في المعنى فقط , و إن كانتا متفقتين خبرا و إنشاء في اللفظ) (1572)

الصورة الثالثة : أن لا يكون بين الجملتين مناسبة في المعنى .

(ألا يكون بين الجملتين جامع أو تناسب يصح العطف بينهما , مع اتفاقهما خبرا و انشاء , و يتحقق ذلك بأن تكون الجملتان متحدتين في الإسناد و متفقتين في الخبرية و الإنشائية , و لكن لا يوجد بينهما صلة أو مناسبة أو نوع ارتباط لا بين المسندين فيهما و لا بين المسند إليهما , أي لا جامع بينهما ..) (1573) .

1569 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ص : 361 .

1570 - شكر محمود عبد الله : الفصل و الوصل في القرآن الكريم , دار دجلة , ط1 : 2009 م , ص : 129 .

1571 - المرجع نفسه , ص : 129 .

1572 - المرجع نفسه , ص : 130 .

1573 - المرجع نفسه , ص : 132 .

(أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ) (1574)

(عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا ...) (1575)

(ثالثاً) : الفصل لشبه كمال الاتصال :

يرى عبد القاهر الجرجاني أن هذا النوع من الفصل إنما تقدر فيه الجملة اللاحقة/الثانية و لكن في صورة جواب (اقتضته الأولى , فتنزل منزلته , فتفصل الثانية عنها كما يفصل السؤال عن الجواب) (1576) , و للتوضيح أكثر يراد بهذا اللون التعبيري (... أن تأتي الجملة الثانية جوابا عن سؤال فهم من الجملة الأولى , و هذا هو الغالب أكثر , و قد يكون السؤال مذكورا صراحة في الجملة الأولى , و هذا كثير في كتاب الله , و في كلام سيد البلغاء صلى الله عليه و سلم , و في الكلام الجيد) (1577) , أي أن ضابطه : هو أن تكون الجملة الثانية جوابا لسؤال متضمن في الجملة الأولى . هذا يعني أن تنزيل الكلام منزلة السؤال لا يأتي هكذا من غير ضوابط أو من غير مقتضيات تستحضره في ذهن المتلقي , و لهذا فـ(تنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة , إما لتنبية السامع على موقعه , أو لإغناؤه أن يسأل , أو لئلا يسمع منه شيء , أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه , أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ , و هو تقدير السؤال , و ترك العاطف , أو غير ذلك مما ينخرط في هذا السلك ..) (1578)

1574 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 19 , ص : 207 .

1575 - النووي : صحيح مسلم , ج 8 , ص : 185 .

1576 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز , ص : 237 .

1577 - فضل حسن عباس : البلاغة فنونها و أفنانها , ص : 405 .

1578 - السكاكي : مفتاح العلوم , ص : 361 .

(عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ اللَّهُ ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ
أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ
أَجْرَهُ) (1579)

(قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة
دخولاً الجنة رجل يخرج من النار حبوا) (1580)

طبيعة العلاقة بين أجزاء الكلام:

النص ليس مجموعة من **الجملة** تلي إحداها الأخرى، كما أنه ليس وحدة نحوية بل وحدة دلالية ، لأن الوحدة التي تميز النص هي وحدة معنى في سياق .
الوحدة **الدلالية** للنص تأتي من **التربيط** الموجود **بين الجملة** التي يتكون منها .
فكل جملة في النص - باستثناء **الجملة** الأولى تعطي نوعاً من **التربيط** مع **الجملة** التي تسبقها. وتحتوي كل جملة على إحالة واحدة في الأقل تربطها **بالجملة** التي تسبقها . وهناك روابط تربط أجزاء النص وتجعله وحدة واحدة وتزيده وضوحاً، منها ما يكون **بين الجملة** أو داخل **الجملة** الواحدة في النص وتعطي القارئ انطباعاً بأن النص مترابط .

العلاقة بين أجزاء الكلام المختلفة إما أن تكون بين أجزاء الجملة الواحدة أو بين جملتين أو أكثر ، فإذا كان هناك تعالق ما بين الجملتين تم وصلهما بحرف من حروف العطف ، أما إذا لم تكن هناك علاقة أو كانت العلاقة شديدة حتى ليؤدي وصل ما بينهما إلى إخلال بالمعنى كان الفصل ، فمصطلح الفصل (لا يعني قطع العلائق بين السالبي ، بل الفصل و الوصل : وسائل للتعبير يصطنعها الأديب ليترجم بها عما يشاء من مكنونات فؤاده ، و قد يتجاوران في نسق واحد ، و تتلاحم الجمل و تتداخل ، و تتدفق المعاني و

1579 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 11 ، ص : 59 .

1580 - النووي : صحيح مسلم ، ج 2 ، ص : 314 .

تتشابك ..(1581)، إذ العلاقة بين أجزاء الكلام في بعض الأحايين لا تحتاج في وصلها إلى الواو ، ذلك لشدة ما بينهما من ترابط فيؤدي الإعراب – هنا – عمله في خلق هذا الترابط ، فلا يحتاج حينئذٍ لحرف العطف ، وذلك يتأتى في التوابع إذ العلاقة بين التابع والمتبوع قوية بحيث لا يمكن الفصل بينهما. ذلك في داخل الجملة الواحدة ، يقول السكاكي: (وذلك إذا أتقت أن الإعراب صنفان لا غير ، صنف ليس بتبع وصنف تبع ، وأتقت أن الصنف الثاني منحصر في تلك الأنواع الخمسة: البدل والوصف والبيان والتأكيد واتباع الثاني الأول بتوسط حرف عطف ، وعلمت كون المتبوع في نوع البدل في حكم المنحي والمضرب عنه بما يسمع أئمة النحو رضي الله عنهم يقولون: البدل في حكم تحية المبدل منه ويصون بتصريح بل في قسمه الغلطي وعلمت في الوصف والبيان والتأكيد أن التابع فيها هو المتبوع ، فالعالم في: زيد العالم ، عندك ليس غير زيد ، وعمرو في: أخوك عمرو ، عندي ليس غير أخوك ، ونفسه في: جاء خالد نفسه ، ليس غير خالد ، ثم رجعت وتحققت أن الواو يستدعي معناه ألا يكون معطوفه هو المعطوف عليه لامتناع أن يقال: جاء زيد وزيد وأن يكون زيد الثاني هو زيد الأول ، حصل لك أن الصنف الأول ليس موضعاً للعطف بأي حرف من حروف العطف لفوات شرط العطف عليه) (1582). فعلاقة المعنى شديدة بين التابع ومتبوعه داخل الجملة الواحدة ، ولذلك لا يجوز وصلهما بحرف العطف وإنما هي موصولة المعنى من ذات نفسها دون الحاجة إلى واصل يصلها بسابقتها ، هذا إذا كانت الصلة بين مفرد ومفرد.

أما إذا كانت الصلة بين جملة وجملة كأن تكون الجملة الثانية بالنسبة إلى الأولى مثل أحد هذه التوابع بالنسبة إلى متبوعه ، فالأمر مختلف ، ذلك لأن الجملة نوعان: جملة لها محل من الإعراب ، وأخرى ليس لها محل من الإعراب. أما التي لها محل من الإعراب فقد أحقها البلاغيون بالمفرد ، لأن الجملة لا يكون لها محل من الإعراب إلا إذا وقعت موقع المفرد وعلى ذلك تكون علاقة الإعراب قائمة فيتسلط العامل عليها ، فإذا أردنا أن تدخل غيرها معها في الحكم عطفناها عليها فيكون تأثير العامل عليها كسابقتها ،

1581 - صباح عبيد دراز : في البلاغة القرآنية أسرار الفصل و الوصل ، مطبعة الأمانة ، ط1 : 1986 م ، ص : 70

1582 - السكاكي : مفتاح العلوم ، ص:25.

يقول عبد القاهر الجرجاني: (الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين ، أحدهما: أن يكون للمعطوف عليها محل من الإعراب وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد ، إذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد. وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جارياً مجرى عطف المفرد وكان وجه الحاجة إلى الواو ظاهراً والإشراك بها في الحكم موجوداً ، فإذا قلت: مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح كنت قد أشركت الجملة الثانية في حكم الأولى. وذلك الحكم كونها في موضع جر بأنها صفة للنكرة ونظائر ذلك يكثر والأمر فيها يسهل)⁽¹⁵⁸³⁾.

والوصل في الجمل التي لها محل من الإعراب يخضع للقاعدة المعروفة ، وهي التشريك. حيث يتم العطف بينهما إذا أردنا التشريك فالمعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله والمعطوف على المنصوب بأنه مفعول له مثل سابقه وهكذا.

وبحث الجمل من هذه الزاوية – أعني موقعها من الإعراب – يعتبر وصفاً وتحليلاً للعلاقات القائمة بين مفردات الكلام وجمله ، فالنظر إلى وقوع الجملة وصفاً أو خبراً أو حالاً يبين الرابطة التي تصلها بجارتها وتجعلها تتشابه معها في خيط واحد ، فهي وصف لها أو خبر عنها أو مفسرة لها أو مزيلة لضرب من الإبهام غشيتها ، (وهكذا تجد دراسة مواقع الإعراب بحثاً دقيقاً وعميقاً وممتعاً في ربط الكلام وعلائقه وكشفاً بارعاً لتلك الخيوط التي تدق حتى كأنها شعيرات خفية ولكنها متينة وثيقة في ربط الكلام ودمجه وقد رأينا هذه الخيوط تربط جملة من الجمل تطول وتترادف في بعض أجزائها وتتعرج وتتشابك وتلتف حتى كأن الجملة شجرة صغيرة منتظمة في سلك الكلام)⁽¹⁵⁸⁴⁾ .

أما الجملة التي لا محل من الإعراب فليست بينها وبين سابقتها هذه العلاقة يقول الجرجاني في دلائل الإعجاز: (الجمل على ثلاثة أضرب: جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكد فلا يكون فيها العطف ألبتة لشبه العطف فيها لو عطفت بعطف الشيء على نفسه ، وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه فيكون حقها العطف ، وجملة ليست في شيء من الحاليين بل سبيلها

1583 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 174 - 175 .

1584 - محمد محمد أبو موسى : دلالات التراكيب ، ص: 293 .

مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شئ إن ذكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به. ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأساً وحق هذا ترك العطف البتة (1585).

فالجمل على هذا إذا لم يكن لها محل من الإعراب ، فإن العلاقة تخف بينها وبين سابقتها أو بعبارة أخرى تكون أقل تعلقاً مما لو كان لها محل من الإعراب ، وكلما خف هذا التعلق وقل ازداد احتمال فصل الكلامين ، وعليه يرى البلاغيون أن حق مثل هذه الجملة ترك العطف ، غير أنهم لا يستبعدون العطف ويصفونه عندئذ بالصعوبة، يقول عبد القاهر الجرجاني (ت 774هـ) : (والذي يشكل أمره هو الضرب الثاني وذلك أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى كقولك: زيد قائم وعمرو قاعد والعلم حسن والجهل قبيح. لا سبيل لنا أن ندعي أن الواو أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه وإذا كان كذلك فينبغي أن تعلم المطلوب من هذا العطف والمغزى منه. ولو لم يستو الحال بين أن تعطف وبين أن تدع العطف فتقول: زيد قائم وعمرو قاعد ، بعد أن لا يكون هنا أمر معقول يؤتى بالعاطف ليشارك بين الأولى والثانية (1586).

ومن هنا تبدو براعة البلاغيين في استنباط المعاني الدقيقة التي تخفى في مثل هذا الربط ، وأروع ما يكون ذلك عندما يرتبط البحث فيه بالقرآن الكريم أو الحديث النبوي أو الحديث القدسي ، وهو الفصل الموسوم عندهم (بالدقة والخفاء) ولا تتأتى معرفته إلا لمن امتلك طبعاً وذوقاً رفيعاً بكلام العرب.

العلاقات الملحوظة في النص

اللغة (منظمة إنسانية يستعملها إنسان ويفهمها إنسان) (1587) ، و لكنها مجسدة في منظومة لفظية تربط الألفاظ والجمل بعضها ببعض في شكل متتاليات جمالية

1585 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 188 .

1586 - المرجع نفسه ، ص : 175 .

1587 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية و أسلوبية للنص القرآني ، ج 1 ، ص : 396 .

متعلقة دلالة و معنى بواسطة نوعين من القرائن/العلائق , أحدهما يسمى : القرائن اللفظية/(علاقات ملفوظة) و الأخرى القرائن المعنوية (التي لا يعتمد إدراكها على قرائن لفظية)⁽¹⁵⁸⁸⁾ . و الفصل مظهر من مظاهر هذا النوع الأخير , يتمثل في (عدم استعمال الأداة لتبدو الجملة الثانية في صورة استئناف)⁽¹⁵⁸⁹⁾ , و بذلك أصبح الفصل علاقة معنوية بين جملتين فأكثر , أي (اتصال معنى إحدى الجملتين بمعنى الأخرى بواسطة علاقة ما مع فصل إحداهما عن الأخرى)⁽¹⁵⁹⁰⁾ . و على هذا الأساس يكون حصر قضية الفصل في الأنواع البلاغية الثلاث (كمال الاتصال + شبه كمال الاتصال + كمال الانقطاع) , إنما هو (تضيق لدائرة العلاقات بين الجمل و إنكار لما عدا المفاهيم النحوية من العلاقات الرابطة بين الجمل)⁽¹⁵⁹¹⁾ , كما أن الجمود على الأنواع الثلاثة السالفة الذكر دون الاستفادة مما وصل إليه درس اللغوي و البلاغي الحديث (يدخل الضيم على حرية الفهم , لأن الفهم نشاط عقلي مرتبط بأنواع مختلفة من القرائن منها اللفظي و المعنوي و الحسي و العرفي و المادي و الخارجي ...)⁽¹⁵⁹²⁾ , و بذلك يكون مصطلح الفصل النحوي مختلفا عن مصطلح الفصل البلاغي , و إن كان هذا الأخير وسيلته نحوية (ربط القضية بالعلاقات النحوية)⁽¹⁵⁹³⁾ , لكنه يختلف عن الفصل النحوي , و هذا الأمر يشير إلى أن الدراسات البلاغية/الأسلوبية العربية كان منطلقها أساسا درس اللغوي و التفكير اللساني , و ما بين النحو و البلاغة من علاقات متداخلة و متشابكة , خاصة في علم المعاني . كما أن للفصل البلاغي له خصوصية المقال مما يجعله يختلف عن مجرد الحذف النحوي , لأن حذف الرابط الملفوظ بين جملتين مثلا /فصل , يشي بمقتضيات دقيقة , على رأسها إبراز المواقف الانفعالية المختلفة , كأن تكون هذه الانفعالات الموقفية : حبا , خوفا , استعجالا , تعجبا , إنكارا ... و بهذا يتعدد أشكال الفصل التعبيرية التواصلية كلما تعددت مقصديته الاستعمالية , مما يجعل الفرق الفاصل بين الفصل البلاغي و

1588 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن , دراسة لغوية و أسلوبية للنص القرآني , ج 1 , ص : 395 .

1589 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 397 .

1590 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 397 .

1591 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 398 .

1592 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 399 .

1593 - المرجع نفسه , ج 12 , ص : 399 .

الفصل النحوي هو (المقام)⁽¹⁵⁹⁴⁾ . و بذلك تكون النص هو بؤرة التحليل اللغوي ، وتكون اجزائه مترابطة و متفاعلة ، فالجزء الواحد منه يقتضي الآخر في تنظيم العلاقة بين تلك الاجزاء ، فعند دراستها ، تحلل هذه العلاقات وتبين الأصول التي تعمل على الربط بينها ، فيتم بها القفز من الشكل/المبنى إلى المضمون/المعنى ، كما تعين المتكلم على استعمال اللغة استعمالا سليما فهما وإفهاما ، فهذه العلاقات يتمكن المتكلم من الحكم على المتتاليات الجمالية بأنها غير مقبولة منطقيا أو سليمة من حيث صوغها لغويا ، فالمتكلمون بهم حاجة إلى مقدرة تمكنهم من فهم العلاقات المنطقية بين مدلولات اللغة ، وهنا تبرز أهمية العلاقات الملحوظة/الدالية التي تدخل ضمن إطار التأهيل للتحدث بلغة ما .

أنواع العلاقات الملحوظة

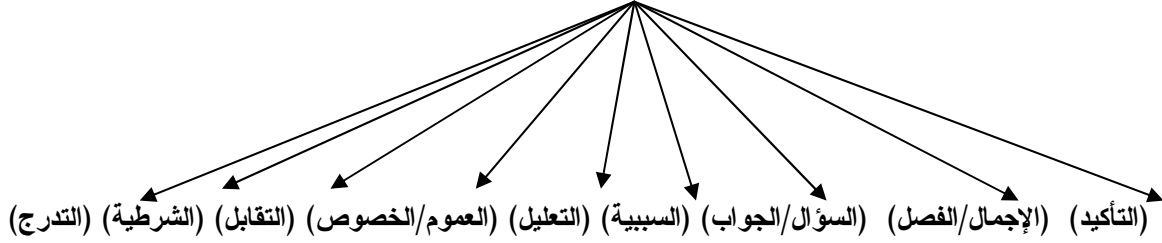
من أهم وظائف اللغة الاتصال (و نقل المعنى اللغوي من الملقى إلى المتلقي أهم وظائف الاتصال)⁽¹⁵⁹⁵⁾ ، فالمتكلم في أثناء حديثه يقوم بتنظيم كلامه بكيفية خاصة ، على منوال معين ترتبط فيه الكلمات و الجمل ، بعلاقات صوتية و صرفية و نحوية و دلالية معينة ، كي يتسنى للمتكلم التعبير عن غرضه ، ويمكن سامعيه من فهمه معتمدا على العلاقات و القرائن التي تعين على الإفصاح عن المقصود ، وهذه العلاقات يدركها المتكلم من غير شعور منه ، فيستعين بها في فهمه، وإفهامه الخطاب/النص اللغوي . فللغة العربية نظامها المتميز في تماسك الخطاب/النص و انسجامه ، وهذا النظام يلتزم مراعاة العلاقات المعنوية بين مكوناته اللغوية التواصلية ، فهو أمر معروف بين أبناء اللغة الواحدة ، فإذا تجاوز المرسل النظام أو اخترقه صار خطابه غير تواصلية لا يعبر عن أية فكرة أو مقصدية .

1594 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية و أسلوبية للنص القرآني، ج 1 ، ص : 179 .

1595 - تمام حسان : اجتهادات لغوية ، ص : 285 .

قد لا ترتبط الجملة مع ما قبلها أو مع ما بعدها برابط لفظي يذكر ويكون المعنى واضحاً ، والكلام مترابطاً وذلك لوجود رابط معنوي ربط بين المتتاليات الجمالية ، و به اتضح المعنى ، و من بين هذه الروابط المعنوية/الملحوظة :

علاقات الفصل الدلالية



سنأخذ بعضاً منها بشيء من الشرح و التمثل لنترك التفصيل الكلي العملي لها في الجانب التطبيقي من هذا البحث المتواضع .

1 - علاقة التأكيد

يعد التأكيد من الروابط المعنوية التي اعتمدها البلاغيون في النظر إلى العلاقات التي تربط الجمل بعضها ببعض مع خلوها من أي رابط شكلي ، وهو وسيلة هامة من وسائل تماسك النصوص . وقد مثل الجرجاني لمثل هذا الرابط بقوله تعالى (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم)⁽¹⁵⁹⁶⁾ ، (تعالى) (لا يؤمنون) تأكيد لقوله (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) وقوله (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) تأكيد ثان ابلاغ من الأول ؛ لان من كان حاله إذا انذر مثل حاله إذا لم ينذر كان في غاية الجهل ، وكان مطبوعاً على قلبه لا محالة)⁽¹⁵⁹⁷⁾ ، هنا نجد أنفسنا أمام تأكيدين احدهما ابلاغ من

1596 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص : 189 .

1597 - المرجع نفسه ، ص : 176 .

الآخر كل منهما يضيف جديدا إلى المعنى وعليه فإن التأكيد الثاني ليس حشوا في الكلام مادام يضيف جديدا لكونه ابلغ من الأول ولأنه يبين سبب استواء الإنذار عندهم بعدمه ذلك لان الله ختم على قلوبهم .

(عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرِ الْمَازِنِيِّ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخَذُ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ فَقَالَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي النَّجْوَى فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَعْفَرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ (هُوَئِلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) (1598) .

(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَبَ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدِّيَانُ) (1599) .

2 - علاقة الإجمال/التفصيل

(إنما يأتي التفصيل مقترنا بالاجمال , فيكون بمنزلة التعريف من التوكيد , إذ يجد المرء في كل منهما دلالة , و لكن دلالة التفصيل كدلالة التعريف أكثر تحديدا من قرينتها) (1600)

(عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا بِقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلُكُمْ مِنَ الْأَمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْبَنْجِيلِ الْبَنْجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأَعْطَيْنَا قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ أَيُّ رَبَّنَا أُعْطِيتَ هُوَئِلَاءِ قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ وَأَعْطِيتَنَا

1598 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 12 , ص : 403 .

1599 - المرجع نفسه , ج 25 , ص : 228 .

1600 - تمام حسان : اجتهادات لغوية , ص : 303 .

قِيرَاطًا قِيرَاطًا وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَّا قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَا
قَالَ فَهُوَ فَضَّلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءَ) (1601)

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ اللَّهُ ثَلَاثَةٌ أَنَا
خَصَمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ
أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ) (1602)

3 - علاقة السؤال/الجواب

من الروابط المعنوية التي تجعل الكلام متصلا بعضه ببعض دون وجود روابط شكلية
تقدير السؤال ، ويكون هذا بوجود جواب ظاهره لا يستقيم معه الكلام إلا بتقدير سؤال
وقد مثل له الجرجاني بقول الشاعر :

زعم العوائل أنني في غمرة

صدقوا ، ولكن غمرتي لا تنجلي

((لما حكى عن العوائل انهم قالوا : هو في غمرة ، وكان ذلك مما يحرك السامع لان
يسأل فيقول : فما قولك في ذلك وما جوابك عنه ؟ اخرج الكلام مخرجه إذا كان ذلك قد
قيل له) (1603) ، وما ترك الرابط الشكلي هنا إلا لعدم إظهار الكلام بهذا الشكل فوجوده لا
يجعل الكلام كلام مجيب . ومما يعد من هذا الباب ما لاحظته الجرجاني من إيراد لفظ (
قال) مفصولا غير معطوف (واعلم أن هذا الذي تراه في التنزيل من لفظ قال مفصولا
غير معطوف ، هذا هو التقدير فيه ، والله اعلم) (1604) ، وقد مثل له بقوله تعالى (قال
فرعون ومارب العالمين ؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم مؤمنين قال
لمن حوله : ألا تسمعون ؟ قال ربكم ورب آبائكم الأولين : قال إن رسولكم الذي أرسل

1601 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 5 ، ص : 74 .

1602 - المرجع نفسه ، ج 11 ، ص : 59 .

1603 - عبد القاهر الجرجاني : دلالات الإعجاز ، ص : 182 .

1604 - المرجع نفسه ، ص : 183 .

إلّكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون . قال لئن اتخذت إليها غيري لا جعلنك من المسجونين . قال : أو لو جئتم بشيء مبين ؟ قال فأت به إن كنت من الصادقين (1605) , (جاء ذلك كله والله اعلم على تقدير السؤال والجواب كالذي جرت به العادة فيما بين المخلوقين) (1606) , من هنا نجد أن انعدام الرابط الشكلي لم يجعل الكلام غير مترابط بالنسبة إلى المتلقي ذلك لان الكلام اخرج مخرج الجواب والسؤال المقدر .

(وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَشِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَعْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى وَعَزَّتْكَ وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ وَرَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا) (1607) البخاري/2

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطْرِنًا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ) (1608) البخاري/6

1605 - سورة الشعراء , الآية : 26 .

1606 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز , ص : 186 .

1607 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 3 , ص : 334 .

1608 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 195 .

و المعنى اللغوي للسبب في اللغة العربية يعني (الحبل و ما يتوصل به إلى المقصود , و الجمع أسباب , و أسباب السماء مراقبها و نواصبها و أبوابها) (1609) .

مبدأ السببية مبدأ مهم في الحياة و في العلوم و في الفلسفة , لهذا لقي اهتماما كبيرا من قبل الفلاسفة و العلماء من القدماء و المحدثين بتحليله . و لكن لا بد أن تتوفر بعض العلاقات بين الأشياء أو الأفكار أو المعاني .. أو العناصر اللغوية حتى يكون بالإمكان إطلاق هذا الاسم على الظاهرة المقصودة , أي بتسميتها علاقة سببية , و هذه الشروط تتمثل في : علاقة التجاور و علاقة الأسبقية الزمنية للسبب على النتيجة و الارتباط الضروري بين السبب و النتيجة . و لهذا تعتبر السببية من أهم المصطلحات المستخدمة في التفكير الفلسفي و العلمي على حد سواء , بل و من المفاهيم الغامضة و المعقدة بحيث (اختلف الفلاسفة في تحديد معناها بدقة , بل إننا نجد أن لكل فيلسوف تعريفه الخاص لمبدأ السببية يوافق فلسفته) (1610), و لكن الملاحظ أن العلاقة السببية في (الاستعمال اللغوي فيفرق بين السببية الملفوظة و السببية الملحوظة , فأما الملفوظة فقد يتقدم فيها السبب على المسبب فتكون الأداة هي فاء السببية (و لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) (1611), و قد يتقدم المسبب على السبب فتكون الأداة هي لام التعليل) و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) (1612) , فالشهادة على الناس سبب لجعل الأمة وسطا , و قد يتم ذلك بعبارات أخرى تذكر فيها حروف أخرى كالباء في (ذلك بما قدمت أيديكم) (1613) . أما العلاقة الملحوظة فتقوم بين مسبب سابق و سبب لاحق دائما ... تعبر عنها لام التعليل .. (و أنزلنا عليكم المن و السلوى , كلوا من طبيبات

1609 - جميل صليبا : المعجم الفلسفي , ج 1 , ص : 647 .

1610 - السيد نفاذي : السببية في العلم و علاقة السببي بالمنطق الشرطي , دار التنوير , 2006 م , ص : 23 .

1611 - سورة هود , الآية : 113 .

1612 - سورة البقرة , الآية : 143 .

1613 - سورة آل عمران , الآية : 182 .

ما رزقناكم (1614)...الأقرب إلى الفهم هنا هو علاقة السببية مع تقديم المسبب و تأخير السبب و هي رتبة تناسب لام التعليل , أي أنزلنا لتأكلوا من طيبات ما رزقناكم .. (1615)

(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ .فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَا أَوْ الْحَيَاةِ شَكًّا مَالِكٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً قَالَ وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو الْحَيَاةِ وَقَالَ خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ(1616)

(حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ قَالَ حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْحَسَنِ حَدَّثَنَا جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ وَمَا نَسِينَا مِنْذُ حَدَّثَنَا وَمَا نَخْشَى أَنْ يَكُونَ جُنْدُبٌ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزَعٌ فَأَخَذَ سَكِينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقًا الدَّمُ حَتَّى مَاتَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَادِرْنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ(1617)

5 - علاقة التعليل

توضح كلمة (علة) من الناحية اللغوية في بعض معانيها موضع العذر و السبب , ففي المثل يقال علة (هذا أي : سبب) (1618) , أما من الناحية الإصطلاحية فهي : (ما يتوقف عليه وجود الشيء , و يكون خارجا و مؤثرا فيه) (1619) , يتضح من هذا التعريف أن كل فعل كلامي تواصلية صادر عن عاقل لا بد أن يكون من بين أدوات تماسكه و استمراريته وجود علاقة العلية نتيجة لسبب أو هدف .

1614 - سورة البقرة , الآية : 57 .

1615 - تمام حسان : اجتهادات لغوية , ص : 301 .

1616 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 1 , ص : 270 .

1617 - المرجع نفسه , ج 16 , ص : 64 .

1618 - ابن منظور : لسان العرب , مادة (عل) , ج 9 , ص : 367 .

1619 - الجرجاني : التعريفات , ص : 160 .

و بناء على ذلك يرتبط التعليل بالتفكير الإنساني ارتباطا وثيقا منذ القدم , إذ يعد وسيلة معرفية تساعد على الفهم و التعلم و التعليم , لذلك لم تستغن عنه العلوم الإنسانية و الدقيقة , أو بالأحرى كل العلوم التي ينتجها الفكر الإنساني , و لم يكن الدرس اللغوي الحديث بمعزل عن هذه الظاهرة فقد جعلته معينا لها , لتفسير الكثير من الظواهر اللسانية , و قواعدها و أحكامها , فهو وسيلتها الإقناعية في تثبيت تلك الظواهر و الأحكام , كما أن الطبيعة الاجتهادية للتعليل دفعت الكثير من علماء التفكير اللغوي الحديث إلى جعل التعليل ميدانا تتبارى فيه قدراتهم الفكرية و طاقاتهم العقلية في مقارنة المتتاليات الجمالية المتعلقة فيما بينها من دون رابط شكلي أو عنصر لغوي ملفوظ , فعلاقة التعليل الرابطة يراد بها هنا (جملة في النص تكشف عن المقصود بجملة سابقة أو عنصر سابق لا يشترط له أن يكون نكرة) (1620) . فولد التحكم في هذه العلاقة الرابطة بين جملتين فأكثر معرفة واضحة للتواصل بين أطراف ثلاث : المنظومة اللغوية المبنية على شكل أحكام و ضوابط و التعليل كقاعدة عقلية , و المتلقي المدفوع بفطرته لمعرفة أسرار تتالي جملتين أو أكثر من غير رابط ملفوظ مع تحقيق المقصدية التواصلية المرجوة .

6 - علاقة العموم/الخصوص

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَبِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ مَنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَعْفِرَ لَهُ) (1621) البخاري/9

(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَعِيدٍ هُوَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مَلُوكُ الْأَرْضِ) (1622) البخاري/92

1620 - تمام حسان : اجتهادات لغوية , ص : 302 .

1621 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 332 .

1622 - المرجع نفسه , ج 25 , ص : 132 .

7 - علاقة التقابل

(حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْغَافِرِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَا لَأَ قَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حَضَرَ أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ قَالُوا خَيْرَ أَبٍ قَالَ فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ قَالَ مَخَافَتُكَ فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ وَقَالَ مُعَاذُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَبْدِ الْغَافِرِ سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (1623) .

8 - علاقة الشرطية

من المبادئ المعنوية التي تسوغ الوصل هنا التفاعل الذي يتم على أساس فاعلية علاقات الشرط التي تربط جملتين بحيث (يكون المعطوف شيئاً لا يتكون حتى يكون المعطوف عليه ويكون الشرط لذلك سبباً فيه بواسطة كونه سبباً للأول ومثاله قولك : إذا رجع الأمير إلى الدار استأذنته وخرجت ، فالخروج لا يكون حتى يكون الاستئذان ، وقد صار الرجوع سبباً في الخروج من أجل كونه سبباً في الاستئذان ، فيكون المعنى في مثل هذا على كلامين نحو : إذا رجع الأمير استأذنته وإذا استأذنت خرجت) (1624) ، أي أننا إذا عطفنا على جملة (استأذنت) جملة أخرى مثل (خرجت) فإن الواو هنا لا تعطف الجملة الأخيرة على جملة جواب الشرط معزولة عن سياقها في جملة الشرط ، بل العطف هنا يكون على مجمل التفاعل السياقي في جملة الشرط كلها ، فيكون الخروج معطوفاً على (الاستئذان) المشروط بعودة الأمير . وعلى ذلك تكون دلالة النص محصلة لا لتراكم عدد الجمل المكونة له بل لتفاعل دلالاتها في السياق الذي يؤدي إلى تماسك النص واتساقه ، و (هذه العلاقة حين تقوم بين عنصرين في السياق النصي تجعل العنصر

1623 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 16 ، ص : 84 .

1624 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص : 237 - 238 .

الثاني بمنزلة جواب الشرط للعنصر الأول ، و إن خلا العنصر الثاني من العلامات اللفظية الدالة على هذه العلاقة ..(1625) ، وتوضح هذه المسألة حين يحلل الجرجاني أبياتا للمتنبي :

تولوا بغتة فكان بيننا

تهيبني ففاجأني اغتيا

فكان مسير عيسهم ذميلا

وسير الدمع إثرهم انهمالا

نلاحظ أن جملة (فكان مسير عيسهم ذميلا) في البيت الثاني ليست معطوفة على الجملة السابقة لها (ففاجأني اغتيا) بل هي معطوفة على الجملة (قولوا بغتة) وليس معنى ذلك أنها معطوفة عليها معزولة عن الجمل التالية لها (فكان بيننا تهيبني ففاجأني اغتيا) بل هي معطوفة على مجمل السياق الناتج عن التفاعل الدلالي بين الجمل الثلاث الموجودة في البيت الأول (ألا ترى أن المعنى (تولوا بغتة) فتوهمت أن (بيننا تهيبني) ، ولاشك أن هذا التوهم كان بسبب أن كان التولي بغية . وإذا كان كذلك كانت مع الأولى كالشيء الواحد ، وكانت منزلتها منزلة المفعول والظرف وسائر مايجيء بعد تمام الجملة من معمولات الفعل مما لا يمكن إفراده عن الجملة ، وان يعتد على حدته ، وهاهنا شيء آخر دقيق ، وهو أنك إذا نظرت إلى قوله (فكان مسير عيسهم ذميلا) وجدته لم يعطف هو وحده على ما عطف عليه ، ولكن تجد العطف قد تناول جملة البيت مربوطا اخره بأوله ، إلا ترى أن الغرض من هذا الكلام أن يجعل توليهم بغتة وعلى الوجه الذي توهم من اجله أن البين تهيبه مستدعيا بكاءه وموجب أن ينهمل دمه ، فلم يعنه أن يذكر ذملان العيس إلا لذكر ذملان الدمع وان يوفق بينهما ، وكذلك الحكم في الأول ، فنحن إذا قلنا أن العطف على (تولوا بغتة) فانا لانعني أن العطف عليه وحده مقطوعا عما بعده ، بل

العطف عليه مضموماً إليه ما بعده إلى آخره الأصل ، وإنما أردنا بقولنا أن العطف عليه أن نعلمك أنه الأصل والقاعدة ، وإن صرفك عن أن تطرحه وتجعل العطف على ما يلي هذا الذي تعطفه فتزعم أن قوله (فكان مسير عيسهم) معطوف على (فاجاني) فتقع في الخطأ الذي أريناك)⁽¹⁶²⁶⁾ ، يشير في هذا التحليل مع قياس العطف على الشرط والجزاء إلى التقابل الحاصل بين (التولي) و (البين) وبين (المفاجأة) و (الاغتيال) في الجملتين الأولى والثالثة في البيت الأول وهي ألفاظ تنتمي إلى مجال دلالي واحد .
جعل من البيتين متماسكين .

(أن أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم تروا إلى ما قال ربكم قال ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكواكب وبالكواكب)⁽¹⁶²⁷⁾ ، عند تأمل (ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين) يلاحظ الدارس أن هذا التركيب اللغوي يؤكد العلاقة الشرطية القائمة بين الجملة الأولى (ما أنعمت على عبادي من نعمة) و الجملة الثانية (إلا أصبح فريق منهم بها كافرين) فـ (العنصر الثاني بمنزلة جواب الشرط للعنصر الأول)⁽¹⁶²⁸⁾ ، كذلك تتأسس العلاقة الشرطية بين الجمل النصية في هذا الحديث بقوة (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل إن أمتك لا يزالون يقولون ما كذا ما كذا حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله)⁽¹⁶²⁹⁾ مسلم / 7 ، بحيث يتنزل التركيب الثاني (حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله) منزلة جواب الشرط للتركيب السابق له (إن أمتك لا يزالون يقولون ما كذا ما كذا حتى يقولوا) .

1626 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص : 190 .

1627 - النووي : صحيح مسلم ، ج 2 ، ص : 137 .

1628 - تمام حسان : اجتهادات لغوية ، ص : 311 .

1629 - النووي : صحيح مسلم ، ج 2 ، ص : 218 .

مبدأ التغريض

الماهية :

لا شك أن تلقي الخطاب هو أساسا (الاستماع إليه إذا كان منطوقا ، أو النظر فيه إذا كان مكتوبا ، و وضع منهج لتلقي الخطاب الشرعي (النص) تلقيا صحيحا و منتجا ، هو من المهام التي ينبغي أن يتكفل بها)¹⁶³⁰ التفكير العربي المعاصر ، إلا أنه سيتم في هذه المحطة التركيز على جانب من جوانب الخطاب/النص مهم وعلاقة القارئ به وتلك الجدلية القائمة بينهما، وذلك في محاولة لاكتشاف محاور ارتكاز الخطاب و نقاط الاستقطاب فيه مستعينين في تحقيق هذا المقصد على كل المؤشرات النصية التي تدور في فلك آلية التغريض ، بل و كل مكون من مكونات النص الذي يستعمله الناص نقطة بداية تمثل جزءا متدرجا تراكمي يساعد على تحقيق الفعل القرائي المقاصدي كذلك ، و من هنا تنكشف للدارس الكثير من الحقائق و التي منها الدور الإيجابي الذي يلعبه المتلقي في عملية التأويل خاصة عندما يستقر في تصور أن (الخطاب ينتظم في شكل متتاليات من الجمل لها بداية و نهاية فإن هذا التنظيم ... سيتحكم في تأويل الخطاب ، بناء على ما يبدأ به المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه ...)¹⁶³¹، وهي محاولة تهدف إلى إعادة التوازن بين طرفي عملية التأويل وهما الخطاب/النص و القارئ فلا يهدر حق أحدهما على حساب الآخر كما يحدث أحيانا في فلسفة التأويل المعاصرة ... إن التركيز على موضع ما في الخطاب/النص - دون غيره من المواضع الممكنة والمحتملة لهذا الخطاب/النص- يرتبط أساسا بالمتلقي من حيث التهيؤ والاستعداد المسبق ، و هو ما يسميه ياوس Jauss "أفق الانتظار" الذي تفرضه التجربة الأدبية للقارئ والتي تفلت من النزعة النفسانية التي هي عرضة لها لوصف تلقي العمل والأثر الناتج عنه . كما أن الاتجاه العام السائد المسيطر على الثقافة في حركتها الجدلية مع الواقع الذي تصوغه وتعبّر عنه . لأن الخطاب/النص الذي يشكل الثقافة و تشكله ،

¹⁶³⁰ - أيمن صالح : تلقي النص الديني دراسة أصولية مقاصدية ، مجلة إسلامية المعرفة ، العدد : 40 ، السنة

العاشرة ، 2005 م ، ص : 15 .

¹⁶³¹ - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص : 59 .

ليس له وجود مستقل عن الواقع الحياتي الحي الذي يتغير باستمرار و يتبدل , و يعبر عن طبيعة العصر وتكوين المجتمع ومرحلة التطور التاريخي.

تؤمن الدراسات اللسانية الحديثة و المعاصرة بأن النص أكبر من أن يكون (مجرد تتالي جمل يحكمها نحو الجملة)¹⁶³² , و تهتم بالبنيات المشكلة للخطاب عامة و الأدبي خاصة - بشتى تمظهراته - اهتماما كبيرا يجعل من الخطاب فضاء رحبا يتقبل جميع النظريات اللسانية و البلاغية التي تحاول الوقوف على أسرار التأثير و الجمال داخل الخطاب/النص وفي مكوناته و بناه الداخلية وطريقته في إنتاج معانيه.

و من هنا فإننا نظرا لطبيعة الموضوع و حدوده المرسومة له لا نستطيع الوقوف على أهم النقالات الدراسية التي مرت بها الدراسات اللسانية الحديثة، انطلاقا من حدود البنية اللغوية الصغرى-الجملة- إلى حدود بنية لغوية أكبر منها في التحليل هي الخطاب، حيث نظرت هذه الدراسات إلى الخطاب أو النص نظرة متكاملة و باعتباره بنية متماسكة و منسجمة تشكل الوسيلة الأساسية للتواصل بين المرسل "الناص" و المرسل إليه "المتلقي".

ينتظم الخطاب في شكل متتاليات من الجمل و علاقات بين قضايا متتابعة ؛ متدرجة من البداية حتى النهاية، أي أن سمة الخطيئة من السمات البارزة في النص، فالعناصر اللاحقة لها تعلق بالعناصر السابقة، و بناء على ذلك فإن التأويل القريب هو التأويل الذي لا يلغي خطية الخطاب؛ و من هنا تبدو أهمية مبدأ التغير في العملية التأويلية؛ فكل خطاب محور / بنية كبرى تدور دلالة الخطاب حوله . إلا أن عدم الاكتفاء بتتابعات الجمل و بالترابط الأفقي فقط و إنما يضاف إلى ذلك العناية بالتماسك و الترابط الذي يستهدف الخطاب باعتباره مجموعة من الجمل تحكمها علاقات و روابط في شموليته و كليته بحيث لا يغفل أي وحدة كلية من وحدات الكبرى للخطاب التي يطلق عليها مصطلح الأبنية الكبرى Macrostructures كل ذلك يتحرك بالدارس نحو ضرورة تجلية هذه الآلية من حيث المفهوم التصوري و الدور الوظيفي الذي تلعبه في صناعة انساجمية الخطاب

..

¹⁶³² - عمر أبو خرمة : نحو النص نقد النظرية و بناء آخر , عالم الكتب الحديث , ط 1 : 2004 م , ص : 101 .

إن المتلقي للخطاب يتأثر و هو يقارب رسالة لغوية ما مهما كان نوعها بجملة من المؤشرات و القرائن اللغوية و المقامية التي كثيرا ما تتحكم في فهمه و إدراكه لمضمون الخطاب تنزله منزلة يجد نفسه فيها تحت ضغط قوي و تأثير شديد من قبل مركز جذب و نقطة ارتكاز معنوية في الخطاب بل تجعل تأويله له يتحرك وفقا لمقتضياتها , و لهذا فكثيرا ما تنقاد الجمل المتتالية لفعل تواصلية لساني و تأتمر لما تؤسسه الجملة الأولى من سلطة سواء أكان ذلك على مستوى بنيتها السطحية أو كان ذلك على مستوى بنيتها العميقة , إذا ما يبدأ به (المرسل) المتكلم /الكاتب و يتلفظ به لا بد أنه سيحدث تأثيرا مباشرا أو غير مباشر على متتاليات الجمل تماسكا و انسجاما بل سيتحكم في تأويلات المتلقي في شتى مراحلها و في تدرج محكم انطلاقا من بداية الخطاب وصولا إلى نهاياته (لن تقيد فقط تأويل الفقرة , و إنما بقية النص أيضا ..)¹⁶³³ . و تأسيسا على ذلك فإن كل ما يبدأ به (المرسل) يعمل على توجيه التلقي و الأخذ بيده نحو المقصدية التي يرمي إليها الخطاب و من ثمة موضوع الخطاب الأساس و بؤرته الدلالية التي تعمل على نسج العلاقات المعنوية و تشابكها تفعيلا لديناميكية البنية الكلية ... إذا فكل عنصر لغوي خاص أو نقطة بداية مفصلية أو بؤرة دلالية مركزة تنشئ الفاعلية داخل الخطاب و الحركية في المكونات الشكلية و السطحية له بحيث تنقلب كل مكونات الخطاب الجزئية و الكلية بنياته السطحية و العميقة متحركة في تناغم و انسجام و لكن في فلكه هو , حينئذ يمكن أن نسمي هذه الظاهرة اللسانية بمبدأ التخريض ...

إن مبدأ التخريض يشير في الدراسات اللسانية الحديثة و خاصة لسانيات النص من حيث المفهوم إلى أنه يمثل (مركز جذب يؤسسه منطلقه و تحوم حوله بقية أجزائه)¹⁶³⁴ , و بالتالي إلى العناصر اللغوية الوظيفية الموجودة في الخطاب و التي تعمل على الإحالة إلى البنية الكلية المشكلة لوجود الخطاب . و البحث في أي خطاب عن العناصر المغرضة التي تعمل على تسهيل الطريق إلى إدراك البنية الكلية للرسالة التواصلية و الوقوف على (مجموع المعاني التي يستطيع متلقي الخطاب - في ضوء ما يسمح به الخطاب - أن يفهمها , أو يعقلها , أو يستنبطها , أو يستنتجها ... إلى آخر ما يمكن قوله من هذه

1633 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 59

1634 - المرجع نفسه , ص : 59 .

التعبيرات من الخطاب) ¹⁶³⁵ , كل ذلك انطلاقاً من الرؤية التي تنظر إلى مبدأ التغريض على أنه يقوم على أساس الارتباط (الوثيق بين ما يدور في الخطاب و أجزائه و بين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته , مع اختلاف فيما يعتبر نقطة بداية حسب تنوع الخطابات . و إن شئنا التوضيح قلنا إن في الخطاب مركز جذب يؤسسه منطلقه و تحوم حوله بقية أجزائه) ¹⁶³⁶ .

إذا تكون المعادلة على الشكل الآتي : المتلقي بينهما تفاعل النص , فالطريق هنا يرتبط بين (النص و قارئه , و لا يتخذ هذا الطريق وجهة واحدة بل يلك اتجاهين متعاكسين يغذي أحدهما الآخر , ينمو و ينميه في آن واحد) ¹⁶³⁷ , و بالتالي لا يمكن بتر هذا البناء المتكامل في جملة من اللبانات المتناثرة بل لا بد من النظر إليه نظرة شمولية , لیتسنى فهم الرسالة المخبوءة في طيات هذا الخطاب، ولهذا (يقترح ميشيل بيكار في كتابه القراءة كلعبة أن نُميِّزَ في كلِّ قارئٍ ثلاثةَ أطرافٍ أساسيةٍ أو ثلاث جهات. فهناك الطرفُ القارئُ الذي يُمسِكُ بالكتابِ أثناءِ المطالعةِ ويحافظُ علىِ العلاقةِ معِ الوسطِ المحيطِ به. وهناك الطرفُ اللاواعي في القارئِ والذي ينفعلُ ببنى النصِّ الوهميَّةِ ويستجيبُ إلى مؤثراته. وهناك أخيراً الطرفُ الناقدُ الذي يصرفُ عنايته إلى إدراكِ تعقُّدِ النصِّ. وعليه فإن القراءة في نظام بيكار تبدو على أنها علاقةٌ مُعقَّدةٌ بين ثلاثة مستويات متباينة في علاقتها مع النص) ¹⁶³⁸ . و تأسيساً على ما تقدم يجب التعجيل بالإشارة هنا إلى ضرورة التفريق بين بعدين أساسيين لهذه لآلية التغريض , أي بين (التغريض كواقع و بين التغريض كإجراء خطابي يطور و ينمي به عنصر في الخطاب . و قد يكون هذا العنصر اسم شخص أو قضية ما أو حادثة ...) ¹⁶³⁹ .

من أدوات مبدأ التغريض

¹⁶³⁵ - أيمن صالح : تلقي النص الديني دراسة أصولية مقاصدية , ص : 15 .

¹⁶³⁶ - محمد خطابي : لسانيات النص , مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 59 .

¹⁶³⁷ - عبد الناصر حسن محمد : نظرية التوصليل و قراءة النص الأدبي , المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ,

1999 م , ص : 98 .

¹⁶³⁸ - حسن مصطفى سحلول : نظريات القراءة و التأويل الأدبي و قضاياها , موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكت

الانترنت , ص : 54

¹⁶³⁹ - محمد خطابي : لسانيات النص , مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 59

إذا انطلق الدارس من حقيقة أنه (يوجد داخل كل نص , مكتوب أو شفهي , نموذج كامن يستند إلى ركييزة أساسية , عادة ما تترجم نفسها إلى صورة مجازية , استخدمها صاحبها - بوعي أو بغير وعي - للتعبير عن هذا النموذج)¹⁶⁴⁰ أو تترجم نفسها إلى عنوان أو جملة محورية أو كلمة مركزية ... تعمل على تحقيق الهدف نفسه و (بالتالي تتحول أجزاء النص التي قد تبدو مبعثرة إلى كل متماسك)¹⁶⁴¹ بل إلى عالم له مركز و قوام ... و لهذا فإنه لا يكفي التعاطي , بطريقة نهائية , مع القناعة الراسخة التي تنظر إلى الخطاب/النص باعتباره مستودعا لمعان جاهزة بالإمكان التعرف عليها كليا أو جزئيا استنادا فقط إلى قدرة المحلل على الكشف عن (الظاهر) و(المستتر) من العوالم الدلالية التي يبنيتها الخطاب/النص , بل يجب استحضار أن (الخطاب عموما و النص خصوصا يستبطن نوعين من المعاني : المعاني المقصودة , و المعاني اللازمة غير المقصودة , و مجموع هذه المعاني يشكل المعنى الكامل للخطاب أو النص)¹⁶⁴² , و لهذا فإن النظرة إلى الخطاب/النص من الداخل (بنيته) ثم تأمله كذلك من زاوية علاقته بالمتلقي (وظيفته) , و انطلاقا من أن كل مضمون - أساسا - يدل على قضية كلية قائمة بذاتها , كل ذلك يعد من بين الروافد التي توجه رؤية الدارس في منهجية و فعالية نحو البنية الكبرى للخطاب حتى يقف على أهم قضاياها و تجلياتها و فاعليتها في تحقيق انسجامية الخطاب مهما كان شكله أو نوعه

و إذا كان لكل خطاب/نص (بؤرة مركزية أصلية و بؤرة مركزية تابعة على الأقل) , فإن الكثير من المؤشرات اللغوية في الخطاب/النص لا تعمل على خلق الوظيفية المحددة التي تنسجم و طبيعة مبدأ التغريض بحيث تكون إجراء قائما بذاته و آلية واضحة تمثل مبدأ التغريض و تميزه . لأن هذا الأمر إنما يعود إلى الكثير من العوائق الموضوعية التي تحول دون ذلك و إلى الأدوار المخصصة لكل أداة التي تتسم بالانسجامية و طبيعة البنية الكلية للخطاب و مقاصدها , لهذا حينما نأتي إلى الحديث عن الأدوات المحقق لمبدأ

¹⁶⁴⁰ - عبد الوهاب المسيري : اللغة و المجاز , بين التوحيد و وحدة الوجود , دار الشروق , ط 1 : 2002 م , ص :

. 18

¹⁶⁴¹ - المرجع نفسه , ص : 18 .

¹⁶⁴² - أيمن صالح : تلقي النص الديني دراسة أصولية مقاصدية , ص : 45 .

التغريض في الخطاب نجدها متعددة ، إلا أننا سنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر (تكرير اسم شخص ، و استعمال ضمير محيل إليه ، تكرير جزء من اسمه ، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية .. هناك إجراء آخر يتحكم في تغريض الخطاب و هو العنوان ..)¹⁶⁴³ ، هذا يقودنا إلى تأكيد أن الخطاب/النص يتمظهر في شكل متتاليات من الجمل ، متضامة و متدرجة من البداية حتى النهاية ، أي أن من كبرى سمات الخطاب/النص الخطيية و هي بارزة فيه ، و تحقيقاً لذلك فالعناصر اللغوية النصية اللاحقة لها تعلق بالعناصر السابقة ، حيث (تتماسك العناصر الجديدة مع هذا العنصر المتناسك أصلاً مع البؤرة الأصلية في الفقرة ، دون أن تؤثر هذه البؤرة الجديدة في تماسك النص النحوي أو على وحدة موضوعه الدلالي)¹⁶⁴⁴ ، مما يجعل التأويل القريب هو التأويل الذي لا يلغي خطية النص ؛ ومن هنا تتجلى أهمية مبدأ التغريض في العملية القرائية التأويلية ، انطلاقاً من أن لكل نص (بؤرة مركزية أصلية ... تشكل في الذهن نسبة تامة مستقلة بقابليتها للفهم)¹⁶⁴⁵ ، و محورا تدور دلالة النص حوله ، أن (الدلالة و ما ينتج عنها من معان كلية ، يمكن لمتلقي النص مفككا ، أن يتوقع تمامها ، أو احتياجها لما يليها ، ... بمعنى أن كل مفكك يحتمل وقوف النص عند جزء منه ، و لا يمتنع على على مفكك آخر ، أن يحتمل غير ما احتل الأول ، أو أن يفترض تجزئاً جديداً ، لبعض المقاطع .. التي ظن مفكك النص الأول ، أنه يقف عندها)¹⁶⁴⁶ . و من بين هذه الوسائل المجسدة لآلية التغريض ما يلي :

1 - عنوان الخطاب

لا شك أن (العنوان يمدنا بيزاد ثمين لتفكيك النص و دراسته ، و .. أنه يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص و فهم ما غمض منه ، إذ هو المحور الذي يتوالد و يتنامى و يعيد إنتاج نفسه ... فهو - إن صحت المشابهة - بمثابة الرأس للجسد ، و الأساس الذي تبنى عليه)¹⁶⁴⁷ ، مما جعل هذا التصور الوظيفي لعنصر نصي/العنوان غير خاف على

¹⁶⁴³ - محمد خطابي : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص : 59 - 60 .

¹⁶⁴⁴ - عمر أبو خرمة : نحو النص نقد النظرية وبناء آخر ، ص : 116 - 117 .

¹⁶⁴⁵ - المرجع نفسه ، ص : 114 .

¹⁶⁴⁶ - المرجع نفسه ، ص : 109 .

¹⁶⁴⁷ - محمد مفتاح : دينامية النص ، المركز الثقافي العربي ، ص : 72 .

التفكير اللساني و النقدي الحديث عند مقاربتة للنصوص ، بل بات ينظر إليه على أنه مفتاح إجرائي أساسي لاقتحام حدود النص والولوج إلى فضائه ، باعتبار أنه (عن طريق العنوان تتجلى جوانب أساسية أو مجموعة من الدلالات المركزية للنص الأدبي ... مما يجعلنا نسند للعنوان دور العنصر الموسوم سيميولوجيا في النص، بل أشد العناصر وسما ، بل ربما كان أشد العناصر وسما)¹⁶⁴⁸ ، وبالتالي فالعنوان أصبح يلعب دورا كبيرا على مستوى العلاقة التفاعلية الأولية القائمة بين المتلقي والنص، متجاوزا بذلك الوجود الشكلي السطحي المتعلق بالتسمية فقط ، إلى حدود المشاركة في استفزاز القارئ و توجيهه ، و من ثمة بناء المعنى و أسر الدلالة الكبرى و الكلية للنص و بنيتها . ومثال ذلك (الإشارة إلى شخصية أو شخصيات محورية ، كما نرى مثلا في - دون كيشوت - أو - الحرافيش - ، أو إلى مكان يشمل مساحة هامة محورية في فضاء النص مثل - زقاق المدق - أو - مدينة بلا قلب - ، أو إلى أحداث تمثل مؤشرا يحدد الطابع الفكري و الأيديولوجي للنص مثل - الحرب و السلام - أو - موسم الهجرة إلى الشمال أو - أقول لكم - ... إلى غير ذلك من الوظائف الدلالية و الجمالية . فإذا أشار العنوان إلى أمر غائب في النص ، فإن التقابل بينهما يمكن أن يصبح هو البنية المولدة للدلالة و الجديرة بأولوية التحليل)¹⁶⁴⁹ .

لذا وجدنا النقاد العرب المعاصرين يهتمون بـ(جهاز العنونة)¹⁶⁵⁰ ، وإن كان هذا الاهتمام قد جاء متأخرا مقارنة بالدراسات الغربية التي ذهب بعض الباحثين فيها إلى حد التخصص في العنونة، ولعل أبرزهم الباحث الفرنسي جيرار جينات الذي اهتم بالعنوان في إطار مقاربتة لمفهوم الشعرية المتمثل حسبه في (تعالق النصوص مع بعضها

¹⁶⁴⁸ - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب - الكويت . العدد : 164 ، 1990 م ، ص : 218 .

¹⁶⁴⁹ - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص ، ص : 218 .

¹⁶⁵⁰ - عبد الحق بالعباد : عتبات (جيرار جينات من النص إلى المناص) ، منشورات الاختلاف ، ط1 : 2008 م ، ص

بطريقة مباشرة أو ضمنية¹⁶⁵¹ ، الذي يظهر من خلال ما اصطلح عليه بالمتعاليات النصية الخمسⁱ ، وهي:

1-التناص : ويقصد به تلاقح النصوص عبر المحاوررة و الاستلهام و الاستنساخ بطريقة واعية أو غير واعية ، مقصودة أو غير مقصودة كما هو الشأن لدى كريستيفا و باختين .

2-المناس : وهو عبارة عن عناوين ، وعناوين فرعية ومقدمات وذيول وصور و كلمات الناشر .

3-الميتانص : وهو علاقة التعليق الذي يربط نصا بآخر يتحدث عنه دون أن يذكره أحيانا.

4-النص اللاحق : عبارة عن علاقات تحويل ومحاكاة تتحكم في النص "ب" كنص لاحق بالنص "أ" كنص سابق .

5-معمارية النص : تتحدد في الأنواع الفنية والأجناس الأدبية.

وسنحاول تسليط الضوء على مفهوم المناس ، أو النص الموازي لصلة ذلك بموضوع بحثنا. فالمفهوم الذي عرفه سعيد يقطين بكونه " بنية نصية مستقلة، ومتكاملة بذاتها. مجاورة لبنية النص الأصل كشاهد تربط بينهما نقطة التفسير"ⁱⁱ، والذي خصص جينات لدراسته كتابا كاملا سماه "seuils" باعتباره منطقة التماس الأولى بين النص والمتلقي التي تسمح باكتشاف الفضاءات الرمزية والدلالية الكامنة فيهما والمتنقلة بينهما.

فالمناس عند جيرار جينات هو" كل ما يجعل النص كتابا يعرض نفسه على الجمهور المتلقي... نقصد به تلك العتبة، بتعبير بورخس البهو الذي يسمح لنا بالدخول إليه أو الرجوع منه"ⁱⁱⁱ، ويقسمه إلى قسمين أساسيين^{iv} : النص المحيط (peritexte) متضمنا المقدمات والملحقات والعناوين التي تمثل البنية المرافقة للنص الأصل، والنص الفوقي (epitexste) يضم القراءات النقدية والمذكرات والتعليقات التي تناولت النص الأصل .

¹⁶⁵¹ - جميل حمداوي : السيميوطيقا و العنونة ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، مجلد : 25 ، عدد : 3 ، 1997 م ، ص : 103 .

ولفهم المناص لابد من فهم أنواع مبادئه المحددة لنظام الرسالة المناصية الحاملة لأبعادها: الزمكانية قصد تحديد موقع وزمان ظهوره، المادية لتحديد التشكل الوجودي لفظيا، التداولية لرصد العملية التواصلية، والوظيفية رغبة في معرفة الوظيفة التي يؤديها المناص في تشكيل الوعي بالنص^٧. وهذه المبادئ تنطبق على جميع العناصر المشكلة للمناص من العنوان إلى التوقيع.

ولما كان العنوان (عبارة صغيرة تعكس عادة كلام عالم النص المعقد الشاسع الإطراف)¹⁶⁵² ، و في الوقت نفسه أهم عنصر في النص الموازي ، نجد جينات و هو يناقش (ما ذهب إليه كل من دوشي و هويك)¹⁶⁵³ حول عملية العنونة ، يشير ضمنا إلى أن العنوان عنده ثلاثة أقسام:

- العنوان الرئيس،

- العنوان الفرعي،

- والمؤشر التجنيسي ،

ولكنه يؤكد أن (ما يبقى ضروريا لنظام العنونة هو العنوان الرئيسي/الأصلي لأنه من العناصر الأساسية في ثقافتنا الحالية ، فقلما نجد عنوانا متصدرا وحده ، فهو دائما خاضع لهذه المعادلة)¹⁶⁵⁴.

وظائف العنوان عند جيرار جينت

يحدد جيرار جينت للعنونة أربع وظائف أساسية و هي :

1 - التعيينية : و يراد بها عنده الوظيفة (التي تعين اسم الكاتب و تعرف به للقراء بكل دقة و بأقل ما يمكن من احتمالات اللبس)¹⁶⁵⁵ ، فهي إذا تعمل على تعيين الكتاب و تعريفه للقراء،

¹⁶⁵² - نعمان بوقرة : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب ، دراسة معجمية ، عالم الكتب الحديث ، ط 1 : 2009 م ، ص : 125 .

¹⁶⁵³ - عبد الحق بالعباد : عتبات (جيرار جينت من النص إلى المناص) ، ص : 68 .

¹⁶⁵⁴ - المرجع نفسه ، ص : 68 .

¹⁶⁵⁵ - المرجع نفسه ، ص : 86 .

2 - الوصفية : تتحد هذه الوظيفة بكونها هي (التي يقول العنوان عن طريقها شيئا عن النص , و هي الوظيفة المسؤولة عن الانتقادات الموجهة للعنوان ...)¹⁶⁵⁶ .

3 - الإيحائية : و هي من علاقتها بما سبق (أشد ارتباطا بالوظيفة الوصفية , أراد الكاتب هذا أم لم يرده , فلا يستطع التخلي عنها , فهي ككل ملفوظ لها طريقته في الوجود , و لنقل أسلوبها الخاص , إلا أنها ليست دائما قصدية , لهذا يمكننا الحديث لا عن وظيفة إيحائية و لكن قيمة إيحائية)¹⁶⁵⁷ .

4 - الإغرائية : هنا يتخذ العنوان وظيفة جديدة تتمثل في ضرورة أن يكون (مناسباً لما يغري جاذبا قارئه المفترض .. محدثاً بذلك تشويقاً و انتظاراً لدى القارئ ..)¹⁶⁵⁸ .

الحديث عن العنوان تحت معيار (الانسجام) ضروري خاصة إذا نظرنا إليه على أنه (نص مواز , فيه خصائص بنيوية , و مستويات لغوية إشارية ذات فاعلية في تشكيل أسلوبية العنوان/النص)¹⁶⁵⁹ , و بهذا فالعنوان يمثل واجهة الخطاب/النص و مفتاحه , و هو في الغالب صورة مضغوطة و مختزلة عنه و لكنها متأثرة (باعتبارات سيميولوجية و دلالية و براجماتية , فللعنوان بما في ذلك العناوين الفرعية قيمة سيميولوجية أو إشارية , تفيد في وصف النص نفسه)¹⁶⁶⁰ , مما يجعله يعطي للمتلقي في كلمتين أو بضع الكلمات فكرة عامة عن معنى النص و دلالاته و وجهته , و بالتالي فقد صار (محور ارتكاز بنائية النص الفكرية و الجمالية).. و الأصل اللغوي يؤكد هذا الطرح , فكما ورد في لسان العرب (عننت الكتاب و أعنته لكذا أي عرضته له و صرفته إليه , و عن الكتاب يعنه عنا و عننه : كعونه و علونه بمعنى واحد , مشتق من المعنى و سمي عنواناً لأنه يعن الكتاب من ناحيته , .. قال ابن بري : و العنوان الأثر .. و كلما

¹⁶⁵⁶ - عبد الحق بالعباد : عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) , ص : 87 .

¹⁶⁵⁷ - المرجع نفسه , ص : 87 .

¹⁶⁵⁸ - المرجع نفسه , ص : 88 .

¹⁶⁵⁹ - مصطفى عليان : سيميائية العنوان في مجموعة (صور و مواقف من حياة الصالحين/الصالحات) دراسة

أسلوبية , مجلة إسلامية المعرفة , العدد : 58 , السنة الخامسة عشرة , 2009 م , ص : 131 .

¹⁶⁶⁰ - العيد محمد : اللغة و الإبداع , دار الفكر للدراسات و النشر , 1998 م , ص : 48 .

استدللت بشيء تظهره على غيره فهو عنوان له .¹⁶⁶¹ .. لقد أفادت النظرة المعجمية العربية الآتية الذكر أن كلمة عنوان إنما تعني : الظهور و الاعتراض و المعنى .. مما يشي بمعرفة قديمة بلفظ عنوان في التفكير اللغوي العربي ..

إذا نحن قبالة عنصر مهم من عناصر الخطاب/النص , فإذا كان الخطاب بحسب تعريف ميشال فوكو هو (مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية , فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية , قابلة لأن تتكرر إلى ما لا نهاية , يمكن الوقوف على ظهورها و استعمالها خلال التاريخ ...بل هو عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي تستطيع تحديد شروط وجودها)¹⁶⁶² . فإن الخطوة العلائقية الأولى التي ينشئها الناص مع باقي الأطراف المؤسسة لتواصلية الخطاب/النص هي وضع العنوان الذي يدل به على خطابه , فهو يمثل للمتلقي هدفاً أولاً إذ أن (فعالية الذات و المتلقي هذه , ستنصب أو ما تنصب على العنوان الذي يمثل أعلى اقتصاد لغوي)¹⁶⁶³ , لأن (.. عنونة شيء بعينه تعد سمة هذا الشيء و معناه و مقصده)¹⁶⁶⁴ ..

و أهمية العنوان تتلخص في كونه :

1 - يلفت انتباه المتلقي إلى موضوع الخطاب/النص و فكرته الرئيسية .

2 - يعتبر عنصراً استراتيجياً لقياس الانسجام , باعتباره إجمالاً يعقبه التفصيل .

هذا و غيره يدعو الباحث إلى التأكيد على أن تركيب العنوان و صياغته مقيد بضوابط يفرضها منطق الاتساق و الانسجام و ذلك مثل الوضوح و الإيجاز قدر الإمكان , و الدلالة المباشرة أو عن طريق الإيحاء على المضمون الكلي للخطاب/النص و فكرته ,

¹⁶⁶¹ - ابن منظور : انظر لسان العرب , مادة (عنن) , ج : 10 , ص : 310 - 312 .

¹⁶⁶² - ميشال فوكو : حفريات المعرفة , ترجمة : سالم يفوت , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء - المغرب ,

1968 م , ص : 111 .

¹⁶⁶³ - محمد فكري الجزار : العنوان و سيموطيقا الاتصال الأدبي , ص : 10 .

¹⁶⁶⁴ - محمد عويس : العنوان في الأدب العربي النشأة و التطور , مكتبة الأنجلو المصرية , ط 1 : 1988 م , ص :

غير أن العنوان (إما أن يكون طويلا فيساعد على توقع المضمون الذي يتلوه , و إما أن يكون قصيرا , و حينئذ , فإنه لا بد من قرائن فوق لغوية توحى بما يتبعه ..) ¹⁶⁶⁵.

لا بد لكل شيء من عنوان و هذا لا خلاف عليه , في عالم الإنسان أو علم الأفكار أو عالم الأشياء , فالعنوان الذي يعلو الكتب و المجلات و المقالات و الرسائل .. هو نفسه ذلك العنوان الذي نحمله و يحملنا داخل ذاتنا و داخل ذاته و نطلق عليه : اسمنا . و لهذا فللعنوان أهمية كبيرة في الحياة الإنسانية و الحركة الثقافية و الاحتكاك الحضاري , لأنه هو أول ما يقدم نفسه للمتلقي كما أنه أول ما نلاحظه أو نقرأه من خلال واجهة الكتاب أو مطلع المقالة , و بالتالي فإن أول ما تقع عليه أعيننا يكون عادة العنوان الموجود بالقوة أو الموجود بالفعل .. و تأسيسا على ذلك يمكن للدارس إذا أن ينظر للعنوان على أنه ليس مجرد اسم لخطاب و إنما هو بنية مستقلة ذات علامة تواصلية بينها و بين الناص و لا ثم بينها و بين النص والقاري. وبالتالي فالعنوان يشكل لحظة يتأسس فيها وعي متميز لدى المتلقي/القاري، وبمقاربة الخطاب/ النص يتم تثبيت/ أو كسر هذه اللحظة المتفردة بكيونتها و وجودها لأنها لا تقبل أن تكون بذاتها في لحظتين مختلفتين .. إذ وراء كل عنوان، أو وراء الجملة الأولى/السطر الأول، بل الكلمة الأولى من الخطاب/النص، وخلف بنيته العميقة و بنيته السطحية التي تضي عليه في نوعاً من الاستقلالية والتميز عن باقي الأشكال التواصلية اللغوية ، ثمة منظومة من الإحالات و شبكة من المرجعيات تجعل الخطاب/النص متعالقا بطريقة مباشرة أو خفية مع كل مكوناته و عناصره الذاتية , و في الوقت نفسه متساوقا في انسجام مع فضائه الخارجي اللغوي منه و غير اللغوي.. لقد بات من الضروري على الدارس الحديث لأي لون من الخطاب/النص أن يضع في حسابه و يدرك أن العنوان إنما هو جزء لا يتجزأ من الإستراتيجية العامة للخطاب/النص , و ذلك _ خاصة _ بحسب نوعية التفاعل الذي يحدث بين المتلقي و العنوان و روايته له , وكذلك وفق تأويلاته التي تبنى حسب تفكيكه لدلالات العنوان الرمزية، ووفق المعرفة الخلفية للمتلقي وأبعاده الثقافية المختلفة . وإذا كان الأمر كذلك، فهذا يعني دائرية العلاقة بين العنوان ومقصدية الناص

فيه من جهة ، و من جهة أخرى بين المتلقي ورؤيته التأويلية للعنوان ، مما يمنحه دور المحفز المثير للتوقعات الدلالية لدى القارئ ، انطلاقاً مما يخفيه الخطاب/النص مضامين و أسرار .

ولقد شهد الدرس اللساني و التفكري النقدي الحديث في السنوات القليلة الماضية اهتماماً متزايداً و مركزاً بقضية (العنوان) في الخطابات/النصوص الفنية و غير الفنية ، وربما قد يكون مبعث هذا الاهتمام و منطلقه هو سعي الدرس التفكيكي إلى العناية بما لم تعتني به المدارس اللغوية و النقدية الأخرى ، و في الوقت نفسه إعطاء هوامش النص و تخومه أهمية مساوية لأهمية المتن، ولقد كانت إشارات رولان بارت و أمبرتو إيكو و جيرار جينيت تصب في هذا الاتجاه وعلامات مهمة علي طريق بناء رؤية نقدية و لسانية لعنوانات الخطابات/النصوص الأدبية و غير الأدبية ، فبارت و إيكو يريان أن العنوان فضلاً عن وظيفته في تعريف النص فإن له وظيفة تأويلية حين يتعالق مع النص سيميائياً ليتحول إلى علامة إرشادية تقود القارئ داخل النص . أما جينيت فقد كان يعد العنوان نصاً مصغراً يرتبط دلالياً بالنص الكبير (المتن) .

غير أن بعض الدراسات التي كتبت في هذا المجال ، خاصة في الجانب التنظيري منه، أوغلت في فلسفة وظيفة العنوان و أفرطت فيه إلى درجة التعمية و إلى الحد الذي قد يجعلها غاية لا تدرك و فكرة عصية على الفهم . فجميل حمداوي يرى أن العنوان من حيث هو تسمية للنص و تعريف به و كشف له، (يغدو علامة سيميائية، تمارس التدليل، و تتموقع على الحدّ الفاصل بين النصّ والعالم، لتصبح نقطة التقاطع الاستراتيجية التي يعبرُ منها النصُّ إلى العالم، والعالم إلى النصّ، لتنتفي الحدود الفاصلة بينهما، و يجتاح كلُّ منهما الآخر)¹⁶⁶⁶. إذ بالإمكان ملاحظة تضخيم الوظيفة إلى الحد الذي يجعل وضع تحديد تقني لها مستحيلاً، فما المعنى الفني لعملية عبور النصّ والعالم إلى بعضهما؟

ويري دارس آخر أن وظيفة العنوان تتأني (من حيث كونه علامة لها علاقة اتصال و انفصال معاً، اتصال من حيث كونه وضع أصلاً لأجل نص معين و علاقة انفصال باعتباره

¹⁶⁶⁶ - جميل حمداوي : السيميوطيقا و العنونة، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت،

يشغل بوصفه علامة لها مقوماتها الذاتية كغيرها من العلامات المنتجة للمسار الدلالي¹⁶⁶⁷. حيث نقع في وهم كبير، إذ من أين للعنوان بوصفه علامة مقوماته الذاتية؟ فتلك المقومات موجودة في المتن وهي من هنا علاقة اتصال هي الأخرى، فالعنوان لا يكتسب وظيفته العلامية إلا بعد الانتهاء من قراءة النص وفهم طبيعة العلاقة بينهما. إن الإشكالية الرئيسية في بحث القضايا المتعلقة بالعنوان تكمن في عدم الاتفاق على ماهية التعالق بينه وبين المتن، هذه الإشكالية التي تنتج من تنوع الوظائف التي يؤديها العنوان واختلافها بين نص وآخر،

ويعد الاتجاه التحليلي عادة إلى مقارنة طبيعة العمل التواصلي من خلال نسق ما على مستوى معين ودراسته لإيجاد ما إذا كان له خصائص معينة تحكمه والتعرف على طبيعة العلاقات بين أجزاء ذلك النسق، ومن ثم الانتقال إلى نسق آخر على مستوى آخر للتعرف على إذا ما كان له نفس الخصائص والسمات لذا فإن حقيقة ما أو ظاهرة ما على مستوى معين قد تقود إلى تكوين فرضية أو مجموعة من الفرضيات لتختبر في مستوى آخر. و إذا نظرنا إلى العنوان على انه نسق من الأنساق متفاعل مع منظومة الأنساق الأخرى المحققة لكيثونة الخطاب نجد أنفسنا نؤكد أن العنوان عادة ما يقدم خدمات معتبرة للمتلقى إذ يهيئه إدراكيا لبناء تأويل للخطاب يكون مرضيا عنده أو يقرب له الدلالات المركزية و البنية الكلية المنظمة للعناصر المكونة للخطاب ، و بسبب ذلك يمكن اعتبار العنوان من المفاصل الأساسية المؤسسة للبنية الكبرى أو جزء من البنية الكبرى .

و هنا يجد الباحث نفسه أمام جملة من الأسئلة تدعوه إلى التعمق أكثر في الظاهرة طمعا في تجلية ما غمض منها و استخراج ما غار منها في مزالق نقدية تعتمية للخطاب أو لما ركب فيه من مواطن غامضة تتحمل التأويل، و من بين هذه الأسئلة المفصلية : ما الدافع وراء موقعة العنوان كمركز ثقل في خطاب ما ؟ هل في ذلك أبعاد جمالية و دلالية ؟ و هل يمكن أن ينوب العنوان عن الخطاب أو النص الأساسي ؟ ليصير هو/العنوان الأصل و يصبح المتن/الخطاب هامشا و نصا موازيا و من الدرجة الثانية ..؟

1667 - سعيد يقطين : انفتاح النص الروائي(النص-السياق)، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، المغرب، ط1،

هل عمل الملقى مع هذه الظاهرة سيكون حينئذ مبنيا على وعي و فهم و دراية أم أن الظاهر ستنساب بين يديه دون أن يشعر بها ..؟

إنه انطلاقا من بنية العنوان اللغوية التي قد ترد في أشكال متنوعة : جملة فعلية أو جملة اسمية أو فعل فقط أو اسم أو حرف , أو مزيج بين هذا و ذاك ..الخيارات كثيرة و الاحتمالات متنوعة ...هذه البنيات اللغوية إذا اعتبرت مركز استقطاب بدا الخطاب أو النص بكل مكوناته في حركية منضبة و مطردة و لكن حول نقطة مركزية متمثلة في العنوان . و من ثمة تأخذ الخريطة الدلالية المؤسسة لكيونة الخطاب مخططا هندسيا افتراضيا معينا يتناغم و طبيعة نقطة الاستقطاب/العنوان , و عندما يُستثار عقل المتلقي من قبل هذه الوضعية النصية , و يكون حينئذ قبالة معلومات جديدة يتعرفها أولا ، يعمد إلى تفسيرها في ضوء خبراته السابقة والمختزنة في هذه الأطر والشبكات .. لإعادة بناء الخطاب المقارب في إطار جديد ، يشمل العلاقات الديناميكية بين المفاهيم العامة وتفصيلها الجزئية ، رغبة في الإمساك بالمقصدية الأصلية الكلية للخطاب و إمطة اللثام عن السر النهائي لها إن أمكن ذلك ، وهي مقصدية لا تختلف في شيء عن مقصدية المؤلف ، فالمؤلف هو المنطلق الذي تفيض عنه البنية الدلالية الأولى وهو الذي يحدد لها أشكال تحققها، وهو الذي يمسك بتوجهاتها.

2 - الجملة الأولى للخطاب

الجملة الأولى من النص (الاستهلال - المطلع - الافتتاحية) تمثل - في أغلب الأحوال - مركزا من المراكز النص الاستراتيجية لأنها (تفتح السبيل لما يتلو)¹⁶⁶⁸ ، و تبرر النص من حيث جنسه و أسلوبيته .. و لهذا فإن مقارنة الخطاب و قراءة النص و الدخول معهما في عملية تأويلية ايجابية كل ذلك يقتضي من القارئ تفاعلا حيويا و نشاطا كينونيا تشارك فيه كل مكونات الذات الفاعلة للمتلقى و ما يلابسها من مقتضيات مقامية و حالية ، هذا انطلاقا من الرؤية التي تعتبر المرسل إليه/القارئ معطى من المعطيات الأساس في معادلة جماليات التلقي و عنصرا استراتيجيا يعمل بفعالية على

¹⁶⁶⁸ - أرسطو طاليس : الخطابة ، تحقيق و تعليق : عبد الرحمن بدوي ، دار القلم - وكالة المطبوعات ، د ، ط ، ت

إحياء فعل القراءة و تنشيطه , رغبة في سبر غور الخطاب و استخراج منه ما لا تقوله مباشرة بنيته السطحية لوحدها أو بنيته العميقة بمفردها و إنما من خلال تزاوجهما و إعادة جادة إلى ملء الفضاءات و الفراغات المتاخمة للبنيتين سواء كانت ظاهرة أو خفية , وقتئذ يتحمل القارئ مسؤولية عملية إعادة بناء دلالات و معان موازنة و موازية للخطاب أو النص الأصلي , و بذلك يكون قد تدخل بطريقة مباشرة في إخصاب الرسالة التواصلية و إثراء مضمونها و توسيع معلوماتها . هذه صورة من صور ما يحدث عندما تكون جملة الخطاب الأولى (ضرورية أو مفيدة)¹⁶⁶⁹ , و تمثل (البؤرة الأصلية) نقطة بداية و محطة انطلاق و مركز جذب مفصلي مؤثر إلى حد بعيد في العملية التأويلية التي تبدأ متدرجة ثم تتطور في تسلسلية مطردة إلى آخر جملة أو كلمة في الخطاب , فإنه إذا جاز للدارس تشبيه عنوان النص (برأس الإنسان , فإن هناك قبلها و هو نصلح عليه باسم البؤرة .. أو الجملة الهدف , و هذا لا يعني أن ما قبلها و ما بعدها حشو يمكن الاستغناء عنه , و إنما يجب أن نجعله سببا و نتيجة , و ليس لنا من مقياس علمي لضبطها , و إنما هي موكولة إلى حس القارئ و ذوقه و حدسه)¹⁶⁷⁰ , و على هذا الأساس يتطلب من المتلقي أن يجمع طاقاته التأويلية و اهتمامه ثم يوجهه صوب العلاقات الدلالية الخفية التي يصعب عادة الكشف عنها إلا بالاستعانة بما يملكه المتلقي من قدرات و ملكات و مكتسبات و ترسانة معرفية تعمل على تمكينه من اختراق هذا النسيج اللغوي المتشابك المكتوب منه أو الملفوظ و التغلغل داخل بنياته المتنوعة الصانعة لمنظومته الخاصة ذلك لأن الخطاب/النص أساسا هو فعل قصدي يقوم على استهداف القارئ، والحرص على إحداث تأثيرات فيه متنوعة ... و لهذا إذا حصص الحق و ثبت أن الجملة الأولى من الخطاب/النص هي بالقوة و الفعل تمثل بؤرة

¹⁶⁶⁹ - قو لفجانج هاينه مان ديتر فيهقجر : مدخل إلى علم لغة النص , ترجمة و علق عليه و مهد له : سعيد حسن بحري , مكتبة زهراء الشرق , ط1 : 2004 م , ص : 332 .

¹⁶⁷⁰ - محمد مفتاح : دينامية النص , ص : 73 .

استقطاب انقلبت _ زيادة على ذلك _ إلى واحدة من الوحدات الدالة المشكلة لتداولية الخطاب، وإلى أهم المحطات النصية التي تحاور أفق انتظار القارئ فتشده وتجذبه إلى استكناه واستطلاع مضمون الخطاب/النص وتذوق بناه الجمالية و الذرائعية . إذا فالخطاب/النص مبدئياً يستبطن بالقوة بؤرة مركزية و أصلية عبارة في هذا المقام عن (... جملة نحوية واحدة بؤرة تشكل في الذهن نسبة تامة مستقلة بقابليتها للفهم (1671). أما بقية العناصر اللغوية و المكونات المشكلة للخطاب/النص التالية لهذه النسبة فتتخذ لنفسها موقعية خاصة و هيئة وظيفية دقيقة (... تشكل نسبا ناقصة متعلقة بالجملة البؤرة , و تابعة لها لا تستقل بقابليتها للفهم ..) (1672) , هذا يعني أن ما يأتي بعد الجملة الأولى من الخطاب/النص من الجمل و العبارات و الكلمات يكون خاضعا لها متضاماً معها و متعلقاً بها و لكن وفقاً لمقتضيات بنية علائقية محكمة و انطلاقاً منها , فيرتفع عندها إلى مستوى ضامن لبقاء الخطاب/النص واستمراريته ، دون غض الطرف عن الرؤية التي تؤكد أن كل خطاب نمط قراءة خاصة

3 - الكلمة المحور في الخطاب

اللغة الإنسانية (نظام دلالي محدد يتسم بالاتساق الداخلي و له قواعده الخاصة , يتكون من دوال و أسماء تشير إلى مدلولات و مسميات لأشياء موجودة في العالم الخارجي ..) (1673) , و زيادة على ذلك فالكلمة - في هذا النظام الدلالي - إنما تصدر من قائلها ملونة بألوان أفكاره و مشاعره و معتقداته و مال تشرب من بيئته الثقافية التي يعيش فيها , و بذلك فهي مبينة عن ذات قائلها و دخيلة بنيته العقلية و النفسية و الحضارية , هذه الوظيفة الخطيرة للكلمة تجاه قائلها تعمل بالطريقة نفسها إذا كانت محورية و مركزية في خطاب/نص ما , سواء أكان ملفوظاً أو مكتوباً . و واضح مما

1671 - عمر أبو خرمة : نحو النص نقد النظرية و بناء أخرى , ص : 114 .

1672 - المرجع نفسه , ص : 115 .

1673 - عبد الوهاب المسيري : اللغة و المجاز , بين التوحيد و وحدة الوجود , ص : 13 .

تقدم أن الباحث يعني بالكلمة هنا تلك اللفظة التي تكمن وراءها و تتمركز الإرادة و الخلق و الثقافة و المعتقد .. جميعا . لكن هذه المحطة لن تتناول الكلمة من زاوية كونها (أصغر وحدة ذات معنى للكلام و اللغة)¹⁶⁷⁴ , و لكنها ستنظر لهذا العنصر اللغوي من ناحية قدرته على جعل الخطاب/النص بكل مكوناته يدور في فلكها و يصب كل طاقاته الدلالية لتجلية فضائها و تجذير مركزيتها , فلقد (ظلت الكلمة في ظواهرها الخاصة المحكومة بالتوجه الحوارى للكلمة وسط القوال الأخرى في نطاق اللغة الواحدة (الحوارية الأصلية للكلمة) , و وسط اللغات الاجتماعية الأخرى في نطاق اللغة القومية الواحدة , و أخيرا وسط اللغات القومية الأخرى في نطاق الثقافة الواحدة و المنظور الاجتماعى و الأيديولوجى الواحد , ظلت على نحو يكاد يكون كاملا خارج مجال رؤية فلسفة اللغة و الألسنية و الأسلوبية التي نهضت على قاعدتهما)¹⁶⁷⁵... و من هذا المنطلق يصير من الموضوعية القول أن كثيرا من (جوانب العلاقات المعقدة يتأثر لا محالة أيضا بمقدار ما نعيه من الكلمات و طرق تصرفنا فيها)¹⁶⁷⁶ .

ما فتىء فعل القراءة ينظر إليه على أنه ضرورة حقيقية لوجودية المقروء , وإنتاجية تعمل على خلق التفاعلية الايجابية التواصلية المثمرة بين الخطاب و المتلقى كنشاط نفسى واستجابة داخلية , و القراءة على كل حال إنما هي عملية معقدة تقوم على مجموعة من المعطيات النفسية والثقافية والاجتماعية والجمالية وغيرها , وبما أن الإمام بكل هذه المجالات والجوانب صعب في مثل هذا المقام، سنقتصر على الإشارة إلى أن البحث هنا يتحرك حول محور أساسى مؤداه أننا ينبغي أن نلقى ضوءا أكبر و نعطي اهتماما أعمق بالدور الاستراتيجى للكلمة/المحور فى الخطاب فـ(المتلقى يستطيع أن

1674 - ستيفن أولمان : دور الكلمة فى اللغة , ترجمة : كمال محمد بشير , مكتبة الشباب , ص : 45 .

1675 - ميخائيل بختين : الكلمة فى الرواية , ترجمة : يوسف حلاق , منشورات وزارة الثقافة , دمشق 1988 م , ص

28 :

1676 - مصطفى ناصف : النقد العربى نحو نظرية ثانية , ص : 78 .

يوفق إلى الفهم التام للنص ، قبل أن يكون قد تعرف النص الكامل بعد)¹⁶⁷⁷ ، خاصة إذا ما حمل (الخطاب/النص) الكلمة/المحور مسؤولية استقطاب كل مكوناته ، و تمركز حولها و جذب انتباه المتلقي إليها بفنية و جمالية ، فـ(منذ وقت بعيد تبين أن حسن تصور الكلمة بوجه عام أمر أجل من المهارة اللسانية ، لأنه باب حيوية الذهن و البصيرة ، و باب التعرف على طرق)¹⁶⁷⁸ تصور المرسل/الناص و كذا المرسل إليه/المتلقي ، مما (يخلق في الكلمة إمكانات فنية جديدة و جوهرية ، يخلق فنيتهما الثرية الخاصة التي تجد تعبيرها الأكمل و الأعمق في)¹⁶⁷⁹ الفعل التواصلي الفني .

و نريد بالكلمة/المحور هنا (ما يبني عليها النص ، سواء أكانت مذكورة أم مضمرة .. وله اشواهد في التراث الإنساني بصفة عامة ، و منه التراث العربي ، فقد تذكر الكلمة - المحور و قد تضرر لأغراض دينية أو سياسية أو دعابية هزلية ... و قد لا نعدم أمثلة لكل نوع ، و لعل أشهرها ما نجده في أشعار التعمية و الألغاز و التورية ...)¹⁶⁸⁰ ، بشرط الانطلاق من القراءة الفاعلة التي تتجاوز المتواليات اللفظية إلى ما ينشأ عن تجميعها ومقارباتها من دلالات ملازمة و غير ملازمة ، مع التمييز بين طبيعة الشكل وطبيعة الإدراك ، لأن الخطاب يكون قبل مقاربتة بنية منفتحة على السياق لكن في الوقت الذي يدخل في عملية تواصلية إدراكية بينه و بين المتلقي ينقلب إلى بنية مغلقة على دلالة متماسكة و معنى مخصوص هندسه القارىء كشريك للمؤلف في تشكيل المعنى.....

للقوف على ذلك يجد الدارس نفسه في حاجة إلى طرح طائفة من الانشغالات تتمثل في الأسئلة الآتية : هل تستطيع الكلمات/المحور في الخطاب/النص أن تستقطب و تمركز

¹⁶⁷⁷ - قو لفجانج هاينه مان ديتر فيهقجر : مدخل إلى علم لغة النص ، ص : 331 .

¹⁶⁷⁸ - مصطفى ناصف : النقد العربي نحو نظرية ثنائية ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب - الكويت ، العدد : 255 ، 1990 م ، ص : 245 .

¹⁶⁷⁹ - ميخائيل بختين : الكلمة في الرواية ، ص : 29 .

¹⁶⁸⁰ - محمد مفتاح : دينامية النص ، ص : 94 .

كل مكوناته و تجعلها تدور في فلكها ؟ لماذا يعمد صاحب الخطاب إلى هذه العملية فيحمل الكلمة/المركز في فضاء الخطاب هذه المسؤولية الثقيلة ؟ هل وراءها أبعاد جمالية و أخرى دلالية ؟ هل تستطع كل الكلمات المحور تحمل هذا الضغط القوي الذي تسلطه عليها كل البنيات المشكلة للخطاب ؟ هل ذلك يعني أن حركية البنيات قد انتظمت في اتجاه واحد بفضل الموقعية المركزية التي تلبست بها هذه الكلمة نقطة ارتكاز الخطاب/النص ؟

إن مبدعي الكلام الجمالي (مهما كانت أجناسهم و أمصارهم و أزمنتهم حرصوا على قصدية اللغة الشعرية , بمعنى الارتباط الطبيعي بين الدال و المدلول)¹⁶⁸¹ , و انطلاقا من هذا الحرص الفني , فإن الكلمات المحور في الخطاب أو الكلمات النصية بأجناسها الخطابية و أنواعها (لا تواجه موضوعها بشكل واحد : فبين الكلمة و الموضوع , و بين الكلمة و المتكلم , وسط لدن يصعب النفاذ منه في الكثير من الأحيان , وسط من الكلمات الأخرى , كلمات الغير في هذا الشيء نفسه و في الموضوع نفسه . و لا تستطيع الكلمة التفرد و التشكل أسلوبيا إلا في عملية التفاعل الحي مع هذا الوسط الخاص المتميز)¹⁶⁸² , هذا و من حيث الموقعية فعادة ما تكون , أول ما يشد بصر المتلقي و يثير بصيرته , (و قد تكون في وسطه , و قد تكون في آخره)¹⁶⁸³ , أو قد تكون _ كذلك _ آخر شيء يبقى في الذاكرة حين ينسى الخطاب/النص , و لكن تظل الكلمات الأولى _ وهي واحدة من بين عتبات الخطاب أو النص _ تلفح ذاكرة الفعل القرائي و تصر على البقاء فيه.. و من ثمة تدخل الكلمة/المحور (في هذا الوسط المتوتر و المضطرب حواريا من كلمات الآخرين و تقويماتهم و نبراتهم و في شبكة علاقاتهم المتبادلة المعقدة فتندمج في بعضها و تنفر من بعضها الآخر و تتقاطع مع

1681 - محمد مفتاح : دينامية النص , ص : 56 .

1682 - ميخائيل بختين : الكلمة في الرواية , ص : 29 .

1683 - محمد مفتاح : دينامية النص , ص : 95 .

بعضها الثالث) ¹⁶⁸⁴ . تحملنا هذه الظاهرة أو ما يصطلح عليه بالنص الموازي إلى متاهات التأويل و تشدنا إليها ، فأنى للمتلقى وقتئذ أن يفلت من قبضة ذلك الإغراء والإغواء الذي لا ينتهي ، كلما اعتقد أنه قد تحرر منها عادت وطوقته راسمة أمالا عريضة ، فمادامت القراءة قراءات متعددة و (قوة الكلمة في تقدير الباحثين الأدباء و اللغويين و النقاد و الأصوليين ذات وجوه ، قد تساعدنا الكلمة على التأمل و التوحد ، و قد تؤدي إذا أسأنا استخدامها إلى الانفصال ..) ¹⁶⁸⁵ بين الخطاب و المتلقي و من ثمة فقدان السيطرة على النص .

أن تكون كلمة محورا في الخطاب/النص و تحتوي دلالاته الكبرى (فعل معقد : ذلك أن أي موضوع ، مفترى عليه ، و مختلف فيه ، مضاء من جهة و معتم عليه من جهة أخرى بالآراء الاجتماعية المختلفة و بكلمات الآخرين فيه ، و في لعبة النور و الظل المعقدة هذه تدخل الكلمة و تتشعب بها راسمة فيها ملامحها الخاصة أسلوبا و معنى . إن احتواء الكلمة موضوعها ينعقد بالتفاعل الحواري الجاري داخل الموضوع بين مختلف لحظات إدراكه و الطعن فيه من خلال الكلمة الاجتماعية) ¹⁶⁸⁶ . إذا فليس كل الكلمات الأولى في الخطاب حاملة لامتياز الشعرية (إننا نقرأ الكلمات ، و قد عمينا عنها بفضل الاعتقاد الثابت) ¹⁶⁸⁷ ، فكثيرا ما يلتقي القاريء ببعضها فلا يجدها - بعد مقارنة ايجابية - بؤرة تنصب فيها الدلالة الرئيسة للنص و تنجذب إليها المكونات النصية المشكلة لهوية الخطاب و المجلية لبنيته الكلية . و ذلك على الرغم من أنه مما لاشك فيه أن الكلمة إذا وضعت في النص الجمالي إنما (وضعت وضعا فنيا مقصودا في مكانها المناسب ... و

1684 - ميخائيل بختين : الكلمة في الرواية ، ص : 30 .

1685 - مصطفى ناصف : النقد العربي نحو نظرية ثانية ، عالم المعرفة ، ص : 246 .

1686 - ميخائيل بختين : الكلمة في الرواية ، ص : 30 - 31 .

1687 - المرجع نفسه ، ص : 76 .

كل تغيير في المفردة أو الإقرار على الأصل مقصود له غرضه ...¹⁶⁸⁸ , و من ثمة فالمتلقي مطالب في مثل هذه الوضعيات التحليلية أن يلتزم بالمنهج و المنهجية التي اعتمدها طريقة للمقاربة , و يبتعد عن تحميل الكلمات الأولى للخطاب/النص إسقاطاته الذاتية التي تمليها في الكثير من الأحيان الأفكار المسبقة غير الموضوعية التي لا تصمد طويلا أمام النقد العلمي المنهج , فعبد القاهر الجرجاني قد أدرك أن (نمو الكلمات ينبغي أن ينضبط , و أن الكلمات طاقات تتعدد , و لكنها لا تتعدد إلى ما لا نهاية , لكن هذه الطاقات نفسها دانت أولا و أخيرا لفكرة القوة الأولى أو الأساسية التي سميت إكراما لها باسم الحقيقة , لقد كان تضيق الحقيقة رفضا لكلمات كثيرة أو طاقات كثيرة ... الكلمات كائنات حية تستكره , و تحمل ما لا تطيق أحيانا , و رآها تتعرض لما تتعرض له الكائنات الحية من سقم)¹⁶⁸⁹ , كما أن هناك إشارات واضحة من الجاحظ إلى خطورة ذلك في كتابه البيان و التبيين (حول اختلاط الممكنات و حول الحاجة إلى المصالحة و حول شبهات الكلمات و حول التحكم في الانفعال و فكرة الضبط أو التوجيه و فكرة الانسجام)¹⁶⁹⁰ ...

4 - موضوع الخطاب

فإذا كان الكثير من المفكرين المعاصرين يذهب إلى (أن ثمة نموجا معرفيا كامنا وراء كل قول أو ظاهرة إنسانية . هذا النموذج هو مصدر الوحدة وراء التنوع , و هو الذي يربط بين كل التفاصيل , فتكتسب معنى و دلالة و تصبح جزءا من كل , و ليس مجرد معلومة جديدة أو طرفة فريدة)¹⁶⁹¹ , فإن الموضوع - انطلاقا من ذلك - يمكن

1688 - فاضل صالح السامرائي : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني , شركة العاتك لصناعة الكتاب - القاهرة , ط 2 :

2006 م , ص : 04 .

1689 - مصطفى ناصف : النقد العربي نحو نظرية ثانية , ص : 73 .

1690 - المرجع نفسه , ص : 246 .

1691 - عبد الوهاب المسيري : اللغة و المجاز , بين التوحيد و وحدة الوجود , ص : 05 .

النظر إليه على أنه آلية من آليات مبدأ التفرغ و بؤرة قابلة لأن تتمركز فيها كل مكونات النص و تنجذب تجاهها الدلالات الكبرى و الصغرى , أي يتجاوز الأجزاء جميعا و لا تتجاوزه , و يؤدي وجوده و حضوره , إلى تماسك أجزاء النسق , إذا فهو مصدر الوحدة و النسق , و هو عندئذ الركيزة النهائية للانسجام و التماسك (كأن هنا عنصرين : الحقيقة الموضوعية بذاتها من جهة , و محاولة توصيلها و استخدام آليات معينة في عملية التوصيل , من جهة أخرى)¹⁶⁹² . لكن كل ذلك لا يتقرر من خارج الخطاب/النص (و إنما ينبثق من الداخل . و الطريق إلى سبر هذا المعطى الجديد هو المنهج المستقل عن الذات)¹⁶⁹³ . و لهذا فالدارس مطالب بأن يضع في حسبانته أن هناك (ثلاثة أشياء لابد من التمييز بينها كخطوة أولى)¹⁶⁹⁴ , و هي ممثلة في الموضوع و المتلقي و المنهج . فـ (المنهج .. هو رديف الآلة في العلم المعاصر ... يجعلنا ندرك هذا الواقع الذي لا يمكن إدراكه دونها)¹⁶⁹⁵ , بل هو كذلك (الآلة التي لا تستخدم من أجل التدقيق في الملاحظة , بل من أجل قيام تلك الملاحظة ذاتها)¹⁶⁹⁶ , أما المتلقي فهو (الذات .. المالكة للآلة , و المالكة للقدرة على أعمال هذه الآلة , و ليست مجرد الذات الراغبة . و امتلاك الذات للآلة مع القدرة الإجرائية عليها ترفع الذات عن مواضع الظرف و حدود الغاية الشخصية)¹⁶⁹⁷ . بينما الموضوع في هذا المقام (هو الواقع المبني كنتاج للعملية , و ليس هو الواقع المعطى)¹⁶⁹⁸ . لهذا فالبنية الكبرى للخطاب _ باعتبارها علامة و نظاما تتضام مكوناته تحقيقا لوجوده _ إنما هي مستوى مهم من مستويات

¹⁶⁹² - عبد الوهاب المسيري : اللغة و المجاز , بين التوحيد و وحدة الوجود , ص : 13 .

¹⁶⁹³ - عبد الله محمد الغدامي : تشريح النص , مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة , المركز الثقافي العربي

, ط2 : 2006 م , ص : 104 .

¹⁶⁹⁴ - المرجع نفسه , ص : 103 .

¹⁶⁹⁵ - المرجع نفسه , ص : 104 .

¹⁶⁹⁶ - المرجع نفسه , ص : 104 .

¹⁶⁹⁷ - المرجع نفسه , ص : 105 .

¹⁶⁹⁸ - المرجع نفسه , ص : 105 .

تحليل الخطاب , إذ يمكن أن ينتقل التحليل من مستوى تحليل المقاطع الجمالية إلى مستوى أعم و أشمل هو مستوى البنية الكبرى للخطاب أي الانتقال من البنى السطحية /المستويات الشكلية إلى التركيز على البنى العميقة / المستوى الدلالي السمونطريقي . و هذه الأخيرة لا شك أنها أسيرة بطريقة مباشرة و أولية إلى الموضوع المركزي و الذي يمثل النواة الصلبة للخطاب . فالموضوع المحوري للخطاب أو ما اصطلح على تسميته بالموضوعة أو التيمة يملك في ذاته طاقة مركزة و قوة معتبرة تعمل من بتلقائية على شد بنى الخطاب كله بعضه إلى بعض , ومن ثمة تتشابك كل مكونات الخطاب الخارجية /الشكلية منها و الداخلية /دلالية قضوية . إن البنية الكبرى للخطاب من هذا المنطلق تحمل الدلالة الشاملة للخطاب و على ذلك فهي بمثابة الخلاصة المركزة اليسيرة و الاقتصادية ..

و إذا تأمل الباحث بشيء من التركيز كلا من البنية الصغرى و البنية الكبرى فإنه يرى أنهما متقاربتان إلى حد بعيد من حيث الناحية الشكلية و أنهما أساسا بنى سيميائية دلالية تتأسس من قضايا , هذا يدعو إلى أن ننظر إلى البنية الكبرى نظرة متلبسة بسمة النسبية حتى إذا اعتبرناها بنية ذات طبيعة عامة مقارنة بالبنيات الأخرى المؤسسة لظاهرة الخطاب .. هذا يعني أن البنية الكبرى في خطاب ما لا تعني أنها نفسها في خطاب آخر , ذلك أنها لا تؤسس لوجودها انطلاقا من ذاتها و مكوناتها الداخلية الخاصة و إنما وجودها و حركيتها بل سيورتها في الفعل التواصلي بمفهومه الشامل هو وليد المنظومة و النسق الكلي بكل حيثياته و ملابساته الداخلية و الخارجية , فعنوان الخطاب على سبيل المثال قد يكون الركيزة الأساس في التعيين الدقيق و المحكم للموضوع الجوهرى للخطاب و بالتالي للبنية الكبرى التي تتمركز حولها كليات و جزئيات الفعل التواصلي اللغوي الإنساني ..

الفصل الثاني :

آليات الانسجام دراسة تطبيقية

- المبحث الأول : موضوع الخطاب/البنية الدلالية الكبرى ... ص : 595 .
- المبحث الثاني : السياق في الحديث القدسي ص : 625
- المبحث الثالث : الفصل في الحديث القدسي ص : 663
- المبحث الرابع : مبدأ التفرغ في الحديث القدسي ص : 966.

موضع خطاب/ البنية الدلالية الكبرى

الأحاديث القدسية

رؤية عملية تأصيلية

هل للأحاديث القدسية /مدونة البحث بنية واحدة أم لها بنيات متعددة ؟ و (إن كان كذلك , فما طبيعتها ؟ و هل تتساوى مجموع البنى في الدرجة , أم أن هناك فوارق في نسبة توزيعها على النص و نسبة تحكها في الخطاب ؟) (1699)

...

عندما ينظر الباحث بروية و رؤية شمولية إلى كل الأحاديث القدسية من زاوية (العلاقة بين الذات و الموضوع أو العارف و المعروف/العاقل و المعقول) (1700) للبحث عن المعنى الأساس الذي يستبطنه كل حديث قدسي مستقل بذاته ... و يتتبع بعد ذلك هذه المعاني الكلية و هي (تتضام بعد ذلك و تتجمع لتكون الكل الذي يشخص و يمثل ذلك التصور ..) (1701) الكلي الذي (يحتوي الأجزاء و يهيمن عليها) (1702) , و من ثمة يجعل من كل الأحاديث القدسية وحدة واحدة (تبدأ من نبذ كل الصور التي انبثقت ابتداء من تصورات البشر و أوهمهم عن ذات الله - سبحانه - و صفاته , لتستقي مباشرة من تعريف الله لعباده بذاته و صفاته , و خصائصه و أفعاله , و هي تتلقى من هذا المصدر وحده , و لا تتلقى من مصدر آخر غيرهِ) (1703) , معتمدين في ذلك على شبكة العلاقات الشكلية و الدلالية و المنطقية الرابطة المنعقدة بين مكونات الخطاب/نص الحديث القدسي في ذاته , ثم كل المجموعة فيما بينها , هذا السبيل يصل بالدارس إلى نتيجة

1699 - صبحي الطعان : بنية النص الكبرى , مجلة عالم الفكر , المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب - دولة الكويت , المجلد : 23 , العدد : 1 - 2 , يوليو/سبتمبر - أكتوبر/ديسمبر 1994 م , ص : 436 . .

1700 - عادل محمود بدر : إشكالية الوجود الذهني في الفلسفة الإسلامية صدر الدين الشيرازي نموذجاً , دراسة في نظرية المعرفة , دار الحوار للنشر و التوزيع ط1 : 2006 م , ص : 21 .

1701 - سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي , دار الشروق , ط5 : 1997 م , ص : 81 .

1702 - محمد الماكري : الشكل و الخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي , المركز الثقافي العربي , ط1 : 1991 م , ص :

. 20

1703 - سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي , ص : 200 .

مفادها أن الأحاديث القدسية جميعا يمكن أن ينظر إليها على أنها عبارة عن نص واحد و خطاب كلي مركب من أجزاء دلالية متناسقة متلاحمة منطقيًا (لا يفهم وحده , كما لا تفهم بقية جوانب الصورة , حين يعزل منها هذا الجانب ... كما أنه لا يستعان في إدراكه بتصوير آخر , و لا بمنهج آخر غير المنهج الإسلامي . إنه في الحقيقة لا أجزاء و لا جوانب في هذا التصور , إنما هو الكل الذي تأخذ الجوانب سمتها منه , كما أنه هو يأخذ سمتة من تكامل الجوانب ...) (1704) , هذه البنية الكلية تصنع في الأخير خريطة دلالية كبرى تنم على ملكة صاحب الخطاب و مضمونه و بلاغة حابكه محمد صلى الله عليه و سلم , فالنص متكامل على مستوى المدلولات و ليس على مستوى الدالات .

و لما كان الإنسان المفكر لا يتمكن (من العيش بلا عقيدة , حتى أولئك الذين يضعون على مناهجهم طابع الإلحاد , و يرفعون عقيرتهم بشعار اللادينية , لا يتمكنون من العيش بلا عقيدة في تفسير الكون و الحياة ...) (1705) , ولهذا قد يسارع الدارس بالقول أن البنية الدلالية الكبرى للأحاديث القدسية و الموضوع الرئيس الذي تتمحور حوله إنما هو من حيث البنية الوجودية ثنائي التركيب . إذ يتألف من مزيج متواشج بين بعد الخوف و الرجاء تسبج في فضاء (العبودية لله بلا شريك , و الدينونة لله وحده بلا منازع , و شمول هذه العبودية لكل شيء , و لكل حي في هذا الوجود , في عالم الغيب و في عالم الشهادة , في الحياة الدنيا و في الحياة الآخرة , في نظام الكون و في حياة الناس , و تفرد هذه الألوهية الواحدة بخصائصها , و تجرد هذه العبودية من هذه الخصائص , و قيام هذا الوجود على هذه القاعدة الشاملة الحاسمة) (1706) . فكل حديث قدسي فهو بداية (لا يتعرض لبيان الأحكام الشرعية , و لكنه يركز على الدعوة إلى الله تعالى , و التحذير من المعاصي , و يدعو إلى الخير و

1704 - سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي , ص : 44 - 45 .

1705 - حسن محمد مكي العاملي : الإلهيات على هدى الكتاب و السنة و العقل , مؤسسة الإمام الصادق , ط7 : 1388

هـ , ج 1 , ص : 06 .

1706 - سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي , ص : 81 .

مكارم الأخلاق ، و بالجملة فهو أشبه بالموعظة و التوجيه الأخلاقي (1707) . و على الرغم من ذلك فإنه مما لا شك فيه أن كل حديث قدسي مستقل بموضوع أو قضية تمايزه عن باقي الأحاديث القدسية الأخرى إلا أن الرؤية المنهجية الشمولية و المنضبطة بخارطة تصورية محكمة تضع المتلقي أمام حقيقة موضوعية تتمثل في كون الأحاديث القدسية جميعا تتقاطع في نقطة/نواة دلالية مركزة ، تجمع ما يبدو متناثرا من الأحاديث القدسية لتشكّل في الأخير الصورة الكاملة لموضوع الأحاديث القدسية التي يريدها الشرع . هذه النواة الدلالية المركبة إنما هي أولا الخوف من لقاء الله تعالى على وضعية تستأهل العقاب و ثانيا الرجاء من الله تعالى - رغم ما يقدم الإنسان العبد من تقرب و تعبد - أن يتجاوز عن الخطايا و المزالق التي قد تحسب هينة و هي عنده عظيمة . فالخوف و الرجاء يصنعان معا شعورا إيجابيا متوازنا يمنع المتلقي المسلم من العبودية المذلة و يبعده من الإستعباد الضار بالناس و (يفسر واقع الكون و جميع الأنظمة المادية بأنها إبداع موجود عال قام بخلق المادة و تصويرها و تحديدها بقوانين و حدود ، و قد أخضعه لنظام دقيق ، فالجاعل غير المجعول ، و المعطي غير الآخذ .. كما أن يفسر الحياة الإنسانية بأنها لم تظهر على صفحة الكون عبثا و لم يخلق الإنسان سدى ، بل لتكونه في هذا الكوكب غاية عليا يصل إليها في ظل تعاليم الأنبياء و الهداة المبعوثين من جانب الخالق إلى هداية مخلوقه ...) (1708) . فخطاب الحديث القدسي إذا في اتساق وحدته البنائية يحقق للبشرية وحدة معرفية تلمم شتات الإنسان المعرفي، وتوحد بين زوايا إدراكه، بما يشبه إكسابه جهاز تنسيق معرفي يُمكنه من الخروج من التفرع الإدراكي ومرحلة الشركاء المتشاكسين، إلى صيرورته سلماً لله رب العالمين ، إلى الحقيقة الأولى ، و الحقيقة الكبرى ، و الحقيقة الأساسية ، و الحقيقة الفاعلة ، و الحقيقة العميقة في التصور الإسلامي هي .. حقيقة الألوهية ... و هي في

1707 - حسين نجيب محمد : المواعظ الأخلاقية في شرح الأحاديث القدسية ، دار المحجة البيضاء ، ط 1 : 2010 م ،

ص : 07 .

1708 - حسن محمد مكي العاملي : الإلهيات على هدى الكتاب و السنة و العقل ، ج 1 ، ص : 6 - 7 ..

طبيعتها الكلية المطلقة الأزلية الأبدية أكبر من مجال إدراك الكينونة البشرية الجزئية المحدودة الحادثة الفانية ...) (1709). و على الرغم من كل ذلك هناك سؤال مفصلي يقتضيه المقام و تستدعيه الحاجة المعرفية لتحريك البحث في اتجاه الحفر قدر المستطاع في الاتجاه الذي يزيد الموضوع وضوحا و دقة , هذا السؤال الذي يجب أن يطرح بهذا الصدد هو هل يستطيع المتلقي أن يصل في فهم النص القدسي (إلى المعنى النهائي له بكل حدوده , إذا أحصى الدلالات اللفظية من وضعية و سياقية , و استوعب المعنى اللغوي للنص ؟) (1710) .

و حتى تتم الإجابة على هذا السؤال يجدر بالباحث أن ينطلق , بداية , من ما يلي , إذ تعتبر نصوص الأحاديث القدسية من منظور البنية الدلالية الكبرى من الخطابات الشرعية التأسيسية الكبرى التي تشكل ظاهرة دينية متميزة تستقطب انتباه الدارسين و المتدينين , إلا أنها تتكون من الناحية الكمية من مجموعة معتبرة من النصوص المتباينة حجما و مضمونا , يقدم النبي صلى الله عليه و سلم في كل منها نصا محددًا تقتضيه الظروف و الملابسات التبليغية المختلفة و لكنه لا يخرج عن الإطار العام الذي جاء به القرآن الكريم و المقاصد الكبرى التي أرساها التشريع الإسلامي . و على الرغم من ذلك فإن خصوصية خطاب/نص الحديث القدسي قد تدفع بالدارس إلى محاولة الوصول - قدر المستطاع - إلى تحديد النواة الدلالية الشاملة لنص الأحاديث القدسية و المحور المضموني الأساس الذي تنطلق منه كل رسالة تبليغية من أشكال الحديث القدسي , و ذلك من خلال تخطي بحدز مرحلة ملامسة القضية الدلالية لكل جزء من أجزائه مما يقتضي النظر في كل حديث قدسي على حدة , بغية محاولة التقرب من موضوع النص القدسي الكلي و معناه الشمولي الذي يستقر على مستوى أعلى من مستوى القضايا المفردة . إن النص القدسي منظومة لغوية هادفة نابضة بالحياة مفعمة بالمعاني الإنسانية الحضارية الراقية , حيث إن كل أجزائه تكون "بناء عضويا تتفاعل أجزاؤه وأعضاؤه بطرق لا يزال الكثير من

1709 - سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي , ص : 189 .

1710 - محمد باقر الصدر : اخترنا لك , دار الزهراء للطباعة و النشر و التوزيع , ط1 : 1975 م , ص : 94 .

الدارسين له في بداية الطريق إلى اكتشافها متكئين في ذلك على ما يوجد به التراكم المعرفي و المناهج المعرفية الحديثة ، لكن في أجزاء محدودة جدا من فضائه .

و على هذا الأساس فإن تقسيم الحديث القدسي الواحد إلى سلسلة من القضايا على (مستوى البنية الصغرى) ثم محاولة توزيعها , إن اقتضى الأمر ذلك , إلى مشاهد و محطات دلالية تأسس داخل الحديث القدسي نفسه وحدة دلالية أكبر ، ثم طرح المتشابه منه و الحفاظ على ما لا يستطيع النص الإستغناء عنه حتى لا يتعرض للتحريف و التشويه... كل ذلك يعتبر من الوسائل الإجرائية التي تعمل إلى حد بعيد على تذليل الطريق للوصول إلى مقارنة البنية الدلالية الكبرى التي تحكم حركية المعاني الجزئية لكل الأحاديث القدسية ، بل و تتحكم في مواقعها الإفتراضية التي تسهم في تشكيل الخارطة التصورية الدلالية الكبرى التي تعتمل داخل النص الشرعي القدسي و الذي يحاول هذا الأخير تحقيقه عند المتلقي لجعله متفاعلا إيجابيا و منسجما مع ذلك التصور الكلي فالإنسان (لا يملك أن يكون شيئا في واقع هذه الأرض , و لا يملك أن يكون شيئا في حساب هذا الوجود .. سواء في عالم الغيب أم في عالم الشهادة .. و لا يستطيع أن يكون قوة فاعلة , و أن يكون له دور إيجابي , و أن يحقق غاية وجوده الإنساني - كما أرادها الله - إلا أن يمتلئ حسه و ضميره , و قلبه و عقله , و كينونته كلها بحقيقة ..)⁽¹⁷¹¹⁾ الخوف من الله و الرجاء فيه وفقا لواقعه المعيش الزماني و المكاني ذي الطبيعة المتطورة .

إن الحديث القدسي لا يقف عند حدود الإبلاغ والإخبار ولكنه يتجاوز ذلك ويتخطاه إلى التمكين لمضمون هذه الأساليب في نفس المتلقي (إنه يوقع على أوتار النفس البشرية جميعها , و يدخل عليها من منافذها كلها .. يوقع على أوتار الخوف و الحذر و الرجاء و الطمأنينة , و على أوتار المهابة و الجلال و الأتس و الود , و على أوتار القهر و الجبروت و الرأفة و الرحمة , و على أوتار النعمة و العذاب و النعمة و العطاء , و على أوتار المغايرة الكاملة بين الألوهية و العبودية

1711 - سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي , ص : 189 .

مع الإنس ، و القرب بين الله و عباده ، و يخاطب وجدان الجمال بما في الكون و النفس من ألوان و أطياف ، كما يخاطب وجدان المجهول بالغيب و ما وراء الأستار من قدر الله ..)(1712) ، وإنه من بين الخصوصيات التي تتوفر لأساليب الخطاب في الحديث القدسي أن الغاية التعليمية لا تعني مجرد نقل معرفة في حياذ من ناقلها، أي أن ناقل هذه المعرفة يلقيها عن كاهله بذكرها ولكن الغاية التعليمية تلتبس بغايات التفهيم والإقناع والتمكين للحقائق، فالمعلم هنا لا تتوفر له أبعاد سياقية تؤكد على التباس مضمون القول التعليمي بذاته فهو كما قال تعالى (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (1713) ، فهذا الحرص وهذه الرأفة وهذه الرحمة حيثيات سياقية تتعلق بالمتكلم تستحضر البعد النفسي الذي يجعل من المضمون التعليمي مضموناً نفسياً، فلا تقف غاية المتكلم عند حدود نقل المعلومة أو الخبر، ولكنها تتجاوز هذه الغاية إلى استخدام الوسائل الأسلوبية التي تؤدي إلى التمكين للخبر و تجديره مضموناً و أسلوباً في نفس المتكلم (ما يملأ الكينونة البشرية بالإجلال و الحب ، و بالخشية و التقوى ، و بالرجاء و الثقة ، و بالأنس و القرب ، و بالحنز و اليقظة ، و بالشعور الدائم بوجود الله - سبحانه - و حضوره ، بحيث لا يملك القلب المؤمن أن ينسى ، أو أن يغفل ، عن ذلك الوجود و عن هذا الحضور لحظة ، في أي وضع و في أي حال ..)(1714) ، فما الأسلوب هنا سوى وسيلة فاعلة من وسائل اللسانية الكثيرة التي تعمل على تحقيق هذا التمكين ، الذي لا يقف بدوره عند غاية التمكين ، ولكنه يتجاوز هذه الغاية أيضاً إلى التحول بمضمون الخبر (المضمون التعليمي) إلى فعل مُنَجَّر، على مستوى المتلقي المبلِّغ الشاهد والمبلِّغ المتلقي الغائب المستقبلي، فليس ثم من شك في احتياج المتلقي الغائب المستقبلي إلى وسائل أسلوبية بلاغية تعينه على مراحل التواصل التي تبدأ بمعرفة المضمون التعليمي للخبر، ثم الاقتناع بهذا المضمون والإيمان به إلى (حد اليقين الناشئ من مثل الرؤية و المشاهدة .. رؤية

1712 - سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي ، ص : 191 .

1713 - سورة التوبة ، الآية : 128 .

1714 - سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي، ص : 192 .

واضحة و مشاهدة مستيقتة .. (1715) ، ثم التمكين لهذا المضمون بوصفه حقائق ،
ثم التحول بهذا المضمون التعليمي إلى أفعال مُنجزَة .

مما ما لاشك فيه أن بنية الأحاديث القدسية الكبرى هي من حيث طبيعتها
(بنية تصويرية ، تؤدي إلى اختصار المعلومات الدلالية - على المستوى
الإدراكي - مما ينتج عنه التركيز على المعلومات الأساسية أو موضوع النص
(1716) و من ثمة فالتعاطي مع النص القدسي من حيث كونه نصا لغويا
تواصليا لا يחדش بعده التشريعي كما لا يزري ببلاغة ناسجه / الناص ، وإنما
النصية اللغوية للحديث القدسي تغري الدارسين من الاقتراب منه أكثر ، مما
يجعله مؤهلا لتفجير طاقاته الكامنة التي ربما لم يتوصل إليها المتلقون
السابقون.... ومن جهة أخرى هذه الخاصية اللسانية تجعلنا نقوم بمحاولة
تطبيق العمليات الذهنية على البنى النصية الصغرى ، هذه العمليات التي سماها
(فان ديك) القواعد الكبرى التي تتمثل في : الحذف - الاختيار - التعميم -
الإدماج.

هذه القواعد الكبرى تجعل القضايا المستخلصة من الحديث القدسي الواحد
أو من كل الأحاديث القدسية تأخذ صورة موحدة تتمثل في رسم هرمي (قمته هي
القضية الكبرى أو موضوع النص) و قاعدته قضية صغرى أو مجموعة من
القضايا الصغرى المحكومة بشبكة من العلاقات المنطقية الدلالية . و سوف نتخذ
مما يأتي نموذجا للتحليل .

(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ
مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ . فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا
فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ فَيَبْتُؤُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ

1715 - سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي , ص : 192 .

1716 - عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق , ص : 221 .

السَّيْلِ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً قَالِ وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو الْحَيَاةِ وَقَالَ خَرَدَلٌ مِنْ خَيْرٍ .(1717) ..

هذا الحديث القدسي الذي يريد أن يؤسس لقضية مبدئية عقدية تجعل القارئ - المسلم خاصة - كلما ابتعد عن الله سبحانه أسرع إليه عائدا بتوبة نصوح , هذه القضية إنما هي التذكير الدائم للمتلقي بأن الله تعالى يحنو علينا دائما في الدنيا والآخرة (و لا يأخذنا بذنوبنا , و لا يحرمننا من نعمه , و لا يهلكنا بما فعلنا ..)(1718) و في اللحظة ذاتها تواجه الكينونة البشرية بمشاهد و آثار من دون أن (تسلك إليه طريق الجدل الذهني , ثم تتجاوز هذه المرتبة من مراتب الإقناع إلى تحريك الفطرة لتعمل , لتتلقى و تلتقط , , و تنفعل و تستجيب . ذلك أنه بدون استحياء الفطرة , و استجاشتها للعمل , يظل البرهان العقلي معطلا لا فاعلية له . بل يظل البرهان الحسي معطلا كذلك ...)(1719) , يمكن تقسمة إلى مجموعة من القضايا الصغرى وفقا لما يقتضيه النص القدسي نفسه , ثم إذا اقتضى منا هذا النص المتابعة نعمد إلى تصنيف القضايا المحصلة في شكل مجموعات من القضايا الصغرى ذات المحتوى المشترك , ثم نلجأ إلى دون أن نلوى عنق طبيعة النص الدلالية إلى محاولة الاقتراب من البنية الدلالية الكبرى لذلك الحديث القدسي , و ذلك عبر تطبيق القواعد الكبرى لـ(فان ديك) بطريقة مرنة تراعي في ذلك ما يقتضيه النص القدسي بكل أبعاده الداخلية و الخارجية .

نماذج تحليلية :

الأنموذج الأول :

(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَمْرُو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ , ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ . فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا فَدَسُودُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ شَكًّا مَالِكٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً

1717 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 1 , ص 270

1718 - محمد متولي الشعراوي : الأحاديث القدسية , ج 1 , ص : 11 .

1719 - سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي , ص : 206 .

قَالَ وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو الْحَيَاةَ وَقَالَ خَرَدَلٌ مِنْ خَيْرٍ)

ق1 = قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ .

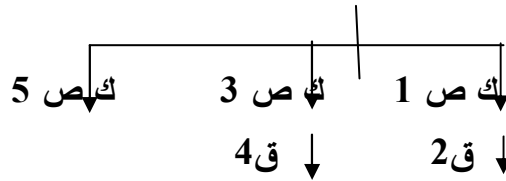
ق2 = ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ .

ق3 = فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَا .

ق4 = فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ .

ق5 = أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُتَوَيَّةً

ق ك



من خلال الرسم المعروض أعلاه يمكن تسجيل الملاحظات الآتية الموجزة :

- الحديث القدسي يتركب من أربع قضايا صغرى .
- كل قضية صغرى تمثل نفسها فقط باستثناء القضية الصغرى الثالثة فهي مكونة من قضيتين .
- كل القضايا الصغرى و المتفرعة عنها تشكل القضية الدلالية الكبرى و هي :
من تجليات الرحمة الربانية بالعباد (كتب على نفسه الرحمة) (1720) .
- و من خلال إنزال تطبيقيا القواعد الكبرى على مجموعة القضايا و التي يتضمنها الحديث القدسي السالف الذكر نجد أن :
- قاعدة الحذف : لا تعمل هذه القاعدة في أي قضية من القضايا التي عرضها النص القدسي , لأن كل قضية منها لا تملك قابلية الاندماج أو الانصهار في قضية أخرى تكون عوضا عنها و بديلا , و من ثمة فإن أي تغييب لقضية داخل هذا الحديث من البنية الدلالية الكبرى سيصيبها - من دون أدنى شك - خلل كبير و تغيير و تبديل . و هذا يعني أن هذه القاعدة التي عرضها (فان ديك) قد

1720 - سورة الأنعام , الآية : 12 .

تقبلها بعض النصوص فتسهم في توضيحها و سبر أغوارها , و قد تمجها نصوص أخرى لأنها تشكل تهديدا فعليا لكيونتها و وجودها التواصلي ...

- قاعدة الاختيار : تعمل في ثلاث قضايا (1+3+5) فهي من القضايا المركزية و الضرورية الحضور لتفسير القضايا الأخرى في البنية الكبرى . حيث تحدد القضية (1) موضوع : القضاء المصيري الذي يفصل فيه يوم القيامة بين أصحاب الجنة و أصحاب السعير و مكان هذه الواقعة الجلل أما القضية (3) فتتناول مشهدا من مشاهد الرحمة الربانية و هي تنزل حتى على أولئك الذين حادوا عن الطريق المستقيم في الدنيا و نالهم شيء من التأديب الرباني بينما القضية (5) فتحدد الحالة النفسية المصاحبة للموضوع و هي صورة أولئك النفر الذين قضى الله تعالى بخروجهم من النار و انعكاس هذه المشهدية على نفسية الناص و هو بصدد تقديمها بين يدي الحاضرين ... كل ذلك يمثل ميزة من مزايا خطاب الحديث القدسي في تعاطيه مع (الكينونة البشرية بجملتها , خطاب استحياء و استجاشة , و تنبيه لأجهزة الاستقبال المعطلة أو المشوشة . و بين خطاب الفلسفة و و اللاهوت و علم الكلام بالتصورات التجريدية أو بالجدل البارد , الذي لا يصل قط إلى الإقناع المؤثر المحيي للقلوب و العقول) (1721).

- قاعدة التعميم : عند ممارسة هذه القاعدة على نص الحديث القدسي , فالباحث يجد نفسه أمامه عملية حذف و استبدال , حذف معلومات أساسية من قضايا الحديث القدسي السالف الذكر و إحلال محلها قضية جديدة تتضمن مفهوما القضايا القديمة , و عمليا فالقضايا الأساسية التي ستجري عليها هذه القاعدة تتمثل في (1 + 3 + 5) و عندها نحصل على مفهوما على قضية جديدة شاملة هي : إخراج ضعاف الإيمان و قليله من النار رحمة من الله تعالى , لأنه (في هذه اللحظة تستيقظ الفطرة فتلجأ إلى القوة الوحيدة التي تملك الغوث و النجدة , و يتجه الإنسان إلى الله و لو كان قد نسيه من قبل في ساعات الرخاء . فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه . و هو وحده دون سواه , يجيبه و يكشف عنه

السوء , و يرده إلى الأمن و السلامة , و ينجيه من الضيقة الآخذ بالخنق (1722).

- قاعدة الإدماج : و تعمل في القضايا (1 + 3 + 5) فينشأ من اندماج تلك القضايا مجتمعة ميلاد القضية الدلالية الكبرى لهذا المشهد و هي : الرحمة الربانية و تجلياتها على العباد , فالجزاء على الخير و الشر يعتبر من نعم الخالق على خلقه (و إنها كذلك , فالعدالة في الجزاء نعمة إلهية كبرى , يعجز عنها الإنسان و لا يحققها إلا إله) (1723)...

الأنموذج الثاني :

(وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى وَعَزَّتْكَ وَلَكِنْ لَأَغْنِي بِي عَنْ بَرَكَتِكَ ..) (1724).

يعالج هذا الحديث القدسي مسألة (فضل الكفاف على الفقر) (1725) لأن النبي أيوب عليه السلام لم يعمد إلى أخذ الجراد الذهبي و جمعه في ثوبه بغية الافتخار به بين الناس أو ضمه إلى ما يملك من متاع الحياة الدنيا فيتكأ و يربو و إنما (أخذه ليستعين به فيما لا بد منه) (1726) و هذا يعني أن الله تعالى - وفقا لمقتضيات الربوبية - ما كان ليعطي النبي أيوب (ما ينقص به حظه) (1727) . و على هذا الأساس فموضوع هذا الحديث القدسي يدور - هو كذلك - في فلك تجليات الرحمة الربانية على كل مخلوقاته مهما كانت وظيفتها في الحياة و مركزها ...

1722 - رامي عمر باعطية : روائع الظلال , دار الأمة للنشر و التوزيع , ط4: 2012 م رامي عمر باعطية : روائع

الظلال , دار الأمة للنشر و التوزيع , ط4: 2012 م , ص : 209 .

1723 - سيد قطب : مشاهد القيامة في القرآن , دار الشروق , ط14 : 2002 م , ص : 250 .

1724 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج3 , ص343 .

1725 - المرجع نفسه , ج3 , ص343 .

1726 - المرجع نفسه , ج3 , ص343 .

1727 - المرجع نفسه , ج3 , ص343 .

و إذا أراد الدارس الوقوف على القضية الكبرى التي تتمركز في ثنايا هذا النص القدسي , فالعمل الإجرائي الآتي يأخذ بأيدينا نحو الهدف . إذ بداية يمكن تقسيم النص إلى مجموعة من القضايا تتجلى كما هو مسجل في هذا الرسم البياني :

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْنَثِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى وَعَزَّتْكَ وَلَكِنْ لَأَغْنِي بِي عَنْ بَرَكَتِكَ ..

ق1 = بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا

ق2 = فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ

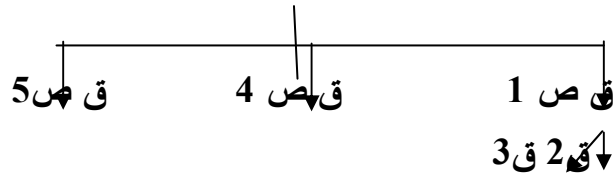
ق3 = فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْنَثِي فِي ثَوْبِهِ

ق4 = فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى

ق5 = قَالَ بَلَى وَعَزَّتْكَ

ق6 = وَلَكِنْ لَأَغْنِي بِي عَنْ بَرَكَتِكَ

ق ك



من خلال الرسم المعروض أعلاه يمكن تسجيل الملاحظات الآتية الموجزة :

- نص الحديث القدسي يتكون من ثلاث قضايا صغرى .
- فالقضية الصغرى (ق ص 1) تحتوي على قضيتين أساسيتين , أما القضية (ق ص 5) تضم إليها قضية واحدة , بينما (ق ص 4) تمثل نفسها فقط .
- كل القضايا الصغرى و ما تفرع عنها من قضايا جزئية تشكل فيما بينها قضية دلالية كبرى و هي : من تجليات الرحمة الربانية بالعباد .
- و لكن إذا أنزل الباحث تطبيقيا القواعد الكبرى على مجموع القضايا و التي يتضمنها الحديث القدسي السالف الذكر نجد :

- قاعدة الحذف : ابتداء ما يلاحظه الدارس - لحظة محاولته تطبيق هذه القاعدة الاستراتيجية في عملية قراء خطاب الحديث القدسي قراءة نصية من منظور (فان دايك) - أن هذه الآلية تفقد فاعليتها و تصبح غير قادرة على أداء وظيفتها الأساسية و هي أن تجتزئ ما يمكن اجتزاؤه من معطيات ثانوية تتمركز داخل النص القدسي , و السبب في ذلك يعود إلى مناعته عن الاستجابة لهذا الاجراء حتى يحافظ على كينونته و بنائه المتكامل و دلالاته الرسالية التي يريد الناص أن يستبقها كما هي واضحة كاملة حية و ديناميكية لتتخطى البيئة الزمانية و المكانية و تأثيراتها لتصل إلى كل متلق كما هي فتقيم عليه الحجة كما قامت على من سبقوه . و مرة أخرى فإن تعطيل قاعدة الحذف في هذه العملية أمام هذا النص المتميز /الحديث القدسي , لا يعني بالضرورة أن باقي القواعد/العمليات التي سماها (فان دايك) القواعد الكبرى من الاختيار - التعميم - الإدماج قد فقدت هي الأخرى مفعولها الإجرائي في مقارنة النص القدسي , و إنما على الدارس أن ينزل القواعد المفهومية على الخطاب/النص بمرونية و حكمة و ألا يلوي عنقه من أجل أن يمارس عليه مقولة أو مفهوما من المفاهيم المعرفية ضاربا عرض الحائط مقتضيات طبيعة النص و مقاصده و ما ينطوي في بنائه على (مضمون شكلي و شكل مضموني غاية في التداخل و التفاعل و الانعكاس)⁽¹⁷²⁸⁾ على نحو يخلق لدى الدارس لونا من التحدي المستمر لفعل التلقي في قدرته على فك الصعوبات و الشيفرات و ملامسة منطلق التالف بين المتناقضات ..

- قاعدة الاختيار : تعمل في ثلاث قضايا (1+4+5) فهي من القضايا المركزية و الضرورية الحضور لتفسير القضايا الأخرى في البنية الكبرى . حيث تحدد القضية (1) موضوع : نعمة الكفاية و القدرة على الفعل و ممارسة مقتضيات الحياة , أما القضية (4) فتتناول مشهدا من مشاهد الرحمة الربانية و هي تتعامل مع واحد من سلوكات عباده التي تبدو غير منسجمة مع منظومة التشريع

1728 - محمد صابر عبيد : مرايا التخيل الشعري , عالم الكتب الحديث , ط1 : 2006 م , ص : 1 .

الرباني ، بينما القضية (5) فتحدد صورة من صور (الحرص على الحلال (1729) المصحوب بحالة النفسية تبينه و تسفر عن قوته و صفائه .

- قاعدة التعميم : عند إعمال قاعدة التعميم في نص الحديث القدسي الثاني بتفعيل آليتي الحذف (حذف معلومات أساسية) و الاستبدال (إحلال محلها قضية جديدة تتضمن مفهوما القضايا القديمة)⁽¹⁷³⁰⁾ , نجد أن القضايا الأساسية التي ستجري عليها هذه القاعدة تتمثل في (1 + 3 + 5) , و عندها نحصل على - مفهوما - على قضية جديدة شاملة هي : نعمة الكفاية في الحياة الدنيا , فالله سبحانه و تعالى هو الذي تكفل بوضع خطة الرحلة الإنسانية للطريق كله في هذه الحياة الدنيا , ف(هو الذي يدرك الطريق كله , و الإنسان محجوب عن رؤية هذه الطريق , بل هو محجوب عن اللحظة التالية , و دونه و دونها ستر مسبل لا يباح لبشر أن يطلع وراءه , فأنى للإنسان أن يضع الخطة لقطع الطريق المجهول ...)(1731).

- قاعدة الإدماج : و تعمل أساسا في القضايا (5+4+1) , بحيث يتولد جراء اندماج تلك القضايا مجتمعة ميلاد القضية الدلالية الكبرى لهذا المشهد و هي : الرحمة الربانية و تجلياتها على العباد , و تسفر هذه القضية الدلالية في الوقت نفسه - من خلال معطيات هذا النص - عن حقيقة (لا يعرفها إلا من ذاقها فعلا ..)(1732) تتمثل في أن القلب المؤمن الذي يمثله هنا النبي أيوب عليه السلام إنما هو (القلب الشاعر بدائع الخلق و التكوين , المدرك لما فيها من روعة باهرة تهز المشاعر و تستجيش الضمائر . و هو يعبر عن إحساسه بروعة الخلق . بالإيمان و العبادة و التسبيح , و الموهوبون من المؤمنين هبة التعبير , قادرون على إبداع ألوان من رائع القول في بدائع الخلق و التكوين , لا يبلغ إليها شاعر لم تمس قلبه شرارة الإيمان المشرق الوضيء)⁽¹⁷³³⁾ كما هو

1729 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج3 , ص343 .

1730 - عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق , ص : 197 .

1731 - رامي عمر باعطية : روائع الظلال , ص : 184 - 185 .

1732 - المرجع نفسه , ص : 336 .

1733 - المرجع نفسه , ص : 338 .

ظاهرة عند الأنبياء و المرسلين ... و بهذا يكون النبي أيوب عليه السلام , و هو يحتثي جرادا من ذهب في ثوبه ثم يقول لله تعالى بعد حوار مركز و جيز :
وَلَكِنْ لَّا غِنَىٰ بِي عَنْ بَرَكَاتِكَ , يكون قد طابق بين الخضوع القهري و الخضوع الاختياري , لأنهما (يتبعان ناموسا واحدا و سلطانا واحدا و حكومة واحدة)
(1734)

الأنموذج الثالث :

(عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيُّنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ) (1735)

يتناول هذا الحديث القدسي قضية من أهم القضايا العقديّة الإسلاميّة و أخطرها , إذ تتمثل في تبين حقيقة الملك و مآله يوم القيامة و إن (كان هناك في الدنيا ملوك قد ملكهم بعض الأمور في الدنيا , فإنه لا ملك و لا سلطان و لا حاكم في الآخرة إلا الله , قال تعالى : (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) (1736) ..) (1737) , كل ذلك بعد أن تزول كل العوامل الدنيوية أمام أعين أولئك الذين حسبوا في لحظة من الزمن أن ما بين أيديهم من متع الحياة الدنيا هو ملك لهم ملكا مطلقا .

إن هذه الوضعية التصورية كثيرا ما كانت حائلا دون رؤية هذه المسألة الخطيرة رؤية علمية واضحة , و هي موسومة بالخطورة لأنه (عندما يتعلق الأمر أو النهي بقاعدة من قواعد التصور الإيماني , أي بمسألة اعتقادية , فإن الإسلام يقضي فيه قضاء حاسما منذ اللحظة الأولى , و لكن عندما يتعلق الأمر أو النهي بعادة أو تقليد , أو بوضع اجتماعي معقد , فإن الإسلام يتريث به و يأخذ المسألة باليسر و الرفق و التدرج , و يهيئ الظروف الواقعية التي تيسر

1734 - رامي عمر باعطية : روائع الظلال , ص : 181 .

1735 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 19 , ص : 207 .

1736 - سورة غافر , الآية : 16 .

1737 - محمد متولي الشعراوي : الأحاديث القدسية , ص : 345 .

التنفيذ و الطاعة)⁽¹⁷³⁸⁾ , و من ثمة بات من الضروري أن ينظر إلى هذا الدين على أنه (جد لا يحتمل الهزل , و حزم لا يحتمل التميع , و حق في كل نص فيه و في كل كلمة ... فمن لم يجد في نفسه هذا الجد و هذا الحزم و هذه الثقة فما أغنى هذا الدين عنه , و الله غني عن العالمين)⁽¹⁷³⁹⁾ , بهذه الجدية يتحقق التصور الصحيح لحقيقة الملك و الملكية لدى المتلقي يجعله يقضي مرحلة حياته في الدنيا و هو يتفاعل مع مقتضيات الرسالة في انسجامية كلية و توافق أنموذجي مع كل ألوان التحديات التي تعترضه و تواجهه , مما يجعله يمارس مقاصد الإسلام ممارسة فاعلة و ايجابية فلقد (جاء الإسلام ليسوي بين الرؤوس أما الله . فلا تفاضل بينها بمال و لا نسب و لا جاه . فهذه قيم زائفة , و قيم زائلة . إنما التفاضل بمكانها عند الله , و مكانها عند الله يوزن بقدر اتجاهها إليه و تجردها له . و ما عدا هذا فهو الهوى و السفه و البطلان)⁽¹⁷⁴⁰⁾ .

لا بد أن يعرف الإنسان أن اليوم الذي لا تكون فيه الملكية الدائمة القادرة لأي أحد إلا الله تعالى هو آت لا ريب فيه , إلا أن (و ما يريد الله - سبحانه - من عباده أن يقرؤا له بالعبودية , و أن يعبدوه وحده , لأنه بحاجة إلى عبوديتهم و عبادتهم , و لا لأنها تزيد في ملكه تعالى أو تنقص منه . ولكنه يريد لهم أن يعرفوا حقيقة الألوهية و حقيقة العبودية , لتصح تصوراتهم و مشاعرهم , كما تصح حياتهم و أوضاعهم . فما يمكن أن تستقر التصورات و المشاعر , و لا أن تستقر الحياة و الأوضاع , على أساس سليم و قويم , إلا بهذه المعرفة و ما يتبعها من إقرار , و ما يتبع الإقرار من آثار .. يريد الله - سبحانه - أن تستقر هذه الحقيقة بجوانبها التي بينها في نفوس الناس و

1738 - رامي عمر باعطية : روائع الظلال , ص : 29 .

1739 - المرجع نفسه , ص : 21 .

1740 - المرجع نفسه , ص : 21 - 22 .

حياتهم . ليخرجوا من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده , ليعرفوا من صاحب السلطان في هذا الكون و في هذه الأرض , (1741) .
 و لكن الآن إذا أنزل الباحث تطبيقيا القواعد الكبرى على مجموع القضايا و التي يتضمنها الحديث القدسي السالف الذكر , لا بد أن ينطلق من المعطيات الآتية :

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ .)¹⁷⁴² .

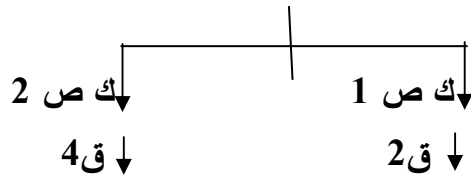
ق1 = قَالَ يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

ق2 = وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ

ق3 = ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ

ق4 = أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ .

ق ك



من خلال الرسم المعروض أعلاه يمكن تسجيل الملاحظات الآتية الموجزة :

- نص الحديث القدسي يتكون من قضيتين صغيرين .
- فالقضية الصغرى (ق ص1) تحتوي على قضية جزئية واحدة , كما أن القضية (ق ص 3) تضم إليها قضية واحدة .
- كل القضايا الصغرى و ما تفرع عنها من قضايا جزئية تشكل فيما بينها قضية دلالية كبرى و هي : حقيقة الملك و مآله يوم القيامة .
- قاعدة الحذف : هذا الحديث القدسي يتسم بالإيجاز . معلوماته كلها ضرورية الحضور و مهمة في تشكيل الصورة الدلالية الكاملة التي يريد الحديث أن يوصلها لدى المتلقي . فقبض الأرض شيئاً و طي السماء مسألة أخرى فـ(

¹⁷⁴¹ - رامي عمر باعظية : روائع الظلال , ص : 50 .

¹⁷⁴² - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج25 , ص 160 .

الأرض هي الملك الأسفل الذي نراه , و ما فيه من أقوات و حيوان و إنسان . و السماء ما تحتوي و تضم من الملكوت الأعلى) (1743) . كل ذلك جميعا (لله ملكا و ملكا , فهو - سبحانه - الذي يملك كل شيء , و يملك كذلك المالك للشيء) (1744) .

- قاعدة الاختيار : تشمل هذه القاعدة قضيتين رئيسيتين (1 + 3) , فهما يمثلان القضايا المحورية و الضرورية الحضور لتشكيل معالم صورة البنية الكبرى و تفسير القضايا الأخرى التابعة لها . إذ تحدد القضية (1) موضوع : الهيمنة الربانية المطلق على كل شيء , معنى ذلك أن ما عند الناس ما هو إلا ملكية و ملك ظاهر لأنه (ملك ليس نابعا من ذاتية من يملك , و لكنه نابع من أمر الله , و لو كان نابعا من ذاتية من يملك لبقى له و لم ينزع منه) (1745) , أما القضية (3) فتتناول مشهدا من مشاهد الربوبية والألوهية و هي تخاطب كل الخلق مؤكدة لهم أن (كل حركة من حركات منهج السماء قائمة على أساس ذلك اليوم الذي لن يفلت منه أحد , و الذي يجب علينا جميعا أن نستعد له) (1746) .

- قاعدة التعميم : عندما يواجه نص الحديث القدسي الثالث هذه القاعدة , و ذلك بموضوعة قضية جدية شاملة تحتوي ضمنا و مفهوميا كل قضاياها و المعلوماته , يجد الدارس أن القضايا الأساسية التي ستجري عليها هذه القاعدة تتمثل في (1 + 3) , و عندها يحصل على - مفهوميا - على قضية كلية هي : حقيقة الملك و مآله يوم القيامة , إذ (سيأتي يوم لا تكون فيه أي ملكية لأي أحد إلا الله , و هو المالك الوحيد ..) (1747) . و بهذا حينما يقول الله تعالى على لسان نبيه محمد - صلى الله عليه و سلم - : (أَنَا الْمَلِكُ أَيَّنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ) فهو يتوجه بخطابه المقتضب هذا إلى كل المخلوقات من دون استثناء يوم القيامة , و أما في الحياة الدنيا فهو يستهدف مباشرة (الكينونة البشرية بجملتها , فلا يخاطب

1743 - محمد متولي الشعراوي : الأحاديث القدسية , ص : 347 .

1744 - المرجع نفسه , ص : 347 .

1745 - المرجع نفسه , ص : 349 .

1746 - المرجع نفسه , ص : 352 .

1747 - المرجع نفسه , ص : 344 .

ذهنها المجرد مرة , و قلبها الشاعر مرة , و حسها المتوفر مرة , و لكنه يخاطبها جملة , و يخاطبها من أقصر طريق , و يطرق كل أجهزة الاستقبال و التلقي فيها مرة واحدة كلما خاطبها .. و ينشئ فيها بهذا الخطاب تصورات و تأثيرات و انطباعات لحقائق الوجود كلها , لا تملك وسيلة أخرى من الوسائل التي زاولها البشر في تاريخهم كله أن تنشئها بهذا العمق , و بهذا الشمول , و بهذه الدقة و هذا الوضوح , و بهذه الطريقة و هذا الأسلوب أيضا ..(1748) .

- قاعدة الإدماج : أما هذه القاعدة فهي عاملة أساسا في مجموع القضايا التي يتضمنها نص الحديث القدسي الثالث , بحيث تتضام فيما بينها و تندمج فيتولد كل ذلك ميلاد القضية الدلالية الكبرى لهذا المشهد و هي : ليس هناك من له ملك بذاته يتصرف فيه وحده إلا الله تعالى . (الله تبارك و تعالى يريد أن يطمئن عباده أنهم إذا كانوا قد ابتلوا بمالك أو ملك يطغى عليهم , فيوم القيامة لا مالك و لا ملك إلا الله جل جلاله . فالحق سبحانه يطمئن عباده أنهم إذا أصابهم ظلم في الدنيا , فإن هناك يوما لا ظلم فيه , و هذا اليوم الأمر فيه لله وحده بدون أسباب , فكل إنسان لو لم يدركه العدل و القصاص في الدنيا فإن الآخرة تنتظره ...)(1749) . إن ما يلامسه الدارس وهو يتعاطى مع خطاب الحديث القدسي عامة و هذا الحديث القدسي خاصة لا بد أن يستشعر حقيقة لا يمكن أن يغفلها أن يمر عليها مرورا عابرا , و ذلك لما تمارسه عليه من ضغط و استفزاز , هذه الحقيقة تتمثل في أن كل حديث قدسي يعطي قلب المتلقي (بمقدار ما في هذا القلب من حساسية و تفتح و إشراق , و بقدر ما يقبل عليه في حب و تطلع و إعزاز . إنه كائن حي يعاطف القلوب الصديقة , و يجاوب المشاعر المتوجهة إليه بالرفرفة و الحنين)(1750) .

و من مجموع تلك القضايا الدلالية التي تعبر عن الموضوعات المختلفة الخاصة بكل حديث قدسي . يمكن الوصول إلى البنية الدلالية الكبرى للنص

1748 - رامي عمر باعظية : روائع الظلال , ص : 67 .

1749 - محمد متولي الشعراوي : الأحاديث القدسية , ص : 350 - 351 .

1750 - رامي عمر باعظية : روائع الظلال , ص : 73 .

القدسي من خلال تطبيق قاعدة الإدماج , فتنشأ القضية الدلالية الكبرى للنص و هي : الخوف من الوقوف بين يدي الله تعالى يوم القيامة و الرجاء في عفوه و عطائه . هذه الدلالة الشاملة الأخيرة إنما تشكل في الأساس المعنى الشمولي لخطاب كل الأحاديث القدسية و كما تمثل نواته الموضوعية إحدى القيم التي تعطي للزمن في حس المتلقي/المؤمن (انسجامه و اكتماله و تفاعل بين ماض يتجدد , و حاضر عابر و مستقبل مفتوح إلى الأبد ...) (1751) , كما يعد هذا المعنى/النواة طرفا مفصليا من المعنى الاتصالي للنص القدسي , مما يدفع بالدارس إلى محاولة الوقوف , قدر ما تسمح به طبيعة البحث و مقاصده الأساس , أمام المعنى الاتصالي للنص القدسي من الزاوية التداولية .

المعنى الاتصالي للحديث القدسي

مهما كان نوع النص التواصلي اللغوي المتبادل بين الأطراف الفاعلة في صناعة السلوك التخاطب , فهو لا يخرج عن كونه نظاما متميزا (باعتباره قادرا على وصف الأنظمة السيميائية الأخرى ولأنه النظام الذي يوفر حصادا أوفر و أثرى على مستوى توليد الدلالة و إمكانيات التأويل ..) (1752) . فهو لا شك يحمل في طياته معنى قائما بذاته , يسفر عن نفسه لحظة احتكاكه بقراءة ايجابية و متلق حصيف خاصة (عندما يتم انتاج نص لا لأجل مخاطبة مفرد بل لأجل جمهور من القراء , فإن المؤلف يعرف أنه ... سيؤول لا بحسب مقاصده ... و لكن بحسب استراتيجية معقدة من التفاعلات التي تتضمن أيضا القراء ...) (1753) . و على الرغم من ذلك يعد هذا المعطى بعدا جزئيا من الأبعاد الدلالية الكبرى للخطاب/النص , لأنه يعد من الأبعاد الضرورية في تشكيل الدلالة الكلية للخطاب/النص و الوقوف على المعنى الاتصالي له . فالتركيز على نص الحديث

1751 - المهدي المنجرة : قيمة القيم , المركز الثقافي العربي , ط2 : 2007 م , ص : 13 .

1752 - أمبرتو إيكو : السيميائية و فلسفة اللغة , ترجمة أحمد الصمعي , مركز دراسات الوحدة العربية , ط1 : 2005

م , ص : 17 .

1753 - أمبرتو إيكو : التأويل و التأويل المفرط , ترجمة ناصر الحلواني , مركز الإنماء الحضاري , ط1 : 2009 م ,

ص : 86 .

القدسي باعتباره المصدر الأساسي للمعنى ، و إغفال - تحليليا - دور العناصر غير اللغوية و ظروف التخاطب الاجتماعية و الثقافية و التاريخية ... في عملية التواصل و التي من بينها : الناص و المتلقي و الزمان و المكان ... يؤدي و لا شك إلى نتائج مضطربة معرفيا و غير موضوعية تتحكم فيها الذائقة و الارتجالية .

. و لهذا ينبغي التأكيد في البداية على أن الوحدات الكلامية للغة الطبيعية ليست مجرد متتالية من صنع الكلمات ، و إنما هناك مكونات غير كلامية تمثل (الاتفاقات الثقافية التي أنتجتها هذه اللغة و التاريخ الخاص للتأويلات السابقة للعديد من النصوص ، و فهم النص الذي ينشغل القارئ بقراءته) (1754) ، تفرض نفسها دائما فوق المكون الكلامي في كل وحدة كلامية تواصلية ، كل ذلك هو حصيلة تجربة تلك المعايير التي تتشكل عبر البعد المعرفي باعتباره غاية للوصول إلى المثبات والأهداف المخطط لها. و لهذا تعد هذه المميزات غير الكلامية للوحدة الكلامية التواصلية مهمة في تحديد المعاني و الدلالات القادرة على استمرارية الخطاب بين أطرافه الأساسية إلى أن يحقق أهدافه التواصلية في المكون الكلامي.

إن هذه العناصر التي تشي موضوعيا بكون الخطاب/النص إنما هو وليد تفاعلات متعددة ، منها تفاعله مع السياق الذي يسهم بقسط كبير في نجاح عملية بناء التصور الذهني الكلي لعملية تواصل النص القدسي مع مختلف السياقات المحيطة به ثقافية و تاريخية و نفسية مصاحبة له ، و ذلك من خلال ما يعرضه النص القدسي من معلومات و معطيات ، مما يومية بفضل تلك البنية التصورية في ربط الخطاب القدسي بالسياق عامة الكاشفة عن مدى تفاعل المحتوى الدلالي للنص القدسي و ملاءمته للغرض التواصلية الذي تواجهه من أجله .

النص القدسي يعد من النصوص التي تقدم للمتلقي بعض المفاتيح التي ترشده إلى المعنى الاتصالي للنص ، إنها تقوم بـ (إجراء تبادلي صعب بين

1754 - أمبرتو إيكو : التأويل و التأويل المفرد ، ص : 86 .

كفاءة القارئ (العالم المعرفي للقارئ) و نوع الكفاءة التي يفترضها النص المعطى لكي تتم قراءته (1755) قراءة ايجابية فاعلة تخترق (السياج اللغوي للنص) (1756) , و انطلاق من هذا فإن معظم الأحاديث القدسية - إن لم نقل كلها - تحتوي على بداية جمالية تعد من أبرز الوسائل الاجرائية التي تهئ القارئ/المتلقي لبناء المعنى الاتصالي للنص . لهذا فإن اختيار الناص لهذه الجملة أو تلك في بداية الحديث القدسي يقدم للمتلقي دلالة تفاعل النص مع البيئة السياقية الثقافية من خلال قصد المساندة مع النصوص الشرعية الأخرى القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف , و ذلك في ظل المعرفة الخلفية للمتلقي للاختلاف التكاملي بين القرآن و الحديث النبوي و الحديث القدسي , و من ثمة يسهم الناص في إنشاء نص تواصلتي مرتبط بالسياق الثقافي كل ذلك يشكل أحد الجوانب الأساسية للمعنى الاتصالي للنص القدسي و قصد الناص إلى جعل الحديث القدسي متميزا عن النصوص التشريعية الأخرى و لكن في إطار التكامل و التواشج لأن (الأشياء التي يقولها النص لا تنكشف عبر قراءة ساذجة و إنما عبر سبر أغوار انبائه و انتظامه) (1757) .

إن تفاعل النص القدسي مع السياق لا يقتصر في الجانب الثقافي فقط , و إنما يتعداه إلى ربط النص القدسي بالسياق التاريخي في مرحلة البعثة المحمدية , و كذا السياق النفسي ... و ما ينشأ عن هذا التفاعل السياقي من محاولة الكشف عن الخصوصيات التعبيرية و الميزات الأسلوبية الجمالية لنص الحديث القدسي عامة , و الذي أساسا (يعتمد على اللغة , و اللغة تحمل ثقافة البيئة , أي ثقافة الناس و تصوراتهم الحاضرة و الماضية , و بالتالي يصبح النص مرتعا لهذه الثقافة ... لكن ذلك لا يجعل منه بالضرورة أداة استهلاك للنصوص دون اعطائها المعاني الجديدة , إذ مع أن الكلمات قد يحافظ كل منها على المعنى المتداول ثقافيا , لكن بارتباطها ضمن الشبكة السياقية يمكن للنص أن يعطي دلالة و مفهوما جديدا غير مألوف للثقافة

1755 - أمبرتو إيكو : التأويل و التأويل المفرد , ص : 86 .

1756 حسن بن حسن : النظرية التأويلية عند ريكور , دار تينمل للطباعة و النشر , ط 1 : 1992 . ص : 45 .

1757 - المرجع نفسه , ص : 48 .

المتداولة ...)(1758) . إلا أنه يعد من الخطأ حصر مقارنة النص القدسي في الغاية التحسينية الجمالية ، و اعتبارها المنطلق - الوحيد - الذي ينطلق منه في عمليات التحليل و الوصف ، وليس هذا الخطأ إلا نتيجة من نتائج الخلط بين المنطلقات النظرية لتحليل الشعر والمنطلقات النظرية لتحليل الحديث القدسي ، فإن هذا الخطأ لا يمثل فقط اجترار على خصوصية الخطاب القدسي ، بل إنه ليمثل قصوراً معرفياً عاماً وجذرياً في فهم أبعاد الأسلوبية بشكل كلىّ، وهذا الصنيع ينطلق فيه الدارسون متعجلين تحيط بهم نزعة المجهود الأدنى فيجتروون على درس ما يزال بحاجة إلى جهود باحثين مخلصين لسبر أغواره وكيف يظن إنسان أن صناعة الأسلوبية يتأتى تحصيلها في الزمن القريب، وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استفاد الأعمار ، وإذا كانت البلاغة تحتاج إلى هذه الجهود فإن الخطاب القدسي موضوع الدراسة بحاجة مضاعفة إلى تمثيل خصوصيات ظواهره، وتمثّل آليات معالجته ، إذ (لا مناص ، عند اقتحامنا لفضاء التأويل ... من التمييز الدقيق بين مختلف أنماط القراءة و المقاربة ، و على غير هذا الوجه يتولد عندنا الإطباع بأننا إزاء حوار مستمر للصم . فما من نمط للقراءة ، و بالتالي للتأويل ، إلا و يخدم أهدافا مختلفة ، و ينطلق من مقتضيات ليست متميزة فحسب ، بل متعارضة في الغالب)(1759).

في ظل المعرفة المسبقة بالحيثيات التاريخية في مرحلة البعثة المحمدية ، و الصراع القائم بين أنصار التوحيد و أنصار الشرك للسيطرة على مقاليد الحياة ، ثم انهيار النظام الشركي و منظومته المؤسسة له و مؤسساته و بنائه الاجتماعي و سقوط كل الزعامات القبليّة فيما بعد ... نجد مجموعة من الروابط تعكس تفاعل النص القدسي مع السياق التاريخي لتمييزه على (أساس الإستراتيجية النصية)(1760) التي يقوم على أرضيتها . و من هذه الروابط اختيار الناص نموذج (نبي من أولي العزم نوح) و هو نموذج نبوي/إنساني ناجح في إتقان الوظيفة التي كلفه الله تعالى بأدائها في النص القدسي الآتي : يبين فضل محمد صلى الله عليه و سلم أمته على سائر الأمم الرسالية الأخرى و موقها الخطير يوم الفصل بين الناس يوم القيامة و ضرورة استشعار هذه المسؤولية الخطيرة من قبل أتباع محمد صلى الله عليه و سلم في زمان و مكان (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجِيءُ نُوحٌ

1758 - يحي محمد : منطوق فهم النص ، ص : 22 .

1759 - بول ريكور : الانتقاد و الاعتقاد ، ترجمة حسن العمراني ، دار توبقال للنشر ، ط 1 : 2011 م ، ص : 58 .

1760 - أمبرتو إيكو : التأويل و التأويل المفرط ، ص : 88 .

وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى هَلْ بَلَغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَغَكُمْ فَيَقُولُونَ لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيِّ فَيَقُولُ نُوْحٍ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (1761).

كما أن الأ نموذج الإنساني المنحرف الغافل عن الوظيفة الرسالة المستخلف عليها من تعاليم الإسلام و مقتضيات الشريعة يعيش موقفاً شديداً التآزم عميق الأحران , على نحو ما يمثله الحديث القدسي الآتي : (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَنِي بِهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صَلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي فَأَبَيْتَ إِلَّا الشَّرْكَ) (1762) , و على نحو ما نجده في (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيَحْتَنُونَ عَنْهُ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى) (1763) مما يصور الحالة الشعورية على المستوى الفردي أو الجماعي للمسلمين وقتئذ و ما يضمرونه من مواقف نفسية مؤسسة تجاه الانحرافات المتنوعة عن مبادئ الإسلام و مفاهيمه , خاصة بعد انهيار سلطان المشركين و علو شأن الإسلام و المسلمين ...

و قد تولد عن هذه الشبكة التفاعلية بين السياق التاريخي و النص القدسي مجموعة من الخصائص التي ميزت الخطاب/النص القدسي عن باقي الأفعال التبليغية اللسانية الشرعية و غير الشرعية الأخرى , منها ذلك الاختيار الدقيق من الناص للألفاظ (أهل التوراة - أهل الإنجيل) و الجمل المحكمة (فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا - فَأَعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ) بل حتى كمية المادة اللغوية في كل حديث قدسي مسبوكة بمقدار معلوم (يَقُولُ إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ النَّامِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ الْإِنجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِينَا

1761 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 15 , ص : 302 .

1762 - المرجع نفسه , ج 15 , ص : 294 .

1763 - المرجع نفسه , ج 23 , ص : 217 .

الْقُرْآنَ فَعَمِنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأَعْطَيْنَا قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ فَقَالَ أَهْلُ
الْكِتَابِينَ أَيُّ رَبَّنَا أَعْطَيْتَ هَوْلَاءِ قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا
وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا
لَا قَالَ فَهُوَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ (1764). كما انتشر في كل الأحاديث القدسية
شعور يتلقاه القارئ موحد ، و هو عبارة عن خاصية أخرى مميزة ، يتمثل في
سيطرة إحساس حتمية اللقاء الأخروي بين الإنسان و ربه ، و ضرورة تموقعه
بين واحد من الموقفين الذي لا ثالث لهما ، إما موقف الرضا و المسامحة من
قبل الله تعالى تجاه عبده ، أو موقف الغضب و المحاسبة ، قال صلى الله عليه و
سلم (إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا
أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ
قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا
الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الشَّهَادُ (هَوْلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ
عَلَى الظَّالِمِينَ) (1765) (1766) ، كما قال عليه الصلاة و السلام (قَالَ اللَّهُ ثَلَاثَةٌ
أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ
اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ) (1767) . هذه الخاصية التي تميزت
بها كل الأحاديث القدسية قد انعكس تأثيرها على الأداء الأسلوبي في عالم البناء
الشكلي للحديث القدسي و على مستوى العالم الخارجي /التاريخي و حركية
التغيير الجذري في بنية المجتمع الإنساني العربي زمانئذ

إن الأحاديث القدسية بكل تجلياتها إنما يمكن اعتبارها جوامع الكلم بكل ما لها
من خصوصية، وبكل ما تستوجب من تمييز في بحثها وتحليلها، فإن التحسين
متحقق، ولكنه هنا يكتسب جماله من الدقة والإتقان والإحكام، وليس من الإغراق
في المبالغات والخيال، لأن هذه الظواهر لا تُسرف في المبالغة والخيال، ولكن

1764 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 6 ، ص : 117 .

1765 - سورة هود ، الآية : 18 .

1766 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 12 ، ص : 403 .

1767 - المرجع نفسه ، ج 11 ، ص : 59 .

الخيال يأتي هنا محكماً في اقتصاره على إثارة تصورات ذهنية عند المتلقي تعين على تصور أمور غيبية فيما يتعلق بالجزاء على الأعمال في الآخرة أو التحذير من أمور غيبية في المستقبل في عالم الغيب .

إن الأحداث التاريخية التي شهدتها مرحلة صدر الإسلام انطلاقاً من البعثة المحمدية و التي تمثل لحظة البناء التأسيسي لانطلاقة حضارية شمولية متميزة , و ما صاحبها من هزات عنيفة في مستويات الحياة المختلفة الدينية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية ... أدى كل ذلك - و غيره - إلى اهتمام الناص بقضايا التغيير التأسيسي ذي البعد المستقبلي وفقاً لمقاصد الشريعة الإسلامية الكبرى و انسجاماً مع روح القرآن الكريم , حتى تتجه الوظائف المنوطة بالخطاب الشرعي الإسلامي من عقيدة و أخلاق و معاملات و عبادات ... نحو تعميق البنية التصورية العقدية و تفصيل كليات مقومات الرؤية الإسلامية الشمولية , سواء أكان ذلك متعلقاً بالألوهية أو بالكون أو بالإنسان ... و لذلك فإن نص الحديث القدسي زيادة على كونه يحمل قيمة لغوية متميزة جمالية , فإنه يمثل وثيقة تطبيقية هامة للجانب العقدي تسهم في توضيح مشهديا الصورة المستقبلية للمتلقى و مدافعة الخلفيات الفكرية و العاداتية المتصارعة مع روح الشريعة الإسلامية و مقاصدها الدنيوية و الأخروية , حيث يقدم الخطاب القدسي سلاسل متناسقة و متناغمة من القضايا و المفاهيم و التصورات تعبر كلها على وضوح الرؤية التوحيدية و صفائها مع التأكيد على قيمة لحظة التلاقي بين العبد و ربه و ما يتبعها من حوارات مؤسسة على مطلق الحرية ... على نحو ما نجده في الحديث القدسي (عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابِينَ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءً فَقَالَ مَنْ يَعْمَلْ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلْ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلْ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطِينَ فَأَنْتُمْ هُمْ فَغَضِبْتُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً قَالَ هَلْ نَقَصْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ

قَالُوا لَنَا قَالَ فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ (1768) ، كما نجد التأكيد على لحظة تتجلى فيها بقوة نوعين من نفسيات المتلقين نفسية المحب المطمئن إلى لقاء ربه و نفسية الكاره إلى لقاء ربه ، على المستوى الفردي أو الجماعي و ذلك في الحديث القدسي الآتي (قَالَ اللَّهُ إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ) (1769) و لحظة نفسية الرجاء الفردي و الجماعي في الحديث القدسي الآتي : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ومثل له شجرة ذات ظل فقال أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أكون في ظلها وساق الحديث بنحو حديث ابن مسعود ولم يذكر فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك إلى آخر الحديث وزاد فيه ويذكره الله سل كذا وكذا فإذا انقطعت به الأمانى قال الله هو لك وعشرة أمثاله قال ثم يدخل بيته فتدخل عليه زوجته من الحور العين فتقولان الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك قال فيقول ما أعطي أحد مثل ما أعطيت) (1770) . فكل خطاب قدسي أسلوبية متميزة ، ولكل خطاب قدسي قدرة على أن يقترح على الرؤية المنهجية/التنظيرية من الإضافات والتعديلات ما يحقق لها مزيداً من التألق والحياة؛ فإن دوام الرؤية التنظيرية واستمرارها مرهون بمرونتها ومدى قدرتها على قبول مقترحات النصوص وألوان الخطاب المختلفة وصهرها في منظومتها، نوكد بهذا على ضرورة مراعاة خصوصية المحددات السياقية والعناصر التداولية للخطاب في الحديث القدسي التي لا تتواءم مع كثير من آراء الأسلوبيين التي كانت شائعة إلى أنواع أخرى من الخطاب .

إن الإحساس الذي يولده التفاعل بين نفسية الخوف و نفسية الرجاء ، و هو مما لا شك فيه ، شعور مخالف كل المخالفة لشعور الخوف وحده حينما ينتاب الإنسان أو شعور الرجاء وحده ، المزيج المشاعري المتزن بين الخوف و الرجاء هذا المولود النفسي المتميز جعل الناص - في أسلوبه التعبيري -

1768 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 12 ، ص : 125 .

1769 - المرجع نفسه ، ج 25 ، ص : 244 .

1770 - النووي : شرح صحيح مسلم ، ج 2 ، ص : 317 .

حريصا على دقة اختيار الملفوظات و سلامة النسيج التركيبي و وضوح المعاني و مقاصدها .. مما جعل الكثير من الأحاديث القدسية غير حافلة بالتعبيرات غير المباشرة المجازية التخيلية في وصف المواقف الدلالية المتباينة ظاهرا المتحددة من حيث النواة الدلالية الكبرى و الأهداف المسطرة لهذا اللون من الخطاب الديني الإسلامي , كل ذلك بغية التمهيد المعرفي و النفسي لما سيواجهه العبد أمام خالقه يوم القيامة , فقضية الخوف/الرجاء من تلك اللحظة المصيرية باتت ليست قضية مستقبلية و ذاتية بل أصبحت قضية العصر الذي يعيش فيه الناص/النبي صلى الله عليه و سلم , بل قضية لحظية لكل من تلقى هذا اللون من الخطاب الشرعي القدسي على المستوى الفردي أو الجماعي ... و الهدف من هذا التواصل الشرعي هو إحداث التغيير الايجابي داخل ذاتية المتلقي يحميه من أن ينزل واحدة من هاتين المنزلتين منزلة الإفراط/الرجاء أو منزلة التفريط / الخوف , و لهذا ما خلا نص قدسي من الحرص على التوازن النفسي في تواصله مع المتلقي بحيث يوصل له التبليغ المعتدل المتوازن الجامع في تمازج بين الخوف و الرجاء وفقا لمقومات التصور الاسلامي التي تمثل أساسا مجموع (الحقائق العقيدية الأساسية التي تنشئ في عقل المسلم و قلبه ذلك التصور الخاص للوجود , و ما وراءه من قدرة مبدعة و إرادة مدبرة , و ما يقوم بين هذا الوجود و هذه الإرادة من صلات ارتباطات)⁽¹⁷⁷¹⁾, و قد نجد ذلك مثلا في الحديث القدسي الآتي (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا أعملت من الخير شيئا قال لا قالوا تذكر قال كنت أدين الناس فأمر فتياي أن ينظروا المعسر ويتجاوزوا عن الموسر قال قال الله عز وجل تجوزوا عنه)⁽¹⁷⁷²⁾ .

و من خلال كل ما تقدم يعد نص الحديث القدسي من النصوص اللغوية التبليغية التي لا تكتفي برصد الوقائع الخارجية فقط , بل تعتمد كذلك إلى تصوير موقف الناص فيما يتعلق بموضوع الخطاب و دوره في صناعة تلك الأحداث ...

1771 - سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي , ص : 41 .

1772 - النووي : شرح صحيح مسلم , ج 6 , ص : 69 .

مع الأمل في تغيير هذا الواقع وفقا لمقتضيات الشريعة الإسلامية , على نحو ما نجده في الحديث القدسي (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيفَةَ الطَّائِيُّ قَالَ سَمِعْتُ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا يَشْكُو الْعَيْلَةَ وَالْآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعَيْرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ وَأَمَّا الْعَيْلَةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ ثُمَّ لِيَقْفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجَمَانُ يُتْرَجَمُ لَهُ ثُمَّ لِيَقُولَنَّ لَهُ أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا فَلِيَقُولَنَّ بَلَى ثُمَّ لِيَقُولَنَّ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَلِيَقُولَنَّ بَلَى فَيَنْظُرُ عَن يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَن شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ فَلِيَقْفَنَّ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ) (1773)

انطلاقا مما تقدم عرضه فإن الدارس يجد نفسه أمام جملة من الحقائق الموضوعية , منها أن (كل نص لا بد أن يتضمن بنية شاملة توّطر مفاتيح النص و مغاليقه و تحدد المستوى الأول و الأخير له و ليس من الضروري أن يتضمن النص عدة بنيات , فقد لا يشكل سوى بنية واحدة تمثل البنية الكلية و الكبرى و الوحيدة للنص ..) (1774) , و منها كذلك أن الروابط التي يقدمها نص الحديث القدسي تشير مباشرة إلى آليات التماسك النصي و تفاعلها مع السياق بكل أشكاله الداخلية و الخارجية , فضلا عن أنها تؤسس بهندسية محكمة المعنى الاتصالي للنص القدسي , حيث أنها تعبر عن سياق الخوف و الرجاء و ما يحتويه هذا السياق من أشكال و مظاهر تجسدية على المستوى الفردي و الجماعي . كما يمكن استخلاص أيضا حقيقة موضوعية آخر يمتاز بها نص الحديث القدسي و المتمثلة في اتحاد المعنى الاتصالي مع البنية الدلالية الكبرى/معنى النص في ذاته , مما ساهم إلى حد بعيد في توضيح صورة البنية الدلالية الكبرى للأحاديث القدسية كلها و بحيث يمكن التعبير عنها بالقضية

1773 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 8 , ص : 393 .

1774- صبحي الطعان : بنية النص الكبرى , ص : 436 .

الكبرى الآتية : خوف العبد و رجاءه من لحظة الوقوف يدي الله تعالى يوم
القيامة

السياق في الحديث القدسي

يُعد بحث العلاقات السياقية من المرتكزات المهمة في الكشف عن طرق البناء النصي اللغوي التواصلي . و لهذا السبب و غيره انشغل عدد كبير من الباحثين في علم اللغة النصي أو لسانيات النص، في بحث أدوات بناء النص، و اتساقه و انسجامه، منهم: فان ديك، و روبرت دي بوجراند، و درسلر، ..، إذ حاولوا جميعاً الكشف عن العلاقات النصية ؛ لأنها هي التي تدعم البنية النصية، التي تقوم على التماسك و الانسجام؛ نظراً لأهميتها في تحقيق ما اصطالحوا على تسميته (الكفاءة النصية) (1775). و الأحاديث القدسية تتضمن مجموعة من النماذج الوظيفية للعلاقات السياقية بطريقة ملفتة للنظر و متميزة، كما أن الطرح الأسلوبي داخل نص الحديث فيه تميّز و فرادة، يُضاف إلى ذلك تمييز أدوات التواصل و الإقناع أيضاً . فالسياق هو قدرة أو قوة تربط النص بالعوامل المشكلة له ، تربطه بالمعارف المكوّنة له، فلا ينحصر بالجمال المتتابعة داخل نطاق النص فحسب، فهو العلاقة التي تفسّر و تعزز الجانب الاتصالي للنص ، إنه (الطريقة التي يعبر بها المبدع عن القيمة محور التجربة ، سواء أكانت هذه الطريقة منطلقة من الارتباط بالقيمة و استدعائها تشكيلا معينا ، أم منطلقة من التشكيل لاحتوائه على قيمة لها أبعاد خاصة) (1776) .

عندما ينظر الدارس إلى كل نص من نصوص الحديث القدسي من زاوية الرؤية السياقية الشمولية يلاحظ - أولاً - أن النص و السياق كلاهما متمم للآخر و مفترض مسبقاً له ، و بالتالي ف(السياقات .. يتم تكوينها و تحويلها و تعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون و الكتاب في مواقف معينة) (1777) ، و يلامس - ثانياً - أن هناك مجموعة من القضايا السياقية المثيرة للانتباه تقتضي منه أن يقف و قفة تأملية علمية تجاهها . منها - أساساً - أن هذا الخطاب اللغوي

1775 - روبرت دي بوجراند : النص و الخطاب و الإجراء ، ص : 299 .

1776 - محمود محمد عيسى : السياق الأدبي دراسة نقدية تطبيقية ، جامعة المنصورة - كلية التربية بضمياط ، 2004

م ص : 06 .

1777 - جون لاينز : اللغة و المعنى و السياق ، ص : 215 .

المتميز/الحديث القدسي يتواجد مغموسا كله في الظاهرة السياقية إلى حد بعيد و بكل تجلياتها المختلفة , هذه الأنواع السياقية التي يسبح في فضائها خطاب الحديث القدسي تقسم إلى ثلاثة أنواع رئيسة : السياق القبلي و السياق المصاحب و السياق البعدي . و مثالنا على ذلك نص هذا الحديث القدسي : (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ قَالَ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ) (1778) . فهذا النص القدسي بسنده/العنعنة (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ كَيْسَانَ ...) يشير إلى السياق القبلي , و بينائه المتني/الرسالة النصية (فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ) (1779) يؤسس للسياق الداخلي , بينما مقاصده و أهدافه المختلفة العقديّة و الخلقية و التشريعية (..مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ..) (1780) ... تصنع السياق البعدي , لأن النص - مهما كان نوعه - ليس نفسه في نقطتي البث و التلقي , (و السبب في هذا التفاوت قائم على أساس الاختلاف بين السياقين . إن السياق الأصلي فالت مرة و إلى الأبد و لا سبيل إلى ادعاء إعادة بنائه , كل ما نقوم به في هذا الشأن هو محاولات و افتراضات تقريبية , و لا يمكن الاطمئنان التام , مهما علا كعب الباحث , إلى كون هذا السياق الذي تم بناؤه و ترميمه هو عينه السياق الأصلي) (1781) .

فكل نوع سياقي مما تقدم يملك قابلية التأثير و التأثير بالأنواع السياقية الأخرى المتواجدة في النص , كل ذلك في إطار الموقعية المركزية التي يتواجد فيها الحديث القدسي و التي تؤهله لأن يتماهى مع تفاعلات الأنواع السياقية السالفة الذكر . و من جانب آخر فإن اتساقية الحديث القدسي لا تنفك عن ضرورة إمام المتلقي بحديثيات

1778 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج6 , ص : 195 .

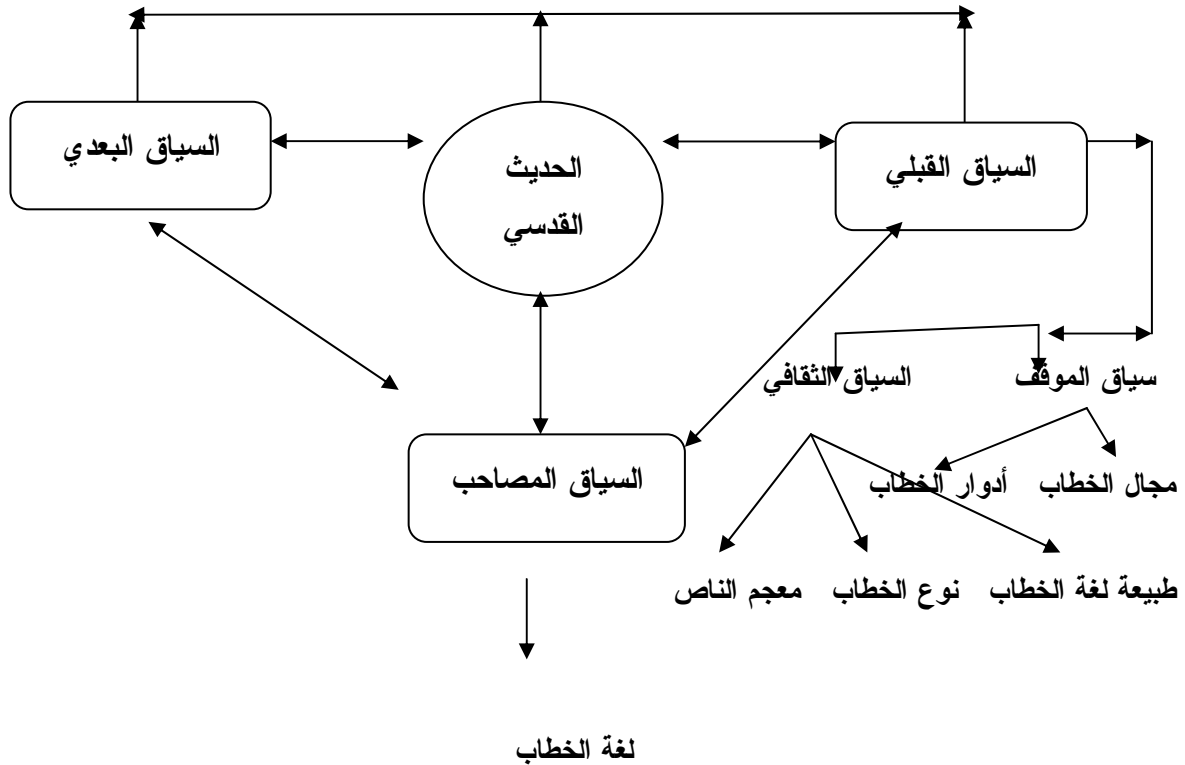
1779 - المرجع نفسه, ج6 , ص : 195 .

1780 - المرجع نفسه, ج6 , ص : 195 .

1781 - محمد الولي : السياق .. إشكالية قديمة في أضواء جديدة , الإحياء مجلة فصلية تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء , العدد : 25 , جمادى الثانية 1428 هـ/يونيو 2007 م , ص : 65 .

السياقات الثلاث حتى لا ينحرف في تأويله عن بنية دلالاته الكلية و مقاصدها . و الرسم البياني الآتي يوضح هذا التصور و يؤكدده :

أنواع السياق في الحديث القدسي



ما يلاحظه الباحث , و هو يقرأ هذه الخطاطة , أن كل نوع سياقي متفاعل مباشرة مع النص القدسي و يصب فيه , و في الوقت نفسه متواشج علائقيا مع بقية الأشكال السياقية الأخرى , مشكلين من خلال كل ذلك شبكة مترابطة من العلاقات المحكمة النسج تعطي للخطاب القدسي شخصية متميزة قائمة بذاتها (ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ)⁽¹⁷⁸²⁾, مما يؤسس لنصية الخطاب القدسي و وحدته و تماسكه . و ما يأتي تفصيل لذلك .

1782 - عبد الرحمن بودرع : منهج السياق في فهم النص , كتاب الأمة , وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية , العدد 111 , قطر , ط 1 : 2007 م , ص : 27 .

1 - السياق القبلي

أ - سياق الموقف

النص التواصلي اللغوي (توال من الحالات و التي بعدها)⁽¹⁷⁸³⁾ تحكمها روابط دلالية وفقا لوجود لون من السياق يمكن تسميته سياق الموقف الذي يعتبر في الدرس اللغوي الحديث بيئة غير لغوية تتفاعل فيها (مجموعة من المرتكزات و التوقعات و المعارف)⁽¹⁷⁸⁴⁾ تتخلق فيها الظاهرة اللسانية , و لهذا فإن خطاب/نص الحديث القدسي قد أنتج وسط الأحداث و الظروف و الملابس الموقفية , لا يمكن أن يستمر وجوده الايجابي و الطبيعي إلا إذا كان مصاحبا بالمحيط و البيئة التي ولد فيها , لأنه (مما لا شك فيه أن للمعاني التي يريد المرء قيودا , و لكن هذه القيود تضمن إمكانية مشاركة المعنى بين)⁽¹⁷⁸⁵⁾ المرسل و المتلقي معا . حتى أنه لا يمكن أن تفهم الكثير من كلمات النص القدسي و جملة بل و دلالاته الكلية وفقا لما أراده النبي صلى الله عليه و سلم و اقتضته الشريعة الإسلامية إلا بالرجوع إلى الخبرة الفعلية و رصد مظاهر الواقع الذي تستمد منه كل مكونات النص الشكلية وجودها و حضورها , لأن تحديد المعنى (يعتمد على الخبرة السابقة و الأعراف التي يتعلمها المرء)⁽¹⁷⁸⁶⁾ . و على هذا الأساس فإن الموقف الاتصالي الذي احتضن ميلاد خطاب الحديث القدسي بكل عناصره الفاعلة : مرسل و مرسل إليه و العلاقة القائمة بينهما و زمان و مكان الخطاب القدسي و الملابس الاجتماعية و الظروف السياسية و الثقافية و الدينية ... كل هذه العناصر المشكلة للموقف التواصلي ضرورية الحضور في التعاطي المثمر مع نص الحديث القدسي مهما كان حجمه و موضوعه . و بهذا نكون قد وضعنا (البنية اللفظية في إطار السياق)⁽¹⁷⁸⁷⁾ الذي يحيط بالنص القدسي .

1783 - روبرت دي بوجراند : النص و الخطاب و الإجراء , ص : 92 .

1784 - المرجع نفسه , ص : 91 .

1785 - مليم راي : المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية , ترجمة : يونيل يوسف عزيز , دار المأمون للترجمة و النشر ط 1 : 1987 . ص : 105 .

1786 - المرجع نفسه , ص : 106 .

1787 - حسام أحمد فرج : نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري , ص : 25 .

و عند الحديث عن سياق الموقف في الحديث القدسي يمكن أن نعالج في إطاره نقطتين هامتين هما: مجال الخطاب و أدوار الخطاب ...

1 - مجال الخطاب القدسي

لا ينطلق خطاب الحديث القدسي من فراغ أو منطلقات وهمية و إنما يتأسس من خلال مجموعة من أحداث ذات طبيعة مميزة تشير إلى تلك العناصر التكوينية في العملية الاتصالية . و هيمنة هذا المعطى السياقي / حقل الخطاب تتجلى من خلال ما يصنعه من حقول دلالية خاصة تحتوي على مجموعة من العناصر اللغوية الأكثر شيوعا و المتحركة حول محور دلالي واحد .

و قد استقرت نصوص الحديث القدسي - على تنوع أحجامها و مواضيعها - حول مجموعة من مجالات الخطاب التواصلي شكلت بذلك أغراض تلك الأحاديث القدسية , فهناك أحاديث قدسية للشكر/ (عطاء الذاكرين)⁽¹⁷⁸⁸⁾ و أخرى للذم / (شتمني ابن آدم)⁽¹⁷⁸⁹⁾ و بعضها طلب العفو/ (غفرت له و لا أبالي)⁽¹⁷⁹⁰⁾ و تجديد العهد / (أين ملوك الأرض)⁽¹⁷⁹¹⁾ و هكذا دواليك ... هذه الأغراض / الحقول تستمد مصداقيتها من خلال الطبيعة المميزة للمجتمع العربي قبل البعثة المحمدية و أثناءها , أي كل المرحلة التاريخية التي عاش فيها النبي صلى الله عليه و سلم .

لقد عاش العرب في شبه الجزيرة العربية في ظل ظروف اجتماعية و سياسية و ثقافية ... مليئة بالمتناقضات والصراعات .. لا يجمعهم شيء (رغم وجود مقومات التجمع الأرضية كلها من وحدة الأرض و وحدة اللغة و وحدة الثقافة و وحدة التاريخ و وحدة المصالح ..)⁽¹⁷⁹²⁾ , و على الرغم من ذلك فـ (الجزيرة العربية .. كانت هادئة , بعيدة بل منعزلة .. فلم يكن لدى أهلها من الترف و المدنية الفارسية ما يجعلهم يتفنونون في خلق وسائل التحلل و فلسفة مظاهر الإباحية و الانحطاط الخلفي و وضعها في قوالب من الدين . و لم يكن لهم من الطغيان العسكري الروماني ما يبسطون به أيديهم

1788 - محمد متولي الشعراوي : الأحاديث القدسية , ج 1 , ص : 491 .

1789 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 435 .

1790 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 203 .

1791 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 343 .

1792 - محمد قطب : واقعا المعاصر , مكتبة رحاب , ص : 15 .

بالتسلط على أي رقعة من حولهم , و لم يؤتوا من ترف الفلسفة و الجدل اليوناني ما يصبحون به فريسة للأساطير و الخرافات (1793) , استمرت أوضاعهم هذه حتى انتشرت الدعوة الإسلامية أفقيا وعموديا في ثنايا المجتمع العربي مما أحدثت تغييرا عميقا في كل البنى المشكلة لكيونة المجتمع العربي وقتئذ . و ربما كانت المفاجأة التي أظلت أفق شبه الجزيرة العربية بداية في هذه المرحلة التاريخية هي تحول أعداء العقيدة الإسلامية إلى مناصرين و منافحين و داعين إليها , حتى بات أتباع محمد صلى الله عليه و سلم (لا يمنعهم من تقديسه شيء إلا نهي الله لهم أن يتوجهوا بالعبادة و التقديس لأحد سواه)(1794) ..

و لقد تشكل مجتمع إسلامي عربي جديد باتت تحركه النزعة الدينية بعد أن كان خاضعا ذلولا للنزعات الدنيوية المتناقضة , فقد (تم فيه اللقاء بين المثالي و الواقعي , فترجمت مثاليات الإسلام إلى واقع , و ارتفع بالواقع البشري إلى درجة المثالي)(1795) . و تمثل ذلك في انتشار دعة الإسلام في كل القبائل المتواجدة في شبه الجزيرة العربية و خارجها و تحرك موجة الفتوحات الإسلامية في كل اتجاه وفق استراتيجية محكمة البناء . و ما لبث هذا التحرك الإسلامي أن تحول في عهد الخلفاء الراشدين إلى مدائن و مؤسسات قائمة بذاتها , مما أدى بالكثير من المتربصين و المتمردين إلى التعجيل بالدخول في الإسلام و التفاعل مع معطياته القيمية الحضارية ..

تلك هي أهم ملامح المجتمع العربي قبل البعثة و أثناءها و بعدها بقليل , و هي لا شك عناصر مهمة ألفت بظلالها على مجالات التفاعل الاجتماعي المختلفة , و منها التواصل الديني , فقد حمل خطاب الحديث القدسي الخطوط العريضة لأصداء هذه المرحلة التاريخية و أحداثها المركزة و المتسارعة , فعبرت عن كل ذلك - في الكثير من الأحيان - بطريقة غير مباشرة , أي أن المتلقي يحسها مناسبة في هدوء و مندسة ما بين المعاني و الدلالات الخطاب القدسي و مقاصده الكبرى , (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

1793 - محمد سعيد رمضان البوطي : فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة , دار الفكر , ط1 : 1919 م , ص : 31 .

1794 - محمد قطب : قيسات من الرسول , دار الشروق , ط15 , ص : 07 .

1795 - محمد قطب : واقعا المعاصر , ص : 15 .

بَهْرَامِ الدَّارِمِيِّ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدِ الدَّمَشَقِيِّ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ يَا عَبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عَبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عَبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمْكُمْ يَا عَبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ يَا عَبَادِي إِنَّكُمْ تَخْطُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عَبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عَبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عَبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عَبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عَبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلْيُؤْمِنْ إِلَّا نَفْسَهُ(1796) , و الحديث بكل مكوناته يرسم لنا مرحلة تاريخية شهدت الظلم بكل أنواعه , و في كل مستويات الحياة ... ولكنه يدعو بطريقة غير مباشرة إلى ضرورة خضوع (حركة الحياة كلها لقانون ينظم الحق الثابت الذي لا يتغير .. لأن الباطل قد يكون له علو , و لكن ليس له استمرار) (1797)

كان وجود الحديث القدسي في حد ذاته يمثل الطريق الثالث للتواصل الديني بكل أبعاده مع الآخرين في الخطاب الإسلامي باعتباره منظومة كلية متكاملة من جهة , وأمام فاعلية طرفين أساسيين و طريقتين مهمين في التفاعل مع الآخر مؤمنا كان أو غير مؤمن , القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف من جهة أخرى . إذ كل يوم يمر إلا و هناك حاجة إلى إدخال فرد أو جماعة إلى حياض الدين الإسلامي لوقف حياتية الجاهلية بكل أبعادها و مظاهرها ... مما جعل الكثير ممن اعتنق الإسلام فيما بعد يحسون بميلاد جديد و يستشعرون ضغط مسؤولية تجاه من لم يسلم بعد حتى يقاسمونه الفلاح و الخير و السعادة الحقيقية ... و من ثمة يلاحظ الدارس أن هناك مناسباتية/غرض و غائية كانت تصاحب كل خطاب/نص قدسي يتقدم به النبي صلى الله عليه و سلم بين يدي أصحابه أولا و لكل الناس كافة ثانيا , إلا و كان مدعما بمبررات تبرر وجوده و توضح مقاصده .

1796 - النووي : صحيح مسلم , ج8 , ص : 185 .

1797 . محمد متولي الشعراوي : الأحاديث القدسية , ج2 , ص : 4 - 5 .

(قال المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن يونس وقال الآخران أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم تروا إلى ما قال ربكم قال ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكواكب وبالكواكب) (1798) ..

و الأحاديث القدسية بكل ما تحمله من مقاصدية و أغراض عبرت بطريقة محكمة عن سمت الحياة و ملامحها الكبرى التي سيلاقيها الناس جميعا في عالم الغيب بعد الموت انطلاقا من نوعية الأعمال التي يمارسونها في حياتهم تجاه بعضهم البعض و مدى قربهم أو بعدهم في ذلك من الشريعة الإسلامية و حسن تفاعلهم معها في عالم الشهادة .. و كأنه لم يعد الخطاب القرآني و الحديث النبوي كافيين لوحدهما لجعل الصورة الشمولية الكاملة المتكاملة للرؤية الوجودية و الكونية الإسلامية واضحة جلية تامة لكل من يصله الخطاب الديني الإسلامي على اختلاف البيئات و الثقافات و الأمزجة و الأزمنة و الأمكنة كذلك .. (حدثنا عثمان بن أبي شيبة وإسحق بن إبراهيم الحنظلي كلاهما عن جرير قال عثمان حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملىء فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملىء فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملىء فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملىء فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أتسخر بي أو أتضحك بي وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه قال فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة) (1799) ..

و الحديث القدسي في كل ذلك لا ينسى و هو يتحدث عن أحداث غيبية مستقبلية غي عالم غير عالم الشهادة أن يعود بين الفينة و الأخرى بالمتلقي إلى الحياة الدنيا و عالم الشهادة حتى يربط بين الحياتين و يجعلها طرفي معادلة محكمة لا يمكن فك شيفراتها إلا بإدراك الطرف إدراكا صحيحا , و من ثمة فهما وجهان لعملة واحدة . لأن (في الدنيا جنة

1798 - النووي : صحيح مسلم , ج 2 , ص : 173 .

1799 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 314 .

من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة) (1800) .. (حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ
عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ
كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ . فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ أَوْ
الْحَيَاةِ شَكًّا مَالِكٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً) (1801)
, و يحس الدارس و هو يقارب الحديث القدسي بزخم من المشاعر المتدفقة من النص
نفسه و من الناص كذلك الذي يود أن يليقها في روع المتلقي ليهز كينونته و يعيد
تشكيلها وفقا لمفاهيم الإسلام و فلسفته و مقاصده في عالم الشهادة و عالم الغيب , و في
الحديث القدسي السالف مصداق ذلك , إذ نجد مظاهر مشاعر الود و الرحمة و الإحساس
بالفرح في قوله (يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ), و الشعور بالحزن و الأسى في قوله : (وَأَهْلُ
النَّارِ النَّارَ) , الكل معجون في إطار القيم الإسلامية و أصولها الكبرى و مبادئها الشمولية
..

إلا أن الشعور بميزات خطاب الحديث القدسي ليست خاصة بكل من يتعاطى النص
الديني الإسلامي و يعايشه بل هي ظاهرة قد تكون عامة , إذ نجد الكثير من يقرأ الحديث
القدسي بشكل خاص يحس بلمسات مميزة و تتلبسه مشاعر فريدة و يهتز من كيانه
جوانب ما كانت لتستجيب بالطريقة نفسها لحظة تفاعلها مع الخطابات الشرعية الأخرى (
القرآن الكريم و الحديث النبوي) , فـ(ليس للحديث القدسي قوة اعجاز خاصة كالقرآن
الكريم , و لكنه لجلالة نسبته , و لطف موضوعه كان له موقع خاص في السمع و
استقبال متميز في النفس , و أثر ظاهر في الشعور و الوجدان) (1802) . و هذا لا شك
إنما هو راجع إلى طبيعة الحديث القدسي في حد ذاته (معنى من الله تعالى و الصياغة
من عند محمد صلى الله عليه و سلم) , و كذلك إلى بنيته المضمونية و الشكلية المتميزة
بذاتيتها و سماتها الخاصة ... هذا و إلى جانب ما سطره خطاب الحديث القدسي من
مؤثرات في روع المتلقي من مشاعر و معاني خاصة قائمة على المزج بين قيمة الخوف

1800 - ابن قيم الجوزية , مدارج السالكين , ج 1 , ص : 454 .

1801 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 1 , ص : 270 .

1802 - محمد متولي الشعراوي : الأحاديث القدسية , ج 1 , ص : 06 .

و قيمة الرجاء مدعمة بالمشاهد الحية التي ترسمها جمل و كلمات النص القدسي و صوره البيانية بحيث تجعل المتلقي في لحظات صفائه الروحي و النفسي يعيش حياة غيبية مستقبلية و هو لم يغادر بعد عالم المحسوسات و المشاهدات الدنيوية

1 - أدوار الخطاب القدسي

إن معرفة طبيعة المشاركين و المشتركين في التواصل اللغوي و من ثمة إدراك حالاتهم بكل أبعادها و نوع شبكة العلاقات القائمة بينهم سواء أكانت دائمة أم موقوتة , ثم الانحراف بزواية النظر إلى رؤية البعد الاجتماعي و رصد ماهية العلائق المتشابكة المؤسسة على هذا المستوى من التفاعل الإنساني المتصل بالفعل التخاطبي خاصة ... كل ذلك - لا ريب - سيساعد بقوة في دراسة و تتبع فعالية الأدوار الموكلة إلى الخطاب و المهمات الاستراتيجية و التكتيكية المرحلية له , مع ملامسة قدر المستطاع الأبعاد النفسية و النفس- اجتماعية للمتخاطبين من حيث السيطرة و المودة و المغالبة ... و درجة القرب و البعد العاطفي و المشاعري .. (هذا الذي يحدث في ذهن المتلقي , أو لهذا الذي يتلقى في ذهن الباحث ... الباحث يصنع نصه و مرجعه و متلقيه و صورة شخصه , و المتلقي مستقلا عنه , يصنع كل هذا على أنقاض و آثار أو بقايا النص التي تصله ..) (1803) , و لهذا , فإن كل ذلك له انعكاسات و تمظهرات على الفعل اللغوي و تجلياته , و ذلك يعود إلى أن هناك لغة تعبر عن التعالي بين الحاكم و المحكوم أو المعلم و المتعلم ... و هناك لغة أخرى تعكس درجة الحميمية و الصداقة بين مثلا الرسول و المرسل إليهم و الأم و أبنائها ...

إن حضورية المتلقي في الخطاب عامة و الحديث القدسي على وجه التخصيص أمر لا بد منه , و ذلك لأن لكل رسالة لغوية تواصلية لا بد لها من متلق , به يصير الخطاب موجودا بالفعل مؤثرا و ذا أبعاد قيمية نفسية و اجتماعية و سياسية , فتلقى النص كيفما كان نوعه (تتحكم فيه آليات مشتركة في الثقافة المعينة , و أخرى خاصة بالمتلقي في حد ذاته) (1804) ...

1803 - محمد الولي : السياق .. إشكالية قديمة في أضواء جديدة , ص : 68 .

1804 - سعيد يقطين : تلقي الأحلام و تأويلها في الثقافة العربية , منشورات كلية الآداب بالرباط , ط 1 : 1994 م ,

و تكشف لنا نصوص الحديث القدسي من خلال ما يلزمها من سياق وجود متلق غير متخيل/غير افتراضي , و ليس هو متلق مثال بالضرورة , مطابق لمتصور منتج خطاب الحديث القدسي أو نمط الشخص الذي سوف يتلقى الخطاب القدسي قراءة .. و لكن على الرغم من كل ذلك إذ بين كل هذه الأنواع من المتلقين أمور مشتركة كثيرة يحرص النص القدسي على ايجادها بينهم و تجديرها , حتى لا تتضارب الممارسات السلوكية و الشعائرية بينهم فيما بعد , و يفرغ خطاب الحديث القدسي من وظائفه الأساس و مقاصده الدقيقة بالرغم من اعتباره لونا من ألوان الخطاب الشرعي التشريعي الإسلامي . (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَتَعَابُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ) (1805) , و على ما تقدم ذكره , ينظر كل قارئ للحديث القدسي في كل مرحلة تاريخية هو متلق مقصود بالضرورة , و من ثمة فإن النبي صلى الله عليه و سلم كان , هو يقوم بحبك العناصر اللغوية للحديث القدسي , مدركا لكليات استراتيجية التلقي و التعامل مع النص مسموعا أو مكتوبا ...

إن وجود متلق حقيقي آني و آخر مستقبلي آت في دينامية خطاب الحديث القدسي يؤكد ضرورة تحديد أشكال تعبيرية معينة و عناصر لغوية أكثر دقة في وصف موضوع الرسالة التواصلية و إحضاره جليا بين يدي المتلقي . فالمخاطب طرف مفصلي و موجود بالضرورة في سيرورة النص الشرعي و غير الشرعي كذلك , إذ يمثل قاعدة رصينة من القواعد التي تنتظم في بنية الخطاب شكلا و دلالة , فالعملية الاجتماعية للحدث التواصلية اللسانية إنما هو استجابة لنوع من العلاقات المتشابكة القائمة بين المتكلم و المخاطب , و لهذا فإن المخاطب في نص شرعي كالحديث القدسي لا بد أن يكون طرفا حاضرا لحظة تخلق الفعل الكلامي مهما كان مصدره و نوعه (حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْسِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَّمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ أَوْتِي أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمَلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قَيْرَاطًا

قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلَ الْبَاجِيلِ الْبَاجِيلَ فَعَمَلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَعَمَلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأَعْطَيْنَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ أَيُّ رَبَّنَا أَعْطَيْتَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ ظَلَمْتُمْ مَنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَا قَالَ فَهُوَ فَضَّلِي أُوتِيهِ مِنْ أَشَاءٍ⁽¹⁸⁰⁶⁾. و بهذا يكون متلقي نص الحديث القدسي , فردا كان أو مجتمعا أو أمة , طرفا حضوريا و محوريا مطابق لذلك الذي هو موجود في فكر منتج الخطاب القدسي محمد صلى الله عليه و سلم .

لقد وجدت نصوص الحديث القدسي شبه تكامل في الأدوار بين كل من المرسل و المخاطب , اللهم إلا في ذلك الاختلاف الناتج عن كون أحدهما يتموقع في الطرف المبلغ عن ربه و الآخر مستقبل عن رسوله , فكلاهما مسؤول عن حدود الوظيفة التي يتواجد فيها , و من ثمة فلا تكلف و لا تصنع في إيجاد نسيج الرسالة اللغوية للحديث القدسي و وسائلها التخاطبية (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَجِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ⁽¹⁸⁰⁷⁾)

و الحديث القدسي بذلك يختلف عن الحديث النبوي الشريف الذي يعنى عموما بتفصيل مجمل الأحكام التشريعية الواردة في القرآن الكريم و تبين جوانبها العملية التطبيقية في شتى مجالات الحياة , بينما الحديث القدسي يعمل على تأسيس الرؤية العقديّة الكونية و الوجودية و الحضارية الإسلامية في عقل المتلقي المؤمن خاصة , فاكتمت بذلك أبعادا استحضرت بعض مشاهد عالم الغيب مقدّمة بأساليب تعبيرية سهلة معظمها مبني على أساس الحوار لم نجدها كذلك في نص الحديث النبوي الشريف . و من هناك امتلأت نصوص الأحاديث القدسية بلغة تلامس المشاعر و الأحاسيس و العواطف من دون تملق أو مداراة ... (دَنَا مَحْمُودٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدِ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ

1806 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارئ شرح صحيح البخاري , ج5 , ص : 74 .

1807 - المرجع نفسه , ج6 , ص : 332 .

وَقَالَ ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنٍ تَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ قَالَ أَيُّ رَبِّ تُمْ
مَاذَا قَالَ تُمْ الْمَوْتُ قَالَ فَالآنَ فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجْرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَوْ كُنْتُ تَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ (1808)

لم تؤثر الخواص المميزة لطبيعة الأطراف المشاركة و أحوالها و ظروفها المختلفة
في نسج لغة الحديث القدسي و التحكم في استراتيجياته التخاطبية و كذا مقاصده الكلية ,
لأن النبي صلى الله عليه و سلم يدرك أن طبائع المشاركين في الخطاب و كذا العلاقات
الرابطة بينهم , إنما هي معطيات مهمة و لكنها متغيرة , بينما البنية الدلالية لنص
الحديث القدسي و غاياته أشد استقرارا و لا تتغير بتغير الزمان و المكان , و بذلك تكون
الأدوار التي تشكل الظاهرة الحوارية داخل الحديث القدسي إنما هي ذات أبعاد نفسية و
اجتماعية و عقدية و ثقافية ... و حضارية في توجهاتها , ينصبغ خطاب الحديث القدسي
بصبغتها و يتشكل من معطياتها التي تمثل القاسم المشترك بين الأفراد و المجتمعات
الإنسانية .

ب) - السياق الثقافي

إعطاء العناية المعتبرة للبعد الثقافي عند التعامل مع الخطاب/النص التواصلي يعني
فيما يعنيه أن التفاعل اللغوي لمكونات الخطاب الداخلية و الخارجية و دينامياتها التبليغية
لا تقتصر على البنية التكوينية للفعل التواصلي من عناصر لغوية مشكلة لنسيج الرسالة
اللغوية , و إنما يشارك في إنجاح هذه العملية جملة من المعطيات الأساس منها الجانب
التاريخي و الثقافي الذي يقف بحدوده الطبيعية وراء العناصر الفاعلة في العملية
التواصلية و المشكلة للخطاب , دون إغفال للبعد البيولوجي الحاضر في تأسيس القيمة
النصية المذلة للتأويل و التفسير و الفهم .

فمن وظائف اللغة الأساس التعبير عن الحياة العقلية و الفكرية و الإيديولوجية و
الثقافية ... الخاصة بمجتمعها , و لهذا فإن هناك تفاعل حقيقي و عضوي بين اللغة و
الثقافة يعطي للغة حركية تولد الكثير من العلاقات التواصلية بين أفراد المجتمع , و على
هذا الأساس فإن (الرؤية الوظيفية للغة تقدم مفهوما للسياق الثقافي أكثر درجة و اتساعا

(...)(1809) , و تبين السيطرة الملحوظة للأعراف الأدبية و اللغوية و الاجتماعية .. تجاه منجز الخطاب و تأثيراتها الحتمية فيه . فإدراكية المتلقي للخطاب/النص في بعده الثقافي ينمي فاعليته في مقاربة ما يقرأ و قدرته على القراءة مع تجاوز الصعوبات من خلال العودة من خلال تحديد مرجعية الخطاب السياقية الثقافية ..
و لمعالجة معطى السياق الثقافي يجدر بالدارس أن يتناول مجموعة من المفاهيم المشكلة للبعد الثقافي لدى شركاء الفعل التواصلية .

1 - طبيعة لغة الخطاب الحديث القدسي

تلعب اللغة في الاتصال الإنساني دورا براغماتيا لا يمكن إنكاره , إذ تعطي للمشاركين في الحدث التواصلية الإحساس بقضايا تحققها اللغة و تفاعلها لهم في مواقف مختلفة من إقناع أو تفسير أو نهي أو تعليم ... كما تأخذ اللغة أشكالا متنوعة إذا نظر إليها من زاوية البعد الأدائي , رسمية كانت أم غير رسمية , منطوقة أو مكتوبة ...
إن لنص الحديث القدسي خصوصية لافتة للانتباه تجعله في أحوال كثيرة يجمع إلى حدوده بعض الثنائيات التي تنشير إليها لاحقا . لكن مخاطبة النبي صلى الله عليه و سلم أصحابه بالحديث القدسي يشكالية بحيث يمكن أن ينظر الباحث إلى ذلك على أنه يمثل خروجاً فنيا و جماليا و أسلوبيا , بنسب متفاوتة , عن حدود نمط خطاب القرآن و كذا الحديث النبوي الشريف . فقد كان النبي صلى الله عليه و سلم معرض في كل وقت من الأوقات إلى ضرورة الاستجابة لأي لون من ألوان الخطاب الشرعي قرآنا أو حديثا نبويا أو حديثا قدسيا , و أمام هذا الموقف فهو مدعو في كل لحظة إلى أن يتفاعل مع طبيعة التحدي و نوعه وفقا للمقاصد الكلية الشرعية و الرؤية الكونية القرآنية . هذا يجعل الدارس يفترض أن الأحاديث القدسية جميعا كانت منطوقة أولا ثم تحولت إلى مكتوبة ثانيا . فكتابة الحديث القدسي له مؤثرات أسلوبية على طبيعة لغة النص التي باتت تحمل خصائص اللغة المنطوقة إلى جانب خصائص اللغة المكتوبة , و يدعم هذا الاتجاه حرص علماء الحديث على نقل كلام الرسول صلى الله عليه و سلم كما سمع عنه و تمثل النبي صلى الله عليه و سلم حاضرا في ذاكرة الراوي . و ما يقوم به الراوي بين

الفينة و الأخرى من تعليق يتخلل الحديث القدسي حيناً و أحيانا في نهايته بحيث يكمل به حدود النص حرصاً منه على النقل الصحيح و الدقيق لكلام النبي صلى الله عليه و سلم . و الملاحظ كذلك أن بعض الأحاديث القدسية لا تكتمل إلا بوجود أشكال حوارية , تشترك (.. جميعاً في كونها فعاليات خطابية) (1810) , شأنها في ذلك شأن الحوار الشفاهي الذي لا تكتمل حدود النصية فيه إلا بوجود ازدواجية قائمة على الإرسال و الاستقبال بين كل من المتكلم و السامع . و يعمق خاصية الطبيعة الثنائية الشفاهي/الكتابي للحديث القدسي أن (لا تنفك الصور اللفظية فيه عن مضامينها , هذه المضامين التي كلما كانت صلتها بالمعتقدات و المقاصد ألصق , كان تأثيرها في المخاطب أعمق) (1811) , فنصوص الأحاديث القدسية كلها - التي بين أيدي الباحث الآن - تنتمي إلى بيئة شفاهية , و لكن حرصاً على سلامة الرسالة الإسلامية الكاملة حتي تكون بين يدي الأجيال القادمة كما نزلت , نقلت الأحاديث القدسية من المنطوق إلى المكتوب , تداخلت فيه (الوقائع مع القيم , و المعطى مع المبنى , و المعنى مع المبنى) (1812) , فالأحاديث القدسية إذا هي واقعة في المنطقة الوسطى التي تتقاطع فيها الخصائص التكوينية للغة المنطوقة مع الخصائص التكوينية للغة المكتوبة , و بذلك يحمل الخطاب القدسي جدلية جمالية بين منطق الفعل التواصل المسموع و منطق الفعل التواصل المقروء .

و مما لا شك فيه أن هناك اختلافات بينة بين ميزات اللغة المنطوقة و اللغة المكتوبة , سواء أكان ذلك على مستوى الموقف الاتصالي أو على مستوى السمات الأسلوبية و التعبيرية لكل منهما . فنص الحديث القدسي إذا يقتضي من الدارس أن ينظر إليه من هذه الخلفية المشار إليها آنفاً في إطار بنية دلالية شاملة .

ومن الثنائيات الأخرى التي شكلت بعداً مفصلياً في كينونة خطاب الحديث القدسي و حققت له بذلك خصوصية أسلوبية و تعبيرية جمالية الطابع الحوارية المهيمن على غالبية النص القدسي , خاصة تلك الحوارية المتمثلة في :

1810 - طه عبد الرحمن : في أصول الحوار و تجديد علم الكلام , المركز الثقافي العربي , ط2 : 2000 م , ص : 35

1811 - المرجع نفسه , ص : 37 .

1812 - المرجع نفسه , ص : 37 .

حاور الله تعالى مع الأنبياء : (قَالَ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطَوَّلَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا ثُمَّ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَيَّ أَوْلَئِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَاسْتَمَعَ مَا يُحْيُونَكَ تَحِيَّتَكَ وَتَحِيَّةَ ذُرِّيَّتِكَ) (1813)

حاور الله تعالى مع الملائكة : (أَرْسَلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَنَا يُرِيدُ الْمَوْتَ) (1814)

حوار الله تعالى مع عبد من عباده : (مِنْهُ ثُمَّ لَيَقْفَنَّ أَحَدَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتْرَجَمُ لَهُ) (1815)

حوار النبي مع الصحابة : (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) (1816)

ما تقدم من نماذج موجزة تشي بأن خطاب الحديث القدسي غالبا ما يعبر عن قيمة شرعية و رؤية وجودية مستقبلية توضح مآلات المسيرة الحياتية و نهايات السلوكات المنضبطة بضوابط الشرعية أو تلك التي وضعتها وراءها ظهريا . و من ثمة فهي تكشف النقاب عن تلك الحالات الشعورية المتنوعة من الفرح و الحزن و السعادة و الكآبة التي يتلبسها كل حسب الطريق الذي اختطه الانسان في مدار حياته العمرية . هذا البعد الحوارى الذي طبع خطاب الحديث القدسي لا شك أنه انعكاس طبيعى لطبيعة الرسالة الإسلامية القائمة على الإقناع و المجادلة بالتي هي أحسن , و كذا مراعاة طبيعة المتلقى من حيث بنيته الفكرية و النفسية و الاجتماعية و الدينية و الثقافية , فيتوجه إليه (مطالعا إياه على ما يعتقد و ما يعرف , و مطالبا إياه بمشاركته اعتقاداته و معارفه , و .. تجاوز الخلافات فى الرأى بين المتحاورين تجاوزا لا يأتى بالحل الوحيد و الأوحد بقدر ما يأتى بحلول متوازنة و معتدلة تستجيب لأوضاع تتغير عناصرها و تستجد مطالبها على مر الزمن) (1817) ... و ما يعتريه من تطورات حضارية متحركة باستمرار ... تجعل من الخطاب القدسي قائما على مخاطب الذات المتلقية بكل أبعادها العقلية و الوجدانية و الاجتماعية ... و الثقافية معا . و لهذا فإن نص الحديث القدسي و هو يتفاعل مع مكونات الفعل التواصلى يشكل صورا دقيقة للمتلقى بكل أطيافه و يقدر حالاته الشعورية

1813 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارئ شرح صحيح البخاري , ج15 , ص : 287 .

1814 - المرجع نفسه , ج7 , ص : 213 .

1815 - المرجع نفسه , ج8 , ص : 393 .

1816 - المرجع نفسه , ج6 , ص : 195 .

1817 - طه عبد الرحمن : فى أصول الحوار و تجديد علم الكلام , ص : 37 .

و الانفعالية المختلفة حال تلقيه الرسالة الابلاغية التي يستبطنها الخطاب القدسي , لأن (الأشياء لا تقاس بوجودها أو عدم وجودها في عالم الحس , و إنما تقاس بمقدار ما توجد في عالم النفس , و بالمساحة التي تشغلها من المشاعر و الأفكار و السلوك) (1818), و هو تصور أعمق و أكثر واقعية , بحيث يجعل كل من يقارب نصا قدسيا إلا واستشعر , و كأنه خطاب منجز في التو واللحظة , و أنه يخاطب الذات المتفاعلة معه اللحظة بكل ملابساتها و سياقاتها متجاوزا حدوده الزمانية و المكانية التي تخلق فيها و البيئة التي احتضنته لحظة النشأة .

و من الملاحظ كذلك أن وجود الآخر في الخطاب القدسي بات أمرا أساسيا في بناء الرسالة التواصلية الابلاغية التعليمية , لأنه من الصعب (أن نتحدث عن نص خارج القراءة التي تتناوله) (1819) , و السبب في ذلك لا يكمن في كونه موجها لهذا الآخر/القارئ فقط , و إنما يعود إلى أن نص الحديث القدسي في حد ذاته يمثل في بعض الأحيان حوارية عامة تتخطى الزمان و المكان , فرضتها مقتضيات الظروف التي ظهرت فيها الرسالة الإسلامية بكل حيثياتها و كذا مقاصد الشريعة في حد ذاتها .. إلا أن ما يجب التنبيه إلى أنه قد استبدلت الحوارية من طبيعتها الأولية المنطوقة إلى صورة حوارية مكتوبة لضرورات اقتضتها الحاجة إلى حماية النص الشرعي فقد (نقل عن الأوزاعي , عن مكحول أنه قل : القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن) (1820) , زيادة على ذلك فالسنة (كادت أن يتطرق إليها طعن بعض الأبالسة , و تلبس الملاحدة بوضع الحديث , و الكذب على الرسول صلى الله عليه و سلم ..) (1821), و من ثمة انقلب البعد الحوارى إلى معطى استراتيجى , يجب على المتلقى أن يضع في اعتباره - هذه النقلة - تحقيقا للوجود الشعورى و الذهني و كل الملابس التي كانت تحيط بنص الحديث القدسي , و ذلك اعتمادا على جملة من القرائن و التشابه الاجتماعى و النفسى بين

1818 - محمد قطب : قيسات من الرسول , ص : 09 .

1819 - فيرناند هالين - فراتك شوير فيجن - ميشيل أوتان : بحوث في القراءة و التلقى , ترجمة محمد خير البقاعي , مركز الإنماء الحضارى - حلب , ط1 : 1998 م , ص : 76 .

1820 - أبو الحسن التبريزي : الكافي في علوم الحديث , تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان , الدار الأثرية , ط1 : 2008 م , ص : 111 .

1821 - المرجع نفسه , ص : 111 .

المجتمعات الإنسانية و الدعوات التوحيدية . و لهذا فخطاب الحديث القدسي دائما , و من خلال حركيته التواصلية مع المتلقي في أي مرحلة تاريخية يخلق لنفسه سياقاً موازياً للسياق المصاحب لعملية التواصل القائمة بينه و بين قارئه , فهو بذلك يخلق من إمكانات لغة نصه الشكلية و إمكاناته الدلالية و مقاصده الكبرى العناصر السياقية الثقافية التي تأخذ بيد المتلقي إلى تخوم الرسالة المقصودة التي على أساسها يفهم الخطاب القدسي كبنية دلالية كبرى . و بذلك يكون الحديث القدسي قد تخطى حواجز كثيرة منها الزمان و المكان و العادات و التقاليد و البيئة الثقافية و المستوى التعليمي , إذ كل يتلقاه على شاكلته , لأنه قرب المتلقي من (مواضع اليقين) التي تعد (أكثر الأمكنة وضوحاً , و أكثرها جلاءً في النص , و هي التي ننطلق منها لبناء التأويل , و بالتحديد , إنها تمنحنا نقاط الرسو التي تسمح بتطبيق ذلك التأويل على النص) (1822) , من دون أن تهتز كينونته و شخصيته المميزة على الرغم من الانفصال الكثير من خصائص خطاب الحديث القدسي الشفهية الذي فرضته الحاجة الحضارية الإسلامية و تحولها إلى رموز مكتوبة .

هذا الوجود الفعال لتلك الثنائيات إنما هي انعكاس طبيعي لحقيقة خطاب الحديث القدسي فهو رسالة عقديّة تدور حول تجلية الرؤية الإيمانية المستقبلية المتحققة في عالم الغيب و لكن في إطار من الترغيب و الترهيب , و هو الأمر الذي تجلّى في أغراضه و مقاصده الكلية , و بمقارنته بأنواع الخطاب الشرعي الإسلامي الأخرى / القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف ذات الخصائص الأسلوبية و التعبيرية المتميزة عن الحديث القدسي ...

2 - نوع خطاب الحديث القدسي

إن (التمييز بين أنواع المواقف يولد الاعتداد بأنواع النصوص التي تعد مناسبة للمواقف) (1823) , و لهذا فنوع النص عامة مرتبط بالسياق و عناصره المختلفة , و كذا الاستعمال المكرور له و مدى الخبرة التي يسلكها منشئ الخطاب نفسه , و هو في الآن ذاته علامة اجتماعية متعارف عليها بين أفرادها , إذ يحتوي الخطاب التواصلية من حيث

1822 - فيرناند هالين - فرانك شوير فيجن - ميشيل أوتان : بحوث في القراءة و التلقي , ص : 76 .

1823 - روبرت دي بوجراند : النص و الخطاب و الإجراء , ص : 413 .

نوعه على الكثير من العمليات التي منها العمليات الاجتماعية المشكّلة و الملازمة له , فالأحداث الاجتماعية بكل أشكالها منجزة في نوع النص و مستمرة فيه . و نظرا لاتساع الثقافات و تنوعها بين المجتمعات لتعدد الخبرات فيه يجعل النص قابلا للتغير المستمر شكلا و مضمونا .

كما أن نوع النص مرتبط بالمقصد و الغرض الذي يرمي إليه صاحبه و كذا متلقيه , لأن هذا الأخير (مدفوع بلا توان إلى استخدام مجموعة غير محدودة من الرموز الثقافية التي تشكل جزءا كامنا في (نص القارئ) سواء أدمجها هذا الأخير في ذاكرته أم أنه كان يعرف بالتجربة , , في أي معجم من المعاجم أو في أي موسوعة يستطيع أن يكملها ..)(1824), حينئذ يستعمل الخطاب حينئذ لتحقيق الفعل التواصلي بين أطرافه الفاعلة , و لهذا فإنه كلما تعددت الأغراض و المقاصد أخذت الأنواع تتعدد و تزداد خصوبة أكثر و انعكس كل ذلك على النص تماسكا و استمرارا , فلقد (استعملت فكرة السبك لدى بعض الباحثين لوسائل مثل : الإضمار و الإبدال و الحذف ..و في الغالب لا يعطى كبير انتباه للارتباط الملحوظ/غير الملحوظ للمعلومات في النص و كذلك لمعرفة العالم التي تصبح بها هذه الوسائل ممكنة و نافعة ..)(1825). لهذا فإن النوع يقيد العلاقة النصية بالموقف الاتصالي , مما يجعل كلا من الناص و المتلقي يستشرفان باستمرار اتجاهية الخطاب/النص , فمن خلال النص , هناك إمكانية كبيرة , أن يتوقع سياقا معينا , كما أنه من خلال السياق يمكن التعرف على نوعية النص المقروء . إنها علاقة تكاملية متبادلة بين هذين الطرفين الأساسيين . كما أن التشابه البنيوي و الأسلوبي جعل الأحاديث القدسية ذات صلات براغماتية متكاملة , هذا يعني أن معرفة نوع الخطاب لا ينطلق من خلال السمات الشكلية فقط و إنما يقتضي مع ذلك معرفة شبكة البنى الدلالية للخطاب و موضوعاته و الكلمات الموظفة فيه و استراتيجيات استخدام التفاصيل المناسبة فيه .

و من خلال الرؤية السابقة فالحديث القدسي من حيث بنيته التكوينية يبدو للدارس أن له تقاليد محددة و سمات مميزة , عليها منشؤه و من خلالها يستمد سيرورته , بحيث صار ذلك كأنه خطة محكمة الناص مطالب باتباعها حتي يضي على خطاب الحديث

1824 - فيرناند هالين - فرانك شوير فيجن - ميشيل أوتان : بحوث في القراءة و التلقي , ص : 81 .

1825 - روبرت دي بوجراند : النص و الخطاب و الإجراء , ص : 299 .

القدسي لمسات أسلوبية خاصة ، و رسالة تواصلية لها شخصيتها القيميّة و التعبيرية التي تتفاعل و لحظة التلقي الايجابي . و لهذا أكثر الأحاديث القدسية تبدأ بأحد الروايتين :

1 - عن النبي - صلى الله عليه و سلم - (فيما يروي عن ربه) (1826) ، و مثال ذلك : (حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ ح وَ قَالَ لِي خَلِيفَةُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرُوهُ عَنْ رَبِّهِ قَالَ لَنَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَ تَسْبَهُ إِلَى أَبِيهِ) (1827) .

2 - قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى) (1828) ، و مثال ذلك : (حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) (1829)

و هو ما يدل على أن رسالة النص القدسي إنما هي من عند الله سبحانه و تعالى و ليست اجتهادا من الرسول - صلى الله عليه و سلم - ، و كأن هذا المنطق عنوان قار يسم النص القدسي و يميزه عن الحديث النبوي ، سواء أكانت هاتان العبارتان مذكورتين في مطلع الحديث القدسي أو محذوفتين/مقدرتين ، و من ثمة فالمتلقي - هنا - مطالب لحظة القراءة أن يفرق بين أنواع الخطاب الشرعي الإسلامي ، واضعا في حسباناه ما يليق بكل نوع من البنى النصية المناسبة له و ما يشاكلها من عناصر لغوية .

كما تتفق معظم الأحاديث القدسية بعد ذلك في أمر طرح القضية المعالجة و هي تمثل صدر نص الحديث القدسي ، إذ تختلف باختلاف الغرض الذي من أجله أنشئت و باختلاف طرفي العملية التواصلية أي المرسل و المتلقي ،

1826 - حسن أحمد إسبر : الأحاديث القدسية ، الشركة الجزائرية اللبنانية ، ط1 : 2007 م ، ص : 09 .

1827 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، ج 25 ، ص : 284 .

1828 - حسن أحمد إسبر : الأحاديث القدسية ، ص : 09 .

1829 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، ج 25 ، ص : 237 .

فإذا كانت بين (الله تعالى) و ملائكته جاءت : في صيغة أوامر غير قابلة للتأجيل أو المناقشة (أَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ) (1830), (ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةً) (1831) .

و إذا كانت بين (الله تعالى) و نبيه (صلى الله عليه وسلم): سبكت بأسلوب مليء بالتعظيم و التبجيل و المدح , بشكل مباشر أو غير مباشر , (فَيَقُولُ لِنُوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ) (وَكذلكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) 27/((.. فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذِنُ لِي فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُونِي مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلِّ تَعْطَهُ وَقُلْ يَسْمَعُ وَأَشْفَعُ تَشْفَعُ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُونِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَهُ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مِنْ حَبْسَةِ الْقُرْآنِ وَوَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ) (1832) .

و إذا كانت بين (الله تعالى) و أحد أنبيائه (صلى الله عليه وسلم) جاءت : بأسلوب الرفق و التربية و التودد (يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيكَ عَمَّا تَرَى) (1833) , (خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطَوَّلَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا ثُمَّ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيُونَكَ تَحِيَّتَكَ وَتَحِيَّةَ ذُرِّيَّتِكَ) (1834) , (بِجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى هَلْ بَلَغْتَ) (1835) .

و إذا كانت بين (الله تعالى) و عباده جاءت : مشحونة بالرحمة و الحنو و الطمأنة (مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِبْ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرْ لَهُ) (1836) , (يَشْتَمُنِي ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتَمُنِي) (1837) .

أما إذا كانت بين النبي (صلى الله عليه وسلم) و أحد صحابته جاءت : مصبوغة بطابع الإخبار و الإعلام عن قضايا غيبية و عقديّة (يَتَعَابُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ

1830 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري, ج 1 , ص : 270 .

1831 - المرجع نفسه , ج7 , ص : 213 .

1832 - المرجع نفسه , ج18 , ص : 107 .

1833 - المرجع نفسه , ج3 , ص : 343 .

1834 - المرجع نفسه , ج15 , ص : 287 .

1835 - المرجع نفسه , ج15 , ص : 301 .

1836 - المرجع نفسه , ج6 , ص : 332 .

1837 - المرجع نفسه , ج15 , ص : 151 .

بِالنَّهَارِ) (1838) ، (يَقُولُ إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ) (1839) ، أو بالاستفهام التقريري : (هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ) (1840) ، (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ) (1841) .

و من ثمة نصل إلى أن النبي صلى الله عليه و سلم من خلال ما تقدم من أحاديث قدسية كان واعيا تماما بمقتضيات المقام و باعتبارات المرسل إليه و سياقات المرحلة التاريخية المعيشة و تلك التي سيعيشها الناس فيما بعد . هذا ، أما نهايات نص الحديث القدسي فقد تكون مغلقة تارة (مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ) (1842) و مفتوحة تارة أخرى (أَيْنَ مَلُوكُ الْأَرْضِ) (1843) ، هذا يعني أن الناص قد يضع للقضية المطروحة في فضاء خطاب الحديث القدسي نهاية ما ، انطلاقا من لفظة أو عبارة أو جملة أو أسلوب ما أو دلالية معينة تستقى من نهاية النص ، و بالتالي تكون قد وضعت للبنية النصية نهاية مغلقة ، لا يجوز للمتلقي أن يترك لخياله العنان لاختيارات أو بدائل دون التي قد تمت داخل النص . و قد يترك نص الحديث القدسي مفتوح النهاية ، لا يقف دون استمرارية تدفق أفكاره و معانيه مهما كان نوعه (لغوي أو غير لغوي) لإنهاء حركيته العطائية ... و مع ذلك فإن ما تقدم يشير بقوة إلى أن الهيكلية البنائية لنص الحديث القدسي لها معالم محكمة و بنيات نصية تمثل الهندسية الكلية و الخطة الشمولية التي يتحرك كل الحديث القدسي عبر مساراتها و معالمها ..

3 - معجم الناص

هيمنت خواص نوعية معجمية و تركيبية داخل نص الحديث القدسي ، وهي وليدة الارتباط اللغوي بالاستخدام الذاتي لناصر خطاب الحديث القدسي صلى الله عليه و سلم ، و كذا الجوانب الاجتماعية و الموقفية التي تتعالق مع الأساليب اللغوية المستخدمة في النص القدسي ، و من ثمة فإن العلاقة الرابطة بين المرسل و المرسل إليه تنعكس

1838 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 5 ، ص : 65 .

1839 - المرجع نفسه ، ج 5 ، ص : 74 .

1840 - المرجع نفسه ، ج 6 ، ص : 117 .

1841 - المرجع نفسه ، ج 6 ، ص : 195 .

1842 - المرجع نفسه ، ج 18 ، ص : 107 .

1843 - المرجع نفسه ، ج 19 ، ص : 207 .

صورتها على مستوى اختيار الألفاظ و العبارات و التراكيب المناسبة للموقف الكلامي :

(حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبرَاهِيمَ حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِيرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضِ حَتَّى عَرَفْتُهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي فَأَقُولُ أَصْحَابِي فَيَقُولُ لِمَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ (1844) , (حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مِنْ مَرَّةٍ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا لِيرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرَفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ) (1845) , (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيَحْلَتُونَ عَنْهُ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَأَعْلَمُ لَكَ بِمَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ ارْتَدَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى) (1846) , و لهذا فالخطاب الرباني الموجه للنبي صلى الله عليه و سلم داخل الحديث القدسي يختلف في اختياراته المعجمية و التركيبية مقارنة بالخطاب الموجه من الله تعالى في ثنايا نص الحديث القدسي لواحد من عباده الآخرين .. و نموذج ذلك :

1 - الخطاب الرباني الموجه للنبي صلى الله عليه و سلم : (... فَإِذَا رَأَيْتَهُ وَقَعْتَ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي فَيَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدٌ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعُ تَشْفَعُ وَسَلْ تُعْطَى قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَتْنِي عَلَى رَبِّي بِنِثَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ) (1847) . (... ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ فَعَمَلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأَعْطَيْنَا قَيْرَاطِينَ قَيْرَاطِينَ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ أَيُّ رَبِّنَا أَعْطَيْتَ هَؤُلَاءِ قَيْرَاطِينَ قَيْرَاطِينَ وَأَعْطَيْتَنَا قَيْرَاطًا قَيْرَاطًا وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ ظَلَمْتُمْ مَنْ أَجْرَكُمْ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَا قَالَ فَهُوَ فَضَّلِي أُوتِيهِ مِنْ أَشَاءٍ) (1848) . (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى هَلْ بَلَغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ فَيَقُولُ لَأُمَّتِهِ هَلْ بَلَغْتُمْ فَيَقُولُونَ لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيِّ فَيَقُولُ لِنُوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ فَتَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)) (1849) , (... أَنْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذِنُ لِي فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ

1844 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 23 , ص : 216 .

1845 - المرجع نفسه , ج 23 , ص : 216 .

1846 - المرجع نفسه , ج 23 , ص : 217 .

1847 - المرجع نفسه , ج 25 , ص : 192 .

1848 - المرجع نفسه , ج 5 , ص : 74 .

1849 - المرجع نفسه , ج 15 , ص : 302 .

اللَّهُ ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلِّ تَعْطَهُ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعْ تُشَفِّعُ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدِ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ (1850) .

2 - الخطاب الرباني الموجه لغير النبي صلى الله عليه وسلم : (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ) (1851) ، (حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُولًا) (1852) . (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ اللَّهُ إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ) (1853) / 117 .

و لهذا يجد الباحث أن النبي صلى الله عليه وسلم نزاع إلى انتقاء المادة المعجمية و الأسلوب التعبيري المناسب للموقف التواصلية بكل مكوناته و كذا طبيعة شبكة العلاقات المؤسسة بينه و بين متلقي نص الحديث القدسي ، ولكن التعبير الذي يستخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم (... يظل عجبيا مع هذا كله ، و تظل له دلالاته الخاصة و إحياءاته الخاصة ، و توجيهاته التي لا تصدر إلا عن رسول ، وصول بالله ، واصل إلى حماه (1854) ، و مثال ذلك : (حدثني حرملة بن يحيى وعمرو بن سواد العامري ومحمد بن سلمة المرادي قال المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن يونس وقال الآخرا أن أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم تروا إلى ما قال ربكم قال ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكواكب وبالكواكب) (1855) . الموقف التواصلية يقتضي ربط النعمة بالمنعم الحقيقي و قد جسده هذه الملفوظات : (بكم - أنعمت - عبادي - نعمة)

1850 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 18 ، ص : 107 .

1851 - المرجع نفسه ، ج 25 ، ص : 132 .

1852 - المرجع نفسه ، ج 25 ، ص : 151 .

1853 - المرجع نفسه ، ج 25 ، ص : 244 .

1854 - محمد قطب : قياسات من الرسول ، ص : 36 .

1855 - النووي : صحيح مسلم ، ج 2 ، ص : 137 .

, أما متلقي الخطاب هنا فهو (أبو هريرة و من كان حاضرا معه) أولا , و قوله (ألم تروا إلى ما قال ربكم) (1856) أسلوب تعبري يشي بما تقدم ذكره , ثم مجموع الصحابة الذين عايشوا النبي صلى الله عليه و سلم , و بعد ذلك كل مسلم جاء من بعدهم على اختلاف الأزمنة و الأمكنة و ذلك في قوله : (عبادي - فريق منهم - يقولون - كافرين) , و الشيء نفسه كذلك في هذا النص القدسي الآتي : (حدثنا عبد الله بن عامر بن زرارة الحضرمي حدثنا محمد بن فضيل عن مختار بن فلفل عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل إن أمتك لا يزالون يقولون ما كذا ما كذا حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله) (1857) . فالموقف التواصلية يؤسس لتصور عقدي صاف من كل القبلات الفكرية/الدينية المتنوعة المستمدة من البيئة المعيشة (ما كذا ما كذا - هذا الله خلق الخلق - من خلق الله) (1858) , بينما متلقي الخطاب القدسي مباشرة فهو (النبي صلى الله عليه و سلم) و يظهر ذلك في العبارة الآتية : (إن أمتك) (1859) , ثم يأتي من بعده (أنس بن مالك) و الصحابة , ثم بقية المسلمين في كل مشارق الأرض و مغاربها عبر مختلفة الأزمنة , و ذلك بحسب مقاصد البنيكة الكلية لهذا النص .

إن اعتبار نص الحديث القدسي كينونة لغوية واقعة في منطقة الحوارية ينعكس انعكاسا وظيفيا على لغة مستخدمه , فالمساحة الكبيرة المسخرة للحوار في التعبير عن المواقف العقدية و الفكرية و الوجودية دون وجود قيود ضاغطة عليها , و الاحترام المتبادل للحالة الموقفية و الشعورية للمتلقي , ... كل هذا يحتم على صاحب الخطاب القدسي أن يتجه نحو خيارات لغوية نصية دقيقة تساعد على رسم موضوعه رسما محكما و يفعل غاياته و مقاصده بحيث تحدث التأثير المناسب في المتلقي , مما يحقق لنص الحديث القدسي أبعاده الوظيفية التواصلية ... (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ قَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ قَالَتْ

1856 - النووي : صحيح مسلم , ج 2 , ص : 137 .

1857 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 217 .

1858 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 217 .

1859 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 217 .

بَلَى يَا رَبِّ قَالَ فَذَلِكَ⁽¹⁸⁶⁰⁾ , فهذا النص لا شك أنه مبني على أساس حوار دائر بين الله سبحانه و تعالى و الرحم , و لقد استعملت فيه خيارات لغوية , مثل (فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ)⁽¹⁸⁶¹⁾ (قَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ)⁽¹⁸⁶²⁾ (قَالَتْ بَلَى يَا رَبِّ)⁽¹⁸⁶³⁾ من جانب الرحم , و (فَقَالَ لَهُ مَهْ)⁽¹⁸⁶⁴⁾ (قَالَ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ)⁽¹⁸⁶⁵⁾ من قبل الله تعالى , كل ذلك يشي بمبدىء مفصلي و وثابت من ثوابت الدعوة الإسلامية , و هي حرية تبني الأفكار و المعتقدات و حرية الدفاع عنها , و لكن بأسلوب حوارى علمي . و لهذا فإن معجم الناص يمثل الواجهة التي تنعكس عليها الخواص التعبيرية و القيم الشعورية الخاصة بفضاء الخطاب و موضوعه و الشبكة العلائقية القائمة بين المرسل و المتلقي , و هو في نص الحديث القدسي معجم مترع بالألفاظ الدالة على الرحمة و الشفقة و العلاقات المبنية على الحب الخالص و الود الصافي من الأغراض المنفعية , فمجال خطاب الحديث القدسي - عامة - هي بشكل أساسي إبراز المحبة الربانية عن طريق النبي صلى الله عليه و سلم تجاه عباده بكل أصنافهم مع العتاب الممزوج بالرحمة لئلائك الذين حادوا عن الطريق المستقيم و مقاصده و غفلوا عن اليوم الآخر و حساباته و أهواله ... و الذي يحمل هذه المقاصد و الأغراض إنما هو قالب خال من التصنع و التكلف و التعقيد ... فظهرت كلمات مثل : (متكبرين + متجبرين +ضعفاء الناس و سقطهم)⁽¹⁸⁶⁶⁾ تعبر عن مشاعر السخط و عدم الرضا عن هذه السلوكات المنحرفة و أمثالها , و أخرى مثل : (ابتليت + عبدي + حبيبتيه) تعبر عن التقدير و المحبة و المكانة المميزة و تشع (أمواج من النور , و تفتح .. آفاقا من الحياة)⁽¹⁸⁶⁷⁾ لكل من تلبس بمقتضيات هذا المقام .

1860 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 19 , ص : 247 .

1861 - المرجع نفسه , ج 19 , ص : 247 .

1862 - المرجع نفسه , ج 19 , ص : 247 .

1863 - المرجع نفسه , ج 19 , ص : 247 .

1864 - المرجع نفسه , ج 19 , ص : 247 .

1865 - المرجع نفسه , ج 19 , ص : 247 .

1866 - المرجع نفسه , ج 19 , ص : 268 .

1867 - محمد قطب : قبسات من الرسول , ص : 36 .

إن طبيعة لغة الحديث القدسي المعجمية تؤكد على قرب هذه النصوص من الخطاب السردى على ماله من خصوصية و ذاتية ترتبط بطبيعة و بنية النص المميز , و تعبر من ناحية أخرى عن طبيعة العلاقة الشعورية بين المرسل و المتلقي التي تمت في لغة نبراتها تخلو من أي ابعاد عنيفة في أمور تخص أكثر ما تخص وجودية الإنسان بكل مكوناته الفكرية و الشعورية و الجسدية في الدارين : الدنيا و الآخرة , بحيث باتت (كل كلمت يقولها منهج تربية و منهج سلوك و منهج تفكير و منهج حياة ...) (1868).

2 - السياق المصاحب

في البيئة العامة التي تجلى فيها نص الحديث القدسي جعلته يشتمل على مكونات كثيرة لغوية و غير لغوية , كانت تقوم بوظائف دقيقة منها جعل الرسالة اللغوية بيئة جلية مفهومة لا ضغط فيها على المتلقي و لا إكراه , أي كما أرادها الله سبحانه و تعالى أن تصل بواسطة محمد صلى الله عليه و سلم دون تأويل مخل أو تفسير يحيد عن طبيعتها التوحيدية التربوية , لحظة حدوثها أو من بعد تداولها بين الناس على اختلاف الأزمنة و الأمكنة . كان ذلك - بداية - معتمدا على معطيات لغوية آنية كالآداءات الصوتية المتنوعة من نبر و تنغيم و ما يصاحب الباث من سلوكات تفاعلية مرئية تتناغم مع طبيعة خطاب الحديث القدسي و مقاصده الكلية , كل ذلك حادث بالفعل في الوقت الذي تخلق فيه الخطاب القدسي و تشكلت كينونته . إذا فالمعرفة بالواقع الذي قيل فيه و ملابساته و حيثياته من بين أهم المعطيات المفصلية في المقاربة الايجابية المثمرة لنص الحديث القدسي , كل ذلك مع استخدام المتلقي خلاصات التجربة و الخبرة المستمدة من التراكم التفاعل الحياتي و المعرفي التي ترسبت في شعوره و لاشعوره ... و لهذا فالنبر و التنغيم التي أشرت إليها سالفًا كوسائل لغوية و بعض السلوكات السيميولوجية مثل ايماءات الوجه و حركات الجسد ... تعد من أهم المكونات الأساسية التي صاحبت خطاب الحديث القدسي و تعاطاها كل من المرسل و المتلقي , لأنها كلها تعمل على توضيح بنية الرسالة الكلية لنص الحديث القدسي و دلالاته المختلفة و أفكاره و أبعاده و غاياته , على الرغم من كونا متباينة كما و نوعا من موقف تواصلتي إلى آخر .

لكن الأمر الذي لا شك فيه هو أن خطاب الحديث القدسي لم ينقل إلينا كما هو بأصواته و نبراته و أنغامه كما تخلق لحظتنا , و ذلك طبعاً يعود إلى انعدام الوسائل التسجيلية التي ترصد كذا موضوعات , و لهذا فإن انتقال الحديث القدسي من طبيعته الشفوية إلى الحالة الكتابية يكسبه خصائص هذا الأخير و يبعد عنه الكثير من مميزات الخطاب الشفهي , و لهذا فرصد السياق المصاحب بكل ملبساته و عناصره الحية كما هي تعد من أصعب المقاربات المعرفية

و لهذا فإن المتلقي لنص الحديث القدسي مطالب أن يعمل طاقاته الفكرية و العلمية المبنية على الرصيد المعرفي المتخصص و الخبرات التجريبية المختلفة المستخلصة من المقاربات الفعلية للخطابات المكتوبة .. كل ذلك يعد وسيلة فاعلة في استحضار هذا اللون من السياقات/السياق المصاحب بغية فهم خطاب الحديث القدسي , أي بتعويض العالم الفعلي بالعالم الافتراضي الممكن , و محاولة فهم النص كما هو أثناء تخلقه , و الذي يساعد على ذلك هو إيجاد المعادل الموضوعي لعناصر السياق المصاحب التي تعمل على تعويض و كشف البعد الشفهي لنص الحديث القدسي , و من بين هذه عناصر سياق المصاحب في النص المكتوب :

1 - السجع.

السجع من حيث المفهوم الاصطلاحي : (هو تواطؤ الفاصلتين من النثر أو الشعر على حرف واحد , و هو ثلاثة أضرب : سجع مطرف و متوازي و مرصع) (1869) , و قد أشرط الكثير من العلماء أن تكون إحدى السجعتين (غير متنافرة مع أختها) (1870) . و قد ضم الحديث القدسي أنواعاً مختلفة منه , كانت واحدة من البدائل التي عوضت الجانب الملفوظ من طبيعة الحديث القدسي .

فمن خلال قراءة هذا الجزء الآتي من الحديث القدسي و ما يحتويه من سجع , مثل قوله صلى الله عليه و سلم : (لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ) (1871) . و قوله : (لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ

1869 - الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة , تحقيق عبد القادر حسين , مكتبة الآداب , ص : 442 .

1870 - عبد القادر حسين : فن البديع , عالم الكتب - بيروت , 1984 م , ص : 127 .

1871 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 11 , ص : 345 .

فِي يَدَيْكَ) (1872) ، و قوله : (قَالَ بَلَى وَعَزَّتْكَ وَلَكِنْ لَأَغْنِي بِي عَنْ بَرَكَتِكَ) (1873) ... يتضح للباحث أن (الناصر) يحاول عن طريق هذا العنصر التواصل/السجع أن يلفت انتباه المتلقي و يشد طاقاته القرائية تجاه تلك الوقفات الحوارية الواقعية المعادلة للمظاهر الشفوية للحديث القدسي ، و من أهم أنواع اسجع التي عملت على تأسيس ما تقدم ذكره ما يأتي موجزا .

1 - السجع المطرف : و هو (اتفاق الفواصل في الحروف و اختلافها في الوزن) (1874) ، و يظهر ذلك في النماذج الآتية :

1 - (قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا) (1875) ، ذكر (ريحها) و (ذكاؤها) ، فاصلتان اتفقتا في القافية و اختلفتا في الوزن ، فريح وزنها : فعل ، و ذكاء وزنها : فعال . و الشيء نفسه مع بقية النماذج الآتية : (بابها - زهرتها) في - (فَإِذَا بَلَغَ أَبَاهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا) (1876) ،
2 - (العير - خفير) في قوله : (أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ فَإِنَّهُ لَأَيُّ يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعَيْرُ إِلَى مَكَّةَ بَغَيْرِ خَفِيرٍ) (1877) .

3 - و (فظ - غليظ) في : - (لَيْسَ بَفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ) (1878) .

4 - و بين (رأيت - سمعت) في : (مَا لَأَعْيُنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ) (1879) .

5 - و كذلك في (سعديك - يدك) في قوله : (لَبِيَّكَ وَسَعْدِيكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ) (1880) .

2 - السجع المرصع : هو (اتفاق ألفاظ الفقرتين في الوزن و القافية) (1881) ، من أمثلة ذلك ما يأتي :

1872 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج15 ، ص : 329 .

1873 - المرجع نفسه ، ج3 ، ص : 343 .

1874 - الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، ص : 442 .

1875 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج6 ، ص : 117 .

1876 - المرجع نفسه ، ج6 ، ص : 117 .

1877 - المرجع نفسه ، ج8 ، ص : 393 .

1878 - المرجع نفسه ، ج11 ، ص : 345 .

1879 - المرجع نفسه ، ج15 ، ص : 210 .

1880 - المرجع نفسه ، ج15 ، ص : 329 .

1881 - الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، ص : 242 .

1 - قوله صلى الله عليه و سلم : (قَالَ بَلَى وَعَزَّتْكَ وَكُنْ لَنَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ) (1882) , فقد جاءت اللفظتان : (عزتك) و (بركتك) متفقتين في الوزن و القافية . فكلمة الأولى توزن على (فعل) و الكلمة الثانية على الوزن ذاته .

2 - و كذلك بين كلمتي : (سبيل - قليل) في قوله صلى الله عليه و سلم : (أَمَا قَطَعُ السَّبِيلَ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعَيْرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ) (1883) , فهما مشتركتان في الوزن : (فعيل) .

3 - السجع المتوازي :

و هو (ما اتفقت فيه الفقرتان وزنا و قافية) (1884) , و النماذج الآتية توضح ذلك :

1 - جاء قوله في (أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ) (1885) و (وَأَقْطَعُ مَنْ قَطَعَكَ) (1886) في قوله : (أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعُ مَنْ قَطَعَكَ) (1887) .

2 - و الظاهرة ذاتها بين 8 - (وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا) (1888) و (تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا) (1889) في قوله (وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا) (1890) .

و تقوم الفواصل الصغرى و المتوسطة و الكبيرة الملازمة لبعض نصوص الحديث القدسي بالوظيفة نفسها التي صنعا السجع , كما أن استخدام الآيات القرآنية وسط الحديث القدسي يعد ظاهرة واضحة أمام كل من يقارب خطاب الحديث القدسي , و إنما السجع و الفواصل و الآيات التي تتخلل الحديث القدسي إنما هي ظواهر لغوية تعادل بطرية أو بأخرى عناصر لغوية ذات طبيعة شفهية من تنغيم و نبر و غيرهما حال كونها في التواصل الشفهي

1882 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري , ج 3 , ص : 343 .

1883 - م المرجع نفسه , ج 8 , ص : 393 .

1884 - محمد علوان و نعمان علوان : من بلاغة القرآن الكريم المعاني البديع , الدار العربية للنشر و التوزيع

, ط 2 : 1998 م , ص : 280 .

1885 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري , ج 19 , ص : 247 .

1886 - المرجع نفسه , ج 19 , ص : 247 .

1887 - المرجع نفسه , ج 19 , ص : 247 .

1888 - المرجع نفسه , ج 25 , ص : 151 .

1889 - المرجع نفسه , ج 25 , ص : 151 .

1890 - المرجع نفسه , ج 25 , ص : 151 .

2 - الصيغ الدعائية .

كان للدعاء في الحديث القدسي دوره المتميز في تطرية نشاط السامع و فاعليته , و شد انتباهه , و جعله في استمرارية تواصلية مع أحاديث الدعاء , فقد يأتي الحديث القدسي بالدعاء في مواقع و لحظات مفصلية تبعا لخصوصية الموضوع والمتلقي و المقام , و ما تقتضيه كل هذه المعطيات : (فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَيَدْعُوهُمْ فَيَضْرِبُ الصِّرَاطَ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ وَكَلَّمَ الرُّسُلَ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَخَطَّفَ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ) (1891) , مما يضيف على الخطاب القدسي جاذبية خاصة تميزه عما يحدثه القرآن الكريم أو الحديث النبوي في متلقيه . هذه الأسلوبية التعبيرية الجمالية لا شك أنها قد استمدت طاقاتها من طبيعة النص القدسي نفسه بكل ملابساته و معطياته , فضلا عن الأثر السمعي المؤثر من خلال التنوع في الصياغة الدعائية و في إيقاعاتها داخل سياق الحديث الواحد . و قد جاءت الصيغ الدعائية على الشكل الآتي : فأما صيغة (يا رب) : استعملت ثلاث مرات : - (يَا رَبِّ أَصْحَابِي) (1892) + - (فَيَقُولُ يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ) (1893) - (يَا رَبِّ لَنَا أَكُونُ أَشَقَى خَلْقِكَ) (1894) . و صيغة (رب) استعملت مرتين : - (فَقَالَ رَبِّ أَذْنِبْتُ) (1895) - (قَالَ رَبِّ أَصِبتُ) (1896) , بينما (اللهم) و (ربنا) ذكرتا مرة واحدة : (وَكَلَّمَ الرُّسُلَ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ) (1897) , - (فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ أَيُّ رَبَّنَا أ) (1898) . هذه الألوان التعبيرية إنما تكشف عن جانب من جوانب فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم و بلاغته في التخاطب , انطلاقا من مهمته الرسالية البيانية التي تعمل على كيفية

1891 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 117 .

1892 - المرجع نفسه , ج 19 , ص : 94 .

1893 - المرجع نفسه , ج 19 , ص : 94 .

1894 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .

1895 - المرجع نفسه , ج 25 , ص : 245 .

1896 - المرجع نفسه , ج 25 , ص : 245 .

1897 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 117 .

1898 - المرجع نفسه , ج 5 , ص : 74 .

توصيل المعنى و مقصده و ترسيخه في ذهن المبلغين على مختلف مستوياتهم و أزمتههم و أمكنتهم .

3 - استخدام بعض العناصر الحوارية ..

لنص الحديث القدسي طبيعة متميزة تمتك إلى جانب البعد الكتابي تلك الصفة الشفوية المتمثلة في الصيغة الحوارية التي اقتضتها الكثير من الحيثيات و الملابس الخاصة بـ(الناصر) و (المتلقي) و التفاعلات التواصلية القائمة بينهما , التي وضحت الرؤية و حققت المبتغى ...

أما صور الحوار و أشكاله الموثقة هنا و هنا في ثنايا الأحاديث القدسية التي لا يستطيع القارئ أن يتخطاها أو يغض الطرف عنها , إنما تمثل شكلا من أشكال تجسيد المشهد الشفوي و التواصل اللغوي الطبيعي بين (الناصر) و (المتلقي) و من ذلك قوله صلى الله عليه و سلم : (ألم تروا إلى ما قال ربكم) (1899) , مخاطبا بذلك جمهرة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم , وفي الحديث القدسي : (إن أمتك لا يزالون يقولون ما كذا ما كذا حتى يقولوا هذا الله خلق فمن خلق الله) (1900) , و هنا الحديث موجه إلى النبي صلى الله عليه و سلم ليخبر أمة بالسلوك العقدي السليم الذي يجب أن يلتزموا به أمام الذات الإلهية لحظة التفكير في أصل الوجود و الموجودات , و قوله : (.. فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَأَخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْتَرْتُ الْفِطْرَةَ ...) (1901) , يأخذ الحوار غير المباشر في نص الحدسي هذا القدسي طرفين آخرين هما النبي صلى الله عليه و سلم و جبريل عليه السلام ... ففي هذه الأمثلة و غيرها يتجلى الحوار دائرا بين طرفين على الأقل , و هذا الحوار يبدو أنه مدعوم ببعض الصيغ الحوارية مثل : الاستفهام : مَنْ أَنْتَ ؟ + وَمَنْ مَعَكَ؟ في (...عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ ..) (1902) , أو توظيف صيغة الأمر : فَارْجِعْ + فَاسْأَلْهُ فِي : (...فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا قَالَ

1899 - النووي : صحيح مسلم , ج 2 , ص : 137 .

1900 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 218 .

1901 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 261 .

1902 - المرجع نفسه , ج 2 , ص : 261 .

إِنَّ أُمَّتَكَ لَأَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ... (1903) .. و صيغة النداء : يا رب
في : (... يَا رَبَّ أُمَّ تَجْرِي مِنَ الظُّلْمِ ...) (1904)

4 - استخدام ضمير المخاطب

كما أن الضمائر التي استخدمها خطاب الحديث القدسي من مثل : ضمائر المتكلم و
ضمائر المخاطب بشكل واضح كما في قوله صلى الله عليه و سلم : (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ
وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا...) (1905) و قوله : (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ
يَقُولُونَ مَا كَذَا مَا كَذَا) (1906) , و قوله : (إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدٍ أُحْدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ..) (1907) , مع الإكثار
من الجمل الإنشائية ذات التوقيع الدقيق في نص الحديث القدسي , كما في قوله صلى الله
عليه و سلم : (سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ ؟ ...) (1908) و قوله : (.. وَالَّذِي
نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ...) (1909) , و قوله :
(.. فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً وَيَخْلُقُوا ذَرَّةً ..) (1910) , ذلك يعبر عن موقف المتكلم من المخاطب

إن استخدام الناص لكل هذه الأشكال التعبيرية و الأسلوبية المعادلة للعناصر اللغوية
ذات الطبيعة الشفوية للحديث القدسي لحظة تخلقه أول مرة , إنما هو محاولة لرسم
صورة اجتهادية واضحة حوارية متخيلة بين (الناصر) و (المتلقي) بكل ما في ذلك من
معان و مواقف متبادلة .

السياق اللاحق/البعدي

مما لا شك فيه أن نص الحديث القدسي بكل قيمه اللغوية و غير اللغوية و ألوانه
السياقية المتفاعلة مع بعضها البعض , و ما يحمل من قيم عقدية و اجتماعية و ثقافية و
تصورات مفهومية إسلامية ... يهدف إلى تحقيق , بمعونة النصوص الشرعية الأخرى

1903 - النووي : صحيح مسلم , ج 2 , ص : 261 .

1904 - المرجع نفسه , ج 9 , ص : 223 .

1905 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 332 .

1906 - النووي : صحيح مسلم , ج 2 , ص : 218 .

1907 - المرجع نفسه , ج 8 , ص : 393 .

1908 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 1 , ص : 319 .

1909 - المرجع نفسه , ج 10 , ص : 395 .

1910 - المرجع نفسه , ج 22 , ص : 111 .

القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف , جملة من التغييرات على أصعدة مختلفة ايدولوجية و نفسية و اجتماعية و ثقافية و سلوكية ... سواء أكان ذلك في المراحل الإسلامية الأولى أو حتى عبر سيرورته التاريخية التي عاشها و تفاعلات المجتمعات الإنسانية المختلفة . و بهذا تكون دلالات السياق بكل أنواعه , و في أطرها الأصولي , جاءت خادمة لبنية نص الحديث القدسي الكلية , آخذة بعين الاعتبار أن الخطاب القدسي متعاليا و معجزا في مضمونه و مقاصده و أحكامه و خالدا , و في الوقت نفسه واضحة في الحسابان معهود المخاطبين و الملابس الجزئية التي صحبت ميلاد النصوص قبلية كانت أم بعدية , و بالتالي فهي تعد (نظرية تتقيد مقاصد الشارع , فلا تخضع النص الإلهي للهوى البشري و الثقافة البشرية , بل تضع النص موضع المهيم على الواقع و الحاكم عليه , فما كان من أعراف و اسباب خاصة أو ملابس صحبت صدور النص مقصودة للشارع فهي معتبرة في تفسير مساق النص , و ما لم يقصدها الشارع فلا يمكن أن تكون مقصودة من مساق النص) (1911)

إن إلقاء الأضواء الكاشفة على هذا النوع من السياق /السياق اللاحق يعتبر قضية ضرورية و هامة في فهم نص الحديث القدسي شكلا و دلالة و مقاصدا , ناهيك عن ملامسة القيم العقدية و النفسية و الاجتماعية التي احتواها , خاصة إذا وضع الدارس في عين الاعتبار أن كل رسالة لغوية مهما كان نوعها هي عبارة عن فعل يقتضي رد فعل ما من قبل المتلقي به تكمل صورة و أبعاد الخطاب المقارب . هذا يعني أن السياق اللاحق جزء مهم من نص الحديث القدسي , و من ثمة قد يكون هو نفسه سياقا سابقا لرسائل لغوية و مواقف اتصالية و نصوص أخرى تالية له و لكنها غير مقدسة و ليست وحيًا . فنص الحديث القدسي بعد تخلقه و تشكل كينونته يمهد الطريق بوجوده ذاك لتشكيلات نصوية مكتوبة أو ملفوظة أخرى لاحقة له تمثل امتدادا لمقولاته و استمدادا منه ...

من معالم السياق اللاحق أن كل نص قدسي قد عمل على تفعيل قيما حضارية متنوعة , منها قيمة الحوار كنوع من التفاعل الايجابي بين المرسل و المرسل إليه , بل بين الناس في كل زمان و مكان , هذه القيمة التي انتشرت في معظم الأحاديث القدسية , و من ثمة بات الحديث القدسي معادلا موضوعيا حل بديلا مؤسسا لسلوكات حضارية

1911 - نجم الدين قادر كريم الزنكي : نظرية السياق , دار الكتب العلمية , ط1 : 2007 م , ص : 75 - 76 .

قيمة كان من العسير- في مرحلة تاريخية صعبة (العصر الجاهلي) - ممارستها بكل أريحية , نتيجة التكوين و التشكل الذي آل إليه المجتمع الجاهلي عبر سنوات عديدة ... و من ثمة فقد كان من نتائج فاعلية خطاب الحديث القدسي وضع المتلقي له في موضعية قيمية تمكنه من أن يتخلق بأخلاقيات الحوار المدعومة ببعض الآليات المهمة , و بالتالي يحسن تبادل الأدوار بمرونية ايجابية و انسيابية بين المتكلم و السامع لما لكل موقع من خطورة في تحقيق الحوار البناء و المثمر . و هناك عدة نماذج تمثل لنا هذا الظاهرة السالفة الذكر , ففي النص الأول : (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكَ قَالَ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي لَأُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِذَا شَاهَدًا مِنِّي قَالَ فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا قَالَ فَيُخْتَمُ عَلَيْهِ فِيهِ فَيُقَالُ لَأُرْكَانَهُ انْطَقِي قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ فَيَقُولُ بَعْدًا لَكِنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكَنَّ كُنْتُ أَنَاضِلُ) (1912) , فهذا الحديث القدسي يحمل نموذجين من الحوار , فالحوار الأول كان بين محمد صلى الله عليه و سلم : (فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكَ قَالَ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) (1913) , بينما الحوار الثاني كان بين الله تعالى و واحد من عباده يوم القيامة (يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي لَأُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِذَا شَاهَدًا مِنِّي قَالَ فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا ...) (1914) , و في النص الثاني : (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا قَالَ حَمَادٌ فَذَكَرَ مِنْ طَيْبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ قَالَ وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَسَدِكَ كُنْتَ تَعْمُرِينَهُ فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَقُولُ انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ قَالَ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ قَالَ حَمَادٌ وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا وَذَكَرَ لَعْنًا وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ قَالَ فَيُقَالُ انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِبْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى أَنْفِهِ هَكَذَا) (1915) , يحمل هذا النص بين طياته كذلك نوعين من الحوار : حوار بين الملائكة فيما بينهم : (وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ صَلَّى اللَّهُ

1912 - النووي : صحيح مسلم , ج 9 , ص : 232 .

1913 - المرجع نفسه , ج 9 , ص : 232 .

1914 - المرجع نفسه , ج 9 , ص : 232 .

1915 - المرجع نفسه , ج 9 , ص : 134 .

عَلَيْكَ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتَ تَعْمُرِينَهُ (1916) ، و حوار آخر بين الله تعالى و الملائكة و جيز : (فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَقُولُ انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ) (1917) ، أما في النص الثالث : (عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابِينَ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءَ فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطِينَ فَأَنْتُمْ هُمْ فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً قَالَ هَلْ نَقَصْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ قَالُوا لَا قَالَ فَذَلِكَ فَضَّلِي أَوْتِيهِ مِنْ أَسَاءَ) (1918) ، فيسجل بعض تفاصيل الحوار الذي دار بين الله تعالى و أقوام من اليهود و النصارى ، يسجل فيها اعتراضهم على القضاء الرباني و حكمه في منافسة دارت بينهم و بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم : (غَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً) (1919) ، و لينتهي كل ذلك بقرار إلهي يزيل كل لبس و غموض : (قَالَ فَذَلِكَ فَضَّلِي أَوْتِيهِ مِنْ أَسَاءَ) (1920) . و الملاحظ أن هذه الحوارات قد جاءت و جيزة و مقتضبة ، بل أحيانا في شكل ومضات ، و ذلك من أجل تأسيس هذه القيمة الحضارية في نفوس المتلقين ، لا من أجل العرض الفني و التعبير الجمالي فقط .

و قد عمل السياق اللاحق على استحضار الكثير من القيم الشعورية لدى المتلقي من مثل قيمة الشجاعة الأدبية و عدم الانعزالية و الاغترابية تجاه المبادئ و التصورات العقدية التي جاء بها الإسلام منذ لحظاته الأولى و إلى أن يرث الله تعالى الأرض و من عليها ، و يظهر ذلك في هذا الحديث القدسي الذي يحدث فيه واحد من البشر الله تعالى و يناقشه من غير تخوف مخل أو جرأة وقحة ، على الرغم من أن الطاقة البشرية - في الدنيا - لا (فالإنسان هو القوة الإيجابية في الأرض ، في ذات اللحظة التي يسلم كيانه كله لله ، بل من هذا الإسلام الكامل لله ، يستمد طاقاته الايجابية كلها على الأرض) (1921)

1916 - النووي : صحيح مسلم ، ج 9 ، ص : 134 .

1917 - المرجع نفسه ، ج 9 ، ص : 134 .

1918 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 12 ، ص : 125 .

1919 - المرجع نفسه ، ج 12 ، ص : 125 .

1920 - المرجع نفسه ، ج 12 ، ص : 125 .

1921 - محمد قطب قبسات من الرسول ، ص : 53 .

و في السماء كذلك : (قال سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة قال هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب ...)(1922) . فقد عملت نصوص الحديث القدسي - إذا - على تفعيل الكثير من القيم الإسلامية و السنن النفسية و الاجتماعية .. و منها سنة المشاركة الوجدانية و التفاعل المستمرة بين النص القدسي و أجيال المسلمين عبر حركية الزمن المتتالية (هي رحمة من الله .. بالناس أن يجعل لهم سنة ثابتة , , يجعلها واضحة , و يجعلها محلا للعبارة , و يوجه إليها الضمائر , و يوقظ إليها القلوب)(1923) . فكل نص من نصوص الحديث القدسي يفترض أن ينتظر - من خلال ما يحمل من رسائل قيمية إنسانية و أخلاقية و إيمانية و حضارية قيمة - قارئاً مشاركاً متفاعلاً بإيجابية قبولاً أو رفضاً تجاه ما يصله مما يحويه نص الحديث القدسي . و هذا كله مما يخلق تواصلية نوعية بين المرسل و المرسل إليه .

و من معالم السياق اللاحق أيضاً للنص الحديث القدسي ما يؤديه هذا الأخير من انشاء علاقات روحية و عقد لصدقات مشاعرية مميزة مع كل من تلقاه : (.. فنزلت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال أرجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف على أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمسا قال إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أرجع إلى ربك فأسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

1922 - النووي : صحيح مسلم , ج 1 , ص : 319 .

1923 - محمد قطب قبسات من الرسول , ص : 54 .

فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ .(1924) , فالمتأمل لهذا الجزء من نص الحديث القدس , تنتابه لحظات ممتعة من القشعريرة و الإحساسات الدافئة , عندما يقف قبالة حديث موسى صلى الله عليه و سلم لمحمد صلى الله عليه و سلم , هو ينفث في داخلية المتلقي شحنات من المحبة و الإخلاص للبشرية كلها , و كذا التجرد من مرض الأنانية و عبودية الذات , : (فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطَبِّقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ) (1925) , بينما وعبارات محمد صلى الله عليه و سلم المشحونة بمشاعر التعظيم و التوقير و الاحترام لله تعالى , تحلق بالمتلقي قي مقامات عالية من العبودية لله تعالى (فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ) (1926) , على الرغم من أن هذا الأمر إنما هو نتيجة حاصلة من خلال التفاعل المتبادل بين النص و المتلقي و كل أنواع السياقات : السابق و المصاحب و اللاحق ... كما أن من معالم السياق اللاحق للحديث القدسي هو تأكيد صلاحيته هو و القيم العقدية و الشرعية المتجذرة فيه في كل زمان و مكان , فعلى الرغم من أن الحياة تتسم بالتغير المستمر في شتى المجالات السياسية و الاجتماعية و الثقافية ... فإن الحديث القدسي استطاع أن يحافظ على تجده و استمراريته الواقعية و استجاباته الحكيمة لكل تفاعل قرائي في أي مرحلة تاريخية ... كما أن الوصايا التي تضمنتها الكثير من نصوصه تعد من قبل السياق اللاحق ... و لهذا فإن للسياق اللاحق الكثير من المزايا و الفوائد , إذ يكفي أن يكون تلقيه لأول مرة يثير في القارئ مقبولة خاصة و حميمية ذات استمرارية و حضور ايجابي .

1924 - النووي : صحيح مسلم , ج 2 , ص : 261 .

1925 - النووي : صحيح مسلم , ج 2 , 261 .

1926 - المرجع نفسه , ج 2 , 261 .

الفصل

(العلاقات الدلالية - المنطقية)

التمهيد

تقوم (رؤية المرء لموضوع دراسة ما على المهمة العلمية التي يراد انجازها , و كذلك تنطلق عملية التكوين النظامي للموضوع - أي اكتشاف نظام في مجال الدراسة أو فرضه عليها - ...)⁽¹⁹²⁷⁾ من خلالها أيضا , و لهذا تهدف هذه المحطة من البحث إلى استنطاق النص القدسي من الداخل باعتبار هذه الدراسة تتقاطع كثيرا مع الدرس النصي بل و تتماهى معه لتركيزها على المكونات الخطابية ذات القابلية للتشكل , و لا تنظر إلى المكونات على أنها عناصر بنيوية سكنوية معزولة عن السياق بمفهومه الشمولي , و على هذا الأساس فقد عرف نص الحديث القدسي مجموعة من العلاقات الدلالية والمنطقية عملت كلها على تحقيق تماسك بنياته و انسجامه و استمرارية عطائه تجاه المتلقي , من دون أن يحيد عن كون الحديث القدسي نص مقدس أصلي ثابت , بينما التأويل (نسبي متغير متحرك , لأنه يتأثر بالظروف الذاتية لمبدعه مثل ثقافته و منحاه الفكري و أيديولوجيته ... بل و بالأحوال العامة لمجتمعه و بيئته من كافة أقطارها السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية , فجميعها بغير استثناء تترك بصمات أصابعها على المنتج الثقافي البشري)⁽¹⁹²⁸⁾ وهو التأويل و التفسير , كل ذلك مؤسس انطلاقا من كون التماسك النصي عنصر جوهري في تشكيل الخطاب و تأويله , مع عدم إغفال هدفية رئيسة - هنا - تتجلى في الحرص على فك شيفرة العلاقات الدلالية/المنطقية و توضيحها بين المتتاليات الجمالية داخل فضاء نص الحديث القدسي , و عدم الغموض في أداء المقصود منه , و عدم الخلط بين عناصره التكوينية ... إذ شهد خمسون حديثا قدسيا هذه الظاهرة , إلا أنها لم تكن محصورة في نوع واحد من العلاقات الدلالية بل تعددت هذه العلاقات كما و نوعا , و الجدول الآتي يوضح نوع هذه العلاقات و نسبة تواجدها في نص الحديث القدسي المذكور عددها سافا :

1927 - روبرت ديبوغران و لفغانغ دريسلر : مدخل إلى علم لغة النص , ص : 55 .

1928 - خليل عبد الكريم : النص المؤسس و مجتمعه , دار مصر المحروسة , ط2 : 2002 م , ص : 19 .

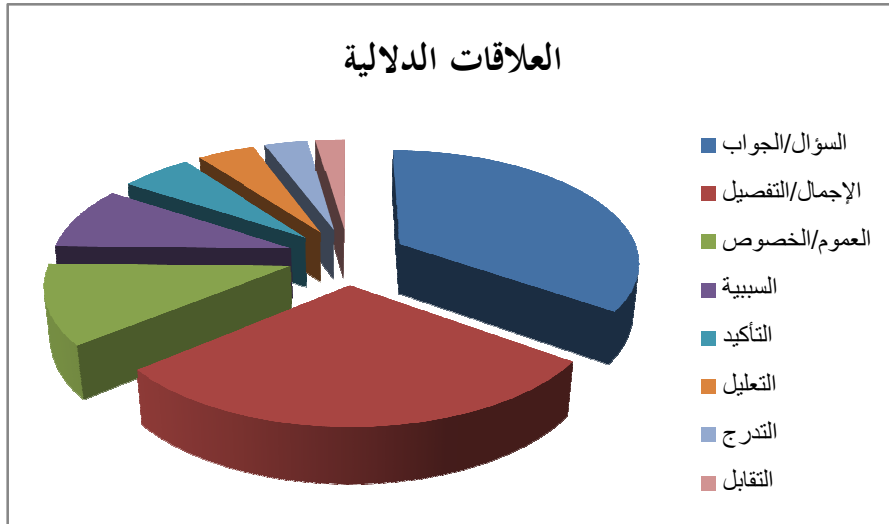
النموذج الإحصائي قراءة العلاقة المهيمنة :

عدده	نوع العلاقة الدلالية
31	1 السؤال/الجواب
26	2 الإجمال/التفصيل
10	3 العموم/الخصوص
8	4 السببية
5	5 التأكيد
4	6 التعليل
3	7 التدرج
2	8 التقابل
89	المجموع

مقارنة بين أنواع العلاقات الدلالية :

يلاحظ من خلال الجدول أعلاه ما يأتي :

- 1 - الجدول مرتب ترتيبا تنازليا حسب شيوع العلاقة الدلالية .
- 2 - علاقة السؤال/الجواب أكثر العلاقات شيوعا في نص الحديث القدسي .
- 3 - من خلال الجدول السالف يلاحظ الدارس - أيضا - أن شبكة العلاقات الدلالية الملحوظة التي عملت على ربط مفاصل نص الحديث القدسي و ترابطه قد بلغت : 89 حالة , و قد تنوعت في الآن ذاته على الترتيب التنازلي من الأكثر انتشارا إلى الأقل انتشارا - حسب ما يبينه الجدول المذكور أعلاه - بين علاقة السؤال/الجواب فعلاقة الإجمال/التفصيل , ثم علاقة العموم/الخصوص و علاقة السببية و علاقة التأكيد , لتنتهي بعلاقة التعليل و علاقة التدرج و علاقة التقابل . و إليكم تفصيل ما تقدم إجماله .



هذا يدل على أن الحديث القدسي يتسم بالاستقرارية النصية (.. بصفته نظاما .. من خلال استمرارية الوقائع ... وارتباط بين مختلف وقائع النص من جهة , و سياق استغلاله من جهة أخرى) (1929) , من ثمة يؤسس لعقيدة إيمانية مبنية على قاعدة القناعة و الاقتناع و الحوارية العقلانية مع الاشتغال (بدور المتكلم و المستمع معا في الفعالية الخطابية ..) (1930) التي تتخذ آلية السؤال/الجواب وسيلة إستراتيجية في مخاطبة الآخر , سواء أكان هذا الآخر من المؤمنين أو من غير المؤمنين ، لأن إدخال اتجاهات مستعملي النص ضمن معايير النصية شرط مفصلي , و في الوقت ذاته (لا غنى لآلية تشكيلة لغوية , يراد استغلالها في التفاعل الاتصالي , عن توافر القصد بأن تكون نصا , و عن قبولها بهذا الاعتبار) (1931) , فخطاب الحديث القدسي يرفض التقليد الأعمى في العقيدة و الشريعة و يعلو من مكانة من يعمل عقله في مقاربتة و محاورته و مجادلته كذلك - إن اقتضى المر - , و هذا ما يستشفه الدارس و هو يقف أمام هذا الحديث القدسي المترع بعلاقة السؤال/جواب إلى درجة تثير الانتباه , و الذي سنأخذ جزءا منه على سبيل الاستدلال , قال صلى الله عليه و سلم : (ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةَ

1929 - روبرت ديبوغران و لفغانغ دريسلر : مدخل إلى علم لغة النص , ص : 71 .

1930 - طه عبد الرحمن : الحجاج و التواصل , مطبعة المعارف الجديدة , ص : 23 .

1931 - المرجع نفسه , ص : 71 .

فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ
وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنَ
زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَبًا وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ
فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ
فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَالَ
وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ
مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ
لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ
السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ
مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ
جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ
إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ
وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السُّدْرَةِ الْمُنْتَهَى
وَإِذَا وَرْقُهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ قَالَ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ
فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ
عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا
فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا
يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبِّ
خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ
لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى

السؤال/الجواب	- ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ - سؤَال قَالَ جِبْرِيلُ - جَوَاب قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ - سؤَال قَالَ مُحَمَّدٌ - جَوَاب قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ سؤَال قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ جَوَاب .
السؤال/الجواب	
السؤال/الجواب	

وَبَيَّنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (1932). و الجدول الآتي يظهر مواقع هذه العلاقة الدلالية (السؤال/الجواب) :

و الظاهرة نفسها سنجدها لو تتبعنا باقي الحديث القدسي في الجزء المتبقي من الجدول :

السؤال/الجواب	- فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا
السؤال/الجواب	- فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ
السؤال/الجواب	- فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَالَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا
السؤال/الجواب	- فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا
السؤال/الجواب	- فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا
السؤال/الجواب	- فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا
السؤال/الجواب	- فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا
السؤال/الجواب
السؤال/الجواب	- فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي
السؤال/الجواب	- فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيَّنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

و الغاية من علاقة السؤال/الجواب (الحوار) هي محاولة (فهم الذات و الآخر في إدارة العلاقات المتشابكة معه , سواء على مستوى الفكر أو السلوك) (1933) ذلك يعتبر (من بين المؤشرات التي تحدد موضع الأمم على مقياس التحضر , و حري بالذكر أن إدارة عملية المحاجة مع الآخر من بين تلك المؤشرات , لذا فقد عني علم النفس الاجتماعي و علوم أخرى كذلك بدراساتها) (1934) , إلا أنه من خلال النص السالف و نصوص الأحاديث القدسية الأخرى التي شهدت انتشار علاقة السؤال/الجواب فيها , يلاحظ أن من بين الأهداف الرئيسية لمعظم العلاقة الدلالية/المنطقية المذكورة سالفًا هي إقامة الحجة ودفع الشبهة والفاصد من القول والرأي , على الرغم من أن المتكلم هنا (يجعل المستمع نظيره في الحقوق و الواجبات , و أنه يعلم أن الحجة على من ادعى , و أنه يعتقد صحة الحجة التي يستدل بها) (1935) , على الرغم من أن ذلك لا يتم إلا من خلال التعاون المتبادل بين طرفي الفعل التواصلية قصد معرفة الحقيقة, والتوصل إليها, و كشف كل طرف ما خفى على صاحبه منها, والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق , لأن الحجة في حقيقتها هي (عنصر دلالي , متضمن في القول , يقدمه المتكلم على أنه يخدم و يؤدي إلى عنصر دلالي آخر , و الذي يصيرها حجة , أو يمنحها طبيعتها الحجاجية هو السياق , فما يمكن أن يكون حجة في هذا السياق قد لا يكون كذلك في سياق آخر , حتى و لو تعلق بنفس المحتوى القضوي , أو بنفس الحدث المعبر عنه داخل القول) , و هذا ما يجده الدارس في سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم - قولاً و فعلاً و تقريراً - في شكل نماذج كثيرة متنوعة للحوار و صور شتى لتقدم لنا الدروس التي يحسن بنا الانتفاع بها . كما يلحظ الموقف الفكري لصاحب النص الذ تجسده سلسلة المتواليات الجمالية, سواء على صعيد الحديث القدسي السالف أو بقية الأحاديث

1933- طريف شوقي محمد : المحاجة طرق قياسها و أساليب تنميتها , مركز تطوير الدراسات العليا و البحوث في

العلوم الهندسية - كلية الهندسة - جامعة القاهرة , ط1 : 2005 م , ص 01 .

1934 - المرجع نفسه , ص : 01 .

1935 - طه عبد الرحمن : الحجاج و التواصل , ص : 07 .

القدسية التي تدور في فلكه ، علماً بأن استخدامه لآليات الربط الدلالية لا يكون عبثاً ، بل لغاية تواصلية ، وليست دلالة كل منها واحدة في كل موقع ترد فيه ، وهذا هو الذي يعطي اللغة حركتها وحيويتها ، يبين أن (للكلام سلطاناً ما بعده سلطان ، و أن للكلمات قوة عظيمة لا تخفى ، و تأثيراً قويا لا ينكر) (1936) .

1 - السببية

ينظر إلى السببية هنا على أنها العلاقة بين السبب و المسبب (و مبدأ السببية أحد مبادئ العقل ، يعبرون عنه بقولهم : لكل ظاهرة سبب أو علة ، فما من شيء إلا كان لوجوده سبب ، أي مبدأ ، يفسر وجوده) (1937). و لهذا فهذه العلاقة هي واحدة من العلاقات المؤسسة على الرابطة المنطقية بين الدلالات التي تتضمنها التراكمات النصية ، و قد يميل إليها المتكلم في الكثير من الأحيان حتى يبرر خطابه تجاه المتلقي ، و يصنع بينه و بين هذا الأخير علاقة تفاعلية فاعلة لأن النص ليس (سوى عدم و وجوده ذاته عبث أي خال من المعنى ، و سيظل كذلك إلى أن تتدخل دينامية القراءة ، التي تبدو و كأنها تركيب للدراك و الإبداع ، فهي تقرر في آن واحد أساسية الذات و الموضوع ..) (1938). على هذا يعلق في ذهنه أن وراء كل حدث سببا يبرره ، سواء أكان مذكورا في ثنايا الخطاب أو مستنتجا من سياق الكلام ، ففي قوله صلى الله عليه و سلم : (فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا) (1939) فسبب اسوداد هؤلاء يعود إلى كونهم قد خرجوا في التو و اللحظة من النار ، إن صورة الهول هنا و الحالة النفسية التي يعيشها هؤلاء الذين ابعدوا - رحمة - من النار ، و ما كانوا ينتظرون ذلك ، إن هذه المشهدية (لتنفطر لها السماء ... و إنها لتشيب الولدان ، و إنه لهول ترتسم صورته في الطبيعة الصامتة ، و

1936 - أبو بكر العزاوي : اللغة و الحجاج ، ، العمدة في الطبع ، ط 1 : 2006 م ، ص : 134 .

1937 - جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، 1982 م ، ج 1 ، ص : 649 .

1938 - رشيد بن نحدو : العلاقة بين القارئ و النص في التفكير الأدبي المعاصر ، عالم الفكر ، المجلس الوطني

للثقافة و الفنون و الآداب - دولة الكويت ، المجلد 23 ، العدد 1 و 2 ، ، أكتوبر - سبتمبر 1994 م ، ص : 474 .

1939 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 270 .

في الإنسانية الحية , و على الخيال أن يتملى هذه الصور الشاخصة , و إنه ليتملاها فيهتز لها الوجدان ...) (1940). و تؤكد في الوقت ذاته أن الحياة (ليست غدوا و رواحا كما يراها الفيلسوف نيتشه , و التي تمتلئ و تخلو كالساعة , و لا هدف لها أكثر من ذلك ... إن الحياة الآخرة ذات هدف عظيم , هو المجازاة على أعمال الدنيا , خيرا كانت أم شرا , و هذا الجزء من نظرية الآخرة يكاد يتضح جليا حين نعلم أن أعمال كل إنسان تحفظ و تسجل بصفة دائمة , و بغير توقف ..) (1941), كما في قوله صلى الله عليه و سلم (فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ مَلَكُ الْجَنَّةِ رَأَى بِهَيْبَتِهَا سَكَنَةً مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُنَهَا) (1942), فسكوت هذا المخلوق مدة من الزمن قد تطول أو تقصر إنما كان وراءه سبب معين و محدد يتمثل في انبهاره لحظة تموقعه قبالة الجنة و رؤيته جزءا مما تحويه , و بذلك تنعقد العلاقة في ذهن المتلقي بين الحدث و سببه مما يجعل هذا الجزء من الخطاب أولا مترابطا , يتجاوز ذلك إلى جعل المتتاليات الجمالية الأخرى مترابطة هي أخرى مما يضيف على النص تماسكا و انسجاما و استمرارية , و بهذا السبب فالمتلقي للحديث القدسي يهتز لتعبيره و يفعل معه و يستجيب له (لأن فيه هديا , و لأن فيه موعظة , و لأن فيه خطابا موجها لنفوسنا بطريقته الخاصة .. و لعل أبرز سمات هذه الطريقة هي طريقة التصوير و صلتها بالنفوس البشرية معرفة و توجيهها و إثارة) (1943)... و من هنا قد يلامس الباحث بعض خصائص خطاب الحديث القدسي منها أنه خطاب عقلاني متناسبا مع (عقلانية ذلك الزمان , و لأجل ذلك لا بد لنا من أن يكون خطابنا الديني متناسبا مع عقلانية زماننا و إلا فعدم مراعاة هذا الأمر سوف يوجب الخدشة في خصيصة مهمة من خصائص الخطاب الديني) (1944).

1940 - سيد قطب : مشاهد القيامة في القرآن , ص : 61 .

1941 - وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان , تعريب ظفر الدين خان , مكتبة الرسالة , ص :

106 .

1942 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج1 , ص 270 .

1943 - شلتاغ عبود : أسرار التشابه الأسلوبى في القرآن الكريم , دار المحجة البيضاء , ط1 : 2003 م , ص : 259 .

1944 - علي عباس الموسوي : قراءات نقدية في تجديد الفكر الديني , دار الهادي , ط1 : 2002 م , ص : 53 - 54 .

3 - (- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَادِرِنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) (1945) .

ابتعاد الإنسان عن عقيدة الإيمان أو عن الالتزام بالرسول وبرسالته وما إلى ذلك مما يتصل بسلامة العقيدة، يعرضه لغضب الله وسخطه وعقابه، وفي هذا ظلم كبير للنفس، لأنه يتصل بقضية المصير فـ (الإرادة الإلهية على ضربين : ضرب من باب القدر و هو أمر متحقق حتما ، و من هذا الضرب السنن الإلهية التي يجري الكون على أساسها ، و هي قوانين الطبيعة و فطرة الكائنات ... أما الضرب الثاني فهو من باب القضاء و هو يتحقق فقط عن طريق الحرية و الاختيار ، أي عندما تتحقق في وضع يكون فيه تحقيقها أو عدم تحقيقها ، امكانيتين متميزتين ، و تلك هي القوانين الخلقية . إنها تتعايش مع قوانين الطبيعة ، بمعنى أنها تتحقق دائما في سياق من الأشياء و الأشخاص و العلاقات في العالم الواقعي ... إنها تتطلب ممارسة الشخص لإرادته ممارسة حرة ..) (1946) . وهكذا ربما يكون ظلم النفس - إراديا - بالانحراف عن الصراط المستقيم، وذلك بمعصية الله سبحانه وتعالى في ما أمر به وفي ما نهى عنه، فيترك ما أمر الله به ويفعل ما نهى الله عنه . إنَّ الله تعالى يوجِّه الإنسان إلى أنَّ ظلمه لنفسه لن يكون ضريبةً أبديةً يواجه نتائجها السلبية بشكل دائم إلا إذا بادر - مستعجلا - قتل نفسه من غير وجه حق (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَادِرِنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) (1947) ، فسببية هذا الحكم الرباني الشديد بادية للعيان ، تسهم فيها هذه العلاقة السببية بقوة في توضيحها و تقريبها إلى ذهن المتلقي ، ولكن الإنسان/العبد يمكنه أن يبتعد عن ذلك كله بالتوبة إلى الله واستغفاره ومحاولة السير من جديد في الخطَّ المستقيم فـ (كل فعل و نشاط حياتي هو فعل و نشاط ديني اسلامي إذا توجه إلى الغاية الصحيحة و بالأسلوب الصحيح) (1948) . وهذا ما جاء

1945 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 16 ، ص : 66 .

1946 - اسماعيل الفاروقي : إسلامية المعرفة ، المبادئ العامة - خطة العمل - الإنجازات ، دار الهادي ، ط1 : 2001

م ، ص : 106 - 107 .

1947 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 16 ، ص : 66 .

1948 - اسماعيل الفاروقي : إسلامية المعرفة ، المبادئ العامة - خطة العمل - الإنجازات ، ص : 109 .

في الآيات التي تتحدث عن الذين يستحقون مغفرة الله ويستحقون جنّته. يقول تعالى: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم)⁽¹⁹⁴⁹⁾ ، والمسارة إلى طلب المغفرة من قبل الله تعني أن يسارع الإنسان إلى الأعمال التي يحبها الله ويرضاها ويغفر لمن قام بها، باعتبارها تمثل التوبة، فالطريقة التي يسمو بها الإنسان عن عقلية الإنفعالات غير المحسوبة وعن عملية ردّ الفعل الأهوج على الصعيد الذاتي (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزَعٌ فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَأَ الدَّمَ حَتَّى مَاتَ)⁽¹⁹⁵⁰⁾ أو حتى على باقي الأصعدة الحياتية الأخرى ، ليعيش القيمة الروحية في العفو عند المقدرة، والعفو عن أساء إليه، ليدراً بالحسنة السيئة، هي إحدى أهم صفات المؤمنين . فالتوحيد الحقيقي يكون في الطاعة و الامتثال لأوامر الله تعالى .

5 - (- فَقَالَ أَعْلَمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفْرَتُ لِعَبْدِي)⁽¹⁹⁵¹⁾ .

يبين هذا الحديث القدسي حال الذين ظلموا أنفسهم - من خلال تجربة فردية - بالكفر أو بالشرك أو بالانحراف عن القاعدة الإسلامية، هذا النوع من الظلم الذي يجعل الإنسان يتحرك في مسيرته إلى نار جهنم من خلال غضب الله وسخطه، لأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. إنَّ الله فتح لهؤلاء باب التوبة، وذلك بأن يستغفروا الله من هذه الخطيئة الكبرى، وهي الشرك ليسيروا إلى التوحيد، والكفر ليسيروا إلى الإيمان، و المعصية ليسيروا إلى الإحسان ، وعلى ضوء ذلك، فإنَّ الله تعالى يدعو عباده إلى العيش بوعي كلي و جلي على (ربوبية الله الحق و ألوهيته في عالم غايته الخير و الحق و الجمال و الاعمار و الحيوية لأن كل شيء فيه موجود بصنفته عز و جل ، لإتفان إرادته ...)⁽¹⁹⁵²⁾ ، ليعدهم بالاستجابة لهم في استغفارهم و التوبة عليهم كلما آبوا إليه و عادوا إلى صراطه المستقيم ، و بذلك يكون الله تعالى قد دعا عباده إلى رحمته ، وفتح لهم أبواب مغفرته، و وعدهم بما يرضيهم في الدنيا و الآخرة.

1949 - سورة آل عمران آية 133 .

1950 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 16 ، ص : 66 .

1951 - المرجع نفسه ، ج 25 ، ص : 245 .

1952 - اسماعيل الفاروقي : إسلامية المعرفة ، ص : 90 .

و لقد تواجدت العلاقة السببية في نصوص الحديث القدسي الذي تضمن ظاهرة الفصل 08 مرات , و أحتل بذلك المرتبة الرابعة .

2 - السؤال/الجواب

تحليل الخطاب الحجاجي يعرف السؤال (باعتباره نقطة خلاف نتيجة التعبير عن وجهات نظر متباينة في نفس الغرض , و إعادة النظر شرط ضروري لإقامة حجاج)⁽¹⁹⁵³⁾. مما يلاحظه الدارس و هو يقارب نصوص الأحاديث القدسية التي شهدت ظاهرة الفصل ان بناءها يتخذ في الكثير من الأحيان شكل ثنائية طرفها الأول عبارة عن سؤال و طرفها الثاني يمثل إجابة يقتضيهما المقال و المقام . زيادة على ذلك فان من أسباب فصل تركيب لغوي عن تركيب آخر يليه هو وجود سؤال , قد يكون ظاهرا أو مقدرًا يفهم من سياق الكلام و يقتضيه بناء الخطاب نفسه . ففي قوله صلى الله عليه و سلم (فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ آلَهُ أَكُنْ أَكُنْ أَكُنْ نَحْنُكَ مِمَّا تَرَى قَالَ بَلَى وَحِزَّتِكَ)⁽¹⁹⁵⁴⁾ فقد جاء الجواب أعم من السؤال للحاجة إليه و مطابقة لمقتضى الحال , رغبة من أيوب عليه السلام أن يعترف , ليس فقط بما أفاض عليه الله تعالى من خيرات في هذه الدنيا , و إنما شكر و إقرار منه كذلك بكل أنعم الله تعالى عليه و التي لا تعد و لا تحصى في الدنيا و الآخرة , و كل ذلك لا يتحقق إلا من خلال معرفة (النعمة معرفة تامة , لأن منبع النعمة و الثناء الجميل للمنع مرتبط على الأغلب بمعرفة النعمة ... رحمة لعجزنا و فقرنا و بناء على احتياجنا , تفضلا منه تعالى من دون مقابل ..)⁽¹⁹⁵⁵⁾ . و هذا ما فجر في أيوب عليه السلام مشاعر الثناء الجليل و الجميل على مصدر تلك الألفاظ و النعم و العطاءات . أما في قوله صلى الله عليه و سلم : (فَقَالَ لَهُ مَنْ قَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ أَلَا تَرَضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَحَلَّكَ وَأُفْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ قَالَتْ بَلَى يَا رَبِّ قَالَ فَذَلِكَ)⁽¹⁹⁵⁶⁾ فقد ساهم الاستفهام المقدر هنا في تحريك انتباه المتلقي لطرح سؤاله فيقول : فماذا قال لها

1953 - باتريك شاربدو و دومينيك منقنو : معجم تحليل الخطاب , ص : 467 .

1954 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 3 , ص : 343 .

1955 - محمد فتح الله كولن : التلال الزمردية نحو حياة القلب و الروح , دار النيل , ط3 : 2006 م , ص : 161 .

1956 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 19 , ص : 247 .

الرب عز وجل (قَالَ أَلَا تَرٰخَيْنَ أَنْ أَحِلَّ مَنَ وَحَلِكِ وَأَشْطَعَ مَنَ قَطَعَكِ) (1957) ، و بذلك يؤسس هذا المقطع من الحديث القدسي لمقام الرضا و يضع كبرى معالمه على الطريق ، فـ(طرق الرضا إرادي ابتداء ، و لكنه هدية إلهية فوق الإرادة و الاختيار ، حيث إنه موهبة الحق سبحانه لمحبيه ، و لهذا لم يؤمر به كالصبر في القرآن و السنة النبوية ، بل ذكر كوصية فحسب) (1958) . في هذا الاتجاه يساهم السؤال الظاهر أو المقدر في جعل خطاب الحديث القدسي متصلا و متوصلا بعضه ببعض دون وجود رابط ملفوظ ، و من ثمة يصير خطاب الحديث القدسي منسجما في حس المتلقي و يدفعه إلى استمرارية التفاعل معه إلى أقصى قدر ممكن من المقاربة و الاستيعاب ... علما بأن علاقة السؤال/الجواب في الحديث القدسي إنما كانت تهدف فيما تهدف إليه التأكيد بدقة لدى المتلقي أن (الأساليب التي تحاول أن تتحدى الشك بالعنف و تقضي على الشبهة بالشتيمة ، و تمارس - في عملية الحوار - عرض عضلاتها المفتولة ، تجرم في حق الفكرة ، و في حق الأمة ..) (1959) و في حق الإسلام بكل أبعاده .

و لقد تردد ذكر علاقة السؤال/الجواب في نصوص الحديث القدسي الذي تضمن ظاهرة الفصل ما يساوي 31 مرة ، و يكون بذلك قد أحتل المرتبة الأولى مقارنة بباقي العلاقات الدلالية الأخرى

نماذج للتحليل

1 - (- يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ حَتَّى تَكُونَ) (1960) .

قد دل القرآن العظيم ، والسنة المطهرة الصحيحة على أن المؤمنين يوم القيامة يرون الله تعالى ، يقول الله - عز وجل - : (وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة) .

1957 - المرجع نفسه ، ج 19 ، ص : 247 .

1958 - محمد فتح الله كولن : التلال الزمرديّة نحو حياة القلب و الروح ، ص : 171 .

1959 - محمد حسين فضل الله : مفاهيم إسلامية عامة ، دار الزهراء ، ط2 : 1991 م ، ص : 08 .

1960 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 6 ، ص : 117 .

ناضرة يعني بهية جميلة، إلى ربها ناظرة تنظر إلى وجهه الكريم - سبحانه وتعالى - .
 وقال - عز وجل - : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)⁽¹⁹⁶¹⁾ صح عن رسول الله - عليه
 الصلاة والسلام - أنه قال : الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله. وقال الله: (كلا
 إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)⁽¹⁹⁶²⁾ . فإذا حجب الكفار علم أن المؤمنين غير
 محجوبين بل يرون ربهم في القيامة وفي الجنة، أما الأحاديث التي عالجت هذه القضية
 فهي كثيرة ، و نص الحديث القدسي السالف ينوب عن بقية الأحاديث الأخرى (- يَا رَسُولَ
 اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ قَالُوا لَا
 يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ
 حَذَلِكُمْ)⁽¹⁹⁶³⁾ . فالكلام بين واضح ، بين عليه الصلاة والسلام أن المؤمنين يُرون ربهم
 رؤيةً ظاهرة جليلة كما ترى الشمس صحوا ليس دونها سحب ، وكما يُرى القمر ليلية
 البدر ليس هناك سحب فـ(ظاهرة النبوة المحمدية متصلة الحدث ، متواصلة الطرح ،
 موصولة اللاحق بالسابق ...)⁽¹⁹⁶⁴⁾ ، فقوله صلى الله عليه و سلم (قَالَ هَلْ تُمَارُونَ فِي
 الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ)⁽¹⁹⁶⁵⁾ إنما هو جواب عن سؤال مباشر من الصحابة
 رضي الله تعالى عنهم الحاضرين في هذا المجلس النبوي (يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ)⁽¹⁹⁶⁶⁾ ، و على الرغم من تعدد الأسئلة و الأجوبة و تسلسلها إلا أنها كانت في
 متتاليات جمالية متماسكة نصيا و متعاقبة فيما بينها من غير روابط ملفوظة ، إذ عملت
 من خلال ذلك على جعل مفاهيم نص الحديث القدسي الإيمانية تقف إلى جانب الأحكام
 الشرعية في عملية التجلية عن رؤية إسلامية عقدية تتمثل في إمكانية رؤية الله تعالى
 يوم القيامة ، باتت (تشكل جزءا مهما من الثقافة الإسلامية ، و تساهم إلى حد كبير
 بتيسير فهم النصوص الشرعية التي يعتمدها المجتهد في فقه النظريات)⁽¹⁹⁶⁷⁾ ، هذا

1961 - سورة يونس ، الآية : 26 .

1962 - سورة المطففين ، الآية : 15 .

1963 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 6 ، ص : 117 .

1964 - غالب حسن : أصالة النبوة ، دار الهادي ، ط 1 : 2001 م ، ص : 18 .

1965 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 6 ، ص : 117 .

1966 - المرجع نفسه ، ج 6 ، ص : 117 .

1967 - باقر بري : فقه النظرية عند الشهيد الصدر ، دار الهادي ، ط 1 : 2001 م ، ص : 66 .

الضابط المعرفي ينبه متلقي النص القدسي و يحذره من مقاربتة (في إطار فكري غير إسلامي , و قد يكون الإطار المتشكل من خارج الإسلام منبثقا عن الواقع المعاش و قد لا يكون , فيحاول الممارس أن يفهم النص ضمن ذلك الإطار المعين , فإذا وجده لا ينسجم مع إطاره الفكري أهمله , و اجتازه إلى نصوص أخرى تواكب إطاره , أو لا تصطدم به على أقل تقدير) (1968)....

2 - (- فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ) (1969) رقم 6

إن العلاقة بين العلم و الإيمان هي علاقة متبادلة (فالإيمان في تكونه الأساسي يتكل على العقل وحده ثم يكون له دور أساس في البحث عن تفاصيل المعرفة و الفكر و خاصة ما يتعلق بالجانب العملي في حياة الإنسان , فإن من يفقد الأيمان يفقد علما و سيكون أسيرا لما عليه نفسه من صفات , فقد يستبعد ما هو قريب و يستقرب ما هو بعيد) (1970) , و عليه فلو نظرنا إلى الحديث القدسي انطلاقا من روح هذا التصور يجد الباحث أن من السلوكيات التي يعدها الإسلام من الجاهلية هي أن المجتمع العربي قبل البعثة كان إذا نزل مطر نسب نزوله إلى هذه الأنواء و منازل الكواكب أو النجوم والكواكب , فيقول : (مُطِرْنَا بنوء كذا وكذا) (1971) , فجاء الإسلام وأبطل هذا المعتقد وجعله من الكفر بالله تعالى , وأمر أن تُنسب هذه النعمة إلى مسديها وموليها وهو الله عز وجل : (مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ) (1972) , فهذا المطر إنما أنزل بفضل الله ورحمته , وليس بسبب سقوط النجم الفلاني أو طلوع النجم الفلاني . وهذا المعتقد وإن كان من أمر الجاهلية إلا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يحذر المسلمين من مغبة الوقوع فيه , إذ قد يقع في هذه الأمة من ينسب السقيا ومجيء المطر إلى النجوم والأنواء , وهو ما خافه النبي - صلى الله عليه وسلم - على أمته , مما يوجب الخوف والحذر وتوقي الشرك وذرائعه التي تفضي

1968 - المرجع نفسه , ص : 93 - 94 .

1969 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 195 .

1970 - مالك مصطفى وهبي العاملي : دور العقل في تشكيل المعرفة الدينية , دار الهادي , ط2 : 2008 م , ص :

. 50

1971 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 195 .

1972 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 195 .

إليه . لكن عرض هذه القضية في أسلوبية مبنية على السؤال : (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ (1973) , و الجواب : (أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ) (1974) جعلت النص متماسكا دلاليا , يجعل المتلقي في تواصل مستمر معه إلى حد استشعاره حقيقة العبادة المبنية من حيث حقيقتها على (أن يجد الإنسان الله كي يجد نفسه , و هي معرفة الذات معرفة حقيقية بالمعنى الذي ورد في القرآن و لم يستطع الإنسان أن يدركه حتى اليوم , عدا أولئك الذين يستوحون أفكارهم من العقيدة الإسلامية ...) (1975) , مع التأكيد على أن الظواهر الطبيعية (ليست إلها , ليست هي التي خلقت الحياة , كما أنها ليست هي التي خلقت نفسها , إنما الله - سبحانه - هو خالق كل شيء ... و جعل الكون كله مسخرا و مساعدا , و هذه الموافقات ... ما كانت لتنشئها قوة غير واعية مريدة مدبرة حكيمة) (1976) , كل ذلك للتفريق بين نوعين من الكمال : (الكمال الهدي والكمال الوسيلى) (1977) . فالمكونات جميعا سواء أكانت من المسخرات أصلا أو تلك التي أستطاع الإنسان أن يكتشف قوانينها لتكون طبيعة بين يديه , فهي تدخل في إطار الكمال الوسيلى لا الكمال الهدي , فههدف الإنسان ليس أن يسيطر على الكون فقط , و إنما يجب أن يعمل على توظيف هذه المسخرات بكل أنواعها في عبادة الله تعالى بمفهومها الشمولى , فالتصور الإسلامى (يفصل فصلا تاما بين طبيعة الألوهية و طبيعة العبودية , و بين مقام الألوهية و مقام العبودية , و بين خصائص الألوهية و خصائص العبودية , فهما لا تتماثلان و لا تتداخلان .. كذلك يبين التصور بيانا حاسما : من هو الله صاحب الألوهية , و من هم العبيد الذين تتمثل فيهم العبودية ...) (1978) .

3 - (- وَقَالَ ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدُهُ عَلَى مَنْ تَوَرَّ فَهُوَ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَّةٌ قَالَ أَيُّ رَبِّ ثُمَّ مَاذَا قَالَ ثُمَّ الْمَوْتُ) (1979) .

1973 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 195 .

1974 - المرجع نفسه , ج 6 , ص : 195 .

1975 - حسين يزدي : الحرية عند الشهيد المطهري , دار الهادي , ط1 : 2001 م , ص : 105 .

1976 - سيد قطب : مقومات التصور الإسلامى , ص : 363

1977 - حسين يزدي : الحرية عند الشهيد المطهري , دار الهادي , ط1 : 2001 م , ص : 109 .

1978 - سيد قطب : مقومات التصور الإسلامى , ص : 81 .

1979 - محمود بن أحمد العيني :عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 7 , ص : 213 .

هذا النص يرسم بطريقة غير مباشرة حقيقة الحياة الدنيا في التصور الإسلامي , فهو يسعى إلى جعلها في حس المتلقي أنها (ليست إلها , ليست قوة مدبرة في ذاتها تنشأ و تنشئ إرادتها المستقلة , كذلك هي ليست تلقائية . وجدت مصادفة و تمضي خبط عشواء , إنما هي خليفة أنشأها الله - سبحانه - بقدر , و تمضي كذلك وفق قدر , و هي مودعة خصائصها الذاتية التي تفرقها من الموات , أعطاهها هذه الخصائص الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . و الذي يخرج الحي من الميت , و يخرج الميت من الحي , و الذي يتوفى الأنفس حين موتها , و الذي خلق الموت و الحياة و الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ...) (1980) . إن عرض هذه القضية من خلال شخصية النبي موسى عليه السلام و في إطار أسلوبية مؤسسة ترابطت المتتاليات الجمالية فيها وفقا لعلاقة دلالية بادية للعيان ممثلة في السؤال/الجواب , و التي عملت على تلاحم مكونات النص و تماسكها , إنما هو إبراز لمعلم من معالم منهج خطاب الحديث القدسي الذي يعرض النفس الإنسانية من خلال شخصيات متنوعة تشمل (كل أنماط النفوس البشرية في أصلاتها الفطرية , و في حالاتها المنحرفة كذلك و لكنه يعرضها في صورة حقيقية , و يعرض الحقائق الكلية من خلال النماذج الفردية , كما أنه يعرض السنة الثابتة من خلال الحدث العارض .. و يتفرد في هذا الأسلوب كما يتفرد في النتائج التي ينتهي إليها من خلاله على السواء ... لأن العمود الأساسي في العرض هو حقيقة النفسية الإنسانية في شتى حالاتها ...) (1981) , و على هذا الأساس فالذي يهتدي بالتصور الإسلامي و منهجه يستطيع أن يتفادى الغموض و الالتباس في معالجة المفاهيم و التعامل معها عند نقلها من الثقافات و الفلسفات الأخرى , ذات الرؤية المختلفة عن الرؤية الإسلامية ...

3 - الإجمال/التفصيل

1980 - سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي , ص : 363 .

1981 - المرجع نفسه , ص : 367 .

فالإجمال (ما خفي المراد منه بحيث لا يدرك بنفس العبارة)الرجائي : التعريفات , و لهذا يراد بهذه العلاقة أن يذكر الكلام بداية مجملا ثم يأتي بعده كلاما مفصلا دون أن يتوسط بينهما رابط منطوق بين الإجمال (ما لا ينبئ ظاهره على المراد منه مفصلا) (1982) , و التفصيل (تبين المعاني بما ينفي التخليط المعمي للمعنى , و ينفي أيضا التداخل الذي يوجب نقصان البيان عن المراد) (1983) , لكن رغم ذلك هناك انسجام كلي بينهما يشي بأن هناك رابط معنوي جامع هو الذي كان وراء هذا التواشج و التماسك , فالعلاقة القائمة بين المجل من الكلام و المفصل منه هي علاقة دلالية تعمل على تماسك نص الحديث القدسي و انسجامه , و هذه العلاقة نفسها هي التي سوغت لصاحب النص أن يفصل بين المتتاليات الجمالية في مثل قوله صلى الله عليه و سلم : (إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيَمَا سَلَفَ قَبْلُكُمْ مِنْ الْأَمَمِ كَمَا بَيْنَ حَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى تُرُوبِ الشَّمْسِ أَوْتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ) (1984) , إذ عملت هذه الجملة (أَوْتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ) (1985) و ما يأتي بعدها على تفصيل ما سبقها من كلام (إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيَمَا سَلَفَ قَبْلُكُمْ مِنْ الْأَمَمِ كَمَا بَيْنَ حَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى تُرُوبِ الشَّمْسِ) (1986) , فأسبقيت هذه الأمم القبلية التي ذكرت إنما هي أهل التوراة و أهل الإنجيل , و قوله صلى الله عليه و سلم : (قَالَ اللَّهُ ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ حَدَرَ) (1987) , كما أنه لو نظر الدارس إلى جملة (رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ حَدَرَ) (1988) للاحظ أنها مرتبطة بما قبلها , و لكن من دون رابط لفظي , و يتمثل هذا الرابط في علاقة الإجمال/التفصيل , و هو رابط معنوي , إذ فصلت هذه الجملة (رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ حَدَرَ) (1989) و ما يأتي بعدها الأصناف الثلاثة التي اعتبرت خصما لله تعالى يوم القيامة . و قد عملت هذه الظاهرة الإجمال/التفصيل على إحداث وقع في

1982 - الطوسي : التبيان في تفسير القرآن , تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي , مطبعة قم - مكتبة الإعلام الإسلامي

, ط 1 : 1379 هـ - 1961 م , ج 1 , ص : 05 .

1983 - المرجع نفسه , ج 4 , ص : 244 .

1984 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 5 , ص : 74 .

1985 - المرجع نفسه , ج 5 , ص : 74 .

1986 - المرجع نفسه , ج 5 , ص : 74 .

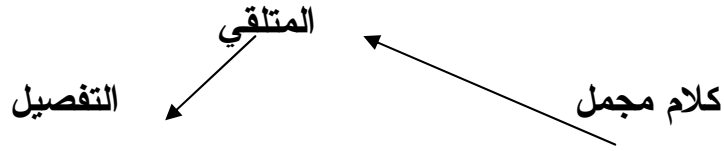
1987 - المرجع نفسه , ج 11 , ص : 59 .

1988 - المرجع نفسه , ج 11 , ص : 59 .

1989 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 11 , ص : 59 .

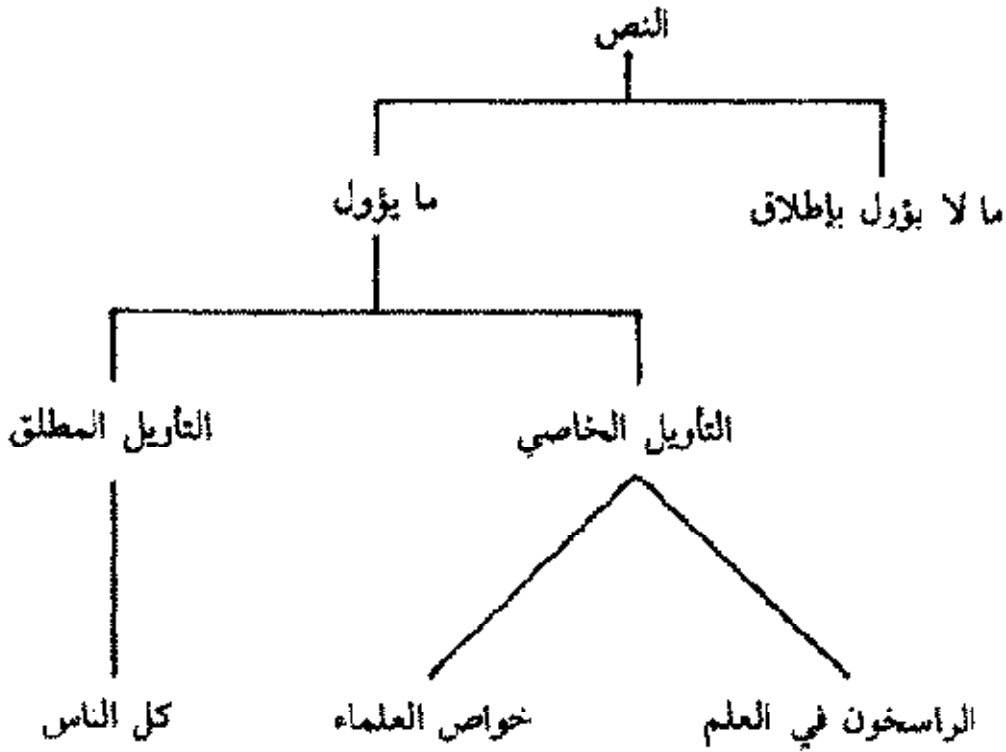
نفسية المتلقي و إضفاء تماسكا نوعيا بين جمل نص الحديث القدسي تسهم في انسجامه
و تماسكه ...

ويمكن تمثيل علاقة إجمال ثم التفصيل بما يأتي :



فالرابط بين الإجمال والتفصيل هو عنصر ذاتي يكون حضوره خارج النص متمثلاً بالمتلقي الذي يعطي مشروعية للتفصيل أو الإيضاح ، فضلاً عن وجود علاقة تنظم الخطاب وتبعده عن الرقابة والإسهاب ، هذه العلاقة تقوم على أساس غياب الروابط الشكلية وإحلال علاقات تجلية وتوضيح مطلوبة في السياق من خارج النص. ومن هنا يمكن القول أن علاقة ربط الإجمال بالتفصيل والإيضاح بعد التعميم تقوم على أساس عرض المعنى بطريقتين ، الأولى كلية شمولية مجملة والثانية جزئية تفصيلية توضيحية تهيئ ذهن المتلقي وتعطي للمعنى مدلولاً أولياً عن اللاحق ، ترتبط بالاستعداد الذهني لعملية الفهم ، فهي عملية تقوم على تلافي المفاجأة وحدوث انحراف في مسار المعنى ، وخروجه عن المقام ، أن العلاقة بين طرفي الجملة قوامها الارتباط الداخلي الذي يعضد عملية التواصل فيؤدي إلى كشف المعنى في بنيته العميقة و السطحية كذلك ، والذي بدوره يتفاوت بحسب فهم المتلقي وإدراكه.

و متلقي الحديث القدسي وفقاً لعلاقة الإجمال/التفصيل حينئذ لا ينفك أن يكون واحداً من هذه النماذج التي تلخصها هذه الخطاظة المتعددة (العلائق)(1990) :



نماذج للتحميل

1 - (سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيَمَا سَلَفَتْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ حَمًا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ أَوْتِيَّ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ) (1991).

أن هذه الأمة فيها خير عظيم، خير لا نكاد نتصوره نحن، يخبرنا النبي صلى الله عليه و سلم في هذا الحديث القدسي ، بطريقة ضرب الأمثال لتبيين المفاهيم المجردة وتقريبها ، عن مدة بقاء أمة الإسلام في هذه الحياة الدنيا بالنسبة للأمم قبلها من اليهود و النصارى ، مدة المسلمين الزمنية هي الفترة التي تمتد من صلاة العصر إلى غروب الشمس (أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأخطينا قيراطين قيراطين) (1992) ، و مدة اليهود من الفجر إلى صلاة الظهر (أوتيت أهلك التوراة التوراة فعملوا حتى إذا انتصف النهار فجزوا فأنطوا قيراطا قيراطا) (1993) و النصارى من صلاة الظهر إلى صلاة العصر (أوتيت أهلك الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر فجزوا فأنطوا قيراطا

1991 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 5 ، ص : 74 .

1992 - المرجع نفسه ، ج 5 ، ص : 74 .

1993 - المرجع نفسه ، ج 5 ، ص : 74 .

قَبْرًا طَا (1994)، هذا يعني أن مدة اليهود نظير مدتي المسلمين و النصارى مجتمعين . فاليهود عملوا نصف النهار و المسلمون و النصارى عملوا الآخر للنهار ، لكن الله تعالى فضل أمة محمد صلى الله عليه و سلم من غير أن ينقص من حق الأمم الأخرى قيد أنملة ، فالله تعالى منزه عن الظلم و النقائص كلها . إلا أن غضب أهل الكتاب من هذه المفاضلة إنما هو حسد من عند أنفسهم للأمة المفضلة . و هنا يبرز أسلوب الحوار بين الله تعالى و اليهود و النصارى و تتضام العلاقات الدلالية فيما بينها ، و تطفو إلى السطح علاقة الإجمال/التفصيل لا لتعمل على توضيح الإشكالية و إزالة اللبس ، بل لتؤكد بأنها عملية (ضرورية لكل كائن بشري سوي يعير الانتباه لما يحيط به من ظواهر الكون فيريد أن يتعرف على تفاصيل ما ظهر منها ، و تقوده عملية التعرف على الظواهر إلى طلب معرفة ما خفي منها و ما بطن) (1995) ، و في الوقت نفسه يعمل هذا الأسلوب على سبك المتتاليات الجمالية للنص القدسي في وحدة متراسة و متماسكة من غير حاجة إلى رابط لفظي يقوم بهذا الدور النصي التواصلي .

2 - (- قَالَ اللَّهُ قَلَاءَةٌ أَنَا خَصْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَخْطَى بِي ثُمَّ نَحَرَ) (1996) .

الكون - في الرؤية الإسلامية - يحكمه نوعان من القوانين (نوع حتمي ، و هو ما يشير إليه القرآن بالسنن ، و يطلق عليه البعض قوانين الطبيعة) (1997) و نوع إرادي أو تكليفي ، هو تلك القواعد التي رسمها الله ليهتدي بها الناس في حياتهم ، و ترك لهم أن يطيعوه بإتباعها أو يعصوه بإهمالها ، و هذا التكليف مناطه الإرادة و حسن الإختيار اللذين و هبهما الله للإنسان مع العقل أسلحة يواجه بها معركة الحياة) (1998) ، الظلم يدرج في هذا النوع الثاني ، و من حيث المفهوم (وضع الشيء في غير موضعه) (1999) ، وهو أيضاً عبارة عن (التعدي عن الحق إلى الباطل) (2000) وفيه نوع من

1994 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 5 ، ص : 74 .

1995 - محمد مفتاح : من قضايا التلقي و التأويل ، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء ، ط 1 : 1994 م ، ص : 23

1996 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 11 ، ص : 59 .

1997 - جمال الدين عطية : الواقع و المثال في الفكر الاسلامي المعاصر ، دار الهادي ، ط 1 : 2001 م ، ص : 31 .

1998 - المرجع نفسه ، ص : 31 - 32 .

1999 - علي بن محمد بن علي الجرجاني : كتاب التعريفات ، ص : 133 .

2000 - المرجع نفسه ، ص : 133 .

الجور؛ إذ هو انحراف عن العدل . فكل الرسائل منذ آدم عليه السلام حتى نبينا محمد صلى الله عليه و سلم , كان هدفها واحدا ، وهو إقامة العدل بين الناس و إبطال مفعول الظلم ، فالكتب السماوية المنزلة، من صحف إبراهيم وتوراة موسى وإنجيل عيسى، وإلى القرآن الكريم ، فإن هذه الكتب في كل التفاصيل التي جاءت بها، كانت تؤكد الوصول إلى هذا الهدف الكبير، وهو إقامة العدل بين الناس و إزالة الظلم ، هذه القيمة العقدية جعلها الله ميزانا للحق والباطل أو ميزانا للحقوق، باعتبار أن لكل شخص حقاً على شخص آخر، كما عليه حق. وبذلك يقول الله تعالى: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب – التوراة والإنجيل والقرآن – والميزان – الذي يحدد للناس حقوقهم وواجباتهم – ليقوم الناس بالقسط)(2001) .

الظلم والعدل هما عنوانان رئيسان يمثلان توازن البشرية أو اختلالها، ففي الظلم يختل واقع البشرية في علاقتها بنفسها وعلاقتها بالله وعلاقتها ببعض البعض وعلاقتها بالحياة كلها، بينما في العدل ، الذي هو التوسط (بين طرفي الإفراط و التفريط) (2002) ، يتحقق التوازن ويحصل الازدهار والنمو والتطور . فظلم الإنسان لنفسه أو لغيره بالصورة التي ذكرها الحديث القدسي السالف تفقد الإنسان الظالم ما يحق له التوازن والراحة والسعادة على المستوى الدنيوي والأخروي. بحيث يدرس كل كلمة قبل إطلاقها وآثار كل فعل قبل أن يفعله، كي لا يظلم نفسه من خلال كلمة يقولها وفعل يتصرفه فيؤدي به إلى الخسارة أو الهلاك، وهذا ما يحدث مع الإنسان من خلال العلاقات التي ينشئها مع الآخرين، ما يتطلب منه دراسة الأمور دراسة واعية قبل الإقدام عليها، وعليه لا بد للإنسان إذا كان يخلص لنفسه، أن يدرس كل قول أو فعل أو علاقة أو موقف في تأثيراته السلبية أو الإيجابية على نفسه، و الباحث عندما ندرس المسألة في الخط الديني من خلال نص الحديث القدسي ، يجد أن ظلم النفس قد يراد به تحريك أعمال الإنسان وأقواله ومواقفه في ما يؤدي به إلى غضب الله وسخطه، كما في الإنسان الذي يفكر أو ينحرف، فيضل أو يرتكب المحرمات أو يترك الواجبات، فإنه بذلك يعرض نفسه لغضب الله سبحانه وتعالى، وبالتالي، فإنه يؤدي بها إلى الهلاك في الآخرة وإلى الكثير من ألوان الضرر

2001 - سورة الحديد ، الآية : 25 .

2002 - علي بن محمد بن علي الجرجاني : كتاب التعريفات ، ص : 136 .

والخسران في الدنيا، باعتبار أن هذه الأمور (الغدر ، الغش في التعامل ، أكل حق الآخرين) تنطلق من أمور فيها مصلحة الإنسان وفيها مفسدته، وهذا أمر يجد الإنسان آثاره السلبية والإيجابية في الدنيا كما يجدها في الآخرة .

4 - التأكيد

وهو نسبة معنى الى معنى (من جهة دلالة كل منهما على معنى واحد يشتركان في الدلالة عليه ...) (2003). يعد التأكيد في نظر علماء البلاغة قديما و كذا علماء الدرس اللساني النصي الحديث ضربا (من ضروب الفصل بين الجمل) (2004). فالجمل حينئذ لا تفتقر إلى واسطة لفظية حتى تتماسك فيما بينها ، و إنما يكفيها أنها - و هي تتصل بما قبلها - إنما هي تتصل بنفسها و تكرر ذاتها

نماذج للتحليل

1 - (فَيَقُولُ أَتَعْرِفُهُ كَذَبًا كَذَبًا أَتَعْرِفُهُ كَذَبًا كَذَبًا) (2005) .

يتعاضم أسلوب نص الحديث القدسي هذا ويتصاعد من خلال الترابط المحكم و التماسك المتين الذي أحدثه الرابط الدلالي/علاقة التأكيد بين كل مكونات المتتالية الجمالية : (فَيَقُولُ أَتَعْرِفُهُ كَذَبًا كَذَبًا أَتَعْرِفُهُ كَذَبًا كَذَبًا) (2006) ، لتجعل تصور المتلقي مستعدا لتقبل و استقبال الحقيقة الإيمانية الواضحة التي تدعوه إلى أن يتجاوز العلاقة الخاطئة التي ينشئها الكثير من الناس مع الله تعالى ، كل العلاقة الأخرى كالتى تربط الإنسان بالجانب الماديّ في الحياة، في ما يمكن أن يضعف موقف الإنسان ويعطل حركته في الاتجاه بعيداً عن مقتضيات الإيمان في مواقع التضحية والبذل والتحدى . فلا بدّ للمؤمن من أن يفرغ فكره وروحه وشعوره من أية عاطفة سلبية تمنعه من السير في

2003 - حبكة الميداني : ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة ، دار القلم ، ط10 : 2009 م ، ص : 52 .

2004 - عادل مناع : نحو النص اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية ، ص : 237

2005 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 12 ، ص : 403 .

2006 - المرجع نفسه ، ج 12 ، ص : 403 .

الاتجاه السليم لحركة الإيمان ، ليشعر بأن قيمة الخطّ الإيمانيّ والعلاقات الإيمانيّة، هي أعلى من قيمة أيّ شيء آخر، مهما كان غالياً، ومهما كان عظيماً في تأثيره و هذا ما يلامسه يوم القيامة حينما يعامله الله تعالى معاملة نوعية كلها رحمة و شفقة و تجاوز عن الذنوب ، بينما يجد غير صاحب الخطّ الإيماني الصحيح معاملة تكافئه ، فالجزاء من جنس العمل ، و هذا الذي وجده الدارس لخطاب النبي صلى الله عليه و سلم معرفة و حالاً و ممارسة . فهو الرؤوف بأصحابه المؤمنين خاصة و الناس كلهم عامة ، بحيث يمنحهم رأفته في علاقته بهم وتعامله مع أخطائهم، فهو لا يتعامل معهم بالقسوة، بل يتعامل معهم بالرأفة، وهو الرحيم بالمؤمنين، الذي يرعى المؤمنين فيدرس كل نقاط ضعفهم وكل نقاط قوتهم، فلا يشتدّ عليهم، بل يعطيهم العذر في ما يخضعون له من نقاط الضعف، وقد يقوِّي ما يتحركون به من نقاط القوة ، ف(الحضور في الزمان لا يكون بالجسد من دون فكر) (2007) ، وهذا هو شأن كل الدعوة إلى الله الذين يعيشون مع المؤمنين، لا من خلال رسالاتهم فقط، بل لأنهم يشعرون أنهم مجتمع واحد، وأن على القائد أن يعيش مع كل التابعين له بكل الرأفة والرحمة..

2 - (- إْحَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا) (2008) .

من الأمور التي أكدها الحديث القدسي السالف ، هي محبة الإنسان لله، بحيث يقبل بحبه إلى الله وحده ، لا يحب أحداً مثله مهما كان ، لأن (المحبة الحقيقية إنما تتحقق بتوجه الإنسان بكيانه كله إلى المحبوب سبحانه و البقاء معه ، و إدراكه له و انسلاخه من جميع الرغبات الأخرى و من جميع الطلبات ، بحي إن قلب البطل الذي ظفر بهذه الحظوة ينبض كل آن بملاحظة جديدة تخص الحبيب .. و خياله يجول في إقليمه الساحر .. و مشاعره تتلقى كل لحظة رسائل متنوعة منه .. و إرادته تطلق بهذه الرسائل .. و فؤاده يسرح في متنزهات الوصال) (2009) ، باعتبار أن معرفة الإنسان لربه وعلاقته بربه إذا وعاما وتعمق فيها، تفرض عليه ذلك، لأننا عندما ندرس كل حالات الحب التي يحب فيها الناس الناس، فقد نجد أنهم إما يحبون الإنسان الآخر لجماله، أو لخصائص ذاتية

2007 - محمد خاتمي : الإسلام و العالم ، مكتبة الشروق ، ط3 : 2002 م ، ص : 104 .

2008 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 15 ، ص : 181 .

2009 - محمد فتح الله كولن : التلال الزمردية نحو حياة القلب و الروح ، ص : 228 .

فيه، كالعلم والشجاعة والإقدام، أو لأن الإنسان قد يكون صاحب فضلٍ على مَنْ يحبه. ولكنَّ حبنا لله ينطلق من خلال أن الله تعالى هو الذي خلقنا من عدم بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً، لأننا أساساً كنا عدماً، فالله هو الذي أعطانا من خلال ما خلقه من أسباب الخلق، هو الذي خلقنا وهياً لنا أسباب الوجود، فكل وجودنا هو من الله، فأى إنسان أعطانا مثلما أعطى الله الوجود، حتى الأب والأم ليسا هما من أعطيانا سر الوجود، وإنما هما كانا الأداة التي هيأها الله لنا من خلال القوانين التي أودعها في جسم الأب والأم، والتي أدت إلى الخلق، و من ثمة يكون إذا (ما ار سار بأمر الحق سبحانه، و إذا ما وقف وقف بأمره، و إذا تكلم تكلم بنفحات منه، و إذا ما سكت سكت لأجله، فهو أحياناً في أفق بالله، و أحياناً في أفق من الله، و أحياناً في أفق مع الله)⁽²⁰¹⁰⁾. ولذلك فنص الحديث القدسي من خلال توظيفه علاقة التأكيد للحم بعض التراكيب الجمالية بعضها ببعض من دون حاجة إلى رابط ملفوظ، و ذلك في قوله صلى الله عليه و سلم : (- إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مُلَانًا)⁽²⁰¹¹⁾، إن هذا يدعو إلى أن نعمل على أساس أن يكون حبنا لله تعالى فوق كلِّ حب، وأن نحب الناس من خلال حبنا لله تعالى.

5 - العموم/الخصوص

يعتبر (العموم بالمعنى المجرد صفة العام من حيث شموله لجميع الأفراد المستغرقة فيه)⁽²⁰¹²⁾. كما أن (كل انتقال من الخاص إلى العام، أو من العام إلى الأعم، فهو تعميم ... كقانون الجاذبية العامة، فهو تعميم لقانون سقوط الأجسام)⁽²⁰¹³⁾. التخصيص يراد به هنا ذكر شيء عام في جملة ثم يخصص جزء منه، و هو المقصود بالتخصيص و (فالخاص إذن نقيض العام، و هو ما يشمل نوعاً واحداً أو فرداً واحداً، أو عدد محدوداً من الأفراد ... هو ما يصدق على حالة واحدة أو عدة حالات من نوع

2010 - محمد فتح الله كولن : التلال الزمردية نحو حياة القلب و الروح، ص : 229 .

2011 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري، ج 15، ص : 181 .

2012 - جميل صليبا : المعجم الفلسفي، ج 2، ص : 107 - 108 .

2013 - المرجع نفسه، ج 1، ص : 308 - 309 .

واحد ، و يرادفه المحدد) (2014) ، و الغرض منه (إزالة الاشتباه و الإبهام إما مطلقاً و إما نسبياً ، فإذا عينت الشيء ثبت طبيعته أو حدوده ، ، فصار له في نظرك وضع ، و أين ، و مقدار معين ...) (2015) .

نماذج للتحليل

1 - (-) قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ مَنْ يَخْشُونِي (2016) .

كما أن هذا النص القدسي يخاطب الأمة المسلمة عموماً فإنه يخاطب - في الآن ذاته - كل واحد من أفرادها ، وخصوصاً أولئك الذين يتخبطون في مشاكل عكرت صفوف حياتهم، سواء كانت مشاكل مادية أو عاطفية أو اجتماعية أو سياسية بضرورة اللجوء إلى الله تعالى في وقت مخصوص حدده هو سبحانه و تعالى . لأنه يمكن أن يخضع صاحب المشكلة لضغوط تأتي ترهيباً أو ترغيباً بعنوان حلّ المشكلة أو المساعدة المادية، ونحن نعرف أن كثيراً من الناس يسقطون أمام ذلك، فالإنسان عندما تواجهه مشكلة ولا يعرف كيفية الخروج منها، ثم يأتي إليه من يقول له نحن نخرجك من هذا المأزق، ولكن بشرط أن تمشي معي في اتجاه معين أو أن تنتمي إلى انتماء معين، وغيرها من الأمور التي يسيطر من خلالها عليه ، و بتعبير لغة الألفية الثالثة (فإن ذهنية إنسان اليوم و ضميره.. يتجهان نحو اكتشاف البعد المعنوي للعالم و للسلوك الفردي و الاجتماعي للإنسان) (2017) .

هذه أمور موجودة في حياة الناس و تتكرر باستمرار ، بل إن كثيراً من الناس ضلوا بسبب ذلك، فالله تعالى يريد أن يقول - من خلال هذا الخطاب القدسي و تحت ظلال علاقة العموم/الخصوص - لكل متلق إن هناك الكثير من الناس ممن يملكون المال و ممن يملكون السياسة و الفرص الكثيرة للجاه و ما إلى ذلك، قد يحاولون أن يبتعدوا بكم عن الخط

2014 - جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ج 1 ، ص : 314 - 315 .

2015 - المرجع نفسه ، ج 1 ، ص : 310 .

2016 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 6 ، ص : 332 .

2017 - محمد خاتمي : الإسلام و العالم ، ص : 120 .

المستقيم، أن يفتنوكم عن دينكم، عن إسلامكم، عن صدقكم، عن استقامتكم، حتى تنجذبوا إليهم لتحصلوا على ما عندهم ، وفي هذه الحال ستكون منحتهم محنة . لذا يجب - للخلاص من هذه الوضعية المزرية - أن يأخذ المؤمن/المخاطب بأسباب الثبات و القرب من الله تعالى ، فـ(القرب العمومي الذي يضم كل الناس تحت مظلة ، يقابله القرب الخصوصي الذي يستند إلى الإيمان و يتحقق بمعايشة و اتباع أحسن ما أمر الله سبحانه به ، و هذا يحصل للمحظوظين الذين وجدوا طريق القرب و دخلوا الرواق المؤدي للخلود)(2018) ، صحيح أن الله سبحانه وتعالى ثبت النبي صلى الله عليه و سلم بالعصمة، ولكنه ثبت المؤمنين أيضاً بالقرآن وبالوحي و بالجوع إليه في أوقات خصصها هو ، وثبتنا بالتذكير بالآخرة وبعذاب الله إذا انحرفنا، وبثواب الله إذا استقمنا : (ليثبت الذين آمنوا)(2019) ، الله تعالى يثبت الإنسان بما أعطاه من عقل يميز بين الحسن والقبيح، بين الضارّ والنافع ، بين الاعتصام بالله تعالى و الركون إلى غيره .

2 - (- قَالَ اللَّهُ تَزَوَّجْ وَجَلَّ يُؤَدِّبُنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ)(2020) .

إن (فكرة الزمن ، هي فكرة البحث عن أصل هذا الكون ، و عن حقيقته و مصيره ، لذا فهي تحمل كثيرا من المشكلات الفكرية ..)(2021) قديما و حديثا ، فقد كان أهل الجاهلية قبل البعثة المحمدية إذا أصابتهم مصيبة ، أو حُرِموا غرضاً معيناً أخذوا يسبون الدهر ويلعنون الزمان ، مستعملين الكثير من عبارات التقييح والشتم ، فـ(إذا نظر إلى هذه الفكرة نظرة شاملة ، من الجانبين الديني و العقلي ، فسند أنها تتعلق مباشرة ، بالبحث عن القوة العظمى ، التي كانت سببا في وجود هذا العالم ، و كيفية إيجاده ، و متى وجد ...؟)(2022) ، فجاء الإسلام بكل أشكال خطابه العقدي و التشريعي من قرآن و سنة لمواجهة هذا اللون من الانحراف و غيره ، و هذا الحديث القدسي على وجه التخصيص لرد ما يقوله أهل الجاهلية ومن شابههم وسلك مسلكهم ، فبيّن أن ابن آدم

2018 - محمد فتح الله كولن : التلال الزمرديّة نحو حياة القلب و الروح ، ص : 219 .

2019 - سورة النحل ، الآية : 102 .

2020 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 19 ، ص : 238 .

2021 - عبد المحسن عبد المقصود محمد سلطان : فكرة الزمان عند الأشاعرة ، الشركة الدولية للطباعة ، ط 1 :

2000 م ، ص : 10 .

2022 - المرجع نفسه ، ص : 10 .

حين يسب الدهر والزمان ، فإنما يسب - في الحقيقة - الذي فعل هذه الأمور وقدرها ، حتى وإن أضاف الفعل إلى الدهر ، فإن الدهر لا فعل له ، وإنما الفاعل هو ربُّ الدهر المعطي المانع ، الخافض الرافع ، المعز المذل ، وأما الدهر فليس له من الأمر شيء ، فمسبتهم للدهر هي مسبة لله عز وجل ، ولهذا كانت مؤذية للرب جل جلاله .

إذاً فالإنسان بسبِّه للدهر يرتكب جملة من المفاصد ، منها أنه سب من ليس أهلاً للسب ، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله ، منقاد لأمره متذلل لتسخيره ، فسأبه أولى بالذم والسب منه . ومنها أيضاً أن سبه قد يتضمن الإشراك بالله جل وعلا ، إذا اعتقد أن الدهر يضر وينفع ، وأنه ظالم حين ضر من لا يستحق الضر ، ورفع من لا يستحق الرفعة ، وحرّم من ليس أهلاً للحرمان (إن حقائق العقيدة الإسلامية .. من شأنها أن تنشئ في إدراك المؤمن تصورا واضحا لحقيقة هذا الكون و لعلاقته بربه ، و علاقته بالحياة و الأحياء - بما فيها الإنسان - و أن تقر في ضمير المؤمن الطمأنينة لتلك الحقيقة ، كما تقر في عقله الراحة و القبول و الاستقامة) (2023).

6 - التدرج

التدرج سنة من سنن الله تعالى ، وقانون من القوانين الكونية التي لا تبديل لها ولا تحويل ، هو سنة من سنن الخلق الإلهي للكون والعالم بسمواته وأراضيه (*إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ*) (2024). فتدرج خلق الله لها في ستة أيام -من أيامه سبحانه- وهو القادر على أن يقول لها في جزء من اللحظة كن فتكون .

و التدرج من منظور نصاني علاقة من العلاقات الدلالية التي لها دخل كبير في إظهار النص متماسكا و منسجما علاقة التدرج ، و يراد به الانتقال داخل النص من مستوى إلى مستوى آخر أو من درجة إلى أخرى أو من مرتبة إلى مرتبة أعلى أو أدنى ، و تدرج الأحداث من زمن إلى زمن أو من مكان إلى مكان ، مما يؤدي في الأخير إلى تماسك النص . و قد يراد بالتدرج كذلك (ترتيب الأشخاص ، الأفكار أو الأشياء ، بحيث

2023 - سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي ، ص : 323 .

2024 - سورة الأعراف ، الآية : 54 .

تفاوت مراتبها أو قيمها , أو تخضع بعضها لبعض ... و كل تدرج في مراتب الأشياء فهو مبني على صفاتها أو قيمها , لا على أعدادها و كمياتها (2025) .

نماذج للتحليل

1 - (-) لو أن لك ما في الأرض من شيءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ (2026) .

ليس شيئاً أقسى على النفس من الندم , من بعد (الغفلة و التواني و الإصرار و التسوية و تطويل الأمل و تبعد الأجل) (2027) , خاصة إذا كان هذا الفعل لم يترتب عليه ترك متاع زائل، أو تفويت فرصة كانت أمامه، بل هنا نجد الندم علي ترك السلامة والفوز إلي ضلالة الطريق وإلي الهلاك. ولكن ما قيمة الندم والأسى والاعتراف بالخطأ؟ لا قيمة لشيء من هذا بعد فوات الأوان. وأين الأخلاء الذين أظهروا في الدنيا المودة للظالم نفسه؟ أين إبليس ذو الوعود المعسولة المكذوبة. الكل يتخلى ويخذل ولا ينفع الإنسان إلا عمله الصالح الذي امتن الله تعالى عليه بقبوله. ولا يشفع إلا لمن أذن الله تعالى له ورضي عنه. يوم القيامة، يوم الفرار، يوم الطامة، يوم الفصل، يوم العرض، يوم الحسرة والندامة، يوم الحساب، يوم الجزع، انه يوم عصيب انه يوم يريد كل واحد أن ينجو بنفسه، الكل بانتظار نتيجة اختبار العمر، اما النجاة واما الهلاك، انه يوم العدالة، يوم السؤال عن الكبيرة والصغيرة ،يوم ستشهد عليك أعضاء جسدك ،يوم ستحاسب به على كل شئ فعلته في الدنيا ،اهوال كثيرة في انتظارنا والحساب ليس بيسير . الإنسان الذي يفكر أو ينحرف، فيضل أو يرتكب المحرمات أو يترك الواجبات، فإنه بذلك يعرض نفسه لغضب الله سبحانه وتعالى، وبالتالي، فإنه يؤدي بها إلى الهلاك في الآخرة , و هنا تتجلى علاقة التدرج في ربط مكونات الخطاب القدسي الشكلانية من خلال العرض المتسلسل بين البدائل التي عرضها الله تعالى على

2025 - جميل صليبا : المعجم الفلسفي , ج 1 , ص : 264 - 265 .

2026 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 15 , ص : 294 .

2027 - أبو عبد الرحمن السلمي : عيوب النفس و مداواتها , , تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي و عبد العزيز شرف ,

دار الشروق , 1981 م , ص : 25 .

الإِنسان في الحياة الدنيا (أي حرية اتخاذ الوسائل الكفيلة بالتنفيذ) (2028) و أزمة الاختيار الخاطيء و نتائجه من قبل الإنسان , فـ(حرية الإنسان في الاختيار و الإرادة هما أساس مسؤوليته القانونية عن أعماله , و هي أساس مسؤوليته أمام الله تعالى في الآخرة) (2029) , الله يحبُّ للإنسان أن يفعل ما ألزمه به لمصلحته، التربية الإسلامية أكدت فعل الواجبات وترك المحرمات، سواء في العبادات أو في العلاقات الاجتماعية أو الأوضاع العامة، أو حتى في الأمور التجارية وما إلى ذلك، فيها منافع اجتماعية وفردية، والمكروهات أيضاً فيها مضارّ بنسبة معينة .

2 - (-) وَقَالَ ارْجِعْ فَقُلْ لِي يَضَعْ يَدَهُ عَمَّا تَمَلَّى مَتَنٌ ثُمَّ قَوْلُهُ بِكُلِّ مَا تَمَطَّتَ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةً قَالَ أَيُّ رَبِّ نُوَّ مَاذَا قَالَ ثُمَّ الْمَوْتُ قَالَ قَالَ (2030) .

المجادلة الإيجابية هي تعبيرٌ آخر عن الحوار و صورة من صورهِ ، لأنَّ الناس في طبيعة العلاقة بينهم يحتاجون إلى أن يتحاور بعضهم مع بعض في كلِّ الأمور، ففي البيت قد يحتاجُ الأب أو الأمُّ إلى إجراء حوارٍ أو جدالٍ مع الأولاد حول كثيرٍ من القضايا التي تخصُّ البيت بشكل عام، أو التي تخصُّ الأولاد في مستقبلهم، أو الأبوين في حاجاتهما من أولادهما، وقد يحتاج الناس الذين يعيشون في داخل عائلة كبيرة أن يتناقشوا في الأمور التي تخصُّ العائلة، ليكون لكل واحد منهم وجهة نظر تختلف عن وجهة نظر الآخر، وهكذا عندما ندخل إلى المجتمع في علاقاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية باعتبار أن الناس يختلفون في وجهات نظرهم في الأمور التي تمسُّ حياتهم وعلاقاتهم مع بعضهم البعض , فـ(الإسلام يعلم أن في الإنسان قدرات عديدة , و هو يغذيها و يحركها بما يؤول إلى نتائج تختلف عما يقول به نيتشه , فيها كل الخير للمجتمع) (2031) .

2028 - محمد عثمان نجاتي : مدخل إلى علم النفس الإسلامي , دار الشروق ط1 : 2001 م , ص : 107 .

2029 - محمد عثمان نجاتي : مدخل إلى علم النفس الإسلامي , ص : 107 .

2030 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 7 , ص : 213 .

2031 - جعفر صادق الخليلي : الإنسان الكامل , مؤسسة البعثة - بيروت - , ط2 : 1992 م , ص : 212 .

فقضية الجدل إذاً هي أمر طبيعي في حياة الإنسان من أجل التفاهم مع الآخر، أو من أجل تأكيد فكرته لدى الآخر، عندما يكون هناك نوع من أنواع الاختلاف في الرأي، وقد عبّر الله سبحانه وتعالى عن مسألة طبيعة الجدل في الإنسان في قوله: (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً)⁽²⁰³²⁾ ، باعتبار أنّ الإنسان هو المخلوق الوحيد المتحرك في أفكاره والمتنوع في تجاربه، ما يجعله يخوض الجدل أو الحوار مع الآخر لتأكيد فكرته. وقد أراد الله سبحانه وتعالى للإنسان الداعية، كما أراد لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكل مسلم أن يتحمل مسؤولية الحساب يوم القيامة ، و هذا الحساب يبدأ لحظة مفارقة الحياة بالموت ، لكن فكرة الموت في الإسلام فكرة منهجية ذات رؤية متكاملة ، وحديثه عن الموت حديث عن مفترق طريق وبرزخ بين سبيلين أحدهما خالد والآخر منته . والأسباب وراء أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتذكر الموت - من خلال نص الحديث القدسي السالف الذكر - ، في أسلوبية تقوم على علاقة دلالية محكمة هي : علاقة التدرج التي عملت على ربط مفاصل التراكيب في وحدة واحدة : (فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ)⁽²⁰³³⁾ + (قَالَ أَيُّ رَبِّ تُمْ مَادَا)⁽²⁰³⁴⁾ + (قَالَ تُمْ الْمَوْتُ قَالَ فَالآن)⁽²⁰³⁵⁾ ، فقد عمد صاحب النص إلى عملية تقسيم الموضوع المراد تبليغه إلى مراحل أو خطوات (متدرجة و متسلسلة بحيث تكون كل مرحلة أو خطوة ممهدة و مهيأة للمرحلة أو الخطوة التي تليها و مكملة لها مع مراعاة الترتيب النفسي للموضوعات و ذلك لأن المعرفة ذات تنظيم هرمي)⁽²⁰³⁶⁾ . مما جعل الحديث القدسي المذكور أعلاه لا يقتصر على مجرد الوعظ و التذكير ، بل جعل فكرة الموت في حس المتلقي تجمع حولها كثيرا من المعاني الإيمانية و المبادئ الحياتية و الدوافع السلوكية التي قد تغير طبيعة حياة الإنسان من لهو و عبث إلى قيمة و أثر . فتأتي فكرة الموت هنا لتؤكد على ذلك المعنى تأكيدا يضطر الإنسان المؤمن إلى الاستشعار بالفقر و الضعف الكاملين تجاه ربه سبحانه ، والحاجة التامة له عز و جل و لإنعامه و عطاياه ،

2032 - سورة الكهف ، الآية : 45 .

2033 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 7 ، ص : 213 .

2034 - المرجع نفسه ، ج 7 ، ص : 213 .

2035 - المرجع نفسه ، ج 7 ، ص : 213 .

2036 - هنية حمدان : القضاة : تعليم الأطفال العبادات الشرعية بالتدرج التربوي ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ،

1998 م ، ص : 02 .

فيرجوه ويسأله , ويحسن عمله ويظهر عبوديته . فلا لذة دائمة في الحياة الدنيا يمكن أن يركن إليها الإنسان , وإنما اللذات منتهية وزائلة , فاللذة الحقة هي لذة المتاع في الآخرة , وإنما لذة الدنيا في استشعار معنى العبودية في كل شأن من شئونها والركون إلى جانب الله سبحانه والرضا بأقداره.

7 - التقابل

إن علاقة التقابل التي لا يتحقق وجودها المثالي إلا إذا اتفقت فيها - حسب علماء المنطق - القضيتان أو سلسلة القضايا في وحدات ثمان تتمثل في (الموضوع , المحمول , الزمان , المكان , القوة و الفعل , الكل و الجزء , الشرط , الإضافة)⁽²⁰³⁷⁾. مع الأخذ بعين الاعتبار أنواع التقابل أو النسب بين القضايا , ليست مقصودة في هذا المقام , وإنما يراد بها هنا (علاقة بين شيئين أحدهما مواجه للآخر)⁽²⁰³⁸⁾. تلك المقابلة الملحوظة بين معنيين أو أكثر , بحيث تتواجه مجموعة من الجمل أو جملة واحدة ثم يأتي ما يقابلها من معان في مجموعة من الممتاليات الجمالية أو جملة واحدة في نسقية يفرضها منطق النص و مقاصده , مما تضيف عليه جوا من التماسك و تكسبه تلاحما انسجاميا يثير شهية المتلقي إلى تفعيل العملية التواصلية المناسبة للمقام و الحال .

نماذج للتحليل

1 - (- قَالَ خَيْرَ أَبِي قَالَ فَإِنِّي لَهُ أَحْمَلُ خَيْرًا قَطُ)⁽²⁰³⁹⁾ .

إن البلاء - في المنظور الإسلامي - لا يمثل عقوبة إلهية للإنسان ولكنه يمثل تجربة للإنسان في ما يواجهه به حياته، لأن الله تعالى عندما خلق الدنيا فإن لم يخلقها لتكون ورداً لا شوك فيه أو شوكاً لا ورد فيه، بل هي شوك يحيط بالورد، وفرح وحزن

²⁰³⁷ - أحمد عبدة خير الدين : علم المنطق , المطبعة الرحمانية بمصر , ط 1 : 1930 م , ص : 99 .

²⁰³⁸ - جميل صليبا: المعجم الفلسفي , ج 1 , ص : 318 .

²⁰³⁹ - محمود بن أحمد العيني : عمدة القارى شرح صحيح البخاري , ج 16 , ص : 84 .

وفقر وغنى . لذلك فالحياة الإنسانية تضم كل ألوان التحديات ، فالإنسان لا يحصل على لذة إلا ومعها ألم ، ولا على فرح إلا ومعها حزن ، ولا يستطيع أن يحصل على نجاح إلا ومعها التعب والجهد ، ولعل كل واحد من الناس مهما كان عمره إلا وقد جرب هذه التجربة . فمن طلب النجاح في التحصيل العلمي واجه الكثير من المعاناة و بذل جهدا ضخما في سبيل النجاح، ومن طلب الرزق فإنه يواجه الكثير من الصعوبات و العراقيل ، وهكذا في القضايا العامة والقضايا السياسية وقضايا الحرية وقضايا الاستقلال وقضايا القوة للبلد ... فإن الإنسان يواجه الكثير من المتاعب والمشقات ولذلك فإن الله تعالى يقول للإنسان لا بد أن تعيش هذه المشاكل في حياتك إذا أردت أن ترتاح أو تنجح في هذه الحياة الدنيا و في الآخرة ، لأنه ما من راحة إلا ومعها تعب وما من نجاح إلا ومعها جهد، وما من ربح إلا ومعها خسارة.

2 - (- يَا مِبَادِي كُلُّكُمْ خَالٌ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ - يَا مِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطَعْتُهُ) (2040).

مسؤولية النعم . إن الإنسان العاقل حينما يتدبر ويتفكر في نفسه وما تحويه من حواس وقدرات وما يعيش فيه من نعم وأمن وخيرات حينما يتدبر ذلك يشعر بنعمة الله تعالى عليه مما يدعو إلى تقديرها وشكر الله المنعم عليها. أما إذا اخذ الإنسان في بلادة الاعتياد فإنه ينسى فضل الله تعالى عليه مما يجعله يغفل عن تذكر نعمة الله وعن شكرها. و هذه السلوكيات تخضع بشكل قوي لرؤية الفرد أو المجتمع إلى الله تعالى و الحياة و) الكون ، و القيم المهيمنة عليه ، هذا فضلا عن تأثير عوامل أخرى كالظروف الاقتصادية و الاجتماعية و البيئية (2041) . إذاً يجب على كل ذي نعمة أن يعرف قدرها ويوقرها ويستشعرها ويحمد الله عليها ويصرفها في طاعة الله تعالى حتى تستمر مصداقا لقوله تعالى: (ولئن شكرتم لأزيدنكم) (2042).

كنا ولا نزال نتحدث عن معنى الابتلاء من خلال نص الحديث القدسي السالف الذكر الذي وظف وسائل تعبيرية كثيرة لتحقيق أهدافه ، منها علاقة التقابل بين : الضلال و

2040 - النووي : صحيح مسلم ، ج 8 ، ص : 185 .

2041 - غلام علي حداد عادل : ثقافة العري أو عري الثقافة ، دار الهادي ، ط 1 : 2001 م ، ص : 11 .

2042 - سورة إبراهيم ، الآية : 07 .

الهداية (كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ) (2043) و الجوع و الإطعام (كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ) (2044) ، هذه الثنائية التقابلية و ما (تنطوي عليه تشكيلة المفاهيم و العلاقات من تواصل و وثاقة صلة متبادلتين) (2045) تؤكد أن المفاهيم النصية يمكن أن تشمل على (مختلف عناصر المعرفة بحسب ظروف الإستثارة ، فمعنى ذلك أنها ليست وحدات أولية متراسة ، و إنما يتم تماسك المكونات الخاصة بفضل شدة ربط معينة) (2046) و المتمثلة - هنا - في علاقة التقابل، و أن الابتلاء يمثل امتحاناً للإنسان، في ما يتمثل في وعيه، ولما يحيط به من أوضاع وظروف. قد يكون الابتلاء حركة ضاغطة للإنسان من جهة ما ينعم به الله عليه، فقد يوسع الله سبحانه وتعالى على الإنسان في ماله، أو في جاهه، أو في كلِّ خطوط القوة التي يمنحه إياها من خلال الوسائل التي تتجمّع عنده، ليختبره هل يقوم بمسؤوليته في ما يملكه من مال يجعله في مستوى الأغنياء، أو من جاهٍ يجعله في مستوى الوجهاء، أو من قوة تجعله في مستوى الأقوياء؟ هل يقوم بمسؤوليته في إدارة هذه الأوضاع الإيجابية المنفتحة على الساحة الواسعة من حياته أو حياة الآخرين؟ أو أنه لا يتحمل المسؤولية، بل يصيبه الغرور والانتفاخ في الشخصية، والسير في الخطوط التي تدفعه إلى أن يصرف ماله في ما يضرُّ به نفسه ويضرُّ به الناس، أو يحرك جاهه في الضغط على الناس، أو يوجّه قوته في ظلم الناس!؟

ولذلك، فإنَّ الإنسان قد يسقط في امتحان الثروة أو الجاه والقوَّة أو ما إلى ذلك، فيستخدم ذلك في غير ما يرضاه الله سبحانه وتعالى ، يتحرك في الحياة (من موقع الاستغلال و السيطرة بعيداً عن المبادئ الأساسية التي تحكم السلوك الإنساني فتخطط له طريقته في العلاقات العامة و الخاصة ، و في طبيعة التعامل ... الأمر الذي يجعل من حركة الحياة تعبيراً عن حركة الأقوياء ..) (2047)، وربما ينجح، فيستخدم ذلك كله في ما يحبه الله تعالى ويرضاه.

2043 - النووي : صحيح مسلم ، ج 8 ، ص : 185 .

2044 - المرجع نفسه ، ج 8 ، ص : 185 .

2045 - روبرت ديبوغراند و ولفغانغ دريسلر : مدخل إلى علم لغة النص ، ص : 120 .

2046 - المرجع نفسه ، ص : 122 .

2047 - محمد حسين فضل الله : مع الحكمة في خط الإسلام ، مؤسسة الوفاء ، ط 1 : 1985 م ، ص : 27 .

وربما يبتلئ الإنسان بالفقر، أو بأن يكون في المواقع المتأخرة في المجتمع، أو بالضعف في قوته. فإما أن يسقط أمام ذلك كله، فيبيع دينه وموقفه لمن يمنحه المال أو الجاه أو القوة، ولا ينطلق إلا من خلال (الإرادة المسحوقة المقهورة تحت ضغط إرادة الطغاة ..فتتعطل إزاء ذلك كل حيوية الطاقات التي يملكونها، و الفعاليات الكبيرة التي يمكن أن يتحركوا من خلالها في عملية بناء و تفجير) (2048)، وإما أن يصبر ليدبر أمره بالطريقة التي يحفظ فيها إنسانيته، فليست الثروة والقوة والجاه نعمة وكرامة للإنسان في ذاتياتها، وليس الفقر والضعف نقمة وإهانة للإنسان، بل كل هذه الأمور تدخل الإنسان هنا وهناك في تجربة صعبة، قد ينجح في تحقيق النتائج المرادة منها إذا صبر، وقد يسقط.

هذه المسألة، لا بد لنا من أن نواجهها عندما تتحرك بنا حالات السعة وحالات الضيق، لنعرف أنها تجربة يريد الله تعالى منا أن ننجح فيها، بأن نتحمل مسؤوليتنا، فلا نخضعها للحالات النفسية نغتر بها، أو لنسقط نفسياً، ونشعر باليأس وبالإحباط عندما يقل ما حصل عليه من مال أو جاه وما إلى ذلك. وقد حدثنا تعالى عن أن وجودنا في هذه الحياة التي تفتح على كل ما فيها من جمالات، وما فيها مما يغري الإنسان ويجتذب مشاعره وأحاسيسه، وربما يسقط تفكيره، أن وجودنا هذا محكوم بمفارقة هذه الدنيا، وأن مساحة الحياة التي يعيشها الإنسان، والتي تنتهي عند مجيء الموت، هي موقع الابتلاء والاختبار.

أن على الإنسان في كل حالة من الحالات التي تواجهه في حياته، سواء كانت حالة سلبية أو حالة إيجابية، أن يواجه هذه الحالات على أساس أنها امتحان واختبار له، فهل ينجح في التجربة ليرتفع إلى مواقع القرب من الله أم يسقط؟

8 - التعليل

علاقة التعليل من علاقات الربط المعنوي (فلكل حادث في الكون علة CAUSE في وقوعه، و لكل علة معلول EFFECT) (2049). و من فوائده التقرير و الإبلاغية،

2048 - محمد حسين فضل الله : مع الحكمة في خط الإسلام ، ص : 28 .

2049 - أحمد عبدة خير الدين : علم المنطق ، ، ص : 283 .

فالمتلقي يكون أقرب إلى الاقتناع بالخطاب كلما كان الخطاب مطعماً بالتعليل بين الفينة و الأخرى , و هو بذلك يكون قريباً إلى درجة كبيرة مع علاقة السببية

نماذج للتعليل

1 - (- فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ قَالَ مَخَافَتِكَ) 34

2 - (- إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ أَظْلَمُ مِنْ ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي) (2050).

من الأمور التي أكدتها علاقة الربط الملحوظة - علاقة التعليل - في نص الحديث القدسي هذا ، هي محبة الإنسان لله (الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي) ، بحيث يحب الإنسان الله حباً لا يجب أحداً مثله مهما كان ، باعتبار أن معرفة الإنسان لربه وعلاقته بربه إذا وعاهها وتعمق فيها ، تفرض عليه ذلك ، و تجعله ينظر إلى ذاته على أنه (مخلوق حي فاعل يتحمل مسئولية بناء الحياة و تركيزها على قواعد ثابتة تتجسد فيها إرادة الله في الكون عبر نظامه الأفضل ، لتكون الحياة الإنسانية منسجمة في نظامها العملي مع النظام الكوني الشامل) (2051)، لأننا عندما يدرس الباحث كل حالات الحب التي يحب فيها الناس الناس ، فقد يجد أنهم إما يحبون الإنسان الآخر لجماله ، أو لخصائص ذاتية فيه ، كالعلم والشجاعة والإقدام ، أو لأن الإنسان قد يكون صاحب فضلٍ على من يحبه . ولكن حب الله ينطلق من خلال أن الله تعالى هو الذي خلق الخلق جميعاً من عدم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، فالله هو الذي خلق الكل وهياً للجميع أسباب الوجود ، فكل وجودهم هو من الله ، فأى إنسان أعطى مثلما أعطى الله الوجود ؟ ، حتى الأب والأم ليسا هما من أعطيا الأبناء سر الوجود ، وإنما هما كانا الأداة التي هيأها الله للأبناء من خلال القوانين التي أودعها في جسم الأب والأم ، والتي أدت إلى الخلق ، و لهذا فعلاقة التعليل التي عملت على تماسك نص الحديث القدسي ، كانت تؤسس كذلك لدى المتلقي رؤية معرفية وجودية دقيقة تتمثل في كون أن نظام الوجود (هو نظام العلية ، و الموجود الذي يكون عين ذاته هو العلة

2050 - النووي : صحيح مسلم ، ج 8 ، ص : 177 .

2051 - محمد حسين فضل الله : مفاهيم إسلامية عامة ، ص : 297 .

المحضة ، أما الموجودات التي لا يكون وجودها عين ذاتها في موجودات معلولة لا محالة) (2052) .

فقد أعطانا الله كل ما نحتاجه في استمرار هذا الوجود وفي راحته ولدته، من النعم التي أسبغها علينا (وما بكم من نعمة فمن الله) (2053) (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (2054) ، حتى ما نحصل عليه من الآخرين الذين يعطوننا ما نأكل وما نشرب وما نستلذ وما نسكن، هؤلاء إنما يعطوننا ما أعطاهم الله وما كلفهم به، نحن إذ نحب من أحب الله تعالى ، فذلك لأن الله تعالى يحبهم، لأنهم أطاعوا الله (عباد مكرمون* لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) (2055). فنحبه لأنه أحب الله ولأن الله أحبه، ولا نستطيع أن نساوي الله مع أحد.

2052 - جوادى آملى : الحكمة النظرية و العملية في نهج البلاغة ، ذوى القربى ، ط 1 : 2000 م ، ص : 53 .

2053 - سورة النحل ، الآية : 53 .

2054 - سورة النحل ، الآية : 18 .

2055 - سورة الأنبياء ، الآية : 26 - 27 .

مبدأ التغيريض في الحديث القدسي

التمهيد

يقدم نص الحديث القدسي للدارس (مادة جلوية في تجانسها و شفافيته و طابعها الكلي العام , تتراءى فيها شروط النص منذ اللحظة التي يلتقط فيها القارئ خيوط السرد , فيبدأ في نسجها مع تقدم النص دون اقتطاع مبتسر أو توقف متعسف , فلا يغيب عنه أولوية الكل على الأجزاء , و لا مرحلية المواقف و العناصر المكونة للنص , و لا يلبث حين يتمثل بنيته الكلية أن يشرع في تأمل دلالاته الشاملة مدركا مغايرتها لمعاني الوحدات المتفرقة ..)⁽²⁰⁵⁶⁾ , لهذا تنتظم مكونات النص و تتالى عناصره التكوينية البسيطة و المركبة في تداخل و تماسك محكم و معقد (يدركها ابن اللغة , بحدسه و سليقته ..)⁽²⁰⁵⁷⁾ , كل ذلك و غيره يتدخل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بقوة في عملية مقارنة نص الحديث القدسي و تأويله فـ(الذهن لا يقوم بتصوير الكل خارجا عن أجزائه , كما لا يقوم الذهن بتصوير الجزء خارج بناء كلي يقو فيه)⁽²⁰⁵⁸⁾ , و بالتالي فإن استيعاب هندسته النصية الدلالية/الداخلية و الشكلانية/الخارجية يعد معطى رئيسا يفرض نفسه على متلقيه لحظة دخول هذا الأخير طرفا فاعلا في عملية تأويل و تفكيك الخطاب القدسي , و ينبهه إلى ضرورة رصد أدوات مبدأ التغيريض حتى تنكشف له (الروابط الفكرية بين الجمل المقترنة و لو كان كل منها يتحدث عن حقيقة من الحقائق المنفصلة في الظاهر عن الحقيقة الأخرى التي جاءت مقترنة بها في اللفظ)⁽²⁰⁵⁹⁾ ..

مركز الجذب و نماذج تطبيقية

-
- 2056 - صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص , ص : 253 .
2057 - عمر أبو خرمة : نحو النص نقد النظرية ... و بناء أخرى , ص : 113 .
2058 - المرجع نفسه , ص : 219 .
2059 - حبنكة الميداني : قواعد التدبير الأمثل لكتاب الله عز و جل , دار القلم , ط4 : 2009 م , ص : 15 .

هل (علة كل شيء تكمن في مفهومه بالدرجة الأولى) (2060) ؟ , إذا أراد الدارس أن يشبه مركز الجذب بشيء ما , فلا يجد أفضل ما يشبهه به مثل قلب عين الإعصار , في حركيته النوعية التي تجعل كل ما يحيط به يدخل , بالقوة , في مسار حركي محدد , لا يخرج منه قيد أنملة , إذ (يوجد داخل كل نص , مكتوب أو شفهي , نموذج كامن يستند إلى ركيزة أساسية , عادة ما تترجم نفسها إلى صورة مجازية , استخدمها صاحبها - بوعي أو بغير وعي - للتعبير عن هذا النموذج) (2061). الذي يمكن النظر إليه على أنه شبكة منظمة من الأفكار الملحة لدى صاحب النص أي أنها صورة أصلية غير قابلة للاختزال أو التبسيط تقوم بتوجيه كل مكونات النص التي ينتجها ذلك المؤلف. و إذا أسقطنا ذلك على الحديث القدسي صارت تعني الفكرة أو القضية أو المشكلة التي يقوم النص القدسي بطرحها من خلال كل مكوناته التي يقدمها ويقوم عليها العمل بأكمله , فالفكرة هي اللبنة الأولى والأساسية في بناء أي نص عامة , لذا فاختيار الفكرة من أهم وأول عناصر ميلاد النص منطوقا كان أو مكتوبا , وذلك لأنه لو لم يكن هناك قضية ما تشغل الناص يحاول طرحها من خلال النص لما كان هناك نص أساسا .

فتيمة الخطاب هي محور ارتكازه , لا تشكل ظاهرة لغوية إلا بصورة ثانوية فقط وتظهر بالأثر على هيئة شكل رمزي . و لهذا يجب أن تكون واضحة ومحددة الأبعاد لدى الناص لكي يستطيع التعبير عنها من خلال العناصر اللغوية و الدلالية التي تحملها الرسالة التي يود توجيهها إلى المتلقي بشكل غير مباشر من خلال قالب لغوي يعتمد على بناء فني محدد.

وأيا كان نوع التيمة/الفكرة الأساس لابد وأن يكون مؤلف النص ملماً بجميع جوانبها وأبعادها وتعريفاتها كي يستطيع متلقيها استيعاب ما يحمله المؤلف للنص من خطاب موجه و مقاصدي يعبر عن رؤيته تجاه الله و الكون و الحياة , أي الموضوع أو الفكرة المثارة في حنايا النص .

2060 - علي حرب :الإنسان الأدنى أمراض الدين و أعطال الحداثة , المؤسسة العربية للدراسات و النشر , ط2 :

2061 - عبد الوهاب المسيري : اللغة و المجاز بين التوحيد و وحدة الوجود , ص : 18 .

ويمكن لنقطة بداية النص/(تيمة هذا الخطاب)⁽²⁰⁶²⁾ أن تشير إلى مجموعة كلمات تنتمي إلى حقل واحد لإعطاء دلالة معينة فمثلاً قد يكون النص موحياً بالحزن ويسيطر عليه من بدايته إلى نهايته جو من الأسى فنقول إن التيمة هنا هي قيمة الحزن والأسى أو الفرح أو اليأس.

هذا الأمر يقود الدارس إلى الإشارة إلى أن الكثير من العلماء القدامى الذين كانوا يتعاملون مع النص التشريعي الإسلامي , قرآنا و سنة قد تجاوزوا (الحدس البياني لل فقرات داخل النص ..)⁽²⁰⁶³⁾ التشريعي , كما أن الكثير ممن ينتمي إلى التفكير العربي الحديث و الذين يعدون امتداد طبيعيا لهم , هم أنفسهم , لم يستطيعوا تجاوز تلك العقبة السالفة الذكر , و لهذا قال أحدهم (لم نستطع - مثلهم تماما - أن نتجاوز بحدسنا اللغوي هذه الحقيقة)⁽²⁰⁶⁴⁾ , و السبب في ذلك - في نظره - إلى أن (كل فقرة تحوي جملة نحوية واحدة بؤرة تشل في الذهن نسبة تامة مستقلة بقابليتها للفهم , في حين أن بقية الجمل التالية لهذه النسبة تشكل نسبا ناقصة متعلقة بالجملة البؤرة , و تابعة لها لا تستقل بفاعليتها للفهم , و تقع هذه البؤرة الأصلية - عادة - في بداية الفقرة , بحيث تكون أول جملها)⁽²⁰⁶⁵⁾ , و لا غرابة في التقاطع الفكري , لأن علماء لسانيات النص قد حملوا الجملة الأولى عبء تراكمية المعني حينما يؤكدون بأن (الجملة الأولى من الفقرة الأولى لن تقيد فقط تأويل الفقرة , و إنما بقية النص أيضا)⁽²⁰⁶⁶⁾ . و من جهة أخرى فهم يشيرون إلى العنوان - غالبا - على أنه البؤرة الأصلية في النص أو الجملة المفتاح على مصطلحهم , و نحن نرى أن الجملة الأولى في كل فقرة هي التي تشكل البؤرة الأصلية , و ليس شرطا أن تكون العنوان)⁽²⁰⁶⁷⁾ .

يمكن - بعد كل ذلك - أن نشير هنا إلى مركز جذب الذي شكل بؤرة أصلية في نص الحديث القدسي الآتي :

-
- 2062 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ص : 40 .
2063 - عمر أبو خرمة : نحو النص نقد النظرية ... و بناء أخرى , ص : 114 .
2064 - المرجع نفسه , ص : 114 .
2065 - المرجع نفسه , ص : 114 - 115 .
2066 - محمد الخطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 59 .
2067 - عمر أبو خرمة : نحو النص نقد النظرية ... و بناء أخرى , ص : 115 .

(عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ . فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ فَيَتَبَتَّونَ كَمَا تَتَبَّتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً قَالَ وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو الْحَيَاةِ وَقَالَ خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ) (2068)

إن عبارة (مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ) تمثل بؤرة أصلية و مركز جذب أساس في هذا النص ، لأن ما قبلها و ما بعدها ، من ألفاظ و عبارات و جمل ، و متتاليات جمالية .. كلها قد تعلقت بها علاقة عضوية ، لا يمكن فهم المضمون الكلي للنص إلا بتفعيل هذه المكونات وفقا لمركز الجذب ، و رصدها كما هي دون إضافات أو محذوفات .. مما يجعل الباحث يستنتج أن العناصر اللغوية المشكلة للنص القدسي إنما رسمت لنفسها مدارات متحركة حول بؤرة النص الأصلية ، و قد وصل إلى هك استنتاج (بعد أن قام بتحليله إلى أجزائه مفككا ثم تركيبه ثانية مجمعا) (2069) ، و يظهر ذلك في الأمثلة الآتية كذلك :

1 - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَعْنِيكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى وَعَزَّتْكَ وَلَكِنْ لَأَغْنِي بِي عَنْ بَرَكَتِكَ) (2070)

واضح بعد قراءة الحديث القدسي هذا قراءة عميقة أن يشير الدارس إلى أن مركز جذبه يكمن في (بركتك) ، فإن أيوب عليه السلام ما أقدم على تلك السلوكات إلا لغاية أفصح عنها في قوله : (بَلَى وَعَزَّتْكَ وَلَكِنْ لَأَغْنِي بِي عَنْ بَرَكَتِكَ) إذ كثيرا ما تتكرر هذه الكلمة/البركة على الألسنة ، فما هي البركة ؟ ، و الإجابة عن هذا السؤال المفصلي يزيل اللثام عن سر محور هذا الحديث حول هذه البؤرة . البركة هي الزيادة والنماء، فإذا كانت في المال فإنما تعني زيادته وكثرته، وفي الدار فساحتها وسكينتها وهدوؤها، وفي الطعام وفرته وحسنه، وفي العيال كثرتهم وحسن أخلاقهم، وفي الأسرة انسجامها

2068 - محمود بن أحمد العيني: عمدة القارى شرح صحيح البخاري ، ج 1 ، ص : 270 .

2069 - المرجع نفسه ، ص : 118 .

2070 - المرجع نفسه ، ج 3 ، ص : 343 .

وتفاهمها، وفي الوقت اتساع وقضاء الحوائج فيه، وفي الصحة تمامها وكمالها، وفي العمر طوله وحسن العمل فيه، وفي العلم الإحاطة والمعرفة.. فإذن البركة هي جوامع الخير، وكثرة النعم و ثباتها و دوامها ، فلا غرابة بعد ذلك أن نجدها مطلباً من أسمى المطالب التي يسعى إليها نبي من أنبياء الله أيوب عليه السلام ، لأنه أدرك حقيقة البركة و مدلولاتها على الوجه الصحيح و فانقلب هذا التصور إلى (أساس متين حصين لا يقبل بآية صورة من صور التواكل و السلبية أو العجز و التقاعس و يدفع بالنفس المسلمة و بالإنسان المسلم إلى جد السعي و طلب العلم و بذل الجهد في علاقة الإنسان بالحياة و بالكون و بالحوادث سعياً منه بالحياة إلى غاياتها و تحقيق معانيها على ما يقضي به نظام الخلق و تحكم به نواميس فطرة الحياة و منطبق حركتها)⁽²⁰⁷¹⁾ ... و لقد تم تغريض المتحث عنه (البركة) بطرق عدة ليس هذا أوان ذكرها هنا ..

2 - (عن النّوّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً فَخَفَضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَقَالَ غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَأَمْرُو حَجِيجِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَائِفَةٌ كَأَنِّي أَشْبَهُهُ بَعْدَ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاتَّبِعُوا قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبَّثُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمًا كَسَنَةٍ وَيَوْمًا كَشَهْرٍ وَيَوْمًا كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةَ يَوْمٍ قَالَ لَا أَقْدِرُوا لَهُ قَدْرَهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتَنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ)⁽²⁰⁷²⁾

2071 - عبد الحميد أحمد أبو سليمان : أزمة العقل المسلم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط1 : 1991 م ، ص :

2072 - النووي : صحيح مسلم ، ج 9 ، ص : 191 .

لما كانت هذه الأمة هي آخر الأمم , و محمد صلى الله عليه و سلم هو آخر الأنبياء , خص الله تعالى أمته بظهور أشراط الساعة فيها , و بينها لهم على لسان نبيه ... أكمل بيان و أتمه , و أخبر أن علامات الساعة ستخرج فيهم لا محالة منها : رجل/مركز الجذب يعد من علامات الساعة الكبرى عند المسلمين , و المقصود بالدجال الكذاب من الدجل و التغطية , نظرا لكذبه و تمويهه و ادعائه النبوة أولا و أنه هو المسيح عيسى عليه السلام ثم ادعائه في الأخير الألوهية , و يسمى الكذاب دجالا لأنه يغطي الحق بالباطل .. و قد تعرض النص السالف إلى وصف دقيق لعلامات خروج الدجال و صفاته هو المميّزة و ألوان فتنه و كيفية مواجهته سلبا و ايجابا ... و النهاية التي سيؤول إليها في آخر مشواره الحياتي .. هذه المعطيات الإخبارية كلها من الغيب الذي ليس (المقصود به - قطعا و جزما - ... غيب الله المطلق , فتلك مداخل و مفاتيح لا يعلمها إلا هو سبحانه ..)⁽²⁰⁷³⁾ , و إنما المراد به (علم بما هو متشياء ... و يمتد علم ما هو متشياء إلى التفاعل الإلهي مع الكون كله , حركة و ظواهر , رطب و يابس ...)⁽²⁰⁷⁴⁾ . كل ذلك تم تغريضه , مع باقي التفاصيل و الجزئيات التي لم نذكرها , حول بؤرة جذب قوية هي (الدجال)

4 - (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل إذا هم عبي بحسنة ولم يعملها كتبت لها حسنة فإن عملها كتبت لها عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبت لها سيئة واحدة)⁽²⁰⁷⁵⁾

تفيد مادة عبد معنى الخضوع و الانقياد و التذلل , و (أصل العبودية الخضوع و التذلل)⁽²⁰⁷⁶⁾ , قال الراغب (ليس كل إنسان عبدا لله , فإن العبد على هذا المعنى العابد , لكن العبد أبلغ من العابد , و الناس كلهم عباد الله , بل الأشياء كلها كذلك , لكن بعضها بالتسخير و بعضها بالاختيار)⁽²⁰⁷⁷⁾ , فالتسليم والخضوع , كلها معانٍ متعددة لحقيقة

²⁰⁷³ - محمد أبو القاسم حاج حمد : منهجية القرآن المعرفية , أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية و الإنسانية , دار الهادي

, ط 1 : 2003 م , ص : 238 .

²⁰⁷⁴ - المرجع نفسه , ص : 238 .

²⁰⁷⁵ - النووي : صحيح مسلم , ج 2 , ص : 272 .

²⁰⁷⁶ - ابن منظور : لسان العرب , مادة (ع ب د) , ج 4 , ص : 531

²⁰⁷⁷ - الراغب الاصفهاني : المفردات في غريب القرآن , مكتبة نزار مصطفى الباز , ج 1 , ص : 415 .

واحدة وهي العبودية ، فـ (البشر في مجموع حركاته يتقدم إلى الأمام من الناحية المادية والناحية المعنوية، ولم تكن حركة البشر التكاملية من الناحية المعنوية حركةً واحدةً على خط مستقيم، إنها حركة تنحرف تارةً إلى اليمين وتارةً إلى اليسار، ولها وقفةٌ ورجوعٌ أحياناً، ولكنها في مجموعها حركةٌ متقدمةٌ وتكامليةٌ، ولهذا نقول : ...إنسان المستقبل إنسان عقيدةٍ وإيمانٍ لا إنسان بطنٍ وحجر) (2078) ، يتلبس بها حتى يصير مقبولاً عند الحضرة الربانية ، فـ (السبيل الوحيد لوصول الإنسان إلى كماله المنشود هو العبادة بمعناها العام ، ...) (2079). والعبودية بهذا المعنى حقيقةٌ جاريةٌ حقيقةٌ شرعيةٌ و لا يراد بها الحقيقة الكونية فقط لأن هذه الأخيرة سارية المفعول قهراً على كل مخلوقات الله . فالكون وما فيه، من عوالم المادة والإحياء وسائر المخلوقات يتجه بتكوينه وابداعه اتجاهاً مرتبطاً بإرادة الله ومشئته، بصورة تنطق بالسجود، وبالتسليم والخضوع الكامل والمطلق لله سبحانه . والمخلوقات بأسرها تحقق بهذا الخضوع أفضل صور الكمال والأداء الوظيفي المرسوم لها، وهو كمال الوجود، وحفظ النظام الكوني العام. ولو قدر لشيء من هذا الوجود أن يخرج على نظام الخلق والإبداع لتعرض للفناء والدمار. فلو خرجت الكواكب عن مداراتها، أو الأرض عن موقعها، والشمس عن مجموعتها، لتعرض النظام الكوني العام للفناء والعدم. فكل المخلوقات إذًا... الجماد، والنبات، والحيوان، والإنسان خاضعة خضوعاً تكوينياً، أي خضوعاً للنظام والقانون العام، الذي جعل الله العالم يسير بمقتضاه . و على هذا الأساس كان محور الارتكاز و البؤرة المركزية التي تحلقت حولها كل مكونات النص تتمثل في الممارسات الاختيارية المنضبطة بضوابط الشرع و سنن الله تعالى النفسية و الآفاقية التي يتلبسها الإنسان فتحرره من سلبيات كثيرة في مستويات الحياة كلها و حتى من (الشعور بالنقص الحضاري) (2080) ، فيستحق ، حينئذٍ - أن يطلق عليه البارئ عز و جل اسم (عبدي) .

2078 - باسم الماضي الحسنوي : فلسفة الإيمان عند الشهيد مرتضى مطهري ، شبكة الفكر ، ص : 20 .

2079 - محمد تقي الدين مصباح يزدي : أصول المعارف الإنسانية ، مركز نون للتأليف و الترجمة ، ط 1 : 2001 م

، ص : 124 .

2080 - عبد الله بن عبد العزيز الهدلق : ميراث الصمت و الملكوت مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط 1 : 2010 م ، ص :

و يحسن بالدارس هنا أن يشير إلى أن مركز الجذب هذا لا يمكن أن (يتشكل أصلا من نسبة ناقصة)⁽²⁰⁸¹⁾ و علاقات مبتورة , و إنما طبيعة النص و كل مكوناته المنفوضة و الملحوظة هي التي تسهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في سياقه (الكلامي أو الكتابي)⁽²⁰⁸²⁾ في رصد مركز الجذب و تحديد موقعيته داخل النص , مع الحفاظ عليه من القراءات غير العلمية التي قد تحرفه و تبعده عن مقصده الأصيل , و لهذا فإن هذه البؤرة النصية (تتكون من جميع النسب المحتملة في لغة)⁽²⁰⁸³⁾ النص المقارب .. كما أن من أهم النتائج التي يحسن ذكرها كذلك أن ظاهرة مركز الجذب النصي (تبقى هي المسيطرة على التراكمب التالية لها , و هذا ما يحقق خطية ..)⁽²⁰⁸⁴⁾ النص القدسي و تماسكه (النحوي أو على وحدة موضوعه الدلالي)⁽²⁰⁸⁵⁾ .

ما تقدم ذكره , يدعو الدارس إلى تأكيد أنه بعد متابعة هذه الدراسة لنصوص الحديث القدسي بعيون مبدأ التغيريض تبين أن مركز الجذب/البؤرة النصي فيه , ليس لها موقعية واحدة قارة , و لا تشغل موضعا سكونيا محددًا في الخطاب القدسي , إنما تتحرك في فضاء النص القدسي من موضع إلى آخر , و من ثمة فهي تارة متواجدة بين أعتاب النص و في بداياته مباشرة , و تارة أخرى في وسطه أو نهايته , و للتوصل إلى ذلك في النص (يقوم الدارس بقراءة النص عدة مرات حتى يضع يده على الصورة الأساسية المتواترة , و يحاول أن يربط بينها , و يعرف دلالتها من خلال السياق التي ترد فيه , ثم يجرد منها نموذجًا معرفيًا , و بالتالي تتحول أجزاء النص التي قد تبدو مبعثرة إلى كل متماسك)⁽²⁰⁸⁶⁾ , إنزال هذه المنهجية على أرض الواقع و تطبيقها عمليا على نصوص الأحاديث القدسية , يجعل الدارس ينتبه إلى ظاهرة دلالية نصية , و هي أن مركز الجذب النصي ليس له موقعية ثابتة في النص القدسي و إنما يتحرك من موضع إلى آخر , مما يجعل الدارس ينظر إلى هذه الظاهرة نظرة تقسمها إلى ثلاثة أنواع :

2081 - عمر أبو خرمة : نحو النص نقد النظرية ... و بناء أخرى , ص : 116 .

2082 - المرجع نفسه , ص : 118 .

2083 - المرجع نفسه , ص : 116 .

2084 - المرجع نفسه , ص : 117 .

2085 - المرجع نفسه , ص : 117 .

2086 - عبد الوهاب المسيري : اللغة و المجاز بين التوحيد و وحدة الوجود , ص : 18 .

أنواع مركز الجذب :

النوع الأول : مركز الجذب في بداية النص .

شهدت نصوص الأحاديث القدسية تمرکز بؤرة الجذب النصي في بدايتها و مطلعها نسبة عالية مقارنة بالوضعيتين المتبقيتين , و بالتالي احتلت المرتبة الأولى من حيث الترتيب بـ(52) أي بنسبة مئوية مقدرة بـ(53.60%) . وقد يعود ذلك إلى أهمية مركز الجذب في بداية النص عند المتلقي , فحينما يتلقى القارئ نواة النص بداية , هو في حالة نفسية جيدة و خالي الذهن , يحقق النص عندئذ أقصى طاقاته التواصلية و أهدافه التداولية , و يستقر في حس المتلقي أن باقي مكونات النص ما هي إلا عناصر توضح ما تلقاه رأسا و تخصصه و تعمقه , بل و تثبته في وعيه و حسه . و لما كان الحديث القدسي غير موجه لطبقة معين من الناس , بل لكل المستويات و الشرائح الاجتماعية , فعرفة حقيقة المتلقي و مستواه المعرفي و الإدراكي يفضي في أحيان كثيرة موقعة مركز بجذب النص في بدايته , فـ(العجز عن إدراك فعل التركيب و ممارسته , أي العجز عن تلمس المعنى الكامل في علاقات الإسناد في النص , و هذا ينبئ بعجز معرفي مفاده عدم القدرة على التفكير و أعمال العقل في مجموع الأجزاء المكونة لكل موضوع الإدراك ..)(2087) , من مثال ذلك نورد ما يأتي :

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَتَعَابُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ) (2088)

لله تعالى (ملائكة يتناوبون على حراسة الإنسان و حفظه , ليلا و نهارا من الأشياء التي التي لا يمكن الاحتراز منها ..)(2089) و في الوقت نفسه يتعقبون سلوكاته (وكتابة حسناته , كتابة سيئاته , و يمكن أن يقوموا بالعملية معا , حفظه و كتابة أعماله و فإن

2087 - عباس أمير : المعنى القرآني بين التفسير و التأويل , دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني , الانتشار

العربي , ط1 : 2008 م , ص : 176 .

2088 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القاريء شرح صحيح البخاري , ج 5 , ص : 64 .

2089 - محمد متولي الشعراوي : الأحاديث القدسية , ج2 , ص : 235 .

كتبوا له الحسنات فهذا لصالحه) (2090) ، و إن كتبوا غير ذلك كان لغير صالحه ، و من ثمة كان مركز الجذ النصي في البداية (قَالَ يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ) ليؤكد من اللحظة الأولى لمتلقيه دو الإيمان بالغيبيات و فاعليتها على المستوى الفردي و الجماعي ، لأن (التحقيق في تاريخ التقدم البشري يثبت لنا أن أركان حضارة الإنسان و ثقافته كانت و لا تزال على عاتق من كان إيمانهم يهون عليهم تحمل الأحمال الثقال من الآلام و المشاكل ، فهم قد أحبطوا بإيمانهم المصائب و الآلام في قلوبهم القوية المقطرة) (2091) ففي هذا الحديث شهود الملائكة للصلوات ، والأظهر أن ذلك في الجماعات ، ومعنى " يتعاقبون " تأتي طائفة بإثر طائفة وبعدها طائفة ، وإنما يكون التعاقب بين طائفتين أو بين رجلين مرة هذا ، ومرة هذا ، فهذا هو التعاقب ، ومعنى هذا الحديث أن ملائكة النهار تنزل في صلاة الصبح فيحصون على بني آدم أعمالهم ، و يصعد الذين باتوا فيهم ذلك الوقت ، فإذا كانت صلاة العصر نزلت ملائكة الليل فأحصوا على بني آدم ما جرحت أيديهم ، وعرجت ملائكة النهار ، يتعاقبون هكذا أبدا ، إلى أن يرث الله تعالى الأرض و من عليها .

النوع الثاني : مركز الجذب في وسط النص .

كما تموقع مركز الجذب النصي في أحيابين كثرة بين مطلع النص القدسي و نهايته ، و قد بلغ عدد هذه الظاهرة : (25) حالة ، أي بنسبة مئوية تقدر بـ: (25.77%) ، و قد يكون السبب في ذلك عائدا إلى أن تلقي هذا الموضوع بالذات مباشرة و عرضه على المتلقي - الذي (تغذي جذوره تربة ثقافية فسيحة ..) (2092) - من دون تمهيدات محكمة و مقتضبة تمهد الطريق أمامه ، و تستثير فيه الرغبة في معرفة لب الخطاب و رسالته الأساس ، تجنباً لأي مؤثرات قبلية عند المتلقي أو معطيات آنية لا تخدم النص أساسا ، بل قد تشوّهه و تحول دون مقاصده و أهدافه الأساس ، ذلك و غير قد يكون من المبررات التي حدث بصاحب النص القدسي إلى إرجاء الإفصاح عن بؤرة و مركز جذب

2090 - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 236 .

2091 - مجتبى الموسوي اللاري : رسالة الأخلاق ، الدار الإسلامية ، ط 1 : 1989 م ، ص : 147 .

2092 - عباس أمير : المعنى القرآني بين التفسير و التأويل ، دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني ، ص :

النص لحظات معدودة حتى يتسنى للمتلقى أن يدخل بكلياته في الجو الطبيعي الذي يصنعه النص القدسي ، حتى يحقق أغراضه بدقة متناهية ، و يقف دون التأويل الخاطئ الذي يحيد بكل مكونات النص عن مقاصده التواصلية الأساس .

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) (2093)

لصلاة الليل طعم و نكهة لا يتذوقها إلا من حظي بهذه الصلاة في جوف الليل ، حيث الصفاء و النقاء بعيدا عن ضجيج الحياة و صراخ الأحداث .. ، إذ تنشأ النفس نشأة جديدة فتضيء جوانبها بالاشراق الربانية ، و النفحات القدسية ، لهذا كله تموقع مركز الجذب النصي في وسط خطاب الحديث القدسي (ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ) ليوصل للقارئ هذه المعاني النيرة التي تتدفق من قيمة ثلث الليل الآخر ، و فضلها و فوائدها ، فدل على أن الله -تعالى- يسأل الملائكة، وهو أعلم -سبحانه- وهم يسمعون كلامه، وفيه أن الله -تعالى- اعتنى ببني آدم، وأوكل بهم ملائكته، من الحفظة والكتابة ، النوع الثالث : مركز الجذب في آخر النص .

ما تقدم ذكره لا يعني أن مركز الجذب و بؤرة النص القدسي لم تخرج عن حدود الموقعين السالفي الذكر ، و إنما وجد الدارس بعض نصوص الحديث القدسي قد احتضنت الموضوع الأساس و لكن في نهاية الفعل التواصلية أي في آخر النص ، و إذا ما تأمل الدارس هذه الظاهرة و حاول أن يجد لها مبررا موضوعيا ، لوقف عند العديد منها أن بعض النصوص تتبع استراتيجية ترك الأهم من معطيات النص إلى نهايته حتى يكون آخر ما يقر سمع المتلقي فيثبت و يتأصل ، بعد أن يكون قد مر أشواط قد تطول أو تقصر من قبل ، فرتبت هذه الأشواط معطياته الفكرية و هيأت حالاته النفسية ، و أزال التصورات الفكرية التي قد تقف حائلا أمام هدفية النص و مقاصده ، كما أزاحت من نفسية المتلقي بعض الحالات النفسية السلبية أو عطلت فاعليتها إلى حين يحقق النص القدسي كل أهدافه و مراميه و يؤثر بقوة في كينونة المتلقي كلها و يحقق فيه التوازن المنشود بين قواها و خلفياته المتنوعة الكامن فيه ، و (سواء كانت تلك الخلفيات سكونية منغلقة أو

2093 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القاريء شرح صحيح البخاري ، ج 6 ، ص : 332 .

متجددة نامية فإنها في الغالب , لا تتوقف عند حقبة تاريخية بعينها و إنما هي تعيش في
في مرحلة أو مراحل تاريخية تالية مع مفاهيم و تصورات و معتقدات جديدة تشكل هوية
هذه المرحلة أو المراحل , الذي يحصل بين ما بين المفاهيم أو الخلفيات القديمة و
الجديدة هو تنافر مرة , و تعايش مرة أخرى , و هذا هو الغالب , و هذا يعني صيرورة
المرجعتين , المرجعية القديمة و المرجعية الجديدة) (2094) ... و قد بلغ تعداد حالات
تموقع مركز الجذب في آخر النص القدسي (21) حالة , أي بنسبة مئوية تقدر
بـ(21.64%)

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا
أعملت من الخير شيئاً قال لا قالوا تذكر قال كنت أداين الناس فأمر فتياي أن ينظروا
المعسر ويتجاوزوا عن الموسر قال قال الله عز وجل تجوزوا عنه) (2095)

تموقع مركز جذب هذا النص في آخره ليؤسس داخل نفسية المتلقي نهاية ايجابية
على صعيده الآتي أو في ما يمكن أن يأمله في مستقبله و آخرته , بشرط أن تستقر في
كينونته أن الله تعالى (يمحو السيئات , و يتجاوز عن المعاصي) (2096) , فدين الإسلام
دين كامل؛ أنزله الله تعالى ليسعد الخلق؛ وليعيشوا حياتهم بهناء وراحة بال وطمأنينة في
الدنيا و الآخرة ؛ فسن الشرائع التي تضبط العلائق بين البشر بعضهم ببعض, و بين العبد
و ربه ؛ فكانت الأخلاق السامية؛ والفضائل العالية التي جاء بها الإسلام هي من أسمى
الأخلاق التي عرفت البشرية نبلاً وكرماً وسماحةً. وإن من بين الأخلاق الكريمة التي
جاء بها الإسلام: خلق العفو .

العفو هو (التجافي عن الذنب) (2097) , خلق إسلامي رفيع و عال و يدل على
إعراض المتخلق به عن أعراض الدنيا , و شهوات النفس الدنيئة , و لقد أمر الله تعالى
به المسلمين في شخص صفوة عباده محمد صلى الله عليه و سلم في أكثر من موضع ,

²⁰⁹⁴ - عباس أمير : المعنى القرآني بين التفسير و التأويل , دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني , ص :

. 144

²⁰⁹⁵ - النووي : صحيح مسلم , ج 6 , ص : 69 .

²⁰⁹⁶ - أبو حامد الغزالي : المقتصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى , تحقيق محمد عثمان الخشت , مكتبة القرآن

, ص : 124 .

²⁰⁹⁷ - الراغب الاصفهاني : المفردات في غريب القرآن , ج 1 , ص : 441 .

و كذلك أمر به كل من يمت إلى هذه الأمة بصلة , تأكيدا على أهميته و فضله في هذا الدين الحنيف . قال تعالى (الذين ينفقون في السراء و الضراء و الكاظمين الغيظ و العافين عن الناس و الله يحب المحسنين) (2098) , و لهذا أكد أبو حامد الغزالي ذلك بقوله (حظ العبد من ذلك لا يخفى.. و هو أن يعفو عن كل من ظلمه , بل يحسن إليه , كما يرى الله تعالى محسنا في الدنيا إلى العصاة و الكفرة غير معاجل لهم بالعقوبة , بل ربما يعفو عنهم بأن يتوب عليهم , و إذا تاب عليهم محا سيئاتهم , إذ التائب من الذنب كمن لا ذنب له , و هذا غاية المحو للجناية) (2099) .

تمدد مركز الجذب :

لغة نص الحديث القدسي لا تتكون (من جمل منفصلة بل تتكون من جملة واحدة متصلة أو مستمرة فيما يليها من تراكيب : جمل , و عبارات و ألفاظ , بحيث تبقى هذه السيطرة على التاركيب التالية لها , و هذا ما يحقق ..) (2100) خطية خطاب الحديث القدسي , هذه الحالة لا يصنعها المعطى النحوي فقط , بل للجانب الدلالي و التداولي دخل كبير في ذلك .. و لهذا فإن مركز الجذب النصي لا يعمل على تشكيل المحيط اللغوي القريب منه جذبا و إحاطة , , و إنما يستمر (بتعليق التراكيب التالية بعنصر من عناصرها , بحيث تتماسك العناصر الجديدة مع هذا العنصر المتناسك أصلا مع البؤرة الأصلية .. دون أن تؤثر .. في تماسك النص النحوي أو على وحدة موضوعه الدلالي) (2101) .

قد يكون للعنصر اللغوي الذي يجسد مركز الجذب النصي معنى عاما أو خاصا (عدد من الارتباطات من عدة جوانب منها .. و بعدد آخر من الجمل التي تشترك معها في موضوع عام ..) (2102) عبر نص الحديث القدسي كله . و قد تنبه بعض المفكرين العرب المحدثين إلى هذه الظاهرة - و هو يحاول وضع قواعد لفهم القرآن الكريم - حيث يقول

2098 - سورة آل عمران , الآية : 134 .

2099 - أبو حامد الغزالي : المقتصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى , ص : 124 .

2100 - عمر أبو خرمة : نحو النص نقد النظرية ... و بناء أخرى , ص : 116 .

2101 - المرجع نفسه , ص : 116 - 117 .

2102 - حبنكة الميداني : قواعد التدبير الأمثل لكتاب الله عز و جل , ص : 15 .

(كل معنى جزئي مستفاد من جملة قرآنية له ارتباط بما تفرق في القرآن من معان تلتقي معه في موضوع واحد , و له ارتباط آخر وثيق بمعان الجمل الأخرى التي اشتملت عليها الآية , كما أن الآية ذات ارتباط وثيق بوحدة موضوع السورة) (2103) , و من هنا فالحلقات التي تمتد إليها البؤرة الأصلية داخل النص , فترتبط بها عضويا , و تشكل من خلال ذلك نسيجاً نصياً واحداً , قد أطلق عليها الباحث عمر أبوخرمة اسم (البؤرة الثانوية) (2104) التي (يمكن أن تتكون من عنصر واحد من الفقرة أو أكثر) (2105) , مع العلم أن هذه الظاهرة النصية تبقى متصلة بمركز الجذب النصي (بعلاقات نحوية) (2106) أو دلالية و تداولية , لتشكل في الأخير الصورة الكاملة المفترضة لبنية نص الحديث القدسي الدلالية الكبرى في ذهن المتلقي الذي هو مطالب بأن (يبحث و يتأمل حتى يكتشف .. ضمن المنهج) (2107) التعبيري لنص الحديث القدسي العام ..

و يمكن توضيح كيفية تعالق تلك البؤر الثانوية بمركز جذب النص من خلال

الأنموذج الآتي :

(عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رَحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً فَخَفَضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَقَالَ غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَأَمْرُ حَجِيجِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَائِفَةٌ كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنِ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبِئْتُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمًا كَسَنَةٍ وَيَوْمًا كَشَهْرٍ وَيَوْمًا كَجَمْعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ قَالَ لَا أَقْدُرُوا لَهُ

2103 - حبكة الميداني : قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز و جل , ص : 13 .

2104 - عمر أبوخرمة : نحو النص نقد النظرية ... و بناء أخرى , ص : 117 .

2105 - المرجع نفسه , ص : 117 .

2106 - المرجع نفسه , ص : 117 .

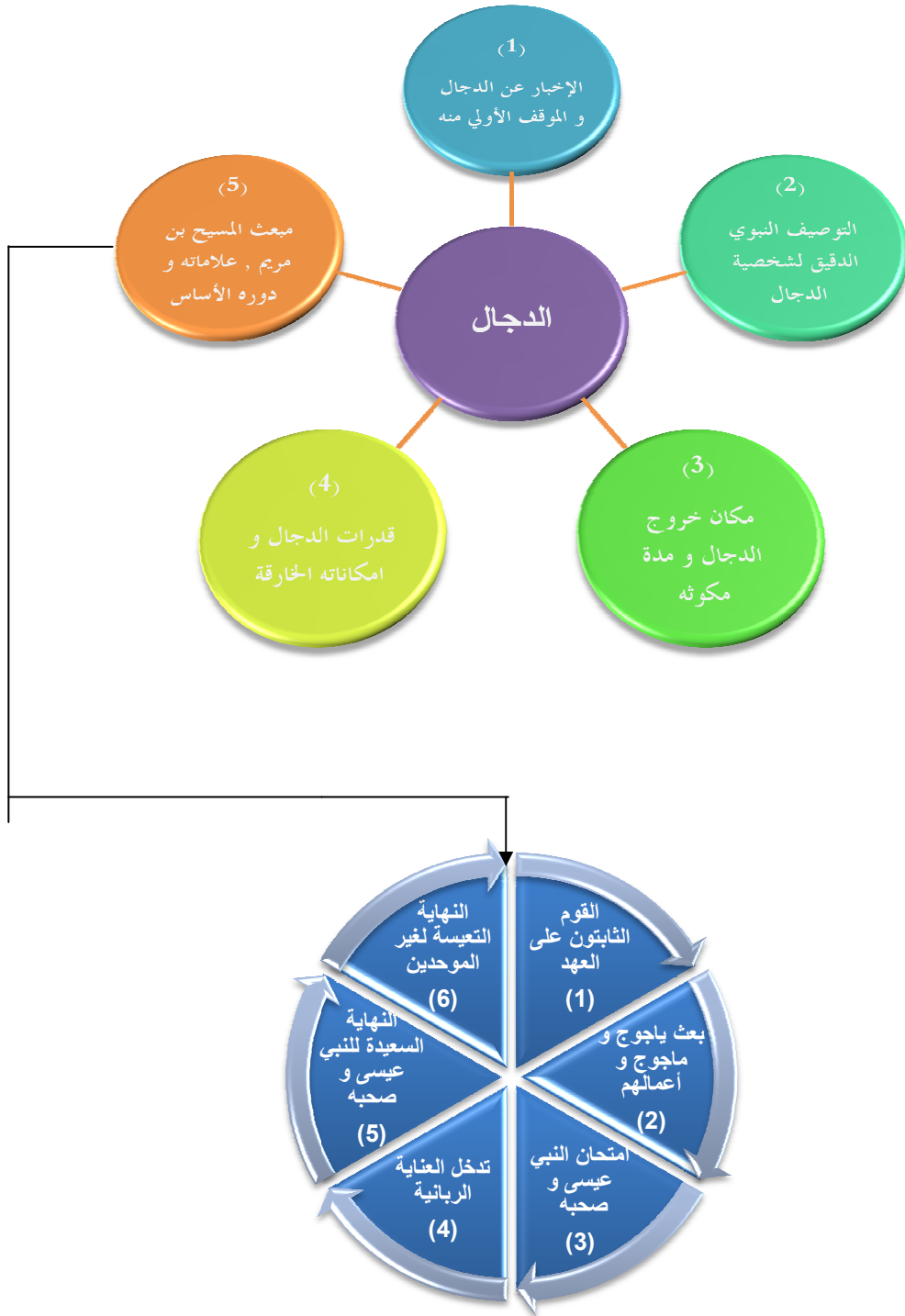
2107 - حبكة الميداني : قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز و جل , ص : 13 .

قَدَرَهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى
الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتَنْبِتُ فَتَرْوِحُ
عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ
فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمَحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ
أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرِيبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرَجِي كَنُوزَكَ فَتَتَّبِعُهُ كَنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ ثُمَّ
يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِنًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسِّيفِ فَيَقْطَعُهُ جِرْلَتَيْنِ رَمِيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ
وَيَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ يَضْحَكُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ
الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ
قَطْرٌ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ
يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يَدْرِكَهُ بَبَابٌ لُدٌّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ
كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرَزُّ
عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمْرُ
أَوَائِلُهُمْ عَلَى بَحِيرَةٍ طَبْرِيَّةٍ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمْرُ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ مَرَّةً
مَاءٌ وَيُحْصِرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ
دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرِغِبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي
رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى
الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرِغِبُ نَبِيُّ اللَّهِ
عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ
اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا
كَالزَّلْفَةِ ثُمَّ يَقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِئِي ثَمَرَتَكَ وَرُدِّي بَرَكَتَكَ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَانَةِ
وَيَسْتَنْظِلُونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارِكُ فِي الرُّسْلِ حَتَّى أَنْ اللَّقْحَةَ مِنَ الْبَابِلِ لَتَكْفِي الْفَنَامَ مِنَ
النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقْرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْدَ
مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاتِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ
مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شَرَارُ النَّاسِ يَتَهَارِجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ فَعَلَيْهِمْ تَقَوْمُ
السَّاعَةِ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ جَابِرِ

وَالْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ ابْنُ حُجْرٍ دَخَلَ حَدِيثُ أَحَدِهِمَا فِي حَدِيثِ الْآخِرِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَمَا ذَكَرْنَا وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءً ثُمَّ
يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمْرِ وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَيَقُولُونَ لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي
الْأَرْضِ هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ فَيَرْمُونَ بِنُشَابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نُشَابَهُمْ
مَخْضُوبَةً دَمًا وَفِي رِوَايَةٍ ابْنِ حُجْرٍ فَإِنِّي قَدْ أَنْزَلْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدِي لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ
(2108)

و يمكن تبين مركز البور الثانوية حول البورة مركز الجذب من خلال هذا الرسم
البياني (أ) و (ب) :

- أ -



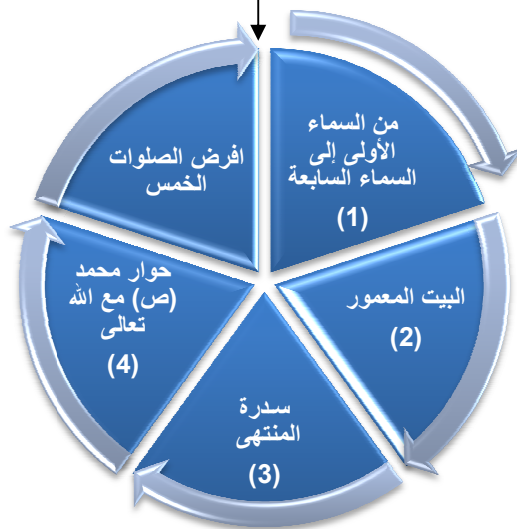
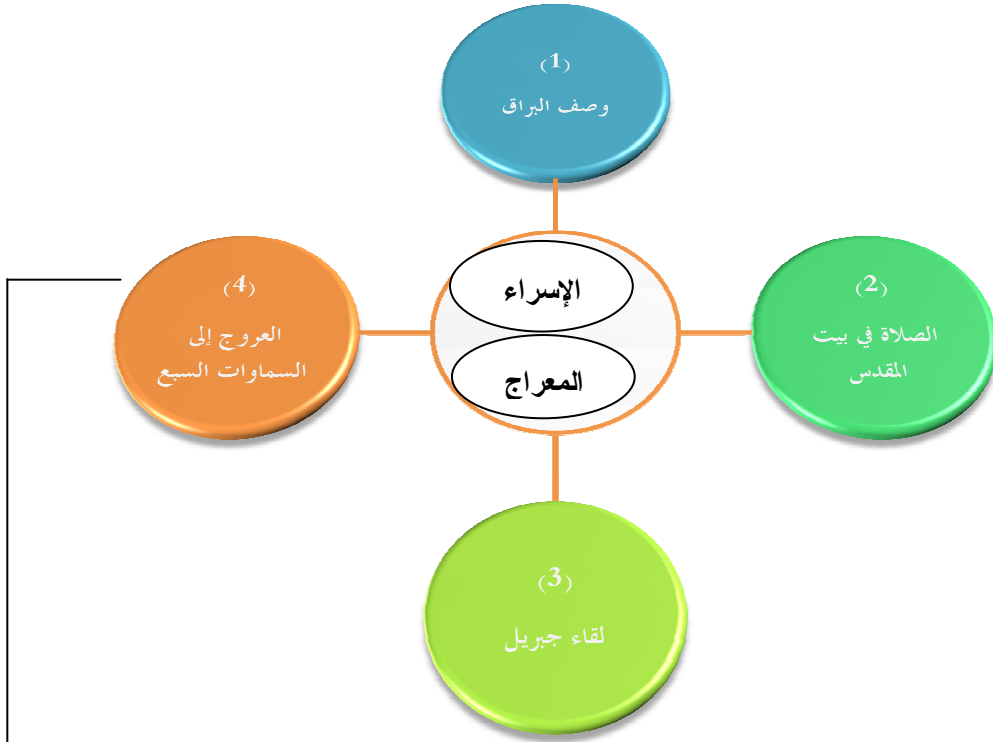
ما يلاحظه الدارس من خلال هذا الرسم البياني أن مركز الجذب النصي/الدجال قد تفرعت منع خمسة مراكز جذب ثانوية , قامت بتعميق معاني و دلالات بؤرة نص الحديث

القدسي ، و وضحت صورتها توضيحا قويا للمتلقي ، و وضعت طاقاته التأويلية في الإتيان الصحيح ، حتى لا يفجر حدود النص و يحيد به عن مقاصده الأصلية التي يريدنا الشارع ، كما ينبه هذا الرسم إلى تفرع بعض المراكز الثانوية إلى محطات متنوعة ، بينت أبعاد مركز الجذب الثانوي بداية ، و أعطت للأسئلة المفترضة من قبل المتلقي الإجابات الحاسمة ، و كل مراكز الجذب الثانوية تصب في إناء الرئيس ، و هو موضوع (المسيح الدجال) ، و بهذا يكون هذا النص أنموذجا و بيانا توضيحيا لخاصية تمدد مركز الجذب الرئيس إلى مراكز جذب ثانوية ، لا تقل عنه أهمية و فاعلية ، كل ذلك وفقا لطبيعة النص و موضوعه و مقاصده الشرعية ...

- ب -

(أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُتِيْتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضٌ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبُغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ قَالَ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرِبُّ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ قَالَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَأَخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَرْتُ الْفَطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَالَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا

أَنَا بِهَارُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ
 السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ
 مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ
 جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ
 إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ
 وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السُّدْرَةِ الْمُنْتَهَى
 وَإِذَا وَرْفُهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ وَإِذَا ثَمْرُهَا كَالْقَلَالِ قَالَ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ
 فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ
 عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا
 فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا
 يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبِّ
 خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ
 لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى
 وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ
 صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً وَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ فَإِنْ عَمِلَهَا
 كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ قَالَ
 فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ
 فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى
 اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ (2109)



يشير الرسم البياني المذكور أعلاه إلى قابلية مركز الجذب الرئيس إلى التفرع في نص الحديث القدسي إلى أربع بؤر نصية ثانوية ، الرابعة منها انقسمت هي الأخرى إلى أربع محطات ، قامت بوظيفة توضيح مفاصل هذه السفرية المعجزة (الإسراء/المعراج) للنبي صلى الله عليه وسلم ، كذا المنازل السماوية السبع التي نزل فيها ، و الشخصيات النبوية التي أكرمت وفاده ، مع الإشارة قبل نهاية نص الخطاب القدسي إلى اللقاء الفريد من نوعه و الذي لا يستطيع التفكير الإنساني أن يتصور حيثياته كلها بين الله جلى جلاله و محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، و الرحلة ذات الاتجاه المعاكس بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم و النبي موسى عليه السلام ، و دور هذا الأخير في تقليص عدد الصلوات اليومية في حياة المسلمين ، هذا بمعية الرسم البياني يؤكد تمدد مركز الجذب الرئيس إلى مراكز جذب ثانوية و قابلية هذه الأخيرة أن تتلبس بعض ميزات مركز الجذب الرئيس .

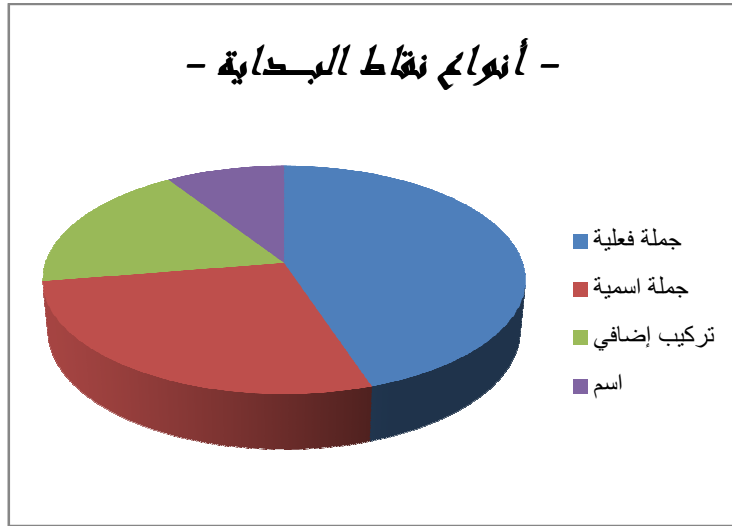
نقطة التكتف و أدوات التعريض :

ما تقدم ذكره لا شك أنه يشي بأن الأمر (يتطلب من المتدبر أن يبحث عن النسق الذي يكشف عن التلاحم أو التناسب بين معاني جمل ..)⁽²¹¹⁰⁾ نص الحديث القدسي ، أو مكوناته اللغوية و وحدة موضوعه ، مما يقوده إلى ملاحظة أن العنصر اللغوي المحوري الذي يتكتف فيه مركز الجذب ضرورة نصية و أداة فاعلة تحافظ على الخصائص التكوينية التي تحوم حول بنية النص شكلية كانت أم دلالية ، مع العلم أن هذه العناصر اللغوية النواة تتنوع من نص إلى آخر بحسب طبيعة الخطاب و مقاصده و نوع المتلقي الذي يستهدفه ، و من ثمة ، فإن نقطة انطلاق بؤرة النص القدسي قد تتجلى في : الكلمة الأولى منه ، أو الجملة الأولى أو في عبارة وسط النص أو في آخره ...

أنواع نقاط التكتف :

2110 - حبكة الميداني : قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز و جل ، ص : 14 .

يلاحظ الدارس أن الجملة الفعلية قد فرضت نفسها بقوة باعتبارها حيزا يتكثف فيه مركز الجذب النصي في معظم مدونة الحديث القدسي , و شكلت في الوقت نفسه النقطة التي ينطلق منها المتلقي لمقاربة الفهم الصحيح و التأويل السليم للنص القدسي , إذ بلغ تعداد الجمل الفعلية 44 حالة أي بنسبة مئوية تساوي = (45.36 %) , و يأتي في الدرجة الثانية الجمل الاسمية بـ: 27 حالة بنسبة مئوية مقدرة بـ: (27.83 %) , بينما يأتي في المرتبة الثالثة : التركيب الإضافي بـ: 18 حالة و بنسبة مئوية تقدر : (18.55 %) , هذا يعني أن المرتبة الأخيرة كانت للإسم بـ: 09 حالات و بنسبة مئوية مقدرة بـ: (09.27 %) , كل ذلك يظهر في هذا الرسم البياني :



1 - نقطة التكثف جملة فعلية :

الجملة الفعلية (صدرها فعل)⁽²¹¹¹⁾ و (تدل على الحدوث)⁽²¹¹²⁾ (الصورة الأساسية للجملة التي مسندها فعل , أن يتقدم الفعل على المسند إليه ... و لا يتقدم الفاعل على الفعل أو بتعبير أدق : لا يتقدم المسند إليه على الفعل إلا لغرض يقتضيه

²¹¹¹ - فاضل صالح السامرائي : تأليفها و أقسامها , دار الفكر , ط2 : 2007 م , ص : 157 .

²¹¹² - المرجع نفسه , ص : 161 .

المقام (2113) ، الجملة التي مسندها فعل (.. تدل على التجدد و الحدوث) (2114) ، فإذا كانت الرسالة التواصلية يراد منها الدلالة على التجدد الحدوث ، كانت الجملة الفعلية هي المناسب لمقتضى الحال و المقام . و لكن يجب التنبيه إلى أن (الجملة لا تدل على حدوث أو ثبوت و لكن الذي يدل على الحدوث و الثبوت ما فيها من اسم أو فعل) (2115) . — (الاسم يدل على الثبوت و الفعل يدل على الحدوث) (2116) . انطلاقاً مما تقدم يتأكد لمتلقي نص الحديث القدسي أن مركز الجذب لا يأخذ أشكالاً تعبيرية جزافاً و اعتباطاً ، و إنما يتمظهر في قالب التعبيري الذي يناسب طبيعة بؤرة مركز الجذب و حدودها الدلالية و المقاصد التي راد تحقيقها من خلالها ، و هذا الأنموذج يوضح ذلك :

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ اِعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى لَأُذْرِي أَقَالَ فِي الثَّلَاثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ اِعْمَلْ مَا شِئْتَ) (2117) .

هذا الحديث القدسي يؤسس لقيمة شرعية شعورية و عملية و رؤية واضحة تؤكد أن التوبة في الإسلام ليست مسلكاً و عراً لا يصل إليها مبتغيها إلا بعد تعب و مشقة أو اعتراف أمام أحد غير الله تعالى ، بل إنها سهلة و ميسرة ، فبابها مفتوح في كل لحظة يطرقه من يشاء ليستغفر و يتطهر ، لا يطرده من رحمة الله طارد ، ولا يقوم بينه و بين ربه و سيطرهما أسرف على نفسه ، لكنها في الوقت نفسه عملية متجددة و مستمرة ، و تحدث بين الحين و الآخر كلما استشعر العبد أنه قد ارتكب خطيئة أو تجاوز الحدود

2113 - فاضل صالح السامرائي : معاني النحو ، ج 1 ، ص : 15 .

2114 - المرجع نفسه ، ج 1 ، ص : 16 .

2115 - فاضل صالح السامرائي : تأليفها و أقسامها ، ص : 162 .

2116 - المرجع نفسه ، ص : 162 .

2117 - النووي : صحيح مسلم ، ج 9 ، ص : 25 .

الشرعية , فهو مستشعر وقتئذ أن باب التوبة مفتوح في كل وقت و حين , و هذا الأمر
تمثله الجملة الفعلية تمثيلاً دقيقاً لدلالاتها على الحدوث و التجدد , فكلما حدثت زلة تجددت
التوبة قال الله تعالى: (قل يا عبادي الذي أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم)⁽²¹¹⁸⁾ . فمن أرد الرجوع إلى الطريق
المستقيم فما عليه إلا أن يبادر بالتوبة ويقلع عن الذنوب , يقول الله تعالى: (وإني لغفار
لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)⁽²¹¹⁹⁾ .

2 - نقطة التكثف جملة اسمية :

و الجملة الاسمية هي التي (صدرها اسم)⁽²¹²⁰⁾ و (تدل على الثبوت)⁽²¹²¹⁾ الصورة الأساسية للجملة التي مسندها اسم, أن يتقدم المسند إليه على المسند ... أو بتعبير آخر , أن يتقدم المبتدأ عن الخبر , و لا يتقدم الخبر إلا لغرض يقتضيه المقام , أو طبيعة الكلام)⁽²¹²²⁾ . الجملة التي مسندها اسم تدل (.. على الثبوت)⁽²¹²³⁾ , فإذا أراد المتكلم من رسالته التواصلية الدلالة على الثبوت جاء بجملة اسمية , فقد أشار صاحب البرهان في علوم القرآن إلى وجود فرق بين (الخطاب بالاسم و الفعل , و أن الفعل يدل على التجدد و الحدوث , و الاسم يدل على الاستقرار و الثبوت , و لا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر)⁽²¹²⁴⁾ . مكونات هذه الرؤية تقود الدارس إلى الوقوف ملياً أمام مركز الجذب الذي احتضنته الجملة الاسمية ليبحث عن التفسيرات الموضوعية و العلمية التي تبرره و تفصح عن دوره في تحقيق استمرارية الخطاب و انساجه , و تفاعل مكوناته بعضها ببعض . و هذا الحديث القدسي أنموذج توضيحي على ذلك :

2118 - سورة الزمر , الآية : 53 .

2119 - سورة طه , الآية : 82 .

2120 - فاضل صالح السامرائي : تأليفها و أقسامها, ص : 157 .

2121 - المرجع نفسه , ص : 161 .

2122 - فاضل صالح السامرائي : معاني النحو , ج 1 , ص : 16 .

2123 - المرجع نفسه , ج 1 , ص : 17 .

2124 - الزركشي : البرهان في علوم القرآن , ج 4 , ص : 66 - 67 .

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤَذِّنُنِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا) (2125) .

هناك شريحة من المجتمع الإنساني إذا حرم الواحد منها غرضا معيناً أو لم يحقق مصلحة دنيوية ما ، فإنه يعمد إلى سب الدهر و لعن و اتهام الأقدار بكونها قد حالت دون ما يريد ، فيتلفظ بكلمات نابية أو يبدي سلوكات معينة تشي أشبه ما تكون بعبارات الشتم و التقييح ، فجاء هذا الحديث القدسي لرد هذه القناعات الخاطئة و التصورات المغشوشة من قول أو فعل ، فبيّن أن ابن آدم حين يسب الدهر والزمان ، فإنما يسب - في الحقيقة - الذي أبدع هذه الأمور وقدرها ، حتى وإن أضاف الفعل إلى الدهر ، فإن الدهر لا فعل له ، وإنما الفاعل هو ربُّ الدهر المعطي المانع ، المعز المذل ، وأما الدهر فليس له من الأمر شيء ، فمسبتهم للدهر هي مسبة لله عز وجل ، ولهذا كانت مؤذية للرب جل جلاله . و لهذا أعد هذا الأمر من القضايا العقدية التي لا تساهل فيها مع من تلبس بها في حياته و اتخذها مبرراً يثلج من خلاله حرقه صدره و يسري من خلالها على انتكاساته و إخفاقاته ، و لما كان الأمر بهذه الأهمية و الخطورة ، كان من الأهمية بمكان ضغط هذه الرؤية في جملة اسمية لدلالاتها القوية على : ثبوت هذه القضية و ثباتها و استمراريتها و دوامها في الثقافة العقدية الإيمانية ...

3 - نقطة التكتف مركب إضافي :

و يراد به (ما كان مركباً من اسمين أولهما نكرة و ثانيهما معرفة أو نكرة ، و يد قيدا للاسم الأول ... و يسمى الأول مضافاً و يأخذ العلامة الاعرابية التي يقتضيتها في الجملة ، و الثاني مضافاً إليه و يكون مجروراً) (2126) ، و لقد استشعر الكثير من علماء

2125 - النووي : صحيح مسلم ، ج 7 ، ص : 351 .

2126 - محمد إبراهيم عبادة : الجملة العربية مكوناتها - أنواعها - تحليلها ، مكتبة الآداب ، ط 4 : 2007 م ،

النحو العربي لما (لهذه الهيئة التركيبية كيان مستقل , فعدوا الثاني من تمام الأول) (2127)

(عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام ف قيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام فقال اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل فإذا قال العبد : (الحمد لله رب العالمين) , قال الله تعالى حمدني عبدي وإذا قال : (الرحمن الرحيم) , قال الله تعالى أثنى علي عبدي وإذا قال : (مالك يوم الدين) , قال مجدي عبدي وقال مرة فوض إلي عبدي فإذا قال : (إياك نعبد وإياك نستعين) , قال هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل فإذا قال : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) , قال هذا لعبي ولعبي ما سأل) (2128) .

إذا تأمل الدارس عبارة (أم القرآن) وجد نفسه متجها رأسا إلى البحث عن علاقة (أم) بـ(القرآن) , و لتوضيح ذلك يكون المنطلق من (يقال لكل ما كان أصلا لوجود شيء أو تربيته أو اصلاحه أو مبدئه : أم , قال الخليل : كل شيء ضم إليه سائر ما يليه يسمى أما) (2129) , (و وجه تسميتها أم القرآن أن الأم يطلق على أصل الشيء و منشئه) (2130) . و قد أكد بعض العلماء أن (لتسمية الفاتحة أم القرآن وجوها ثلاثة : أحدها أنها مبدوءة و مفتوحة فكأنها أصله و منشؤه , يعنى أن افتتاحه الذي هو وجود أول أجزاء القرآن قد ظهر فيها فجعلت كالأم للولد في أنها الأصل و المنشأ فيكون أم القرآن تشبيها بالأم التي هي منشأ الولد لمشابتها بالمنشأ من حيث ابتداء الظهور و الوجود . و الثاني أنها تشتمل محتوياتها على أنواع مقاصد القرآن ... و غيرها تكملات لها لأن القصد من القرآن إبلاغ مقاصده الأصلية و هي صلاح الدارين ... و الفاتحة مشتملة على هاته الأنواع . الثالث أنها تشتمل معانيها على جملة معاني القرآن من الحكم النظرية و الأحكام

2127 - محمد إبراهيم عبادة : الجملة العربية مكوناتها - أنواعها - تحليلها , ص : 70 .

2128 - النووي : صحيح مسلم , ج 3 , ص : 206 .

2129 - الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن , ج 1 , ص : 27 ,

2130 - ابن عاشور : التحرير و التنوير , الدار التونسية للنشر , ج 1 , ص : 133 .

العملية , فإن معاني القرآن إما علوم تقصد معرفتها و إما أحكام يقصد منها العمل بها , فالعلوم كالتوحيد و الصفات و النبوءات و المواعظ و الأمثال و الحكم و القصص , و الأحكام إما عمل الجوارح و هو العبادات و المعاملات , و إما عمل القلوب أي العقول و هو تهذيب الأخلاق و آداب الشريعة , و كلها تشتمل عليها معاني الفاتحة بدلالة المطابقة أو التضمن أو الإلتزام .. (2131). و من خلال ما تقدم يتبين للباحث بعض أسباب تشكل مركز قوة الجذب النصي في المركب إضافي (أم القرآن)

4 - نقطة التكتف اسم :

يرى التفكير اللغوي العربي أن (الاسم يفيد الثبوت و الفعل يفيد التجدد و الحدوث و سر ذلك أن الفعل مقيد بالزمن .. في حين أن الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة فهو أشمل و أعم و أثبت) (2132). يتمثل في المصادر و المشتقات على تنوعها .. ذلك يعني أن مركز الجذب النصي إذا ما تجلى في صورة اسم ما , فإنما يعني أنه تم بطريقة اختيارية هادفة , تتاغم مع استراتيجية الخطاب و غاياته , و الأنموذج الآتي يفصح عن ذلك :

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جَنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَصْنَبُ فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقْلُ إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرِحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) (2133) .

المؤمن الايجابي لا يرضى أن تمضي لحظات الزمن من دون أن يمزجها و يُودعها شيئاً من آثاره التَّعبُديةِ الخَلَّاقةِ . ومن هنا جاء ذلك الارتباط القوي و الخفي بين الزمن و العبادات التي يمارسها المسلم . فالصلوات مرتبطة بخمسة مفاصل زمانية في اليوم و الليلة، و الزكاة فعلها التَّعبُدي مرتبط بالحوَلِ الذي يحول على المال الذي يراد تزكيتَه،

2131 - ابن عاشور : التحرير و التنوير , ج 1 , ص : 133 - 134 .

2132 - فاضل صالح السامرائي : معاني الأبنية في العربية , دار عمار , ط 2 : 2007 , ص : 9 .

2133 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القاريء شرح صحيح البخاري , ج 10 , ص : 395 .

أما الحجُّ فهو شعيرة تعبدية زمانية ومكانية في الوقت نفسه، وأما الصيام فزمانه شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن .

و العمق الزماني الذي تشتدُّ فيه القوى الحية و تتمركز في نفس الإنسان المسلم هو رمضان . ولا طريق أرسخ إلى نفسه أقصر من رمضان لكي يتعمق غوصه و يشتد في خوالجها الدفينة، والتعرُّف على منابع القوة والضعف فيها. إنَّه يزيدنا استنارةً وفهماً وإدراكاً؛ ولم يودع رب العالمين من أسراره المكنونة في العبادات ما أودعه منها في الصيام. وقد أشار تعالى إلى ذلك في نص الحديث القدسي: (الصوم لي وأنا أجزي به) ، و (معناه تعظيم جزائه ، بأنه هو المتولي لإسدائه) (2134).

لما تقدم تمركزت قوة الجذب في هذا النص في كلمة (الصوم) ، زيادة على أن الصوم فوائد كثيرة منها (رفع الدرجات ، و تكفير الخطيئات ، و كسر الشهوات ، و تكثير الصدقات ، و توفير الطاعات ، و شكر عالم الخفيات ، و الانزجار عن خواطر المعاصي و المخالفات ..) (2135) ، كما يستبطن قوة تحفيزية ، تدفع بالمؤمن كي يستبقي نفسه روحياً، وأن يمد يده للقوى الإيمانية الموجودة في أعماقه ليساعدها على النهوض به، وأن يكون يقظاً للقوة الدافعة فيه من أجل أن يلحق بها ويلازمها في رؤاها وتدافعها نحو الأعلى والأبقى من الحياة، والأذكى من العقل، والأعمق من التعبد، ليصبح النموذج المقتدى به في هذا العالم المليء بالانحرافات المتنوعة ، ومن ضلالات العقول و القلوب ، و الشرور والآثام.

من أدوات التعريض :

بداية ، إن مثل أدوات التعريض (و ما تحمله من معان و دلالات كمثّل حبات نفيسات الجوهر ، نظمت في عقد متكامل .. أو نضدت في قطعت نادرة مصوغة أبداع

²¹³⁴ - العز بن عبد السلام : مقاصد الصوم ، تحقيق إياد خالد الطباع ، دار الفكر المعاصر ، ط2 : 1995 م ،

ص : 13 .

²¹³⁵ - المرجع نفسه ، ص : 10 .

صياغة , من قطع حلي , مع التناسق التام و البديع)⁽²¹³⁶⁾ , مع التنبيه إلى أنه ليست هناك أدوات محدودة أو معدودة خاصة بمبدأ التغيريض هذا , بحيث تمثله لوحده دون سائر الآليات النصية المتنوعة الأخرى , و إنما أدوات مبدأ التغيريض متعددة و متنوعة , يعينها الفضاء النصي المتواجدة فيه , و لهذا يلاحظ أن حبات العقد السالف الذكر (ليس من الضروري أن تكون كلها من صنف واحد كاللؤلؤ مثلا , إلا أن الناظم أو المنضد لها قد جعل لها منطقا واحدا أو مركزا ترجع إليه)⁽²¹³⁷⁾ , و قد تتكاثف في نص ما و تتنوع إلى درجة تثير القارئ من جهة و تضيف على الخطاب ميزات خاصة و تسمه بخصوصيات تجعله فريدا من نوعه من جهة أخرى , كما قد تتكاثر هذه الأدوات و لكن تبقى في إطار النوع الواحد , و هكذا دواليك ...فـ(التوزيع في الحبات أو الجواهر النفسية توزيع فني بديع . و السالك الناظم لها أو الأرضية الجامعة لها أمر يدرك بالفكر الثاقب , و قد لا يلاحظ في اللفظ ما يدل عليه . و ذلك كما ندرك التناسق و الترابط في الشكال الهندسية التي تنضد على وفقها مجموعة من أنفس الحجارة الكريمة في قطعة من الحلي , نادرة الصياغة , بديعة التنضيد)⁽²¹³⁸⁾ , مما يعني أن أدوات التغيريض قد تشمل كل عنصر لغوي يقوم بدور تكثيفي يركز حوله بؤرة النص و يحددها , مما يدل على أن (إهمال تدبر هذا الأمر العظيم , و عدم وضعه موضع العناية التامة و الملاحظة المستمرة , يفوت على المتدبر .. خيرا كثيرا , و معاني جمّة , و يخفي عنه وجوه إعجاز جليّة , و قد يجنح به عن فهم المراد من ..)⁽²¹³⁹⁾ الخطاب الإلهي من خلال الحديث القدسي هذا ...

إن من يمارس تدبر خطاب/نص الحديث القدسي يلاحظ أن من ملامح أسلوبه الأساس أنه (قائم على توزيع عناصر موضوع واحد في)⁽²¹⁴⁰⁾ حنايا النص كله و كذا أدوات تغيريضة (فإذا جمعت هذه العناصر تكامل منها الموضوع الكلي المراد بيانه

2136 - حبكة الميداني : قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز و جل , ص : 14 .

2137 - المرجع نفسه , ص : 14 .

2138 - المرجع نفسه , ص : 14 .

2139 - المرجع نفسه , ص : 15 .

2140 - المرجع نفسه , ص : 47 .

(2141) , بل قد يتعداه إلى باقي النصوص القدسية الأخرى التي تتقاطع معه في قضية أو أكثر , و من بين فوائد هذه العملية التوزيعية (التركيز على العنصر المختار في البيان الذي يساق فيه , مع التذكير بأصل الموضوع الكلي الموزع , و التخلص من ركافة التكرير , و إبعاد المتدبر عن الملل و السأم فيما لو جمعت له كل العناصر حول موضوع واحد في نص واحد) (2142) , و أدوات التغريض و طرقه متعددة منها (تكرير اسم شخص , و استعمال ضمير محيل إليه , تكرير جزء من اسمه , استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية ...) (2143) , و يضاف إلى ذلك كذلك (.. الإشارة إليه , بالنسبة , بالضمائر المستترة و البارزة , بأنواع ثقافته ...) (2144) . و عليه , فلو تأمل الدارس هذه الأحاديث القدسية الآتية لوجد أنها متعدد الأدوات المحققة لمبدأ التغريض و التي تتشابه علائقيا مع مركز الجذب النصي :

الحديث القدسي الأول :

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) (2145) .

لقد تم تغريض المتحدث عنه بأدوات متعددة يجليها هذا الرسم التبييني :

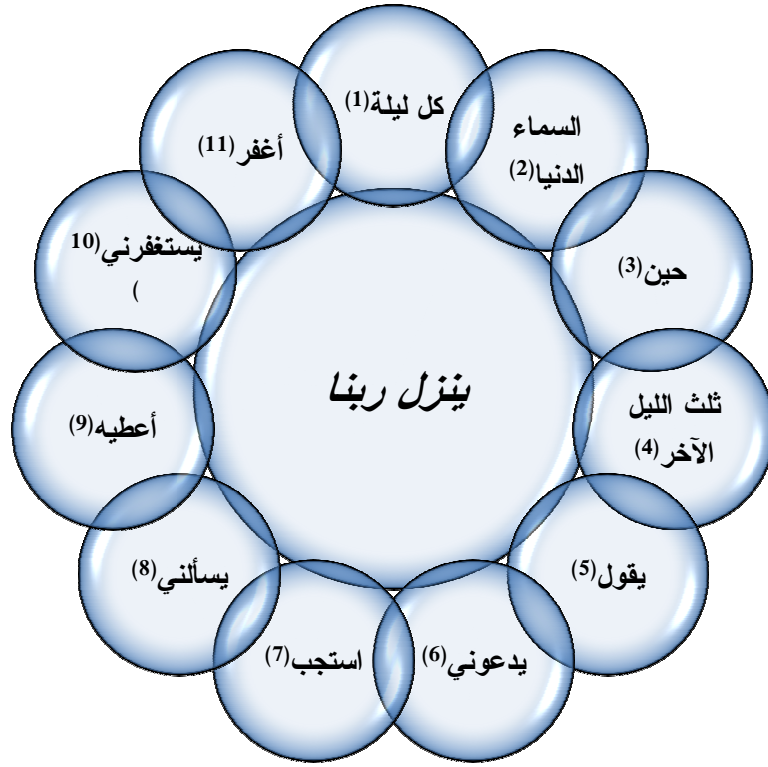
2141 - حبكة الميداني : قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز و جل , ص : 47 .

2142 - المرجع نفسه , ص : 47 .

2143 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 59 .

2144 - المرجع نفسه , ص : 60 .

2145 - محمود بن أحمد العيني : عمدة القاريء شرح صحيح البخاري , ج 6 , ص : 332 .



و من النتائج المسجلة فيما يتعلق بأدوات التكريز من خلال الرسم البياني ما يلي :

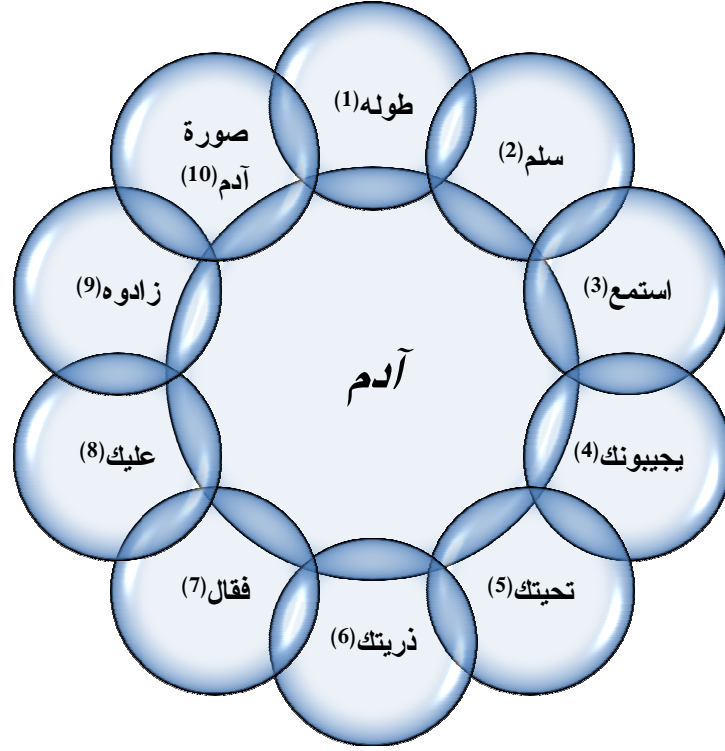
- 04 حالات استعمال الضمير المستتر .
- 03 // // // البارز .
- 03 // // // ظرف زمان .
- حالة واحدة استعمال ظرف مكان .
- 03 حالات استعمال ضمير المحال إليه .

الحديث القدسي الثاني :

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطَوَّلَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا ثُمَّ قَالَ اذْهَبْ فَسَلَّمَ عَلَى أَوْلِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَاسْتَمَعَ مَا يُحْيُونَكَ تَحِيَّتَكَ وَتَحِيَّةَ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ) (2146) .

لقد تم تكريس المتحدث عنه بأدوات متعددة يجليها هذا الرسم التبييني :

²¹⁴⁶ - محمود بن أحمد العيني : عمدة القاريء شرح صحيح البخاري ، ج15 ، ص : 287 .



و من النتائج المستخلصة فيما يتعلق بأدوات التغريض من خلال الرسم البياني ما يلي :

- 06 حالات استعمال الضمير البارز .

- 07 حالات استعمال الضمير المحيل إليه .

- 03 حالات استعمال الضمير المستتر .

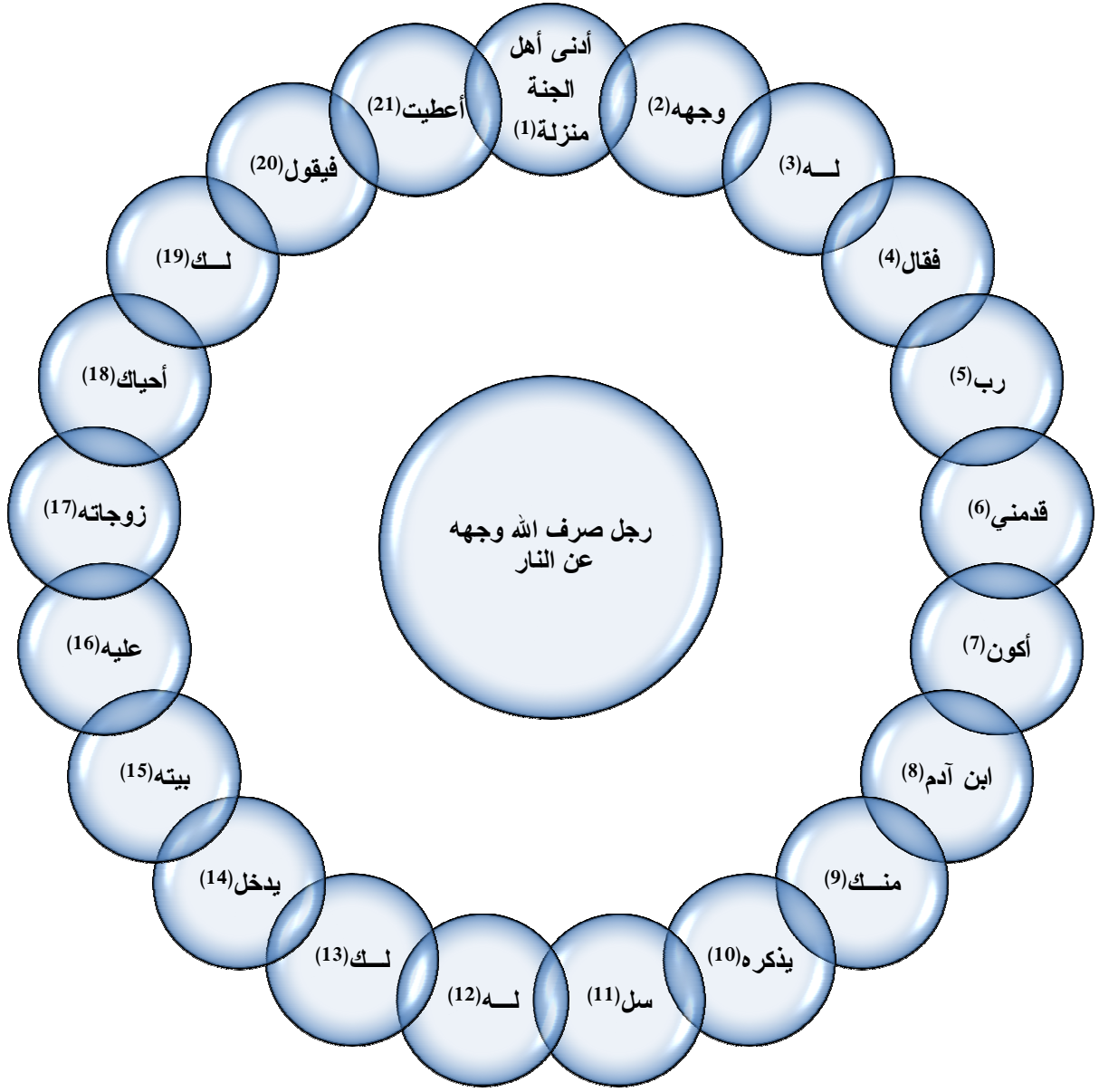
- 01 حالة واحدة تكرير الاسم .

الحديث القدسي الثالث :

(عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ومثل له شجرة ذات ظل فقال أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أكون في ظلها وساق الحديث بنحو حديث ابن مسعود ولم يذكر فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك إلى آخر الحديث وزاد فيه ويذكره الله سل كذا وكذا فإذا انقطعت به الأمانى قال الله هو لك وعشرة أمثاله قال ثم يدخل بيته فتدخل عليه زوجاته من الحور العين فتقولان الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك قال فيقول ما أعطي أحد مثل ما أعطيت) (2147) .

2147 - النووي : صحيح مسلم , ج 2 , ص : 317 .

لقد تم تغريض المتحدث عنه بأدوات متعددة يجليها هذا الرسم التبييني :



لقد تم تغريض المتحدث عنه بأدوات متعددة يجليها هذا الرسم التبييني :

- 14 حالة استعمال الضمير البارز .
- 04 حالات استعمال الضمير المستتر .
- 13 حالة استعمال ضمير محيل إليه .
- حالتان استعمل فيهما جزء من اسمه .
- النسبة استعملت في حالة واحدة

بعد قراءة نصوص الحديث القدسي المذكورة آنفا قراءة واعية و مرتكزة (على النص بوصفه كلا)⁽²¹⁴⁸⁾ , يجد الدارس/المتلقي نفسه أمام جملة من الملاحظات الأساسية منها أن هذا التنظيم الذي اتخذته أدوات التغييض قبالة مركز الجذب النصي (سيتحكم في تأويل الخطاب)⁽²¹⁴⁹⁾ و يؤثر في تأويل ما يليه من مكونات النص الأخرى . و من الملاحظ كذلك أن نقطة التغييض/مركز الجذب هذه , تقوم بوظائف متعددة منها الحرص الدخول في علاقة تجاذب محكمة و دقيقة مع مجموعة من العناصر اللغوية داخل النص , مما تشكل منها نسيجاً متحركاً في مداراتها و متمركزاً في نظام حول بؤرة واحدة , و من ثمة تقوم على تحديد (المتحدث عنه/الموضوع) و تغييضه بدقة , حتى لا تنحرف عملية التلقي و تخرج بطبيعة النص و رسالته عن حقيقته و أغراضه , و تنتهي إلى تأويلات مغلوطة أو جزئية تسيء إلى كل النص القدسي أكثر مما تخدمه , , و بالتالي تكون النتائج سلبية على الصعيدين : صعيد فاعلية نص الحديث القدسي و صعيد قارئه و سلوكاته المتولدة عن ذلك ... (و على نحو معين تتضمن هذه الرؤية اختصار المعلومة بحيث يمكننا , حتى نتحدث عن المستوى الإدراكي , أن نعد القواعد الكبرى عمليات لاختصارات خاصة بالمعلومات الدلالية أيضا ..)⁽²¹⁵⁰⁾ .

2148 - فان ديك : علم النص مدخل متداخل التخصصات , ترجمة و تعليق سعيد حسن بحري , دار القاهرة للكتاب ,

ط 1 : 2001 م , ص : 74 .

2149 - محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب , ص : 59 .

2150 - فان ديك : علم النص مدخل متداخل التخصصات , ص : 78 .

النتائج

الخاتمة

أما خاتمة البحث فقد عرضت فيها أهم النتائج التي انتهت إليها والتي يمكن إجمالها في ما يلي :

- 1 - الحديث القدسي منظومة لغوية محكمة و متميزة عن الخطابات الشرعية الأخرى :
القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف .
- 2 - الحديث القدسي خطاب شرعي مرتبط عضويا بالقرآن الكريم و الحديث النبوي ,
لكنه يفصل قضايا العقيدة أكثر من قضايا الأحكام ,
- 3 - آليات الاتساق و الانسجام تتناغم كما و نوعا مع طبيعة موضوع كل نص قدسي و
مقاصده التشريعية .
- 4 - تداخل آليات الاتساق و الانسجام و تشابكها وظيفيا فيما بينها أظهرت نصوص
الحديث القدسي و كأنها نص واحد تحكمه بؤرة دلالية كبرى واحدة .
- 5 - كشفت أسلوبية الفصل و كذا الوصل عن عبقرية أسلوبية متميزة للحديث القدسي .
- 6 - الحذف في الحديث القدسي لم يحقق بعدا جماليا فقط و إنما بين مدى تناغمه العجيب
مع مقتضيات المقام و المقال .
- 7 - السياق بكل أنواعه شرط ضروري في تفعيل أسرار نص الحديث القدسي .
- 8 - التحليل الأسلوبي لخطاب الحديث القدسي في هذه الدراسة لا يدعي الوقف على
الدلالات المقصودة كلها , بل قصارى جهده - بوصف المحلل عقلا بشريا قاصرا - أن
يتلمس بعض المعاني المقصودة مع كشف الكيفية التي عنى بها ما عنى .
- 9 - الحديث القدسي من حيث أسلوبه ثلاثة أنواع : الأول : نص قدسي تكلم به النبي
صلى الله عليه و سلم , الثاني : نص قدسي تكلم به الصحابي و و الثالث : نص قدسي

مزيج بين النوعين السالفين . مما طرح (مشكلا أسلوبيا عند التحليل)⁽²¹⁵¹⁾ و المقاربة , لكنه ساعد في الوقت ذاته على تأكيد الرأي الذي ذهب إليه هذا البحث , و هو أن الحديث القدسي : مضمونه من عند الله تعالى و الصياغة من عند الرسول صلى الله عليه و سلم .

11 - الحديث القدسي يحمل فوق المعنى مرتبة (القدسي) الذي يعمل على تفسيره , و يحدد وظيفته و فاعليته و جماليته الخاصة : (و ما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون)⁽²¹⁵²⁾

12 - آليات الاتساق و الانسجام التي أظهرها هذا البحث لا تتميز بالوظيفية فحسب داخل نص الحديث القدسي , و لكن تتميز بدرجة الفعالية و التأثير فيما بينها , فكل نوع من أنواع آليات الاتساق و الانسجام يملك فعالية في النص تختلف باختلاف الموقع الذي تحتله في النص , و تؤثر بقوة في الدلالة الكلية المشكلة للنص .

13 - آلية السياق تؤكد بقوة أهمية السياقين - على الأقل - في فهم الحديث القدسي , السياق الداخلي الذي يراهن على أهمية البنية اللغوية في تفسير عناصرها , و الخارجي الذي يراهن على مبدأ السببية الذي يحكم العلاقة بين النص و العالم الخارجي الذي ولد فيه , ليعين على الفهم الأقرب لمراد صاحب النص .

14 - هذه الدراسة استفادت بداية من تجارب التفكير العربي القديم و تراكماته المنهجية لجديتها و انبثاقها من المعطيات الحضارية ذاتها , , كما استفادت ثانيا من (اجتهادات المعاصرين و تجلياتهم المنهجية المتعددة , لأنها تولدت في مناخ فلسفي مختلف , يتطلب التآني العلمي حتى يتم الإدراك الفعلي لها و لأصولها و أبعادها)⁽²¹⁵³⁾ و كل ذلك من

2151 - أحمد عثمان رحماني : الجديد في مناهج تفسير الحديث الشريف و تطبيقاته , ص 18 .

2152 - سورة الحاقة , الآية : 41 .

2153 - أحمد عثمان رحماني : الجديد في مناهج تفسير الحديث الشريف و تطبيقاته , ص : 32 .

منطلق الشعور بقداسة خطاب النص القدسي الذي يملئ (على صاحب المنهج الحذر و التواضع أما الحقائق العلمية المتضمنة فيه) (2154)

15 - هذه الدراسة تؤكد بقوة أن أي محاولة لفهم الحديث القدسي (تتجاهل الأسلوب محكوم عليها بالفشل , لأن النص و إن كان لغة فإن اللغة ليست هي التي تقول كل شيء و إن كانت تقدم النص بفراغاته الناجمة عن الخصائص الأسلوبية و التاريخية و اللغوية) (2155)

16 - تؤكد هذه الدراسة أن (النص القرآني أقوى من الحديث القدسي , و هذا أقوى من النص الشريف , و هذا أقوى من النص المأثور , و من ثم يصبح للفهم علاقة كبيرة بطبيعة مبنى النص أداء و تأثيراً) (2156)

17 - الحديث القدسي نص مميز بآتم معنى الكلمة (لصدوره عن قدرة بشرية غير عادية إنها القدرة المدعمة بالنبوة و العصمة . تلك القدرة التي أوتي صاحبها جوامع الكلم من أجل تمييز في التبليغ و قوة في الإقناع و دقة في الوصف ناجمة عن تأييد من الله) (2157) , مما جعل أسلوب الحديث القدسي (مميّزا عن الأساليب البشرية أكثر من اختلاف البناء الشعري عن البناء النثري , صدقا , و مطابقة للمقام و الحال , و ذوقا و جمالا وعمقا و دقة) (2158)

18 - خطاب الحديث القدسي (غاية في الجمال , أقل قليلا من المعجز القرآني , و غاية في الهدفية , و لكن ذلك لا يعني أن هذا النص يستخدم آلية الجمال الفني التي يستخدمها الشعر مثلا , لأن الحديث مقصوده مختلف عن مقصود الأدب) (2159) , فلا شك أن

2154 - المرجع نفسه , ص : 35 .

2155 - أحمد عثمان رحماني : الجديد في مناهج تفسير الحديث الشريف و تطبيقاته , ص : 46 .

2156 - المرجع نفسه , ص : 86 .

2157 - المرجع نفسه , ص : 47 .

2158 - المرجع نفسه , ص : 47 .

2159 - المرجع نفسه , ص : 48 .

الاختلاف في المقاصد يحدد للنص أسلوبيته و آلياته الاتساقية و الاتساجامية و جمالياتها التعبيرية , و يتطلب مستوى من الفهم الخاص لا تتحقق إلا بترقية ذوق المتلقي لتشكيله وفقا لروح الخطاب القدسي .

19 - الحفر في المدونة من جهة البنية الدلالية الكلية ناتجة عن تشكيل شبكة العلاقات بين نصوص الحديث القدسي و ما يرتبط بذلك من قضايا .. , لا يعني الوقوف عند نص الحديث القدسي وقفة لغوية فقط , و لا يعني تحليل النص القدسي من حيث معناه فحسب , , و لكن يعني دراسة كل الأحاديث القدسية في إطار القضية الكبرى التي يعالجها , فهو تركيز على محاولة فهم القضية الكاملة له .

20 - البنية الدلالية الكبرى لمدونة الحديث القدسي لا توجد في أي نص قائم بذاته و بشكل ظاهر , و لكنها كامنة في كل نصوص الحديث القدسي , و بالتالي هي التي تمنح النصوص القدسية وحدتها و استمراريتها و اتساقها و انسجامها .

21- التشابه الكبير بين النظرية الأسلوبية الغربية و التصور الأسلوبي العربي يشجع على ضرورة الإسراع في بناء نموذج نظري أسلوبي من شأنه أن يقدم القواعد التأويلية للخطاب العربي المقدس و غير المقدس عبر مختلف العصور نحو قراءة جديدة فاعلة و نافذة.

22- إن التطبيقات التي تعرض إليها البحث تسهم في إثبات نصية خطاب الحديث القدسي . وهي لا تفسر كيفية بنائها ونموها الموضوعاتي وأدوات اتساقها فحسب بل تفسر نوعيه العلاقة التواصلية القائمة بين المرسل الأول/الله تعالى و المتلقي/المرسل الثاني محمد صلى الله عليه و سلم ثم المتلقي الثاني/الصحابة رضي الله عنهم جميعا عبر النص المبدع المنتج ، وكذا نوع الأفعال اللغوية المنجزة في مقامات التواصل المختلفة، فقراءتنا لنصوص الحديث القدسي علاوة على احتوائها لجهاز المفاهيم والمقولات والإجراءات النصية التي أفرزها درس النحوي في مجال تحليل الخطاب ، والتي تقود في مجملها إلى تفسير تماسك النص القدسي ، وكيفية بناء المقاطع ونمو

الموضوعات نحو تحقيق أغراض تخاطبية معينة ، تثير مسائل جمالية ونفسية واجتماعية ، وحضارية تعبر عن انسجام خطاب الحديث القدسي مع السياق العام للرسالة الإسلامية و مقاصدها في كل زمان و مكان ،

23 - وربما جاز للباحث القول : نصوص الحديث القدسي حلقات متصلة و متسلسلة شكلا ومضمونا ، فبالرغم من اختلاف البنى الجزئية الظاهرة إلا أنه يحيل إلى بنية دلالية كبرى واحدة وواحدة فقط على حد تعبير فان ديك واصطلاحه.

24 - هذا وقد استخلصنا من قراءة نصوص الأحاديث القدسية كيفية نموذجية للتحليل النصي تخرج باللغة من إطار الجملة بصفاتها الوحدة الكبرى إلى إطار أرحب بكثير تمثل الجملة فيه لبنة من لبناته الكثيرة والمتراصة، ذلك هو النص.

25 - اتضح من خلال هذا البحث طرق أداء النبي للحديث، واستخدامه للعلاقات الملفوظة/اللغوية الشكلية : التكرار , الحذف , الاستبدال , الإحالة ... كذلك دقة التصوير الدلالي المعتمد على العلاقات الملحوظة/الربط الذهني بين المعنى المقصود، وصورة من الواقع، كما اتضح لنا معنى الحوار وأثره في الدعوة، وأبرز طرق الحوار التي استخدمها النبي صلى الله عليه و سلم في الدعوة.

26 - كما بين هذا البحث المتواضع أن الحديث القدسي يمتاز بكونه نصا وخطابا شرعيا غير قابل للمحاكاة، وموافق للنظام العام الذي يحكم اللغة العربية. كما أنه يدل عن معهود العرب في الكلام، ومن ثم فهو بناء فكري ولغوي محكم ومتفرد. فالحديث القدسي خطاب ملفوظ أولا ، ونص مكتوب ثانيا ، تتحقق فيه مكونات العملية التواصلية بكامل شروطها

27 - إن الحديث القدسي ليس فضاء مفتوحا أمام مطلق القراءات و مناهجها ، لذلك فهو لا يحتمل من القراءات إلا ما كان محققا لمقصد الوقوف على مضمون الرسالة أي على مراد الله تعالى منه. ومن ثم فإن القراءة الموافقة للخطاب الشرعي الإسلامي، والموصلة بمراد الله تعالى هي القراءة المقاصدية، التي تتوفر فيها أسس التلقي الإيجابي،

والمراعية لخصوصيات الحديث القدسي ، والتي تظل نسبية محدودة في الزمان والمكان باعتبارها مجهودا بشريا. من حيث البناء اللغوي .

28 - استخدم الحديث القدسي آلية التكرار و الحذف ... لتحقيق جملة من المقاصد منها الاتساق بين مكوناته، ليجعل من ذاته منظومة متكاملة، لا يمكن فهم إحدى جزئياتها إلا في إطارها الكلي . كما أن هذه الآليات تم اختيارها بدقة متناهية لتناسب السياق والمقام، وتحقق الإيجاز، وجمالية العرض، فضلا عن الربط المحكم بين مكونات الخطاب القدسي.

29 - إن ظاهرة الحديث القدسي ظاهرة مركبة لا تجد تأويلها في التعليقات الأحادية الجانب، مما يتطلب اللجوء إلى نظرة شمولية تستحضر كل العوامل الفاعلة في اتساق الخطاب القدسي وانسجامه، لتشكل منظومة متكاملة، حيث تتماسك مكوناته بروابط لغوية، وموضوعية، ودلالية .

30 - ويحقق المنهج الذي اتبعه هذا البحث فائدة بالغة في تحليل النصوص الشرعية وفهمها؛ ذلك أنه يدعو إلى تطبيق النظرة الكلية للنص ، والنظر في أنواع النصوص ومضامينها المختلفة وعلاقة النص بأركان التواصل ، وانسجام النص وتماسكه والربط بأدواته المختلفة ، وأنواع التراكيب ، والعلاقات بين الجمل ، وكلها أمور لا يتأتى تفسيرها إلا من خلال وحدة النص الكاملة .

31 - أثبت هذا البحث أن التراث العربي حافل بالقضايا الأسلوبية ، و الإشارات الصريحة أو الضمنية إلى آليات اتساق النص و انسجامه ، وإن لم يستخدموا المصطلحات نفسها ؛ لأن القضية ليست قضية مصطلحات بقدر ما هي قضية فكر ومنهج . وقد رأينا كيف أن الأفكار التي ينادي بها خبراء الأسلوبية و النصية اليوم من مثل العدول و الحذف .. المناسبة والانسجام والتماسك والإحالة ومراعاة السياق والتداول قد تناولها المفسرون و علماء الحديث النبوي باستفاضة وعمق كبيرين ، الأمر الذي يدحض زعم بعض باحثينا المعاصرين أن هذا العلم لم يعرفه العرب من قبل.

32 - درس هذا البحث عددًا من القضايا في لغة الحديث القدسي مثل حروف العطف ودورها في الربط النصي ، وقيام المحيل المفرد مقام الجملة ، ودور اسم الموصول في الربط بين الجمل ، والإحالة الخارجية، والإحالة البعدية ، واختلاف الخطاب باختلاف حال المخاطبين ، وغير ذلك من القضايا التي لا تخطئها عين الناظر البصير .

و بعد ، ليس من اليسير علي أي باحث أن يقف على كافة آليات الاتساق و الانسجام في الحديث القدسي كله و جمالياتها الأسلوبية ، و ليس هذا هو هدف هذه الدراسة ، بل إن الدراسة جاءت لتبرهن و تؤكد على أن نص الحديث القدسي يحمل في طياته الكثير من الآليات على مستوى الاتساق أو الانسجام ، و هذا الأمر يحفزنا أو يحفز من بعدنا إلى إجراء المزيد من الدراسات و البحوث الهادفة و المعمقة لإمطة اللثام عن كنوز الخطاب القدسي المنطوقة و الملحوظة ، لأن المناهج اللغوية الحديثة بعد استيعابها تساعد على استخراج ما أمكن من أسرار النص القدسي و غيره...

وثمة نتائج كثيرة لا أحب أن أكررها فهي مبثوثة في ثنايا البحث . ولكنني أكتفي

بذكر التنبيهات الآتية :

- على كل من يريد مقارنة نصوص الحديث القدسي/النص الشرعي مقارنة حضارية أن يضع في حسابه ضرورة استصحاب البنية الكلية المهيمنة ، حتى يكون فهم الجزئي متناغما مع الفهم الكلي ، و بذلك نتفادى التطرف في الفهم و التفسير و التأويل و الممارسة .

- المرونة - إن اقتضى الأمر - في إعادة مناقشة بعض الآراء و الفهوم القديمة على أساس من المنهج الأسلوبي و النصي لترجيح ما كان منها مناسباً للسياق و مضمون النص .

- الاستفادة من المنهج الأسلوبي و فاعلية آليات الاتساق و الانسجام في الدرس اللغوي للنص الشرعي عامة على المستويين التنظيري و التطبيقي.

بعض أعلام الدرس اللساني

الغربيين

أمبرتو إيكو (1932 م) :

(عالم لغة ايطالي , ولد في مدينة الاسكندرية في البيامونت - ايطاليا - . و هو باحث و قاص , عرف ببحوثه الجامعية في السيمياء , و جمالية العصور الوسطى , و تواصل الجامعات , و الألسنية , و الفلسفة , اشتهر بخاصة بأعماله القصصية يعتبر إيكو رائدا في البحوث السيميائية , من خلال عمله البنية الغائبة 1968 م , و دراسة السيمياء العامة 1975 م , و لقد طور نظرية التلقي من خلال حدود التأويل 1990 م , و من خلال ملاحظاته حول سيمياء التلقي , هذه الدراسات جعلته يحتل مكانة بين المفكرين الأوروبيين الأكثر أهمية في نهاية القرن العشرين ...) (2160)

1 - إميل بنفست: (1902-1976) Benveniste

(لساني فرنسي ولد بحلب سنة 1902 م , و توفي في فرساي سنة 1976 م , كا تلميذا لعالم اللغة الفرنسي أنطوان ميه , تولى عام 1937 م منصب أستاذ النحو المقارن في كوليج دي فرانس بعده احتل موقعا في التيار البنيوي الموروث عن دوسوسير , و ضمن حلقة براغ اللغوية . اهتم في بحوثه باللغات الايرانية , و بالنحو المقارن في اللغات الهندية الأوروبية , و بعلم اللغة العام . ناقش دوسوسير حول اعتبارية الإشارة اللغوية) (2161) أسهم في بناء التيار الوظيفي في اللسانيات البنيوية الفرنسية , له سيميولوجيا اللغة (1961) , مشكلات اللسانيات العامة.

2 - تزيفتان تودوروف (1939) TodorovTzetan

(فيلسوف , و عالم سيمياء , و عالم لغة و مؤرخ فرنسي من أصل بلغاري , ولد في مدينة صوفيا في بلغاريا , في عائلة تعمل في المكتبات البلغارية يعتبر تودوروف , مع رولان بارت , و جرار جينات من أكبر المنظرين للفلسفة البنيوية . اشتهر بترجمته للشكليين الروس في دراسة بعنوان : نظرية في الأدب , نصوص مختارة من الشكليين

2160 - هيام كريدية : معجم أعلام الألسنية في الغرب , بحث مدعوم من الجامعة اللبنانية , ط 1 : 2011 م , ص : 142 - 143 .

2161 - المرجع نفسه , ص : 31 .

الروس ، التي ظهرت عام 1966 م ، و التي أسهمت في انتشار الشعرية المعاصرة انتشارا واسعا) (2162) ، شارك في بلورة النقد الشكلاني بنشر أعمال حركة الشكلانيين الروس ، ولعل من أهم أعماله في هذا الميدان كتابه :نقد النقد ونظريات الرمز ونحن والآخرون ..

3 - تشومسكي أفرام نعوم (1928) Avram Noam Chomsky

ولد أفرام نعوم تشومسكي في ولاية فيلادلفيا سنة 1928 م ، في عائلة يهودية متطرفة سياسيا من أصل روسي . درس في جامعة بنسلفانيا حيث حصل على الماجستير في الآداب ، عام 1951 م ، و على دكتوراه في الفلسفة عام 1955 م) (2163) بالرغم من أنه قام بمعظم أبحاثه اللسانية عقب انتسابه إلى جمعية الرفاق بجامعة " هارفارد وكان ذلك في الفترة الممتدة بين 1950 و1955 وبعد ذلك عين بمعهد مساشوسيت ، وظل يترقى في حياته العلمية، حتى حصل أخيرا على كرسي الأستاذية في اللسانيات اللغات الحديثة ، وهو متزوج وله ثلاثة أولاد بنتان وولد، وحظيت أعمال تشومسكي بالتقدير في الدوائر الأكاديمية فمنح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة شيكاغو ، كما دعي لإلقاء المحاضرات في عدد من البلدان ، ففي عام 1967 ألقى تشومسكي " محاضرات بيكمان " في جامعة كليفلورنيا في " بيركلي " . وفي عام 1969 ألقى محاضرات "جان لوك" في جامعة إكسفورد و"محاضرات ذكرى شيرمان " في جامعة لندن ، و حقق تشومسكي أول شهرته في ميدان اللسانيات حيث تعلم قسطا من مبادئ اللسانيات التاريخية من والده ، الذي كان عالما في العبرية، وقد قدم جزءاً من بحثه الأول في اللغة العبرية الحديثة ، عندما نال درجة الماجستير ؛ إلا أن العمل الذي يشتهر به الآن وهو بناء نظام النحو التوليدي الذي تطور من خلال اهتمامه بالمنطق الحديث وأسس الرياضيات حيث طبقها فيما بعد على وصف اللغات الطبيعية ، وقد التقى تشومسكي باللساني "موريس هال" في حدود سنة 1951 فساعدته على الحصول على مركز بحث في المختبر الصوتي الإلكتروني في معهد مساشيوسيت التكنولوجي ويدرس الألمانية والفرنسية إلى الطلبة الذين يتخصصون في مجال العلوم، وفي عام 1955 عين تشومسكي أستاذا بالمعهد نفسه، وهولا

2162 - هيام كريدية : معجم أعلام الألسنية في الغرب، ص : 436 .

2163 - المرجع نفسه ، ص : 91 .

يزال يشغل هذا المنصب إلى يومنا الحالي ،وبالإضافة إلى ذلك فهو عضو في عدة جمعيات علمية لغوية وغير لغوية كالجمعية الأمريكية للتقدم العلمي ، والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم إضافة إلى جمعيات وأكاديميات أخرى عديدة

4 - جوليا كريستيفا 1941م J- Kristeva

(عالم لغة ، و عالمة تحليل نفسي ، و عالمة سيمياء ، كاتبة و قاصة فرنسية ، من أصل بلغاري ، ولدت عام 1941 م في سليقان في بلغاريا ، و قدمت إلى باريس عام 1966 م ، بعد أن نالت منحة دراسية بموجب الاتفاق الفرنكو-بلغاري . تتلمذت على رولان بارت ، ... تابعت حلقات دراسية لجاك لكان لتتحول على محللة نفسية . شغلت منصب أستاذة اللسنية في جامعة باريس السابعة لمدة طويلة ، و تولت التدريس في معهد فرنسا الجامعي . أسست مركز رولان بارت ، و قامت بالعديد من الدراسات في ميدان علم اللغة العام ، و الأبستمولوجيا اللغوية ، و سيميائية النص من مؤلفاتها : بحوث لتحليل الإشارة سيمياء (1969)، اللغة ذلك المجهول : مدخل إلى الألسنية (1970)،... دراسات في السيمياء (1971) ...) (2164)

5 - دومنيك مانغونو

(ألسني فرنسي معاصر ، اشتهر بمؤلفاته في الألسنية التي تناولت علوم الدلالة ، و التراكيب ، و المعجمات ، و تحليل الخطاب ... تخرج من دار المعلمين العليا سان كلود في فرنسا ، و نال شهادة الأستاذية في الآداب الحديثة ، ثم شهادة الدكتوراه حلقة ثالثة في الألسنية من جامعة باريس العاشرة عام 1974 م ، في موضوع يتناول دراسة باء علم الدلالة الاستدلالي ، حصل على شهادة دكتوراه دولة في الألسنية ، من الجامعة نفسها عام 1979 م ، في رسالة تتناول دلالة المناظر - من الخطاب إلى ما بين الخطابات ، دراسة لمدونة المتون الدينية في القرن السابع عشر تناولت مؤلفاته الألسنية الفرنسية ، و تحليل الخطاب ، نذكر منها : الكشف عن مناهج تحليل الخطاب 1976 م ، مقارنة الأخبار في الألسنية الفرنسية 1981 م ، المدخل إلى الألسنية الفرنسية ...) (2165)

6 - ريفاتير (ميكائيل)

2164 - هيام كريدية : معجم أعلام الألسنية في الغرب ، ص : 264 .

2165 - المرجع نفسه ، ص : 304 .

(معجمي و ناقد أدبي فرنسي ، أستاذ بجامعة كولومبيا ،... كان قد نال شهادة الدكتوراه منها عام 1957 م ، اختص بالدراسات السلوبية البنيوية في النصف الثاني من القرن العشرين ، و اكتسب شهرة عالمية كمنظر فيما يسمى بالبينصوية ، أي علاقة النص الأدبي بنصوص أدبية أخرى . من مؤلفاته : دراسات في الأسلوبية البنيوية : 1971 م ، إنتاج النص : 1979 م ، سيميائية الشعر : 1983 م .)⁽²¹⁶⁶⁾ .

7 - رولان بارت: (1915-1980) R- barthes

ناقد فرنسي معاصر ، يعد أب النقد البنيوي، وقد انعطف منه إلى النقد السيميائي، فالنقد الحر، يرى أن السيميولوجيا هي جزء من اللسانيات، وضع أكثر من عشرين كتابا، منها ف : أساطير (1957) ، عناصر السيميولوجيا (1964)، نظام الموضة (1967)، لذة النص رولان بارت بقلمه s/z، الكتابة في درجة الصفر.

8 - رومان ياكسون (1896-1981)

(ولد في موسكو ، حيث درس في معهد اللغات الشرقية ، ثم التحق بجامعة موسكو . هو من عائلة يهودية روسية ، شارك عام 1914 م ، و هو في الثامنة عشرة من عمره في تأسيس حلقة موسكو اللغوية ، التي كان من بين أهدافها فن الشعر و تحليله ، ما أداه إلى الانضمام لحركة ثقافية واسعة ، عرفت باسم المدرسة الشكلية الروسية ، و إلى توثيق علاقاته مع عدد كبير من الشعراء الروس أمثال كلينيكوف و مايكوفسكيأمال جاكسون كثيرة و متنوعة ...لغة الأطفال و عيوب النطق و القوانين الصوتية العامة عام 1941 م ، أوليات التحليل الكلامي عام 1952 م ، ... مبادئ الفونولوجيا التاريخية عام 1931 م (...)⁽²¹⁶⁷⁾ ولد "جاكسون" بموسكو عام 1896 من عائلة يهودية روسية برجوازية ، تمتع والده بثقافة متنوعة، مما انعكس على شخصية جاكسون، فقد كان مولعا بالمطالعة منذ الصغر، فأتقن اللغة الفرنسية، وتعلم الألمانية واللاتينية ، كما اهتم بالشعر ، وقرأ لكبار الشعراء الروس خاصة، حتى أنه حلل شعر: "مالارمييه"، وهو في سن الثانية عشر، ونظم الشعر وهو في الخامسة عشر واهتم بالفلكلور وهو ابن السادسة عشر، وهكذا تكونت شخصيته المتميزة وعالمه الخاص، وتخصص في جامعة موسكو في مجال

2166 - هيام كريدية : معجم أعلام الألسنية في الغرب ، ص : 385 .

2167 - المرجع نفسه ، ص : 245 - 246 .

القواعد المقارنة وفقه اللغة السلافية، كما اهتم بالعلاقة بين اللغة والأدب ، وبدروس "سوسبر" وشارك في إنشاء مدرسة "براغ" اللسانية عام 1915، ويعد من أوائل اللسانيين في تناول التحليل البنوي للأشكال الأدبية، ودراسة النص الأدبي لذاته بمعزل عن صاحبه، وفي عام 1920 توجه إلى تشيكسلوفاكيا ، حيث شارك في تأسيس نادي براغ، وأصدر عام 1921 دراسة تناولت الشعر الروسي الحديث، وفي سنة 1928 وضع مع "ترويتسكوي" و"كارسيفسكي" النظريات اللسانية التي اعتمدها مدرسة براغ، وعام 1938 شغل منصب نائب الرئيس لهذه المدرسة، وفي سنة 1942 انتقل إلى الدانمارك والنرويج حيث درس في معهد الدروس العليا في نيويورك إلى غاية سنة 1946 ثم في جامعة كلومبيا إلى غاية سنة 1949 و"هارفرد" إلى غاية 1957 ، وقد وجد "جاكوبسون" المجال الخصب للبحث اللساني في الولايات المتحدة الأمريكية.

9 - غريماس: A-Greimas

(ولد في تولا (روسيا) و توفي في باريس . درس الحقوق في لتوانيا ، ثم انتقل إلى فرنسا بين العامين 1936 م - 1939 م ، حيث نال الاجازة في الآداب في مدينة غرنوبل ، عرف بشغفه لدراسات العصر الوسيط ، ثم اتجه نحو الدراسات اللهجية الفرنسية - البروقانسية بإشراف أنطونين دورافور ... تقدم بأطروحة دكتوراه دولة في السوربون عام 1948 م ، بعنوان الموضحة عام 1830 م)⁽²¹⁶⁸⁾ أستاذ في الإسكندرية وأنقرة، و إستنبول 1960 م ، زعيم مدرسة باريس السيميائية وضع: السيميولوجيا البنوية (1966) في المعنى: تجارب سيميائية (1970)، دراسات في السيميولوجيا الشعرية (1982).

10 - فردينان دي سوسير (1857-1913) F- De saussure

لساني سويسري ، يعد أب الألسنية البنوية الحديثة ، ورائد السيميولوجيا الفرنسية ، يرى أن اللغة جزء من السيميولوجيا، ينسب إليه كتاب (محاضرات في الألسنية العامة) الذي جمعه ونشره تلاميذته عام 1916 بعد وفاته.

11 - ليو سبيتزر (1887-1960) Spitzer leo

²¹⁶⁸ - هيام كريدية : معجم أعلام الألسنية في الغرب ، ص : 189 .

(نمساوي النشأة , ألماني التكوين فرنسي الاختصاص , مؤرخ و اختصاصي بفقته اللغة , و من علماء اللسانية و نقاد الأدب . من مؤلفاته : دراسات في الأسلوب .. 1928 م , .. الأسلوبية و النقد الأدبي : 1955 م)⁽²¹⁶⁹⁾ أسلوب يكتب بالألمانية والإنجليزية من مؤلفاته .

12 - هاريس (Harris Zellig)(1909)

(عالم لغة أمريكي من أصل روسي رحل إلى الولايات المتحدة عام 1913 م تحصل على شهادة phd من جامعة بنسلفانيا عام 1934 م , اصبح استاذا لعلم اللغة التحليلي عام 1931 م)⁽²¹⁷⁰⁾ , إليه ينسب مفهوم التحويل في التيار التوزيقي الذي أرسى دعائمه بلومفيلد , من مؤلفاته مناهج اللسانيات البنوية وتحليل الخطاب والهيكل الرياضية في اللغة... إلخ.

13 - هالدي مايكل(1925)

(عالم لغة انكليزي , يعد من الفرثيين الجدد - نسبة إلى عالم اللغة الانكليزي جون فيرث 1890 م - 1960 م . و لد في انكلترا و نشأ فيها , تخرج من جامعة لندن , و حمل غجازة في اللغة و الآداب الصينية الحديثة .. انتقل إلى الصين و درس في جامعة بكين و جامعة قلينغان , ثم حصل على شهادة الدكتوراه في الألسنية الصينية من جامعة كامبريدج أصبح هالدياي أستاذ الألسنية في جامعة لندن منذ عام 1965 م , ثم رحل إلى أستراليا عام 1667 م , لتدريس الألسنية في جامعة سيدني .. و بقي فيها حتى تقاعده . حصل على رتبة أستاذ متقاعد عام 1987 م , في جامعة سيدني و جامعة macquarie في سيدني أيضا من مؤلفاته : العلوم اللسانية و تعليم اللغة (بالمشاركة) 1965 م , التحريات في وظائف اللغة 1978 م , مدخل إلى النحو الوظيفي 1985 م)⁽²¹⁷¹⁾ ...

²¹⁶⁹ - هيام كريدية : معجم أعلام الألسنية في الغرب , ص : 429 .

²¹⁷⁰ - المرجع نفسه , ص : 215 .

²¹⁷¹ - المرجع نفسه , ص : 213 - 2145 .

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم .
- إبراهيم فتحي، : معجم المصطلحات الأدبية، التعااضدية العالمية للطباعة و النشر ، صقلقس ، الجمهورية التونسية . -إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة . مكتبة الانجلومصرية - القاهرة . ط07 ، 1994 م
- إبراهيم إبراهيم بركات : النحو العربي ، دار النشر للجامعات - مصر ،
- إبراهيم خليل : في اللسانيات و نحو النص ، دار المسيرة للنشر و التوزيع . ط 1 : 2007 م
- : في نظرية الأدب و علم النص ، بحوث و قراءات ، منشورات الاختلاف ، ط 1 :
- 2010 م
- إبراهيم مصطفى إبراهيم :الفلسفة الحديثة من ديكرات إلى هيوم ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر
- إنعام فوال عكاوي : المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع و البيان و المعاني ، دار الكاب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط 2 : 1996 م .
- ابن الأثير : النهاية في غريب الأثر ، تحقيق : محمود محمد الطناحي ، المكتبة الإسلامية ،
- : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ط3: 1983 م .
- أحمد الشايب ، الأسلوب ، : مكتبة النهضة المصرية ، ط7 ، 1967 م .
- أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، دار ابن الجوزي ، ط 1 : 2010 م
- أحمد إدريس عبده : الأحاديث القدسية ، دار الهدى ، عين مليلة ،
- أحمد بوحسن : نظرية الأدب ، القراءة - الفهم - التأويل ، دار الأمان - الرباط ، ط 1 : 2004 م ،
- : في المناهج النقدية المعاصرة ، دار الأمان ، ط 1 : 2004 م ،
- أحمد درويش : البحث الأسلوبي معاصرة و تراث ، منشأة المعارف بالأسكندرية ، 1993 م .
- : دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث ، دار غريب ، القاهرة
- أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب ، في عصور العربية الزاهرة ، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى الباني الحلبي و أولاده بمصر ، ط 1 : 1923 م
- أحمد شامية : في اللغة دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية ، دار البلاغ - الجزائر - ط 1 ، 2002 م ،
- أحمد عبد الستار الجواري : نحو المعاني ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، طبعة جديدة :
- 2006 م .

- أحمد عبد العظيم عبد الغني: القاعدة النحوية دراسة نقدية تحليلية, دار الثقافة للنشر و التوزيع , 1990م
- أحمد عبدة خير الدين : علم المنطق , المطبعة الرحمانية بمصر , ط1 : 1930 م
- أحمد عثمان رحمانى : الجديد في مناهج تفسير الحديث الشريف و تطبيقاته , عالم الكتب الحديث , ط1 : 2011
- أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي , مكتبة زهراء الشرق , ط1 : 2001 م ,
: الإحالة في نحو النص , كلية دار العلوم - جامعة القاهرة
- أحمد عمر هاشم : منهج الدفاع عن الحديث النبوي , مكتبة وهبة , ط1 : 2000م
- أحمد قدور : مبادئ اللسانيات , دار الفكر المعاصر , بيروت , لبنان , ط1 , 1996 م ,
- أحمد محمد عبد الراضي : نحو النص بين الأصالة و الحداثة , ككتبة الثقافة الدينية , ط1 : 2008
- أحمد مختار عمر : علم الدلالة , عالم الكتب , ط5 : 1998 م
- أحمد مداس : لسانيات النص , نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري , عالم الكتب الحديث , الأردن , ط1: 2007م
- أحمد مصطفى متولي : الأحاديث القدسية و شروحها , دار ابن الجوزي بالقاهرة ,
- أحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة , المكتبة العصرية , - بيروت - ط1 - 2004 م
- أحمد مطلوب : معجم النقد العربي القديم , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ط1: 1989
- أرسطو طاليس : الخطابة , تحقيق و تعليق : عبد الرحمن بدوي , دار القلم - وكالة المطبوعات , د , ط , ت ,
- الأزهري الزناد : نسيج النص , فيما يكون به الملفوظ نصاً , المركز الثقافي العربي , ط1 : 1993 م , ص : 12 .
- اسماعيل الفاروقي : إسلامية المعرفة , المبادئ العامة - خطة العمل - الإنجازات , دار الهادي , ط1 : 2001 م ,
- ابن اسماعيل الهرمي : المحرر في النحو . دار السلام , ط1 , 2005 م .
- أمبرتو إيكو : السيميائية و فلسفة اللغة , ترجمة أحمد الصمعي , مركز دراسات الوحدة العربية , ط1 : 2005 م
- : التأويل و التأويل المفرط , ترجمة ناصر الحلواني, مركز الإنماء الحضاري , ط1 : 2009 م
- آمنة بلعلي : تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة . منشورات الاختلاف , ط1 : 2010 م .

- أيمن صالح : تلقي النص الديني دراسة أصولية مقاصدية , مجلة إسلامية المعرفة , العدد : 40 , السنة العاشرة , 2005 م ,
- باسم الماضي الحسناوي : فلسفة الإيمان عند الشهيد مرتضى مطهري , شبكة الفكر ,
- باقر بري : فقه النظرية عند الشهيد الصدر , دار الهادي , ط 1 : 2001 م ,
- بدر الدين الزركشي : البرهان في علوم القرآن , تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم , دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع , ط 3 : 1980م
- البدر اوي زهران : أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث , دار المعارف بدوي طبانه : معجم البلاغة العربية , دار المنارة , ط 3 : 1988 م
- بسيوني عبد الفتاح فيود : علم المعاني دراسة بلاغية و نقدية لمسائل المعاني , مؤسسة المختار للنشر و التوزيع - القاهرة - ط 3 , 2004 م
- ابن بشر الأمدي : الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري , تحقيق السيد أحمد صقر , دار المعارف , ط 2
- بشرى موسى صالح : نظرية التلقي أصول...وتطبيقات , الطبعة الأولى 2001 , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء - المغرب .
- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات , معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية , مؤسسة الرسالة , ط 2 : 1998 م .
- أبو بكر الرازي : مختار الصحاح , مكتبة لبنان 1986 م . أبو البقاء الكفوي : الكليات , معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية , مؤسسة الرسالة , ط : 1992 م .
- أبو بكر العزاوي : اللغة و الحجاج , , العمدة في الطبع , ط 1 : 2006 م
- بول جيروم : علم نفس الجشطلت , ترجمة : صلاح مخيمر و عبده مخيمر رزق , مؤسسة سجل العرب ,
- : نظرية التأويل الخطاب و فائض المعنى , ترجمة : سعيد الغانمي , المركز الثقافي العربي , ط 2 : 2006 م ,
- : الانتقاد و الاعتقاد , ترجمة حسن العمراني , دار توبقال للنشر , ط 1 : 2011 م ,
- : من النص إلى الفعل , أبحاث التأويل , ترجمة محمد برادة - حسان بورقية , عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية , ط 1 : 2001 م ,
- بومدين بوزيد : الفهم و النص , دراسة في المنهج التأويلي عند شلير ماخر و ديلتاي , الدار العربية للعلوم ناشرون , ط 1 : 2008 م .
- تامر سلوم : نظرية اللغة و الجمال في النقد العربي , دار الحوار , ط 1 , 1983
- تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها , علم الكتب ط 05 , 2006 م ,

: الخلاصة النحوية ، ط1: 200م

: البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية و أسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب ط2 :

2000 م

: اجتهادات لغوية ، عالم الكتب ، ط1 : 1428 هـ/ 2007 م ،

: الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، دار الثقافة ، الدار البيضاء ،

1411 هـ ، - - توامة عبد الجبار : القرائن المعنوية في النحو العربي ، رسالة دكتوراه دولة ،
جامعة الجزائر ، 1994 م - 1995 م

- التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون ، تقديم و إشراف :رفيق العجم ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1 :
1996 1996 م

- توفيق الطويل : في تراثنا العربي للإسلامي ، عالم المعرفة ، مارس : 1985 م ،

- توماس كون : بنية الثورات العلمية ، ترجمة : شوقي جلال ، عالم المعرفة ، العدد : 168 ، الصادر
في يناير : 1978 م ،

- ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، الإصدار الثاني ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع
الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية - 1416 هـ / 1995
م ،

- الجاحظ : الحيوان ، مطبعة الحلبي ، ط1 ، 1357 هـ..، ج 3 ص : 171 .

: البيان و التبیین ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط4 ، دت ،

-- جاسم محمد سلطان : التفكير الاستراتيجي و الخروج من المأزق ، مؤسسة أم القرى ، ط1 : 2006

م جعفر - صادق الخليلى : الإنسان الكامل ، مؤسسة البعثة - بيروت - ، ط2 : 1992 م

- الجرجاني : كتاب التعريفات ، تحقيق عادل أنور خضر ، دار المعرفة ، ط1 : 2007 م ،

- جماعة من المختصين : معجم النفايس الوسيط ، دار النفايس ، ط1: 1428 هـ/ 2007 م -

- جمال الدين القاسمي : قواعد التحديث فنون مصطلح الحديث ، تحقيق : محمد بهجة البيطار ،
دار إحياء الكتب العربية ، ط2 : 1961 م ،

- جمال الدين عطية : الواقع و المثال في الفكر الاسلامي المعاصر ، دار الهادي ، ط1 : 2001

- جمال بن دحمان : الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري التشعب و الانسجام ، TOP EDITION ط1 :

2009 م

- جمعان بن عبد الكريم : إشكالات النص دراسة لسانية نصية ، النادي الأدبي بالرياض و المركز
الثقافي العربي ، ط1: 2009 م ،

- جيمس جينز : الفزياء و الفلسفة ، دار المعارف ،

- جميل حمداوي : السيميوطيقا و العنونة , مجلة عالم الفكر , المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب , الكويت , مجلد : 25 , عدد : 3 , 1997 م ,
- جميل صليبا المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني
- جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية , الهيئة المصرية العامة للكتاب , 1998 م ,
- ابن جنى : الخصائص , تحقيق : عبد الحميد هنداوي , دار الكتب العلمية, بيروت , لبنان , ط1424:2هـ- 2003 م .
- جوادى آملى : الحكمة النظرية و العملية في نهج البلاغة , ذوى القربى , ط1 : 2000 م
- جورج يول : معرفة اللغة , ترجمة محمود فراج عبد الحافظ , دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر , الإسكندرية , ط1 : 2000 م .
- ابن الجوزي : كتاب الإيضاح لقوانين الإصلاح في الجدل و المناظرة , تحقيق : محمود بن محمد , السيد الدخيم , مكتبة مدبولي , ط1 : 1995 م ,
- جوزيف ميشال شريم : دليل الدراسات الأسلوبية , المؤسسة الجامعية للدراسات ط 2 , 1987 م ,
- جون لاينز : اللغة و المعنى و السياق , ترجمة , د. عباس صادة الوهاب , دار الشؤون الثقافية العامة , آفاق عربية , العراق , ط 1 : 1987 م ,
- جون لاينز : اللغة و المعنى و السياق , ترجمة عباس صادق الوهاب , دار الشؤون الثقافية العامة , ط1 : 1987 م.
- حازم القرطاجني : منهاج البلغاء و سراج الأدباء , تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ,
- حامد أحمد الطاهر : صحيح الأحاديث القدسية , دار الفجر للتراث , ط2 : 2010 م .
- أبو حامد الغزالي: المستصفى من علم الأصول , تحقيق : حمزة بن زهير حافظ , الجامعة الإسلامية - كلية الشريعة , المدينو المنورة ,
- : المقتصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى , تحقيق محمد عثمان الخشت , مكتبة القرآن
- حبنكة الميداني : ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة , دار القلم , ط10 : 2009 م
- : قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز و جل , دار القلم , ط4 : 2009 م ,
- ابن حجر العسقلاني : فتح البارئ بشرح صحيح البخاري , دار المعرفة - بيروت ,
- حسام البهنساوي : أنظمة الربط في العربية , مكتبة زهراء الشرق . ط: 2003 م
- حسام أحمد فرج : نظرية علم النص, رؤية منهجية في بناء النص النثري, مكتبة الآداب , ط2 : 2009 م
- حسن العطار : حاشية العطار على جمع الجوامع , دار الكتب العلمية , ج 2

- حسن أحمد إسبر : الأحاديث القدسية , الشركة الجزائرية اللبنانية , ط1 : 2007 م
- حسن بن حسن : النظرية التأويلية عند ريكور , دار تينمل للطباعة و النشر , ط1 : 1992
- حسن خميس المخ : رؤية لسانية في نظرية النحو العربي , دار الشروق للنشر و التوزيع , ط1 , 2007
- حسن مصطفى سحلول : نظريات القراءة و التأويل الأدبي و قضاياها , موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الانترنت ,
- حسن محمد مكي العاملي : الإلهيات على هدى الكتاب و السنة و العقل , مؤسسة الإمام الصادق , ط7: 1388 هـ
- حسن ناظم : مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول و المنهج و المفاهيم , المركز الثقافي العربي , ط1:
- حسني عبد الجليل : إعراب النص دراسة في إعراب الجمل التي لا محل لها من الإعراب , الصحوة , 2010
- حسين خمري : نظرية النص من البنية المعنى إلى سيميائية الدال , منشورات الاختلاف , ط1 : 2007 م
- حسين نجيب محمد : المواعظ الأخلاقية في شرح الأحاديث القدسية , دار المحجة البيضاء , ط1 : 2010:
- حسين يزدي : الحرية عند الشهيد المطهري , دار الهادي , ط1 : 2001 م .
- ابن حمزة الحسيني : البيان و التعريف في أسباب ورود الحديث الشريف , دار الكتاب العربي - بيروت , ط : 1981 م ,
- أبو حيان الأندلسي : ارتشاف الضرب من لسان العرب , ط1: 1984م , ج1
- الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة , تحقيق عبد القادر حسين , مكتبة الآداب .
- ابن خلدون : المقدمة , دار الرائد العربي , بيروت , ط5 , 1982 م .
- خليل أحمد عمايرة : في نحو اللغة و تراكيبها , منهج و تطبيق , عالم المعرفة , ط1 : 1984 م ,
- خليل عبد الكريم : النص المؤسس و مجتمعه , دار مصر المحروسة , ط2 : 2002 م
- خيرة خمر العين : جدل الحداثة في نقد الشعر العربي , منشورات اتحاد الكتاب العرب , 1996 م ,
- دو منيك مانغونو : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب , ترجمة : محمد يحياتن , الدار العربية للعلوم ناشرون , ط1 : 2008 م .
- ديكرو أزوالد , جان ماري ستشايفر : القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان , ترجمة منذر عياشي , المركز الثقافي العربي , ط2 : 2007 م ,

- الراغب الاصفهاني : المفردات في غريب القرآن , مكتبة نزار مصطفى الباز , ج 1 ,
- رامي عمر باعظية : روائع الظلال , دار الأمة للنشر و التوزيع , ط4: 2012 م
- ابن أبي الربيع : البسيط في شرح جمل الزجاجي , تحقيق : عياد بن عيد الثبتي , دار الغرب الاسلامي , بيروت , ط: 1986 م .
- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي : دلالة السياق , جامعة أم القرى , مكتبة فهد الوطنية , ط1 , د , ت ,
- رشيد بن مالك : قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي , انجليزي , فرنسي) دار الحكمة , ب ط , 2000 م - - رشيد بن نحدو : العلاقة بين القارئ و النص في التفكير الأدبي المعاصر , عالم الفكر , المجلس الوطني ,
- ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه تحقيق: محمد قران، دار المعرفة، بيروت، ط1 1988 ج 1
- رضوان السيد و أحمد برقايوي : المسألة الثقافية في العالم العربي/الإسلامي , دار الفكر المعاصر , بيروت - لبنان , ط1:2001 م
- روبرت دي بوجراند : النص و الخطاب و الإجراء , ترجمة تمام حسان , عالم الكتب , ط2 : 2007 م
- روبرت ديبوغراند و لفيغانغ دريسلر : مدخل إلى علم لغة النص , مطبعة دار الكتاب , ط1 : 1992 م
- للتقافة و الفنون و الآداب - دولة الكويت , المجلد 23 , العدد 1 و 2 , , أكتوبر - سبتمبر 1994 م
- رولا بارت : طرائق تحليل السرد الأدبي - دراسات , منشورات اتحاد كتاب المغرب , ط1 : 1992 م
- الزبيدي : تاج العروس , تحقيق : محمود محمد الطناحي , مطبعة حكومة الكويت , 2004 م ,
- زتسيسلاف واورزنيك : مدخل إلى علم النص , مشكلات بناء النص , ترجمة : سعيد بحري , مؤسسة المختار , ط: 2003 م ,
- الزركشي : البرهان في علوم القرآن , تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم , المكتبة العصرية
- زكريا عميرات : الأحاديث القدسية الصحيحة , دار الكتاب الحديث , ط2 : 2004 م ,
- الزمخشري: أساس البلاغة, تحقيق : عبد الرحيم محمود, دار المعرفة , دط , بيروت , لبنان
- الزواوي بغوره : الفلسفة و اللغة , نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة , دار الطليعة - بيروت , ط1 : 2005 م . ,
- ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة , ترجمة : كمال محمد بشير , مكتبة الشباب
- السرخسي : أصول السرخسي , تحقيق : أبو الوفاء الأفغاني , دار الكتب العلمية . ط1 : 1993 م
- سعد الدين التفتازاني : شرح المختصر على تلخيص المفتاح , تحقيق عبد المتعال الصعيدي , المكتبة المحمودية التجارية بالأزهر

- سعيد حسن بحري : من أشكال الربط في القرآن الكريم ، مركز اللغة العربية ، القاهرة ، 1994 ،
- علم لغة النص المفاهيم و الاتجاهات ، الشركة المصرية العالمية للنشر -
لونجمان . ط1 : 1997 م .

: نظرية النص ، منشورات الاختلاف ، ط1: 2007 م .

- سعيد حوى : المستخلص في تزكية الأنفس نظرية متكاملة في تزكية النفوس ، دار السلام ،
ط13 : 2007 م

- سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، ط1 : 1985 م ،
- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي(النص-السياق)، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،
المغرب، ط1، 1993،

: السرد العربي مفاهيم و تجليات ، رؤية للنشر و التوزيع ، ط1 : 2006 م ،
: تلقي الأحلام و تأويلها في الثقافة العربية ، منشورات كلية الآداب بالرباط ، ط1 :

، 1994 م

-السكاكي : مفتاح العلوم ، تحقيق أكرم عثمان يوسف ، مطبعة دار الرسالة ، ط1 : 1981 م
-السنهوري : شرح الأجرومية في علم اللغة ، دار السلام ، ط1:2006 م
- سوزان روبين سليمان و إنجي كروسمان : القارىء في النص ، مقالات في الجمهور و التأويل ،
دار الكتاب الجديد المتحدة ط1 : 2007 م ،

- سيبويه :الكتاب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط3 : 1988
- سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي و مقوماته ، دار الشروق ، ط15 : 2002 م ،
: مقومات التصور الإسلامي ، دار الشروق ، ط5 : 1997 م
: مشاهد القيامة في القرآن ، دار الشروق ، ط14 : 2002 م
-السيد نحمد الحسيني البهشتي : المعرفة في نظر القرآن ، ترجمة : علي الهاشمي ، دار الهدى ،
بيروت - لبنان ، ط1 : 2002 م ،

-السيد نفادي : السببية في العلم و علاقة السببي بالمنطق الشرطي ، دار التنوير ، 2006 م ،
- السيوطي : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، دار الكتب العلمية، ط1 : 1988 م ،
: الأشباه و النظائر في النحو ، تحقيق ابراهيم محمد عبد الله ، دمشق ، دط ، 1407

هـ/1986 م

: الإتيان في علوم القرآن ، دار الكتب العلمية ، ط1 : 2004 م ،

- الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط2 : 1975 م
- شكر محمود عبد الله : الفصل و الوصل في القرآن الكريم ، دار دجلة ، ط1 : 2009 م ،

- شلتاغ عبود : أسرار التشابه الأسلوبى فى القرآن الكريم , دار المحجة البيضاء , ط1 : 2003 م
- الشوكاني : إرشاد الفحول , طبعة مصطفى الحلبي . أي المبينة و الموضحة للكتاب , ط : 33 .
- صالح عبد العظيم فتحي خليل الشاعر : شعر محمد مهدي الجواهري , دراسة نحوية نصية , أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه , إشراف محمد عبد المجيد الطويل , جامعة القاهرة , 2009 م
- صباح عبيد دراز : فى البلاغة القرآنية أسرار الفصل و الوصل , مطبعة الأمانة , ط1 : 1986
- صبحي الطعان : بنية النص الكبرى , مجلة عالم الفكر , المجلد : 23 , العدد : 1 - 2 , يوليو/سبتمبر - أكتوبر/ديسمبر 1994 م
- صبحي الطعان : بنية النص الكبرى , مجلة عالم الفكر , المجلس الوطنى للثقافة و الفنون و الآداب - دولة الكويت , المجلد : 23 , العدد : 1 - 2 , يوليو/سبتمبر - أكتوبر/ديسمبر 1994 م ,
- صبحي أبراهيم الفقى : علم اللغة النصى بين النظرية و التطبيق : دراسة تطبيقية على السور المكية , دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع , القاهرة , ط1 : 2000 م ,
- صلاح فضل : مناهج النقد المعاصر , دار الآفاق العربية ,
- : بلاغة الخطاب و علم النص , سلسلة عالم المعرفة , الكويت , العدد (164) صفر 1413هـ , أغسطس 1992م ,
- : ظواهر أسلوبية فى شعر شوقي , مجلة فصول , الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر , مجلد 1 , ع , 1981م ,
- : بلاغة الخطاب و علم النص , عالم المعرفة , المجلس الوطنى للثقافة و الفنون و الآداب - الكويت . العدد : 164 , 1990 م ,
- ضياء الدين عبد الغنى : القران فى علم المعانى , دار النوادر , ط1 : 2013 ,
- الطاهر أحمد الزاوي : مختار القاموس , الدار العربية للكتاب , ليبيا - تونس ,
- ابن طباطبا : عيار الشعر , دار العلوم للطباعة و النشر , ط1 , 1985 م .
- طاهر سليمان حمودة : ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوي , الدار الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع , 1998 م
- طريف شوقي محمد : المحاجة طرق قياسها و أساليب تنميتها , مركز تطوير الدراسات العليا و البحوث فى العلوم الهندسية - كلية الهندسة - جامعة القاهرة , ط1 : 2005 م
- طه جابر العلوانى : نحو منهجية معرفية قرآنية , محاولات فى بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة , دار الفكر , ط1 : 2009 م ,
- : مجلة إسلامية المعرفة , السنة التاسعة , العدد 39 , شتاء 1426 هـ 2005 م ,

- : السنة النبوية الشريفة و نقد المتون , مجلة إسلامية المعرفة , السنة العاشرة ,
العدد 39 , شتاء 1426 هـ/2005 م ,
- طه جابر العلواني و مجموعة من المفكرين : بناء المفاهيم دراسة معرفية و نماذج تطبيقية , المعهد
العالمي للفكر الإسلامي , دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة , ج 1 , ط 1 : 2008 م ,
- طه عبد الرحمن : في أصول الحوار و تجديد علم الكلام , المركز الثقافي العربي , ط 2 : 2000
: الحجاج و التواصل , مطبعة المعارف الجديدة ,
- الطوسي : التبيان في تفسير القرآن , تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي , مطبعة قم - مكتبة الإعلام
الإسلامي , ط 1 : 1379 هـ - 1961 م .
- عادل محمود بدر : إشكالية الوجود الذهني في الفلسفة الإسلامية صدر الدين الشيرازي نموذجاً ,
دراسة في نظرية المعرفة , دار الحوار للنشر و التوزيع ط 1 : 2006 م ,
- عادل مناع : نحو النص اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية , مصر العربية للنشر و التوزيع ,
طاك 2011 م .
- ابن عاشور : تحقيقات و أنظار في القرآن و السنة , دار السلام , ط 1 : 2007 م ,
: التحرير و التنوير , الدار التونسية للنشر ,
- : مقاصد الشريعة الإسلامية , دار سحنون للنشر و التوزيع , ط 2 : 2007 م
- عاطف مدكور : علم اللغة بين التراث و المعاصرة , دار الثقافة للنشر و التوزيع - القاهرة -
- عباس أمير : المعنى القرآني بين التفسير و التأويل , دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني
, الانتشار العربي , ط 1 : 2008 م ,
- _ عباس الموسوي : قراءات نقدية في تجديد الفكر الديني , دار الهادي , ط 1 : 2002 م
- عباس حسن : النحو الوافي , آوند دانش , ط 1 : 2004 م
- عبد الجبار سعيد : الإطار المرجعي لعلم نقد متن الحديث النبوي الشريف , مجلة إسلامية المعرفة ,
السنة التاسعة , العدد : 39 , شتاء 1426 هـ - 2005 م ,
- عبد الحق بالعابد : عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) , منشورات الاختلاف , ط 1 :
2008 م
- عبد الحميد أحمد أبو سليمان , أزمة العقل المسلم , المعهد العالمي للفكر الإسلامي , ط 1 : 1991 م
- ,
- أبو عبد الرحمن السلمي : عيوب النفس و مداواتها , , تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي و عبد
العزيز شرف , دار الشروق , 1981 م .
- عبد الرحمن بن زيد الزبيدي : مصادر المعرفة في الفكر الديني و الفلسفي , مكتبة المؤيد , ط 1 :
1992 م

- عبد الرحمن بودرع : منهج السياق في فهم النص , كتاب الأمة , وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية , العدد III , قطر , ط1 : 2007 م ,
- : جوامع الكلم في البيان النبوي , نحو دراسة لغوية لبلاغة الجمع و الإيجاز في الحديث النبوي , مكتبة سلمى الثقافية ط : 2005 م ,
- عبد السلام المسدي : الأسلوبية و الأسلوب , الدار العربية للكتاب , ط2 , 1982 م .
- : مجلة دبي الثقافية , السنة الثامنة - العدد : 83 , أبريل (نيسان) 2012 م
- : اللسانيات و أسسها المعرفية , الدار التونسية للنشر ,
- : مباحث تأسيسية في اللسانيات , دار الكتاب الجديد المتحدة , ط1 : 2010 م
- عبد العزيز العيادي : ميشال فوكو المعرفة و السلطة , المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع - بيروت - , ط1 : 1994 م
- عبد العزيز حمودة : المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك , مجلة عالم المعرفة , العدد : 232
- عبد العزيز عتيق : علم المعاني , دار الآفاق العربية , 2004 م
- عبد العظيم الزرقاوي : مناهل العرفان في علوم القرآن , دار المعرفة , ط2 : 2002 م ,
- عبد الغني بارة : الهرمينوطيقا و الفلسفة , نحو مشروع عقل تأويلي , الدار العربية للعلوم ناشرون , ط1 :
- عبد الفتاح لاشين : المعاني في ضوء أساليب القرآن , دار المعارف , ط3 : 1978 م ,
- عبد القادر حسين : أثر النحاة في البحث البلاغي , دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة , د ط, 1998 م
- عبد القادر حسين : فن البلاغة , عالم الكتب , ط2 - 1984 م ,
- : فن البديع , عالم الكتب - بيروت , 1984 م
- عبد القادر عبد الجليل : الأسلوبية و ثلاثية الدوائر البلاغية, دار صفاء عمان ط1 2002 م .علي
- : علم اللسانيات الحديث , دار الصفاء للنشر , عمان , ط1 : 2002 م
- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز في علم المعاني , تصحيح السيد محمد رشيد رضا , دار المعرفة , بيروت , 1982م ,
- عبد الكريم بكار : تجديد الوعي , دار القلم - دمشق , ط1 : 2000 م ,
- عبد الكريم حامدي : نظرات في أصول الشريعة و الفقه الإسلامي للإمام محمد الغزالي , بيت الحكمة , ط: 2010 م .
- عبد الله بن عبد العزيز الهدلق : ميراث الصمت و الملكوت مكتبة الملك فهد الوطنية , ط1 : 2010 م

- عبد الله محمد الغدامي : تشريح النص , مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة , المركز الثقافي العربي , ط2 : 2006 م ,
- عبد المالك مرتاض : نظام الخطاب القرآني , تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن , دار هومة , الجزائر : 2001 .
- عبد المتعال الصعيدي: النحو الجديد , دار الفكر العربي , ط : 1947 م
- عبد المحسن عبد المقصود محمد سلطان : فكرة الزمان عند الأشاعرة , الشركة الدولية للطباعة , ط : 2000 م
- عبد الناصر حسن محمد : نظرية التوصيل و قراءة النص الأدبي , المكتب المصري لتوزيع المطبوعات , 1999 م ,
- عبد النعيم خليل : نظرية السياق بين القدماء و المحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية , دار الوفاء لندنيا الطباعة و النشر , ط1: 2007 م
- عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية, دار الكتاب الجديد المتحدة , ط1: 2004 م ,
- عبد الواسع أحمد الحميري : في آفاق الكلام و تكلم النص , المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع , ط2010:1 م
- عبد الوهاب المسيري : اللغة و المجاز , بين التوحيد و وحدة الوجود , دار الشروق , ط1 : 2002 م ,
- عبده الراجحي : فقه اللغة في الكتب العربية , دار النهضة , دط , بيروت , لبنان , دت ,
- ابن أبي العز الحنفي : شروح العقيدة الطحاوية, المكتب الإسلامي, 1988م, ط9,
- العز بن عبد السلام : مقاصد الصوم , تحقيق اياد خالد الطباع , دار الفكر المعاصر , ط2 : 1995 م .
- عز الدين محمد الكردي : وجوه الاستبدال في القرآن الكريم , دراسة لغوية وصفية تحليلية , دار المعرفة , ط1 : 2007 م ,
- عزة شبل محمد : علم لغة النص , النظرية و التطبيق , مكتبة الآداب , ط2009:2م
- عصام الدين الصبابطي : صحيح الأحاديث القدسية , دار البصائر - الجزائر , ط : 2005 م ,
- علي آيت أوشان : السياق و النص الشعري من البنية إلى القراءة , مطبعة النجاح الجديدة - دار البيضاء , ط1: 2000 م ,
- علي بن سليمان الحيدرة : كشف المشكل في النحو , دار عمار , ط 01 , 2002 م
- علي بن محمد بن علي الجرجاني : كتاب التعريفات , دار المعرفة , ط1 : 2007 م

- علي حرب : التأويل و الحقيقة , قراءات تأويلية في الثقافة العربية , دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع بيروت , ط : 200 م
- :الإنسان الأدنى أمراض الدين و أعطال الحداثة , المؤسسة العربية للدراسات و النشر , ط2 : 2010 م ,
- عماد هرملاني: العلم والأيدولوجيا: دراسة في إشكاليات منهج البحث العلمي، سورية - دمشق (1995م)، منشورات دار معد للطباعة والنشر
- عمر أبو خرمة : نحو النص نقد النظرية وبناء آخر , عالم الكتب الحديث , ط 1 : 2004 م ,
- عمر علي عبد الله محمد : الأحاديث القدسية , جمعا و دراسة , مكتبة العلوم و الحكم - المدينة المنورة - , ط1: 1425 هـ .
- عمر علي عبد الله محمد : الأحاديث القدسية جمعا ودراسة , مكتبة العلوم و الحكم المدينة المنورة , ج1:1424 هـ - 1425 هـ ,
- عيد بلبع : السياق و توجيه دلالة النص , بنسوية للنشر و التوزيع , ط1: 2008 /
- العيد محمد : اللغة و الإبداع , دار الفكر للدراسات و النشر , 1998 م ,
- عيسى على العاكوب و على سعد الشتيوي : الكافي في علوم البلاغة العربية , الجامعة المفتوحة , 1993 م .
- غالب حسن : أصالة النبوة , دار الهادي , ط1 : 2001 م
- غلام علي حداد عادل : ثقافة العري أو عري الثقافة , دار الهادي , ط1 : 2001 م ,
- ف . بالمر : علم الدلالة , ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة , كلية الآداب . الجامعة المستنصرية
- ابن فارس : مقاييس اللغة , تحقيق عبد السلام محمد هارون , دار إحياء الكتب العربية , القاهرة , ط1: 1466 هـ ,
- فاضل صالح السامرائي : معاني النحو , شركة العاتك لصناعة الكتاب, ج1
- : الجملة العربية : تأليفها و أقسامها
- : التعبير القرآني , دار عمار , ط6 : 2009 م ,
- : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني , شركة العاتك لصناعة الكتاب - القاهرة , ط2 : 2006 م ,¹
- فان ديك : النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) , ترجمة عبد القادر قنيني , أفريقيا الشرق , الدار البيضاء- بيروت , 2000م ,
- : علم النص , مدخل متداخل الاختصاصات , ترجمة : سعيد بحري , مؤسسة المختار , ط: 2004 م ,
- فتح الله أحمد سليمان : الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية , مكتبة الآداب , ط : 2004 م

- فضل حسن عباس : البلاغة - علم المعاني , دار الفرقان للنشر و التوزيع , ط4 : 1997 م
: البلاغة فنونها و أفنانها , دار الفرقان , ط3: 1992 م ,
- فؤاد بوعلي : الأسس المعرفية و المنهجية للخطاب النحوي العربي , عالم الكتب الحديث , ط1 :
2011 م م
- فولفغانغ إيذر : فعل القراءة , نظرية جمالية التجاوب في الأدب , ترجمة : حميد لحمداني و
الجلالي الكدية , منشورات مكتبة المناهل
- فولفانج هاينه مان و ديتر فيهيجر : مدخل إلى علم لغة النص , ترجمة : سعيد بحري , مكتبة
زهراء الشرق , ط : 2004 م ,
- فيرناند هالين - فرانك شويرفيجن - ميشيل أوتان : بحوث في القراءة و التلقي , ترجمة : محمد
خير البقاعي , مركز الإنماء الحضاري ,
- فيرناند هالين - فرانك شوير فيجن - ميشيل أوتان : بحوث في القراءة و التلقي , ترجمة محمد
خير البقاعي , مركز الإنماء الحضاري - حلب , ط1 : 1998 م
- الفيروزآبادي : القاموس المحيط , دار الكتب العلمية , ط2 : 2007 م
- فيصل الأحمر : معجم السيميائيات , الدار العربية للعلوم ناشرون , ط1 : 2010 م .
- **القاضي الجرجاني** : الوساطة , مطبعة عيسى البابي الحلبي . القاهرة , 1966 م .
-القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة , دار الكتب العلمية
- القسطلاني : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري , دار الفكر , ط1 : 2007 م , ج1 ,
- ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين , دار الكتاب العربي , ط :
1972 م
- قو لفجانج هاينه مان ديتر فيهيجر : مدخل إلى علم لغة النص , ترجمة و علق عليه و مهد له :
سعيد -حسن بحري , مكتبة زهراء الشرق , ط1 : 2004 م ,
- كارل ديتر بونتنج : المدخل إلى علم اللغة , ترجمة : سعيد بحري , مؤسسة المختار , ط2 : 2006
م ,
- كاظم مشكور : البحث الدلالي في تفسير الميزان , مؤسسة البلاغ , ط1 : 2010 م , كلاوس برينكر ,
التحليل اللغوي للنص , ترجمة سعيد حسن بحري
- الكرمانلي : الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري , دار إحياء التراث العربي , بيروت - لبنان ,
ط2 : 1981 م ,
- كريم زكي حسام الدين : أصول تراثية في اللسانيات الحديثة , القاهرة , ط3 , 1421 هـ/2001 م ,
- كلاوس برينكر : التحليل اللغوي للنص , مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج , ترجمة : سعيد
حسن بحري , مؤسسة المختار للنشر و التوزيع , ط2 : 2010 م

- لجنة من العلماء : صحيح الأحاديث القدسية , تحقيق : أحمد جاد , دار الرشيد , ط1 : 2007 م ,
- ابن مالك : شرح الكافية الشافية
- مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية, ترجمة : عبد الصابور شاهين, دار الفكر - الجزائر - ط4 : 1987 م
- مالك مصطفى وهبي العاملي : دور العقل في تشكيل المعرفة الدينية , دار الهادي , ط2 : 2008
- مايكل كاريذرس : لماذا يفرد الإنسان بالثقافة؟ , , ترجمة: شوقي جلال, عالم المعرفة, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت 339 (1998م),
- المنثى عبد الفتاح محمود : نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية , دار وائل للنشر , ط1 : 1429 هـ/2008 م
- مجتبى الموسوي اللاري : رسالة الأخلاق , الدار الإسلامية , ط1 : 1989 م ,
- مجموعة من الكتاب : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي , ترجمة رضوان ظاظا , عالم المعرفة , العدد : 221 , 1997 م ,
- محمد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى عالم النص و مجالات تطبيقه , منشورات الاختلاف : ط1 : 2008 م
- محمد الإسكندراني : الأحاديث القدسية , دار الكتاب العربي , ط: 2005 م ,
- محمد التونجي و راجي الأسمر : المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) , دار الكتب العلمية بيروت - لبنان , ط 1 : 2001 م
- محمد الشاوش : أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية - تأسيس نحو النص - , المؤسسة العربية للتوزيع - تونس , ط1 : 2001 م
- محمد الشاوش : أصول تحليل الخطاب , المؤسسة العربية للتوزيع , تونس , ط1 : 2001 م ,
- محمد الصادق قمحاوي : الإيجاز و البيان في علوم القرآن , عالم الكتب , ط1 : 2006 م ,
- محمد العبد : اللغة والإبداع الأبي , دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع, ط1: 1989م ,
- محمد الماكري : الشكل و الخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي , المركز الثقافي العربي , ط1 : 1991 م
- محمد المبارك : استقبال النص عند العرب , المؤسسة العربية للدراسات و النشر , ط1 : 1999
- : فقه اللغة و خصائص العربية , دار الفكر , بيروت, ط5 : 1392هـ - 1972 م
- محمد المدني : الإتحافات السنوية في الأحاديث القدسية , دار الآثار , ط1 : 2005 م ,
- محمد الولي : السياق .. إشكالية قديمة في أضواء جديدة , الإحياء مجلة فصلية تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء , العدد : 25 , جمادى الثانية 1428 هـ/يوليو 2007 م ,

- محمد أبو القاسم حاج حمد : منهجية القرآن المعرفية , أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية و الإنسانية , دار الهادي , ط1 : 2003 م ,
- محمد أبو موسى : دلالات التراكيب , مطبعة وهبة , ط2 : 1987 م
- محمد أسامة طباع : الأحاديث القدسية , دار الفيحاء , ط1 : 2004 م ,
- محمد أشرف عبد العال : معايير النصية , دراسة في نحو النص , رسالة ماجستير , إشراف تمام حسان , كلية دار العلوم , 2003 م
- محمد إبراهيم عبادة : الجملة العربية مكوناتها - أنواعها - تحليلها , مكتبة الآداب , ط4 : 2007 م
- محمد باقر الصدر : اخترنا لك , دار الزهراء للطباعة و النشر و التوزيع , ط1 : 1975 م
- محمد بن صالح بن العثيمين : مصطلح الحديث , مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية , ط : 2006 م .,
- محمد بن علي الصامل : قضية الفصل و الوصل بين المفردات عند البلاغيين , دار كنوز اشبيليا للنشر و التوزيع , ط1 : 2007 م
- محمد تقي الدين مصباح يزدي : أصول المعارف الإنسانية , مركز نون للتأليف و الترجمة , ط1 : 2001 م
- محمد حسن أبو موسى : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري , دار الفكر العربي , دار الحمامي للطباعة
- محمد حسين فضل الله : مفاهيم إسلامية عامة , دار الزهراء , ط2 : 1991 م
- مع الحكمة في خط الإسلام , مؤسسة الوفاء , ط1 : 1985 م
- محمد حمزة : الحديث النبوي و مكانته في الفكر الإسلامي الحديث, المركز الثقافي العربي , ط1 : 2005م
- محمد خاتمي : الإسلام و العالم , مكتبة الشروق , ط3 : 2002 م
- محمد خطابي : لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب , المركز الثقافي العربي , ط2 : 2006
- محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث , دار النهضة العربية , بيروت - لبنان ,
- محمد سالم أبو عفرة:السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق و المكتوب , مكتبة الآداب , ط1 : 2010 م
- محمد سعيد رمضان البوطي : فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة , دار الفكر , ط1 : 9119 م

- محمد سمير نجيب اللبدي : معجم المصطلحات النحوية و الصرفية , مؤسسة الرسالة , ط1 : 1985 م
- محمد صابر عبيد : مرايا التخيل الشعري , عالم الكتب الحديث , ط1 : 2006 م
- محمد عابد الجابري : إشكاليات الفكر المعاصر , مركز دراسات الوحدة العربية , ط2 : 1999 م
- محمد عابد الجابري : بنية العقل العربي , مركز دراسات الوحدة العربية , ط6 , 2000 م .
- نحن و التراث , مركز دراسات الوحدة العربية , ط1: 2006 م
- في غمار السياسة , فكرا و ممارسة , الكتاب الأول , الشبكة العربية للأبحاث و النشر , ط1 : 2009 م ,
- : الخطاب العربي المعاصر , دراسة تحليلية نقدية , مركز دراسات الوحدة العربية , ط5 : 1994 م ,
- محمد عبد الخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم , دار الحديث القاهرة , القسم الثالث
- محمد عبد العزيز وافي : حول الأسلوبية الإحصائية , / مجلة علامات / ح24 / مج 11ديسمبر 2001
- محمد عبد الله جبر : الأسلوب و النحو , دار الدعوة , ط1 :
- محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم , نظرات جديدة في القرآن , دار الثقافة , ط:1985 م , ص : 16 .
- محمد عبد المطلب : البلاغة و الأسلوبية , مكتبة لبنان ناشرون , ط1: 1994 م .
- : البلاغة العربية , قراءة أخرى , الشركة المصرية العالمية للنشر , لونجمان , ط1997:ام ,
- محمد عثمان نجاتي : مدخل إلى علم النفس الإسلامي , دار الشروق ط1 : 2001 م
- محمد عجاج الخطيب : أصول الحديث و علومه و مصطلحاته , دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع , ط4 : 1981 م ,
- محمد عزام : المصطلح النقدي , دار الشرق العربي , بيروت ,
- : المنهج الموضوعي , منشورات اتحاد الكتاب العرب , 1999 م
- : الأسلوبية منهجا نقديا , وزارة الثقافة السورية , ط1 : 1989 م .
- محمد علوان و نعمان علوان : من بلاغة القرآن الكريم المعاني البديع , الدار العربية للنشر و التوزيع , ط2 : 1998 م
- محمد عويس : العنوان في الأدب العربي النشأة و التطور , مكتبة الأنجلو المصرية , ط1 : 1988
- محمد فتح الله كولن : التلال الزمردية نحو حياة القلب و الروح , دار النيل , ط3 : 2006 م
- محمد فكري الجزار : العنوان و سيموطيقا الاتصال الأدبي
- محمد قطب : قبسات من الرسول , دار الشروق , ط15

: واقعنا المعاصر , مكتبة رحاب ,

- محمد متولي الشعراوي : الأحاديث القدسية , إعداد و تقديم أبو المعاطي , دار الروضة للنشر و التوزيع - محمد محمد أبو موسى : دلالات التراكيب دراسة بلاغية , مكتبة وهبة , ط2 : 1994 م
- محمد محمد تامر و عبد العزيز محمد : صحيح الأحاديث القدسية , دار البيان العربي ,
- محمد محمد قاسم : كارسل بوبر , نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي , دار المعرفة الجامعية ,
- محمد مصطفى أبو شوارب و أحمد محمود المصري : أثر المتكلمين في تطور الدرس البلاغي (القاضي عبد الجبار نموذجاً) , دار الوفاء لنديا الطباعة و النشر , الإسكندرية , ط1: 2006م ,
- محمد مفتاح : دينامية النص , المركز الثقافي العربي , , الدار البيضاء - المغرب , ط3 : 2006 م
- النص من القراءة إلى التنظير , شركة النشر و التوزيع المدارس , الدار البيضاء , ط1 : 2000 م ,
- المفاهيم معالم , نحو تأويل واقعي , المركز الثقافي العربي , ط 1 : 1999 م
- التلقي و التأويل , مقارنة نسقية , المركز الثقافي العربي , ط1 : 1994 م
- من قضايا التلقي و التأويل , مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء , ط1 : 1994 م
- الخطاب الشعري استراتيجية التناص , المركز الثقافي العربي , المغرب , ط3, 1992
- محمد منير الدمشقي الأزهري : الإتحافات السنوية بالأحاديث القدسية , دار ابن كثير , دمشق - بيروت , ط3 : 2008 م ,
- محمد مهدي شمس الدين : مقاصد الشريعة , دار الفكر المعاصر , ط1 : 2002 م
- محمد ناصر الدين الألباني : صحيح الجامع الصغير و زيادته , الفتح الكبير , المكتب الإسلامي , ط 3 : 1988 م ,
- محمد نحلة : التعريف بين الدلالة و الشكل , دار التوني للطباعة و النشر , مصر , ط1 : 1997 م
- محمود بن الجميل : صحيح الأحاديث القدسية و شرحها , دار الإمام مالك , ط1 : 2004 م
- محمود بن أحمد العيني : عمدة القاري شرح صحيح البخاري , دار الكتب العلمية , ط1 : 2001 م
- محمود محمد عيسى : السياق الأدبي دراسة نقدية تطبيقية , جامعة المنصورة - كلية التربية بضمياط , 2004 م
- مصطفى السعدني : البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث , منشأة المعارف , ط1 : 1998 م .
- مصطفى بن العدوي : الصحيح المسند من الأحاديث القدسية , دار الصحابة للتراث .
- مصطفى حميدة : نظام الارتباط و الربط في تركيب الجملة العربية , مكتبة لبنان ناشرون , ط1 : 1997 م .

- مصطفى عليان : سيميائية العنوان في مجموعة (صور و مواقف من حياة الصالحين/الصالحات) دراسة أسلوبية , مجلة إسلامية المعرفة , العدد : 58 , السنة الخامسة عشرة , 2009 م ,
- معتصم السيد أحمد : الهرمنيوطيقا في الواقع الإسلامي بين حقائق النص و نسبية المعرفة , دار الهادي , ط 1 : 2009 م
- مقران فصيح : البناء اللغوي لشعر السجون عند مفدي زكريا و أحمد الصافي النجفي , منشورات بونة للبحوث و الدراسات , ط 1 : 2008 م ,
- المناوي : فيض التقدير , دار المعرفة , ط 2 : 1972 م , ج 4 ,
- منذر عياشي : العلاماتية و علم النص , المركز الثقافي العربي , ط 1 : 2004م ,
:الكتابة الثانية و فاتحة المتعة , المركز الثقافي العربي , ط 1 : 1998 م ,
- : مقالات في الأسلوبية , منشورات اتحاد الكتاب العرب , دمشق , ط 1 : 1990م
- : الأسلوبية و تحليل الخطاب , مركز الإنماء الحضاري , ط 1 : 2002 م ,
- ابن منظور : لسان العرب , دار إحياء التراث العربي , ط 3 : 1999 م .
- المهدي المنجرة : قيمة القيم , المركز الثقافي العربي , ط 2 : 2007 م
- موسى ربابعة : التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية , مؤتمر النقد الأدبي , جامعة اليرموك , الأردن , 10 - 11 تموز , 1988م ,
- موسى شاهين لاشين : فتح المنعم شرح صحيح مسلم , دار الشروق , ط 1 : 2002 م ,
- ميخائيل بختين : الكلمة في الرواية , ترجمة : يوسف حلاق , منشورات وزارة الثقافة , دمشق 1988 م
- ميشال فوكو : حفريات المعرفة , ترجمة : سالم يفوت , المركز الثقافي العربي , ط 1 : 1987
- نادر كاظم : المقامات و التلقي المؤسسة العربية للدراسات و النشر , ط 1 : 2003 م ,
- **ابن الناظم** : شرح ألفية بن مالك , دار الجيل 1998 م
- : المصباح , تحقيق حسني عبد الجليل يوسف , مكتبة الآداب بالقاهرة , ط 1 : 1989 م .
- نجم الدين قادر كريم الزنكي : نظرية السياق , دار الكتب العلمية , ط 1 : 2007
- نصر حامد أبو زيد : إشكاليات القراءة و أوايات التأويل , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء , ط 2 : 1992 م ,
- نعمان بوقرة : مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري , عالم الكتب الحديث , ط 1 : 2008
- : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب , دراسة معجمية , عالم الكتب الحديث , ط 1 : 2009 م ,
- نعوم تشومسكي : اللغة و مشكلات المعرفة , ترجمة : حمزة بن قبلان المزيني , الدار البيضاء : دار تويقال , ط 1 : 1990 م ,

- نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، بحث مقدم لنيل درجة دكتورا الدولة ، السنة 1994 م .
- النووي : صحيح مسلم ، ، دار ابن الهيثم ،
- ابن هشام : شرح شذور الذهب ، دار الطلائع ،
- : شرح قطر الندى ، المكتبة العصرية ، 1988 م .
- : مغني اللبيب ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة تاعصرية ، ط : 2003 م
- : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1979:5 م
- ابن هشام : السيرة النبوية ، دار الجيل ، ط: 1975 م .
- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين تحقيق: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، ط1، 1981 ،
- هنية حمدان : القضاة : تعليم الأطفال العبادات الشرعية بالتدرج التربوي ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، 1998 م
- هيام كريدية : معجم أعلام الأسنية في الغرب ، بحث مدعوم من الجامعة اللبنانية ، ط1 : 2011 م
- وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان ، تعريب ظفر الدين خان ، مكتبة الرسالة .
- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم : الطراز المتضمن أسرار البلاغة وحقائق الإعجاز ، دار الكتب العلمية بيروت (بدون تاريخ) ،
- يحي رمضان : القراءة في الخطاب الأصولي الاستراتيجية و الاجراء ، عالم الكتب الحديث ، ط1 " 2007 م ،
- يحي محمد : منطق فهم النص ، دراسة منطقية تعنى ببحث آليات فهم النص الديني و قبلياته ، أفريقيا الشرق - المغرب ،
- أبو يعقوب المغربي : مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه ، 1974 م .
- ابن يعيش : شرح المفصل ، دار الكتب العلمية ، ط1 : 2001 م .
- يورقن هابرماس : المعرفة و المصلحة ، ترجمة حسن صقر ، منشورات الجمل ، ط1 : 2001 م
- يوسف القرضاوي: كيف تتعامل مع السنة النبوية معالم و ضوابط. ط : 09 ، الدار العربية للعلوم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي .
- يوسف أبو العدوس : مدخل إلى البلاغة العربية ، علم المعاني - علم البيان - علم البديع ، دار المسيرة ، ط1 : 2007 م .
- يوسف أوغليسي : الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض بحث في المنهج و الاشكالية ، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية ، الجزائر ، 2000 م ، ب ط .
- : النقد الجزائري المعاصر من اللاتسونية إلى الأسنية ، إصدارات رابطة ابداع الثقافية

- يوسف نور عوض : نظرية النقد الأدبي الحديث , دار الأمين , ط1 : 1994 م .
- William o . hendrick : علم اللغة السيميائي و الأدب المروي , ترجمة : نورزاد حسن أحمد و
يونيل يوسف عزيز , الدار العربية للموسوعات , ط1 : 2010 م ,

المعاجم :

- المعجم الفلسفي : مجمع اللغة العربية لجمهورية مصر العربية , الهيئة العامة لشؤون المطابع
الأميرية - 1983 م ,
- المعجم الوجيز : مجمع اللغة العربية , جمهورية مصر العربية , ط1 : 1980 م ,

المجلات :

- بونة للبحوث و الدراسات , مجلة دورية محكمة , العدد الأول , محرم 1425 هـ / مارس 2004
م
- مجلة اللغة و الاتصال , كلية الآداب جامعة وهران , العدد 01 رمضان 1426 هـ أكتوبر 2006 م ,
- مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز , ط1 : 1980 م ,

مراجع باللغة الأجنبية

Analysing English :an introduction to descriptive linguistics. par howard jackson . p 103 . .

Autourdu roman beur : immigration et identité par Michel Larande/L'Harmattant.1993.p201

Georges Mounin : Dictionnaire de la Linguistique . . 1 édition :1974.p =310 .QUADRIGE / PuF

Halliday and Ruqaiya Hasan . Cohesion in English (New York: Longman, 1976), p.4

Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 88

M.A HALLHDAY and RUGAHYA HASAN : Coheshon hn Englsh . longman . london .1976 .p :88.

M.A HALLHDAY and RUGAHYA HASAN : Coheshon hn Englsh . p :89 - 1

دراسات أدبية : دورية فصلية محكمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث و الاستشارات و الخدمات التعليمية , العدد
(03) , 2008 م .

Role et foctionnement de l'anaphore dans la dynamique textuelle .par Denis Apothelose .librairie Deroze .geneve-
paris. P 119 .

Role et foctionnement de l'anaphore dans la dynamique textuelle .par Denis Apothelose .librairie Deroze ..
.geneve-paris. P 118.

الانترنت :

• www.arrabita.ma/content.aspx?c=150&S=49

هذه الدراسة تحاول أن تخرج بالحديث القدسي - قدر الاستطاعة - من الدائرة الضيقة التي وضع فيها وضعا أو دفع إليها دفعا إلى فضاء معرفي أوسع و أشمل , و ذلك بأن نصله بالحياة المعرفية الحديثة , و مناهج الدرس اللغوي المعاصر , لكي يبني لنفسه منهاجا متكاملا للتعامل مع كينونته المتميزة و طاقاته المعرفية و التأصيلية الفاعلة . كما نشير - ثانيا - إلى أن هذا البحث يستهدف تبيان ما تتميز به أسلوبية آليات الاتساق و الاتساجام في هذه المدونة/الحديث القدسي من تميز و فرادة و جماليات تستأهل الاهتمام و العناية و الدراسة , و ما دام الأمر كذلك , فينبغي على الدارس التعامل مع نصوص الأحاديث القدسية بوصفها مدونة أسلوبية , وحدة واحدة , يتم تحليل ما فيها , أي التعامل معها كما هي , بها الكثير من الإشارات العقدية و التصورية و الفكرية و الاجتماعية ... هذه الرؤية تعنى بالأسلوب و تلقي الضوء على نفسية صاحبه و ظروف حياته و شخصيته إن اقتضى الأمر ذلك .

إن الظاهرة اللسانية منطوقة كانت أم مكتوبة من أهم الوسائل الاتصالية الفاعلة و المعبرة عن أغراض المجتمعات الإنسانية و حاجاتها المتنوعة عبر السيرورة التاريخية تغلب الحضارات . و لهذا وجدنا الفكر الإنساني منذ أدرك هذه الحقيقة , انبرى يحقق و يدقق بعناية في مكونات و أسرار هذه الظاهرة المثيرة و قوانينها الخاصة منها و الكلية وفقا لمقتضى مناهج لسانية علمية دقيقة . و من بين هذه المناهج الحديثة الدرس الأسلوبى ذو الرؤية الشمولية ...

إن من بين أهم مميزات المنهج الأسلوبى الحديث , هو أنه استطاع أن يتخطى في دراساته و تحليلاته عقبات إشكالات لسانيات الجملة و مظاهر قصورها , انطلاقا من البنيوية و وصولا إلى ما أفرزته القريحة التشومسكية (التوليدية التحويلية) من نظريات و اجتهادات , حيث كانت الرؤية محصورة وقتئذ في كون الجملة هي الوحدة اللغوية الكبرى . بينما ترى الأسلوبية أن النص هو الوحدة اللغوية الكبرى ... و من ثمة فإن دراسة الكلمة أو العبارة أو الجملة الفقرة ... بمعزل عما قبلها و ما بعدها , أو بترها عن السياق اللغوي العام , و كذا عن البنية الدلالية الكبرى (للنص) , يعد ذلك ضربا من القصور الذي حال دون فك الكثير من الإشكالات اللسانية التي صادفت عددا من رواد لسانيات الجملة و سدنتها ,

و عندما ننطلق من هذه الرؤية التي تعد نقلة جديدة و نوعية في الحقل اللساني الحديث , و نتأمل من خلالها الحديث القدسي قراءة و فهما , ونطالع الكتب الصحاح , ونخص بالذكر (صحيح البخاري و صحيح مسلم), تعترينا هالة من الخواطر و الأفكار الضاغطة بأسئلتها و انشغالاتها .. , الكثير منها يطرح نفسه موضوعا للبحث و درسا علميا قائما بذاته , لا من النواحي العقدية و الأخلاقية فحسب , و إنما من الجوانب اللسانية بشتى تجلياتها ومستوياتها و اتجاهاتها

و عليه فإن النظرة غير العجلى لسلسلة من الأحاديث القدسية (الصحيحة) باعتباره (مدونة صادرة عن المعصوم , فلغتها فوق اللغة العادية , و هذه المدونة كالمنظومة) (2172) التي تشي بأن (أسلوب النبوة شريف مميز أشد تميز) (2173) , ذلك و غيره يجعل الباحث يدرك من خلاله أنه أمام وحدة نسقية دينية شكلية و دلالية و تداولية متميزة تميزا قائما بذاته عن القرآن الكريم من جهة و عن الحديث النبوي من جهة أخرى .

و إلى أن يحدث ذلك ، فالدارس مطالب بداية بالتعرف على هذه الظاهرة اللغوية الفريدة من نوعها (الحديث القدسي) ، و لكن من زاوية لسانيات علمية التي تنظر إلى النص على أنه جملة من الأحداث الكلامية ذات معنى و غرض تواصلية ، يبدأ وجوده انطلاقا من (المرسل) للحديث اللغوي و ينتهي عند (المرسل إليه) ، و مؤهلا لأن يكون خطابا موجهها إلى (متلق) بعينه . و لهذا فإن وحدة موضوع النص ، و وحدة مقصديته ، و قابليته لتجاوز الكينونة اللغوية المحدودة و المشكل أساسا منها ، وهي جميعا من بن سمات الحديث القدسي ،

إن الذي سبق يدعونا إلى طرح جملة من الأسئلة و الانشغالات ، نوجزها في ما يلي :

ما الذي يجعل متلقي نص الحديث القدسي يستجيب له بنوع من الأحاسيس المتميزة عن القرآن أو خطاب الحديث ؟

هل يعود ذلك إلى أسباب ظاهرية (تماسك بنية علاقاته الخارجية) أم إلى أسباب داخلية (تماسك بنية علاقاته الداخلية)؟ ، ما الذي يمكن أن تقدمه الأسلوبية للثقافة العربية من خلال الحديث القدسي ؟ ، ما هي أهم الإمكانيات الاتساقية و الانسجامية التي بواسطتها يصل (منشئ) النص إلى أهدافه؟ ، هل يستطيع البعد الاتساقية و الانسجامية أن يستجيب لكل البدائل المختلفة و المتاحة التي يسمح بها المقام و السياق الذي جاء فيه النص القدسي ؟

هل وراء كل ذلك مخطط ذهني رئيس ، ومنتج للنص رئيس ، و محقق للهدف رئيس ؟

و هل هناك إستراتيجية للنص خاصة بآليات الاتساق و الانسجام قبل أن يكون نصا ، و أخرى عندما يكون نصا؟

هل هذا يعني أن الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر في نص الحديث القدسي تتبعه تغيرات على المستوى الاتساقية و المستوى الانسجامية.؟ ، كيف حقق نص الحديث القدسي التماسك و التوازن النوعي بين مكوناته ؟ ، ماهي الأدوات و العوامل و الظروف التي أحدثت في نص الحديث القدسي الانسجام و الاتساق ؟

هل تستطيع الدراسات اللسانية الحديثة أن تفصل نهائيا في النزاع القائم حتى اليوم ، بين من يعتقد أن الحديث القدسي لفظه و معناه من الله تعالى ، و بين من يرى أن معنى الحديث القدسي من الله تعالى و لفظه

2172 - أحمد عثمان رحمانى : الجديد في مناهج تفسير الحديث الشريف و تطبيقاته ، عالم الكتب الحديث ، ط 1 :

2011 م ، ص 24 .

2173 - المرجع نفسه ، ص : 41 .

من عند الرسول (صلى الله عليه وسلم)؟. هل يمكننا - انطلاقاً من رؤية العالم الأسنى(هيالمسليف) - أن ننظر إلى الأحاديث القدسية على أنها نص واحد متعدد الجوانب تحكمه منظومة دقيقة ؟
إذا ، نحن في حاجة إلى دراسة علمية موضوعية تجيب عن كل ما تقدم من الأسئلة و غيرها مما لم يتسع المقام لذكره ، واضعة في حساباتها ضرورة تفكيك مكونات نص / الخطاب الحديث القدسي لدراسته دراسة تقارب آليات الاتساق و الانسجام في الحديث القدسي ، تبرز لنا حضورية مكونات آليات العلاقات الخارجية و الداخلية و تفاعلاتها المختلفة المؤسسة لهذا الخطاب اللساني الفريد .

Resumé

Cette étude tente de sortir le hadith qudsi - autant que possible - du cercle restreint dans lequel il a été mis ou forcé vers un espace cognitif plus large en le mettant en contact avec la vie cognitive moderne, et l'approche linguistique contemporaine, afin de lui permettre de s'auto construire une approche intégrée pour faire face à sa spéciale entité et ses énergies cognitives et ses lois efficaces. Nous notons également - d'autre part - que cette recherche vise à identifier ce qui caractérise les mécanismes de la cohérence et la cohésion stylistique dans ce blog / el hadith qudsi d'excellence et d'originalité et d'esthétique dignes d'attention et de soins et d'étude, et vu tout ce ci , il est impératif pour le chercheur de traiter les textes du hadith qudsi comme un blog stylistique ,et une seule unité en l'analysant telle qu'il est , contenant beaucoup de signaux de fois et conceptuel et intellectuel et social ... Cette vision est préoccupé par le style et met la lumière sur la psyché du propriétaire et les circonstances de sa vie et de sa personnalité si nécessaire

Le phénomène linguistique parlé ou écrit est le plus important moyen de communication active et expressive des sociétés humaines , exprimant ses fins et ses divers besoins à travers le processus historique et la volatilité des civilisations. et depuis que cette vérité à été mise en évidence , la recherche humaine s'est concentrée à investiguer avec beaucoup d'intérêts dans les composants et les secrets de ce phénomène passionnant ,et ses lois propres ou holistiques; selon des approches linguistiques scientifique rigoureuse. Parmi ces approches modernes il y a : la leçon holistique. a vision stylistique

Une des caractéristiques les plus importantes de l'approche stylistique moderne ; c'est qu'elle était capable de dépasser dans ses études et analyses les obstacles problématiques linguistiques de la phrase et son incapacité, du point de vue du structuralisme, ainsi que du point de vue de (grammaire transformationnelle générative) de Chomsky , car en ce moment, la phrase était considéré comme la principale unité linguistique. Alors que la stylistique vois , que le texte est la principale unité linguistique ... et de ce fait l'étude de la phrase, ou le mot , ou (la phrase paragraphe)... séparément de ce qui la précède ou vient après elle , ou hors du contexte linguistique générale, ainsi que de la structure sémantique (texte),est une forme de lacunes qui ont empêché le décodage de beaucoup de problèmes linguistique rencontrés par un certain nombre de pionniers de la linguistique de la phrase, Et en partant de cette vision, qui constitue un pas de qualité dans le champ linguistique moderne et qui nous permet, de contempler et de réfléchir sur el hadith el qudsi , et les livres el sihah, spécialement (Sahih Boukhari et Sahih Muslim); on est dans un aura de pensées et d'idées, chargés de questions et de préoccupations .., dont beaucoup se présentent comme des sujets de

recherche et de leçon scientifiquement autonomes, non pas du côté dogmatique et éthiques seulement, mais des aspects linguistiques dans ses différentes manifestations et niveaux et tendances .

Et de ce fait une étude attentive d' une série de hadith qudsi sahih en le considérant comme (un blog émanant de l' infallible ,sa langue est supérieur a la langue ordinaire, et ce blog est un système linguistique), qui indiquent que (le style du prophète est très distinct) , et tous ce ci fait que le chercheur réalise, qu'il est devant une unité systémique religieuse ,pro forma ,trés distincte du Coran et du Hadith d'autre part.

en attendant, il est impératif pour le chercheur de reconnaître ce phénomène linguistique unique (hadith Qudsi), mais du point de vue d'une linguistique scientifique qui étudie le texte comme une série d'événements de mots ayant un sens et un but de communication, dont l'existence commence par(l'expéditeur) d'un événement linguistique et se termine chez (le destinataire),et pour cela, l'unité du sujet et son unique objectivité , et sa capacité d'aller au-delà de la forme linguistique , sont parmi les caractéristiques du hadith qudsi .

Et vue ce qui a été préalablement dit une séries de questions s'imposent:
Qu'est ce qui fait que le récepteur du hadith qudsi répond avec des sensations différentes de celles qu'il a en présence du coran ou du hadith ?
Est-ce pour des raisons virtuelles (La cohésion de la structure de ses relations externes) ou pour des raisons internes (La cohésion de la structure de ses relations internes)?

Que peut offrir la stylistique, à la culture arabe à travers el hadith qudsi ? ,
Quels sont les importants potentiels de la cohérence et de la cohésion ; qui Permettent au (constructeur) du texte d'atteindre ses fins ?

La dimension de la cohésion et la cohérence peuvent elle répondre à chacune des différentes alternatives disponibles dans le contexte du hadith Qudsi?

Y a t-il un paradigme fondamental, un producteur fondamental, et un ...objectif fondamental ?

t-il une stratégie pour le texte, spécifique aux mécanismes de la Y a cohérence et de la cohésion avant qu'il soit texte, et une autre lorsque il est texte ?

Ceci veut il dire, que la transition d'un sujet à un autre dans le texte du hadith Qudsi sera elle suivit par des changements au niveau de la cohésion et da la cohérence?

Comment le texte hadith Qudsi a t il réalisé la cohésion et l'équilibre qualitatif entre ses composantes?

Quels sont les outils et les facteurs et les circonstances qui ont amenés de la cohérence et de la cohésion dans le texte hadith Qudsi ?

les études linguistiques modernes Peuvent elles résoudre de façon définitive la question conflictuelle, entre ceux qui croit que , le hadith qudsi

est complètement divin (parole et sens) ,et entre ceux qui croient que son sens est divin mais les paroles sont celle du Prophète (paix soit sur lui)?
Peut-on - selon la vision de (Hjalmslev) considéré les hadiths qudsi comme un seul texte multi-facettes régie par un système minutieux ?
Donc, on a besoin d'une étude scientifique objective qui répond a toutes les questions, ci-dessus et d'autres, qui n'ont pas été mentionnés , en tenant compte de la nécessité de démanteler les composants du texte / discours hadith qudsi pour faire une étude dans la convergence des mécanismes de cohérence et de cohésion dans le hadith qudsi , qui montrera la présence des composantes des mécanismes des relations externes et internes et leurs différentes interactions qui composent ce discours linguale unique

Summary

This study attempts to come out the qudsi hadith - as much as possible - the narrow circle in which he has been forced to a wider cognitive space, by Putting it in contact with modern cognitive life, and contemporary linguistic approach to allow it to self build an integrated approach to cope with his We also note - .special entity and cognitive energies and his effective laws on the other - that this research aims to identify what characterizes the mechanisms of coherence and stylistic cohesion in this blog / el Hadith qudsi of excellence and originality and beauty worthy of attention and care and study, and Based on that, it is imperative for the researcher to treat the texts of hadith qudsi as a stylistic blog and, a single unit by analyzing it; as it is, containing much signals ,of Beliefs, conceptual , intellectual and social ... This vision is concerned with the style ,and puts light on the psyche of the .owner and the circumstances of his life and personality if necessary

The spoken or written linguistic phenomenon is the most important means of active and expressive communication of human society, expressing its purposes and different needs through the historical process and the volatility of civilizations. And since this truth was demonstrated, human research has focused on investigating with great interest in the components and the secrets of this fascinating phenomenon, and its own laws or holistic; according to rigorous scientific linguistic approaches. One of These modern approaches there is: stylistic lesson with holistic vision .

One of the most important characteristics of modern stylistic approach; that she was able to excel in his studies and analyzes the problem of language barriers of the sentence, and failure in terms of structuralism and point of view (transformational generative grammar) Chomsky because at the moment the sentence was considered the main linguistic unity. While the stylistic see that the text is the main linguistic unity ... and thus the study of the sentence or word, or (sentence paragraph) ... separate from what precedes or comes after it, or out of general linguistic context and semantic structure (text), is a form of shortcomings that prevented decoding of many linguistic problems faced by a number of pioneers of linguistics of the sentence, and starting from this vision, which is a step in the quality of modern linguistics field and allows us to contemplate and reflect on el Hadith el qudsi, and books el Sihah, especially (Sahih Bukhari and Sahih Muslim); we are in an aura of thoughts and ideas, loaded questions and concerns .., many of which present themselves as research subjects and scientifically autonomous lesson, not the dogmatic and ethical side only, but the linguistic aspects its various forms and levels and trends.

And thus a careful study of a series of Sahih hadith qudsi treating it as (a blog from the infallible, language is more than a regular language, and this blog is a linguistic system), which indicate that (the style of the prophet is

very distinct), and all that it makes the researcher realizes that he is in front of a very distinct religious systemic unity, pro forma, the Qur'an and the Hadith other.

meanwhile it is imperative for researchers to recognize this unique linguistic phenomenon (hadith Qudsi), but from the point of view of scientific linguistics which studies the text as a series of events in words with meaning and purpose of communication, whose existence begins with the sender of a linguistic event and ends with (the recipient), and for this, the unity of subject and unique objectivity and his ability to go beyond the linguistic form are among the features of the hadith qudsi.

And view what has been previously said a series of questions emerge: What makes the receiver responds with hadith qudsi different from it in the presence of the Qur'an or hadith sensations?

Is it for virtual reasons (The cohesion of the structure of its external relations) or for internal reasons (The cohesion of the structure of its internal relations)?

What can stylistic offer to Arab culture through el hadith qudsi? . What are the important potential of coherence and cohesion; Which Enable at (constructor) of the text to achieve its purpose?

What can stylistic offer to Arab culture through el hadith qudsi? What are the most important potentials of coherence and cohesion, which Enables the builder of the text to achieve its purpose?

Can the dimension of cohesion and coherence respond to every different alternative available and permitted by the place and the context of the Qudsi text ?

Is there behind it all , a fundamental paradigm, a fundamental producer, and a fundamental objective?

Is there a strategy for text, specific mechanisms of coherence and cohesion before it is text and another when it is text?

Do that means, that the transition from one subject to another in the text of the Hadith Qudsi is followed by changes in cohesion and coherence?

What tools and factors and circumstances that have brought coherence and cohesion in text hadith Qudsi?

Modern language studies Can they solve definitively the divisive issue between those who believed that the hadith qudsi is completely divine (word and meaning), and between those who believe that its meaning is divine but the lyrics are that of the Prophet (peace be upon him)?

According to the vision of (Hjelmslev), Can we considered the qudsi hadiths as a single multi-faceted text governed by an elaborate system?

So, we need an objective scientific study that answers all the questions above and others that have not been mentioned, taking into account the need to dismantle the components of text / speech hadith Quds , to conduct a study the convergence of mechanisms of coherence and cohesion in hadith qudsi,

which show the presence of components of the mechanisms of external and internal relationships and their various interactions that make up this unique lingual speech

الكلمات المفتاحية

1- الكلمات المفتاحية :

اتساق - انسجام - نص - آليات - أسلوب - أسلوبية - إحالة - إحالة بعدية - إحالة
قبلية - أداء كلامي - أداة تعريف - أدبية - إدراج - استبدال - بنية - بنوية - بؤرة -
تأويل - تحليل - تداولية - تيمة - جملة - جملة نووية - رابط - سياق - ضمير -
العطف - عنوان - فاعلية النص - قصد - مدونة - مرجعية - نحو النص - نصية -
وظيفة .

2- Mots clés

Cohésion- cohérence - texte - mécanismes - style- stylistique-
référence-

catafore_catafora- anafore_anafora- performance - article défini
- littéraire-

intégration- substitution- structure- structuralisme- foyer-
interprétation

analyse- pragmatique - thème- phrase- karnal sentence-
coordinateur -

titre-efficacité textuelle- intention- corpus- référentielle- texte
grammaire-

textualité- fonction

3- Key Words

cohesion - coherence - text- Mechanisms - style- stylistic-
reference -

catafore_catafora- anafore_anafora- performance- definit
article- Literary

- substitution integration- structure - structuralism - Focus-
interpretation

analysis- pragmatics- theme- sentence- karnal sentence-
coordinator-

title- textual efficiency- intention- corpus- referential- text
grammar- textuality- function

فهرس المحتويات

التمهيد

إشكالية البحثص: 2

المدخل

الحديث القدسي

- تعريف الحديث القدسي لغة و اصطلاحا ص : 14
- بعض أقوال بعض أقال أهل العلم في تعريف الحديث القدسي ص : 18
- أسماء الحديث القدسي ص : 19
- هل الحديث القدسي كلام الله بلفظه أو بمعناه؟ ص 20
- صيغ الحديث القدسي ص: 24
- موضوعاته و أغراضه ص : 27
- أهم المؤلفات فيه ص: 29
- الفرق بين القرآن والحديث القدسي و الحديث النبوي ص : 31
- الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي..... ص : 34
- من خصائص الحديث القدسي : ص : 36

مبادئ الأسلوبية

- التمهيد ص : 43
- مفهوم الأسلوب ص : 45
- المستوى المادي ص : 46
- المستوى الفني ص : 48
- ابن طباطبا العلوي ص : 50
- عبد القاهر الجرجاني ص : 53
- ابن خلدون ص : 58
- الأسلوب عند بعض المحدثين ص : 60
- فضاءات البحث الأسلوبي .
- الأسلوبية و اللغة ص : 64
- الأسلوبية و اللسانيات ص : 65
- الأسلوبية و البلاغة ص : 67
- الأسلوبية و النقد الإبداعي ص : 68
- الأسلوبية و النص الأدبي ص : 70
- منطلقات الأسلوبية في مقارنة الخطاب
- الاختيار ص : 72
- التركيب ص : 73
- العدول ص : 75
- الاتجاهات الكبرى للأسلوبية ص : 76
- الأسلوبية التعبيرية : شارل بالي ص : 78
- الأسلوبية النفسية : ليوسبيتزر ص : 82
- الأسلوبية البنيوية (الوظيفية) ص : 85
- الأسلوبية الإحصائية ص : 90

المباحث الأولى : آليات الاتساق في الحديث القدسي

- التمهيد ص : 94
التماسك النصي ص : 100
مفهوم التماسك النصي (لغة واصطلاحاً) ص : 102
الاتساق و الانسجام ص : 108
الاتساق مفهومه و تجلياته : ص : 108
الانسجام مفهومه و أشكاله ص : 116

الفصل الأول

آليات الاتساق دراسة نظرية

المبحث الأول :

- الإحالة ص : 123
مقدمة و تعريف ص : 123
أنواع الإحالة ص : 125
الإحالة داخل النص ص : 137
من وسائل الإحالة داخل النص ص : 138
من أدوات الإحالة داخل الخطاب/النص ص : 139
الضمائر ص : 139
أسماء الإشارة ص : 154

- الاسماء الموصولة ص : 162
- (أل) التعريف ص : 167
- الإحالة حسب المدى (المدى الإحالي) ص : 176
- الإحالة حسب الظرفية (الظرف الإحالي) ص : 178
- الإحالة خارج النص ص : 179
- أنماط الإحالة المقامية ص : 181
- رسم بياني تلخيصي حول أنواع الإحالة ص : 186 .
- المبحث الثاني :**

- الحذف** ص : 187
- التحديد اللغوي و المصطلحي ص : 190
- الحذف بين المنظور النحوي و البلاغي و النصي ص : 196
- الحذف في المنظور النحوي ص : 196
- الحذف في المنظور البلاغي ص : 199
- الحذف في منظور نحو النص ص : 202
- أنواع الحذف ص : 203
- الحذف عند هاليداي ورقية حسن ص : 211
- الحذف و الاتساق النصي ص : 213
- المبحث الثالث :**

- التكرار** ص : 219
- من الناحية اللغوية ص : 221
- و من الناحية الاصطلاحية ص : 222
- التكرار عند علماء العربية القدامى ص : 225
- أبو عثمان الجاحظ ص : 227
- أبو القاسم الآمدي ص : 228

- عبد القاهر الجرجاني ص : 229
- ضياء الدين ابن الأثير ص : 230
- التكرار عند علماء اللغة المحدثين ص : 231
- صور الروابط التكرارية ص : 237
- التكرار ودوره في التماسك النصّي ص : 248

المبحث الرابع :

- الوصل ص : 250
- الفصل لغة و اصطلاحا ص : 251
- المنظور البلاغي العربي و النحوي للوصل ص : 258
- المنظور البلاغي ص : 258
- المنظور النحوي ابن هشام نموذجا ص : 261
- الوصل في منظور الدرس اللغوي الحديث ص : 269
- المقصود بعلاقة الوصل ص : 272
- أنواع وسائل الوصل قديما و حديثا ص : 275
- وسائل الربط عند تمام حسان ص : 275
- عند هاليداي و رقية حسن ص : 278
- عند صاحب المصطلحات المفاتيح ص : 281
- من حيث المنظور الدلالي ص : 281
- قوانين الوصل/الربط ص : 282
- قواعد الربط ص : 287
- الوصل و تماسك الخطاب ص : 290

المبحث الخامس :

- الاستبدال ص : 296
- الوقائع اللغوي ص : 296
- الوقائع المفهومي ص : 297

- الاستبدال بين القدماء و المحدثين ص : 302
 من وظائف الاستبدال ص : 307
 الاستبدال المعجمي ص : 310
 الاستبدال النحوي ص : 311
 الاستبدال و الإحالة ص : 315
 أنواع الاستبدال ص : 318
 الاستبدال و اتساقية النص ص : 325
 الاستبدال الداخلي و الاستبدال الخارجي ص : 328

الفصل الثاني

آليات الاتساق دراسة تطبيقية

المبحث الأول :

- الإحالة في الحديث القدسي ص : 332
 تنوع وسائل الإحالة ص : 332
 مستويات الإحالة و الربط ص : 337
 الإحالة البعدية ص : 344
 الإحالة البعدية ص : 344
 الإحالة و مداها داخل النص ص : 345
 أنواع الإحالة في الحديث القدسي ص : 347

المبحث الثاني :

- الحذف في الحديث القدسي ص : 359
 أنواع الحذف ص : 359

الحذف على مستوى المدونة/الأحاديث القدسية ص : 365
أثر الحذف و التماسكنص الحديث القدسي ص : 376

المبحث الثالث :

التكرار في الحديث القدسي ص : 386
مفهوم التكرار ص : 386
التكرار الجزئي ص : 396
وظائف التكرار الجزئي..... ص : 398
الاشتراك اللفظي ص : 402
الترادف و أشكال الربط ص : 404
الترادف وسيلة ربط نصية عبر الأحاديث القدسية..... ص : 406

المبحث الرابع :

الوصل في الأحاديث القدسية ص : 410
أدوات الوصل ص : 410
الربط بأدوات الوصل في الأحاديث القدسية ص : 411
الوصل الإضافي ص : 416
الربط السببي ص : 424
الربط الشرطي ص : 428
الربط الاستدراكي ص : 433

المبحث الخامس :

الاستبدال ص : 446
واقعية الاستبدال في الحديث القدسي نظرة كلية ص : 446
الاستبدال الاسمي و الربط داخل الحديث القدسي ص : 446
الاستبدال الفعلي و الربط داخل الحديث القدسي ص : 450
الاستبدال الجملي و الربط داخل الحديث القدسي ص : 451
الاستبدال و طبيعة نص الحديث القدسي ص : 455

- الاستبدال و البنية الكلية لنص الحديث القدسي ص : 459
الجدول تفصيلي ص : 462

المباحث الثاني

آليات الانسجام في الحديث القدسي

الفصل الأول

آليات الانسجام دراسة نظرية

المبحث الأول :

- موضوع الخطاب/البنية الدلالية الكبرى ص : 471
موضوع الخطاب/النص ص : 473
تمثيل موضوع الخطاب ص : 477
بنية موضوع الخطاب ص : 481
دور المتلقي في الحكم على انسجام الخطاب/النص ص : 482
علامات حدود موضوع الخطاب/النص ص : 487
خصائص البنية الخطابية ص : 490
القواعد المساعدة على تحديد البنية الكبرى للخطاب ص : 495

المبحث الثاني :

- السياق ص : 503
التعريف اللغوي ص : 504
التعريف الاصطلاحي ص : 507
أنواع السياق ص : 512

- السياق التداولي ص : 515
- السياق الإدراكي أو المعرفي ص : 516
- السياق النفسي الاجتماعي ص : 520
- السياق الاجتماعي ص : 521
- السياق اللغوي ص : 522
- السياق العاطفي ص : 523
- سياق الموقف ص : 523
- السياق الثقافي ص : 525
- السياق في المنظور النحوي ص : 526
- السياق في المنظور البلاغي ص : 528
- السياق في منظور المفسرين والأصوليين ص : 530
- عناصر السياق ص : 534
- المحاور الأساسية للسياق ص : 538

المبحث الثالث :

- الفصل ص : 541
- مفهوم الفصل لغة و اصطلاحا ص : 542
- تعريفات مختلفة للفصل قديمة ص : 545
- مواطن الفصل : ص : 548
- العلاقات الملحوظة في النص ص : 557
- أنواع العلاقات الملحوظة ص : 559
- علاقة التأكيد ص : 560
- علاقة الاجمال/التفصيل ص : 561
- علاقة السؤال /الجواب ص : 562
- علاقة السببية ص : 564
- علاقة التعليل ص : 565
- علاقة العموم/الخصوص ص : 566

- علاقة التقابل..... 567 : ص
- العلاقة الشرطية 567 : ص

المبحث الرابع :

- مبدأ التغريض. 570 : ص
- الماهية 570 : ص
- من أدوات مبدأ التغريض 573 : ص
- 1 - عنوان الخطاب 575 : ص
- وظائف العنوان عند جيرار جينت 578 : ص
- 2 - الجملة الأولى للخطاب 584 : ص
- 3 - الكلمة المحور في الخطاب 586 : ص
- 4 - موضوع الخطاب 591 : ص

الفصل الثاني

آليات الانسجام دراسة تطبيقية

المبحث الأول :

- موضوع الخطاب/البنية الدلالية الكبرى 595 : ص
- رؤية عملية تأصيلية 595 : ص
- نماذج تحليلية 602 : ص
- الأنموذج الأول 602 : ص
- الأنموذج الثاني 605 : ص
- الأنموذج الثالث 609 : ص

المعنى الاتصالي للحديث القدسي ص : 614
المبحث الثاني :

- السياق في الحديث القدسي ص : 625
- التمهيد ص : 625
- أنواع السياق في الحديث القدسي ص : 627
- 1 - السياق القبلي ص : 628
- أ - سياق الموقف ص : 628
- مجال الخطاب القدسي ص : 629
- أدوار الخطاب القدسي ص : 634
- ب (- السياق الثقافي ص : 637
- طبيعة لغة الخطاب الحديث القدسي ص : 638
- نوع خطاب الحديث القدسي ص : 642
- معجم الناص ص : 646
- 2 - السياق المصاحب ص : 651
- السجع ص : 652
- الصيغ الدعائية ص : 655
- استخدام بعض العناصر الحوارية ص : 656
- استخدام ضمير المخاطب ص : 657

المبحث الثالث :

- الفصل (العلاقات الدلالية - المنطقية) ص : 663
- التمهيد ص : 663
- النموذج الإحصائي و قراءة العلاقة المهيمنة ص : 664
- علاقة السببية ص : 669
- نماذج للتحليل ص : 671
- السؤال و الجواب..... ص : 673

نماذج للتحليل	ص : 674
أفجمال/التفصيل	ص : 678
نماذج للتحليل	ص : 681
التأكيد	ص : 684
نماذج للتحليل	ص : 684
العموم/الخصوص	ص : 686
نماذج للتحليل	ص : 687
التدرج	ص : 689
نماذج للتحليل	ص : 690
التقابل	ص : 693
نماذج للتحليل	ص : 693
التعليل	ص : 696
نماذج للتحليل	ص : 697

المبحث الرابع :

مبدأ التغيريض في الحديث القدسي

التمهيد	ص : 699
مركز الجذب و نماذج تطبيقية	ص : 699
أنواع مركز الجذب	ص : 707
النوع الأول : مركز الجذب في بداية النص	ص : 707
النوع الثاني : مركز الجذب في وسط النص	ص : 708
النوع الثالث : مركز الجذب في آخر النص	ص : 709
تمدد مركز الجذب	ص : 711
نقطة التكتف و أدوات التغيريض	ص : 719
1 - نقطة التكتف جملة فعلية :	ص : 720
2 - نقطة التكتف جملة اسمية :	ص : 722
3 - نقطة التكتف مركب إضافي :	ص : 723

- 4 - نقطة التكتف اسم : ص : 725
- من أدوات التغيريض رؤية عملية : ص : 726
- النتائج : ص : 733
- بعض أعلام الدرس اللساني الغربي ص : 741
- المصادر و المراجع : ص : 747
- فهرت المحتويات : ص : 768

